نظريات الشخصية



تأليف

دكتور

محمد السيد عبد الرحمن

أستاذ الصحة النفسية

كلية التربية - جامعة الزقازيق

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــاب : نظريات الشخصية

المؤلـــــف : محمد السيد عبد الرحمن

تاريخ النشر : ١٩٩٨م

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

والمطابـــــع المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيـــــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

رقـم الإيـــداع : ٩٧/١٣٢٣٠

الترقيـم الدولى : I. S. B. N.

977-5810-80-9

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتاب

منذ الأزل والإنسان يسعى الى كشف أغوار نفسه متقدماً تارة ومتعثراً تارات ، وفي كل مرة يخرج باكتشاف جديد او وجهة نظر معينة ، ما يلبث ان يجد ما يخالفها أو يناهضها ليبقى ذلك المخلوق على حيرته حتى يمكن القول ان ما حققه من اكتشافات في البيئة التي يعيش فيها بجبالها وبحارها ومحيطاتها بل وغزوه للفضاء وارتياد الكواكب الأخرى اكبر بكثير مما حققه من اكتشافات في اقرب شيئ الى ذاته وهي نفسه ليصدق عليك قول الله عز وجل " وفي انفسكم افلا تبصرون" وسيبقى الانسان يحاول ارتياد ذلك المجهول - نفسه او ذاته - يتاملها ، ويتفحصها ، ويختبرها ، ويعالجها ويحاول أن يفهم كيف يتعلم ، كيف يفكر ، ماهي دوافع سلوكه ، وما هي اسباب سقمه ومرضه، وكيف يشفى منها، وكيف يستفيد من بيئته لأقصى درجة وباقل مجهود، وكيف يحد من صراعاته مع غيره من بني البشر وكيف يتفادى ما يوقعه فيه الآخرين من مهالك كالحروب والإدمان والرذيلة، وكيف يوفر لأولاده من بعده بيئة سعيده تنجو به ويهم بعيداً عن كل خطر واذى ، وسيبقى يفعل ذلك مجاهداً ومجتهداً ، وبطبيعته اذا نجح استمر واذا فشل نهض مرة اخرى ليواصل الكرة بعد الأخرى إلا ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وفي خطوة على هذا الطريق الطويل والصعب كانت نظريات الشخصية التي بدأت تنمو وتتبلور صورتها- شانها في ذلك شان العلوم الأخرى - مع نهاية القرن الماضي، ولا استطيع في هذه الكلمة ان احصي مناقب هذا الكتاب واذكر محاسنه فهذا ما سيكتشفه القارئ المتخصص بنفسه كلٌ حسب توجيهاته واهتماماته في هذا السياق، ولكن حسبي أن الفت نظر القارئ إلى ان اهتمامي بهذا المجال قد نبع من هدفين اساسيين هما إدراكي لافتقار هذا الميدان الى مزيد من الكتابات في نظريات الشخصية رغم وجود بعض الكتب العربية القيمة فيه ، ولكن عددها لايتناسب واهمية المجال، والأمر الآخر رغبتي في تناول نظريات الشخصية بطريقة تفيد المتخصصين في مجال الصحة النفسية والإرشاد والعلاج النفسي من خلال إبراز تطبيقات كل نظرية في مجال المرض النفسي والعلاج النفسي على السواء حتى لو اقتبست الكثير من هذه التطبيقات من عدد محدود من الكتب الأجنبية .

ولقد بدأ اهتمامي بنظريات الشخصية منذ ان كنت طالباً في مرحلة الدكتوراه وبدأت اقتبس منها بعض المقاطع التي تساعدني في الاستدلال على فكرة او تفسير

نتيجة ، ولاحظت ان اى كتاب فى نظريات الشخصية هو كتاب موسوعى ، بل أن كل نظرية فى حد ذاتها هى موسوعة سيكولوجية يمكن ان تمدنا بمعلومات عن طبيعة الشخصية وتركيبها ونموها ودوافعها واسباب مرضها وطرق علاجها، ويختلف ذلك بطبيعة الحال من نظرية لأخرى . وبعد حصولى على الدكتوراه فى (١٩٨٤) شرعت فعلياً لإعداد هذا الكتاب وقمت بترجمة أجزاء وفصول من كتب اجنبية عديدة ولكنى اكتشفت ان الأمر ليس بالسهولة التى اتوقعها، فمن ناحية مازالت معلوماتى عن العديد من هذه النظريات محدودة للغاية، ومن الصعب أن يكتب الباحث فى موضوع غير مفهوم جيداً بالنسبة له ، ومن ناحية اخرى شعرت أن انشغالى بإعداد هذا الكتاب سيستنفذ الكثير من جهدى ووقتى الذى احتاجه لإنهاء ابحاث الترقية لدرجة استاذ مساعد واستاذ، ومن هنا ارجأت اكمال هذا العمل الى ما بعد ذلك ، وبالفعل وجدت اننى كنت على حق فقد شعرت أن العمل اصبح افضل .

ولقد استفدت مما ترجمته وجمعته سابقاً ، وخاصة من إيون روبرت Ewen, R.B. ومادى Maddi، وهيجل وزيجلر Hjelle, L.A. & Ziegler D. J. والنسخة العربية والاجنبية من هول وليندزى واساتذة وعلماء مصريين مثل الأستاذ الدكتور سيد غنيم (رحمة الله عليه) والأستاذ الدكتور جابر عبد الحميد. هذا بالإضافة الى بعض الكتابات الماخوذة من مقاييس ودراسات قمت بإعدادها فى هذه المرحلة ويتضح ذلك فى نظرية موراى وكاتل وبندورا . ولا أنكر أن هناك بعض الفصول تكاد تكون مترجمة بكاملها من كتاب واحد لندرة الكتابات العربية فيها أو لتناولها بشكل جيد من وجهة نظرى يتمشى مع الخطة العامة للكتاب مثل نظرة ماى واجزاء كثيرة من النظريات الأخرى تم ترجمتها عن أيون روبرت .

يقع هذا الكتاب فى تسعة عشر فصلاً يمثل الفصل الأول منه مقدمة ومدخل لنظريات الشخصية حاولت فيه توضيح خصائص النظرية السيكولوجية الجيدة، والإرهاصات الأولى فى نظريات الشخصية ومرحلة ما قبل فرويد، وفرويد مقابل فونت، وتعريف الشخصية من وجهة نظر المدارس المختلفه لعلم النفس والعوامل المؤثرة فى الشخصية، أما الفصول من الثانى حتى الثامن عشر فتتضمن النظريات السبعة عشر التى تبدأ بنظرية فرويد التى قدمت لها وصفاً مسهبا ينبع من اقتناعى الكامل بانه تنطبق عليها خصائص النظرية الجيدة التى ذكرتها، ولكنها بكل المقاييس نظرية غير صحيحة فى مواضع كثيره منها ولذلك قدمت انتقادات تناولت

الجوانب المختلفه فيها بناءً على أسس علمية وفى المقابل لذلك اسهبت أيضاً فى نظرية سكنر التى اعتبرها نظرية جيدة ولكنها اكثر صدقا وصحة لأنها قامت على أساس تجريبى ورغم أن كلا النظريتين قد تبعهما نظريات راديكالية تقدم انتقادات وتتبع طرقاً اكثر ايجابية فى البحث والتفسير إلا أن كل واحدة منها تمثل مرحلة فى تطور نظريات الشخصية التى تنتهى فى هذا الكتاب بنظرية بندورا، وآمل فى الطبعات التالية إضافة نظريات اخرى إن شاء الله .

وتضمن كل نظرية من النظريات السبعة عشر فى هذا الكتاب المحاور الستة التالية :-

نشاة صاحب النظرية وحياته : وإبراز اثر خبرات الطفولة المبكره لديه فى توجهه النظرى مثل فرويد (الأوديبى)، وإريكسون (مشتت الهوية) ، ومای (الوجودى)، وسكنر (التجريبى).

طبيعة الشخصية : وهل هى خيرة أم شريرة وديناميانها فى خفض الدوافع ، والسببية مقابل الغائية . وهل السلوك مدفوع شعوياً أو لا شعورياً واهم الدوافع المسيطرة على الشخصية .

التركيب البنائى للشخصية : أى مكونات الشخصية والصراعات القائمة بين هذه المكونات، ومدى تقبل النظرية لوجود حيل وميكانزمات الدفاع المستخدمة فى خفض القلق .

نمو الشخصية : وذلك بإبراز المراحل المختلفه إذا وضع العالم مراحل للنمو مثل فرويد، وسوليفان وإريكسون ، أو إبراز اثر التنشئة الوالديه أو غيرها فى النمو كما فى نظريات أدلر وكاتل وبندورا ودولارد وميلر أو فى تشكيل الشخصية منذ الصغر كما فى نظرية سكنر. مع الاهتمام بأهمية الطفولة المبكرة أو المراهقة أو الرشد إذا تناولت النظرية ذلك .

- تطبيقات النظرية : فى مجال تفسير الاحلام وتحديد أسباب المرض النفسى وفى مجال العلاج النفسى والمقاومة والتحول والتحول العكسى .

- الانتقادات الموجهة للنظرية وإسهاماتها : وذلك من خلال أوجه تعارضها من النظريات الأخرى ونتائج البحوث الأمبريقية والتجريبية التى تمت فى كنفها واهم

الإضافات التى قدمتها النظرية لمجال علم النفس.

أما فى الفصل الأخير فقد تناولت نقاط الالتقاء والاختلاف حول المحاور المذكورة ووجهة النظر المستقبلية فى مجال نظريات الشخصية وبحوثها .

وإذا كان هناك من شكر فهو لله وحده أولاً وأخيراً الذى أعاننى بالصبر والتوفيق على اتمام هذا العمل راجياً منه القبول والمغفرة. وأتمنى أن يلقى هذا الكتاب قبول أساتذتى وزملائى وطلابى ، فعلى الرغم من أننى ناشدت الكمال فيه ، ولكن هذا أمر صعب المنال - فالكمال لله وحده - وقد يجد القارئ خطأ هنا أو هناك أو إسهاب فى موضع وقصور فى موضع آخر فما كان ذلك من تقصير بقدر ما كان من قصور ، فقد إجتهدت وعلى الله السبيل .

المؤلف

الباب الأول

الفصل الأول

مدخل لنظريات الشخصية

ماهى النظرية :

لايختلف مفهوم النظرية فى علم النفس عن غيره من العلوم الأخرى. ورغم ذلك توجد وجهات نظر متعددةحول معنى النظرية تختلف باختلاف زاوية الرؤية للباحث أو المُنظر، فقد ينظر لها على أنها نظام من المفاهيم المجردة التى تساعد على الربط بين مجموعة من القوانين غير المترابطه، أو أنها نسق فكرى ينظم مجموعة من المفاهيم أو مجموعة من الظواهر المتشابهة ، وتأتى النظرية على قمة الهرم العلمى بعد الحقائق أو البديهيات، ثم القوانين ، ولذلك فهى تسعى لربط العلاقة بين الحقائق المفككة من ناحية، وتجميع الوحدات المشتركة من الحقائق والقوانين فى إطار نظرى تكاملى من ناحية أخرى وفى صيغة أبسط تساعد على تحقيق الأهداف الثلاثة للعلم وهى التفسير والتنبؤ والضبط، فالنظرية إذن " هى قوانين أوأحكام عامة تربط بين سلسلة أو مجموعة سلاسل من الأفكار لتكون بناءاً فكرياً متكاملاً ، وهى بذلك تعبر عن العلاقات التى تنظم هذه الأفكار، وهى بناء منتظم ومنظم لمجموعة من الأفكار تبدو فى صورة قوانين أو أحكام عامة تمكننا من التنبؤ ومن تفسير الظواهر التى يكتشفها العلماء بواسطة الملاحظة العلمية والتجريب العلمى ، ويمكن القول أيضاً - أن النظرية العلمية ماهى إلا مجموعة من الأحكام العامة أو الفروض العلمية التى تتعلق بظاهرة ما من الظواهر الطبيعية (أو السيكولوجية) ويكون قد ثبت صدقها بالتجريب العلمى (محمود سلطان وآخرون ١٩٨٦). ويعرفها هول وليندزى Hall & Lindizy (1978) بأنها مجموعة من المسلمات أو البديهيات يصيغها واضع النظرية ، وينبغى أن تكون هذه المسلمات ذات صله قوية بموضوع النظرية، وأن تقدم بصورة منظمة تكشف العلاقة فيما بينها، كما يجب أن تشمل النظرية مجموعة من التعريفات أو المفاهيم القابلة للتجريب.

خصائص النظرية السيكولوجية الجيدة :

ربما يكون اشتقاق الخصائص الجيدة للنظرية السيكولوجية عموماً ونظرية الشخصية على وجه الخصوص أجدى إذا عرضنا ذلك من وجهة نظر علماء النفس بشكل خاص وخاصة من أصحاب نظريات الشخصية ، لأنهم أكثر التصاقاً بالمجال وتفهماً لهذه المعايير وإدراكاً للقيمة التطبيقية للنظرية. ومن هؤلاء مثلاً كيلى (Kelly, 1970 a) الذى يعى جيداً الدور الذى تلعبه النظرية فى علم مثل علم النفس، ويدرك جيداً صعوبات تقييم هذه النظريات من خلال البحوث الإمبريقية ويصف النظرية الجيدة

والصحيحة بأنها تلك النظرية التى تقدم إطاراً جيداً لتنظيم الحقائق المتعددة، واستخلاص الفـروض والتنبـؤ بالسـلوك الإنسانـى ، والتى يمكن اختبارها تجريبياً، والتى يمكن دعمها بنتائج الأبحاث، وأن يمكن استخدامها فى تطبيقات مفيدة لحل مشكلات اجتماعية هامة.

وقد تكون النظرية جيدة ولكنها غير صحيحة بشكل كامل كما يرى باترسون (Patterson,1986) . الذى يرى أنه لايمكن تقويم النظرية بالنسبة لصحتها أو مصداقيتها إلا بعد أن تُختبر، بل أنه يرى أن القليل من النظريات هى التى يمكن قبولها كنظريات صادقة بشكل كامل أو مطلق حتى بعد اختبارها، والنظرية الجيدة هى التى تميل لأن تكون صحيحة، وألا تكون ضعيفة، .

ويحدد هول وليندزى (1978) ثلاث وظائف أساسية يجب أن تؤديها النظرية الجيدة هى :

١ – أن تؤدى الى ملاحظة العلاقات التجريبية المتصلة بالموضوع والتى لم تكن خاضعة للملاحظة من قبل، أى تؤدى الى مزيد من المعرفة التى تتعلق بالظواهر التى يهتم بها الباحث ، ويجب أن تؤدى هذه الزيادة المعرفية الى استنتاج مجموعة من الاقتراحات التجريبية من النظرية كالتنبؤات والفروض والتقريرات التى تخضع للاختبار التجريبى، فالنظرية شيئ مفترض يتحدد قبولها أو رفضها بمدى جدواها أو فائدتها وليس بمدى حقيقتها أو زيفها، حيث يتحدد ذلك من خلال : –

أ – القابلية للتحقق Verifiability ، وتشير الى قدرة النظرية على تعميم التنبؤات التى تُؤكد عندما يتم جمع البيانات التجريبية المناسبة ذات الصلة بالموضوع.

ب – الشمولية Comprehensiveness أى تنوع واكتمال ما تتناول النظرية من استنتاجات .

٢ – يجب أن تسهم فى دمج وربط الاكتشافات التجريبية المعروفة داخل إطار بسيط منطقى ومعقول. فالنظرية ماهى إلا وسيلة لتنظيم ودمج كل ماهو معروف ويتعلق بمجموعة الأحداث ذات الصلة بالموضوع ويرتبط بهذا الهدف ما يجب أن تتسم به النظرية من بساطه Simpilicity ، وهى عامل هام يأتى فى الرتبه الثالثة بعد القابليه للتحقق والشمولية .

٣- أن تقى أوتحمى الملاحظ من الإندهاش والاستغراق فيما تشمله من تعقيد للأحداث الطبيعية الواقعية، حيث تعد النظرية مجموعة من الغمامات تتطلب ممن يرتديها أنه من غير الضرورى أن يقلق وأن يهتم بكل جوانب الحدث الذى يدرسه، وتحدد لمستخدمها عدد محدود من الأبعاد والمتغيرات المهنية ذات الأهمية القصوى، أما الجوانب الأخرى للموقف فيمكن إهمالها أو إغفالها الى حد ما. ولكن النظرية الجيدة سوف تفصل البيانات المراد جمعها والمتعلقة بمشكلة ما، ومن ثم تجعل الباحث ينشغل بدراسة نفس الحدث التجريبى فى مواضع نظرية متنوعة ومختلفة.

أما باترسون (1986) فيحدد عدد من المعايير المنطقية التى يمكن من خلالها الحكم على جودة النظرية أهمها :-

١- **الأهمية** : Importance : لاينبغى ان تكون النظرية تافهة أ عديمه القيمة، بل يجب أن تكون ذات أهمية ودلالة تطبيقية، وأن تكون قابلة للتطبيق وألا تكون محدودة القيمة.

٢- **الدقة والوضوح** : Preciseness يجب أن تتصف النظرية بامكانية استيعابها أو فهمها جيداً، والاتساق الداخلى، والتحرر من الغموض أو التشوش، ويمكن اختبار مدى وضوح النظرية من خلال ربطها بالنتائج والممارسات العملية لها أو بقدرتها على تطوير فروض أو تكوين توقعات أو اختبار ذاتها.

٣- **الاقتصاد أو البساطه** Parsimony or Simplicity : لاقى مفهوم الاقتصاد النظرى أو البساطه قبولاً واسعاً كأحد الخصائص الأساسية للنظرية الجيدة. وهو يعنى أن النظرية تتضمن الحد الأدنى من التعقيدات والافتراضات، ويتفق باترسون فى ذلك مع هول وليندزى.

٤- **الشمولية** Comprehensiveness : يجب أن تتصف النظرية بالكمال، فتغطى مجال الاهتمام وتشتمل على كل البيانات المعروفه فى المجال.

٥- **الإجرائية** : Operationality : يجب أن تتصف النظرية بالقابلية لاختصار إجراءتها بغرض اختبار فروضها أو توقعاتها، ويجب أن تتصف مفاهيمها بالدقة الكافية حتى يمكن قياسها.

٦- **الصدق الأمبريقى أو القابلية للتحقق** : Empirical Validity or Verifiability

كل المحكات السابقة ترتبط بالجودة أكثر مما ترتبط بصحة وصلاحية النظرية ، ولكن هناك محك هام وهو ضرورة أن تدعم الخبرة والبحوث التجريبية صدق النظرية كما يجب أن يتولد عنها معرفة جديدة ، وعلى العموم فإن النظرية التى لاتؤكدها البحوث التجريبية ربما تؤدى بشكل غير مباشر الى معرفة جديدة من خلال إثارتها فى سبيل خلق نظرية أفضل .

٧- **الإثمار (الإنتاجية)** Fruitfulness : ويقصد بالإثمار أو الإنتاجية : هو قدرة النظرية على أن تؤدى الى توقعات قابله للاختبار والتجريب ، وتطوير معرفة جديدة ، وتعد النظرية مثمرة أحيانا حتى لو لم تؤدى الى توقعات معينة ، ولكنها قد تولد تفكيراً وتطور أفكاراً جديدة أو حتى نظريات ويرجع ذلك غالباً لانها قد تقاوم أو تعارض من قبل الأخرين .

٨- **القابلية للتطبيق العملى** : Practicality : وهو المحك الأخير للنظرية الجيدة الذى قد يهمله البعض ، ويشير الى أن النظرية الجيدة يجب أن تكون مفيدة للممارسين فى تنظيم أفكارهم وإجراءتهم فتزودهم بإطار مفاهيمى للمارسة ، وأن تساعدهم على التحرك لأبعد من مجرد المستوى التطبيقى القائم على المحاولة والخطأ الى التطبيق المنطقى والعقلانى للقواعد والإسس .

" أما ألبورت فقد إعتقد اعتقاداً راسخاً أن نظرية الشخصية الجيدة ينبغى أن تتسق مع ما يقدمه الأدب الذى يستطيع أن يقدم أكثر أوصاف الشخصية قابلية للفهم ، ومع ما تقدمه الفلسفة لأنها أقدم مجال لدراسة الشخصية ، ومع ما تقدمه العلوم البيولوجية ، وقدم خمس محكات لنظرية الشخصية الجيده ينعى ان تتصف بها ، وهى :

١- أن النظرية الجيدة هى التى ترى أن الشخصية متضمنه داخل الشخص ، وبعبارة أخرى ينبغى أن تُفهم الشخصية وأن تُفسر على أساس الميكانزمات الداخلية أكثر من فهمها وتفسيرها فى ضؤ الميكانزمات الخارجية .

٢- النظرية الجيدة تنظر الى الشخص باعتباره مليئاً بمتغيرات تسهم فى أفعاله .

٣- النظرية الجيدة تبحث عن دوافع السلوك فى الحاضر بدلاً من البحث عنها فى الماضى .

٤- ينبغى أن تكون وحدات القياس التى تستخدمها نظرية الشخصية الجيدة قادرة على أن تسفر عن تركيب حى ،ويرى أننا لاينبغى أن نضيع على الأطلاق سلامة الشخصية ككل، ذلك أن الإنسان أكثر من مجرد مجموعة من الدرجات الاختبارية أو الأفعال المنعكسة الشرطية ومهما كانت وحدات القياس التى تستخدم فى وصف شخص فإنها ينبغى أن تكون قادرة على وصف شخصية كليه ديناميكية .

٥- أن تفسر النظرية الجيدة الوعى بالذات تفسيراً سليماً (جابر عبد الحميد، ١٩٨٦).

ولقد أدت كثرة المحكات التى حددها علماء النفس الى جعل بعضهم يتشكك فى إمكانية إلتزام نظرية واحدة بهذه المحكات كاملة مثل كيلى (Killy, 1970a) الذى يرى أنه من الصعوبة بمكان أن تختبر النظرية فى المعمل البحثى، ومن ضمن الصعوبات التى يذكرها : اختيار عينة ممثله من المفحوصين، وضبط التأثيرات الدخيلة أو الثانوية . وكذلك صعوبة الوصف الكيفى لتركيبات مختصرة مثل العمليات اللاشعورية والصحة النفسية، ولذلك تبقى فى نظره نتائج أى بحث محل تساؤل وتخضع لأكثر من تفسير، وحتى بالنسبة للفروض الواضحة لاتُثبت بشكل مُطلق ، وهو ما يعطى فرصة لعالم النفس الذى لم تؤيد أفكاره عملياً أن يجد طرقاً لدحض النتائج وأعادة اختبار نظريته، يقول كيلى: " نادراً ما تسقط نظرية تماماً أو تثبت صحتها نهائياً من مجرد نتائج حاسمة لبحث واحد. ولكن من خلال ملاحظاتى الشخصية خلال السنوات السابقة أن اغلب النظريات تصنف على أنها تفتقر للدقة الكاملة بمستوى ثقة حوالى ٨٠ر٠ ومن المستحيل أن نعطى نظرية شاملة لقب السمو والامتياز " وبالإضافة الى محدودية التركيز ومدى التناسب فإن أى نظرية تكون مؤقته القيمة، ولايجب أن نعتبرها نظرية ممتدة ما لم تقدم معلومات جديدة وفعالة بشكل جيد حتى لو أنتقدت ، ويعبر كيلى عن ذلك بقوله " إن العالم الذى يقضى وقتاً كبيراً يكتنز مالديه من معلومات وحقائق ولا يريد الإفصاح عنها لن يكون سعيداً عند رؤيته لهذه المعلومات والحقائق وهى تلقى فى سلة المهملات ، فهو يريد أن تبقى محفوظه فى ذاكرته حتى لاتتعرض للنقد إذا ما إطلع عليها الآخرون، ولذلك يجب ألا تعتبر أى نظرية علمية قد حققت الكمال اللامحدود، وبهذه النظرة يمكن أن تجنب مثل هذا العالم العديد من عوامل القلق، وتمده بالشعور بالاستقلال الذاتى كما تمنعه هذه النظرة من تحريف نتائجه التجريبية فى صالح نظريته (Kelly 1970a) .

الإرهاصات الأولى لقيام نظريات الشخصية :

لعبت نظريات الشخصية دوراً بارزاً فى نمو وتطور علم النفس ، وفى الوقت ذاته كانت بمثابة الخطوة الأولى على طريق استقلال علم النفس عن الفلسفة ورغم ذلك فهى مجرد جزء من المجال العريض لعلم النفس عموماً. وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أدى وجود عدد من العوامل - التى كانت وقتها تعد بمثابة مصادر بحث حديثه نسبياً - الى وضع اللبنات الأولى فى ظهور توجه قوي لصياغة نظرية متكاملة فى الشخصية وهذه العوامل هى :

١- **الملاحظة الكلينيكية Clinical observation** : التى بدأت مع شاركو وجانيه وامتدت الى فرويد ويونج ومكدوجال وغيرهم من الأطباء الذين اهتموا بالبيانات الاكلينيكية المستمدة من مرضاهم وخاصة ما يرتبط منها بخبرات الطفولة والاضطرابات الانفعالية لديهم وطرق علاجها اعتماداً على مالديهم من أحاسيس ومشاعر حدسية .

٢- **علم النفس التجريبى بشكل عام ونظريات التعلم بشكل خاص:** حيث لعب معمل فونت دوراً فى تزايد الاهتمام بالبحث التجريبى الذى يتم فيه ضبط المتغيرات بدقة ، والسعى نحو فهم أفضل لطبيعة الشخصية الإنسانية وتقييم كيفية تعديل السلوك ومن رواد هذا المجال فونت وواطسن ، وثورندايك وبافلوت وهيلموهولتز وغيرهم .

٣- **مدرسة علم نفس الجشطلت فى ألمانيا وأفكار وليم ستيرن Stern, w.** : حيث رفض أنصار هذا الاتجاه دراسة السلوك فى شكل وحدات مستقلة ونادوا بالدراسة التكاملية للسلوك البشرى ورأو ان الدراسة الجزئية لعناصر صغيرة من السلوك لايمكن أبداً أن تفيد أو تثمر جديداً فى مجال علم النفس، ومن رواد هذا المجال كفكه وكهلر وغيرهما .

٤- **القياس السيكولوجى Psychometric** : حيث أسهم الاهتمام بالقياس السيكولوجى، ودراسة الفروق الفردية وبناء الاختبارات الموضوعية والإسقاطية فى إمدادنا بالمعرفة المتزايدة عن قياس السلوك البشرى وتحليله كمياً ووصفياً.

٥- **عوامل أخرى**: كما توجد عوامل أخرى عديدة أثرت على نظريات الشخصية مثل علم الوراثة ، والفلسفة الوضعية، وعلم المنطق، والأنثروبولوجى، ولكن هذه العوامل ليست فى قوة العوامل الأربعة الأولى .

مرحلة ما قبل فرويد :

قبل أن نسترسل فى الحديث عن نظريات التحليل النفسى للشخصية التى بدأت بنظرية فرويد يمكننا أن نعود بالذاكرة قليلا الى ماقبل فرويد حتى نعد المسرح لسرد الأحداث ، وحتى نتجنب أية تصورات خاطئة يمكن أن تحدث .

فرويد مقابل فونت :-

ففى عام ١٨٧٩ أسس وليم فونت .Wandt W أول معمل سيكولوجى فى ليبزج Lipzig بألمانيا حيث نما علم النفس معتمدا على مجالين ذو دعائم وأسس ثابتة هما الفلسفة وعلم الفسيولوجى ، لذلك فإن الجهود المبكرة للعلم المنبثقة اختصت بالموضوعات الذاتية مثل قياس النبض فى العصب ، والبحث عن الارتباطات الشرطية فى المخ التى تتحكم فى وظائف الأعضاء . وحتى ذلك الوقت كان فرويد يدرس فى العلاج التدريبى بنوع من الشك ، ثم بدأ فى دراسة الكائن الإنسانى من مختلف النواحي كعلاج المرضى الذين يعانون من الاضطرابات التى لايمكن إرجاعها الى عوامل فسيولوجية ، ولم يكن لدى أنصار فونت سوى القليل من المعلومات السيكولوجية الأكاديمية ليذكروها عن مثل تلك الحالات . بينما كان فرويد وأتباعه يدركون أن مرضاهم ينتظرون المساعدة العاجلة ، ونظراً لتعطشهم للحصول على المعرفة حول هذه الاضطرابات مما دفعهم الى إجراء المزيد من الأبحاث بطرق أكثر مناسبة للمرض النفسى Psychopathology وتعاملوا مع الشخص ككل لايتجزأ (الأعراض - خبرات الطفولة - العمليات العقلية والنفسية - الأحلام ، وما إلى ذلك) فضلا عن التعامل مع التفاصيل الفسيولوجية الجسمية .

ولكى يساعدو مرضاهم الذين يعانون من الاضطراب فقد قاموا بتطوير طرقهم ونظرياتهم لتوضيح أصل وديناميات الاضطرابات النفسية التى يواجهها هؤلاء المرضى وحقرا من شأن المختبر السيكولوجى مقارنة بالمقابلة المباشرة أو المقابلة الاكلينيكية وهو ما أثار الجدل الذى استمر حول هذا الموضوع حتى يومنا هذا . ولقد استطاعوا بعد ذلك توسيع نتائج أبحاثهم على عامة الناس مؤكدين ضرورة إلقاء الضوء على العلاج النفسى من خلال حقائق عامة .

حيث يذكر فرويد "إن مصدر نتائجنا وهو ما يعنى (المرضى من الناس) لايبدو بالنسبة لى حرمانهم من قيمهم . . . إذا ما ألقينا بقطعة من الكريستال على الأرض فانها تنكسر ولكن ليس الى قطع متناثرة، ويكون الكسر على شكل شروخ وانقسامات داخل إطارها نفسه، وبالرغم من أن تلك الشروخ غير مرئية إلا أنها محددة بتركيب قطعة الكريستال. وبنفس هذا النوع من الانقسام يحدث التصدع البنائى للمرضى العقليين (وهؤلاء المرضى لابد من تمتعهم بالاحترام والتبجيل وألا نشعر إزاءهم مثلما يشعر الناس فى الماضى تجاه المجانين) - فلقد انصرفوا بعيدا عن الواقع الخارجى ، ولذلك فهم يعرفون الكثير والكثير عن الباطن أو واقعهم النفسى الداخلى، ويمكنهم أن يظهورا لنا عدد من الأشياء التى يتعذر الحصول عليها ، وعلم الأمراض Pathology يمدنا دائماً بخدمته من خلال عمل فصل وتوضيح للظروف المميزة والمصاحبة للمرضى والتى يمكن بقاءها دفينة فى الظروف العادية (Fraud, 1969b) .

والتصور التاريخى بذلك يوضح أن النظريات الأولى فى الشخصية كانت تقوم على علم النفس المرضى، وهى نظريات مُعقدة ، وذلك لأن أية نظرية تتعامل مع السلوك البشرى ككل سوف تصبح أكثر تعقيداً مما لو أنها ركزت اهتمامها على تفاصيل محددة، وحتى بعد ذلك فى الأعوام اللاحقة فإن السؤال الذى يمثل المدخل الى نظرية الشخصية من خلال دراسة أفراد أسوياء متوافقين أو حاولوا أن يتوسعوا فى التطبيقات الأكاديمية للبحث المعملى الى مثل هذه النتائج العملية كالأحلام وعلم النفس المرضى .

مصطلحات التحليل النفسى قبل فرويد :

هناك سوء فهم شائع وهو أن فرويد هو الذى ابتكر أفكار ومصطلحات جديدة واستخدمها فى مجال التحليل النفسى كاللاشعور Unconscious وتحليل الاحلام dream analysis بدون مقدمات سابقة لذلك أو دون أن يطرقها أحداً من قبله مكملا بذلك مظاهر النقص أو العجز فى معرفتنا السابقة، غير أن الواقع الفعلى يؤكد أن هذه المصطلحات لم تولد من فراغ ، فكل باحث يقف على أكتاف من سبقوه. فالبحث لفهم الطبيعة الأساسية للكائن البشرى قديم جداً والكثير مما جاء فى نظرية فرويد كان أمراً مسبوقا على مسرح الإحداث .

اللاشعور قبل فرويد :

فالاعتقاد بأن اللاشعور يحدد نمط السلوك بوضوح فكرة سابقة بمائة عام على ظهور فرويد، ولقد أستخدم التنويم المغناطيسى Hypnotism كمدخل للعقل الباطن منذ عام ١٧٨٤ على يد رواد مثل فرانز أنطون مسمر .Mesmer, F.A ، وجيمس بريد .Braid, J بالإضافة الى جين مارتن شاركو .Charcot, J.M الذى تتلمذ فرويد على يديه حوالى خمس شهر فى باريس، وكذلك بعضاً من الفلاسفة الألمان فى القرن التاسع عشر مثل فون شوبيرت .Schubert, V ، وكارل جوستاف كاروس .Carus, C.G، وأرثر شوبنهور .Shopenhauer, A ولقد توقع الأخير الكثير من نظرية فرويد.

مكونات وخصائص الشخصية :

كما طور فون شوبيرت Von Schubert نظرية ثلاثية المكونات تشبه الى حد ما نظرية فرويد عن مكونات الشخصية (الهى ID ، الأنا Ego والأنا الاعلى Superego ومفاهيم مثل النرجسية Narcissism ، وغريزة الموت death instinct، ولقد برهن كاروس Carus على أن معرفة الشعور متضمنه فى اللاشعور. كما كانت أفكار شوبنهور عن الإرادة Will والفكر Intellect تشبه الى حد كبير أفكار فرويد الأخيرة عن الهى، والأنا، والكبت.

وفى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ناقش الفيلسوف فريدرك نيتشه .Neetzsche, F خداع الذات Self-deciving ، وتحطيم الذات Self-destructive كطبيعة في الكائن الإنسانى، وكبح جماح الأفكار المهدده وكبتها، والحاجة الى توضيح الخبرات اللاشعورية لكى تزيح خداع النفس، ولقد كان نيتشه من أول من استخدم مصطلح الهى بل ويعتبره البعض المؤسس الحقيقى لعلم النفس الحديث.

الكبت :

يعد بيير جانيه .Janet, P من الفرنسيين المعاصرين لفرويد، قام بوضع نظريته التى ترى أن الأحداث الصادمة أو المؤلمة والمؤذية تخلق أفكاراً تصبح بعد ذلك مكبوته فى اللاشعور ، ثم تتبدل بعد ذلك الى أعراض عصابية . أما جوستاف تيودر فيشنر Fechner,G.T أبو علم النفس التجريبى " وكذلك سلفة فونت فقد عرفا إمكانية ملاحظة وإدراك اللاشعور وأمدا فرويد بمثل هذه الملاحظات (Froud,1965) .

تفسير الأحلام :

وكذلك فإن محاولات تفسير الأحلام يمكن أن يرجع الى العصور الوسطى وبعض الأفكار القديمة كانت تعتقد أن روح الحالم تترك جسده وتقوم بأداء الحلم ، بينما ذهب أخرون الى أبعد من ذلك أمثال بلاتو plato الذى ادعى أنه توجد دوافع أو مثيرات قوية داخلنا والتى تبزغ بسهولة أثناء النوم مكونة أحلامنا .

وفى القرن التاسع عشر كانت توجد معرفة كثيرة ومجردة عن الأحلام حيث أكد شوبرت على الطبيعة الرمزية للغة الحلم ، وقد لاحظ أن لغة الحلم تضم أو تجمع كثيراً من الأفكار فى صورة مفردة وهو ما أسماه فرويد بعد ذلك بعملية التكثيف Condensation ، وقد قام كارل ألبرت شيرنز .Scherner, K.A باختيار الموضوعات الطويلة (كالأبراج ، الانابيب) كرموز للأعضاء التناسلية فى الحلم وكذلك (الأبواق - والممرات) كرموز للأعضاء التناسلية الأنثوية ، ودرس ألفرد مورى .Maury, A تأثير التنبيه الحسى على الأحلام ، ولفت النظر الى الدور الذى تلعبه الذكريات المنسية فى تكوين الحلم .

ويعد ساينت دينيز .Denis, S أول من طور فن التعليم بالملاحظة الذاتية ، حيث كان يوقظ نفسه بعد الحلم لكى يدون ملاحظاته ، ونشر دراسة كاملة لاحلامه الخاصة سبق فى تفسيره لها أفكار فرويد عن التكثيف والإزاحة displesment ، كما استنتج ويفز ديلاج yves Delage أن الاحلام إنما تنشأ من أفكار وأفعال لم تنتهى من اليوم السابق لها ، ومازال الباحثون الأخرون يضيفون ملامح وأفكار جديدة .

الغريزة الجنسية والامراض النفسية :

ويجب أن تلاحظ أيضا أن فرويد ليس أول من وضع نظرية تركز على الغريزة الجنسية أو تربطها بعلم النفس المرضى ، فقد أكد شوبنهور بشدة على أن الغريزة الجنسية أهم الغرائز على الإطلاق ، ونشر كرافت إيبنج .Krafft-Ebing, R.V فى مقالته الشهيرة السيكوباتية الجنسية عام ١٨٨٦ مصطلحات مبتكرة مثل السادية Sadism ، والمازوخية Masochism واستخدم مصطلح اللبيدو Libido فى مقال أخر عام ١٨٨٩ سابقا لفرويد بست سنوات (Ewen, R.B., 1984) .

ومهما يكن من أمر تلك الإرهاصات فى مرحلة ما قبل فرويد فإنها لاتقل من شأن فرويد الذى قدم العديد من الأسهامات الأصلية والمهمة فى نظريات الشخصية فلقد كان

أول من وضع نظرية متكاملة فى الشخصية وأول من عُرف كعالم نفسى له دوره الهام فى تطوير نظريات الشخصية .

الفرق بين نظريات الشخصية والنظريات الأخرى :

تختلف نـظريات الشخصية عن نظريات التعلم ونظريات الإرشاد ونظريات الدافعية ونظريات النمو وغيرها من النظريات المفسرة للسلوك الإنسانى فى العديد من الجوانب :

١- نظريات الشخصية نظريات عامة تتناول أكثر من محور ومجال فى نفس الوقت أى أنها ليست نظرية ذات مجال واحد ومن ثم فهى أكثر شمولاً .

٢- إن معظم نظريات الشخصيـة كنظريات متعـددة المحاور تتضمن فى سياقها نظرية وحيدة المحـور للمنظر . فنظرية فرويـد فـى الشخصية تتضمـن أفكـار فرويد عـن المرض النفسى وطريقته العلاجية ، كما تشتمل نظرية موراى فى الشخصية نظريته فى الدافعية ، وتشتمل نظرية سكنر فى الشخصية نظريته فى التعلم بالاقتران الإجرائى ، وهكذا .

٣- إن نظريات الشخصية ليست مجرد أفكار نظرية متراصة تعكس وجهة نظر الباحث الذى صاغهاعن الشخصية ولكنها أفكاراً قابلة للتحقق والتطبيق ومن ثم يمكن أن تقوم عليها أنواع كثيرة من البحوث وتقدم تفسيراً أكثر وضوحاً للنفس البشرية .

تعريف الشخصية :

على الرغم من أن أغلبنا لديه تصور بديهى لمعنى الشخصية إلا أن تعريف هذا المصطلح علمياً فى مجال علم النفس من الصعوبة بمكان لأنه مصطلح متعدد الوجوه، فقد تلقى الضوء على الجوانب أو المظاهر الجسمية الخارجية للشخصية ، والجانب الاجتماعى فيها وكيف يبدو الفرد فى مواجهة الاخرين " عدوانى - خجول - دود، أو ذو فاعلية وتأثير اجتماعى فى الأخرين " غير أن هذا التصور البديهى لمفهوم الشخصية غالبا ما يهمل بعض الاعتبارات الهامة أهمها أن شخصية الفرد توجد حتى فى غياب الأخرين ، إنه يمكن أن تكون للشخصية جوانب غير مرئية ، وهذا يعنى أن هناك تعريفات أخرى عديدة للشخصية .

فمصطلح الشخصية Personality مشتق من الكلمة الاتينية Persona والتى تعنى القناع mask وتعريف الشخصية هكذا بأنها تشبه القناع الموضوع على وجه الممثل أثناء أداء الدور يعنى أنه من المقبول لنا أن نختار مانظهره أو نكشفه للأخرين من شخصيتنا ، هذا التعريف يعكس وبوضوح أن هناك بعض الصفات الشخصية تبقى لسبب أو لآخر طى الكتمان ، ويؤيد هذا النوع من التعريفات أنصار المدرسة التحليلية .

وهناك اتجاه آخر من التعريفات يلقى الضوء على الشخصية كجهاز معقد من الاستجابات " وطبقا لوجهة النظر هذه فإن سلوكنا يدل على شخصيتنا You are what you do أو كما نقول فى العامية " أصلك فعلك " والتعريفات التى من هذا النوع تعتمد على السلوك الملحوظ وجوهر السلوك وتحدد فى ضوءه مكونات الشخصية ، وقبول هذا يعنى أنه لكى تحدد خصائص شخص ما لاحظ سلوكه فى المواقف المختلفة .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الكائن الإنسانى لايولد شخصاً وإنما يولد فرداً ، ومن خلال اكتسابه للغته وأفكاره وأهدافه وقيمه يكتسب طابعه الشخصى ، فالشخص هو من يشارك الأخرين فى بعض خصائصهم الاجتماعية بالإضافة الى انفرداه بخصائص تميزه عنهم ، ويعرفون الشخصية بأنها أسلوب عام منظم نسبياً لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم والعادات والتعبيرات لشخص معين وهذا الأسلوب العام هو محصلة خبرات الشخص فى بيئة ثقافية معينة . ويتفق هذا النوع من التعريفات مع وجهة نظر المدرسة السلوكية .

أما وجهة النظر الاخيرة فترى أن "الشخصية هى الميكانزمات الداخلية Internal Mechanism التى تتحكم فى السلوك – وطبيعة هذه الميكانزمات تحدد شخصية الفرد" . وتتبع نظرية الذات Self theory ونظرية السمات Trait theory هذه الفئة من التعريفات ، فكل شخص لديه سمات معينة ، وهذه السمات بدورها تحدد طريقة سلوك الفرد فى أى موقف ، ومن المفروض أن نلاحظ أنه طبقا لذلك إذا أراد شخص ما أن يغير سلوكه فعليه أن يغير بطريقة أو بأخرى من سمات شخصيته أو يغير ذاته ، وحيث أن سمات الشخصية ، والذات تعد عموما ذات طبيعة معرفية (فهى جزء من العقل) ، فان هؤلاء الذين يقبلون هذه التعريفات للشخصية قد وضعوا أنفسهم فى تحدى مع مشكلة الجسم والعقل Mind-Body problem والتى تحدد أن هناك علاقة متبادلة بين تأثير كل من الجسم والعقل كل فى الأخر .

ورغم هذه الاختلافات فى وجهات النظر حول تعريف الشخصية فإن معظم إن لم يكن كل نظريات الشخصية تتفق فيما بينها من أن الشخصية يمكن أن تتضح من خلال "طريقة ونمط السلوك الثابت نسبيا" ، فالشخصية دائما ثابتة نسبيا والرغبة التى نملكها للاستجابة بثبات فى المواقف المختلفة تعطينا شكل هويتنا الفردية Individual Identity ، ومن خلال نمط سلوكنا الثابت هذا يمكننا ان نتنبأ بسلوكنا فى المستقبل بدرجة كبيرة من الصدق، وعندما يسلك شخص آخر تعرفه بطريقة غير متفقة مع سلوكه السابق فأنك ستفاجىء بذلك وتقول هذا لايشبهه او ليس هو This is not like him وعندما لايستجيب الناس كما تعودت منهم فى الماضى تقول ان شخصيتهم قد تغيرت، ولايكون تغير الشخصية تغير فجائى ولكنه تغير يستغرق فترة طويلة من الوقت (B.R. Hergenhahn, 1980) .

ولايقتصر الثبات والاتساق على السلوك فحسب بل تشمل " الانماط المستمرة والمتسقة نسبيا من الإدراك والتفكير والاحساس وأنماط السلوك التى تبدو لتعطى الناس ذاتيتهم المميزة، إن الشخصية تكوين اختزالى يتضمن الافكار، والدوافع والانفعالات والميول والاتجاهات والقدرات والظواهر المشابهة التى لها علاقة بفهم طبيعة الشخصية، أصلها، تطورها أو تغييرها (لندال. دافيدوف ١٩٨٣) .

وهكذا يمكن أن نخرج بتعريف للشخصية على أنها " التفاعل المتكامل للخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التى تميز الشخص وتجعل منه نمط فريد فى سلوكه ومكوناته النفسية " وقد تكون هذه الخصائص شعورية محسوسة يعيشها الفرد ويدركها مثل مظاهر سلوكه الخارجى، أو قد تكن لاشعورية غير محسوسة مثل الذكريات والأحلام، ويختلف علماء النفس فيما بينهم حول عمومية أو خصوصية هذه الخصائص، فالبعض يؤكد على أن خصائص الشخصية مشتركة بين جميع الأفراد فى حين يؤكد اخرون على تفرد الشخصية الانسانية .

ويتميز هذا التعريف للشخصية بأنه يوفق بين الأراء المتناقضة. فعلى الرغم من أن بعض الخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والجسمية تكون عامة بين الأفراد إلا أن التفاعل بين هذه الخصائص لايكون بنفس الطريقة لديهم وهذا من شأنه أن يخلق لنا نمط فريد من الشخصية سواء فى سلوكه أو مكوناته النفسية، فالتفاعل المتكامل يعنى التأثير المتبادل بين مكونات الشخصية على بعضها البعض، وتوجيه سلوك الفرد طبقا لهذا التأثير المتبادل. كما يدل لفظ التفاعل على خاصية الدينامية التى تميز الشخصية الانسانية .

العوامل المؤثرة فى الشخصية :

مع ان معظم نظريات الشخصية تتفق كما ذكرنا بأن الشخصية هى نمط سلوكى متسق وثابت نسبيا ، الا انها تختلف فيما بينها عندما تُقدم على شرح أو تفسير محددات هذا الثبات النسبى والاتساق فى السلوك . وأهم هذه التفسيرات هى :-

١- المحددات الوراثية :

ان الكلام عن تأثير الوراثة Genetic فى الشخصية يعود بنا الى عصر الفلاسفة القدامى والخلاف بينهم والذى امتد إلى قطاع كبير فى مجال علم النفس ولم تستثنى من ذلك نظريات الشخصية ويرى البعض أن الوراثة لها الدور الأساسى فى تكوين الشخصية فهى الإجابة الوحيدة على السؤال : لماذا هذا الشخص طويل وهى نفسها الاجابة على السؤال لماذا هذا الشخص خجول. وكثيرا ما تسمع أن شخصا ما حاد الطبع كوالده، أوله نفس ميول عمه الإجرامية. وكل هذا يعكس التفسر الوراثى للخصائص الجسمية والانفعالية والاجتماعية على حدا سواء.

وتمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التى كانت موجودة عند بداية الحياة أى عند الاخصاب وتنتقل الوراثة الى الفرد من والديه عن أجداده وسلالته عن طريق المورثات (الجينات) التى تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة من الحيوان المنوى الذكرى بعد عملية الجماع الجنسى ، وتعتبر الوراثة عاملا هاماً يؤثر فى النمو من حيث صفاته ومظاهره ، ونوعه ومداه وزيادته ونقصانه ، ونضجه وقصوره. . . الخ. وهكذا تلعب الوراثة دوراً هاما فى تحديد الخصائص الجسمية للفرد ، وفى تكوين الجهاز العصبى الذى يلعب بدوره دوراً هاما فى تحديد السلوك ، والانسان يرث الاستعدادات (الخصائص الأولية) للسلوك بشكل معين أى أن الوراثة تحدد الأساس الحيوى للشخصية. (حامد زهران ١٩٧٨).

ويرى أنصار الوراثة بذلك أننا لانرث لون العينين أو لون الشعر والبشرة والخصائص الجسمية فحسب بل أننا نرث أيضا الخصائص العقلية والاجتماعية والانفعالية والخُلقية ، وقد كانت لدراسات دارون ومن بعده فرنسيس جالتون دور رئيسى فى كشف أثر العوامل الوراثية فى السلوك ، وتوالت بعد ذلك الدراسات على التوائم المتشابهة والتوائم الأخوية وشجرة العائلة والتى أكدت على هذه العلاقة. . ولذلك فان العديد من نظريات الشخصية تقبل ثبات السلوك كما لو كانت على الاقل استجابة جزئية للعوامل الوراثية ، وكل نظريات

الشخصية بنيت على أساس أن هناك شيء موروث على سبيل المثال :-

- الحاجات الفسيولوجية : فرويد - سكنر - دولارد وميللر - ماسلو
- الميل لتأكيد الذات : يونج - روجرز - ماسلو .
- الاهتمامات الاجتماعية : ادلر .

٢- المحددات الثقافية والاجتماعية :

طبقا لتلك المحددات الثقافية المؤثرة ، فان الشخصية تتكون من عدة أدوار تلعبها .
إذا طُلب منك أن تملئ ورقة فى أولها كلمة "أنا" وأن تضع قائمة بالصفات التى تراها فى نفسك ، ستجد أنك فى حاجة الى أكثر من قائمة فقد تكون (ذكر/ أنثى - عشرون سنة - طالب جامعى - مسلم / مسيحى - من الشرق الأوسط - طولك ١٨٠سم- عضو فى منظمات عديدة - ديمقراطى - أعزب - جذاب - دارس لعلم النفس. . . إلى أخره).

وكل الصفات التى وضعتها فى القائمة تفترض وجود دور يرتبط بها ولكل دور يحدد المجتمع نوع السلوك المقبول ، وبعبارة أخرى - فأن لكل دور مدى من السلوك يرتبط به ويعد مقبول ثقافيا ، وإذا انحرفت عن هذا المدى فإنك سوف تتعرض لضغوط اجتماعية من نوع ما . هذا بالإضافة إلى العديد من المحددات الثقافية الأخرى للشخصية والتى تشمل المستوى الاقتصادى الاجتماعى لأسرة الفرد - حجم الأسرة ، الترتيب الميلادى - الجنس - الديانة - الإقليم الذى تقيم فيه من الوطن ، المستوى التعليمى الذى حققه الوالدين ، وما إلى ذلك .

وطبقا لذلك فان الثقافة تحدد بوضوح كيف تسلك فئتين غير متماثلتين من الناس الأولى قد تنحدر من بيئة ذات مستوى غنى بالخبرات وهى تختلف عن الثانية التى تنحدر من مستوى فقير ، هذه الظروف المصادفة فى أى شخص تولد بالتأكيد تأثير عظيم فى شخصيته (B.R. Hergenhahn, 1980) .

واذا كانت العلاقات الشخصية للفرد تأتى تحت فئة المحددات الثقافية الاجتماعية للشخصية فان نظريات أدلر ، هورنى ، وإيريكسون على سبيل المثال كلهم يؤكدون على أهمية علاقة الطفل الأولى مع والديه والأشخاص الأخرين ذات الصلة به فى تشكيل خصائص الشخص الراشد فى المستقبل .

٣- التعليم :

إن القبول لأثر الوراثة فى الشخصية يمثل الجانب الفطرى من الصراع الفطرى / التجريبى ، وفى شرحنا لأثر التعليم على الشخصية إن هو إلا توضيح وقبول معا لأثر الجانب التجريبى (البيئى) فى الشخصية . ولعلنا نذكر هنا عبارة واطسن المشهوره " أعطونى مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمى البنية ، وأنا كفيل أن أُخرج منهم الطبيب والمحامى والفنان والتاجر ورئيس العمل ، بل والشحاذ واللص ، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال أبائهم وأصولهم الوراثية . فليس ثمة شئ إسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التكوين العقلى... الخ "(سيد محمد غنيم ١٩٧٥) .

وتبعا لذلك فاننا نكون طبقا لما شُجعنا لأن نكون عليه ، وأبعد من ذلك - إذا اختلف تاريخنا من الإثابة تختلف شخصيتنا ، فالفرق بين الشخص الناجح والشخص غير الناجح طبقا لنظريات التعلم يرجع الى وجود عنصر المكافأة أو نمط المكافأة ، وليس للوراثة . وفى أى أسره تُعزز أنماط سلوكية معينة وتُستهجن أنماط أخرى ، الأنماط السلوكية المُعززه أو المُثابة تميل إلى الثبات والاستمرار أما تلك الأنماط المُستهجنة من السلوك فإنها لاتثبت ، وتعلم اللغة أوضح نموذج لذلك ، فكل والدين يريدان من طفلهما تعلم الكلام فكلما أصدر الطفل صوتا ما يدل على كلمة فعلية فإن الوالدين يكافأن الطفل - على سبيل المثال اذا قال طفل ما اثناء وقوفه بجوار حفره واء - واء Waa, Waa فإن الوالدين يكافأن الطفل بالانتباه اليه ، أو بالالتحام الجسدى به ، أو إمداداه بالماء أو بالثلاثة معاً ، وغالبا ما يكافئ بكلمات أخرى ، وبالتدريج ينمو سلوكه اللغوى بصورة مناسبة ، وطبقا لنظريات التعلم فإن كل خصائص الشخصية لها أصول مشابهة . (B.R.Hergenhahn, 1980) .

إن فاعلية هذه النظريات تتضمن أنه يمكن التحكم فى تطور الشخصية من خلال التحكم فى الظروف من خلال عملية الإثابة بعداله أو تفريط . ومن الممكن تشكيل صفات أية شخصية من خلال المكافأة التقليدية . مع ملاحظة أن هذا يوضح أن علماءالوراثة ينكرون الدور الذى يقترحه علماء البيئة من نظريات مثل سكنر Skinner ودولارد وميللر Dolard & Meller .

٤- الاعتبارات الإنسانية الوجودية :

يوجد عدد كبير من نظريات الشخصية تقلل من شأن وأهمية معرفةأصل الشخصية وتعرف هذه النظريات بالنظريات الإنسانية الوجودية وهى تهتم بكينونة الفرد" ماذا يعنى أن

تكون أنت ?What does it mean to be you أكثر مما تهتم بالحالة التى عليها الفرد ?Why are you the way you are مثل هذه النظريات تفجر أهمية الفاعلية العامة لوجود الإنسـان . على سبيل المثال إنهـا تسأل ماذا يعـنى أنك مدرك أنك لامحالة ستموت يوما ما ؟ وكيف ترتبط الحاجات الإنسانية للامان، والتنبؤ بالمستقبل بالحاجات الإنسانية للحرية والمغامرة - ومنها نظريات كيلى Kelly وماى May وروجرز Rogers وماسلو Malsow وكلها تقع فى هذه الفئة .

٥- الميكانزمات اللاشعورية :

تختلف النظريات التى تؤكد على الميكانزمات اللاشعورية فى السلوك عن النظريات الإنسانيـة الوجودية - حيث تـهتم باكتشـاف العوامل الضمـنية أو الأسباب الدفـنية واللاشعورية للسلوك. وتعرف بنظريات الأعماق ، ولأن السبب الأساسى للسلوك لاشعورى وله أصوله المترسبة من الطفولة ، فإن الأبحاث التى تسعى للكشف عن هذه العوامل اللاشعورية هى أبحاث معقدة وتحتاج الى أدوات معقدة كذلك. مثل تفسير الأحلام ورموزها، والمقابلة الحرة والتنويم المغناطيسى وتحليل محتوى الذاكرة .

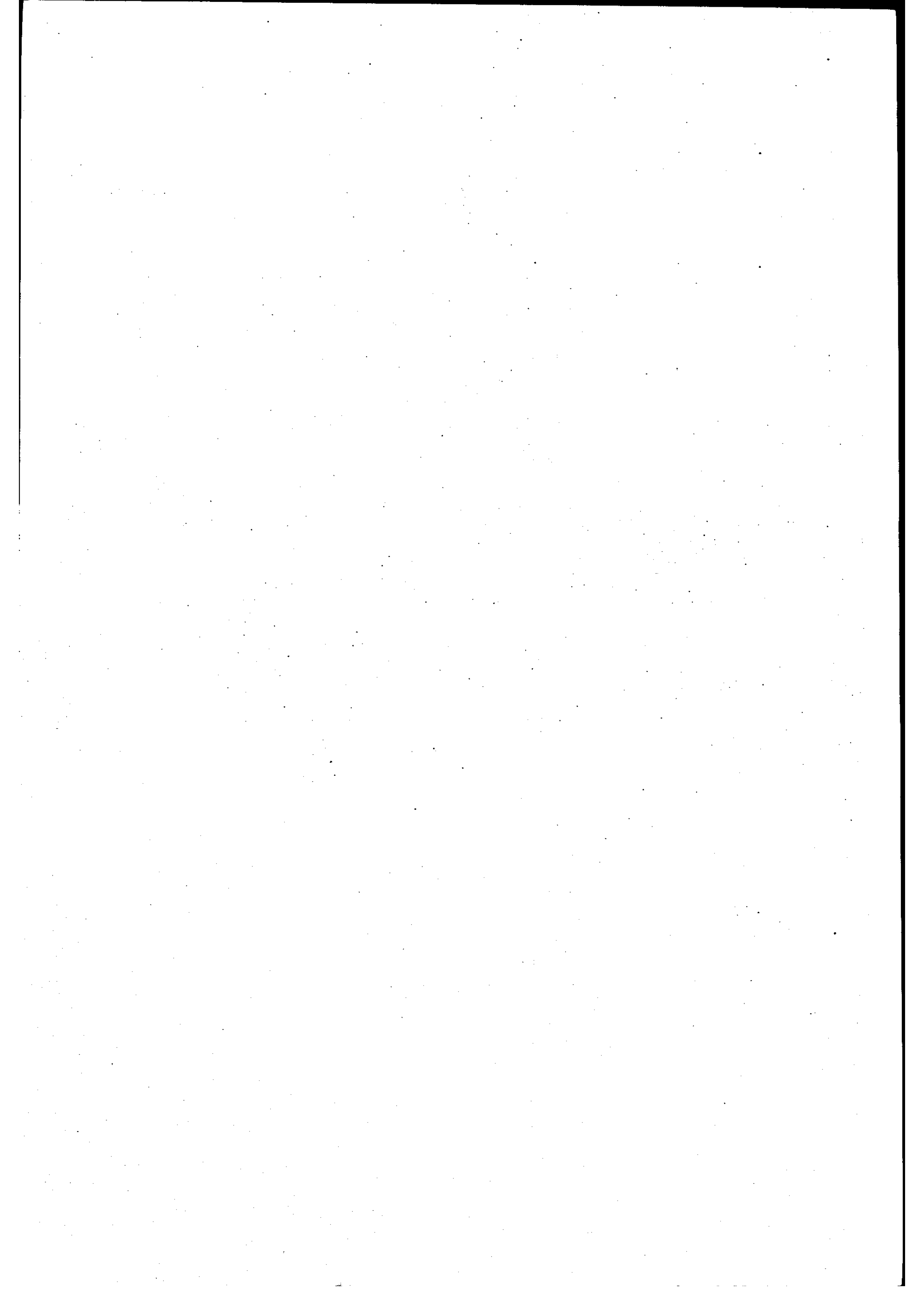
وطبقا لذلك ، ولأن هذه الخصائص التى توجد فى اللاشعور يمكن أن تخرج الى الشعور بعدة طرق وتؤثر فى السلوك دون أن يعى الفرد ذلك. . فإن إخراج محتوى اللاشعور الى الشعور والكشف عن محتواه للتعرف عن العوامل المؤثرة فى السلوك عامل فى غاية الأهمية فى هذه النظريات .

وسوف نوضح ذلك بالتفصيل خلال هذا الكتاب الذى يقوم على شرح نظريات التحليل النفسى للشخصية والتى تؤكد كلها على الميكانزمات اللاشعورية وخاصة نظريتا فرويد ويونج .

وهكذا يمكن تلخيص العوامل المؤثرة فى تكوين ونمو الشخصية والتى تؤدى إلى ثبات واتساق فى سلوكها على أنها التفاعل بين المحددات التى سبق ذكرها كما يلى : -

الوراثة
المستوى الثقافى الاجتماعى
التعليم
الوعى بالذات
السمات
الميكانزمات اللاشعورية

} ← الشخصية



الباب الثانى

النظريات التحليلية الكلاسيكية

الفصل الثانى	: نظرية التحليل النفسى	سيجموند فرويد
الفصل الثالث	: علم النفس التحليلى	كارل يونج
الفصل الرابع	: علم النفس الفردى	ألفرد أدلر

الفصل الثانى

نظرية التحليل النفسى

(سيجموند فرويد ١٨٥٦ - ١٩٣٩)

على مدار حياتنا تعامل العلماء والبشرية جميعها مع ثلاث صدمات كبرى أضعفت شعورنا بأهميتنا الذاتية. الأولى عندما قرر كوبرنيكوس أن الأرض ليست مركز الكون ولكنها مجرد كوكب يدور حول الشمس ، والثانية عندما ذكر دارون أن الإنسان ليس كائن فريد، ولكنه تدرج عن أسلافه من الحيوانات والبرمائيات عبر ملايين السنين، والثالثة عندما أوضح فرويد أننا لسنا أسياد على أنفسنا ولكننا مدفوعين بالعديد من العمليات اللاشعورية كالرغبات والمخاوف والاعتقادات والصراعات والعواطف والذكريات التى لانكون على وعى بها . .

وتعد هذه النظريات بمثابة صدمات للإنسان لأنها تحد من قيمتنا ودورنا فى الحياة ، ولذلك فقد واجهت انتقادات لاذعة ، فقد أجبر جاليليو على رفض أراء كوبرنيكوس عن المجموعة الشمسية وإلا تعرض للموت حرقاً، ومات جون توماس Thomas,J حرقاً لانه نادى بتدريس نظرية دارون فى المرحلة الثانوية بأمريكا ، بينما أصبحت البشرية جميعها ضحيـة لأفكار فرويد التى لاقـت مقاومة عنيفة من علماء النفس وعلماء الدين على حد سواء فيما عـدا القليل مـن أولئك الذين فتنهم اسهاماتها وتجاهلوا ما بها من عيوب ونقائص ، وفيما يلى عرض لهذه النظرية تفصيلاً مع أهم الانتقادات التى وجهت لها فى النهاية .

نشأته وحياته :

ولد فرويد فى السادس من مايو عام ١٨٥٦م فى فريبرج بمورافيا (بتشيكوسلوفاكيا سابقا) لوالدين يهوديين ، وأب كان يعمل فى تجارة الصوف ، وعندما كان فى الرابعة من العمر انتقلت الأسرة الى فينا ، وارتفع مستواها الاقتصادى بالتدريج ، من دون المتوسط الى فوق المتوسط ، ورغم ذلك ظل يضع المعاناة المادية والمعنوية التى عاشها فى اعتباره .

وكان فرويد دارس ممتاز خلال دراسته الجامعية الأكاديمية وحصل على بكالريوس الطب عام ١٨٨١ إلا أنه لم يكن متحمسا أكثر من اللازم لعمله كطبيب فذاك كان طريق بطىء للأمان الأقتصادى ، بينما كان يسعى لأن يحقق شهرة وثراءً سريع ، وبعد تخرجه التحق بالمعمل السيكولوجى لاستاذه إرنست بروك Brucke, E. ، وأنجز بعض الدراسات القيمة فى التشريح الميكرسكوبى للجهاز العصبى ، ووضع قدمه بشق الأنفس على سلم الشهرة حيث مستقبله مازال غامضا بدرجة كبيرة ، واكتشافاته هزيلة ، وأعماله لاتجد مجالاً لرواجها ، وأمواله قليلة ، وتوجد العديد من العراقيل فى طريقه . وفى عام ١٨٨٢ اقترن فى خطوبة مع مارتا بيرنز . Bernays, M. وقبل نصيحة صادقة من بروك لأن يلتمس حظاً أحسن فى مكان أخر فقضى السنوات الثلاث التالية يعمل مساعداً لاثنين من علماء الطب هم هيرمان نوثناجل Nothnagel, H. وتيودر منيرت Meynert, T. ثم فاز بمنحة دراسية سافر فيها للعمل مع شاركو فى بارس لمدة شهور قليلة ، وعندما عاد وانقضت السنه الرابعة تزوج من مارتا فى ٣٠ سبتمبر ١٨٨٦ ، وكانت خطاباته لخطيبته تظهره كرجل غيور ومحب لها ، وإن كان فى أوقات كثيرة يُظهر حب التملك ، وظل زواجهما سعيد لفترة من الوقت ، وأنجبا ستة أطفال ثلاث ذكور ، وثلاث إناث كانت أصغرهم ابنته أنا Anna التى برزت فى مجال التحليل النفسى للطفل Child psychoanalysis وداعية وقائدة لحركة التحليل النفسى الفرويدى . ورغم أن فرويد كان يؤكد على أهمية الغريزة الجنسية فى نظريته إلا أنه ظل على أكبر ترجيح بدون علاقات جنسية حتى زواجه فى الثلاثين من عمره ، ولم يطبق أفكاره السيكولوجية على أسرته ، فهو لم يهتم بالموقف الأوديبى لابنته أنا ولم يشك فى تعلقها العاطفى الشديد وغير الطبيعى به ، فهى لم تتزوج قط ، وكرست حياتها فى سبيل التحليل النفسى ، وقررت أنها كانت تلى

مارتا (أمها) أهمية فى حياة فرويد (Roazen 1976b) .

ولقد زودته حياته الخاصة بقدر كبير من الحقائق النفسية القيمة ، فقد كان أوديبى ، لديه عداء لاشعورى قوى إزاء الأب ، ومرتبط جداً بأمه (التى كانت تصغر أبيه بتسع عشرة سنة) . وعاني فرويد من اضطراب عصابى عنيف عام ١٨٩٠ ورغم ذلك كان مضرب المثل فى عمله الذى كان يسير فى تقدم بالرغم من حالته النفسية المرّضية الطارئه . ولقد وصف إلينبرجر (Ellenberger ,1970) هذه الحالة باسم " الأمراض المبدعة " ونظراً لطول معاناته من حالته التى كانت تسؤ تارة وتتحسن ثانية إنتابه إحساس جارف بالعزلة ، وظهر خلال هذه المحنة كشخصية متقلبة ، وبالتدريج توصل الى حقائق جديدة، خلال تلك الفترة بدأ فرويد فى التحليل النفسى لذاته self-analysis منذ صيف عام ١٨٩٧ محاولاً الوصول الى أعماقه الداخلية مستخدما أساليبه النفسية التى صورها ، ورغم أن محنته هذه إنتهت فى عام ١٩٠٠ إلا أنه استمر فى تحليل شخصيته مدخراً النصف ساعة الأخير من كل يوم لهذا الغرض .

ومن صفاته الشخصية : كان البعض يراه شخصاً عاقلا يتمتع بأخلاق طيبة بينما كان يراه البعض الأخر ضعيف العزيمة ، غير مبال ، قاس ، مرفوض أو متهور ويمثل ذلك النوع الذى لايبالى بالوصول الى السعادة ، أو أنه أكثر اهتماما باكتشافاته التى يحصل عليها من مرضاه من اهتمامه بالمرضى أنفسهم ، أما البعض الآخر فكان يراه حماسى ، مرح ، عميق التفكير ، متفاهم ، طيب القلب (Ellenberger, 1970) . ولقد ظل بعضا من زملائه على ولائهم له مكرسين لذلك كل حياتهم بينما تمرد عليه آخرون مثل (جوزيف بروير ووليم فليز .Fliess,W وكارل يونج ، وألفرد أدلر) وذلك بسبب تأكيده المتشدد على اعتبار الغريزة الجنسية كأول وأهم دافع للسلوك الإنسانى .

أما عن حياته المهنية فقد كانت مليئة بالمواقف المضيئة الممتعة وأيضا بالأخطاء الشائعة ففى عام ١٨٨٤ عانى صديقه فون ماركسو Von Marxw من مرض مؤلم للغاية وأصبح مدمناً للمورفين الذى كان يتناوله كعلاج ومسكن للألم فقدم له فرويد بديلاً أقل ضرراً هو الكوكايين ، ثم نشر مقالاً عن علاج الإدمان ، ولسؤ الحظ اتضح أن الكوكايين هو الأخر مخدر قوى ويسبب الإدمان كذلك ، ووجه النقد الى فرويد بطريقة لاذعة . وفى عام ١٨٩٦ أعلن فرويد أن معظم مرضاه الذين يقوم بعلاجهم قد أعتدى عليهم جنسيا أثناء

طفولتهم من راشدين خلعاء (غير أخلاقيين) وأن اللاشعور لايستطيع أن يميز بين الذاكرة والخيال . وعلى الرغم من ذلك فإن ما حققه من نجاح كان يفوق بمراحل ما فشل فيه . فقد بلغ فرويد وبروير قمة النجاح فى عملهما المشترك " دراسات فى الهستريا " الذى نشر عام ١٨٩٥ والذى وصفا فيه العلاج السيكولوجى لمشكلات هستيرية كالشلل ، والصداع ، وحبس الصوت ، وما إلى ذلك من المشكلات الجسمية التى لايكون لها أسباب فسيولوجية ، ويعد تفسير الأحلام حجر الزاوية فى نظرية فرويد ولقد ظهر كتابه بنفس الاسم (تفسير الاحلام) عام ١٩٠٠ وبعد ثمان سنوات بيعت منه ٦٠٠ نسخة فقط ، ورغم ذلك ظل فرويد ينظر لذاته كقائد لحركة ثابته ، ورغم ماوجه الى أنصار مدرسة التحليل النفسى من أنهم فاسدين ومضللين ومؤكدين على الجنس ، فان فرويد كان متأكد من دوره كبطل وحيد ومناضل ضد شذوذ لايقهر .

وهكذا ظلت مكانته وشهرته فى ازدهار مستمر ، وفى عام ١٩٠٩ تلقى دعوه لزيارة أمريكا من ستانلى هول عالم النفس الشهير ، وألقى سلسلة من المحاضرات الهامة فى جامعة كلارك ، واستُقبل كأحسن ما يكون غير أنه غادر أمريكا ولديه إنطباع بعدم الارتياح ، إلا أنه إعتبرها فرصة مناسبة لنشر أفكاره عن التحليل النفسى هناك ، ولفتت الحرب العالمية الأولى إنتباهه الى أهمية العدوان كدافع أساسى لسلوك الإنسان . وفى الوقت الذى أصبحت شهرته كافية لجذب المرضى من كل أوربا وأمريكا فذللوا الصعاب الكبيرة وبذلوا الجهد والمال للوصول اليه أصبح هو لايستطيع التغلب على صعوباته ، ففى الأعوام الست عشرة الأخيرة من حياته أُصيب بسرطان حاد وخطير فى الفم والفكين بسبب التدخين المكثف للسجائر الأمر الذى تطلب معه إجراء ما يزيد عن ثلاث وثلاثون عملية جراحية وأجبر على تركيب عضو صناعى ليملىء الفجوه الناتجة بين التجويف الأنفى والفمى وكثيرا ما منعه هذا من التحدث والبلع ولكنه تحمل هذا ولم يقلل من عمله المثمر أو من كتاباته التى تملاء مايزيد عن ٢٣ مجلداً ، ولقد فاز بجائزة جويث Goethe عام ١٩٣٠ وعندما جاء الغزو النازى لڤينا عام ١٩٣٨ احتجز الألمان إبنته أنا ثم أُطلق سراحها ، وأخيرا نجح فرويد فى الهرب الى لندن التى استقبلته بحفاوة ولكنه فى النهاية إستسلم للسرطان ومات فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٣٩ .

طبيعة الشخصية :

أطلق فرويد على نظريته التحليل النفسى Psychoanalysis ويستخدم هذا المصطلح بكثرة للدلاله على أحد صور العلاج النفسى الذى نظمه فرويد ، غير أن الممارسة الكلينيكية للتحليل النفسى مجرد واحدة من تطبيقاتها المتعددة .

الغرائز :

ترجم علماء النفس الانجليز كلمة Triebe التى استخدمها فرويد فى لغته الألمانية الى الغرائز Instincts أو الدوافع drives ، بيد أن البعض يرى أن الترجمة الصحيحة لها هى النزوة . . فالغريزة نمط سلوكى موروث خاص بنوع حيوانى معين ولاتتباين إلا قليلاً من فرد إلى أخر ضمن نفس النوع ، وتجرى تبعا لمسار زمنى يندر تعرضه للتغير ، وتبدو وكأنها تهدف الى تحقيق غاية محددة. أما النزوة فهى دافع فطرى قوى يطلق الغريزة من عقالها . . فتُرضى الدافع وتخفض التوتر . غير أن البعض من أمثال (Brenner, 1974) أقترح أن الغريزة تستخدم للدلالة على دورة كاملة تشمل المثير - الاثارة الداخلية - الاستجابة الحركية - أما الدافع فهو يشير الى حالة الاثارة الداخلية فقط (كالجوع مثلاً) ورغم ذلك فإن معظم الكتاب يستخدمون كلا المصطلحين محل الاخر .

ويرى فرويد أن الغريزة النشطة (الحاجة Need) سيتولد عنها حالة نفسية مقترنة بزيادة التوتر والإثارة (الرغبة Wish) والتى تعتبر خبرة غير سارة وطبقا لذلك فإن الأهداف الموضوعية للسلوك الإنسانى هى تحقيق اللذة ، وتجنب الألم، ولذلك فنحن نفعل ما يحقق رغباتنا ويخفف التوتر العقلى لدينا ويرضى الحاجة الغريزية الملحة . "وعلى ذلك يمكن وصف حالة الجوع فى عبارات فسيولوجية بوصفها حالة من النقص الغذائى يصيب أنسجة الجسم على حين تتمثل سيكولوجيا كرغبة فى الطعام ، وتعمل الرغبة كدافع للسلوك ، فالشخص الجائع يبحث عن الطعام ولذلك تعتبر الغرائز بمثابة القوى الدافعة للشخصية فهى لاتحرك السلوك فحسب ، ولكنها تحدد أيضاً الاتجاه الذى يأخذه السلوك. بعبارة أخرى تمارس الغريزة الضبط الاختيارى للسلوك عن طريق زيادة حساسية الفرد لأنواع معينة من التنبيه فالشخص الجائع يكون أكثر حساسية لمنبهات الطعام والشخص المستثار جنسيا تزداد احتمال استجابته للمنبهات الشهوية (ك . هول . ج . لندزى : ١٩٧٨) .

ويوضح فرويد أن الغرائز تعمل تبعا لمبدأ اللذة فيقول " نحن نفترض أن القوى التى تدفع العمليات العقلية إلى النشاط توجد فى أعضاء الجسم كتعبير عن الحاجات الجسمية الرئيسية، فما تريده هذه الغرائز هو إشباع الحاجة وخلق المواقف التى يمكن بها تمييز الحاجات العضوية ، وخفض التوتر الناتج عن الحاجة وهو ما نشعر به من خلال أعضاء الحس من إحساس باللذة . كما أن زيادتها يشعر الفرد بالألم . ، وهكذا يبدو كما لو أن نشاطنا العقلى يوجه كلية نحو تحقيق اللذة وتجنب الألم.، وهو ما تم تنظيمه تلقائيا من خلال مبدأ اللذة Pleasure Principle (Fround 1966) .

وعلى ذلك يمكن تحقيق اللذةمن خلال تخفيف حدة الدافع ، وتقوم الغريزة بإرجاعنا إلى حالة الاتزان السابقة والمحافظة عليها، ويرى فرويد أن زيادة الدافع ربما يؤدى إلى الإحساس باللذة كما فى حالة الإثارة خلال الممارسة الجنسية، وان هذا التناقض لايتفق مع نظريته .

ونظرا للطبيعة المقننة للغرائز وارتباطها ، فقد غير فرويد رأيه فى العديد من المرات خلال حياته وأخيراً ميز بين غريزة الجنس من ناحية وتلك الغرائز التى تهدف إلى الحفاظ على الذات (مثل الجوع والعطش) من ناحية أخرى مع أن الغرض الأسمى يقرر أننا نندفع بغريزتين رئيسيتين هما غريزة الجنس (غريزة الحياة) ، وغريزة العدوان (غريزة الموت) " وقد قصر فرويد استعمال لفظ الغريزة عنده على هذين النوعين : غريزة الحياة وغريزة الموت ، وغرائز الحياة تخدم غرض الحفاظ على حياة الفرد وتكاثر الجنس ويطلق فرويد على القوى الحيوية الدافعة لغريزة الحياة اسم " الليبيدو " ، والليبيدو هو هذا الجزء من تركيب الهو الذى يبحث عن إشباعه من الحوافز الجنسية . (سيد محمد غنيم ١٩٧٥) .

أولا - الغريزة الجنسية :

يقصد فرويد فى نظريته بالغريزة الجنسية معان واسعة وغير عادية فهى تشمل كل ما يثير الشهوة الجنسية والخبرات السارة ، وبالإضافة لأعضاء التناسل فبالجسم العديد من المناطق القادرة على تحقيق الإشباع الجنسى وتعرف باسم المناطق الشبقية Erotogenic Zones بل أن كل أجزاء الجسم فى راى فرويد مناطق شبقية (Froud 1969) وهذا يشير الى أن الغريزة الجنسية تشير إلى أبعد من مجرد الممارسة الجنسية والتناسل، وكثير ما يستخدم فرويد إسم إيروس Eross (إله الحب عند الاغريق) كمرادف للغريزة الجنسية ،

ويعد سلوك حفظ الذات self- preservative كالأكل والشرب متضمن فى الغريزة الجنسية لأن الفم يمثل أحد مناطق اللذة الجنسية الأساسية ونحن نحفظ أنفسنا بحب الذات self-love أو النرجسية والرغبة فى الحصول على اللذة الجنسية من الجسم .

وللغريزة أربعة خصائص أساسية هى مصدر الغريزة- قوة الغريزة - موضوع الغريزة - هدف الغريزة ، ولتوضيح ذلك - إذا اعتبرنا أن حالة الجوع حالة فطرية ومحدده وراثيا (مصدر الغريزة) ينشأ عنها توتر نفسى لأن الجسم فى حاجة الى غذاء مادى فزيقى وكلما ذادت (قوة الغريزة) أو الدافع زاد التوتر ، ونظراً لهذه الظروف النفسية غير السارة فإن الفرد يبحث عن شيىء ليأكله (موضوع الغريزة)، وتحدث اللذة كلما أُختزل وضعُف دافع الجوع وعادت حالة الفرد الداخلية الى هدؤها السابق (هدف الغريزة) ويتحقق أيضا بعض الإشباعات الجنسية من مص ومضغ الطعام ، والحافز هنا نرجسى ، ولذلك فالغريزة التى تندرج تحت هذا السلوك هى غريزة جنسية .

ويرى فرويد أن مصدر الغريزة وهدفها يظلان ثابتين طوال الحياة ما لم يتغير المصدر أو يزول نتيجة النضج الفزيقى، أما الموضوع أو الوسيلة التى يحاول بها الفرد إشباع الحاجة فهى تتباين تبايناً ملموساً خلال حياة الفرد وذلك نتيجة قابلية الطاقه النفسية للإزاحة من موضوع لأخر وإذا كان هذا الإبدال أو هذه الإزاحة ممكنة بالنسبة لموضوع فهى غير ممكنة بالنسبة لمصدر الغريزة أو هدفها (سيد محمد غنيم ١٩٧٥) .

ثانيا - غريزة العدوان (غريزة الموت) :

وهى على العكس تماما من غريزة الحياة ، ولقد تناول فرويد هذه الغريزة فى أعماله الأخيرة بعد قيام الحرب العالمية الأولى، فالحياة ذاتها تهدف إلى الرجوع والعودة الى حالتها السابقة وهى عدم الوجود ، فكل البشر تدفعهم غريزة الموت ، وأوضح دليل على ذلك استشهد به فرويد هو التكرار القسرى للسلوك ، فالاطفال يكررون نفس النشاط مرات عديدة، والمرضى الذين يعالجون بالتحليل النفسى يعيشون صراعات لاشعورية، فالأحلام والتخيلات غالباً ما تعود من جديد والتاريخ يميل لأن يعيد نفسه، وهذا الدافع للرجوع الى حالتنا غير الحية هو السبب الأساسى للتكرار القسرى للسلوك .

وغريزة الموت غريزة معقدة من الصعب حصر أبعادها أو خصائصها كما هى رغم تعارضها مع مبدأ التطور والبقاء للأصلح لداروِن، ومازالت قضية جدلية كبيرة بين علماء

التحليل النفسى، فالتغيرات العادية التى تحدث باستمرار هى عملية تكيف تهدف الى تحقيق التوازن وتتضمن داخلها غريزة العدوان وغريزة الجنس، ووجهة النظر هذه تقرر ان هذين النمطين من الغرائز قد مُزجوا معاً بشكل طبيعى دون أن يتساوى بالضرورة دور الغريزتين فى أى سلوك . فالسلوك الجنسى (حتى ولو كان الجماع) يحمل فى طياته بعض من العدوانية ، وأى سلوك عدوانى (حتى ولو كان القتل) يتضمن بعض عناصر الجنس، وبالمثل فنحن لدينا الشعور المتناقض بكل من الحب والكراهية إذاء إناس مهمين فى حياتنا ، والأكل عملية عدوانية كما هو عملية جنسية لأنه يتضمن العض وهدم الطعام لكى يدخله الى الجسم ويدمجه فيه، وهذا يعنى أن سيطرة نمط واحد من الغريزة يمكن أن يحدث نظرياً فقط لأن الواقع يشير الى أنه نادراً ما تقوم غريزة بعمل ما بمفردها بعيداً عن الأخرى (Brenner 1974) .

ولقد كان فرويد متشائم بخصوص طبيعتنا الفطرية - حيث يرى أننا نولد مزودين بكلا الغريزتين الجنس والعدوان ، وأننا غير متحضرين وراثياً ، فهذه الغريزة تحركنا مثلما تحرك الحشرات والحيوانات الضارية وتدفعنا إلى القتال ، ولأن هناك أُناس أخرون لايسمحوا لنا بهذا التصرف، لذلك فإن الصراع بين الفرد والمجتمع أمر محتوم وهذا يشمل أيضا الصراعات النفسية الداخلية التى يصعب تفاديها ، ولذلك يجب أن نتعلم كيف نسمو بهذه الغرائز المستهجنة اجتماعيا الى أنشطة مقبولة إجتماعياً .

الطاقة النفسية Libido وتوظيف أو استغلال الطاقة النفسية Cathexis :

حيث أن كل سلوك مزود بطاقة فزيقية فإنه طبقا لرأى فرويد يكون النشاط العقلى عملية دينامية راقية تتضمن تفاعلات وتغيرات داخلية مستمرة للطاقة النفسية Psychic energy تلك الطاقة التى لايمكن ملاحظتها وليست لها علاقة فزيقية معروفة . غير أن فرويد الذى تأثر بالفلسفة الوضعية فى نظرته الى الكائن البشرى كنظام معقد من الطاقة " يستمد طاقته مما يستهلكه من غذاء ويستخدم هذه الطاقة فى أغراض مختلفة كالدورة الدموية والتنفس والنشاط العضلى والإدراك والتفكير والتذكر . ولم يرى فرويد مبرراً لافتراض أن الطاقة التى تزودنا بالقوة اللازمة للتنفس أو الهضم لاتختلف بحال من الأحوال - عدا الشكل - عن الطاقة التى تزودنا بالقوة اللازمة للتفكير والتذكر ، فالطاقة يجب تعريفها بحسب ما تؤديه من عمل ، فإذا كان قوام هذا العمل نشاطا سيكولوجيا ،

كالتفكير - فإنه من المشروع تماما، وهذا ما اعتقده فرويد أن يسمى هذا الشكل من أشكال الطاقة "طاقة نفسية" وبناء على مبدأ بقاء الطاقة يمكن أن تتحول الطاقة من حالة إلى حالة أخرى، ولكن لا يمكن فقدها من النظام الكونى الكلى ويتبع ذلك أن الطاقة النفسية يمكن أن تتحول الى طاقة فسيولوجية والعكس صحيح ، ونقطة الاتصال أو المعبر بين طاقة البدن والطاقة النفسية هى الهو وغرائزه (ك . هول وليندزى ١٩٧٨) .

وتبعا لذلك فإن كل فرد لديه قليل أو كثير من الإمدادات الثابتة من الطاقة النفسية، وأذا استُنفذت كمية كبيرة عن طريق مكون واحد فى الشخصية وأستغلت فى صورة مرضية من السلوك فإن المكونات الأخرى سوف تستفيد من تلك الطاقة بدرجة أقل أوتستهلكها سعيا وراء أنشطة سوية .

ويشير فرويد إلى أن الطاقة النفسية ترتبط بالغريزة الجنسية فيما يعرف بالليبيدو Libido أو الطاقة الجنسية ، بينما لم يقدم أى أسم للعلاقة بين الطاقة النفسية والغريزة العدوانية - ونظراً لأن كل سلوك يتضمن مزيج من الجنسية والعدوانية كما أوضحنا من قبل - لذلك يمكن أعتبار أن الليبيدو يشير لكلا النوعين من الطاقة النفسية (طاقة جنسية - طاقة عدوانية) فالليبيدو هو شيىء داخل النفس كلها لايترك العقل إلى العالم الخارجى ويرتبط بالتصورات العقلية للموضوعات التى تشبع الحاجات الغريزية .

وهناك عملية تعرف باسم توظيف أو استغلال الطاقة Cathexis أو تركيزها على شيء أو شخص ما ، أى ارتباطها بتصور أو مجموعة من التصورات ، وبجزء من الجسد أو بموضوع ما ، وعلى سبيل المثال فالطفل الصغير الذى تعلم أن أمه مصدراً أساسياً لإشباعاته الغريزية والإثارة الفمية والاتصال الفزيقى معه تتطور لديه رغبة قوية للتعلق بها . ويستثمر جزء كبير من طاقة الليبيدو فى التفكير فيها وتصورها والتخيل حولها . واصطلح على هذه العملية باسم توظيف أو استغلال الطاقة ، فالطفل تكون طاقته النفسية مركزة حول الأم- وكذلك أذا قدم لك ضيف غير مهم وشعر أنه غير مرغوب فيه مركزاً طاقته على ذلك فأنه سوف ينصرف من تلقاء نفسه ، وبالمثل فإن الشخص الجائع يستغل طاقته النفسية فى التفكير فى الطعام . فالنرجسية تتضمن استخدام الليبيدو فى تصور عقلى مفيد لوجود الانسان أو تركيز الطاقة حول الذات (Froud, 1963 d) .

وغالبا ما يستبدل الليبيدو بموضوع آخر . فقد يركز شخص ما طاقته النفسية حول نوع واحد من الطعام ثم يتحول الى نوع آخر بديل، وذلك لأن الاختيار الأول ليس متوافر، وبالمثل فإن مص أصبع الإبهام فى الطفولة ربما يبرر تدخين البالغين للسجائر . أو أن إشباع الغريزة الجنسية مع المحارم يحدث لها تسامى Sublimation لاشعورى الى القرين. وعلى هذا فنحن نحاول أن نجعل البديل أقرب ما يكون الى الوضع الحقيقى الذى يسمح به المجتمع والواقع ، وذلك على سبيل التغيير وليس الإشباع ولذا يبقى بعض التوتر النفسى ، هو الثمن الذى ندفعه لكوننا نحيا فى مجتمع متحضر (Froud 1961 b) .

الدوافع اللاشعورية للسلوك :

يرى فرويد أن هناك العديد من الهفوات Parapraxes والأفعال التى تحدث بدون عمد، والتى قد تكرر ويصعب على الفرد إدراك الدوافع لارتكابها وهو ما يعرف بالدوافع اللاشعورية ،وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن جزءاً كبيراً من شخصيتنا يكون بعيداً عن أدراكنا المباشر ، بل ويرى فرويد أن الأغلبية الساحقة من صور النشاط العقلى تكون غير شعورية Unconscious ولايمكن استدعاؤها الى العقل حتى بمجهود شاق " حيث يتكون اللاشعور من القوى والدوافع التى لم تنسجم مع الشخصية الشعورية التى كبتت فى أعماق النفس، فمادة اللاشعور قد مرت من قبل فى الشعور ولما كانت غير منسجمة مع الشخصية الشعورية فإنها تكبت "(سيد محمد غنيم ١٩٧٥). أما المعلومات التى لاتدرك فى لحظة ما ، ويمكن استدعاؤها وإدراكها بسرعة توصف بأنها تكون فى ماقبل الشعور Preconscious ، وما قبل الشعوز هذا يكون قريب جدا من الشعور conscious منه الى اللاشعور لأنه يكون فى نطاق سيطرتنا وتحكمنا ، وكذلك فالخبرات اللاشعورية يجب أن تصبح لفظيه عند مستوى ما قبل الشعور قبل أن تصبح شعورية . . ولايسمح اللاشعور للخبرات العقلية المكبوتة فيه أن تخرج الى الشعور إلا فى الأحلام وبالتداعى الحر وعلى شكل هفوات وصور رمزية عديده. فإذا علمنا أن كل أنماط السلوك العقلى والجسمى تتحدد بأسباب مسبقة ، وبالتالى فأن الأفكار العشوائية وعدم القدرة على استرجاع كلمة أو فكرة مألوفه، وكتابة أو نطق الكلمات بطريقة خاطئه، وإيذاء النفس ، وعدم اتقان العمل ، والأحلام والأعراض العصابية كل ذلك له اسبابه التى عادة ما تكون غير واقعية ، وهذه القاعدة هى ما تعرف بالحتمية النفسية Psychic determinism ، ولقد قدم فرويد الأمثله على العديد من هذه الهفوات مثل : -

النسيان غير المقصود أو النسيان المدفوع وأوضح مثال على ذلك ما حدث عندما حاول أحد أصدقاء فرويد إقناعه بأن جيله محكوم عليه بالغضب وأنه لابد من عمل شيء لتغيير هذا الحال ، ولقد أراد صديقه هذا أن يختتم مناقشته باقتباس عبارة من فيرجل Virgil وهى "فلينهض شخص من بين عظامى وينتقم Exorior (e) aliquis " "nostris exossibus ولكنه لم يستطع استرجاع كلمة aliquis وأصبح مرتبك تماما ، وبعد إمداده بالنص الصحيح للعباره . نصح فرويد صديقه أن يفكر بحرية وعلى سجيته دون جهد فى الكلمة المنسية ، وهو ما يسمى بأسلوب التداعى الحر وأدى ذلك لاكتشاف علاقات لاشعورية عديدة. فتقسيم الكلمة الى حرف " ال" a ، سيوله Liquis والسائل Liquid ، والدم Blood ، وكذلك أسماء العديد من القديسين ، ومعجزة تدفق الدم التى زُعم أن حدثت فى نابولى ، وأخيراً خوف الصديق من أن المرأة التى تمتع معها فى علاقة جنسية فى نابولى قد أصبحت حامل (وهذا يعنى أن دورتها الشهرية قد توقفت عن التدفق) وعلى هذا فأن كلمة aliquis قد نسيت عمداً (قمعت) لأنها كانت مُنذر يذكره بصراع داخلى هام ، ورغبة فى الانتقام من الأحفاد كما يبين ذلك نص فيرجل ، وكذلك رغبة قوية تعارض التورط فى إنجاب نسل أو ذرية عن طريق غير الزواج (Froud , 1965 a) .

كما أن النسيان لموعد أو الوصول متأخر عنه مثل مواعيد العمل والامتحانات قد يحدث كنتيجة لأسباب محدده أيضا ، وتفسيرها قد يكون سهل الى حدما ، فالغضب من الشخص الذى ستقابله ، أو عدم حبك له أو لأن مكان المقابله يحمل لك خبرة غير سارة ، أو الخوف من الرسوب فى الامتحان ، كلها أسباب لاشعورية لنسيان موعد لقاء أو امتحان . . والواقع أن أسباب مثل هذه الظاهرة غالبا ما تكون متعددة ومعقدة فالطالب كثير النسيان ربما يدفعه الى ذلك رغبه لاشعورية لعقاب الوالدين اللذين يدفعانه بقوة للتفوق دون علم بقدراته الحقيقية ، وأن يعاقب ذاته لأنه يشعر بالذنب بسبب هذا العداء القوى نحو الوالدين وما إلى ذلك من أسباب .

تحقير الذات self - inflicted قد ينجم عنه وخز الضمير اللاشعورى الذى يخلق الحاجه لعقاب الذات. فأحد أفراد أسرة فرويد عض لسانه أو وخز أصبعه ولم يشعر بالتعاطف مع نفسه وتسأل لماذا فعلت ذلك . . . ؟ (Froud 1965 c) .

ويروى بيرنر Bernner مثالاً لإحدى المريضات كانت تقود سيارة زوجها أثناء ازدحام حركة المرور ثم توقفت فجأة فاصطدمت بها السياره التى خلفها فتحطم حاجز الاصطدام الخلفى لسيارتها وأرجع التداعى الحر هذا الخطأ الى ثلاث ارتباطات :-

١- دوافع لاشعورية .

٢- الغضب من زوجها لأنه كان يسىء معاملتها (والتى عبرت عنه بتحطيم السيارة).

٣- الرغبة فى أنها يجب أن تعاقب (الرغبة فى عقاب الذات) بسبب عداءها لزوجها والذى تأكد بالرضا بمجرد أن علم زوجها بالحادث ، هذا بالإضافة الى وجود رغبة جنسية قويه لم يستطيع زوجها إشباعها والتى رمز لها بأن شخص ما قد ضربها من الخلف .

وتعتبر فلتات اللسان وزلات القلم أيضا من الأخطاء التى تعكس بعض الدوافع اللاشعورية . فرجل السياسة الذى توقع سراً عدم نجاح اجتماع برلمانى بدأه كخاطبا بقوله " أيها الساده إننى ألاحظ أن جميع الأعضاء حاضرين ، وأعلن انتهاء الجلسة " . ولم ينتبه لخطأه إلا عندما انفجر الجميع ضاحكين .

أحد الأساتذة الألمان كان ينوى أن يوضح أنه غير مؤهل لكى يصف أحد منافسيه المشهورين وكشف عن غيرته الحقيقيه عندما أعلن " أننى لم أكن أميل للتحدث عنه " .

احد الخبراء لديه شعور مبالغ فيه بالاعتداد بالنفس Self-importanse خطب قائلا إن عدد السلطات الحقيقى فى مجالى يمكن أن يعد على " اصبع واحد " ثم استدرك قائلا " اقصد على أصابع اليد الواحدة " .

شاب كان يرغب فى صداقة سيدة ولكنه كان يخشى أن ترى فى عرضه لها إهانة أو تحقير فكشف عن شعوره الحقيقى بقوله " أنها ليست مألوفه . (Freud , 1965a) .

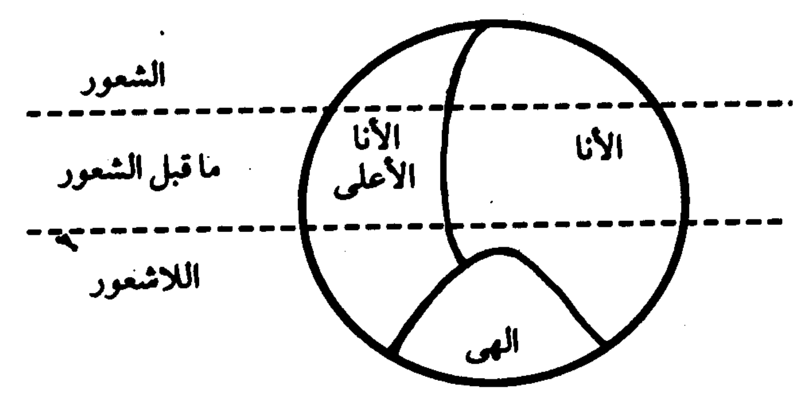
تركيب (مكونات) الشخصية :

وصف فرويد تركيب الشخصيه فى نموذج طبوغرافى Topographic model من الشعور ، ما قبل الشعور ، واللاشعور . غير أن أبحاثه أخيراً قد كشفت عن بعض التناقضات ، فهذا النموذج يحدد أن كل الانفعالات أو العواطف تقع فى الشعور ، ويقرر أيضا أن عملية القمع تحدث بين كل من الشعور وما قبل الشعور ، ولذا فإن الأفكار

المقموعة يجب ان تكون سهلة المنال للشعور . إلا أن فرويد وجد أنه من غير الطبيعى أن يعانى الإنسان الشعور بالذنب نتيجة كبت خبرة ما دون أن يكون لديه معرفة شعورية بذلك . حيث أن ميكانزمات الكبت أثبتت أنها لاشعوريه مما اضطر فرويد أن يستنتج أن كل ماهو مكبوت لاشعورى ، وليس كل ما هو لاشعورى يكون مكبوت " (Froud , 1962) .

ولكى يتغلب فرويد على هذه المشاكل طور نظريته فى نموذج تركيبى Structural model يصف الشخصية على أنها تتكون من ثلاث تركيبات هى الهى ID والأنا Ego والأنا الاعلى superego ، ويمكن توضيح علاقة النموذج الطبوغرافى بالمنوذج التركيبى للشخصيه فى الشكل الاتى :

تمثل الخبرات الحسيه الشعورية المدركه الطبقه الخارجية القصوى فى اللاشعور



شكل (١) العلاقة بين البناء الطبوغرافى والتركيبى للشخصية

ولقد اوضح فرويد أن هذه النظم الثلاثة (الهى - الأنا - الأنا الأعلى) ليست أجزاء منفصله داخل العقل ولكنها ممتزجة ومرتبطة ببعضها كأجزاء التلسكوب أو ألوان الصورة ويمكن مناقشة كل جزء على حده كما يلى :-.

أ - الهى : ID

وتشمل كل مكونات النفس التى نولد مزودين بها بما فى ذلك الغرائز والإمدادات الكليه للطاقة النفسيه ، وهى لاشعوريه تماما ، وتمثل الجانب المظلم والفوضوى من الشخصية ، وهى تشبه الإناء الضخم المملوء بسائل يغلى لأنها سريعة الأثارة والتهيج (Froud , 1965a) . وتحول الهى الحاجات البيولوجية الى توتر نفسى أو رغبات Wishes ، وهدفها الوحيد هو الحصول على اللذة عن طريق تفريع الطاقه الغريزية

وتجنب الألم الذى ينجم عن زيادة التوتر (مبدأ اللذه المذكور سابقاً) ، والهى تعتبر غير منطقية وغير أخلاقية وليس لها إدراك بالواقع . وسيلتها الوحيدة تكوين صور ذهنية للموضوعات التى تحقق الإشباع وهو ما يطلق عليه إشباع الرغبات Wishfulfillment ، والهى تشبه الطفل المنقاد للنزوات والذى يريد الحصول على المتعة والوصول للسعادة والسرور بطريقة مباشرة. وتعرف طريقة التفكير اللامنطقية المتهورة ونموذج تكوين الصور الذى تقوم به الهى باسم العمليات الأولية Primary process . . " وتلجأ الهى الى العمليات الأولية كمحاولة للتخلص من التوتر بتوحيد الإدراك أى أن الهى يعد الصور العقلية المبنية على التذكر مساويه للمدرك الحسى ومطابقة له ، ومعنى هذا أن تذكر الطعام مساو ومطابق لعملية تناول الطعام عند الهى ، أى أن الهى يعجز عن أن يميز بين الصورة المتذكرة وهى ذاتيه ، وبين الإدراك الحسى الموضوعى للشىء القائم فعلا ، ومن أمثلة العمليات الأوليه - الأحلام عند النوم - فالجائع يحلم بالطعام . (جابر عبد الحميد ١٩٨٦).

تسمح العمليات الأولية للهى بوجود المتناقضات جنبا الى جنب فى وقت واحد وتمثيل الأفكار بأجزاء تحل محل الكل أى تستعيض عن الأفكار الكلية بأجزاء منها . ولربط الأجزاء المرتبطة بمفاهيم فى وحدة واحدة ، فالعمليات الأولية ليس لها وقت محدد ولاتتأثر بالخبرة. ولذلك فإن عمليات القمع وكبت الدوافع الغريزية فى مرحلة الطفولة توجد بصورة أقوى عند البالغين كما لو كانت قد حدثت منذ فترة وجيزة - فهى أساس دليل مسافر الصحراء الذى يموت عطشا معتقداً فى السراب الذى توحى اليه صورة الهى ID Image بوجود واحة من الماء ، وهى أيضا دليل لحالات الأمراض النفسيه ، وتلعب دورا بارزا فى ظهور الهفوات الخاطئة .

خلاصة القول : أن الهى هى المصدر الأولى للطاقة النفسية ومستقر الغرائز وهى الصق بالجسم وبعملياته منه بالعالم الخارجى ، وهى تحتاج الى التنظيم وطاقتها غير مستقره بحيث يتم التخلص منها أو تحويلها من موضوع الى آخر والهى لايتغير بمضى الزمن ولاينفعل بالخبرة أو التجربة لأنه لايتصل بالعالم الخارجى ، ومع ذلك يمكن السيطرة عليه ، والهى لاتحكمه قوانين العقل أو المنطق ولا القيم الأخلاقية ولايدفعه إلا تحصيل الأشباع للحاجات الغريزية وفقا لمبدأ اللذه (Hull, 1967) .

ب - الأنـــا : Ego

وهى المكون الثانى فى الشخصية ، ويبدأ تكونها عند ٦-٨ شهور تقريبا من عمر الطفل ، والانا تتطور عن الهى وتنبثق منها لتساعدها على اكتساب معالمها النهائية - وتتكون الأنا من مجموعة الخبرات التى تقودنا إلى التفرقة بين الذات واللاذات ، وبصفه خاصة الخبرات التى يتعرض لها جسم الفرد . فسرعان مايتعلم الطفل أن لمسه لجسمه يولد الاحساس لديه بأنه يلمس " الأمر الذى يحدث مع الأشياء الأخرى عندما تلسمه - هكذا يكون الجسم مصدر للكفاية الفزيقيه (والألم الذى لايمكن أن يُنسى) على عكس ما يحدث بالنسبه لثدى الام أو لزجاجة الرضاعه . والطفل عندما يصل الى سن البلوغ يشعر بأن الطبيعة مصدر لأشباع رغبات الأنا ، فالولد أو البنت يمكنهما التمييز بين صور الهى ، والواقع . وتعرف هذه العملية باسم اختبار الواقع reality testing ويحاول ان يوفق بينها وبين أشباع حاجاته محاولا ان يكون الأهداف الهامه أولا ثم تحقيقها بعد ذلك (Froud , 1959) لذلك فإن التصورات العقليه لهذه الاهداف تتوحد فى الأنا التى تعتبر العنصر الوحيد فى الشخصية الذى يمكنه التفاعل مع البيئة وبالتالى فان نمو الانا يزيد القدره على التفاعل مع الواقع .

والأنا هى بمثابة الجزء الذى يمثل واجهة الهى او يمثل الطبقة اللحائية منها وعلى عكس الهى فالأنا تتسع للشعور وما قبل الشعور واللاشعور ، والأنا عقلانية ومنطقية تقوم بخطط واقعية من تصميمها لأشباع حاجات الهى . ولذلك فانه على الرغم من ان الانا ترغب فى الحصول على اللذه الا أنها تؤجل الاشباع لكى تحافظ على مبدأ الواقعية reality principle وتؤجل إنهاء التوتر الحاد لحين أيجاد حل مناسب وهذا يجعل من الممكن تجنب الأخطاء (كالتهام طعام شهى قد يكون مسموم ، وتجنب العقاب من جانب الوالدين بسبب اكل شيء ممنوع أو محرم . او زيادة اللذه كرفض تناول طعام غير شهى انتظارا لطعام أشهى) ، فطريقة التفكير التى تقوم على المنطق ، وتأجيل اللذة الى ما هو أفضل منها وحل المشكلات وضبط النفس و يعرفها فرويد بالعمليات الثانوية Secondary process . (Froud , 1969 a) .

والعلاقة بين الأنا والهى قوية ومعقده . فهى قد تخضع أو تحاول بشتى الطرق ان تبقى على وفاق مع الهى . أو أن تخفى اندفاعات وأخطاء الهى وأن تسلك بنفس الطريقة

التى يسلك بها سياسى مخضرم وغير امين يرى الحقيقه ويعرفها ولكنه يفضل التغاضى للمحافظة على الصالح العام - ويشبيها فرويد تشبيه أخر فى علاقتها بالهى . فيقول " الأنا فى علاقتها بالهى تشبه رجل على ظهر حصان يمكنه أن يتحكم فى قوة الحصان التى تفوق قوته هو - ومع الفرق فى التشبيه - فبينما يفعل الرجل هذا بقوته تستعين الأنا بقوة مستعارة هى قوة التبصر بالواقع . وهذا التشبيه قد يتسع اذا قلنا ان الراكب غالبا ما يحاول ان يقود الحصان الى حيثما يريد إذا لم يسقط من فوقه ، وبنفس الطريقة تحول الأنا رغبات الهى الى أحداث كما لو كانت هذه الأحداث نابعة منها (الأنا) (Froud, 1965 b) وغالبا ما يؤدى تورط أو قلق الأنا وضبط الذات الى وجود صراعات داخلية مع الهى المندفعة .

فالأنا إذن تخضع لمبدأ الواقع تفكر تفكيرا موضوعياً ومعتدلا ومتمشيا مع الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها ، أما وظيفته فهى الدفاع عن الشخصية والعمل على توافقها مع البيئة وحل الصراع بين الكائن الحى والواقع أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحى فالأنا هى ذلك الجزء المنظم من الهو ، وهى تخرج الى الوجود لتحقق أهداف الهى ولاتحبطها ، وكل قوتها مستمدة من الهى وليس لها وجود مستقل عن الهى . (سيد محمد غنيم ، ١٩٧٨) .

ويرى فرويد أن الضغوط التى تمارسها الأنا لكبح جماح الهى وإذ عانها للواقع أو مساندتها والوقوف بجانبها ضد العالم الخارجى لهى من أهم وظائف الأنا - ولكن طالما أن الهى تنشأ بكل الطاقة النفسية للفرد فكيف تستطيع الأنا السيطرة عليها بصورة مطلقة هكذا ؟ والاجابة على ذلك صاغها فرويد فى نظريته ، ومغزاها أن نمو الأنا يضعف الهى ويجردها من طاقتها النفسية ، وفى نفس الوقت فإن الأنا لديها العديد من الميكانزمات الدفاعية التى ترتبط بصورة وطيدة بانفعال القلق .

القلق Anxiety

تعد مطالب الأنا بصفة خاصة أموراً صعبة التحقيق نسبياً لأنها عبارة عن مخلوق ضعيف يدين بالولاء لثلاث أشياء عظيمة تتوعدها بالأخطار هى :

١- العالم الخارجى .

٢- ليبدو الهى .

٣- قوة الأنا الأعلى .

وتستجيب الأنا لهذه التهديدات بحالة من القلق . وهو عبارة عن شعور انفعالى غير سار يشبه حالة التوتر العصبى، وهو يسهم فى عملية إعادة ضبط النفس أو إعادة التوازن النفسى وفى استعداد الفرد لأنجاز أعمال مناسبة . والكمية القليلة منه تكون عادية بل ومطلوبة، ويقسم فرويد القلق بمصدره أو طبقا لتصرفات الأنا مع العناصر الثلاثة المسئوله التى سبق ذكرها الى :-

١- القلق الموضوعى أو الواقعى Realistic (objective) anxiety

ويحدث بسبب خطر واقعى أو موضوعى فى البيئة الخارجية مثال ذلك عندما تكون سائراً فى طريق صحراوى ويقابلك شخص شرس يهددك بسكين بالإضافة الى ذلك التهديد الفعلى فإن ذكريات الأنا للخبرات السابقة تجعلها تستجيب بالقلق لكل خطر مستقبلا . مثال ذلك استجابة البحار الذى لديه معرفة بسحابة داكنه تلوح فى الأفق (القلق) لمعرفته المسبقه بأن وصولها سوف يتبعه زوبعة ، أو أن رضيعاً شبعان ربما يشعر بالقلق عند رحيل أمه عنه لأنه تعلم أن الإحساس بالجوع فى غياب الأم يعنى الإحباط وعدم الراحه (Froud , 1966) . مثل هذا القلق يجعل الفرد يأخذ حيطته وحذره من الخطر الذى يهدده فالسائر يهرب أو يدافع عن نفسه ، والبحار يجمع قلاعه ، والطفل يتشبث بأمه كى تبقى بجانبه .

٢- القلق العصابى : Neurotic anxiety

ويحدث بسبب الخطر الناجم عن استسلام الأنا لاندفاعات الهى القوية والخطرة، وهذا القلق غالبا ما يرتبط بالتعرض للعقاب وقسوة المعاملة فى مرحلة الطفولة " وحين نكون قلقين عصابيا فإننا نكون خائفين من عقاب متخيل سوف نلقاه من والد متخيل أو من سلطه أخرى نتيجة لاشباعنا لنزعاتنا الغريزية – وقد حدث أن عاقبنا الوالدان فى الماضى على مثل هذا الإشباع . إن التهديد فى القلق العصابى يكون كامنا فى موضوع اختيار غريزى للهو فيخاف الشخص من أن يجتاحه واقع لايقدر على التحكم فيه أو يعمل عملا يؤدى الى الإضرار به (جابر عبد الحميد ١٩٨٦) .

٣- القلق الخُلقى Moral anxiety

ويحدث بسبب رغبات وأفعال تتجاوز مستويات الفرد عن الصواب والخطأ ويناقشها الأنا الأعلى فى الخفاء مما ينشأ عنها الإحساس بالخجل أو الذنب . أو بعبارة

أخرى. يحدث القلق الخلقى عندما تتجاوز رغبات الفرد وأفعاله مستوى حكمه الخلقى بالصواب والخطأ فيعاقب الأنا الأعلى الأنا، وينشأ عن ذلك الإحساس بالخجل والذنب (عذاب الضمير).

والمصدرين الأخيرين للقلق من الصعب علاجهما أو التعامل معهما لأنهما يوجدان داخل النفس ولا يمكن إخفائهما بطريقة جسمية مناسبة كالهرب مثلا كما فى حالة التهديد الموضوعى أو الواقعى. " وقد يتداخل القلق العصابى مع القلق الخلقى. فالفرق يكمن أساسا فى درجة الضبط الذى يصدر عن الأنا، وكثيراً ما يكون الفرد فى القلق الخُلقى عقلانياً وقادراً على التفكير فى المشكلة حتى النهاية، ويفرض الأنا الأعلى مطالبه، ولكن الأنا هنا يقدر على الصمود أمامها واتخاذ قرار يتصل بمسار العقل. أما فى القلق العصابى فكثيراً ما يكون الناس يائسين بل أحياناً فى فزع ولا يستطيعون معه التفكير بوضوح. إن الهى تمنعهم من التمييز بين الخيال والواقع ويعتقد القلقون عصابياً أن ثمة قوة خارجية سوف تعاقبهم فعلاً وأنهم كثيراً ما يسلكون كما لو كانوا يعتقدون بصحة ذلك والقلقون خلقياً يعرفون عادة أن مابداخلهم هو الذى يسبب تعاستهم ويحدث قلقهم (جابر عبد الحميد ١٩٨٦).

ويؤدى القلق غايه هامة متمثلة فى أعطاء إشارة تحذيريه للأنا لتجنب أى خطر وشيك الوقوع. والقلق انفعال مؤلم يسبب التوتر شأنه فى ذلك شأن الجوع والرغبة الجنسية ولكنه لاينشأ نتيجة لإثارة الأحشاء الداخلية فى الجسم، وإنما ينشأ أساساً نتيجة لظروف خارجية أو لوجود أخطار مصدرها الهى أو الأنا الأعلى فينبه الأنا الى دفع الخطر - فإذا فشلت الأنا فى تفادى هذا الخطر ووقعت فعلا فى القلق فإنها تلجأ الى حيل وآساليب غير واقعية لتدافع بها عن نفسها فى مواجهة الهى والأنا الأعلى أو البيئة الخارجية فيما يعرف بالحيل الدفاعيه و الميكانزمات الدفاعية للانا.

ميكانزمات الدفاع:

هى ميكانزمات تتبعها الأنا لكى تواجه التهديدات الخطرة من الهى أو الأنا الأعلى أو العالم الخارجى والقلق المرتبط بهم وأهم هذه الميكانزمات هى: -

١- الكبت :

هو عملية استبعاد لاشعورية للأفكار والخبرات الخطرة والمهددة من الشعور الى اللاشعور ، هذه الخبرات يمكن استرجاعها عند الحاجة ولكنها تحتاج الى مجهود كبير ، ونحن لانشعر باستعمال الكبت لأنه يحدث فى الجزء اللاشعورى من الأنا وتستنفذ فيه طاقة نفسيه كبيرة لكى لاتأخذ الخبرات الخطرة مكانا لها فى الشعور ، وتعرف هذه العملية باسم تشتت الطاقة النفسية anticathexis (هى عكس تركيز الطاقة النفسية للهى) . وطالما كان تشتت الطاقة النفسية للأنا أقوى من تركيز الطاقة النفسية فأن عملية الكبت تتم بنجاح ولاتصل الخبرات الخطرة إلى الشعور ، وفى أثناء النوم تضعف سيطرة الأنا وتسمح بظهور الخبرات فى صورة أحلام وربما يحدث ذلك أيضا فى حالات الثمالة بالخمور ، والحرمان المفرط أو الاغراءات الخارجية .

كل أنواع الكبت الهامة تحدث فى مرحلة الطفولة المبكرة حين تكون الأنا غير ناضجة وضعيفة وفى حاجة الى طرق خاصة لمواجهة الخطر ، ويساعد الكبت فى اختيار العمليات الأوليه وتجنب الاستسلام للعصاب ولكنها فى الغالب طريقة غير فعالة وتمثل هروب من المشكلة بدلا من حلها (Freud, 1969a) . ففى حين أن الهروب من التهديدات الخارجية يمكن أن يكون له أكثر من اختيار وطريقة ، فأنه لاتوجد طريقة صائبة للهروب من الصراعات النفسية – فرغبات الهى مستمرة الإلحاح لكى تشبع وترغم الأنا على استعمال بعض طاقاتها النفسية المحدودة لكى يحدث تشتت الطاقة . والمادة المكبوتة لاتتأثر بالخبرة حيث أنها تبقى تحت رعاية الهى وتبقى فى المستوى الطفولى Childish وعدم النضج . هذا الكبت يضعف القدرة على معالجة الحقيقة ، والأكثر من ذلك أن الكبت لايحدث إلا حينما نحتاجه ، فخداع الذات يحقق الراحه ولكن بثمن هو : عدم القدرة على التحقق من أن الخطر قد زال أو أن الفرد قد أصبحت لديه الخبرة التى تساعده على حل مشاكله بكفاءة ، واستمرار الكبت من مرحلة الطفولة حتى مرحلة المراهقة فالرشد مانعة النفس من معرفة ذاتها حق المعرفه وظهور أسلوب الذات الانهزامية ، وربما الى زيادة أعراض الاضطرابات العصابية .

٢- التكوين العكسى :

غالبا ما يحدث الكبت مع نوع آخر من ميكانزمات الدفاع وهو التكوين العكسى (Freud, 1965 d) . حيث تستبدل الاندفاعات المهددة والخطرة بطريقة لاشعورية باعتقادات عكسية . فقد يعبر الطفل عن غضبه بطريقة مهينة، ولكن قوة الوالد قد تجعل الطفل يخفى تصرفه بطريقة لاشعورية معبراً بطريقة أخرى كالخجل مثلا . أو أن اذدراء الذات اللاشعوري قد يبدو للأخرين فى صورة إستحسان للذات. وفي كل حالة يساعد تأكيد الشعور بالعكس (الحب مثلا) على استمرار الكبت للشعور الحقيقى (الكراهية) بالتعاقب . وبالمثل فالإحساس بالنرجسية ربما يكمن وراء محاولات إظهار الغرور أو الصبر المتكلف والمشكوك فيه. وربما يكبت المريض مشاعر الخوف من المعالج ويحولها الى حب. والأمثله أيضا عديدة تتضمن الشخص الذى يكبت رغبات قويه لكى يصبح موضع اهتمام الأخرين، وسكب الخمر لاخفاء رغبات لاشعورية قويه مرتبطه بالجنس أو الشراب، والجبان الذى يتكلف إظهار شجاعته " والأم الهستيريه التى تكره طفلها لاشعورياً يمكن أن تستحدث حبا لطفلها ظاهر الإسراف ، وذلك كيما تضمن كبت كراهيتها له (أوتو فينخل ١٩٦٩).

ويبدو الأشخاص الذين يستعملون ميكانزم التكوين العكسى مخلصين ، ولكن يمكن تمييزهم عادة من خلال إعتقاداتهم الحقيقية إزاء طبيعتهم المتزمتة. وهذا الميكانزم الدفاعى يتكون أيضا فى الجزء اللاشعورى من الأنا ويحدث بدون وعى من الفرد، والهدف الأول منه هو خداع النفس . وهناك بعض التصرفات الشعورية التى تشبه رد الفعل العكسى كأن يكون الفرد مهذب مع عدوه القوى لأن الموقف يتطلب ذلك .

٣- التبرير :

هو عملية يحاول الشخص من خلالها إضفاء تفسير متماسك من وجهة نظره المنطقية أو مقبول من وجهة نظر خلقية لموقف أو فعل أو فكرة أو شعور (لابلانش بونتاليس ١٩٨٥) . والتبرير حيلة دفاعيه تأخذ شكلا منطقياً لخداع الذات أو الضمير حتى تخفف الشعور بالذنب أو الخجل وحتى يسهل على الأنا تقبل سلوك الفرد وانفعالاته، ويسهم التبرير فى تحويل القلق العصابى والقلق الخلقى الى قلق واقعى أقل

خطوره. كما يقلل من قيمة بواعث العداء وأسبابه كعذر مقبول ومتعقل للتصالح مع الأعداء، والتبرير يكون واضح فى الحالات الآتية :-

- تلميذ ضعيف المستوى يبرر فشله دائماً بسوء حظه فى الامتحانات .
- مدرس مهمل يشكو لمديز المدرسة ضعف المستوى العقلى لتلاميذه وسوء اهتمامهم بالمذاكرة كتبرير لإهماله .
- الشخص الذى يبرر فشله فى الحصول على شىء ما بأنه لايريده (مثل الثعلب الذى فشل فى الحصول للعنب فادعى أنه حصرم ولايريده).
- موظف يوشى بزميله عند رئيس العمل يبرر ذلك بأنه يعمل لمصلحة زميله أو بأن مصلحة العمل أهم من الزمالة .

٤- الإسقاط :

وهو ميكانزم لاشعورى يخفى دوافع خطيرة . حيث ينبذ الشخص من ذاته بعض الصفات والمشاعر والرغبات ، وحتى بعض الموضوعات التى لايحتملها ولايستطيع مواجهتها ويصرح بعدم وجودها فيه ويلصقها بأشياء أو إناس أخرين . فالبخيل يصف الناس بالبخل واللص يصف الناس بأنهم لصوص، والزانى يشك دائما فى سلوك زوجته، والخائن يتهم غيره بالخيانة بل ويقوم بأرشادهم وتقديم الوعظ والتوجيه حتى يعدلوا من سلوكهم ناسيا أن فيه عيوبهم ، ويعمى نفسه عن حقيقته بينما يحسن إبصار عيوب الأخرين ويختلف الإسقاط عن التبرير فى أن التبرير دفاع واعتذار فى حين أن الإسقاط يلعب دوراً فى كشف محتوى الشخصية عن طريق تقديم مثيرات مبهمة يحكى عنها المفحوص قصة يسقط من خلالها ذاته على المثير (مثل اختبار .T.A.T والروشاخ وغيرهما) .

٥- الإنكار (إنكار الواقع) :

عملية لاشعورية تحمى الأنا من مواجهة الواقع أو الحقيقة المؤلمة ، ويختلف الإنكار عن الكبت فى أن مصدر الخطر هنا هو العالم الخارجى وليس أندفاعات الهى (Freud, A. 1966) . مثل إنكار ملاحظة عاصفة أو سحابة عند القيام بسفر طويل، رفض انتقادات الآخرين مهما كانت مبرراتهم وحججهم ، تجاهل نظرات الاشمئزاز التى تبدو على وجوه الأخرين نحوه، والإنكار المتكرر لشبح الموت المرعب - فالاغلبية منا يتناسون (لاشعوريا) أننا سنرحل يوما .

٦- أحلام اليقظة :

وهو ميكانزم دفاعي يصاحب الإنكار فى حالات كثيره . حيث الحاجات غير المشبعة فى الواقع يتم اشباعها فى خيال الفرد وأحلامه ، فالطفل يمكن أن ينكر ضعفه ليس فقط باللعب مع رموز تطمئنه لقوته مثل لعبة بالمسدسات والدُمى ولكن أيضا من خلال أحلام اليقظة التى تدور حول كونه مشهوراً وذو قيمة وأهمية بالنسبة لوالديه (Freud, A. 1966) وأحلام اليقظة تحقق بعض الوظائف الدفاعية اذا كانت باعتدال وهذا امر مطلوب الا انه اذا ذادت عن الحد حالت دون قيام الأنا بتحقيق وظيفتها على افضل وجه حيث تؤدى الى تزييف الادراك وخطأ التعامل مع الواقع . وهكذا يحلم الضعيف بالقوة ، والفقير يحلم بالثروه، والمظلوم يحلم بالبطش والانتقام.

٧- العزل (التفكك) :

حيث الانفعالات المهدده يمكن بطريقه لاشعوريه أن تنفصل عن الأفكار والذكريات والخيالات المرتبطه بها، وتعرف هذه الحيله باسم عزل الاثر Isolation of affect فالمرضى تحت العلاج النفسي يبحثون عن الراحة بكبت آلامهم. ويناقشون المشاكل الهامة بطريقة جافه وذكيه فى الوقت نفسه وهذه الحيله تعوق تقدمهم، وبالمثل يمكن عزل الأفكار المتناقضه والخطره عن بعضها البعض .

٨- الالغاء :

والالغاء Undoing حيله لاشعوريه تعنى القيام بسلوك عكسى لسلوك مستهجن سابق لإلغاء أثره . مثل الأفعال والأفكار المحرمه والطقوس التى تُنسى بطريقة لاشعورية (Freud , 1963a) وأوضح مثال على ذلك السيده ماكبث Lady Macbeth التى قتلت الملك ثم حاولت أن تمحوا أثر جريمتها من جراء تلطيخ يداها بالدم بحركات قهرية لغسيل اليدين . وللعزل والالغاء صور شعوريه متشابهة الى حد ما ، على سبيل المثال : محاولة لاعب أو مصارع تملك أعصابه المهتزة خلال لعبة أو مباراة فاصلة، أو فرد يحاول التكفير عن ذنبه أو خطأ باعتذار أو هدية لمن أخطأ فيه ولكن هذا السلوك يرتبط بالواقع الخارجى ويقع تحت التحكم الشعورى فى الفرد .

٩ - الإزاحة :

الإزاحة من العمليات اللاشعورية التى تقوم بها الأنا لاغراض دفاعية ، فالاندفاعات الخطيرة يمكن أن يحدث لها إزاحة displacement كالطفل الذى يضرب لعبته بدلا من أخيه ، والراشد الذى يرفع صوته على زوجته بدلاً من رئيسه ، ويعد الانقلاب على الذات turning against the self أحد صور الإزاحة ، وتعنى تَحويل الدوافع العدوانية من موضوع خارجى يخيف الفرد إلى ذاته ، هذه العملية تتم فى البدايه لاشعورياً، ويمكن أن تؤدى بالفرد الى الضرر بالذات أو محاولة الانتحار : والقلق يمكن أن يُزاح أيضا ، فعندما تكون دوافع الانتحار اللاشعورية قوية جداً ينتج الخوف من الأماكن المرتفعة . والطفل الذى قسى عليه والديه يخجل وينطوى بعيداً عن الناس عموما .

١٠- التقمص أو التوحد :

أحد الوظائف السوية التى قد تستخدم كميكانزم دفاعى - فتوحد الطفل مع الأب هو أمر ضرورى لتقليد سلوك الكبار واكتساب قيم المجتمع ومعاييره . حيث يتمثل شخصيه الأب ويجعلها جزءاً من شخصيته . غير أن الأنا قد تتوحد مع المرضى لمشاركتهم آلامهم . أو التوحد مع الموتى أو حتى مع شخص معاد لها (التوحد مع العدو) وهو ما يحقق بعض الشعور بالقوة فى مواقف التحقير . والتوحد قد يكون كلياً أو جزئياً ولاشعورياً فقد يتوحد الطفل مع قطته التى ماتت ويحبو على أربع ويصدر مواء القطه أو قد يتوحد الطالب مع معلمه ويستخدم نفس التعبيرات التى يستخدمها .(Freud, 1966) .

١١- النكوص أوالارتداد :

قد تلجأ الأنا الى النكوص أو الارتداد Regression لاشعورياً . والنكوص يعنى العوده لسلوك مطابق كان يمارس فى فتره مبكره من حياة الفرد - وسبق الإقلاع عنه - كلما واجهت الفرد مشكله أو موقف محبط أو لوجود منافسين يهددون الفرد. فالغرائز تسعى دائما الى الرجوع لمواقف سابقة الوجود غير أن الأنا تحاول الدفع نحو ممارسة سلوك الراشدين عن طريق التحكم فى هذا الاندفاع القوى للغرائز . . ولكنها أحيانا تضعف فى

مواجهة الإحباطات الشديدة أو ضغوطها مما يؤدى الى النكوص والارتداد . ويحدث النكوص كارتداد بالسلوك ليطابق سلوك الحياة، ويدقه أكثر . فالنكوص يشير الى تدفق عكسى لطاقة اللبيدو الى موضوع سابق تخلى عنه الفرد وأهمله منذ فترة طويلة أو الى مرحلة نمو نفسى جنسية مبكرة . والأمثلة على النكوص كثيرة فولادة طفل جديد فى الأسرة قد يجعل أخيه الأكبر منه سناً يمص أُصبع الإبهام (نكوص لمرحلة فمية). أو يعود للتبول اللاارادى بعد أن أقلع عن ذلك (نكوص لمرحلة قضيبية) . أو أن يصبح الراشد أو المراهق كطفل عنيد عندما يقابل بضغوط اجتماعية (نكوص الى مرحلة شرجية) .

ويرتبط النكوص بالتثبيت بصورة واضحة فكلاهما وظيفة عادية للحياة العقليه ، ومعظم الموضوعات التى يحدث فيها نكوص هى موضوعات حدث فيها تثبيت ، أى أن المراحل التى ينكص اليها الفرد هى مراحل حدث فيها تثبيت ، وكلما زاد التثبيت قلت كمية الطاقة التى يحتاجها الفرد ، وكمية الإحباطات التى تثير عملية النكوص وتحدثها .

١٢ - التسامى :

ميكانزم دفاعى لاشعورى يحول الدوافع المحرمة كالقتل والعدوأن الى سلوك اجتماعى مقبول مثل الرياضة العنيفه (مصارعة وملاكمة) . أو التسامى بالدافع الجنسى الى سلوك مقبول اجتماعياً مثل كتابة الشعر العاطفى أو القصص العاطفية . ويختلف التسامى Sublimation عن ميكانزمات الدفاع الأخرى فى أنه يمثل سلوك سوى ومثالى يشجع عليه المجتمع . وهو الحل الحقيقى للغرائز المحرمة والمستهجنة اجتماعيا ، وهو ذات فائدة للفرد وللمجتمع .

جـ - الأنا الأعلى : Superego

تبعا لنظرية التحليل النفسى لايكون لدى الوليد إدراك بمعايير الصواب والخطأ فالهى اللاأخلاقية هى التى توجد فقط عند الميلاد . وهذه القاعدة يجهلها كثير من الأباء والأمهات اللذين يعتمد عليهما الطفل الذى لاحول له ولاقوة لعدة سنوات . فهم يكافئانه على قول أو فعل معين ويشجعون تكرار هذا التصرف ، ويعاقبانه على أفعال

اخرى، وهو ما يهدد العلاقة بين الطفل ووالديه ويخيفه من فقد حبهم فى الوقت الذى شعر فيه بقيمة هذا الحب وحاجته اليه بسبب أخطار البيئة من حوله . ولكى يحمى نفسه من ذلك الخطر فليس أمامه بدّ من أن يتشرب الأنا هذه المعايير وهو ما يؤدى الى تكوين الأنا الأعلى كجزء خاص من الأنا يقوم بدور الحاكم على مقعد السلطة والتى تمثل أيضا الزراع الخُلقيه للأنا، والأنا الأعلى يبدأ تكوينها من الأنا مابين الثالثة والخامسة من العمر وتستمر تتشرب خصائص الكبار (كالوالدين والمعلمين وأعضاء السلطة الأخرين) على الرغم من أن هؤلاء يبقى دورهم ثانوى لأنهم يتأثرون بطريقة غير مباشرة بمطالب المجتمع (Freud, 1969a)

والأنا الأعلى أداة نقل الأفكار والمعلومات الى الضمير أو الشعور Conscience الذى يعاقب على الأفكار والأفعال المحرمة، وتزود الأنا الأعلى الأنا بالمثالية التى تتمتع بها وتكافئها على التصرفات المرغوبه التى تأتى بها " ويشير فرويد أصلا الى الأنا الأعلى على أنها الأنا المثالية Ego Ideal وأحيانا يعدها واحدة فقط من وظائفها " فالشخص الذى يرفض أن يخدع أو يسرق أو يقتل حتى ولو كان لايراه أحد، والذى يناضل ويكافح فى عمله دون أن يراقبه أحد هو شخص استجاب لإشارات الأنا الأعلى ليسلك بهذه الطريقة المقبولة، والأنا الأعلى تكافىء الأنا بمشاعر الإطراء والتقدير، ولسوء الحظ فالحياة النفسية نادرا ما تحقق اللذة والسرور ، فالجزء الأكبر من الأنا الأعلى تقع فى اللاشعور حيث ترتبط تماما بالهى وتلوم الاندفاعات المحرمة للهى وتعاقبها بقسوة على ما ترتكب من ذنوب ويمكن أن تؤثر مباشرة فى الأنا فقط ، لذلك فأن الدوافع المحرمة وأنماط السلوك غير المقبولة اجتماعيا تسبب التوتر بين الأنا والأنا الأعلى وهو ما يعرف بخبره الإحساس بالذنب أو القلق الخلقى. وهكذا فأن نظرية فرويد ترفض مصطلح الضمير المذنب guilty conscience لأنها تسمية غير صحيحة . فالانفعالات تحدث فقط فى الأنا والضمير هو الذى يسبب للأنا الإحساس بالذنب .

وعلى الرغم من أن الكثير مما يصادف الأنا ربما يكون غير واقعى ، وهو ما يبرر المشاعر غير السارة لديها . أو مازلت تجبر على عمل بعض الأشياء دون رغبة منها . إلا أنها تستطيع أن تحقق الراحة عن طريق أحلال أفكار وأفعال مقبولة محل تلك غير

المقبوله فإن لم تستطع لجأت لاستخدام الحيل الدفاعية . والأنا الأعلى تخول الأنا حقها فى ضرورة ضبط النفس Self- control والتوحد مع قوة الوالدين ولكن كل هذا يتم الحصول عليه بثمن هو : بقاء الأنا أو على الأقل جزءا منها يتقمص المبادىء الوالدية . فتكوين الأنا يبرهن على أنها قد تكون خليفه للأنا الأعلى فى حالات نادرة جداً أو تفقد سيادتها المطلقة على كل من الأنا الأعلى أو الهى وهو ما يعد مصدرا أخر لخطر محتمل .

ومن الممكن أن تكون الأنا الأعلى ناقصة النمو تاركه الفرد بدون ضمير رادع أو ذات مثالية . فالاطفال الذين نمو بدون الحصول على الحب الكافى ولم يتشربوا المبادىء المناسبه يفتقدون التجاوب المناسب لتفاعل الأنا مع الأنا الأعلى ، ويفقدون وخز الضمير إزاء عدوانهم على الأخرين . (Freud, 1961 b) . وأكثر من ذلك فالأنا الأعلى مثل الهى قد تكون صارمة وقد تكون متسيبة (أو تتردد مابين الصرامة والتسيب) . فالأنا المثالى تنشد الكمال من الأنا ، وربما تصبح طفولية وتبالغ فى تحقيق إنجازاتها الحقيقية ثم تصبح بعد ذلك هذه الإنجازات غير ذات قيمة ، أو قد يكون الضمير دائم النقد فيتجأوز ويعاقب الأنا على سلوك شرعى ، ويسيىء التعامل معها فيخضعها ولايعالج مشاكلها ويهددها بالعتاب المستمر على أفعال حدثت فى الماضى البعيد وأخذت طريقها للنسيأن فى نفس الوقت .

إن عذاب الضمير اللاشعورى المفرط قد يكون سببا فى سلوك محظور أو فى الانتحار . مثل هذا الشخص يمكن أن يرتكب جريمة أو يقوم بأفعال مؤذية وضارة ، يهمل فى عمله ودراسته ويتخذ وجهته الى الأسوأ عندما يُمدح ويشعر بالارتياح عندما يُعاقب . ومن الغريب أن الأنا الأعلى قد تكون عديمة الشفقة ، وخاصة لو كانت أساليب التربية الوالدية غير متسقة وتقوم على التذبذب أو تتردد بين اللين والشدة . فقد يزيد الأب المتسامح أو المتساهل فرص الطفل لعداء ذاته . والاهم من ذلك أن تكوين الأنا الأعلى عملية معقدة فلاتقتصر فقط على تقمص معايير الوالدين ، ولكن أيضا على أنقاض عقدة أوديب التى تحللت لدى الطفل - وفيما يلى ملخص لما سبق شرحه عن تركيب الشخصية لدى فرويد .

م	الهى ID	الأنا Ego	الأنا الأعلىSuperego
١	نولدمزودين بها	تتكون من الهى عند ٦ - ٨ شهور، تنتج عن خبرة الفرد بحسمه والعالم الخارجي .	تتكون من الانا عند ٣-٥ سنوات ، وتنتج عن التوحد مع معايير الوالدين وتحلل عقدة أوديب .
٢	لاشعوريه تماما	تتكون من جزء شعورى وآخر لاشعورى وثالث قبل شعورى	تتكون من جزء شعورى والأخر لاشعورى .
٣	تقوم بالعمليات الأولية البدائية فهى فوضويه لامنطقية- لا اخلاقية - ليس لديها احساس بالوقت والمنطق يمكنها فقط اشباع الرغبات فى الخيال	تقوم بالعمليات الثانويه كالاعمال المنطقية - حفظ الذات - حل المشاكل .	تعمل من خلال تشرب الاخلاقيات وربما تكون واقعية أو غير منطقية وتثير مشاعر الانا بالذنب أو الكبرياء أو الاحتكار .
٤	تندفع تبعا لمبدأ اللذة ، وتعبر عن الدوافع والتوترات البيولوجية .	تعمل تبعا لمبدأ الواقع ، وتؤخر أشباع الحاجات إلى ان تأتى فرصة مناسبه لكى تتجنب الاخطار والخطأ والعقاب .	تحركها الطاقة المحدده التى كونتها وتلتزم بمعاييرها .
٥	تتكون من غرائز فطرية موروثه تختلف فى قوتها من شخص لاخر .	مركز الانفعالات ، تتضمن القلق وتستخدم ميكانزمات الدفاع .	تتضمن الأنا المثالية (المعايير التى تعد صحيحه) وكذلك الضمير .
٦	ربما تكون قويه جدا وقاسيه او قد تكون ضعيفه وينتج عن ذلك فى كلتا الحالتين المرض النفسى .	كلما كانت الأنا قوية كلما تحققت سويه الشخصيه وصحتها	ربما تكون قويه جداً وقاسيه ، وقد تكون ضعيفه وينتج عن ذلك فى كلا الحالتين المرضى النفسى .
٧	تمثل من بعض النواحى المكون البيولوجى للشخصية	تمثل الى حد ما السلطة النفسية التنفيذية فى الشخصية .	تمثل من بعض النواحى المكون الاجتماعى للشخصية .

نمو الشخصية :

منذ لحظة الميلاد ، والهى يصلها فيضان جارف لاينقطع من طاقة الليبيدو التى تبحث عن مخرج لها باستمرار ، وتمر عملية نمو الطفل خلال سلسلة من المراحل النفسى جنسية Psychosexual ، ولكل مرحلة خصائصها ومناطقها الجسمية الشبقية التى تكون المنبع الأول للذة حيث يمر الطفل بتطور نمائى فى الجوانب الجسمية والعقلية والحركيه وغيرها .

وقد أقام فرويد نظريته فى هذا الشأن على أساس أن الحاجات والدوافع هى القوى المحركه للشخصية ، وفى فترات مختلفه أثناء الطفوله تظهر حاجات معينه مرتبطه بمناطق بعينها من الجسم (كالفم - والشرج ، والأعضاء التناسلية) وتكون هذه الأجزاء موضع متعه جنسية وتوتر فى الوقت ذاته (حيث اعتبر أن كل لذة حسية هى متعة جنسية) ، ومن ثم فقد حدد أربعة مراحل للنمو النفسى الجنسى هى المرحلة الفمية ، والمرحلة الشرجية ، والمرحلة القضيبية والمرحله التناسلية ، وتوجد فتره كمون بين المرحلة القضيبية والتناسلية وهى لاتمثل مرحلة نمو فعلى ولاتوجد منطقة شبقية مرتبطه بها - وقد ذهب فرويد فى اعتقاده الى أن الطفل أثناء المرحلة الفمية يحقق اللذة الجنسية عن طريق الفم من خلال الرضاعة ، والمص والمضغ والعض والبصق ثم يحقق اللذة الجنسية من احتباس أو طرد الغائط أو اللعب فيه ، وبعد ذلك تصبح المنطقة التناسلية مصدراً للذة التى يستمدها من ملاحظة وملامسة أعضاءه التناسلية والذى يمتد الى ملامسة أجسام والأعضاء التناسلية للآخرين وأخيراً تصل اللذة شكلها التام فى مرحلة المراهقة والفترة المبكرة من الرشد وتلعب دوراً أساسياً فى التعلق بالجنس المخالف .

وقد لاحظ فرويد أن الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى فى سلسلة النمو قد يعاق بفعل العديد من العوامل التى تؤدى لاكتساب سمات شخصية غير سوية كالتثبيت عند مرحلة شبقية معينه ، وإعاقة النمو الناتج عن الإحباط أو التدليل أو الصور الأخرى من أخطاء التنشئة .

التثبيت *وتكون السمة : Fixations & Trait Formation

إندهش فرويد لتكرار حدوث سمة طفلية وجدها فى مرضاه بينما كان يحاول فهم

* التثبيت : هو تركيز الرغبة الجنسية على شيىء ما كتعلق الطفل تعلقاً مغالىً فيه بأحد الوالدين .

وعلاج أضطراباتهم الشخصية ، ويبدو أن القدرة العقلية لاتتحكم فى ظهور هذه الإتجاهات البدائية : حتى مرضاه الأذكياء أظهروا سمات طفليه عند فحصه لهم كما أظهرت المرأة مرتفعة الذكاء المتعلمة والناضجة التى تمتعت برباطة الجأش فى المقابلات الأولى إنفعالات عاطفية ورغبات طفليه تبدو خارج تحكمها الشخصى .

وحير الحدوث المتكرر لمثل هذه الظواهر فرويد كثيراً مما أدى به الى افتراض أن هذه النوازع كانت تثبيتات (رواسب) من المراحل المبكرة التى لم يتخلص منها المريض . ويمكن تفسير هذه العوامل المتضاربة المتقلبة على أنها نوع من الإعاقه أو الضعف الجزئى لسمات الشخصية وليس توقف تام للنمو حيث كان المريض راشداً من جوانب عدة .

إن هناك سمات وانفعالات معينه من مرحلة الطفولة المبكرة والتى حلت محلها سمات وإنفعالات أكثر نضجاً ، هذه السمات تستمر نشطة فى الشخصية ويكون لها عادة تأثير ممزق، توصل فرويد فى النهاية الى إستنتاج مُؤداه أن الاتجاهات الطفلية أصبحت صفات دائمة لشخصية الراشد ، وكانت هذه السمات فى الحقيقة بمثابة الملامح الرئيسية للشخصية فى حالات عديدة من المرضى - ويستطيع المرء أن يتبع أنماط عدة للسلوك المؤدى اليها : - كاختيار الرفيق، والاختبار المهنى، والاهتمامات الإبداعية والأنشطة وحتى ملامح الشخصية مثل نظام اليقظة والتفاؤل وما شابه ذلك .

وأصبح فرويد أكثر اقتناعاً بأن سمات الشخصية تتكون فى الطفوله المبكره ، وأن التطور التالى للشخصية هو مجرد تطور لهذه السمات ، كما ذهب إلى أن هذا المبدأ ينطبق على النمو السوى والشاذ ، ففى حالة الشخص الشاذ (غير السوى) تسبب السمات التى ترجع رواسبها الى مرحلة الطفولة صعوبات كثيره لأن هذا الشخص غير السوى يعبر عنها بصراحه وبطرق بدائية وسلوك لايقبله المجتمع . أما الشخص العادى (أو السوى) فلديه سمات طفولية أكثر إعتدالاً كما يجد طرقا للتعبير عنها بأساليب يتقبلها هو وكذلك الآخرون . على سبيل المثال قد يكون للمرء رغبة دائمة فى الأنشطة الفمية والتى يعبر عنها بأشكال مختلفة على مدى مراحل مختلفة من حياته : فقد يستمتع الطفل بمص إبهامه أو قضم أظافره ويستمتع كمراهق بالأكل بشراهة وكراشد بقراءة وإعداد أطعمة عديدة، كما تصبح الرغبة الفمية قوة مسيطرة فى حياته وتكمن وراء معظم دوافعه . بإختصار قد يصبح شكلاً معيناً من الرغبة فى الحصول على اللذة راسخا ومطبوعاً بشكل دائم فى تكوين الشخصية نتيجة لخبرات مبكرة معينة تعارضت مع النمو الطبيعى .

إعاقة النمو :

ما الذى يمكن أن يسبب إيقاف (كبح) النمو فى مرحلة مبكرة ؟ لقد توصل فرويد الى نتيجة مؤداها أن هناك سببين أساسين هما : الإحباط الزائد excessive frustration والتدليل الزائد excessive indulgence فإذا أحبطت حاجات الطفل بصورة زائده، أو أشبعت بصوره زائدة فإن جانب من الشخصية يتوقف او يعاق نموه الى درجة ما . وقد تنشأ الحاجة الزائده نتيجة لإعاقة النمو - وأطلق فرويد على هذه العمليه لفظ التثبيت Fixation .

فى حالة النمو الطبيعى يتم التعبير عن حاجات المرحلة المبكره بطرق مقبوله إجتماعيا اكثر منها بطرق بدائية ، ومن ثم تؤجل مكتسبات كل مرحله من مراحل النمو الى المرحلة التالية ، لكن فى النمو الطبيعى نجدها تعزز وتدعم الأنماط التى تظهر . النقطه الأساسية هى أن تحت ظروف من الإحباط الزائد أو التدليل الزائد تصبح للدوافع قيمة أعلى ويعوق النمو . وتكمل هذه الدوافع الحاده الدوافع التى تسيطر على المرحلة التالية من النمو ، فالطفل الذى تعلم إستخدام العناد والسلبيه كوسيلة (للحصول على إهتمام والديه)، قد يواجه صعوبات اذا ما استخدم نفس الأساليب مع رفاق اللعب. وفيما بعد يمنع التثبيت فى المرحلة السلبية نمو الأساليب الاجتماعيه الأكثر فعاليه للتكيف . إن الطفل الذى يستمر فى الحصول على اللذة الفمية عن طريق مص الإبهام لايواجه فقط عدم قبول إجتماعى ولكنه يفشل فى الحقيقه فى إكتساب أساليب مقبوله للحصول على الإشباع الفمى الذى يتناسب مع عمره . ويفسر لنا مبدأ تثبيت الحاجات نتيجة للإحباط والتدليل الزائدين كثيرا من سلوك الراشد والذى يبدو من ناحية أخرى مبهم - حيث يحدث الإمتداد المؤقت للاشكال المباشرة للسلوك والأنماط البدائية للإستجابات بصورة متكرره ، وقد أقر فرويد هذه الظاهره فى تصوره للنكوص regression فمن خلال التثبيت تصبح الصفه الطفليه سمه دائمة إنها بالمعنى الحقيقى سمه مميزه للشخصيه .

بعد طرح وجهة النظر هذه حول تكوين الشخصية يمكننا أن نرى كيف يولى فرويد أهمية كبيره لسنوات الحياه المبكره والتى تسمى بالسنوات التكوينية عندما ترسى اسس ومكونات الشخصية . وعلى الرغم من أن كل عالم نفسى مهتم بالشخصية يولى إهتماماً كبيراً للأثار الهامة للسنوات المبكرة من العمر والتى يتم خلالها معظم جوانب التعلم ؛ إلا ان فرويد ذهب أبعد من ذلك بخطوه، فقد قرر أن بناء الشخصية يتكون دائما من خلال

خبرات الطفل خصوصا اللذات (الرغبات) والإحباطات . والسمات التى تتكون خلال هذه المرحلة تكون غير قابله للتغير تماما . وفى الحقيقه أنه كلما نما الطفل ساعده الكثير من الظروف على نمو السمات المبكرة مثل : إنتقاء الادراك ، التكرار المحض ، الخوف من التغير ، عدم الرغبة فى التخلى عن لذات معينة وهكذا .

كلنا نعرف أناس يبدو أنهم يتمتعون بسمات وأنشطة أكثر ملائمة للمراحل المبكرة للحياة ، فالولد اليافع الذى يستطيع فقط اللعب والانسجام مع الأطفال الأصغر منه سناً يعتبر مثال لذلك ، ومثال أخر يتجلى فى الأب الذى يستمتع بلعب إبنه تماما مثلما يفعل الإبن الصغير . ويبدو أنه اذا لم نحصل بقدر كاف على مانريد فى وقت معين فإن الرغبة تكمن دون أن تشبع ، والحاله الآتيه قد توضح هذه النقطه : زوجه شابة كرست جزءاً كبيراً من وقتها للقراءه عن أحدث صيحات الموضة الخاصة بالزفاف تقرأ بولع كل مقالة فى مجلة عن هذا الموضوع . شاهدت كل برنامج فى التليفزيون يركز على المتزوجين حديثا ، وكانت دائماً تحلم بحفل زواج تزينه الألوان ، لكن زوجها وعائلته عارضوا هذا لأسباب مالية وغيرها . كانت تساير على مضض حفالات الزفاف الصغيرة غير الرسمية ، إلا أن الرغبة غير المشبعة ظلت مصدراً للتأثير على سلوكها للعديد من السنوات حتى انها أدت الى سلوك إعتبره أصدقائها صبيانى الى حد ما ومن المحتمل أن تكون هى الأخرى إعتبرته كذلك .

مثال آخر لاستمرار الحاجة (الرغبة) أبعد من الوقت الذى تكون فيه ملائمة ألا وهو المغازله الدائمة - فقدر معين من الإستجابة للجنس الأخر يعتبر أمر صحى فى كل الأعمار كالمراهقة وما بعدها ، أما الرجل الكهل الذى يغوى النساء والمغازل الذى لايكل والذى يحلم دائما بالانغماس الرومانتيكى التام يعتبر شاذاً .

حدد فرويد دور دائم فى نظريته لتصوير الحافز اللاشعورى . على الرغم من أن السلوك خلال الحياة يرجع الى الحاجات إلا أن الفرد عادة لايكون مدركاً للحاجات الحقيقية التى تكمن خلف سلوكه هذا ، وهذه الأفكار سوف تتطور فى مناقشة الصراع فى نظام فرويد ، والمسأله الأساسية هى أن كثيراً من السلوك الذى يتمتع به الراشد يكدس لخدمة الحاجات اللاشعورية التى تنشأ فى الطفولة .

دور عمليات تنشئة الطفل فى تكوين السمة :

إن للوالدين التأثير الأكثر أهميه خلال الأعوام القليلة من حياة الطفل ، وبالتدريج يلعب أناس ومؤسسات أخرى دوراً أيضا فى حياته . وتصبح الأوامر والنواهى هامة بصورة

زائده، وتدعمها بجزاءات متنوعة : إعطاء أو منح الحب، النقد والعقاب، الرفض أو الصد، فليس من الغريب أن يعطى تلاميذ فرويد وأتباعه أهمية كبرى لعملية تنشأة الطفل .

إن على الوالدين وسلطات أخرى مساعدة الطفل على تعلم الدروس الهامة للحياه دون أن يُمنح تدليل أو حرمان زائد أثناء عملية تربيته، وإن عليهم إن يعملوا لاجل سعادة الطفل حتى يستطيع ان يضطلع بشئون حياته، وهذه عملية تحدث بالتدريج على مدى سنوات عديده ، لايحتاج المرء أن يجهد خياله ليرى كيف تصبح طريقته الخاصه فى الحياة (نماط حياته) - التى يخلقها سلوك الوالدين نحو طفلهما - وكيف تصبح عادته أثناء العام الأول من الحياه، عندما يسيطر الأسلوب الإتكالى فى التعامل مع العالم، فإن الوالدين المتسامحين بدرجة كبيرة قد يعملان على تثبيت هذا الأسلوب لدى الطفل . وما لم يكن هناك فرصة للطفل للتغلب عن الإحباط أو يتعلم بالتدريج أن يستخدم أساليبه هو للحصول على مايريد ، إذا مُنح له كل شىء بدون قيد أوشرط، فإن هذا الطفل سوف ينمو لديه تكيف إتكالى راسخ وعدم استغلال لفرص الحياة ، وقد تنمو لديه عادة قوية لتوقع أن يقدم له كل شىء أو أن ينفذ له كل ما يرغبه .

أجزاء الجسم ومراحل النمو :

قدم فرويد إقتراحاً جديداً مؤداه أن مراحل تطور الشخصية يسببها أو يصاحبها فى أوقات مختلفة - بروز أهمية أجزاء مختلفه من الجسم مثل الفم ، الإست، والأعضاء التناسلية ، تحدث لذة خاصه ناتجه من إشباع الحاجات عندما تصبح منطقة من الجسم أكثر أهمية ، وأثناء عملية الإشباع هذه يقابل الطفل أناس لهم أهمية فى حياته ويتحقق له إشباع سوى أو يقاسى إحباط أو تدليل .

وهكذا يسبب التثبيت عند مرحلة معينه من مراحل النمو يحدث ما أسماه فرويد نمط الشخصية والتى تظهر من خلال مجموعة من السمات . ويمكن تفسير نمط الشخصية على أنه مجموعة (أو إطار معين) من السمات المترابطه . فقد نتحدث - على سبيل المثال - عن أنماط الشخصية الفمية وكذلك السمات الفمية . وهناك متغيرات معينة خاصة بسمات الشخصية الفمية، وهذه المتغيرات تعتمد على الوقت الذى حدث فيه التثبيت أثناء المرحلة الفمية .

يذهب فرويد الى وصف كل فرد عن طريق واحده أو اكثر من سمات الشخصية هذه جنبا الى جنب مع تجمعات السمات الكامنه، وقد توجد سمات معينه فى شكل باثولوجى

وتكون حالة غير عادية فى الشخصية ، ومثال ذلك يتجلى فى أنماط الشخصية الشرجية التى تظهر فى أشكال متطرفة لثلاث سمات كالعناد، والشح (البخل)، والنظام ، وتوجد هذه السمات وتجمعاتها لدى الأسوياء من الناس ولكنها ليست عوامل بارزه فى الشخصيةولكن عندما تصبح هذه السمات جزء لايتجزأ من نمط الحياه ، وعندما تصبح هذه العوامل المحددات الأساسية لسلوك الفرد عندئذ فقط تمثل إضطراباً فى الشخصية .

١- المرحلة الفمية :

وتستغرق الفترة من لحظة الميلاد حتى ١٢-١٨ شهراً الأولى من حياة الطفل ، يكون فيها الفم بمثابة المصدر الأساسى للحصول على اللذة ، ويكون فى الوقت نفسه مصدراً للصراع والإحباط ، ويحاول فرويد جاهداً (وعبثاً بالطبع) إقناعنا بأن ما يقوم به الطفل من عمليات كالرضاعة والمضغ والعض ما هى إلا عمليات جنسية تتركز الرغبات الجنسية فيها حول منطقة الفم واللسان والشفتين، وتشبع من خلال إمتصاص ثدى الأم أو الحلمة البديله التى لاتمده بالغذاء فحسب بل تمده باللذة أيضا وكما يرغبها فيقول "من الطبيعى أن يخدم الإشباع الفمى حفظ الذات من خلال إمداد الطفل بالغذاء مثلما يمده بنوع من الإشباع السيكولوجى وليس هناك تعارض فى ذلك ، فإصرار الرضيع على المص كدليل على الحاجة للإشباع فى المرحلة الأولى، وإن هذه الرغبة لتناضل وتكافح من أجل الحصول على اللذة باستقلال عن الغذاء ، ولهذا السبب يمكن إرجاع ذلك الى رغبة جنسية. والصورة الجلية لهذا النشاط الجنسى أنه غير موجه نحو الآخرين حيث يحصل الطفل على إشباعاته النفسية من جسمه . ولاأحد يمكنه أن ينكر عند رؤية الوليد البشرى وهو يمص ثدى الأم وقد إحمرت وجنتيه وعلت البسمة شفتيه ثم راح فى نوم عميق إن هذا إلا تعبير عن رضا جنسى" .

وحيث أن اشباع هذه الرغبة لايتحقق للطفل على الوجه الأكمل لسببين :

الأول : أن يحد القائمون على رعاية الطفل من متعته التى يستمدها من الرضاعة والمضغ والعض والتلفظ أو الكلام - حيث تصبح الأم قلقة حين يمص الطفل إبهامه أو يعض لعبته أو يحاول الغناء بدلاً من أن ينام أو عندما يلعب بطعامه ويخرجه من فمه بدلاً من بلعه ، ومن المتوقع للطفل أن يطيع أمه فيما يتعلق بالنشاط الفمي ويتحرك بالتدريج صوب التحكم الفمى حيث يتم إنتقاده وعقابه إذا لم يطيع ، فى حين أنه يُمتدح ويكافىء

فى حالة إلتزامه، فقد يتعلم الالتزام بتناول الطعام مع باقى أفراد الأسرة وعليه أن يسلك نفس المسلك الذى ينتهجوه هم.

الثانى : إنه لايمكن تفادى مواقف الإحباط والصراع لانه لايمكن بالضرورة توفير الطعام عند لحظة الجوع، ولأن الطفل يجب أن يحرم أخيراً من مص الثدى الذى كان مصدر لذته (عملية الفطام) فذلك هو الدرس الأول من الدروس العديدة التى يتلقاها الطفل فى الإذعان لمطالب المجتمع، كما تسهم بعض الممارسات السلوكية العدوانية من قبيل عض ثدى الأم أثناء الرضاعة فى سحب الثدى وحرمان الطفل من عملية الرضاعة ومن ثم عدم إشباع الرغبة الفمية لديه .

الأساليب الفمية الأساسية :

تختلف الأساليب الفمية أثناء المرحلة الفمية ، ومن هنا يمكن التمييز بين الأساليب الفمية المبكرة والمتأخرة حسب ظهورها، وتتمثل الأساليب الفمية الأساسية فى المص والعض، والبصق، والمضغ، وإحكام الفم حتى لايدخله شيىء . لذلك توجد سلسلة متعاقبة من النمو تبدأ بالتفاعل السلبى (المص) وتتم خلالها التغذية عن طريق الثدى، ثم المشاركة الإيجابية (العض والمضغ) وأخيراً الرفض (غلق الفم) ، وقد تحدث عملية التثبيت (أو الولع المرضى بشىء) عند أى نقطة فى هذه السلسلة النمائية كنتيجة لسلوك الأم مع طفلها ، فالإم التى تستمتع بالإفراط فى الرعاية لدرجة كبيرة وتجعله دائماً فى وضع التلقى أو التفاعل السلبى تؤدى به لأن يكون على مدار حياته سلبى واتكالى ويتوقع بتفائل أن يتلقى دعما ومساعدة من مصدر سخى لايكل ولايمل ، وقد تؤدى خبرات التنشئة المبكرة الممتعة لدى الطفل الى تكون نظرة وردية متفائلة عن الحياة إعتقاداً منه بأن كل شيىء سوف يسير دائماً على مايرام ، أما إذا ضنت الأم على طفلها بالحب والرعاية وجعلته يقاسى الحرمان من إشباع حاجاته ورغباته فقد تنمو لديه سمة الاتكالية الممتزجة بمزيد من الحسد والغيظ من محاسن الأخرين أو مما أوتى الأخرون من نعم .

السمات المرتبطة بالمرحلة الفمية ، وأنماط الشخصية الفمية :

وصف فرويد ومن سار فى فلكه مثل مادى (Maddi, 1972) أهم سمات الشخصية الفمية فى شكل ثنائى القطب بهدف عرض الأثار النفسية المترتبة على عملية التثبيت عند هذه المرحلة والذى يرجع كما ذكرنا الى التدليل والإفراط فى الإشباع أو إلى الإحباط

والحرمان، ويلاحظ ان كلا النقيضين غير مرغوب لأنه يعوق سير النمو الطبيعى ، ومن هذه السمات التفاؤل مقابل التشاؤم ، والسذاجة مقابل التشكك، والمشاركة مقابل السلبية، والإعجاب مقابل الحسد والغيرة، والغرور مقابل تحقير الذات، وبذلك يمكن وصف بعض الأنماط الفمية للشخصية على النحو الأتى :-

أ- التفاؤل / التشاؤم : بالرغم من أن معظمنا يميل لأن يكون وسطا بين هاتين السمتين إلا أن بعض الناس يكونوا متفائلين أو متشائمين بدرجة مبالغ فيها، وقد يروق لك أن تدرس موقفك واتجاهك فى هذا الصدد من خلال الإجابة على بعض الأسئلة من قبيل: هل تشعر بأن العالم مكان آمن تتكيف معه بشكل مريح جداً؟ ، هل تنظر إلى المستقبل بدون خوف وتتوقع أن تحصل على نصيبك أو أكثر من الأشياء الطيبة فى هذه الحياة؟ ، هل لديك إحساس ثابت بالثقة والأمل والرجاء بأن الأشياء الحسنة والخيرين من الناس- وليست المآسى والشريرين منهم - سوف يصبحون جزءاً أساسيا من وجودك وكيانك؟ عندما تظهر الأشياء والأحداث غير السارة هل تجد فى نفسك القدرة إلى حدما على الانسجام والإحساس بالأمل فى غد أفضل؟ . إذا كانت إجابتك بنعم على هذه الأسئلة أو أغلبها فإنك تبدى سمة عامة من التفاؤل ، كما تبدى توقعاً لحدوث الأشياء الحسنه بشكل دائم. مع ملاحظة أن التفاؤل صفة مرغوب فيها للحياة الفعالة إلا أن التطرف فيها قد يؤدى إلى اللامبالاة ونقص الإعداد الملائم أو التحسب والتوقع للأخطار والضغوط المستقبلية.

أما إذا وجدت أنك غير راضٍ أساساً عن الظروف الراهنة ولديك صعوبة فى تحديد ما تريد، ووجدت أنك معرض للعديد من مصادر التشتت، عندئذ يمكن وصفك بأنك شخص متشائم ، وتتأكد مصداقية ذلك إذا أدركت أن ظروفك لاتتضمن ما يبعث باستمرار على التفاؤل وأن تجد صعوبة فى إنجاز أقل الأعمال لدرجة أنها تثير فيك قدراً كبيراً من الخوف والقلق وتوقع أسوأ النتائج حتى لو كان احتمال حدوثها فى أدنى درجاته .

ب - نفاذ الصبر وعدم واقعية التوقعات:-

تصف هذه السمات ذلك الشخص غير الراضى دائماً عن الأشياء بوضعها وشكلها الراهن ، وغير راضٍ عن الآخرين ، وحتى عن نفسه وهى تنبع من الإحساس بعدم الثقة كنتيجة لإحباط الرغبات المبكرة، والاضطراب الحادث فى اتجاه تأكيد الذت أثناء

الاطوار المتأخرة من المرحلة الفمية، هؤلاء الأشخاص لديهم رغبة ملحة لامتلاك اكثر مما يمتلكون فى الوقت الراهن ، ويكون الشخص نافذ الصبر فى علاقته مع الاخرين لانهم لايتفقون مع توقعاته عنهم ، ويعادى كل من يفشل فى ضمه إلى صفه .

جـ- الحسد :

تنشأ هذه السمة كنتيجة لإحباط إشباع الحاجات أثناء الطور المصى من المرحلة الفمية . ويتصف من لديهم هـ ـ السمة بالدافعية القوية لامتلاك اكثر مما قُدر لهم من مُتع الحياة ، كما أن لديهم شك وامتعاض مما يصل إلى سمعه عن ثروات الاخرين - وتكثر هذه السمة فى المجتمعات الرأسمالية رغم ما يقال ان لدى كل الأفراد فرصاً متكافئة للنيل من متع الحياة فى حين يستطيع القليل منهم أن يظفر بها - ويرى الشخص الحسود - بغض النظر عما يمتلك من مقتنيات - أن ممتلكات الغير تفوق مالديه . بالرغم من ان الدرجة المعتدلة من الحسد تعد ايجابية وباعثه ومحفزه، أما اذا كانت سمة قوية ومسيطرة فإنها ستصبح مصدراً للعذاب والقلق والامتعاض والاستخفاف بالذات أو احتقارها وقد تكون مصدراً للعدائية والعدوانية على الآخرين .

٢- المرحلة الشرجية :

لقب فرويد المرحلة الأساسية الثانية لتطور الشخصيه بالمرحلة الشرجية - ورغم أن هذه التسميه شاذه وغريبه إلا انه هدف من وراءها إلى إلقاء الضوء على المصدر الأساسى لإهتمام ونشاط الطفل خلال هذه المرحلة ،رغم بقاء الرغبات الفمية نشطه خلال هذه المرحلة لكنها لاتكون بارزه كما كانت من قبل وتصبح الغلبه للاهتمامات الشرجية ، وتمتد هذه المرحلة من الشهر الثامن عشر حتى منتصف السنة الرابعة (ثلاث سنوات ونصف تقريباً) وهى فترة التدريب على الإخراج - حيث يبدأ حصول الطفل على بعض الإشباعات الجنسية من الإحساسات الجسمية المصاحبة لعملية الاخراج ، ويستمد اللذة من احتباس أو طرد الغائط ، وتؤدى الأخطاء المرتبطه بالتدريب على أعمال الحمام (التواليت) إلى التثبيت الشرجى والذى يأخذ عادة أحد صورتين هما المنع والاحتفاظ Witholding أو التفريط Contributing وما يرتبط بهما من سمات . فهذا التدريب يمثل أول موقف يتعلم خلاله الطفل التأجيل أو التعجيل لاشباع دوافعه الغريزة من خلال سلوك الأم معه ، فهو يشعر ان لأمه القدرة على عقابه أو انتقاده أو مدحه وتملقه، وله هو

أيضاً اساليبه واسلحته فقد يؤكد استقلاليته عن سيطرة الأم برفضه التعاون معها أو من خلال إخلاله بالنظام ورفض المحافظة عليه أو بتلويث ملابسه . وإذا كان لهذه الفترة أهميتها فى نمو الطفل فإن لممارسات الأم دوراً هاماً فى دعم هذا النمو وخاصة ما يرتبط منه بعملية الاستقلال، ولذلك فقد يبدى الأطفال ثورة وعناداً ضد التدريبات الصارمة على أعمال الحمام ، ويرى فرويد أن هناك خطاً فاصلاً بين تشجيع ومساعدة الطفل حتى يصل إلى حد الانسجام والتعاون مع أمه وبعد ذلك مع المجتمع ، وبين إعاقة وتشويه نمو الأنا لديه وذلك عن طريق التحكم الزائد. ولاشك أن الطفل في حاجة ملحة لتأكيد ذاته حتى ينمو بشكل طبيعى وهو فى حاجة أيضاً للتوجيه والإرشاد ، ومن الخطأ أن يفسر الوالدين مثل هذه السلوكيات بأكثر مما تحتمل ، كما أنه من الخطأ أن يستجيبوا للرفض والعناد على أنها نزعة تحدى لهما والتعامل معها بقدر كبير من الانفعال الهدام .

ومن الخطر أن يدخل عنصر المنافسة فى عملية التدريب على الإخراج - فإذا نجحت صديقات الأم فى تدريب أطفالهن على الإخراج أو ادعو ذلك ، وشعرت أن طفلها متأخر عمن هم فى مثل سنه ، فقد تحاول أن تظهر تفوقها وإحراز نجاح غير عادى ومبكر فى تدريب طفلها على التحكم فى عملية الإخراج ، وتفسر أى فشل من جانب طفلها على أنه فشل لها هى - وليس كنتيجة ملحة من قبل الطفل لتأكيد استقلاليته - ومن ثم يزداد رفض الطفل التعاون معها، وينشأ الصراع لديه بين أنشطته من أجل الحصول على اللذة ومن يرغمونه على الالتزام بقيودهم ويحرمونه من مزاولة تلك الأنشطة ، ويعمم ذلك بشعور مؤداه أن عليه أن ينصاع للعالم الخارجي وأن ينسجم مع معايير لايقبلها ولايقرها، وعليه ان يتخلى عن مصدر الحصول على اللذة وأن يفعل ذلك بملىء إرادته .

كما يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الرغبات الوالديه تمثل عاملاً أخر يضاف لصراعاته، والتى من الممكن أن يستغلها الوالدين فى تدعيم التدريب الجيد على الإخراج ، فإذا عامل الوالدين الطفل بقسوة وخشونة، وأربكو الطفل بالعديد من المطالب والتحكمات دفعوه إلى الانخراط فى أنشطة يؤكد ذاته من خلالها ، ويكمن فى هذه الأنشطه جذور التعارض بين الطفل وأمه، وبين الطفل وأى سلطة أخرى. وهكذا تنمو لدى الطفل سمات الإذعان ولين العريكة أو المقاومة بناءاً على ما تعرض له من إحباط أو تدليل، ويتعلم بعض المبادىء التى تساعده على التكيف والانخراط فى الحياة، فقد يأخذ الأشياء مأخذ الجد أو يتغاضى عنها، وقد تعترى مبادئه بعض التشويه والمبالغة إلى أن

تصل إلى حد العناد والالتزام والشح أو البخل أو الكرم ، ويربط فرويد بين مبالغة الأم فى تقدير إنجاز الطفل لعملية الإخراج وبين مبالغته فى تقدير أنشطته وتقدير إنجازات الأخرين ، وقد يصبح الشخص الذى يبالغ فى تقدير أعماله مبدعاً ومنتجاً، وقد ينشد الإطراء دائما والموافقة على أعماله الهزيلة والإنجازات المحدودة، وتلعب الاستعدادات الفطرية دوراً هاماً فى هذا الشأن جنباً إلىجنب مع عملية التدريب .

السمات الشرجية وأنماط الشخصية :

ذكر فرويد ومشايعيه العديد من السمات ثنائية القطب كسمات شرجية (لكل منها جذوره أثناء المرحلة الشرجية وكلها تعبربطريقة أو بأخرى عن الإخراج أو الاحتباس)، وتمثل الأشكال المتطرفة لهذه السمات حالات شاذه فى حين تكون الدرجات المعتدلة منها عوامل مساعدة على النمو السوى ، وأهم هذه السمات : الكرم / البخل ، الإذعان/ العناد، النظافة والمحافظة على النظام/ القذارة ، الدقة الصارمة/ الإهمال ، الحكمة والمرونه / ضيق الأفق - وتنطبق هذه السمات على كل الأفراد بدرجات متفاوتة لأنها ضرورية لمواجهة مستلزمات المعيشة فى حياة إجتماعية ، فالشخص الدقيق فى عمله قد يكون بخيلاً أو عنيداً ، والشخص النظيف قد تكون لديه افكار تدل على ضيق الأفق ويفقد جزءاً من احترام الآخرين .

٣- المرحلة البولية :

هذه المرحلة ليست واضحة المعالم كالمرحلة الفمية أو الشرجية ولم يتناولها فرويد بإسهاب . وفى هذه المرحلة يتحول الحالب الذى يحمل البول من المثانة إلى منطقة شبقية، وعلى الطفل أن يتعلم كيف يتحكم فى عملية التبول، وفى هذه المرحلة ينشأ الصراع مع مشكله التبول اللاإرادى .

٤- المرحلة القضيبية :

لم تنل مرحلة من مراحل النمو من اهتمام فرويد مثلما نالته هذه المرحلة محاولاً إقناعنا بالنشاط الجنسى للطفل خلال هذه المرحلة ! والتى تبدأ من السنه الثالثة تقريباً وحتى الخامسة أو السادسة . وتصبح الأعضاء التناسلية فيها مصدراً للحصول على اللذة، وتبدأ مبكراً باستطلاع أجزاء الجسم متحسساً أياها فى دهشه حتى يكتشف أعضاءه

التناسلية، ولكنها تبقى بعيدة عن موضع اهتمامه حتى المرحلة القضبية - وتشتد اللذة والتوتر من هذه المنطقة عندما يأخذ فى ملاحظة الفروق التشريحية بين الذكور والإناث واختلاف ملبس الأولاد عن ملبس البنات، ويزداد إهتمامه باعضاءه التناسلية إذا مالاحظ أن سلوكه يثير غضب الوالدين .

ويهاجم فرويد ما كان يسود عصره من حشمة وحياء لكبح الرغبات الجنسية أو ما يعرف بالعصر الفيكتورى Victorian حيث اعتبر الفعل الجنسى سلوك غير مرغوب وارجع الإضطرابات النفسية لمرضاه إلى اساليب مواجهة الوالدين لهذه السلوكيات فى هذا السن المبكر مثل معاقبة الطفل وتحقيره اذا ما داعب اعضاءه التناسلية بيده أو اذا ما كبحت رغبته الموجهة نحو الوالد المخالف له فى الجنس ! . ورغم أن عدد الأباء والأمهات فى المجتمعات الاوربية وامريكا الذين يؤمنون بالأفكار الجنسية التى ترجع إلى العصر الفيكتورى - إن صح تسميته كذلك -٠ فى تناقص مستمر واصبحوا اكثر تحرراً من هذه الأفكار واصبح الأطفال لايستطيعون تجنب المعلومات الجنسية التى تفرضها عليهم وسائل الإعلام وخاصة تلك التى تصور الجنس على انه شىء مثير وهام . غير أن هذه الأفكار التحرريه قد ذادت كما لاحظنا من السمات والمشكلات والسلوكيات غير المرغوبة لدى الأطفال فى هذه السن .

عقدة أوديب وعقدة الخصاء :

تعد عقدة أوديب من أكثر أراء فرويد التى ثار حولها الجدل ، فيبنى تصوره عن العلاقة بين الطفل وأمه على اسطورة يونانية قديمة هى أسطورة الملك أوديب Oedipus Rex الذى قتل أباه عن جهل وتزوج أمه ويدخلنا من خلال هذه الأسطورة إلى جحر مظلم اشبه بجحر الضب ليخرجنا على قضية جدلية يصعب على العقل السليم تقبلها أو فهمها وهى عقدة الخصاء . ويوضح ذلك بقوله " خلال المرحلة القضيبية تتركز الطاقة النفسية للطفل حول أمه ويبدى رغبة شديدة فيها، وتصبح الأم عشيقة له يريد امتلاكها جسدياً ويحاول اظهار عضوه الذكرى أمامها، هذا العضو الذى يعتز به ، وتعد هذه مطارحة غرامية ويحاول الطفل ان يحل محل ابيه . وخلاصة القول فأن هذه الذكورة المبكرة تبحث جاهدة لكى يكون الطفل بديلا للأب ، ويصب غضبه وحقده على والده الأكثر منه قوة والذى ينافسه حب الأم ، ويقف فى طريقه متمنيا الخلاص منه(Freud, 1969a) .

كل انسان بالسليقه مزدوج الجنس، فالصبى مثلا يتصرف بعض التصرفات الخاصة بالبنات، كما انه يعكس انطباعاً بالشعور بالغيرة من والده فى الوقت الذى يظهر ميولاً نحوه، ويعرف هذا الجهاز المزدوج من الاتجاهات نحو الوالدين بعقدة أوديب Oedipus complex ويبدو أن مشاعر أوديب كانت متطرفة إلى حداً بعيد. الأمر الذى جعل هذه الأسطوره تمثل أقصى تجربة يمر بها الكائن الحى فى قوة انفعاله . فهى تشمل كل مظاهر الحب الحقيقى، كما تشمل أقصى درجات العاطفة والغيرة والحرمان، وتثير عقدة أوديب صراعات حادة فى النفس . فالطفل تنتابه مشاعر الخوف نتيجة رغباته المحرمة ويخشى أن يفقد الحب والحماية التى يمنحها له والده، أو الحرمان من إشباع حاجاته الملحة. (Freud, 1965 d) .

وعندما يصل الصبى إلى درجة من الوعى تمكنه من إدراك الفروق التشريحية بين الجنسين. حيث يستنتج أن الإناث أيضا لديهن عضو ذكرى (البظر) ولكنه ضامر، ويفسر ذلك بأنه تم بتر هذا العضو كعقاب لهن ، ويبدأ الشعور بالخوف من أن يكون هذا نفس مصير عضوه الذكرى إذا أصر على رغباته الأوديبية، ويعرف هذا بقلق الخصاء Castration anxiety ، ولكى يتجنب ذلك عليه أن يتجنب دوافعه الأوديبيه ويحل محلها جهاز معقد من الاتجاهات. فهو :

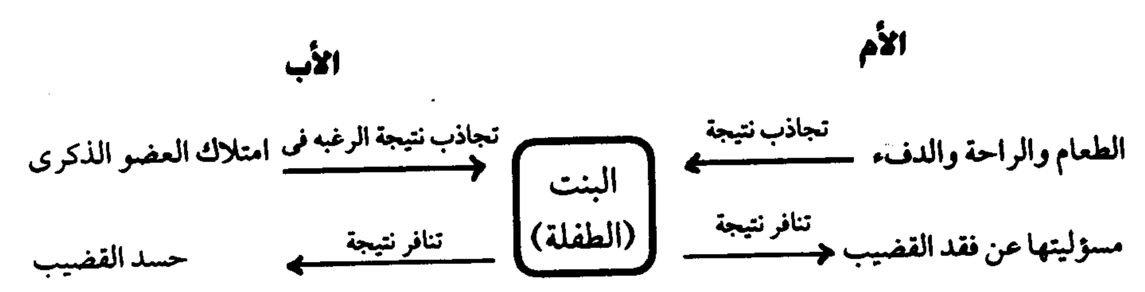
أولا - يستبدل هذا الاتجاه الأوديبى باتجاه أكثر نضجاً عن الجنس ، ويتوحد مع الأب متقمصا شخصيته نتيجة إعجابه به متمنيا أن يكون مثله بدلاً من أن يكون مكانه .

ثانيا - ينمى معلومات صحيحة ومنظمة عن سلطة الوالد كتمتعه بامتيازات خاصة فى علاقته مع الأم ليس للطفل حق فيها، كما يتعلم الانصياع للسلطة - مما يؤدى إلى اختزال قلق الخصاء نتيجة زوال الخوف من العقاب، ويستبدل تركيزه لطاقته النفسيه حول الأم بصورة الأب التى توحد معها وتقمصها .

وتندمج عمليات التوحد والتحريم فى الأنا الأعلى وتسهم فى تكوينه فتقى الفرد من الجنسية الأوديبية التى تعمم بعد ذلك فى تحريم سفاح المحارم. غير أن هذا قد يخلق بطريقة لاشعورية اتجاهاً عدائياً نحو الجنس. فالأنا الأعلى الصارم ربما ينتج عن عقدة أوديبيه قوية لدرجة غير عادية . وهذا يتطلب إجراء مضاد وقوى ، لان هذا الشخص ربما يصعب عليه تكوين علاقه جنسية شرعية بدون مساعدة نفسية، تجعله دائماً متردد فى اختياره لزوجته التى ترمز بقوة لأمه . كما تجعله يفضل العمل تحت إمرة السيدات دون

الرجال وهذا احد التأثيرات السلبية لعقدة أوديب .

والخوف من الخصاء لايمكن تعميمه على الفتيات حيث يشرح فرويد عقدة أوديب لديهن فى مصطلحات مختلفة (حيث يرجعها بعض الكتاب إلى عقدة إلكترا غير أن فرويد كان يرفض ذلك) . فلما كانت الفتاه لديها الحس الجنسى المستعار مثل الأولاد. فالفتاة تحمل الازدواج الجنسى وتحمل أيضا الاتجاهات المزدوجة (الغيرة ، والحب) لكلا الوالدين - فإنه عندما تكتشف البنت أنها لاتملك القضيب . مما يسبب لها الشعور القوى بالغيرة والدونية، وهو ما يعرف بحسد القضيب Penise envy أى حسد الذكر على عضوه الذكرى الذى تفتقد اليه ، وهو ما يؤدى إلى استعراضية جنسية عصابية أو إلى رغبات قويه لأن تصبح ولداً وتتمثل سلوكه العضلى. والامر الاكثر شيوعا ان البنت تعتبر أمها التى تشاركها نفس الجنس - هى المسئولة عن فقدها للقضيب بأن ولدتها ناقصة ذلك العضو. وهنا يزدوج رفض الأم مع الجاذبية للأب الذى يمتلك هذا العضو والذى تريد أن تقاسمه إياه ، ويختلط هذا الشعور الإيجابى تجاهه مع حسد القضيب، وقد ترك فرويد البنت معلقة بين الأم والأب مع شعور سلبى وإيجابى لكل منهما لم يحل، حيث تترك البنت هذه المرحلة ولديها صراع إقدام إحجام مزدوج يمكن وصفه كما يلى :



وطبقا لرأى فرويد فالأمل الوحيد للطفله الأنثى يتلخص فى أن يكون لها طفل ذكر مما يجعلها تفكر فى الإنجاب فى هذا السن المبكر، مما يفسر دوافع الأمومة التى لاتتحقق إلا بالزواج . وبذلك تحصل على القضيب "التهديد بالخصاء فى الذكور يؤدى بعقدة أوديب إلى نهايتها. أما فى الأناث فنجد العكس من ذلك لفقدهن القضيب مسبقاً الذى يؤدى لاستمرار عقده أوديب ، ومن علامات ظهور الرغبة فى القضيب أنهن يلعبن بالدمى doll-baby وأن يصبح لديهن طفل يعد من الرغبات الأنثوية القوية، وتصبح سعادتها كبيره إذا استطاعت أخيراً وحققت رغبتها هذه(Freud . 1963 h) .

وهكذا فأن البنت تفتقد قلق التهديد بالخصاء بطريقه فعاله وغير مباشره، وهو ما ينتج عنه أن يكون الانا الأعلى لديها ضعيف، ويكون من الصعب عليها أن تتم عملية الإزاحة بنجاح، وتبقى نرجسيتها حول أعضاءها التناسلية، ويعد فرويد بحق أول من لفت الانتباه إلى الفروق بين الذكور والاناث فى الخصائص النفسية. كما كان يعتقد أن النساء أكثر ميلاً للذهانية والعصابية، كما أكد على أن مكانها الطبيعى هو المنزل.

وهكذا يرى فرويد أن الإحباط الزائد أو التسامح المفرط للطفل وعدم تقديم التدريب اللائق والمعرفة أثناء هذه المرحلة الحرجة قد تحدث عملية تثبيت ذات عواقب سيئة على المدى البعيد مثل فشله فى دوره الذكرى أو توقف فى نمو الأنا الأعلى، وأن يجد صعوبة فى التعامل العفيف مع الجنس الآخر، ولايهدأ له بال إلا حينما يكون بين أحضان من هم أكبر منه سناً من النساء، وقد يبالغ فى تقدير قدراته الجنسية، وقد يتخذ موقف أنانى متعجزف فى تعامله مع الجنس الآخر من أى عمر أما البنت فقد تصاب بالبرود الجنسى وعسر الطمث وغيرها من صراعات هذه المرحلة وأخطرها الجنسية المثلية Homosexulity كسلوك جنسى محرم.

سمات المرحلة القضيبيه، وأنماط الشخصية المرتبطة بها:

أثناء المرحلة القضيبية تتسع دائرة اتصال الطفل بالتدريج لتشمل أشخاص ذو شأن خارج نطاق الأسرة مثل رفاق اللعب، والمعلمون، رجال الشرطة - رجال الدين، وآخرون كثيرون، وعلى الطفل أن يتعلم التوفيق بين مطلبين متقابلين:

الأول: أن يتعلم كيف يأخذ مكانه بين الآخرين ويؤكد مطالبه حين يحاول الآخرين النيل من حقوقه.

والثانى: و كيف يذعن لمطالب الكبار وينصاع لها دون أن يفرط فى المطلب الأول.

ومن ثم تأخذ العديد من السمات الشخصية فى الظهور والنمو خلال هذه المرحلة، وتعتمد هذه السمات على طبيعة الطفل وانواع المشاكل التى واجهها والدروس الحياتية التى تعلمها، وتتضمن هذه السمات: تأكيد الذات Self-Assertion والشعور بالذات Self- Feeling والعلاقات مع الآخرين Relationship with Others، وهناك أيضا الأنانية مقابل الانغماس واحتواء الهدف، ويمكن توضيح أهم هذه السمات القضيبية على النحو الآتى: الغرور/ احتقار الذات، احترام الذات / الوضاعة، الشجاعة المتهورة / الجبن، التهور / الخجل، الميل الإجتماعى / العزلة الا جتماعية، الأناقة/ البساطة،

الجاذبية الجنسية/ تجنب الرغبة الجنسية تجاه الجنس الآخر، الوضوح / التشوش، الابتهاج/ الحزن.

اذا سار النمو خلال هذه المرحلة بشكل طبيعى، أعنى أن هناك توازناً بين الضبط والإشباع بحيث لايكون هناك إحباط أو تدليل مبالغ فيه فإن الطفل فى هذه الحالة سيكتسب قدراً معتدلاً من كلا الشكلين أو النقيضين من السمات المذكورة ويكون هناك توازناً بين المتناقضات فى النفس البشرية، وعلى سبيل المثال فإن وجود قدر معين من عدم الرضا عن الذات يخلق شعوراً بالرغبة فى تحسين صورة الذات، كما أن وجود قدر مناسب من احترام الذات يعوض الآثار السلبية الناتجة عن عدم الرضا عن الذات ويحسن من صورتها من خلال الاعتداد بالذات. كما أن الميل الاجتماعى يدفع الفرد لتكوين علاقاته الإجتماعية بالآخرين ويقلل من كل من الشعور بالغرور والعزلة الاجتماعية مما يجعله يزعن لمطالب الآخرين ويلتزم بما يتوقعونه منه حتى ينسجم معهم، ولكنه فى الوقت ذاته يحمى حقوقه إذا حاول الآخرون النيل منها. وهو يحافظ على التوازن بين المثابرة فى أداء الواجب من ناحية والانسجام المخيف مع الأخرين من ناحية أخرى: ومن ثم فلن يخضع لتوجيه الاخرين له إلىالحد الذى يجعله يدرك قيمته من خلال امتداحهم له، وفى الوقت نفسه لن يكون مغروراً منغلقاً على ذاته إلى حد أنه ينكر حاجاته والتزاماته الأجتماعية.

أما إذا فقد الطفل التوازن بين الضبط والإشباع خلال هذه المرحلة وحدث تثبيت عند هذه المرحلة فإن نمط الشخصية يميل إلى المغالاة فى المهارة الجنسية، وحب الذات، مما قد يؤدى إلى علاقات جنسية غير شرعية، وإلى انشغال الفرد بجاذبيته الجسميه أو خصائص أخرى كالغرور والجبن والإهمال.

٥- فترة الكمون Latency Period

أطلق فرويد على الفترة الممتدة من الخامسة أو السادسة حتى أعتاب المراهقة فى الثانية عشر من العمر إسم فترة الكمون، وهى ليست مرحلة نمو نفسى جنسى حقيقية كالمراحل الأخرى، وفى هذه الفتره تحدث عملية تدعيم وتثبيت للسمات والمهارات التى اكتسبت فى المراحل السابقة من جانب وتأهب واستعداد لدخول المرحلة اللاحقة من جانب آخر بما تحمله من تغير فى الحاجات والرغبات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية، وأهم ما يميز هذه المرحلة فى رأى فرويد هو اختفاء الدوافع الجنسية

الطفولية، وتخمد الثورة الأوديبية، ويتحول النشاط الجنسى إلى اشكال أخرى من التعاطف والتوحد ؛ كالتعلم وممارسة الأنشطة الرياضية وأنشطة جماعات الأقران، وتفتقد الذكريات الجنسية فى مرحلة الطفولة المبكرة، ويكون رد الفعل واضحاً عندما يقاوم الطفل بازدراء للعب مع أعضاء الجنس المخالف، ويفضل اختيار زملاء اللعب من نفس الجنس كصورة مقنعه للذة الذاتية، حيث تحدث إزاحة لاشعورية من ذاته إلى الآخرين .

٦- المرحلة التناسلية :

وهى المرحلة الأخيرة فى النمو وهى تلى البلوغ ، وتمثل الهدف من النمو الطبيعى، كما تمثل النضج الحقيقى. ويمكن تسمية المراحل السابقة (فمية - شرجية - قضيبية) بالمراحل قبل التناسلية . وفى هذه المرحلة يتغير أسلوب النرجسيين إلى الاهتمام بالاخرين ويصبح المهبل هو المنطقة الشبقية للمرأة بدلا من مناطق ما قبل التناسل الفم والشرج والبظر، وفى هذه المرحلة تصل اللذة الجنسية إلى اقصاها، وتكتمل الطاقة النفسية لمعرفة مواضع الاختلاف بين الجنسين، وتكوين علاقات جنسية مشبعة. وقد أوضح فرويد أن الجنس لم يجعله يعصب عينيه عن أهمية الحب والعاطفة . ولاحظ أن الموده بين الناس هى أساس الرغبة الجنسية . وهكذا يتحول الطفل من أنانية الطفولة، ومن البحث عن اللذة إلى راشد واقعى اجتماعى يضحى براحته فى سبيل إسعاد الأخرين ، لديه ميول جنسية غيرية تدفعه للزواج ورعاية الأطفال .

وتستمر هذه المرحلة حتى الفترة الأخيرة من نمو الشخصية ، وقد تكون كلمة "تناسلى genital " محيرة بعض الشيىء ، فهى مشتقه من الملامح الواضحة لهذه الفترة كما رأها فرويد وهى ظهور واكتمال توحد ونمو والغرائز الجنسية، حيث كانت توجد مناطق معينة من الجسم فى المراحل الجنسية النفسية السابقة مراكز للثورات واللذة الجنسية، قد يحدث بعض الخلط فيما يتعلق بالتفريق بين المرحلة القضيبية والمرحلة التناسلية ذاتها لأن الأعضاء التناسلية تكون بمثابة مناطق شبقية فى كلا المرحلتين ، الفرق بينهما أنه فى المرحلة القضيبية تكون الرغبة الجنسية بدائية وأولية وذاتية بينما فى المرحلة التناسلية تصل الرغبة الجنسية إلى مستوى النضج وتتجه صوب الجنس المخالف، وفى هذه المرحلة يصبح العضو التناسلى هو المصدر الأساسى للذة والتوتر الجنسى، وتكون الأعضاء الأخرى أقل أهمية .

ولايقصر فرويد مفهومه للجنس على مباشرة علاقة جنسية مع شريك الحياة بل يقصد به الكثير من الأنشطه المتنوعة بما فى ذلك التفاعل الاجتماعى مع نفس الجنس، والخوف من الاغتصاب الجنسى . كما أنه لايقصر النضج الجنسى على معناه الضيق وهو القدرة والرغبة الجنسية ، ولكنه يقصد بها معنى أوسع ، فهى بالنسبة للرجل تعنى المقدرة والسيطرة فى مجال واسع من الأنشطة المهنية والإجتماعية ، ويحتاج الشخص إلى الكثير من المهارات والسمات حتى يظهر بهذه القدرة كما رأها فرويد، كما أن النضج التناسلى فى المرأة يتضمن قدرتها على تحمل المسئولية والتمتع ببعض الصفات الأنثوية كالدفء العاطفى والقلق الأمومى والقدرة على الإبداع ، ومن هنا يمكن أن نستنتج ان النضج التناسلى عند فرويد و الذكورة أو الأنوثة الكاملة يرادف ما أسماه الآخرون بالنضج الشخصى Personal maturity .

ولكن ماهى الأشياء التى تحدث فى فترة المراهقة لتسبب إحباطات وصراعات جديدة؟ يواصل فرويد تأكيده على أهمية الجنس فى حياة الفرد وضرورة إشباع هذا الدافع أياً كانت العواقب فيقول " تزداد الإهتمامات الجنسية بشكل ملحوظ فى نشاطها وحدتها وتتركز على أعضاء الجنس المقابل، ،وتنشأ مشاكل جديدة من ازدياد الدور الجنسى بشكل مباشر ، وينشأ لدى المراهق صراع بين الرفض الإجتماعى والتحريمات التى يمليها عليه ضميره من ناحية وبين رغباته الجنسية الحاده تجاه الجنس المخالف من ناحية أخرى ، وهناك أيضاً الخوف من حدوث الحمل، ومن النظرة السائدة بأن الأتصال الجنسى قبل الزواج هو طريق غير مقبول للتعامل مع الجنس الآخر ! . ولذلك لاتشجع المرحلة التناسلية على ظهور سمات جديدة ولكنها تشجع على استغلال وبلورة السمات التى تكونت فى المراحل المبكرة ، ويجب أن تظهر السمات المكتسبة فى المراحل السابقة بصورة لاحقه حتى يحدث النمو بنجاح أثناء المرحلة التناسلية ، ولذلك فإن أى تثبيت فى المراحل قبل التناسلية يعوق النمو الناضج فى المرحلة التناسلية ، فالنضج إذن هو المزج المنسجم والمتوازن بين السمات قبل التناسلية والتى تمت بشكل سوى .

إن القدرة على الحب والقدرة على العمل تعدان صفتان جليتان تأخذان طريقهما فى الظهور والنمو أثناء المرحلة التناسلية وتبلغان حد الإثمار مع النضج ، ويستلزم كل منهما نمواً سليماً لسمات المراحل المبكرة لتطور الشخصية، وطبقا لوجهة نظر فرويد لكى يكون الفرد قادراً على الحب والعمل بفعالية يجب أن يكون لديه سمة التفاؤل الفمية وليس

الامبالاة والتهور ، ويجب أن يكون لديه سمة المثابرة الشرجية ، وليس العناد الطائش ، وسمة الثقة بالنفس وليس التهور والاعتداد المبالغ فيه بالذات ، يجب أن يكون الفرد شجاعاً دون أن يكون قاسى الفؤاد أو عديم الإحساس وان يكون محافظاً علي النظام دون ان يكون مجبراً على ذلك ، وأن يكون إجتماعياً دون أن يُدثر ذاته ، وباختصار يجب أن يمتلك سمات المرحلة التناسلية وما قبلها باعتدال ومن ثم يستطيع الفرد من خلال الحب والعمل أن يشبع رغباته الأساسية والإنسانية تماماً ، فالشخص الناضج عند فرويد هو الذى يكيف نفسه مع متطلبات ثقافية ويقوم بما قدر له من مهام لدعم تلك الثقافة وأن يعمل فى إطار القوانين والمحرمات ومعايير السلوك ، ويستطيع الفرد أن يشبع رغبته بطرق يقبلها المجتمع بدلاً من أن يحقق ذاته بصورة غير مقبولة إجتماعياً ، ومن هنا يمكن وصف الشخص المثالى من وجهة نظر فرويد على أنه شخص ممتثل للعرف الاجتماعى ، وحقق مستوى عال لنمو الشخصية ووظيفتها ولايتحقق ذلك إلا من خلال النمو السوى فى المراحل السابقة ، ويستلزم كذلك تعلم دروس الحياة بشكل فعال ، وقد ينظر للشخص الناضج من الناحية التناسلية على أنه الفرد الذى حل - قدر استطاعته - الاتجاهات المتضاربه فى شخصيته ، وتغلب على ما كان يحمله من عُقد وإحباطات من الماضى ترسبت بفعل أخطاء التنشئة .

وفيما يلى ملخص بما تم شرحه عن أنماط الشخصية ومراحل النمو لدى فرويد

اسم المرحلة	المنطقة الشبقية	الوصف	مصدر الصراع	خصائص الشخصية
الفمية	الفم واللسان والشفتين	تستمر من الميلاد حتى سنة ونصف وتتميز بالاعتماديه والسلبية فى البداية ولكنها تصبح عدوانية ساديه عند ما تظهر الاسنان وتستطيع العض.	التغذية	شخصية ذو سلوك فمى كالتدخين والاكل ، تتميز بالسلبية والسذاجة (وقد تكون على النقيض من ذلك).
الشرجية	الشرج	تبدأ من حوالى سنة الى ثلاث سنوات - حيث تتعلم بعض القدره على التحكم فى البيئه عن طريق التحكم فى البراز وترتبط بالسلوك العدوانى والسادية	تدريبات الحمام	النظام - البخل - العناد (والعكس).
البولية	الحالب (مجرى يحمل البول من المثانة)	ولاتوجد غرائز واضحة	تبليل السرير	الطموح والعكس
القضيبية	القضيب والبظر	تحدث بين ٢-٥ سنوات	عقدة اوديب	الغرور - التهور - والعكس
التناسلية	القضيب والمهبل	من ١٢ سنة حتى الرشد وهى هدف النمو الطبيعى	مواجهة صراعات الحياة	الصدق مع الأخرين، والازاحة الفعالة أو سمو الدافع الجنسى والمتعة الواقعية .

مع ملاحظة ان :

١- **الدوافع الجنسية** : تصبح غير واضحة فى فترة الكمون التى تحدث بين ٥-١٢ سنة والتى لاتعد مرحلة نمو نفسى جنسى حقيقى .

٢- **التثبيت** : يحدث عندما تظل طاقة اللبيدو مرتبطة بأحد المراحل قبل التناسلية حيث توجد كمية محدده يتعذر اجتنابها واذا زادت عنها تحدث الأمراض النفسية .

٣- **النكوص** : هو انعكاس أو ارتداد تدفق طاقة اللبيدو إلى مرحلة نفسيه جنسية مبكره . أو تثبيت لموضوع معين بكمية محددة من طاقة اللبيدو ، والمزيد من النكوص يحتاج إلى مزيد من التثبيت (أنظر ميكانزمات الدفاع) .

تطبيقات نظرية فرويد

تفسير الأحلام Dream interpretation

تعرضت نظرية التحليل النفسى لمشكلة كبيره وهى أن اللاشعور يمثل الجزء الأكثر أهمية من الشخصية ويصعب التأثير فيه ، وخلال النوم حيث تتخلى الأنا عن ميكانزماتها الدفاعية وتسمح بظهور الخبرات والأشياء المكبوتة ، ودوافع اللبيدو ، وتركيز الطاقة النفسية التى أحبطت خلال ساعات اليقظة تجد إرضاءً لها فى أحلام النوم .

حيث تقول الأنا للهى : " حسنا الأن لاتوجد خطورة - متعى نفسك " . فى حين تدرك الأنا أن الحلم الذى يفرط فى الإشباع يهدد بايقاظ النائم مبكراً عن موعده . ولذلك فهى تراقب الخبرات المكبوته بطرق مختلفه وتحد من إشباعات الهى فترغم الهى على الإشباع الجزئى فقط ، والحل الوسط الناتج من الهى الباحثة عن اللذه والأنا المحافظة على النوم تكون خبرات الحالم .

ووفقا لمبدأ الحتمية النفسية لايوجد حلم تافه أو ثانوى وعرضى ، ولكن لفهم المعنى الحقيقى من الضرورى فك الألغاز والرموز التى دفعت الأنا واستخدمتها الهى ، وكشف الأفكار اللاشعورية الدفينة (وهو ما يعرف بتفسير الحليم interprat the dream) وهذه تبدو مهمة صعبة نسبيا لأن لغة الأحلام لغة غير مألوفة ، ولأن الكبت يعود ثانية الى قوته الكامله قبل يقظة النائم . ومع ذلك فسر فرويد مئات الأحلام (بما فيها أحلامه الخاصة) مستنتجاً أن تفسير الأحلام هو الطريق المحكم لمعرفة الأنشطة اللاشعورية فى العقل . (Freud, 1965a).

أفكار الحلم المستترة :

المحتوى الواضح - الأفكار الكامنة - وحدوث الحلم :

الجزء الذى يتذكره الفرد من الحلم يعد المحتوى الظاهر manifest للحلم . أما الدوافع اللاشعورية ، والمعتقدات والأنفعالات والصراعات والذكريات المختفية خلف واجهة المحتوى الظاهر فتعرف باسم الأفكار المستترة فى الحلم Latent . وحدوث الحلم هو العمليه التى تحول الأفكار الكامنة الى محتوى ظاهر (Freud,1966) .

وحدوث الحلم ربما يغير الأفكار الأوديبية الى محتوى واضح يتمتع فيه الحالم بخيال جذاب وغريب هازما منافس خطير فى العمليه - وإذا أصرت الأنا على ضرورة الكتمان فقد يرجع ذلك الى أن عقده اوديب مازالت مصدر لصراع هام ، وحدوث الحلم ربما يحول الحب الى غضب ، ويبدل الجنس (حتى لو كان فى صور ذهنية) الى شىء خيالى - والمحتوى الظاهر الأن ، قد يحارب الحالم بشخص من نفس الجنس، وبالتعاقب فان حدوث الحلم قد ينسب الدوافع العدوانية والرومانسيه الى شخص اخر ، حتى إذا ظلت هذه الاحتمالات بغيضة أو كريهة جداً. فالمحتوى الواضح ربما يعكس فقط خطة غامضه لمقابلة شخص مجهول ، ليس له هدف محدد، وقد يكون هناك التواءات أخرى غير مأخوذة فى الاعتبار .

الأحلام كتحقيق رغبات :

تطلق الأحلام بواسطة ذكرايات أحداث اليوم المنصرم والتى تعرف بالإحباطات الهامه للعقل، وتعمل على إشباع رغبات الحالم، فإذا حرم طفل مثلا من أكل طبق لذيذ الطعم فقد يفوز ببعض الإشباعات فى الحلم إذا التهم الطبق باكمله أو كما تقول فى المثل العامى: حلم الجوعان عيش، والمرأة الحامل التى تخشى ساعات الوضع العصيبة تحلم انها قد وضعت بسهولة ورزقها الله بمولود جميل، والباحثين أو المكتشفين فى الصحراء الذين يعيشن على الأغذية المحفوظه فى وهج الشمس يحلمون بالغذاء الطازج والراحة بالمنزل، أحلام الراشدين عاده ما تكون معقده تماماً ، حيث تشمل رغبات الطفولة المكبوته التى تتكرر (رغم أنه ليس دائما) تبعا لطبيعة الجنس .(Freud, 1966)

كما أن بعض الأحلام حتى التى تعكس خيبة أمل أو المخيفة أو أحلام عقاب الذات إذا تم تحليلها فانها تعكس من قريب أو من بعيد أحد صور تحقيق

الرغبات (Freud, 1961 a) فقد استمع محامى لمحاضرة من فرويد عن تفسير الأحلام. وهنا حلم أنه قد خسر كل قضاياه - وكان هذا الرجل زميل دراسة لفرويد، وشعر بأنه اقل شئناً منه ، وكانت لديه مشاعر لاشعورية بالغيرة فكان يرى أن نظرية تحقيق الرغبة (وكذلك فرويد) تبدو سخيفةومضحكة . وبالمثل - حلمت امرأه أنها غير قادرة على عمل حفله عشاء لأن كل المحلات مغلقة ، وفى اليوم السابق للحلم عبر زوج السيدة الحالمة أنه مُعجب بصديقتها غير أنه ذكر أنها نحيفة، وعبر عن رغبته فى دعوتها لتناول طعام العشاء معهم . فقد أشبع هذا الحلم رغبتها فى استبعاد منافس قد يكون أكثر جاذبية منها (Freud, 1965 a)

وتشير الأحلام المخيفة الى أن خداع الأنا يتلاشى تقريبا وتسمح بظهور مادة خطيرة مكبوتة فى اللاشعور ، وهنا تصبح يقظة الحالم أقل الشرين (ظهور المادة الخطيرة - ويقظة الحالم) ويحدث الحلم . ويشبه فرويد ذلك : كمثل الخفير الليلى ذو الضمير الحى الذى عليه أن ينفذ واجبه بمنع الإزعاج على ألا يتبع ذلك يقظة أهل المدينه أو القرية ، ولكن فى استمرار قيامه لواجبه هو نفسه يضطر لإيقاظ أهل المدينة أو القرية لو بدت له أمور الازعاج خطيرة ولم يستطع مقاومتها بمفرده . (Freud, 1966)

أما أحلام عقاب النفس Self-punishment فترضى رغبة الأنا الأعلى لأن اندفاعات الهى المحرمة تناضل للإشباع والإرضاء، وتستجيب الأنا الأعلى عن طريق جعل الذات تشعر بالذنب، فيتحق حلم عقاب النفس تخفيفاً لهذه الانفعالات غير السارة ويسهم فى التوفيق بين المكونات الثلاثة للشخصية. (Freud, 1965 a) .

ويرى مخيمر (١٩٨٢) أن هناك أحلاما لاتحقق رغبة بل تدافع بكل الوسائل لخفض فائض التوترات ، ولاتحرس النوم بل تقطعه للوصول الى إفراغ عنيف مكتمل أو للتحذير من مخاطر أو التنبيه الى مهانات ضاعت فى زحام النهار وتعبه فلم يتحقق الوعى بها كما ينبغى.

لغة الأحلام :

تعبر الأحلام عن نفسها بلغة الرموز Symbols ، وأيضا بالحيل التى وجدت فى الأساطير والخرافات والنكت والأدب - على سبيل المثال - فالشخص الغريب الذى يظهر فى المحتوى الواضح للحلم قد يعبر عن أحد الوالدين أو القريبين أو حتى الحالم نفسه،

وينسب فرويد المعنى الجنسى الى رموز عديدة ، فالعضو الذكرى يرمز له باشياء طويلة ذات قوه مثل (العصى - بنادق - سكاكين - شماسى - كرافتات - ثعابين) .

أما العضو الانثوى فقد عبر عنه برموز تشبه الآنية أو الأوعية مثل (دواليب - مغارات - زجاجات - حجرات - حقائب الجواهر) ، ورمز بصعود السلم وهبوطه ، والاستدارة ، والجرى حتى التوقف كإشارة الى عملية الممارسة الجنسية ، فى حين رمز بقطع العنق ، وفقد الأسنان كأشارة الى الخصاء (Freud, 1966) .

وتفسير الحلم لايحتاج إلى مجرد قائمة بالرموز المستخدمة ومعانيها فبعض الرموز تستعمل بطريقه خاصه معروفه فقط للحالم ، كما أن بعض العناصر تكون تماماً مثلما تظهر فى الحلم وليست رمزية على الإطلاق ، لذلك يجب أن يستخدم التداعى لكشف مابين السطور من أفكار . ويرى فرويد أنه يجب أن نسأل الحالم أن يتحرر من تأثير تعبيرات الحلم الظاهر لنحول اهتمامه عن الحلم ككل الى الأجزاء المنفصلة لمحتواه ليخبرنا بنجاح بكل شىء يخطر له ذات صله بكل هذه الأجزاء ، وما تقدمه المعانى له لو ركز على كل منها بمفرده ، ومعرفة رموز الحلم لن تفعل أكثر من تمكيننا من ترجمة مقومات معينة لمحتوى الحلم ، إنها ستقدم المساعده القيمة للتفسير بدقه لكل النقاط التى عليها تداعى معانى الحالم تكون غير كافيه أو فاشله معاً . (Freud, 1965 b) .

والمحتوى الظاهر للحلم يمكن أن يوصف فى مقطوعات قليلة حتى تقودنا الى صفحات كثيرة عن الأفكار الكامنة . فحدوث الحلم يستبعد كثير من الارتباطات بين الأفكار الكامنة (حتى بعض المواد الكامنة الحسنة) . يفصل الأسباب عن تأثيراتها ، ويكون رموز مختلفه أو الكلمات التى تشارك كخاصيه هامة فى الكينونة الفردية التى تعكس تعدد المعانى وتعرف هذه العمليه بالتكثيف Condensation ، ورموز الحلم هذه مثله كمثل السلوك - عاده ما يصعب تحديدها . فقد حلم رجل أن أباه المتوفى قد خرج من القبر ، وربط ذلك فيما بعد بألم فى الاسنان كان يرغب فى التخلص منه ، والعامل الشائع تحت تكثيف خروج الأب المتوفى من قبره - والتخلص من آلم الأسنان هو طول مدة مرض الاب مما سبب الضيق الكبير للحالم ، وقد كُبتت الحقيقه أثناء ساعات اليقظة لأنها أثارت مشاعر قوية من الإحساس بالذنب ، بالإضافة الى معاداة الحالم تجاه الأب ومتضمنه الاندفاعات الجنسيه فى الطفوله والخوف من الخصاء . (Freud, 1966) .

وأحداث الحلم تتضمن استخدام كثير من صور الإزاحة ، فذلك عنصر رئيسى فى الأفكار الكامنه للحلم وقد يصبح ذات مظهر ثانوى فى المحتوى الواضح أو العكس صحيح. "إمرأه شابة متزوجة حلمت أنها هى وزوجها فى المسرح ،وكان نصف صاله المسرح خالية من الناس، بينما كانت صديقتها (صديقة الحالمة) وخطيبها قد قرروا ألا يتنبهوا لهم أو ينتظروهم لانهم حصلوا على مقاعد غالية السعر وغير مريحة، فخلال الأسبوع الماضى دفعت الحالمة مبلغاً كبيراً من المال لتحجز تذاكر المسرحية، ثم اتضح أن ذلك لم يكون ضرورياً لأن العرض لم يكن جيد ولذلك لم يكتمل العدد ، مما دفع زوجها لتوبيخها لتسرعها فى ذلك ، وفى اليوم السابق لدخولهم المسرح علمت ان صديقتها فى الحلم قد خُطبت ، وتلقت أيضا هدية من اخت زوجها تفوق مائه مره سعر تذاكر مسرح الحلم التى انفقتها بتسرعها" الأفكار الكامنه فى الحلم تعكس ندمها لأنها تزوجت بسرعة، وكان يجب أن تنتظر حتى تجد زوج أفضل مائة مرة من زوجها هذا - والزواج المبكر حقق رغبة الطفولة لترى (كما فى المسرح) ما الذى يحدث فى فراش الزوجية ، والإحساس بالندم هو الذى يوجد فقط ، ولإلغاء هذه المشاعر المهددة - فإن حدوث الحلم أزاح أحداث الحلم من واقع الحياة لتكون على المسرح فقط" (Freud, 1965 a) .

ومن الخصائص الأخرى لحدوث الحلم " العكسية " "Reversal" التى تماثل رد الفعل، والإسقاط - فقد يترجم الحب الى الكراهية والعكس، وربما أن اعتبار الأب كخصم فى الأفكار المستترة فى الحلم قد ينتج عنها محتوى ظاهر بغزارة أن الأب يعنف الإبن الحالم (Freud, 1965) والعكس أيضا قد يحدث فى نفس الوقت - فقد يظهر المحتوى الظاهر قبل سلسلة من الأفكار المستترة وهكذا. وهذه العملية مطابقة للعمليات الأولية والتى لاتدرك أى إحساس بالوقت أو أى تناقض . وتعطى بعض الدلائل على طبيعة الأفكار المشوشة المطابقة لتفكير الهى. وفى النهاية بعد ان يكتمل حدوث الحلم تحدث عملية التنقيح الثانوى Secondary revsion أو الإتقان الثانوى Secondary elaboration التى تملاء المحتوى الظاهر ليكون مكتمل (Freud, 1966) . وقد تحذف هذه الخطوة مما يجعل استنتاج معنى المحتوى الظاهر للحلم محير بدرجة كبيرة .

وبسبب هـذه التعقيدات ، ولأن الارتباطات الحرة للحالم تقترب وترتبط فى علاقات معقـدة وتصبـح أقرب الى المادة المهددة ، لذلك فليس من السهل تفسير كل حلم (Freud, 1965 b) .

علم الأمراض النفسية والعقلية :

إن مكونات الشخصية السوية والمتكيفة تعمل معاً فى انسجام شبه تام تحت قيادة الأنا لكى تحقق السعادة والأمن وتتجنب التوتر ، والجزء الأكبر من طاقة اللبيدو تصل بنجاح الى المرحلة التناسلية وتمكن الأنا من أن تتعامل مع العديد من المتطلبات التى يجب أن تواجهها ، فهى تقوم بعمليه إزاحة أو مواجهه لاندفاعات الهى ، ولكن ليست هذه الطبيعة الصحية، كما أنها تنفذ الأوامر الأخلاقية للأنا الأعلى ، ويصبح الضمير الكابح أو الذات المثالية التى تنشد الكمال وتتناول إحباطات الحياة وتعقيداتها كبرت أم صغرت بخطى واسعة ، وتشكل خطط مناسبة وتصححها حسب الضرورة ، وعلى الرغم من صعوبة الحياة ، وعدم وجود السعادة الدائمة ، فالفرد السوى نفسياً قادر على تحقيق شيئين معا وبصورة جيدة هما : الحب والعمل love & Work .

وفى المقابل فإنه فى حالة سؤ التوافق تكون قدرة الأنا قد ضعفت وذلك نتيجة لأن طاقه اللبيدو حدث لها تثبيت قوى فى مرحلة الطفولة ، وعلى ذلك لاتستطيع الأنا التغلب على الإحباطات الحتميه للواقع أو على الضغوط المرتبطة بالهى والأنا الأعلى، لذلك فإن الأنا ربما تستجيب لإحباطات خارجية وذلك بالسماح لمزيد من طاقة اللبيدو للعودة الى نقطة مبكرة من عملية التثبيت ، فينتج عن ذلك أنانية الطفولة، والنرجسية وربما يسيطر على الفرد ضمير عنيف وقاسى مما يؤدى الى استخدام الأنا لمختلف ميكانزمات الدفاع وحرمان الفرد من السعادة التى تكون مقبولة اجتماعيا، فعدم القدرة على تكوين إزاحه فعالة والتسامى بطاقه اللبيدو يؤدى الى عجز الفرد على تحقيق انجاز طيب إلا بعد صعوبات عديدة ، وبالمثـل فإنه إذا كانت الأنا الأعلى ضعيفة فإن اندفاعات الهى المحرمة تتم بدون رادع لهـا أو توبيخ من الأنا الأعلى فى شكل أعمال لا أخلاقية مدمرة ومهلكة .

وعلى الرغم من أن المرض النفسى ربما ينتج عنه سلوك شاذ وغريب فإنه لايوجد خط فاصل وقوى بين الشخصية العادية وغير العادية – فالفرق بينهما فرق فى الدرجة أكثر من كونه فرق فى النوع ، وحيث أن المشكلات المؤلمة فى الطفولة لايمكن استبعادها فإن

النتيجة لذلك يمكن تلخيصها فى قول فرويد " أننا جميعا مصابين بقليل من العصاب أو أننا جميعا مرضى مع أختلاف الدرجة" . (Freud, 1965 c).

أسباب العصاب :

الأمراض العصابية جميعها يرجع منشأها الى مرحلة المهد والطفولة ، وعلى الرغم من أنها لاتظهر بوضوح حتى سن متأخرة وأحيانا متأخرة جداً ، فمن الممكن أن يكون هناك خلل فى التكوين الجنسى الفطرى مما يستتبعه عجز الأعصاب عن مقاومة هذه الأمراض عملياً، وقد تصيب الأمراض العصابية الأصحاء لو فرضت عليهم الحياة أعباء ثقيله وغير عاديه (ضغوط الحياة)، وعادة ما تلعب العوامل البيئية دوراً رئيسياً هاماً فى حدوث الأمراض العصابية (Freud, 1966) .

فالطفل فى مرحلة المهد رغم تأثره بالمثيرات الفيزيقية الواقعة عليه إلا أنه يجد صعوبة فى التفرقة بين ماهو نفسى وما هو غير نفسى (فزيقى) ، مما يعوق تطور الأنا بصوره جديه، ففرط التدليل ، والإحباطات الشديدة المستمرة خلال مراحل النمو النفسى جنسى ينتج عنها مزيد من التثبيت . . وكما رأينا - فالطفل ربما يعانى من بعض الأحداث الجارحة مثل رؤيته للاتصال الجنسى بين الوالدين فى منظر بدائى ، ورغم أنه يبدوأمراً فطرياً أو عادياً بالنسبه للراشدين إلا أنه فى حالة الصبى يعد مصدر تهديد ووعيد بالخصاء مما يغمر الأنا غير الناضجة بأثارة أكثر مما تتحمل ، مؤدية الى حالة مؤلمة ويخلق لديه انطباع بأن العملية الجنسية عملية خطيرة، أما فقد الحب والعطف خلال المرحلة القضيبية يحول دون امتصاص الأنا الأعلى للمعايير الأخلاقية والاجتماعية المناسبة ، أو قد تصبح الأنا الأعلى صارمة ، أما بسبب قسوة الوالدين أو بسبب الحاجة الى التغلب على القوى غير العادية للصراعات الأوديبية .

ورغم ذلك فإن الطفل الذى يصل الى مرحلة الكمون ولم تحل لديه عقدة أوديب حلا كاملاً - فإن الأنا غير الناضجة لديه تكون قادرة على أن تحقق حالة من التوازن عن طريق الكبت والقمع والميكانزمات الدفاعية الأخرى ، وعند سن البلوغ وعندما تتضاعف القدرة الجنسية فإن ذلك التوافق غير الملائم يأخذ فى الانهيار ، وتُدعم الخيالات اللاشعورية، والذكريات والاندفاعات الغريزية بمزيد من إمدادات طاقة الليبيدو، وتندفع متصاعدة مع نشاط متجدد . ولذلك فإن الفرد الأكثر سواءً ، هو الذى يتجاهل النضال

الأوديبى ويستطيع أن يشكل تركيز الطاقة النفسية على موضوعات غير مألوفة فى الجنس المخالف، أما الفرد الأكثر عُرضة للإصابة بالأمراض العصابية يبقى مثبت عند الرغبات والصراعات الأوديبية ونظراً لتأثر الأنا بالأنا الأعلى فإنه هذه الدوافع المنبعثه تعد بمثابة مخاطر عليها ،وتسعى الى ردها بالطرق العادية لتشتت الطاقة النفسية وبميكانزمات الدفاع، وحيث أن الأنا لاتقوم بواجبها على أكمل وجه فإن محاولاتها لكبت الخبرات والرغبات يكون نجاحها جزئيا فقط وغير مكتمل (فلو أن الكبت كان كليا ما ظهرت أعراض المرض). وتتجرد طاقة الليبيدو من كل الموضوعات الأوديبية والبدائل المقبولة عقليا وتجد طريقا غير مباشر اً للنجاح، وقد تنكص أو ترتد إلى مرحلة حدث خلالها تركز الطاقه المثبته خلال المهد والطفولة المبكرة . وتمر خلال مجال اللاشعور وتتحمل عمليات التكثيف والإزاحة ، والخداع لتبرهن على قبول الأنا والأنا الأعلى ، وأخيرا تظهر الاندفاعات الغريزية على شكل أعراض عصابية . (Freud, 1963 e) .

الأعراض العصابية :

إن الأعراض الدالة على الأمراض العصابية تتماثل بوضوح مع ما يدور فى الأحلام. فكلاهما يرتبط بحقائق هامه فى اللاشعور ، وكلاهما يستخدم لغه الرموز ، كما أنهما يمثلان عملية تسوية وتوفيق بين المكونات الثلاثة فى الشخصية ، وواحدة فقط (الأعراض العصابية) هى التى تعكس كل محاولة لاشعورية لإشباع الرغبات ، وتأثير الدوافع المضادة ، لذلك فإن هذا العرض يكون غامض ويتم اختياره بعبقرية وله معنين بينهما تناقض تام (Freud, 1966).

وكما فى رموز الأحلام ، فالأعراض العصابية عادة ما يصعب تحديدها ولها معانى مختلفه ولكنها لاتشبه الأحلام فى أن الرموز تنتج عن أغراض جنسية (:Freud,1963 b)

الأعراض القهرية والاستحواذية تتكون من أفكار استحواذية (تستحوذ على العقل) وأفعال قسرية (لايمكن مقاومتها) ولايمكن للشخص أن يتحكم فيها أو يضبطها، إنها تعبر عن صراع قوى بين دافعين متضادين ومتساويين فى القوة عادة الحب والكراهية ويشتمل أيضا على النكوص الى الشبقيه الشرجية . فأحد المرضى الذين عالجهم فرويد بنجاح – وكان هذا الرجل يحتقر نفسه ورمز له بأسم Rat man استبدت به الأفكار المخيفه التى تشمل مشاعر الغضب مرتبطة بمشاعر التعلق بالوالد وبصديقته . حيث

التعبيرات الاستحواذيه تشير الى مشاعر قويه الازدواج نتيجة الصراع المفرط غير المحتمل: هل يتزوج المرأه التى يحبها أم الغنية أو تلك الجذابة التى اختارها له والده. ولذلك فإن موقفه من هذه القضية يتجدد لاشعورياً متجنبا صراع الموقف بالمرض. (Freud, 1963 I)

وفى حالات الهستيريا Hysteria وفى النمط التحولى منها خاصة، فالمشكلات السيكولوجية تتحول لاشعورياً إلى أعراض جسمية. ففى أحد الحالات التى عالجها فرويد دون أن ينجح تماما معها: وكانت لفتاة عمرها ١٨ سنة اسمها المستعار دورا Dora كانت تعانى من سعال عصبى هستيرى وأعراض فقد الصوت، واتضح أن الصراعات الأوديبية لدورا لم تحل ومازالت مرتبطة بأبيها الذى حاول مكافئتها بالزواج الذى كان غير سعيد بأن جعلها أمينة أسراره وصديقته منذ سن مبكره، وساعد فرويد فى ذلك حلم له تفسيرين - حيث اكتشف أن أعراض دورا ترتبط بعدد من المعانى فهى تعكس وجود تصادم بين اندفاعات الهى للجنسية الفمية من ناحية ودفاعات الأنا الخفيه من ناحية أخرى، فالسعال يحقق بعض إشباع الرغبات المستترة فى منطقة شبقية وهى الفم، كما يستخدم كعقاب عن رغبة غير مشروعة بالإضافة لمعاناة دورا نتيجة زواجها من رجل يكبرها سناً بكثير (أربع عشرة سنه تقريبا) ولاشعوريا أزاحت الإثارة الجنسية المهددة الى منطقة الفم، وقضت فتره من الزمن كزوجه لهذا الرجل إلا أنها كانت تشعر تجاهه وكأنها مع والدها، وكونت رغبات لاشعورية قوية نحوه فكانت مشاكلها الصوتية (حبسة الصوت) غالبا ما تظهر أثناء غيابه وهنا تعبر الرغبه الكامنة لديها ألا تتحدث اطلاقا ما لم تتحدث معه، والسعال ينتج عن توحدها مع الأب الذى لديه نفس الخصائص (Freud, 1959).

أما أعراض المخاوف المرضية أو الفوبيا Phobia فتشمل الخوف والابتعاد عن أشياء أو مواقف محددة ليست خطيرة فعلا. ولعل أكثر الحالات الشهيرة فى هذا الشأن هى حالة الرجل الذئب Wolf-man. الذى كان يعانى الخوف الحاد من الحيوانات (فوبيا الحيوانات)، وخلال تحليل تفصيلى للمريض من خلال التداعى والأحلام حيث أوضحت أن الأعراض ترجع الى مصادر عدة تبدأ عندما رأى صورة مخيفة لذئب خلال طفولته المبكرة، وعندما كان فى الثالثة من عمره داعبت اخته أعضاءه الجنسية استتبعها تهديد بالخصاء من ممرضته التى يحبها، وهذا بدوره قاد طاقه الليبدو بالعودة من

المرحلة القضيبية الى المرحلة الشرجية السادية ، ونتج عن ذلك أن كان سلوكه سريع الغضب أو سريع الابتهاج، فملاحظة كل من : (١) منظر بدائى لعملية جنسية ، أو (٢) الجماع بين الحيوانات جعله يشعر بالخوف لكونه يتشابه فزيقيا مع صورة الذئب المخيف. (Freud, 1963a) .

وبالمثل نسب فرويد فوبيا الحصان لطفل يدعى هانز Hans على أنها إزاحة لمخاوف الخصاء الأوديبى، وعبر عنها كعملية نكوص الى قلق فمى مصدره خوف من عض الحصان له ، والأعراض ترتبط برؤيته لحصان يقع ، ولعبة الحصان والراكب مع والده، ورغبات أوديبيه كالخوف من أن يعانى والده هذا السقوط المؤلم، وهذه الحاله غير قياسيه وشاذة ، وعلى أية حال يجب تحليلها بداية من خلال التطابق مع والد هانز . (Freud, 1963a) .

ومن المجالات الأخرى المثيرة فى دراسات فرويد تلك التى تشمل الجنسية المثلية والانحرافات الجنسية الأخرى، فقد كتب إلى أحد الأمهات يعانى ابنها من جنسية مثلية قائلا: إن الجنسية المثلية عملية غير مضبوطة بلاشك ، ولكن لايوجد فيها ثمة شيئ يجعلها عملية مخجله أو رزيلة أو أنحطاط خلقى! ، ولايمكن تصنيفها على أنها مرض، فقط نعتبرها تغيير للوظيفه الجنسية يحدث كنتيجة لتوقف النمو الجنسى- إنه من الظلم الفاحش النظر الى الجنسية المثلية على أنها جريمة أو حتى عمل سيئ (Freud,1963 c) .

ولدى فرويد القليل نسبياً لما يمكن أن يقوله عن المشاكل التى تحدث نتيجة تساهل الأنا الأعلى حيث يفضل ألا يعالج مثل هؤلاء الأشخاص تافهى القيمة على أنهم أحداث جانحين أو مجرمين. (Roazen, 1976) .

ويرى فرويد أن الأعراض العصابية (مهما كانت صورتها) توجد على نحو مستمر أو دائم فهى تمثل توفيق بين الهى ، والأنا، والأنا الأعلى وهكذا يشير الى صراع بين المكونات الثلاثة مما ينشأ عنه واحد أو اثنين من الأعراض صعبة التحديد التى لايكون من الكافى أن نتخلص منها - والعصاب غالباً ما يتضمن الشعور القوى بالذنب- مع ظهور رغبة لاشعورية للراحة عن طريق العقاب، كما فى حالة دورا التى لاتشعر بتحسن إلا من خلال عقابها للأخرين. أخيراً بالإضافة للكسب الأولى primary gain المستمد عن طريق التفريغ الجزئى لطاقة اللبيدو ، فالأعراض يمكن أن تتدعم أيضا بمكاسب ثانوية

Secondary gains بصورة حسية - والمريض الذى يتلقى الحب والود المتدفقين من الأخرين قد يخفف عنه المصاعب الشاقة والمرهقة مثل ضغوط العمل أو الذهاب للحرب أو الصراع مع الأخرين بالإضافة الى ما يستفيده من الجماعه مما يجعل من الصعب عليه أن يتخلى عن الأعراض (Freud, 1965a) . لهذه الأسباب القوية ، ولعدم رغبة المريض فى أن يكون لديه صراع مع رغبته فى الراحة جعلت مهمة العلاج النفسى غير سهله الى حد بعيد .

الذهان : Psychosis

فى حالة الذهان يحدث اضطراب عقلى أساسى موصول يتسم باختلال الصلة بالواقع أو انقطاعها (و من المفضل إدخاله المستشفى للعلاج) ، حيث تصبح المادة المكبوتة للمريض أكثر قوة وتستطيع قهر الأنا ، وتصبح الأنا غير مستبصرة بالواقع وذلك لأنها تستسلم وتلقى بنفسها فى العالم الخيالى للهى ، ووجهة نظر فرويد فى الأمراض العصابية بخصوص الفرق فى الدرجة تنطبق أيضا على الذهان ، ولكنه نظر الى وظيفة الأنا الهادئة كشىء أساسى للتعامل ورفضها استخدام ومداومة العلاج بالتحليل النفسى فى حالات مرضى الذهان . (Freud, 1969 b)

وتعكس وجهة النظر هذه بعض المواقف الدفاعية فى أسلوبه العلاجى . مما دفع البعض الى الاعتراض عليه أمثال فروم Fromm وسيرلز Searles 1965 ، سوليفان Solivan 1974 . ولقد حلل فرويد السيرة الذاتية لإحدى مرضى الذهان يدعى دانيال شيربر Shreber, D. واستنتج أن البارانوبا ترتبط بالجنسية المثلية ، والحب لأخرين من نفس الجنس يتحول الى كراهية عن طريق رد الفعل العكسى ، وبنفس الأسلوب ألقى الضوء على حالات أخرى (Freud, 1963 g) .

العلاج النفسى Psychotherapy

فى الفترة من عام ١٨٨٠ حتى عام ١٨٨٢ لاحظ فرويد أن صديقه جوزيف بروير يعالج مريضة بالهستيريا تدعى Anna التى تبلغ من العمر ٢١ سنة على أنها تعانى من حرمان جنسى وعاطفى فى مرحلة الطفولة والمراهقة ، تبعه مرض مهلك ومميت لأبيها الذى تحبه ، نتج عن ذلك أعراض عصابية أخذت شكل شلل بالأطراف وهلاوس ، وعدم القدره على الأكل ، ومنذ سنه ماضية كانت تعانى من سعال هستيرى ، والمشى أثناء النوم ،

واضطرابات مختلفة فى الحديث، وربما حمل هستيرى ، وعلى الرغم من أنه ناقش هذا - فقد اكتشف بروير أن كل هذه المشكلات الهائلة يمكن أن تخفف باجراء غير عادى - حيث أجرى تنويم مغناطيسى لأنا، فأخذت تبرز الأعراض واضحة فى تراجع زمنى منظم مرتبط بالماضى، وارتبط ذلك بالتحرر الانفعالى الذى لم تكن قادرة على التعبير عنه فى نفس الوقت وتعرف هذه العمليه بالتنفيس Catharsis (أى التخلص من عقدة نفسية بافساح المجال أمامها لكى تفصح عن نفسها) وقد أثار اهتمام بروير أن مريضته تعلقت به بشكل أدى الى تدهور حالتها، وكذلك أصبحت زوجته مريضة مما اضطره الى إسقاط الحاله واعتبر ذلك ضعف منه ولكنه أوضح أن القوى المسببة للامراض النفسية هى قوى لاشعورية واستطاع أن يلقى الضوء بالكلمات والأفكار فقط (Ellenberger, 1970) .

أقر فرويد صحة هذه الاستنتاجات واستخدم التنويم المغناطيسى مع مرضاه ولكنه وجد أنها تترك أشياء كثيرة ذات أهمية دون تناولها، كما أنه من المحيب للمريض أن يستمر العلاج ، بالإضافة إلى: ذلك أنه يصبح معتمدا على المعالج ثم يعانى الانتكاسة المرضية بمجرد أن يتوقف العلاج ، وتنقطع أثار التنويم المغناطيسى عن دفع عمليات الأنا ويلجأ المريض الى استخدام الأساليب الدفاعية . وهذا يوضح أن إزالة الأعراض بعلاج سهل يترك صراعات أساسية يصعب حلها، وتؤدى الى خلق صعوبات جديدة ، ونظراً لأن بعض المرضى كان يصعب تنويمهم مغناطيسياً أو لأن فرويد لم يكن منوم مغناطيسى جيد أو الرغبة فى ابتداع أسلوب علاجى يحقق له شيئاً من الشهرة ويحقق لمرضاه بعضاً من الراحة ، أو لهذه الأسباب مجتمعة تخلى فرويد عن التنويم المغناطيسى وأسلوب التنفيس ، وبالتدريج طور أسلوبه فى العلاج النفسى والذى أصبح معروفاً باسم التحليل النفسى Psychoanalysis.

الأساس النظرى :

يعتمد الأساس النظرى للعلاج بطريقة التحليل النفسى ببساطة على أن نخبر المريض عن أسباب وديناميات الأعراض العصابية التى تحول دون الشفاء، وعن طريق دفاعات الأنا تنجرف المعلومات وتظهر غير صحيحة وغير مرتبطه تماما بالموضوع ، (Freud, 1966) والسيطرة النفسية بواسطة قوى غير معلومة من الماضى يمكن إظهارها بطريق واحد وهو الاسترجاع الحاسم للخبرات اللاشعورية من اللاشعور الى الشعور - وذلك عن طريق التأثير على / أو اختبار جزء من الأنا بينما الجزء الأخر الأكثر واقعية يقف

موقف المتفرج، هذه الإجراءات تحتاج الى العقلانية من المريض والاستبصار Insight بمثل هذه القضايا والصراعات الأوديبية، والمعتقدات المشوهة وموضوعات الحب والكراهية غير المنطقية، الرغبات المحرمة والتثبيتات الطفلية ، وهذه الاستبصارات تجبر الأنا على تطبيق العمليات الثانوية (الإجراءات الثانوية) على المشاكل التى تقترب منها باندفاعاتها المهلكة ، والمحطمة للنفس، مع مزيد من العمليات الأولية فى التفكير كما صاغها فرويد (أينما توجد الهى لابد أن تتواجد الأنا (Freud, 1965 b) ويرى فرويد أيضا أن المريض يتعلم الاستسلام لعقاب النفس المتزايد والشعور بالذنب والرغبة فى الانتقام من الأخرين، وبالمثل " أينما توجد الأنا الأعلى سوف توجد الأنا" . فالعلاج بالتحليل النفسى إذن سوف يقوم بالمهام الصعبة فى إعادة تنظيم مكونات الشخصية الداخلية للمريض ، عن طريق جعل الأنا قويه مما يجعلها تقوم بدورها القيادى .

حيث أن أصل ومنشأ العصاب والذهان يرجع الى مرحلة المهد والطفولة فإن طريقة التحليل النفسى تعمل جاهدة وفى صبر لاستحضار كمية معينة من النكوص، ويعتبر النكوص هو العلاج لأنه يظهر فى الظرف المناسب لعملية الاستبطان ، ولو أنها مسأله مؤقتة (عودة مؤقته) للمريض وذلك لأن ميكانزمات الدفاع فى العادة تجرده وتسلبه مما يستره ، وهذه العملية تتشابه تقريبا مع عملية نزع سنارة صيد السمك من الماء قبل أن يلتهم السمك طُعمه (أوحتى قبل غمسها فى الماء)(Menninger & Holzman, 1973) .

فالنكوص يتأثر بقوة بالإحباط ، ومع بقاء المحلل صامتاً فترات طويلة من الزمن فهذا أيضا يجعله يتجنب أخطاء التعاطف الزائد، والذى يعد إضافة الى المكسب الثانوى للمريض ، ويجعل عدم التعاطف قوياً ويؤدى الى تحسن المريض ، ويرى فرويد أن دور المحلل كدور عامل الحديقة الذى يزيل الأعشاب التى تعوق عملية النمو ولكنه لايعطى العلاج مباشرة (Ellenberger, 1970)، وعلى المحلل أن يكون مصدر رضا للمريض ويمنع حدوث مزيد من الإحباطات والنكوص وهو ما قد يؤدى الى مزيد من السلوك الطفلى، وعلى عكس بعض المحللين النفسيين الحاليين الذين يرفضون حتى هدية الميلاد ويحاولون استنتاج الدوافع اللاشعورية التى دفعت المريض لتقديمها - تقبل فرويد الكتب كهدايا وربما يستجيب لذلك فى عطف (Roazen, 1976) ويجب على المحلل النفسى أيضا أن يركز على المعلومات المقدمة له عن طريق الأحلام والتى تتضمن نكوصا الى الرغبات الجنسية فى مرحلة الطفولة والمراهقة .

الإجراءات العلاجية :

البداية : يبدأ العلاج عادة بسلسلة من المقابلات الشخصية التمهيدية بغرض تحديد طريق العلاج المناسب من طرق التحليل النفسى للمريض، فالمريض فى العلاج النفسى التقليدى يسترخى على سرير (أو مقعد مريح) ، بينما يجلس المحلل الى جانبه ، وهذا الإجراء الذى أصبح من الرموز المألوفة فى العلاج النفسى يمكن المريض أن يستريح جسمانيا ويركز كل طاقاته على المهام العقلية المطلوبة منه ، وهى أيضا تتضمن إبعاد التأثير غير المباشر من تعبيرات وجه المحلل أو إشاراته، وهذا الغموض الخارجى يسهل عملية النكوص الداخلية للمريض والاستقلال عن المحلل ،وكان يرفض فرويد التحديق فى المريض كلما كانت خبرته غير سارة . (Freu, 1963, t) .

ويداوم المريض على العلاج بمعدل ٤-٦ مرات أسبوعيا لمدة ٥٠ دقيقة فى الجلسة (وكان يدفع ٦٠ دولا فى كل جلسة) وأحيانا يمتد لأعوام عديدة، فالنفقات الباهظة فى الوقت والتكاليف تعد عيب شائع يجعل العلاج النفسى متعذر لأغلب المرضى ، ولكن هذا الأجر المرتفع يفيد فى التحليل (وللمحلل ايضا) حيث يعطى المريض باعث لكى يفكك دفاعاته النفسية ويتخلي عن المقاومة مما يُسهل عليه دخول عالمه اللاشعورى المخيف . (Menninger & Holzman, 1973) .

التداعى الحر :

يتكئ المريض على سرير أو مقعد ويُطلب منه أن يقول ما يرد الى ذهنه ، وهنا يقول كل شىء حتى لو كان تافه أو غير ذات قيمة . ويعرف هذا الأسلوب بالتداعى الحر Free association حيث يقول المحلل للمريض :

" حديثك معى الأن يختلف عن محادثاتك العادية - حيث تحاول عاده أن تحافظ على خيوط قصتك مترابطة وأن تبعد كل الأفكار الطفلية والموضوعات الجانبية أو الهامشيه لكى لاتبعد كثيراً عن الموضوع ، وسوف تلاحظ أنه خلال محاولتك ربط الموضوعات فإن الأفكار المختلفة سوف تأتى اليك ، وسوف تشعر بميل قوى لأن تضعها جانباً ناقداً لها ومعترضاً عليها، وسوف تقول لنفسك إن هذا ليس له أية علاقه هنا أو أنه ليس مهم تماماً أو أنه شيئاً ليس له معنى ، ولذلك فليس من الضرورى أن تذكره ، لاتخضع لهذه الاعتراضات بل اذكرها حتى لو شعرت إزاء ذلك بالخوف والكراهية ،

ولاتنسى أنك وعدت بمطلق الأمانة ولاتدع أى شيئ دون أن تذكره لأنه قد يترك لك بسبب أو لأخر أثر نفسى سيئ (Freud, 1963 I) .

هذه القاعدة الرئيسية من التحليل النفسى اقترحتها فعلا إحدى مريضات فرويد تدعى (Emmy Von N) عندما طلبت أن تقول كل ما يرد الى ذهنها (Freud & Breuer, 1966) . فالهدف أن تحدد تأثير الرغبات الشعورية ، والمثيرات الخارجية ، والمثيرات الفزيقية الداخلية (كالجوع) على الرغم من أن توضيح أنماط السلوك النابعة من الصراعات النفسية الداخلية اللاشعورية ، بينما المريض يمارس التداعى الحر أو يسعى لذلك ليجعل المحلل النفسى يعطى كامل انتباهه (فى معظم الحالات) .

المقاومة :

التداعى الحر أكثر صعوبة مما نتصور فرغبة المريض الشعورية فى الشفاء عن طريق التحليل النفسى تتصارع مع الدوافع اللاشعوريه لكبت المواد المهددة، دفاعات الأنا لاتستطيع أن تستجيب لمجرد توصية بأن تخبر عن كل شيىء ، وتجبر عمليه التداعى الحر على " مقاومة التداعى" Resistanees ، وربما يتضمن ذلك الصمت الطويل من قبل المريض رافضا أن يقول أى شيئ يبدو تافه أو حقير ، ويحكى قصص مركبة بعناية متجنباً الجوانب الهامه، وهناك وسائل لاتعد ولاتُحصى تعوق الدور الرئيسى وتحول دون إخراج المريض للمواد المكبوتة من اللاشعور (Freud, 1965 a) .

وعلى المحلل أن يساعد المريض على أن يصبح واعى (مدرك) أن عملية المقاومة قد أخذت مكانها فى المقابلة بالشكل الذى تحدث به ، وأن يذكره بالأسباب أخيراً حتى يزيلها لكى يستمر التداعى الحر، لذلك فمن الضرورى أن نحلل ليس فقط الدوافع الأوديبية المهددة والرواسب اللاشعورية المتبقيه من الطفولة ، ولكن أيضا المعوقات اللاشعورية الموضوعة فى طريق العلاج عن طريق تشتت الطاقة النفسية بقوة، وبميكانزمات الدفاع .

التحول :

أثناء تلك الفترات التى لاتعوق المقاومة فيها عملية التداعى الحر ، فإن تكرار دفع المريض لأن يتذكر صراعات الطفولة فى الموقف التحليلى مما يؤدى بالخبرات الانفعالية والسلوكيه لأن تنتقل لاشعورياً من الماضى إلى الحاضر ومن شخصيات هامه فى حياة

المريض الى المحلل، وتعرف هذه العملية باسم التحول Transference، وينقسم التحول الى نوعين التحول الايجابى وهو تعلق المريض بالمحلل والتحول السلبى ويعنى كراهية المريض للمحلل.

والتحول يمد المحلل باول دليل عن الاضطراب العصابى للمريض، التحول الايجابى عاده ما يشتمل ايضا على عناصر حب الطفوله للوالدين، مما يخلق الارتباط العاطفى و يجعل المريض يستجيب لتأثيرات المحلل، ولذلك فالتحليل النفسى يهدف الى تحديد هذه العمليه ويرغم طاقه الليبدو على الابتعاد عن الاعراض العصابيه الى التحول. وعلى هذه العمليه الاخيره ترتكز اساساً عملية العلاج "للعصاب التحولى" (transference neurosis)، حيث يتم هذا الإجراء الاساسى بدون خطر كامن، ومن الممكن ان تأخذ عملية التحول شكل المقاومه وهو ما يعرف بالتحول السلبى، كما يحدث عندما يستعصى العلاج او يحدث الشك وينتقل التهديد من الاب (الذى يهدد بالخصاء او نظيره) الى المحلل، وكذلك توجد حالات لايستطيع المحلل ان يحدد وجهة التحول وهو ما يعرف بالتحول غير الموجه، وهنا يجب ان يتوقف التحليل فوراً (Freud, 1963a).

كما يجب ألا يتم التحول بسرعه أكثر من اللازم (كما فى حالة دورا) أو ببطء شديد، فالمحلل يجب ان يكون حريص على ألا يثير الحب أو الكراهية، بل يعطى المريض تبريراً صادقاً لرفضه المعرفه بمحتوى اللاشعور، وأن يتعلم من الحب والكراهية التحولى، ويعتبر تناول عملية التحول من أهم جوانب العلاج بالتحليل النفسى وقد نجح فرويد فيما فشل فيه بروير لانه استطاع ان يتعامل مع هذه الظاهره المهمة (Freud, 1963 a) ويفضل عند انهاء عملية العلاج التخفيض التدريجى لعملية التحول وذلك اما عن طريق زيادة الفترة الزمنيه بين الجلسات تدريجياً أو عن طريق العلاج الجماعى مما يؤدى الى انخفاض مشاعر التعاطف مع المحلل دون ان يترك ذلك أية آثار ودون حدوث النكسة للمريض.

التفسير:

وحيث ان عملية التداعى الحر تعوقها عملية المقاومة والتحول فإن المحلل النفسى يصبح مُجبر على ان يستنتج المعنى الحقيقى للكلمات وأفعال المريض، وتعرف هذه

العمليه باسم التأويل أو التفسير interpretation . والقيام بعملية التفسير ربما يساعد المريض على الربط بين مشكلات الجنسية الغيرية لديه، والصراعات الأوديبية الطفولية التى لم تُحل ، وعلى كلٍّ يجب أن نبقى التفسيرات حتى يكون المريض على بعد خطوات من المادة المكبوتة، وتصبح دفاعات الأنا المتصلة على وشك الانهيار، وبطريقه أخرى حتى فالتفسيرات الصحيحة من المحتمل أن تنتج المقاومة والرفض لأنّ ذلك يكون بعيد عن المعرفه الشعوريه للمريض . ولأن المريض غالبا لايصدق أنه يحب أمه أو يخفى رغباته فى موت زوجته التى يتظاهر بحبها ، لذلك يرى فرويد أن هذا معتمد على مهارة المحلل .

التعلم وإعادة التعلم :

كما فى أغلب حالات التعلم ، فالاستبصار الذى حصلنا عليه من خلال العلاج النفسى يجب أن يمارس فى ضوءه ما يساعد المريض على دمجه فى الحياة تعرف هذه العملية باسم Working Through فمعرفة المريض لأول مرة عن كل من الصراعات اللاشعورية والمقاومة ، وانهزامية الذات لايكون عاده فعالاً وكافياً لإحداث التغير، فالمريض فقط يقتنع تدريجيا بحقيقة المواد اللاشعورية ، ويتعلم كيف يتفادى كبتها ثانية، ويعيد صياغة معرفته الجديده فى شكل سلوك مؤثر وفعال (Freud, 1963 j) .

والاعتبار الأخير فى العلاج النفسى الفرويدى يتركز على الميل اللاشعورى للمحلل لإزاله السلوك والانفعالات عن الأشخاص الأخرين المهمين للمريض كالأب والزوج الى المريض نفسه وتعرف هذه العملية باسم التحول العكسى (Countertransferences) وهو ما قد يؤدى الى ضعف التجاوب بين المريض والمحلل . وعلى سبيل المثال فالمريض المستاء ربما يتوقف استياءه اللاشعورى نحو المعالج إذا ما كان يتصرف بنفس طريقة الأب، أو أن المعالج ربما يفحص بعض الأعراض المهمة لأنها مرعبة ومخيفة له وتتشابه مع مشكلاته الخاصة، ولتجنب مثل هذه الأخطاء، ولإعطاء فهم حقيقى للتحليل النفسى، يجب أن يمارس المعالجين التحليل النفسى لأنفسهم كجزء من تدريبتهم ، والعديد منهم لايبدأ الممارسة الفعليه للتحليل النفسى حتى العقد الخامس من عمره (الأربعينات) (Freud, 1963 k) ، والتحول العكسى لايحتاج الى توضيح طالما أن المريض المضطرب عبر عن عداءه بطريقة مهذبة أو لطيفة . ويعتبر فرويد طريقة التحليل

النفسى هى الطريقة الأولى للعلاج النفسى ، ولكنه يسلم بوجود بعض المعوقات فيها ، فلايؤمن بصلاحيتها بالنسبه لكل المرضى أو لايعتبرها مؤكده النجاح ، وهو أيضا لايرفض باقى الطرق والأساليب المعمول بها (Freud, 1963 k) .

فالعلاج بالتحليل النفسى محاولة للحصول على أفضل الظروف النفسية الممكنة لفاعلية الذات ، وبهذه الوسيله تستطيع الأنا تقبل تحديات الحياة ، ولكى يواجه الاحزان والمصاعب العاديه للحياه اليومية . فالمريض الناجح يعيش التحليل بإحساس وشعور مشابه لإحساس وشعور أحد الكتاب حينما قال : (أنا أطلب كل الأشياء التى تمتعنى بالحياة - ولقد اعُطيت الحياة لذلك يجب أن أتمتع بكل شيء فيها) .

العمل Work

طبقا لنظرية التحليل النفسى ، فإن السلوك الإنسانى محكوماً " بمبدأ اللذة " . فالناس تسعى لتجنب الألم الذى ينشأ عن تزايد دوافعهم ، والحصول على اللذة بتجنب التوتر النفسى الناتج عن هذه الدوافع ، وإذا أشبعت هذه الدوافع الغريزية فلن يكون هناك دوافع فى حاجة الى الكبت ، ولن يضطر أحد للعمل . ولكن هذه المثاليات من الصعب تحقيقها ، فالطبيعة قاسية وأحيانا مدمرة ، تخلق المعوقات والإحباطات ، والقواعد الاجتماعية تبعد الفرد عن المصادر الأساسية للمتعة من خلال ما تفرضه من قيود على هذه الغرائز غير المحكومة أو غير المروضة مثل إتيان المحارم (سفاح المحارم) والقتل ، ولابد من التضحية بقدر معين من الإرضاء (الإشباع) من أجل العيش - ويعتبر العمل منفذ جيد لهذا التسامى Sublimation .

قليل من الأشخاص الموهوبين يحققون اللذة الغالية والكاملة من عمل فنى أو اكتشاف علمى ، وأخرون (يشعرون بالرضا) لاختيارهم العمل الذى يتناسب مع قدراتهم الفطرية ويوجهون (دوافعهم) الغريزية عبر متنفسات (مخارج) مقبولة اجتماعيا (كمثال لذلك الطفل الصغير الذى ينمى طموحه الشديد حول معرفة كيفية ولادة أخيه الأصغر أو أخته الصغرى ، هذه الأحداث الدراميه تحدث فى بيته ولكن غير مسموح لهم بمعرفتها ، أما الراشدين فقد يُرضى رغبته المستمرة لمعرفة هذه الأشياء بأن يصبح طبيباً (متخصصا فى امراض النساء والتوليد) . وهذه المهنة أيضا تتطلب أن يكون عطوفا مع الأطفال والأمهات الذين يتعامل معهم . وبالمثل - فشخص ما ربما يصبح جراحاً لكى

يتسامى بدوافعه السادية عن طريق تقطيع أجساد الناس بطريقه مقبولة اجتماعياً ، أو ربما تساعد الصراعــات الأوديبية القويـة فــى جعـل شخص ما مصوراً أو رساماً للجنس الأخر ، ولسوء الحظ فإن الغالبية العظمى من الناس تعمل فقط تحت ضغط الحاجه والضرورة ، ولديهم كراهية طبيعية للعمل بصرف النظر عن كونه مصدر هام للرضا الكامن (Freud, 1961 b) .

التربية : Education

يجب على التربية الأولى أن تعلم الطفل كيفية ضبط غرائزه المحرمة (غير المروضة) والانسجام مع الأخرين ، ولكن إذا كان هذا مؤلم ويتعارض مع تفريغ طاقة اللبيدو فإن العصاب يوشك أن يحدث . وأن تجدالتربية طريقها الوسط ما بين المعارضة والإحباط (Freud, 1965 b) ولسؤ الحظ - فإن هذا الهدف الهام قليلا ما يتحقق ، لأن التربية غير الحكيمة تعمل على إخفاء الدور الذى يلعبه النشاط الجنسى فى الحياة وتفشل فى إعداد الصغار لمواجهــة ما يقوم به الأخرين مــن هدم وتحطيم . ويرى فرويد ضرورة إعداد الطفل للحياة بأن نعلمه الاعتماد على النفس وألا نكون كمن بعث من القطب الشمالى الجليدى بملابس صيفية وبيده خريطة لأوربا الجنوبية . وهذا يجعله يشعر أن من المستحسن أن يبقى آمنا وسط الأقوياء وهو ما يجعله سعيدا مع الأخرين وهذا ما لايحدث غالبا(Freud, 1961a) .

ولعلاج هذه العيوب يوصى فرويد أن يخضع المعلمين تحت الإعداد لدراسة التحليل النفسى وكذلك بعض المحللين المحدثين يرون أن يخضع دارس علم النفس والعلوم الاجتماعية للتحليل النفسى .

الأدب Literature

طبقا لنظرية التحليل النفسى فإن الأفكار الأوديبية توجد فى الأدب والفنون ، ففى أدب الأطفال استطاع البطل الصغير أن يقهر الخوف من العملاق فى مسرحية "جاك وساق الفاصوليا Jack & the Beanstalk " التى صورت انتصار أوديب على الأب الذى يتوعده بالخصاء ، فى حين أن سيندريلا Cinderela حصلت على نجاح مشابه وتغلبت على قسوة زوجة الأب والأخوات فكسبت عطف صورة الأب الوسيم (The

(Prince لتقلل شعور السامع بالذنب تجاه تحقيق تلك الرغبات المحرمة .

وفى أدب الكبار : ففى مسرحية هاملت Hamlet لشكسبير مثلاً لم يستطيع هاملت أن ينتصر على نفسه ويثأر لمقتل أبيه لأن السلوك التهديدى لعمه الجبان كان دائماً يذكره برغبته المحظورة والملحة فى نفس الوقت لأنه أخذ مكان أبيه بعد زواجه لأمه . ولقد كان قتل الوالدين محور كثير من الروايات مثل الإخوة كرومازوف لديستوفسكى * ، وفى كثير من الأساطير وعلى وجه الخصوص قصة أوديب التى تجسدت فى نظرية فرويد حتى فى أحداثها ، ويمكن القول أن خضوع أو إذعان الشخصيات والمحتوى الظاهر للقصة يمكن تأويله على أنه دفاع ضد الدوافع المحرمة ، وعلى سبيل المثال أيضا أسطورة الألهة الخالدة immortal gods التى تتنكر لقتل الوالدين وذلك عن طريق تمثيل صورة الأب (Zeus) الذى لم يستطع أحد قتله . (Brenner, 1974) .

ويرى فرويد أن النكتة لها أهمية سيكولوجية وخصص لذلك مقاله فى هذا الموضوع (Freud, 1963 f) فكثيرا مما هزلى (نكته) يبرز ما هو محبوس من توترات جنسية وعدوانية بطريقة مقبوله إجتماعياً فعمل النكته Joke مثل عمل الحلم يكون بإخفاء المعنى الحقيقى واستخدام التكثيف والإزاحة . وتحليلات فرويد تمثل صعوبة للقراء الأمريكان المعاصرين ، فالهزل الممتع يوجد بوضوح بين الألمان (موطن فرويد) ، ويحتاج الى شرح قوى بالانجليزية أو أن نجمل المسرحية فى بضع كلمات فى حين أن أخرون كانوا يستمتعون بالهزل الذى يتفق وحياتهم فى فينا فى نهاية القرن الماضى .

علم النفس الاجتماعى Social Psychology

رفض فرويد إمكانية الاستقلال بالغريزة الاجتماعية الإنسانية لأن المجموعات تتكون عندما تتوحد مع قائدها ، وتتشرب معايير القائد فى الأنا الأعلى لديها (Freud, 1959) ، وكمثل الأطفال الاعتماديين فأعضاء الجماعة لابد وأن يشعرون أن القائد يحبهم جميعاً بنفس القدر وذلك للقضاء على الإحساس بالغيرة والحقد بينهم ، وطاقة اللبيدو هذه هى الرباط النفسى الذى يربط بين الجماعة معاً ويحقق تآزرها ، والوثيقة الفعالة

---

* مؤلف روسى ترجمت له العديد من الأعمال إلى العربية وحولت إلى أعمال فنية منها الأبله والإخوة الأعداء (الإخوة كرومازوف) .

للقضاء على الانانية فى الجماعة (فالقائد يمثل الصورة القوية للاب) وهذا يشبع لديهم وبطريقة لاشعورية الرغبه الشبقية الدائمة للإحساس بالأمان التى تتولد منذ الطفولة، وقوة القائد قد تخلق جو من التنويم المغناطيسى الذاتى Self-Hypnosis الذى يجعل الجماعة تؤدى الأعمال خوفا وكرهاً عما إذا كانت بمفردها كما لو أن جيشاً من الرجال يخوض معركة ضد فريق لا أمل له لاعتقادهم أنهم لن يبقوا على قيد الحياة مهما بذلوا من جهد. والجماعات دائما تعكس الطرق البدائية للصفات كالاندفاعية واللااخلاقيات وفشل التمييز بين الحقيقة والوهم ، ولايوجد سبب مقبول لهذا التناقض ، والإزاحة المتكررة تحدث عندما يعجز الفرد عن تأجيل الإشباعات اليومية . فلو أن معايير القائد كانت صحيحة لكانت أخلاقيات الجماعة أقوى من أخلاقيات الفرد الذى يعتنقها .

نظرية فرويد فى الميزان :

كان لفرويد وجهة نظر براقة حول طبيعة الشخصية الإنسانية، غير أن هناك بعض الأخطاء فى نظريته، ولها بعض الجوانب التى ظلت محل جدل كبير فضلا عن بعض المفاهيم المعقدة وتركه لبعض النهايات تائهه ، وإن كان التسليم بالخطأ وتصحيحه يعد أعظم قمة النزاهة العلمية، ولكن إعادة النظر المتكرر نتج عنه صعوبات لهؤلاء الذين يحاولون تقييم نظريته .

ونظراً للجدل الذى آثارته هذه النظرية فقد كان النقد الموجه لها وخاصة فى المجتمعات العربية والإسلامية من منطلق عاطفى لكون مفاهيمها تتعارض مع ثقافتنا، ولكنى هنا أحب أن اضيف لهذا الأمر بعداً أخر له نفس الأهمية واجيب على السؤال : ما مدى الدقة والسلامة العلمية لهذه النظرية كما أوضحتها نتائج الأبحاث التى أجريت فى كنفها ؟؟

١- أوجه النقد والخلاف :

أ- الجنس الانثوى : كان فرويد يعتقد أن المرأة أقل درجة من الرجل لنقص أو عيب فى عضوها التناسلى - والأنا الأعلى لديها ضعيفة، وأكثر قابلية للاصابة بالعصاب، غير أن وجهة نظر التحليليين المحدثين اختلفت عن وجهة نظر فرويد وأشارت الى تفوق المرأة عما كان يعتقد سواء جسدياً أ و روحياً متمثلا فى قدرتها على الانجاب ، بالإضافة إلى أن

التحليليين يعتقدون أن الإثارة الجنسية للمرأة أقل درجة غير أنه الدراسات الحديثة أوضحت أن الإثارة الجنسية لديها تتوزع على كل الجسم ، مع أن الاستجابه الجنسية معقده الى حدما بحيث يصعب إرجاعها الى عامل واحد فالدراسات أوضحت أن المرأة التى يتحرك لديها الدافع الجنسى من خلال البظر فهى عادية ومتوافقة جنسيا مثل التى تحصل عليه من المهبل - ويتضح لكثير من الملاحظين أن نظرية فرويد تحمل تعبير أخر عن التهذيب الغرضى (التهذيب الثقافى) لكبار السن ، ويتحامل فيه بشكل واضح على المرأة (Fromm, 1973) .

ب - الاتساق الداخلى للنظرية :

على الرغم من أن نظرية فرويد نالت كل الاهتمام والعناية إلا أن بناءها الداخلى لم يكن متماسك . اعتبارات هامه مزقت الأساس وهددت بهدم التركيب ، على سبيل المثال دعنا نعود ثانية لطبيعة الغريزة سنلاحظ أن فرويد رأى حقيقة أن غرائز الجنس وحفظ الذات درجتين منفصلتين ، وذكر أيضا أن كل الغرائز لديها وظيفة المحافظة على القديم برد الشىء الى الحالة السابقة لوجوده (العوده من الجوع الى الشبع) ، وعندما واصل فيما بعد تصوره عن مصطلح النرجسية Narcissism كان من الضرورى عليه أن يصنف غريزة حفظ الذات تحت مصطلح الليبيدو، وهو ما خلق بعض المشاكل الهامه وخرجت نظرية الليبيدو عن مسارها وأصبحت تفسر كل شىء ، وهى بذلك لاتفسر أى شىء.

نتيجة لهذه الأسباب ونتيجة لأن السلوك العدوانى أصبح متزايد من ناحية أخرى وأصبح من الصعب تفسيره فى ضوء نظرية الليبيدو لذلك أضاف فرويد غريزة الموت عام ١٩٢٠ ، وبهذا اكتمل النمط القطبى الذى يفضله كثيراً، وحد من دور الليبيدو ، وربط فرويد غريزة الموت بباقى النظرية ، وهنا ظهرت مشكله جديدة وهى كيف تحافظ غريزة الموت على بقاء الطاقة؟ فهى تحاول إرجاعنا الى ما قبل الحياة (اللاحياة) التى بدأنا منها ولكن كيف ؟ إن غريزة الموت لاتستطيع المساعدة على بقاء الطاقه ولاتوجد غرائز أخرى تستطيع ذلك ، وهنا سوف يظهر نوع من خلط المفاهيم وبعض المفاهيم الهامة مثل تخفيض الدافع ، ومبدأ اللذة سوف تتحطم. ولذلك رأى فرويد أخيرا بأن الأيروس (ربما) يساعد على بقاء الطاقة" (Freud, 1969 a) والسؤال الذى يطرح نفسه الآن :

جـ - هل هى غريزه الموت أم اختلال واضطراب عقلى ؟

ينكر فروم على فرويد زعمه بوجود غريزة الموت لدى الإنسان ، وأن من مظاهر وجود هذه الغريزة : الميل للعدوان والتخريب وتعاطى المخدرات وغيرها - وهذه الميول شائعة بين جميع شعوب العالم ولكن - لو صدق مايزعم فرويد لكان مجموع جرائم القتل وحوادث الانتحار معاً نسبة ثابته لاتتغير بتغير الأمم ، لأن الغرائز ميول بشرية يتصف بها الناس أجمعين ، بيد ان الإحصاء يدل على أن هذه النسبة تتغير بتغير البلدان فقد بلغت ٣٥ر٦٧ بين كل مائة الف بالغ فى الدنمارك وهى أعلى نسبة معروفه ، وبلغت ٤ر٢٤ من كل مائة الف فى ايرلنده وهى ادنى نسبة فى إحصاءات ١٩٦٤ ، وكذلك تتذبذب نسبة المصابين بإدمان المخدرات ارتفاعاً وانخفاضاً فى مختلف البلدان مما يدل على ان القتل والانتحار وإدمان الشراب ليست من مظاهر غريزة الموت أو غريزة التخريب التى ألمح اليها فرويد وإلا كانت النسبة ثابته فى مختلف الأمم ، وإنما هى من دلائل الإضطرابات العقلية تزداد فى أمه وتقل فى أخرى ، من طريف الإحصاءات أن حوادث الانتحار تطرد فى الزيادة مع ازدياد الإقبال على تعاطى الخمور بإدمان قاتل فتاك ، وفى ذلك دلالة واضحة على ان هاتين الظاهرتين من الظواهر التى تشير الى اختلال العقل وإضطراب ميزانه (إريك فروم ١٩٦٠)

ويعقب هول وليندزى على نفس القضية يقولهما " يستحيل اشتقاق أية فروض تجريبية من افتراض غريزة الموت ، ولذلك تظل الرغبة فى الموت باقية فى غياهب الظلام الميتافزيقى ، ولايكون لها أى معنى بالنسبة للعلم ، وبالرغم من أن المرء يمكن أن يستخدم الرغبة فى الموت فى تفسير ظاهرات معينه كالانتحار والحوادث فإن مثل هذه التفسيرات التالية على وقوع الحوادث ذاتها لاتعنى إلا القليل جداً ، إنها مثل الرهان على الحصان بعد اشتراكه فى السباق . إن النظرية الجيدة ، على العكس ، تمكن مستخدمها من التنبؤ مقدماً بما سوف يحدث (هول وليندزى : ١٩٧٤) .

والقول بأن السلوك العدوانى سلوك غريزى أمر مرفوض لانه يتنافى فى رأىً الشخصى مع :

١ - لأن افتراض السلوك العدوانى سلوك غريزى تعنى أنه سلوك غائى فى ذاته وليس وسيله لتحقيق انتصار أو جمع مكاسب (اللذة) ولايمكن للإنسان أن يبحث عن العراك ويرضى به ويخاطر فيه بحياته ويتحمل الألم ، ويعادى الآخرين حتى يوفر

لنفسه فرصة العدوان فيقوم به مالم تكن هناك أهدافاً ينالها من وراء ذلك وهو ما يعنى تحقيق اللذه من خلال الألم وهو رأى غير مقبول منطقيا .

٢- إن رفض فرويد للدين يتعارض مع إيمانه بوجود غريزة العدوان ، وكان من الأجدى له أن يدعو الى الالتزام بالدين لمواجهة هذه الغريزه حيث أن الدين يدعو الى الالتزام بالفضائل من قبيل حب الاخرين، والعفو، والتضحية، والإحسان والرحمة ورفض العنف، والزهد والتقشف، كما يحارب القسوة والكبرياء والأنانية وتقديس القوه، وهو بذلك يهدم أكثر مما يبنى، كما تدعو مبادىء الدين من كل إنسان أن يتجاوز لذاته ، وان يكون خليفة الله فى ارضه ، حراً لاتحكمه الغريزه وتسيطر عليه وان ينتصر على ملذاته .

٣- العراك من أجل الحياة ودوام الأقوى وتطوره مما يفسر إيمان فرويد بغريزة العدوان أفكار داروينية بناها فرويد على نظرية دارون ومبادئه . تهبط بالإنسان الى مرتبة الحيوان وتجرده من أكبر نعم الله عليه وهى العقل، وتزيح جانباً القيم والمعايير والأخلاقيات كإطار للتعامل بين البشر .

٤- إن مفهوم فرويد عن الدين الذي يدعو الى تجنب الشر والتمسك بالخير يسير فى نفس الخط الذى سار فيه الفلاسفه الوجوديين الذين اعتقدوا أن القيم الدينية وأهمها الإيمان بالله هى أخلاقيات العبيد لا السادة مع العلم أن الله سبحانه وتعالى لم يفرق بين السادة والعبيد فى التمسك بالخير والبعد عن الشر، ولم يجعل هناك أخلاقاً للسادة وأخرى للعبيد، ولكن مساواة فى الحقوق والواجبات. إن استقامة النفس لاتحدث إلا إذا كانت خاضعة للعقل وليست للغريزة ومحدودة بحكم الدين . فالله لا الإنسان هو مقياس الأشياء كلها كما يقول أفلاطون .

د - الجنس والتعصب :

واجهت نظرية فرويد بهجوم قاسى بسبب تأكيده الزائد على الجنس من كل جوانبها: عقده أوديب ، الليبيدو ، المراحل النفسية الجنسية، إرجاعه كل الأمراض النفسية الى الدافع الجنسى ، معظم رموز الأحلام إشارة لأعضاء الجنس وغيرها ، وهذا يبرز أثر الدافع الجنسى مما جعل الناس لاتصدق بأمكانية رد كل تصرفاتهم للدافع الجنسى وحده ، وعلماء التحليل النفسى يحاولون إثبات أننا لم نذهب بعيداً بالدرجة الكافية عندما

نرفض اعتبار الدافع **الجنسى** الدافع الأساسى للشخصية عن طريق تخليص أنفسنا من الكبت ، ان حتى محاولاتنا الاعتراض على فرويد هى فى رأيه محاوله لعدم تخليص انفسنا من الطاقة الجنسية المكبوته أو عدم الاعتراف بها ، وهناك أيضا احتمالية أن يكون فرويد قد تأثر بحياته الشخصية بدجة كبيره فى صياغته لنظريته ، فتنويهه المتواصل لقتل اوديب لوالده يمكن رده الى خبرات غير عاديه متبقية لدى فرويد ازاء والده (Ellenberger, 1970)

يقول يونج : " لاحظ ان حقيقة نظرية فرويد الجنسيه قد احبطت (فشلت) عاطفيا بدرجة غير عاديه – عندما كان يتكلم عنها – اى غريزة الجنس كان ينبعث منه مدى الاهتمام به ، وان كل الدلائل او علامات نقده العادى قد زادت وتعبيرات عميقة كانت ترتسم على وجهه ، لا افهم سببها ، كل ما افهمه بداهة ان الجنس بالنسبة له شىء مقدس " .

كان فرويد فى موقف لايحسد عليه بسبب حساسيته وخوفه من الموت – حيث لم يؤمن بالدين بعد ، وكان يكره المجهول وخاصة عدم الوجود (بعد الموت) الحتمى الذى لابد منه ، والموت الذى ليس له معنى أوتفسير ، فكان يرى ان التحليل النفسى ربما يصبح الدين الذى يمده بالخلود الابدى . وفى الحقيقة كان رفضه التام لنقد زملائه لنظرية اللبيدو (مثل يونج وأدلر) انما يعكس تعصبه ضد الدين اكثر من كونه دفاع عن وجهة نظر علمية . (Becker, 1973)

ولقد دافع فرويد عن نفسه فى هذا الصدد بقوله : كل دين هو دعوه للحب لكل من يعتنقه فى حين ان التعصب والقسوه هو شىء طبيعى ضد كل من لايعتنق هذا الدين ، فلو ان مجموعة اخرى مكان المجموعة الاولى (التى اعتنقت الدين) سيكون لديهم نفس الميول نحو الاخرين الخارجين عن الدين ، ولو حدث اختلاف فى وجهتى نظر علمية ، فأن نفس النتيجة ستتكرر . (Freud, 1959a) .

والمحللين المحدثين يفعلون كما لو كانوا من المجموعات الخارجية ، واقتصر دورهم على توجيه النقد ضد نظرية فرويد واستطاعوا إقناع الآخرين . على سبيل المثال ينقض أدلر لفرويد ونظريته وإجراءاتها من خلال : "وصفه لنظريته على انها تافهه ، والسلوك العلاجى بأنه وسيله تحايل ، ومن ناحية اخرى فان نظرية التحليل النفسى كانت خاطئه عندما هاجمت الاديان ، وإذا لم يستطع أى إنسان تذكر أى صدمة أوديبية هنا يمكن

للمحلل النفسى أن يستنتج بأن هذه الأحداث قد اخفيت عن طريق الكبت، بالمثل فإن أى رواية أو حلم لايوجد فيها دليل بين من الناحية الجنسيه عاده ما تفسر ذلك على أنه حدث نتيجة دفاعات عديدة، والتعارض مع تفسير المحلل النفسى ينظر اليه على انه مقاومة، وليس خطأ من المحلل، فعندما اخبر فرويد دورا Dora ان حقيقة المجوهرات التى رأتها فى حلمها تشير الى الأعضاء التناسلية الأنثوية فردت عليه قائله " اعرف انك ستقول ذلك "، فرفض فرويد النهاية الواضحه، وهى انها تعرف نظريته حق المعرفه تكفى لان تتنبأ باجاباته ورأى ان اجابتها هى طريقة مثالية " لمقاومة " حقيقة نفسيه (Freud, 1963 b). حقيقة ليست هناك طريقة لأن تجد تفسير منطقى للجنس عند الفرويدين ".

ولتكن على بينه أن افكار فرويد قد اشتقت من نزلاء مستشفى الأمراض العقلية الذين فحصهم بدقة وعمق ثم رآها على انها الحقيقة التى لاتقبل الجدل. وقضى حياته فى عمل شاق ومرير، مشاركا مرضاه احاسيسهم وافكارهم باحثاً لهم بدقة وعمق وعلى اتصال وثيق بهم، ولم يكن يتقبل وجهة النظر التى تتعارض معه فقط إلا ليظهر انه واسع الأفق، وقد كان على يقين من أن التحليل النفسى به اوجه قصور حاده.

هـ - التشاؤم واختزال الدافع:

واجه تصوير فرويد للجانب المظلم فى الشخصية انتقادات حاده، فلا أحد ينكر ان الناس يمكنهم ان يقوموا بافعال مدمره وغير مشروعه، ولكن هل نحن حقيقة فى امكاننا ان نكون عدوانيين وسفاكى دماء بالوراثة؟ وهل تقتصر سعادة الكبار فقط على التسامى بالرغبات المحظوره منذ الطفولة؟ هل الاعتقاد فى ان الطبيعة الإنسانية خيرة، هو إحدى الاوهام الخاطئة والتى يسعى عن طريقها الانسان لان تصبح حياته جميلة وسهلة بينما هى فى الحقيقة غير ذلك (Freud, 1965, b) وبدلاً من قبول هذه الفكرة المأسوية فقد حاول البعض من اصحاب النظريات ان يعيدو صياغة نظرية التحليل النفسى الفرويدى فى عبارات اكثر تفاؤلا (هورنى - فروم - إريكسون)، البعض الأخر آثر الخداع الفرويدى مثل (روجرز، ماسلو). وهناك تشاؤم عميق فى فكر فرويد " فالإنسان محكوم بكل عنف بالقوى اللاشعورية للأنا بحيث انه لايستطيع ان يتخلص ابداً كلية من الاستيحاش والقساوة والشهوة فى طبيعته وفى ذلك يكون الإعلاء أفضل ما يمكن أن نأمله، فليس ثمة تحويل أصيل للدوافع (فرانك سيفرين : ١٩٨٧).

وعندما دعت الجمعية الطبية بفينا الطبيب النفسى بينسوينجر Bensuinger تقديم دراساته فى إحتفال أقيم بمناسبة العيد الثمانين لميلاد فرويد ولم يحضره فرويد لسؤ حالته الصحية قال فيها ، لقد اسهم فرويد فى توسيع وتعميق بصيرتنا بالطبيعة الإنسانية ربما اكثر من أى مفكر منذ ارسطو ، لكنه مضى الى القول بأن هذه البصائر قد لبست رداءاً نظرياً علمياً يبدو لى ككل من جانب واحد وضيقاً للغاية ، وكنتيجة لذلك اعتقد بينسوينجر أن نظرية فرويد تتضمن فحسب فهماً غامضاً يقوم على مبدأ الظواهر المضافة للإنسان فى علاقته بغيره من الناس ، وأن مجال الإنسان فى علاقته بنفسه قد أغفل تماماً وأرسل نسخه من دراسته لفرويد الذى ارسل اليه خطاباً بعد إسبوع (سيفرين ، ١٩٨٧).

لقد جاء تأكيد فرويد على اختزال الدافع كالنار التى تحت الرماد ، فقيمة الخبرة اليوميه تقترح بأن الناس يتحركون بالرغبات التى تزيد التوتر ويبحثون بفاعلية عن الإثارة والتنبيه ، ففضول الأطفال لاينقطع فى توال وحيويه ، وبعض الكبار يستمرون فى العمل على الرغم من الأمان المادى الذى يتمتعون به ، وكثير من الناس قد يمارسون أفعالا متناقضه بدلاً من أن يجلسوا كسالى.

و - الطاقة النفسية Psychic Energy

طبقا لفرويد فان التثبيت أو النكوص سوف يؤدى الى العصاب ، ومن ثم إستنفاذ جزء من الطاقة فى صورة أعراض مرضية ، ولكن ماكمية الطاقة المستنفذه فى هذه الحالة. انه لمن المستحيل أن تقيس كمية الطاقة النفسية الداخله فى أى عملية تركيز للطاقة ، وليس هناك طريقه لتحدد بها الحد الأدنى للتفريغ والذى نحتاجه لكى تتفادى تجمد الطاقة الليبيديه. لذلك فإن بعض علماء النفس يضعون نموذج الطاقة ضمن السواقط الدرامية عند فرويد مثل بيبر (Bieber, 1980) ، كارلسون (Carlson, 1975).

ز - المنهج والطريقة (الميثودولوجى) Methedology

بعض النقاد ينظرون الى التحليل النفسى على أنه عملية ذاتية جداً وغير منضبطه ، إن المحلل النفسى من الممكن أن يكون متحيزاً بأن يصدر شعارات أو أن يتغاضى عن الدليل والمشاهد المناقضة لنظريته ، أو أن المريض يكون واقع تحت تأثيره ليسلك بطريقة تؤيد مزاعم المحلل. وقد يعتمد المحلل بقوة على ازدراء المريض (كره المريض) على الرغم

مما فى هذه الطريقة من سلبيات . ويؤكد فرويد (Freud, 1963a) انه لم يضلل المريض أبدا باقتراح غير محتمل بدرجة كبيره، كما كان فرويد يرفض اخذ ملاحظات أثناء فترة التحليل لأنه من الممكن أن يستجيب لاشعورياً وبتقمص انفعالى أو قد ينشغل عن المريض، فماذا لو بحث أو فحص المريض بواسطة محلل قد تخونه الذاكرة ؟ (Walerstein & Sampson, 1971) وعلى الرغم من معارضات فرويد - فأن تركيزه على العصابيين من الممكن ان يحد من فهمه للشخصية السوية المتكيفة ، ولاتوجد فى كتابات فرويد اى تحليلات إحصائية أو اختبار فروض تفاضليه، بل على العكس فإن ملاحظاته العلمية كانت معادية للبحث الكيفى المضبوط ، على سبيل المثال تحليله لكلمة (aliquis) من الممكن الا تثبت انها كانت مدفوعه بخوف لاشعورى من حمل المرأه ، حيث ان التداعى الحر قد يبدأ بأية كلمة اخرى من الممكن أن تقود الى هذه المسأله الشخصية الهامة .

ح - قضيا اخرى Other Issues

ظل الباحثين النظريين فى مجال التحليل النفسى مثل اريكسون، وفروم وهورنى وسوليفان يعتقدون ان فرويد قد ركز على المحددات البيولوجية فى الشخصية وأهمل العوامل البيئية والاجتماعية (كما سنرى فى الفصول التالية) كما أن يونج وسوليفان واريكسون هم من بين اولئك الذين يقولون بأن نمو الشخصية يستمر فى مراحل المراهقة والبلوغ ولاتنتهى عند الخامسة او السادسة من العمر، ولقد قيل بأن فرويد قد عطى تركيزا كبير على الجوانب المعزية والمواسية فى الدين ، أخذاً فى الاعتبار بعضاً من مميزاتها (وبعضا من مساوىء العلم) ولقد كان لديه تحيز شخصى بخصوص هذه الموضوعات .

ويظهر الأن آن الأحلام ليست حراس النوم كما قال فرويد ، بل أن النوم هو الذى يخدم حماية الحلم ، تلك هى العملية الجوهرية لتكويننا السليم، ومن المشكوك فيه أيضا أن الأحلام تكون موجه جنسياً كما اعتقد فرويد ، وأنه من الممكن أن تستخدم رموز الحلم كثيراً للكشف والتعبير عن الأفكار المعقده وليست لتخفيف رغبات محرمة .

يرى علماء السلوكية أن المخاوف المرضية لدى هانز الصغير كانت قد نشأت بالتعليم والمثيرات الخارجية وليست بالصراعات الأوديبية الداخلية (Bandura , 1969, Wolpe & Rachman, 1960) إن إؤلئك الذين يتميزون بالتفاؤل تجاه طبيعتنا

الموروثه لايوافقون على ان الناس لديهم بغض وكراهية طبيعية تجاه العمل ، كما أن كتابات فرويد تحوى العديد من المصادر فى الطبعات السابقة التى أستحق عليها العقاب لاعطاءه تقدير غير كاف لهؤلاء السابقين عليه مثل نيتشه Nietzsche .

ط - البحث الإمبريقى Empinical Research

كما يتوقع من اى علم فقد حاول التحليل النفسى أن يحسم المتناقضات السالفة الذكر ، بالعوده الى البحث التجريبى ، ولسؤ الحظ فان النتائج لم تكن جيدة أو إيجابيه تماماً ، وهناك العديد من المآخذ على نظرية فرويد فى هذا الشأن أهمها :

العديد من الدراسات ركزت على حيل الدفاع النفسى ، بعض الباحثين حاول استمالة عينة من المراهقين والراشدين لكبت موضوعات متعلمه من خلال اقناعهم انهم فشلوا فى بعض المطالب الهامة والمهددة . مثل قياس الذكاء او قياس الانحراف الجنسى ، أو باعطاء صدمة كهربية . وحاول آخرون دراسة القدرة على تذكر أحداث الحياة القريبة مفترضين أن الأحداث المؤلمة يجب أن تكون أكثر قابلية للكبت من الأحداث السارة ، كما ركز البعض الأخر على الجوانب الإدراكية لحيل الدفاع باستخدام جهاز يسمى التشيستوسكوب (جهاز العرض الإسقاطى السريع) . لإلقاء الضوء على سلسلة من الكلمات الفردية المكتوبة على حائل لمعرفة الانطباع الشخصى عنها وبعض هذه الكلمات محظورة مثل (قضيب - اغتصاب ، وبعضها عادية مثل (تفاحه ، حجر) . حيث أوضحت النتائج وجود تدعيم محدود لوجود حيلة الكبت . فالمجموعة التجريبية لم تبدى دائما إستدعاء اقل عن المجموعة الضابطه للخبرات غير السارة . وحيث ان فرويد يفترض ان كل المكبوتات تأخذ مكانها فى اللاشعور منذ الطفولة المبكرة ، فإنه من الصعب أن نتعرف كيف يستطيع المجرب أن يبرر إدعاءه إذا فشلت نظرية التحليل النفسى فى إطلاق المكبوتات القديمة من عقالها ، ولكن الأدلة الإكلينيكية فى صالح الكبت والحيل الدفاعية الأخرى رغم النتائج السلبية للدراسات فى هذا الإطار . .

ويذكر سيلفرمان Silverman, 1970 ان الدراسات التى تمت على نظرية التحليل النفسى تتسم بتصميم منهجى ضحل أو ضعيف ، من ناحية أنه من الصعب دراسة المحتوى اللاشعورى دون استداعاء الى الشعور ، وينتج عن ذلك الافتقار الى الدراسات المقنعه التى تدعم الافتراضات الأساسية المؤيدة لنظرية التحليل النفسى ، ولعلاج هذا القصور

فقد قام بتصميم برنامجين بحثيين استغرقا عشر سنوات وكلاهما تناول الجوانب الميتافزيقية للتحليل النفسى مثل الطاقة النفسية، وتوظيف الطاقة النفسية، وبدلاً من التركيز على الجانب الاكلينيكى المقترح ، فقد ركز أحد هذين البرنامجين على استخدام جهاز العرض الاسقاطى السريع لعرض مثيرات مصممه لعرض رغبات الفرد، ومشاعره، وصراعاته عن الجنس والعدوان ، ولم تركز على الكبت كما فى الدراسات السابقة، أما البرنامج الثانى فقد اهتم بتوظيف عملية التنويم المغناطيسى فى خفض الصراع عن طريق افتراض ان الحالة ترغب بشدة فى شخص من الجنس الاخر، متزوج ولديه خبرة جيدة ويرغب فى التعامل مع أى محاولة لتكوين علاقة بنوع من السخرية. قد دعمت النتائج ما يدور حول نظرية التحليل النفسى من جدال ونقد ودحضت إلى حداً كبير الافتراض القائل ان الأمراض النفسية ترتبط بالصراعات اللاشعورية عن الجنس والعدوان .

راجع فيشر وجرنبرج Fisher & Greenbeng, 1977 كماً كبيراً من الدراسات التى تعاملت مع مفاهيم نظرية التحليل النفسى، حيث اوضحت الادلة ان الأحلام لاتخدم كحارس للنوم ، ولا المحتوى الظاهر للحلم، وان الحلم عباره عن مزيج عديم المعنى من وسائل التمويه والخداع ربما يكون له أحيانا وظيفة دفاعية ويقدم أيضا معلومات عن شخصية الحالم ونجاحه فى مواجهة ضغوط الحياة ، ويبدو أن فرويد كان على صواب عندما استنتج ان الأحلام تمدنا بملخص عن التوترات الداخلية اللاشعورية ، وبالنسبة لأنماط الشخصية فقد تجمعت الصفات الشفهية (الفمية) كالتشاؤم والسلبية والاعتمادية معاً، كما تجمعت الصفات الشرجية معاً كالبخل والعناد والإهمال - اما الدراسات التى تناولت عقدة أوديب فقد دعمت وجهة نظر فرويد ان كلا الجنسين يبدآن الحياة بارتباط قوى مع الأم، صحيح ان قلق الخصاء اكثر شيوعا لدى الذكور وان الولد يشارك اباه المنافسة فى نيل حب الأم . (هذا امر صحيح مع اختلاف الدافع لكليهما) ، ولكن الدراسات اكدت خطأ نظرية فرويد حول وجود عقدة اوديب لدى الطفله الأنثى ، فلم يوجد دليل علمى يؤكد اعتقاده بأن النساء لديهن شعوراً بالنقص لانهن يمتلكن الرحم بدلاً من القضيب، أو أن الأنا الأعلى لديهن أضعف مما لدى الذكور . كما أوضحت نتائج البحوث أن سعى الولد للتخلص من عقدة أوديب ليس بسبب رغبته فى خفض قلق الخصاء ولكن لأن صداقته لأبيه ورعايته له تدعوا الولد لأن يكون مثل أبيه . أى أن حل عقدة أوديب لدى الولد يرجع الى عامل الثقة وليس عامل الخوف كما ادعى فرويد .

غير ان الكثيرين من علماء النفس والأطباء النفسيين ينظرون الى النشاط الجنسى للطفل فى نظرية فرويد على انها بعيده عن مرمى الحقيقة ، فالكثير من السلوكيات التى يفسرها فرويد تفسيراً جنسياً ، يمكن تفسيرها على منحى آخر اكثر قبولاً من الوجهة المنطقية أو الإجتماعية ، فالولد الصغير الذى يريد ان يحمل الحقيبه عن أمه إنما يفعل ذلك تقليداً لسلوك الأب ، وليس لأنه يريد ان يحل محله ، ونفس الأمر بالنسبة للبنت التى ترغب فى إعداد الطعام لأبيها ، حيث يلعب التوحد والمحاكاه دوراً هاماً فى تعلم سلوك الراشدين وتقليدهما . (راجع نظرية بندورا).

كما راجع هانت Hunt ,1979 الكتابات التى تناولت مراحل النمو النفس جنسى واستنتج ان نظرية فرويد ليست صحيحه فى جوانب عديده ، على الرغم من وجود تدعيم لوجود الخصائص الشرجية ، إلا انه لاتوجد دلالة على أنها تنتج من اخطاء التدريب على الإخراج . وفيما يتعلق بعقدة أوديب وجد ان من المشكوك فيه ان يتنافس الاطفال مع الوالدين من نفس الجنس لجذب الانتباه والحب من الأب أو الأم المخالف فى الجنس . ومن الطبيعى ان تدعم الدراسات وجهة نظر فرويد بأن الخبرات المبكرة تعمل كمحددات للشخصية .

بعض منتقدى نظرية التحليل النفسى استخدموا الحيوانات للتحقق من وجود مبدأ اللذه ، فالحيوان سوف يستكشف البيئة ، ويتعلم حل المتاهه ، ويتعلم فتح باب القفص بمجرد ان يرى الطعام خارجه دون ان يأخذ اختزال او خفض الدافع مكانه فى الموضوع ، ولذلك اتفق باور وهيلجارد ١٩٨٠ مع أصحاب نظريات التعلم فى ان فرض خفض الدافع لدى فرويد من المحتمل ان يكون غير ملائم أو واف بالغرض على الإطلاق . ومن ناحية أخرى فإن اعتقاد فرويد بأن مرضاه قد تعرضوا وهم صغار لاغتصاب جنسى بواسطة أشخاص بالغين أمرٌ يشوبه كثير من الخطأ ، وليس بالضرورة ان يكون الأمر كما استنتجه فرويد . فسفاح المحارم أمر منتشر فى أمريكا - وليس متخيل من المرضى - ورغم ذلك لم يمرض كل الأمريكان نفسياً - (وليست هذه بالطبع دعوه للفجور) ولا يتم الأعلان عن ذلك بسبب الخجل أو مشاعر الذنب . وقد نشرت جريدتى نيويورك تايمز ، ونيوزويك دراسات فى هذا الموضوع لكل من بلومينثل Blumenthal, 1981 ، چيلمان Gelman, 1981 .

كما راجع شيفرين وديكمان (Shevrin & Dickman, 1980) فحص

الدراسات الإمبريقية التى تناولت دراسة اللاشعور. وعلى الرغم من أن النتائج تتفق مع نظرية فرويد إلا ان الباحثين استنتجا انه لايوجد نموذج سيكولوجى يحاول تفسير المعرفة الإنسانية والتعلم أو السلوك يمكن ان يحتمل تجاهل مفهوم العمليات اللاشعورية .

ى - مآخذ على العلاج بالتحليل النفسى :

تعرض العلاج بالتحليل النفسى هو الآخر لكشف عيوبه من قبل الباحثين، فقد عانى من عدد كبير من المشكلات المنهجية الخطيرة أوضحتها دراسات جاده ومتنوعه . فقد ذادت الادلة على ان الصور الجديده للعلاج النفسى كالسلوكية والمعرفية وغيرهما ربما تكون اكثر كفاءة وفعالية من التحليل النفسى على الأقل لبعض انواع المرض النفسى . حتى فى هجوم ايزنك العنيف على العلاج بالتحليل النفسى والذى كان مقنعا فى وقت ما قد لاقى اليوم مزيد من التدعيم والتأييد . مع العلم انه فى دراسة على (٢٠) معالج سلوكى وجد أن (١٠) منهم يفضلون تطبيق العلاج التحليلى على انفسهم اذا استطاعوا تحمله . وقد حاول بعض المعالجين باستخدام التحليل النفسى جعل اجراتهم العلاجية محتملة عن طريق عمل مقابله واحده أو اثنتين أسبوعياً، واضطروا الى الجلوس وجهاً لوجه مع المريض وهو ما يعد تعديلا فى طريقة فرويد ، ولو ان بعض المنظرين اكدوا على ان العوامل الشائعة التى تربط الصور المختلفة للعلاج النفسى تدل على ان الاختلافات بينها شكلية اكثر من ان تكون جوهرية .

٢- إسهامات النظرية :

تسهم نظرية فرويد - رغم كل ما وجه اليها من انتقادات - بقدر كبير فى فهم طبيعة الشخصية الإنسانية بما أضافه من توضح فى هذا المجال - فقد أكد فرويد على الأهمية الكبيرة للاشعور لدرجة ان البعض يعتقد انه شىء من تأليفه (شىء انفرد باكتشافه الخاص)، وبدلا من الافتراض بان السلوك هو ما يبدو فى الظاهر اصبح من المقبول وبصورة واسعة ان تقول ان اللاشعور جزء من شخصية الإنسان وجزء هام جدا وان جزء كبيراً من السلوك ينبع من هذا المصدر - وقد أصبحت عبارة الزلة أو الهفوة الفرويديه Freudian Slip جزء من لغة حياتنا اليومية ، وهناك ادراك متزايد من ان السلوك الطارىء ربما يكون هادف وان الفرد يجب ان يقبل مسئولية سلوكه ، ولقد عرف كل من فرويد وابنته أنا ميكانزمات الدفاع التى اصبحت الان جزء من الحديث الدارج العام،

وكذلك ابتكر فرويد تخطيطات قيمه لتفسير الاحلام واستخدام تحليل الاحلام كجزء واضح فى العلاج النفسى.

لقد طور فرويد طرق ضمنية فى العلاج النفسى عن طريق إخراج المواد اللاشعورية الى حيز الشعور ، وعرف موضوعات تحول دون ذلك مثل المقاومة والتحول ، وأوضح ان بعض الصعوبات فى حياة الكبار الراشدين ترجع الى صراعات الطفوله مع أحدوالدى الفرد، وبذلك وضح أهمية الطفوله المبكرة فى تطور الشخصية وهاجم اسطورة الطفل السعيد **Happy child** موضحا ان سنوات عمرنا الاولى هى مرحلة من التجريب والإحباط ، وذكر أيضا انَ الاختلافات بين الأمراض النفسية تمثل اختلافات فى الدرجة اكثر من كونها اختلاف فى النوع ، واوضح ان اعراض العصاب غير المفهومه لها معنى محدد.

ولقد وجهه فرويد النظر الى أهمية القلق مؤكدا على أن الألم النفسى قد يتساوى او يفوق فى شدته مع الألـم العضوى ، واوضح ان المرض النفسى ربما يتضمن الفروض الذاتية **Self - imposed** ، والقيود اللينة والحادة ، وشرح بدقة مفهوم الأنا الأعلى ، وحلل شخصيته بدون مساعدة من أحد ، وتوصل الى ما يوجد لديه فى اللاشعور فتخلص من مشكلته ، واضاف الى العلم نظرياته فى الجنسية الطفلية والصراع بين الفرد والمجتمع رغم الانتقادات الحاده التى وجهت اليه ، فقد اضاف فرويد الى علم النفس والطب النفسى ما يستحق التقدير ، وما ألفه من كتب فى هذا المجال مازالت تطبع حتى الان ، وقد اتخذ اصحاب النظريات الأخرى من نظرية فرويد أساس لعملهم ، وإذا كانت له اخطاء فهذا لايمنع أن تقول انه فتح مجالات جديدة للبحث ولا أحد يستطيع ان يدعى انه يدرس السلوك الانسانى دون ان يتعرض من قريب أو بعيد لأعمال فرويد .

الفصل الثالث

علم النفس التحليلى

(كارل يونج ١٨٧٥ - ١٩٦١)

يعد يونج واحداً من أهم المفكرين السيكولوجيين فى القرن العشرين فقد كرس مايزيد عن ستون عاماً من الجهد المتواصل فى كشف أغوار النفس البشرية وأسفر ذلك عن عشرون مجلداً استفاد منها العديد من الباحثين والأطباء . ويتضمن المجلد الخامس عشر (٣٥٩) رسالة متبادلة بينه وبين فرويد خلال فترة الصداقة الحمية التى امتدت بينهما ما بين عامى ١٩٠٦- ١٩١٣ - ثم بدأ الشقاق والانفصال بينهما بسبب إصرار فرويد على التأكيد على الغريزه الجنسية كمحرك أساسى ودافع للسلوك وانتقاد يونج له وعدم قبول فرويد لهذا الانتقاد. وبالتأكيد توجد أسباب شخصية لهذا الشقاق وربما دينية وفلسفية .

وعلى الرغم من أن نظرية يونج هى بالدرجة الأولى نظرية فى التحليل النفسى بسبب تأكيده الواضح على العمليات اللاشعورية ، إلا انها تختلف عن نظرية فرويد فى اهتمامه بالجمع بين السببية والغائية فالسلوك الإنسانى لايحكم فقط من خلال الفرد وتاريخه الجنسى (السببية) ولكن أيضاً من خلال الأهداف والطموحات (الغائية). كما تميل وهة نظره إلى التأملية والاهتمام باللاشعور الجمعى جنباً الى جنب مع اللاشعور الشخصى ، فإنسان اليوم قد تشكل وتقولب فى شكله الحالى من خلال التجارب المتراكمه للأجيال الماضية ، والناس يولدون ومعهم نزعات كثيره خلفها لهم أسلافهم ، وهذه النزعات تهدى سلوكهم . كما اهتم يونج بعلم نفس ماوراء الطبيعة (الباراسيكولوجى) وتقسيم الناس إلى أنماط على حسب خصائصهم المزاجيه وليس على حسب التثبيت الشبقى لديهم كما فعل فرويد، وعدل من طريق فرويد فى العلاج واهتم بأثر الدين على الفرد وصحته النفسية ومهد لقياس الشخصية باستخدام أدوات موضوعية وإستقاطية .

نشأته وحياته :

ولد كارل جوستاف يونج Carl G. Jung فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٨٧٥ فى كيزول وهى قرية صغير فى سويسرا، وكان جده طبيبا واستاذاً ذو شهرة واسعة اشاغ ان كارل هو ابن غير شرعى لإبنه جوستاف، وكان أبوه وثمانية من أعمامه من رجال الكنيسة البروتستانتية حيث كان أبوه يرعى كنيسة سويسSuiss وكان يفتقر الى الضمير والإخلاص وكان غير قادر على الإجابة على أسئلة يونج عن الدين والحياة، ويرجع شك يونج فى عقده أوديب فى جزء منها الى أمة تلك المرأه العطوفة العجوزة الممتلئة (السمينه) التى عانت من مشكلات زواجية (Jung, 1965) . والتأثير يختلف تماماً هنا فظروف فرويد كانت أفضل بكثير فى طفولته، لقد كان يونج قليل الاتفاق مع امه . . وكمثل فرويد ارتفع يونج من طبقة متوسطة الى أن أخذ شهرته العاليه .

كان يونج طفلا وحيداً يتميز بالانطواء وكان منشغل بعمق بعالمه النفسى الداخلى، فلقد كان يتحدث أو يكتب رسائل سريه لتمثاله الذى نحته أو كان يجلس لساعات طويلة على حجر متأملاً وقائلاً " هل انا أحد الذين يجلسون على هذا الحجر أم أنا ذلك الحجر الذى يجلس على حجراً أخر" . وكان فيما بعد يستجيب لأضواء الشمس الذهبية والسماء الزرقاء فى أيام الصيف الدافئة ويتعجب ويندهش عندما كان يجلس أمام البحيرة الواسعة الجميلة، ومنذ حياته المبكرة وهو يستمتع بجمال الطبيعة ، وكان يقول عن نفسه : كنت وحيدا لأننى أعرف أشياء لايعرفها الآخرون وعادة لايريدون معرفتها، وعادة لاتأتى الوحدة من عدم وجود الناس حولك ولكن بسبب عجزك عن الاتصال باشياء قد تبدوا هامه لك أو من خلال وجهات نظر محددة " لايقتنع بها الاخرون" (Jung, 1965) .

وفى أحد الأيام ألقى دازيد Dazed بزميله فى الدراسة يونج أرضاً وتظاهر يونج بأنه فاقد الوعى لكى يمسك به ويشعره بذنبه ، وفى مرة ثانية أغمى عليه ليتجنب مشقة عمل الواجب المدرسى، حتى سمع والده يعبر عن خوفه عن مستقبل إبنه يونج إذا ظل هكذا لايستطيع أن يحقق النجاح فى حياته بنفسه، وهنا صُعق يونج وأدرك أن الحياة مسألة خطيرة، وتغلب على نوبات الإغماء هذه، وتخلص من عصابية الطفولة برجوعه الى الواقع أو الحقيقة " هذا المبدأ الذى استخدمه بعد ذلك مع مرضاه" .

ونال مجال الطب النفسى إعجاب يونج أثناء دراسته فى جامعة باسيل Basel والتى حصل منها على شهادته فى الطب عام ١٩٠٠ وانتاب بعض اساتذته الدهشة وخيبة الأمل

عندما علموا باختياره للطب النفسى كمجال متخصص لدراسته ، بينما شعر يونج أنه وجد مجاله الحقيقى والرغبة التى ستحقق أمنية حياته ، فقد كان هدفه الأول ان يعرف سر الشخصية ، وانشغل باسرار خفيه ، واشترك فى تجارب عن التنويم المغناطيسى ، واقبل بشغف على كتب علم الباراسيكولوجى (علم نفس ماوراء الطبيعة)، فكانت رؤيته أن هناك خبرات متنوعه ظهرت لتثبت الظواهر الخارقه للطبيعة (فمنضده صلبه وسكين حاد فى منزل والديه تحطما بطريقة غامضه الى قطع دون ان يحطمهم احد ، وكانت هذه مجرد قصه ابتدعها ليسلى بها مجموعة من اصدقاءه .

وذاع صيت يونج أثناء عمله فى مستشفى بورجولزلى Burghiolzli للطب النفسى بزيورخ Zurich تحت إشراف إوجن بلويلر Euge Bleuler الذى وصل الى مصطلح الفصام Schizophrenia واشتهر بعمله فى هذا المرض ، وبعد عدة شهور إنقطع للعمل مع بيير جانيه فى باريس فى الفتره ١٩٠٢ - ١٩٠٣ ثم عاد ثانية الى عمله فى مستشفى بورجولزلى وطور اختبار تداعى الكلمات وظل به حتى عام ١٩٠٩ واخذ يعمل عندئذ بمفرده وفى عام ١٩٠٣ تزوج من إيما رزشينباك Emma Rouschenbach التى تعاونت معه وتعلمت تطبيق طرقه فى العلاج النفسى ، وكان زواجه ناجح وإن تخلله بعض الاضطرابات وأنجبا أربعة بنات وولد .

أعجب يونج بفرويد بعد أن قرأ له " تفسير الاحلام " وأخذ يطبق أفكاره فى أعماله حتى آلف مؤلفه The Psychology of Dementia Praecox فى (١٩٠٧)، وفى سنة ١٩٠٦ بدأ مراسلة فرويد ، وفى السنة التالية تقابلا فى منزل فرويد فى فينا واستمرا يتحدثا معا لمدة (١٣) ساعة متصله وأصبحا صديقين حميمين ، وعاد يونج الى زيورخ واستمرت الخطابات بينهما لمدة ٧ سنوات - ثم سافر الى أمريكا مع فرويد عام ١٩٠٩ ليلقى سلسلة من المحاضرات فى جامعة كلارك Clark وفى هذا الوقت بدأ بعبر عن شكه فى أهمية الدافع الجنسى كدافع للسلوك فى نظرية فرويد ، وكان رد الفعل العلنى من فرويد غير قوى وظل صديقين إلى أن أقترح يونج على فرويد أنه لو قلل من دور الجنس فى السلوك ستلقى نظريته قبول أكثر لدى الأمريكان - وهنا اعتبر فرويد هذا الاقتراح على انه تجاوز للأخلاق العلمية .

ولقد كان فرويد يرغب فى ترشيح شاب غير يهودى ليرأس المعهد القومى للتحليل النفسى ولذلك رشح يونج لمنصب الرئيس ورغم ان ترشيح فرويد وجه بالنقد على اعتبار

ان يونج من الجنس المعادى لليهودية - فقد تحقق ما كان - وتولى يونج منصب أول رئيس للمعهد عام ١٩١١ - ثم صرح بعد ذلك علانيه عن شكه فى أن طاقة اللبيدو هى طاقة جنسيه فقط وألف كتابه علم نفس اللاشعور (١٩١٢) وألقى عدد من المحاضرات فى جامعة فوردهام بعنوان العلاج بالتحليل النفسى (التحليل النفسى العلاجى) ، وفى سنة ١٩١٣ اتضح الخلاف بين يونج وفرويد حول مفهوم اللبيدو ، وعكست الخطابات بينهما بعد ذلك مدى الاختلاف فى هذا المفهوم وضعف العلاقة بينهما الى أن اتفقا على عدم الاتصال الشخصى، وفى عام ١٩١٤ انقطعت العلاقة تماماً عندما قدم استقالته من رئاسة المعهد وترك عضويته فيه ، وكان يونج يبلغ من العمر عندها ٤٠ سنه وأدى الانفصال الى ماسماه يونج بالسنوات المظلمة . . وهى فترة ثلاث سنوات لم يستطع أن يقرأ أى كتاب علمى وتفرغ لاكتشاف أعماقه وأحلامه وخيالاته وتطويره لنظريته .

وخلال الفترة من ١٩١٣ - ١٩١٩ عاش وحيداً يبحث أعماق اللاشعور لديه ويتجادل مع ذاته ، ولقد لاحظ ظهور نماذج شعوريه مختلفه ، وشعر أنه يتدخل فى العمليات الفرديه ويكتشف نفسه وكان يعانى من بعض الانفعالية (القلق الانفعالى) معتقدا ان هذه الاعراض تشبه الأمراض المبدعه Creative illness التى اصابت فرويد (Ellenberger, 1970) ولكى يتجنب الاستسلام لعصابه قوى يونج علاقته بأسرته ومرضاه مؤكدا على قدرته على الاتصال بالعالم الخارجى، وفى سنة ١٩١٩ انبثق عن فتره استيطانه الذاتى باعتقاد اكيد فى صدق لما طوره من بناء فى نظريته .

ولقد نال يونج إعجاب الجميع كطبيب نفسى وجذب اليه مرضى من انجلترا وأمريكا ، واستمر فى دراسته فى علم السحر والتنجيم ، ، وكان مدخله دائما لأبحاثه العلميه يقوم على الملاحظة التجريبية ، وتكون لدى الناس انطباع عنه كرجل عملى نشط ، ماهر - مرح ، مولع بالإبحار وتسلق الجبال الى جانب مهنة التدريس ، متحدث ومستمع جيد ، ديمقراطى فى تعامله مع الناس ، وكمثل فرويد كانت شخصيه يونج معقده ومتعدده الوجوه . بعضهم كان يراه عاطفياً - حكميا - حريصا بينما أخرون كانوا يرونه مشاكس وفاسق وناقد ساخر وخصوصا اولئك الذين كانوا يفشلون فى معرفة معاييره الدراسية .

وفى سنة ١٩٢٣ بنى يونج منزل كالبرج بالقرب من بولينجين للاستراحه وللعلاج وسافر إلى مناطق عديدة وتعرف على الكثير من الناس وثقافات وحضارات مختلفة كالهنود الحمر فى نيومكسيكو ، وكينيا واوغندا والهند - وكان يسخر من الحرب العالمية

الثانية ، ويقول انه ليس لها أى مبرر ، وكان اهتمامه بالحياه السياسيه كعامل عصابى فكأنه يعادى النازية ، وفى سنة ١٩٤٤ كاد يونج يموت بأزمة قلبية ، وشعر كأن روحه قد تركت جسده ، وفى البدايه شعر بتحسن ثم انتابته أحاسيس بمرارة تقلبات الحياة ، وتنبأ أنه سوف يموت فى مكانه ، وهو ماحدث بالفعل بعد فترة ولقد نال العضوية الفخرية لمدينة زيوريخ والدكتوراه الفخرية فى الأدب من جامعة هارفارد وإكسفورد وقد جمعت كتاباته فى ٢٠ مجلد ومات فى منزله فى ٦ يونيه ١٩٦١ .

طبيعة الشخصية :

أطلق يونج على نظريته علم النفس التحليلى Analytical Psychology وعلى الرغم من التشابه فى المسميات وبعض التركيبات فإن علم النفس التحليلى يختلف احيانا عن التحليل النفسى لفرويد .

الغرائز والطاقة النفسية :

الليبدو والقيمة : Libido and Value : يوافق يونج فرويد فى أن البشر تحركهم غرائز فسيولوجية فطرية يولد الفرد مزودا بها وتشكل أساليبه المنظمه فى الفعل ورد الفعل (Jung, 1971 c) ويرى أيضا أن النشاط العقلى يُقوى بطاقة نفسية (اللبيدو) . غير أن يونج لم يكن متعاطف مع اعتبارات معينة فى نظرية التحليل النفسى ويرفض بشده تأكيدها القوى على الرغبه الجنسية : يقول بونج .

" أنا لم أعارض فرويد ، ولكنى أمثل فقط وجهة نظر أحد تلاميذه . وأنا لا أعنى إغفال اهمية الرغبة الجنسية فى الحياة النفسية ، ولقد كان فرويد عنيداً حينما تجاهل وجهة نظرى ، وما أبحث عنه هو ايجاد علاقة بين المصطلحات الجنسيه التى افسدت كل المناقشة حول النفس البشريه . . فالشبقية الجنسية توجد دائما وبصوره أكيده فى كل مكان ، أما النفس فليست كذلك ، ولذلك لاأربط أى تعريف جنسى خاص بكلمة اللبيدو . وهذا المصطلح استخدمته بمعنى أوسع . . (Jung, 1965) .

ومفهوم يونج عند اللبيدو يشير الى الطاقة النفسية الكليه المستثمرة فى الأنشطة والأحداث العقلية ، وبالنظر الى الغريزة (الغرائز) تأخذ القيمة الجزء الأكبر من طاقة اللبيدو والأكثر فى الأحداث المرغوبة ، حتى الطفل بالفعل يبدأ تكوين قيم مختلفه (طبقاً

لما يفضلها كل من الأم أو الأب ويعطيها وزنا) ، وماهى الموضوعات البيئية المفضله عن غيرها، ومفهوم يونج عن القيمه Value يشبه الى حد ما مفهوم فرويد عن تجمع الطاقة Cathexis فيما عدا ان تجمع الطاقة ذات صبغة جنسية ، بينما القيمه ليست كذلك، وعلى سبيل المثال، فى المجتمعات التى يغلب فيها التنافس، بعض الناس تكون قوة القيمه لديهم اكبر من طاقتهم النفسيه نحو النجاح الوظيفى ويصبح ضعيف جنسيا، وقد اخذ فرويد وجهة نظر قاتمه حول هذا النوع من السلوك حيث أن اللبيدو عند فرويد ينكر معظم المخارج المرضية، أما اللبيدو عند يونج فيشمل الطاقه من عدة مصادر بما فى ذلك غرائز الجنس، وبالمثل ففى المجتمع البدائى يكون الطعام غير متوفر، ولكن الجنس شىء متاح عن طيب خاطر، فإلى حد كبير فان جزء كبير من الطاقه النفسية سيتم تكريسه فى التفكير فى الطعام بدلا من التفكير فى الجنس، وينظر يونج لهذا الموضوع على أنه يمكن فهمه فى ضوء الفروق فى القيم عن كونه نوع من التسامى لبعض الغرائز الجنسية الموروثه " فالحذاء الذى يناسب شخص ما لايناسب شخص آخر" ولاتوجد فرصه موحدة عالمياً للحياة . ويعد هذا رفضاً على إجبار الناس على ان يُصبوا فى قالب واحد وهو احدى السمات المثيرة لعلم النفس التحليلى - على انه يجب ملاحظة ان يونج لديه رأى مشابه لوجهة نظر فرويد عن حقيقة التركيبات النظرية (Ellenberger, 1970) .

وطبقا لرأى يونج (Jung, 1971 c) فالسلوك الغريزى يختلط بسهولة مع الدوافع الشعوريه، وهذا يجعل من الصعب التعرف على كل الغرائز الانسانية أو الطبيعية الدقيقة للبيدو . . إن قائمة متميزة من الغرائز سوف تشمل على الغذاء (الجوع)، العطش، الجنس، القوه ، النشاط ، وتشمل حب التغيير، دوافع اللعب والسفر) . فسوف تصبح وحده متكامله او تكون الذات الحقيقه المتصفة بالتفرد والإبداع ، ويختلف يونج بدرجة شديده مع فرويد فهو يعتقد أن البشر لديهم طبيعة خلقيه فطرية وحاجة موروثه الى الدين وان فكرة الإله God وظيفة سيكولوجية ضروريه مطلقه : فيقول يونج :

" يحتاج الإنسان بدرجة لاتقبل الجدل لأفكار عامه وإيمان راسخ، وهو ما سوف يعطى معنى لحياته، وتمكنه أن يجد مكانا لنفسه فى هذا الكون، وبها يستطيع الإنسان ان يواجه اعظم الصعوبات الخارجية حينما يقتنع أن لها معنى ، ويتحطم الإنسان حينما يكون فى قمة سؤ حظه، فينبغى عليه أن يعرف ان له دور فى أى قصه قام بتأليفها شخص غبى" . (Jung, 1968) .

العُقد :

تجذب الطاقه النفسية مجموعه من الأفكار المترابطة والمشحونة انفعالياً، وهذه العقد هى الطريق المميز والذى تعبر النفس من خلاله عن ذاتها، وعلى سبيل المثال : فان مجموعة الافكار والمشاعر المتمركزه حول الام تتشابك معاً لكى تكون عقدة الام mother Complex بينما العقد المرتبطه بـ(أنا) (I) ونفسى (myself) تعطى مكون الشخصيه المعروف بالانا Ego ، إن القوة الواضحة للعقده وقدرتها على التوفيق بين الخبرات النفسيه يعتمد على مقدار الليبدو المستخدم فى ترتيبها (تقيمها Its Value) ، ان الفرد قد يكون لديه عقده الأم ضعيفة نسبياً ، وهو ما يعبر عن طاقة نفسية (صغيره) وتشمل على كمية صغيره فقط من الأفكار المترابطة والمرتبطة بالأم - بينما فرد أخر يعانى من عقده الام ولكن بدرجه كبيره لدرجة انها تسيطر على النفس وكأنها مغناطيس قوى تجذب الافكار التى تخص فى مجال أو موضوع آخر .

إن العقدة النفسيه ذات القيمة العالية غالبا ما تصبح شيئا تلقائيا وتمارس سيطرتها على الشخصية، فالرجل الذى تسيطر عليه عقدة الأم يصبح عاجز عن أن يكون علاقات مرضية مع الجنس الاخر لانه اصبح مهتم بدرجة أكبر برغباته وأرائه فيتحدث عنها باستفاضه، ويجعل الموضوع محل حديثه باستمرار، وأحلامه دائما رهز للأم mother-symbols . وبالمثل ، فإن الإنسان وهو فى أوج الإحساس بالعقدة النفسية سوف يكون مشغول البال مع فكرة الحصول على موقع ذات سلطة، والعقد قد تكون شعورية كلياً أو جزئياً، أو ربما تتداخل مع كل من مجالى اللاشعور (الشخصى ، والجمعى) . (Jung,1969a)

اختبار تداعى الكلمات The ward association test

استنتج يونج أن بناء الليبدو مفيد فى حالة واحدة فقط وهى إمكانية تقييم أو تقدير الاختلافات النوعية ، وبعبارة اخرى ، فإن المدخل الفعال لايمكن أن يصبح علميا دون أن يكن متحرراً من كل القيود، ولذلك بدأ يونج قياس الطاقة المتجمعة باستخدام اختبار. تداعى الكلمات ، ويتكون من قائمة من الكلمات المفردة تقرأ وفى نفس الوقت يرد على هذه الكلمات بكلمات أخرى تأتى الى الذهن ، وعلى سبيل المثال فان كلمة الأم ربما تثير استجابه كرد فعل (الأب)، ويعد اكتمال هذه القائمه يتم التفكير فى الموضوع مرة ثانية عن طريق استعاده الاستجابات السابقة ، فاذا كانت سلسلة من الكلمات المترابطة فى القائمة

متردد بوضوح كرد فعل لكلمات مختلفه فان الاستجابات فى هذه الحالة تكون غير عاديه وعلى سبيل المثال (الام - الغضب) وقد يفشل المفحوص فى استعادة الاستجابات الاصليه اثناء تكرار الاختيار وهو ما يعنى وجود عقده هامه (وربما بعض الاضطرابات) ولقد استخدم يونج اختبار تداعى الكلمات كأسلوب من وسائل كشف الكذب اللفظى حيث يكشف بنجاح عن اللص من بين المشتبه فيهم ، ولكنه ادرك ان الاختبار قد يخطأ فى قياس الأحاسيس بموضوعية ، ولايميز بين الشعور الحقيقى بالذنب والشعور المتخيل عن فعل متخيل أيضاً ولذلك أهمل استخدامه . يقول يونج : إن أى فرد يريد أن يتعرف على النفس البشرية لن يتعلم شيئاً من علم النفس التجريبى ، ومن الأفضل له أن يقبل نصيحتى ، وان يترك جانبا العلم ويخلع رداء التحصيل كطالب ، وأن يودع دراسته ، وأن يهيم على هواه فى هذا العالم ، وهناك فى غيابه السجون ، وملاجىء المرضى العقليين ، وفى المستشفيات والحانات القذرة البعيدة ، ولسوف يحصد مخزون معرفياً اكثر ثراءً ، ولسوف يعرف كيف يعالج المرضى بمعرفة حقيقية عن النفس البشرية . (Jung, 1972 d)

مبدأ المتضادات (المتناقضات) Opposites

يوجد هذا المبدأ فى مواضع كثيرة من كتابات يونج وهو يتطابق مع القانون الثالث لنيوتن فى علم الديناميكا " لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه " أو عبارة هيجل Hegel " بأن كل شيىء يحمل نقيضه داخله " حيث يرى يونج ان الحياة تتكون من متضادات عنيدة ومعقدة مثل الليل والنهار ، الميلاد والموت ، السعادة والبؤس ، الخير والشر ، الانطواء والانبساط ، الشعور واللاشعور ، الإحساس والتفكير ، الحب والكراهية ، الحماس والفتور ، الهدوء والغضب ، الإيمان والكفر ، التعالى والدونية ، وهكذا . . . مثل هذه الأفكار والعمليات والغرائز المتناقضه توجد فى وقت واحد مما ينتج عنها شيىء من التوتر ، وتخلق الطاقه النفسية ، وتمكن الحياة من الوجود والاستمرار ، فلايمكن ان يكون هناك طاقه ما لم يكن هناك توتر من المتناقضات ، " فالحياة تتولد فقط مع شرارة المتناقضات (Jung, 1972 b) " ، ونمو الشخصية يحدث من خلال تمام المتضادين أو تكاملهما ، فالشخص الأكثر ذكورة تقل لديه الأنوثة والعكس .

مبدأ التكافؤ Equivolence

ومبدأ التكافؤ هو القانون الأول فى علم الديناميكا الذى يقوم على " ان الطاقة فى أى نظام ثابت تماماً ولاتتغير واذا انتقلت من أحد أجزاء النظام فإنها تظهر فى مكان آخر ، فهى

لاتفنى ولاتُخلق من العدم" وبتطبيق هذا على النفس البشرية فذلك يعنى ان جزءاً كبيراً من طاقة اللبيدو له صفة الثبات واذا كان أحد مكونات النفس فوق القيمة العاديه فإن هذا يقلل مكونات أخرى ، فإذا تركزت الطاقة النفسية فى نشاط شعورى فإن النشاط اللاشعورى يقل والعكس . لأن الشخصية فى معظم أجزاءها نظام مغلق، واذا انسحبت طاقة اللبيدو من أحد مظاهر الشخصية فإنها ستظهر بصورة أخرى فى مكان آخر .

مبدأ توزيع الطاقة (الانتروبى) entropy

تخضع الشخصية لمبدأ التنظيم الذاتى، فطاقة اللبيدو تنساب من موضع ذات توتر عالى الى آخر اقل توتراً كما تنساب الحراره من الجسم الحار الى الجسم البارد وهو ما يعرف بمبدأ الانتروبى أو القانون الثانى فى علم الديناميكا والذى يرى انه يوجد ميل ثابت لتساوى الطاقة داخل النظام، فاذا وضع جسم ساخن بجوار جسم بارد فإن الحرارة سوف تنتقل من الجسم الساخن الى الجسم البارد حتى تتساوى درجة الحرارة فى الجسمين وطبقاً لرأى يونج يوجد لدى كل مكونات الشخصية ميل لان يكون لديها كميات متساوية من الطاقة. فكل من الشعور واللاشعور لديهما ميول لان تكون لديهما تساوى فى الطاقة والظهور بقدر متساو، وهذا التوازن النفسى من الصعب أن يتحقق مما يدفعنا دائماً الى البحث عنه لان الهدف من الحياة طبقاً لمبدأ الانتروبى هو البحث عن تحقيق التوازن بين الاقطاب المتضاده، ولذا فإن اللاشعور قد يظهر على مر الوقت، والعكس فقد يختفى ، ويرجع هذا فى رأى يونج الى العنصر أو العامل الأساسى للتضاد Enantiodromia .

وعلى سبيل المثال فالحب القوى قد يؤدى الى كراهيه عميقه ، إن العالم المتعقل والذى يتسم بالشك قد ينقلب الى متصوف وغامض . والقيم من المحتمل عملياً ان تؤدى الى التغيرات المتطرفه فالفرد الذى ينشأ منذ طفولته حتى بعد منتصف العمر وسط الاهتمامات الثقافية والدينيه التى تكسبه الرفعه والسمو، ستصبح الغرائز الجنسية والمادية لديه أقل شأناً (Jung, 1972 b) .

إن مبدأ التضاد ، وظاهرة enantiodromia يتضمنا انه لاتوجد شخصيه متكامله ذات اتجاه واحد، وحتى الفرد الذى يبدو كليا ضعيفاً أو لديه بلادة فى الشعور والعواطف ، يكون لديه فى جانب أخر خصائص انفعاليه دافئة، لذلك فإن هذه الميول المتعارضة تكون لاشعورية ولايمكن ملاحظتها وبالاضافة الى أن أى تطرف (الانطواء - الانبساط - الانفعاليه - الواقعية - وغيرها) تكون مؤذيه أوضارة لأنها تمنع فى الوقت نفسه وجود الميل المضاد أو التعبير عن الذات بصورة مرضية . فالتضاد يفقد الطاقة فى الصراع بين

الاجزاء المختلفه ، والفرد غير الحاس Unfeeling يستعمل طاقته النفسيه فى اتجاه خاطىء محاولا كبت الانفعالات الغريزيه الفطرية مما يكبت او يبطل مبدأ الانتروبى ، اما الشخصيه الناضجه حسنه التكيف فهى على الجانب الاخر . والمتضادات المختلفه (التناقضات المتعارضه) تتجمع او تتوحد فى طريق وسط وتعرف هذه النظرية عند الفلاسفه الشرقيين برمز تاويست Taoist لين ويانج Yin & Yang ، ولكن هذا شيئ (مغاير لطبيعتنا الغربيه) التى لم تعرف اسم لهذه العملية ، ويطلق يونج مصطلح الداله المتساميه Transcendent Function على تلك العمليات التى تنتج عن كم متساو من المتعارضات المترابطه ، (خصوصا الشعور واللاشعور) خالقه خطوط نمو الفرد والتى لايمكن ان تصل اليها الشخصية إلا بأن تظل بعيداً عن الطريق الذى يوصف بانه تجمع المتوسطات ، وتمدنا " بطريق ما لكسب التحرر بواسطة الجهود الذاتيه وايجاد الشجاعة لنكون وحده واحده مع هذه الجهود الذاتية " (Jung, 1971d) .

الغائية (القصدية) :

بينما يؤكد فرويد ان طفوله الفرد تحدد نمط شخصيته (العليه والسببيه Causality) فان يونج يرى ان اى سلوك يجب ان يفهم فى ضوء الهدف منه و السبب وراءه Teleology ، فالشخصيه لاتتحدد عن طريق الماضى فقط ، ولكن أيضا تستمر فى التطور هادفه نحو المستقبل . يقول يونج : لن يكون الانسان غير مستوعباً لحياته لمجرد أن يعرف كيف اتى كل شيئ الى هذه الحياة - فالحياة ليست مجرد الماضى فقط ، ولا ان توضح ربط الحاضر بالماضى فقط ، لأن الحياة فيها الغد ايضا ، والحاضر واليوم يمكن ان يفهما عندما نضيف الى معرفتنا ان الامس هو بدايه الغد (Jung, 1972 b) .

وهكذا فان السلوك العادى ، والاحلام ورموزها ، او حتى الاعراض العصابية تكون موجهه نحو المستقبل ، وملائمة لنمو الشخص كما تتوازن مع ماضيه ، والعقد أيضا تنشأ لبعض الاغراض . حتى وان كانت تبدو متعارضه مع الأهداف فى أحد الأجزاء الأخرى للشخصيه . بالاضافة الى هذه الظواهر فى الغائية ، فان يونج يرفض وجهة نظر فرويد بأن نوازع النفس البشريه يمكن أن ترجع الى أسباب فسيولوجية ، فالغرائز لها دلالة عضوية بينما الحياة العقلية تتبع " قانون خاص بها والذى لايمكن أن يستدل عليه من معرفتنا للقوانين الفزيقيه للطبيعه " (Jung, 1969b) .

قبل يونج بكل رضا وجود المتناقضات، حتى مع وجود بعض الامثله والنماذج فى تجميعات فرويد ، ولكن مدخل يونج فى القصدية (وبصرف النظر عن كون الاحداث النفسيه تحدث بقصد او غرض) يرى ان الاحداث اللاشعورية تحدث تلقائياً و تنطلق عفويا من اللاشعور ، ولايستطيع الشعور امتصاصها ، فهو لايستطيع فقط أن يخرج الرغبات اللاشعورية ولكنه أيضا يستطيع ان يلغى الرغبات الشعوريه . فبعض الناس يسمعون اللاشعور وكانه صوت داخلهم يحدثهم ، واحيانا يضاد تفكيرهم الشعورى كما لو كان هناك نقاش أو محادثه بين اثنين من الناس كل منهما له حقوق متساويه مع الاخر، وكل منهما يعطى حق المناقشه والجدال بدرجة عاليه من الصلاحيه ، ولكن معظمنا لايسمح لهذا الشريك غير المرئى (اى اللاشعور) أن يعبر عن نفسه ويسمعه حيث ان الناس من طبيعتهم ان يهتموا بتميز شخصياتهم من خلال مجموعه من الافكار التى يصنعونها وبشكل ثابت (Jung, 1972 c) ، ولذلك فنحن نحرم انفسنا من فرصة التعلم من اللاشعور لدينا ، وذلك بتجاهل رسائله الفريدة التلقائية التى نعتقد عن خطأ منا انها تقل اهمية عن الافكار القديمه وغير المتعلقه بالموضوع والتى تنتج من خلال العمليات الشعوريه .

ولقد اتفق يونج مع فرويد حول ضرورة الوصول الى المواد اللاشعورية ونقلها الى الشعور، وكراهيتنا حول كشف خبراتنا المدفونه فى الجانب المظلم من شخصيتنا، والعوامل اللاشعورية التى تؤثر على سلوكنا بطرق سريه وخاصة تحرك انفعالاتنا ، والتى ليس لنا تحكم فيها، فنحن لسنا المسيطرين على شخصيتنا الذاتيه (لسنا سادة انفسنا)، ولذلك فنحن نخشى من بحث هذا الجانب المعتم Shadow-side ، لانه لايتكون من حالات الضعف البسيطه فحسب ولكن من الديناميات الشيطانيه فى الانسان. (Jung, 1972 b) وبطريقه غير مشابهه لما قاله فرويد . لم ينظر يونج الى محتوى اللاشعور على انها افكار شيطانيه بشعه وجباره . فكل قوه فطريه فى الانسان هى ضرب من ضروب العاطفه، وهى تتطور باعتدال، واللاشعور يشمل ينابيع الابتكار، ومصادر الارشاد والشجاعه ، والدليل على ذلك ان الانسان من الممكن ان يقترح بعض الحلول عندما يصبح الشعور فى حالة يأس أوإحباط وعدم قدرة على إعطاء فكرة معينة، وهنا يعيد اللاشعور ترتيب خبراته مستغلاً كل مالديه من معلومات منسيه فى طى الكتمان، واهمها حكمه وخبرة القدماء فى القرون الخوالى (Jung, 1972a) .

وفى الحقيقه ، فالجزء الاساسى والهام من اللاشعور يكون جمعى ، ويتكون من الاتجاه للتفكير السوى ، وتوريث السلوك من الأجيال السالفه. وهناك جزء اصغر ينتج من الكبت النفسى وبعض الخبرات الشخصيه الفريده والخاصه بالفرد فقط.

تركيب الشخصية :

يعد نموذج يونج للنفس (أقل إتساقاً) وأكثر تعقيداً من ذلك الذى وضعه فرويد، على سبيل المثال، فالعقد تنشأ بى اللاشعور ويمكنها الخروج (الانتقال) الى الشعور، وتحاول التأثير والتحكم فى الشخصيه لتحقيق اغراضها الخاصه ، بينما يرى فرويد العكس من ذلك - فالهى فى رأى فرويد تبقى لاشعوريه وتؤثر على الانا من خلال عمليات تجمع الطاقه. وهناك أبنيه / أو مكونات/ أو انظمه مختلفه فى علم النفس التحليلى تم تمثيلها بأكثر من مركب واحد للشخصيه ، وعناصر لاشعويه تنصهر حقاً اكثر من كونها متباعده أو منفصله.

الشعور :

وصف الشعور فى نظرية التحليل النفسى كما لو كان يمثل قمه جبل جليدى بينما اللاشعور يمثل قاعدة الجبل، وبالمثل فالشعور فى علم النفس التحليلى يشبه الى حد ما جزيره صغيره تظهر فى وسط بحر شاسع (Jung, 1969 c) .

الانـا : Ego :

هى مجموعه معقده (مركبه) من الافكار الشعورية والتى تشكل مركز ادراك الفرد، وتظهر فاعليتها بدرجه كبيره فى إحداث الاستمراريه وتكوين الهويه، وهذا الاحساس يتطور فى نفس الفرد فى الرابعه من عمره، وقد ساعد على نموها الاحساس الجسمى والذى يُنمى (يُنشأ) الاختلاف بين أنا، ولا أنا "I" and "Not I" ، وعن طريق الخبرات (كخبرة النجاح مثلا) التى يمكن ارجاعها الى احساس موضوعى بالهوية ولكنها لاتصبح منتج منتهى بالفعل (Jung, 1976) .

ويقتنع يونج بأن الأنا هى كائن ضعيف نسبياً دائما مايكون فى موضع يتطلب الرحمه بين اكثر من قوه كبيره- كالكره فى لعبه التنس - كمتطلبات الواقع من جانب والمتطلبات اللاشعورية من جانب اخر ، وتستطيع الانا كذلك ان ترسل المادة المهددة الى اللاشعور الشخصى بطريقه الكبت .

القناع The Persona

لايمكننا دائما ان نقدر على مواجهة العالم بمشاعرنا الداخلية الحقيقية ، ولكن يجب أن نغير من مظهرنا الخارجى لُنرضى من خلاله مطالب المجتمع ، وهذا الوجه المخادع يعرف باسم القناع Persona - فقد ارتدى الممثلين القدامى القناع ليلعبوا الأدوار التى تخصصهم- والقناع يُسهل لنا إتصالنا بالأخرين من الناس لكونه يعطيهم انطباع عما نتوقعه منهم .

والقناع هو حل وسط بين الفرد والمجتمع وماهو الإنسان الذى يجب أن يظهر وأن يكون وذلك مثل ارتداء الزى العسكرى ، أو لعب دور اجتماعى ، فالمجتمع يتوقع أو يجب أن يتوقع أن كل فرد يجب أن يؤدى الدور الذى أسند اليه تماماً وعلى قدر استطاعته ، وعلى كل فرد أن يثبت قدميه ، فهذا الاسكافى ، وهناك الشاعر ولايوجد إنسان نتوقع ان يكون هو الاثنين معاً ، وليس من المعقول هذا ، لذلك سيكون غريبا ، فالانسان الذى يختلف عن الناس لايمكن الاعتماد عليه ، المتوقع دائما من قبل الأخرين أن يكون شخص غير عملى ، وليست لديه كفاءة ، ذلك لأن المجتمع اقتنع بان الاسكافى وحده - وليس الشاعر- هو الذى يستطيع أن يعمل فى الأحذيه (Jung, 1972 c) .

وشبيه لذلك فان الدور الوظيفى للطبيب يصدق فى رأى مريضه عندما يهدأ من روعه بجانب فراشه ، بينما الاستاذ الجامعى يُفترض أنه سيقوم بتمثيل دور المصدر الموثوق به ذى المهاره الفنيه الخاصة ، وانتهاك هذه التوقعات - كالسلوك القلق وغير المميز- بلاشك سيثير مقاومة الأخرين . وعلى وجه العموم فالناس الذين هم غير ناضجين فى قدرتهم على التمثيل يظهرون للأخرين وكانهم يتصفون بعدم الكفاءه ، الملل ، عدم الذوق - غير فاهمين داخلهم ، وعميان عن فهم حقائق العالم (Jung, 1972 c) .

بالإضافه الى متطلبات المجتمع فالتمثيل يعكس طموحات الفرد وتخيلاته فهذه الفرديه الزائفه تعطيه على ما يبدو إحساساً بأن لديه إمكانات شخصية كالأخرين ، ولكن أيضا قد تسبب إحساس بعدم النمو والتطفل على الأنا ، لذلك فإن المعلم أو الطبيب دون المتوسط سيكون شخصيه متغطرسة ، وفى مثل هذه الحالة فإن الأنا ستتوحد مع الشخصية ، مما يؤدى الى إفساد للشخصية الحقيقية وانتهاك الخصائص المتجمعة (وذلك مثل الموافقه الاجتماعية على عنوان مكتب أو عنوان ما) بمزيد من الاهمية . " ها انا ذا شعار هذه الفئة من الناس ، وبدون شك سيبحث الفرد عن الشخصية خلف القشرة ، ففى الجزء السفلى وعند الحشو سيجد كل فرد مخلوق صغير يرثى له ، وهذا هو سبب وجود

القشرة الخارجية بجاذبيتها لتقدم تعويض سهل عن الشعور بالنقص أو القصور الشخصى " (Jing, 1972 c) .

كما هو متوقع من مبدأ المتناقضات فإن المزيد من القناع الشعورى يكون متبوعاً أو مقروناً باتجاه لاشعورى مناقض لايستطيع أن يجد له تعبيراً مُرضياً أو مشبعاً . إن الفرد الذى يبنى قناعاً صحيحاً الى حد كبير ونقى وجب عليه ان يتقبل الإثارة وهو شخص يتميز بالاستقامة . . بينما الشخص الذى يتصف بالغطرسه والتكبر من الممكن ان ينزل الى مرتبة نقص الاطفال فى سنواتهم الأولى ، وفى بعض الحالات فإن القناع الداخلى قد يتحطم تحت ضغوط معينة ، وهذا من المحتمل أن يؤدى الى النمو ا لشخصى الايجابى كما يحدث عندما تتحطم مضارب لاعب نتيجه مغامره ما ، ولكن ذلك يضيف اليه قدراً من الحرص . . كما يمكن ان يحدث بدلاً من ذلك نكوص الى الشخصيه المبكره قبل النضج ، فلاعب المضرب السابق قد يخاف بصوره طفوليه أن يقدم على ادنى مغامره . (Jung, 1972 c) . مع ان القناع يتكون بصورة معقدة من المواد الشعوريه التى تحدد محتواها مسبقا عن طريق الخبره ، فنحن نرث من اجدادنا اتجاهاً فطرياً للتفكير ، ثم ننمى هذا الجزء من الشخصيه .

اللاشعور الشخصى Personal Unconsciaus

يبدأ اللاشعور الشخصى فى التكون منذ الميلاد وهو يحتوى على المادة المشتقه من الخبره الشخصيه التى لم تظهر كثيراً أو لم تظهر بعد فى المستوى الشعورى للشخص . فبعض الذكريات تُنسى بسهولة لأنها ليست ذات أهمية كبيرة ، وكثير من هذه الذكريات من السهل تذكرها عند الطلب (مثل رقم تليفون معروف للجميع كتليفون المطافى مثلا) ، او محتوى العشاء الاخير) ، وخبرات اخرى كُبتت فى اللاشعور لانهاذات طبيعة مؤلمه ، كما يحدث عندما يغير سكرتير ما احد الموظفين معه لانه ينسى موعد الاجتماعات بدعوى كثرة ما يلقى عليه من اعمال ولكن عدم قابليته لها تماماً ، هو السبب الحقيقى لإهمالها (Jung,1971 b) .

وثمة اعتبارات اخرى من الحياة العقلية تبقى فى اللاشعور الشخصى لانها لاتمتلك الطاقه النفسية لتدخل الى حيز الوعى والادراك . " فنحن غالبا ما نسمع او نرى او نتذوق ، ونشم اشياء غير موجوده لان المشاعر الحسيه ليست قويه بالدرجه الكافية لتطفوا الى الشعور (المدركات المزاحة) . على سبيل المثال ذلك الاستاذ الذى كان يسير فى مدينة مع طالب وفجأه لاحظ ان افكاره قد غزيت (تم غزوها) بذكريات الطفولة المبكرة ، ولم

يستطيع ان يفسر هذا التشتت فى الذكريات والافكار حتى عاد بذاكرته للخلف وادرك انهما قد مروا على بعض الاوز والتى ذكرته برائحة المزرعه التى عاش فيها منذ كان شاباً ، وبالمثل عندما يسمع شخص ماصوت مزمار فانه يصاب بصداع مؤلم واتضح ان هذا يذكره لاشعوريا بفترة غير سارة من حياته مع الشخص الذى يحبه . او ذلك الكاتب الذى يطور فكره قد تبدو اصيله فمن الممكن ان يكون مستجيبا لمثيرات متساميه والتى تدعوه مراراً ان يستدعى الذكريات المنسيه من عمل مؤلف اخر " (Jung, 1968).

الظـــل The Shadow

الظل هـو الجزء الأولى (البدائى) والجانـب غير المرغـوب من الشخصيه الذى إشتُق من اسلافنا (Jung, 1951) ، وهو يتكون من المواد المكبوته فى اللاشعور الشخصى حيث انهـا مخزيه وغير ساره ، وتلعب دوراً مكافئـاً للقناع والانـا ، (هـناك حـالات شـاذه ، حيث تكون المظاهر الايجابية من الشخصيه مكبوته وتكون الانا سالبه بصوره واضحه) . إن قـوة الظل تظهر بوضوح عندمـا تنتاب الشخص فترة من الثورة العنيفة وغير المضبوطة وهذا الأمر واضح تماما فى الأدب فى قصه دكتور چيكل والسيد هايد Dr. Jekyll & Mr Hyde فالسيد هايد الخطير الذى يعمل تحت إمرة دكتور جيكل الذى لايعفو ولايصفح – ومع ذلك فإن اى تكوين فى علم النفس التحليلى يؤكد على أنه يجب ان يكون الظل على الاقل له فائده ما لكى يُبقى على الاجيال من خلال عملية التطور ، فهو مثل الهى عند فرويد تمدنا بقدر ضرورى من الحيوية والنشاط . ان كثير من الحيوانات شوهها الانسان المتحضر ، والكثير من الحضارات خلقت حيوانات مريضه (Jung, 1972 b) وحيث انه من المستحيل ان نحصل على ضؤ الشمس دون نجد الظل معه . لذلك فان نور الشعور لابد وان يقترن دائما بالجانب المظلم من شخصيتنا وليس ذلك لكى ننفر من ظلنا بل ينبغى علينا ان نفتح صندوق بندورا *Pandora's box ونتقبل محتواه ، ولم ينظر يونج الى الكبت على انه عملية حفظ نشطه ، ولذلك فان الشخص الذى يود أن يختبر محتوى الظل لديه يمكنه عمل ذلك ، لكن هذه مهمه مهدده بدرجه كبيره ولذلك يفضل تفاديها غالباً .

---

* بندورا : إمرأة أرسلها زيوس كبير آلهة اليونـان عقاباً للجنس البشرى ، بعد أن سرق بروميثيوس النار من السماء ، وتعليمه للبشر كيف يستخدمونهـا ، وأعطاها صندوق بندورا ، وما ان فتحته بدافع الفضول حتى انطلقت منه جميع الشرور والرزايا فعمت البشر ولم يبق فيه غير الأمل (اسطوره يونانية) .

والظل مثل كل الخبرات اللاشعورية يسقط على الأخرين ، وعاده ما نَّعلمه بهذه الطريقه غير المباشره ، فالخصائص والصفات غير المرغوبه التى نجدها فى الاخرين وتتماثل مع بعض مالدينا تُنكر وتبقى فى الظل وهو ما يتتج عنه الكبت العميق الذى يستتبعه اسقاطات قويه لهذه الخصائص ، وينتج عن ذلك مشكلات وسؤ فهم ، ومن الممكن ان تتجمع فى الجهاز النفسى المريض مكونة العصاب ، فالظل لايعكس فقط عيوب الفرد ولكنه يعكس جوانب معروفه اجتماعياً ولذلك فإن له اثر فى اللاشعور الجمعى أيضا .

اللاشعور الجمعى The Collective Unconscrous

على الرغم من ان اللاشعور الشخصى والانا يتكونان فقط بعد الميلاد فإن الوليد الجديد ليس صفحة بيضاء . فنفسه معقده بدرجة كبيره وتحوى معرفة مكونه فى اللاشعور الجمعى والذى يعمل كمخزن للخبرات الموروثه من الأسلاف (Jung, 1976) .

خصائص الانماط الاوليه Archetypes

الانماط الاولية هى صور من التفكير العام بين البشر والتى تنتج من الرواسب المتجمعه نتيجة الخبرات البشريه ، والتى سبق تهيئتها للفرد لكى يفهم العالم بطريقته الخاصه ، وتختلف الأنماط الأولية عن الغرائز فى كونها صوره من اشكال الادراك اكثر من كونها فعل او رد فعل ، ومن الممكن ان توصف بأنها الصوره الذاتيه للغريزه (Jung, 1972 b) والانماط الاوليه تشبه القنوات المشكله فى النفس التى من الممكن ان تهيئ لليبدو مساراً يتبع طريقة من خلاله . غير ان الطاقه النفسيه تمر من خلال هذه القنوات بطريقه خشنه لتؤكد انها تفعل ذلك فعلا ، والانماط الاوليه عباره عن احتمالات وليست ذكريات او حقائق بعينها ، وتبقى ساكنه اذا لم تتقوى بالخبرات المناسبه " فانا لا أؤكد بطريقه او بأخرى توارث الأفكار ، ولكن احتمالية ورود هذه الافكار ، وهذا شيئ مختلف تماماً " (Jung , 1972b) .

ولذلك فإن كل فرد يرث استعداداً للخوف من الاشياء التى وجدها اسلافنا خطيرة بالضرورة (كالخوف من الظلام مثلا) . ولكن الفرد الذى ينمو بمقابلات ساره مع الظلام سوف ينمى صور وانماط سلوك عقليه تختلف تماماً مع الأنماط الأولية الموروثة ، وبالمثل فان ادراك الطفل لامه يتأثر جزئياً بخصائصها الحقيقية ، وجزئيا بعمليه الإسقاط اللاشعورى من الانماط الاوليه المرتبطه بالمرأة كالاغراء والخصوبه وتربية الابناء . هذا ويمكن توضيح العلاقه بين الشعور واللاشعور الشخصى والجمعى على النحو الاتى :

	الشخصي	الجمعي
الشعور	**الانا** : جهاز مُعقد من الافكار الشعُوريه والتى تكون مركز الادراك عند الفرد، وتمده بمشاعر الهويه الذاتيه ، والاستمراريه وتبدأ تتكون فى السنه الرابعه من العمر، ناتجه عن الاحساسات الجسميه والخبرات التى تتصل بذات الفرد، وهى الجزء الوحيد الشعورى فى الذات ، واليها يرجع ايضا ما يسمى بعقده الانا Ego-Complex .	**القناع** : هو الوجه الخارجى من الشخصيه، وهو وجه خاص وضع خصيصا ليقابل حاجات المجتمع بينما يخفى خصائصه الطبيعة الداخليه، ويسهل القناع الاتصال بالناس عن طريقه معرفة سلوكهم المحتمل او المتوقع .
اللاشعور	**اللاشعور الشخصى** : ويحوى المواد غير الموجوده فى متناول الشعور ويصعب عليه ادراكها لأنها قد نسيت او كبتت او حدث لها تسامى وهو الوسيط بين اللاشعور الجمعى والشعور . **الظل** : يبدأ فى التكوين منذ الميلاد ، ويحوى المواد البدائيه ، والواخزه للضمير وغير المرغوبه من الشخصيه ، بالاضافه الى اية خصائص ايجابية تكون متعارضه مع القناع ولذلك تكون متعارضه مع الشعور .	**اللاشعور الجمعى** : عباره عن مخزن يحوى التمهيدت الكامنه أو المستترة التى تقدم العالم للفرد بطريقه خاصه . **الانماط الاولية** : وهى موروثه من اسلافنا الاوائل ، وتوجد مع الميلاد، وتمثل الطبقه العميقه والمتعذر الوصول اليها من الشخصيه وتحوى القناع، والظل ، والانماط الاوليه يسهل نمو التصورات المرتبطه ،اى موضع فى الشخصية .

القناع والأنماط الأولية للظل :

ما سبق ذكره عن القناع والظل تم دمجه فى النفس البشريه خلال الأجيال المتعاقبه ، وقد انعكس ذلك عن طريق دمج الانماط الاولية فى اللاشعور الجمعى ، وهكذا فنحن نرث الميول لتشكيل مكوناتنا الشخصية الآتية :

الأنيما والأنيموس :

يتبنى علم النفس التحليلى الرأى الأوسع قبولاً ، وهو أن الإنسان فى أصله خنثى أو ثنائى الجنس ، ولكنها تختلف عن النظريات الاخرى لأنها تنسب هذه الظاهرة الى الانماط الأولية ، فالأنوثه اللاشعوريه فى الرجل ترجع الى نمط اولى يعرف بالانيما Anima ، أما الرجوله أو الذكورة اللاشعوريه فى الأنثى فتعرف بالأنيموس Animus . فالأنيما أو المركب الأنثوى فى الرجل تنتج عن خبرات الرجال مع النساء منذ فجر التاريخ ، والأنماط الأوليه هذه تحدث أمرين :

الأول : تجعل لدى الذكور صفات أنثويه .

والثانى : ان تكون أطر عمل يجعل الذكور ينجذبون للإناث .

ولأن علاقة الرجل بالمرأة متعددة الجوانب فهى أم وزوجة وإبنه وصديقه فكل ذلك يستمر فى الأنيما ويُسقط على إمرأه ما فى وقت ما فيختارها زوجة ، وحيث ان الانماط الأوليه تبدو مثاليه فقد لايحدث ارتباط تام أو كامل بالمرأة فى صورتها الحقيقيه ، ولكى يحدث التوافق يجب ان تتطابق الصورة الحقيقيه مع الصورة المثالية ، فإذا كانت صورة المرأة التى ارتبط بها الرجل تتطابق جزئياً وليس كلياً مع تصوره الداخلى عن المرأة فإن العلاقة بينها من المتوقع أن تفشل .

أما الأنيموس أو المركب الذكرى فى الأنثى فهى تمد الإناث بخصائص الذكورة وتكون إطار عمل يسهم فى تكوين علاقة مع الرجل . وكما أن الأنيما تمد الرجل بصورة مثالية عن الأنثى فإن الأنيموس ايضاً تمد المرأة بصورة مثالية عن الرجل ، واذا اختلفت صورة الرجل عنها فمن المتوقع الايحدث توافق بينهما ، فإذا كان فى نفس الرجل مركب انثوى قوى ، وفى نفس المرأه مركب ذكرى قوى ، فى هذه الحالة يوجد احتمال قوى للتوافق .

وعندما يتفاخر رجل برجولته على امثاله من الرجال فإنه بذلك ينقاد لشعور داخلى

بالضعف والحزن ، والأنيما الذكرية فى الجانب الاخر تسبب اقتناعات كيفية ثابته ، والمرأه التى تقمع الأنيموس لديها - فى محاولة خاطئه - وتميل لان تبدو كأنثى كامله سوف تعانى فتنه العناد وعدم الاقتناع ، وكذلك مثلما يحدث عند الذكور الذين يبدون فى صورة إلهية أو كأبطال (Jung, 1972c) والشخصية ذات التوافق الحسن هى التى تتكامل لديها الصفات الذكرية والانثويه عن طريق التسامى (من خلال عمليه التسامى)، والسماح لكليهما لان تجد التعبيرات المُشبعه والمُرضيه .

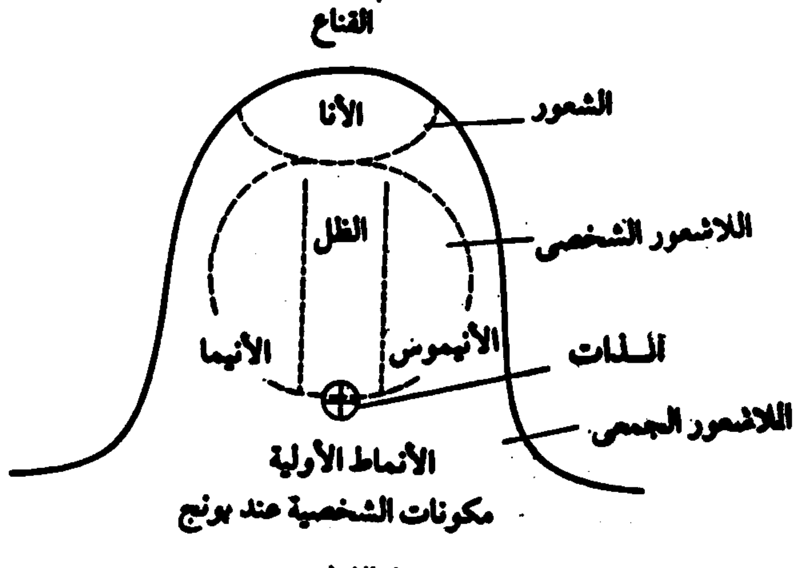
أنماط أوليه أخرى :

الأنماط الأولية الأليه الأخرى تشمل ذلك : العجوز الحكيم المحنك ، الأم ، الاب ، الطفل، الوالدين، الزوجه، الزوج، البطل، الحيوانات المختلفه ، الطاقه ، الذات (التى تمثل الهدف النهائى لتطور الشخصية) وعدد غير معروف من الانماط الأولية تتمثل فى المواقف المختلفه (Jung, 1972a) . وينصح يونج بعدم محاولة الفهم الشامل لطبيعة الانماط الأولية أو بحفظ مثل هذه القائمة ، والانماط الأولية هى عباره عن احداث مستقله تقع علينا (كالأقدار) ويجب ان توضع فى الخبره منذ الوهله الاولى ليسهل فهمها- ولايوجد لديه علاج بسيط لهؤلاء الذين ظلوا على شكهم حول علم النفس التحليلى لانهم لم يتمتعوا بالمصادفات الفنية مع اللاشعور الجمعى " يمكنك ان تقول انه ليس لديّ مثل هذه الخبره، ويقول لك من يواجهك اسف انا لديّ ، وهنا ستنتهى مناقشتك وينصح يونج بضرورة زيادة المعرفه عن اللاشعور الشخصى، وهذا يقلل من حجم طبقة اللاشعور الجمعى ويعطى الفرصه لصورة الانماط الأولية للظهور فى الشعور .

رموز الأنماط الأولية :

نحن لانصبح مدركين بالانماط الأولية ذاتها والتى تظل دائما فى اللاشعور الجمعى ، غير ان اللاشعور الجمعى هو بمثابة قاعدة البركان التى تمتد الى جوهر الشخصية والتى تنفجر احياناً قاذفه صور النماذج الاولية والاشياء والرموز عالياً الى السطح، ولاتشبه مثل هذه الرموز الشائعه الكلمات والصور والتى تشير بدقه الى الاشياء التى تتصل بها، فرموز النماذج الاصليه تتضمن اشياء كبيرة وخفية عنا يتم أخراجها عن طريق اللاشعور وليس بالخبره الشخصيه او التفكير الذهنى، فلدى هذه الرموز قوه روحيه أو تأثير ساحر وهوالذى يميزها بوضوح على انها شيء خارق للعادة (Jung, 1972 b) .

والرموز المشتقه من نفس الانماط الأولية ربماتختلف فى الشكل والمحتوى (المضمون) ، وخاصة فى امتدادها الذى يتأثر بالعنصر والثقافة ، وحتى الاختلافات الاسريه وهناك ايضا النفس الجمعيه القاصره على الجنس والقبيله والعائله وهى اعلى وفوق النفس الجمعيه العامه (Jung, 1972 c) ولكن مثل هذه الرموز كلها ترتد فى اصلها الى صوره واحده أصيله هى النمط الاولى العام ، ولهذا فالعمليات اللاشعورية لعناصر متباينه تظهر تطابق ملحوظ ، ، هكذا فنمط الأم الخلاقه العامه الموجوده فى الاساطير الثقافية المختلفه مثل طبيعة الأم" Mother Nature ، فالهة الرومان واليونان القدامى والهنود الحمر ، وبعض الجوانب فى الاديان الشرقية ، وكذلك بعض انماط الظل الأولية والتى يرمز لها بصورة الشيطان ، وقد لفت مريض ذهانى نظر يونج ذات مره بان الشمس لها شكل القضيب والتى تسبب حركتها ظهور الرياح ، وهذا يشبه الرمزيه غير العاديه فى اوراق البردى عند الاغريق القدامى ، والتى لم يستطع المريض رؤيتها اطلاقاً ، وهو يصف الصور المشابهة فى انماط اويه لاشعورية عامة ، ويشير ايضاً الى ان استخراج انماط اوليه من الاطفال هو بمثابة تأييد قوى لنظريته ، وفى الوقت التى يبدو فيه واضحه عاليا ، الا انهم لايملكون القدره على الاقتراب من الحقائق المناسبه ، وحينئذ فهم قد يخرجوا هذه الصور من تلقاء انفسهم (Jung, 1972 b) ، واللاشعور الجمعى ينظر اليه على انه مفهوم نظرى جدلى مبالغ فيه ، حتى فرويد العدو اللدود لعلم النفس التحليلى ، قد قبل فكره الارث القديم والتى يأتى بها الطفل الى العالم قبل اية خبرات له ، فانه يتأثر بخبرات اجداده- قد نقد تركيب يونج – ليس لانه غير صحيح ولكن لانه ليس من الضوري ان يتراكم اللاشعور الجمعى بطريقة معينه .



مكونات الشخصية عند يونج

نمو الشخصية :

الفرديه والذات :

رفض يونج تصور التحليل النفسى الفرويدى حول وجود الجنسية الطفلية مؤكداً ان هذه الدوافع الجنسية لاتبدأ إلا بعد فتره الكمون ، ولقد رفض ايضاً ان يحدد اية مراحل شكليه للنمو ولكنه ذكر الفرق الواضح بين الشباب ومنتصف العمر .

ففى مرحلة الطفوله تتطور الأنا واللاشعور والشخصى والمكونات الاخرى للشخصيه تدريجيا الى كينونـات مختلفه ومستقـله، وعمليـه الاختلاف هذه تستمر خلال البلوغ وبعد البلوغ ، فسنوات عمرنا المبكره تشبه شروق الشمس التى تزداد باستمرار فى القـوه حتى تصل الى وقت القيلوله فى الظهر ثم يتبعها العودة السريعة الى بطن الموجه، وهى الحركه السريعه الى الخلف والتى لاتشير الى الزيادة ولكن الى تناقص القوه (Jung, 1975 a)، وفتره البلوغ الثانيه تظهرها بين ٣٥-٤٠ سنه وتكمن اهميتها فى انها بوابة النصف الثانى من العمر والذى يعد فتره هامه وضروريه من الحياة . " لايصل الانسان الى عمر ٧٠-٨٠ سنة اذا لم يكن لهذا التعمير معنى ، ففتره ما بعد منتصف العمر يجب ان تكون ذات معنى لذاتها ولاتعد مجرد مرحله لاحقه محزنه لحياة ما قبل منتصف العمر (Jung, 1971 a) .

سنوات منتصف العمر جزء هام من حياة الانسان ، لانها تحوله من الماديه والجنسية والتناسل الى قيم روحيه وثقافية عن طريق الاقتناع الشخصى العاطفى القوى، او حتى تقود الى تغير المهنه، والطلاق، والثورات الدينية، وعن طريق التوفيق بين القوة المتضاربة المختلفه فى الشخصية من خلال التسامى بالدوافع، ومع طول العمر، وبالتدريج يتضح ميراث الفرد وتفرد شخصيته وهو ما يعرف بالتفرد **Individuation** .

والتفرد رحلة صعبة ومعقدة للكشف عن الذات ، غير ان هناك مجازفات كثيرة خلال هذه الرحله تحول دون النجاح التام - بادىء ذى بدء :

١- أن المحتويات المرعبة للظل يجب أن تظهر فى الشعور تجرب عقليا وانفعالياً.

٢- القناع يجب ان يمزق من اجل ظهور الوجه الجمعى المشرق وإلا لن تظهر الفرديه الحقيقيه .

٣- تحرر اللبيدو بتدمير هذه التركيبات الاكثر جاذبية إلى اسفل تجاه اللاشعور الجمعي، وتساعد الطاقه الاضافية على ارتقاء رموز الانماط الأولية الى الشعور.

والى حد ما فإن انهيار القناع يؤدى بالأنيما (الأنيموس) أن تتعالى وتعبر عن نفسها بصوت الأنثى (أو الذكر) داخل النفس ، واذا استطاع اى فرد ان يفهم ويتعلم من هذا الجانب المحير وغير المألوف فى الشخصية، فإن صور الأنماط الأولية التى تنشأ بعد ذلك من اعماق اللاشعور الجمعى هى الرجل الحكيم والأم العظيمه وهذا يخلق مأزق اخر، فالانماط الأولية المغريه ربما تختبر وتصبح مسيطره مسببه للفرد الخضوع لاوهام العظمه والأحساس بكمال العلم وقدرته ، ويشير يونج الى مثل هذه الحاله الشديده من التضخم بما يسمى mana-Personality (هى كلمة مالينزيه) تشير الى وجود قوة استثنائيه خارقه للطبيعة (Jung, 1972 c).

واذا مانجحت عملية التفرد فى تجنب الاخطار المختلفه فان زياده المعرفه باللاشعور الجمعى تحرر الكميات الاضافيه من طاقه اللبيدو التى تتصل مباشره بالانماط الأولية السالفه الذكر، ويقبع اللبيدو فى منطقة بين الشعور واللاشعور ويكون هويه له تعرف بالذات Self والتى تمثل الهدف النهائى لتطور الشخصية وتفيد فى كونها المركز الجديد فى الشخصية ، وهكذا فإنعمليه التفرد هى تلك العملية التى تصبح الذت فيها مختلفه عن المكونات الاخرى للشخصية . " إن هدف التفرد هو الواقعية - بكل ما فى الكلمة من معنى . ولكل جوانب الشخصية المختفيه فى المورثات الجينيه وخروج وظهور الاصول الكامنه، (والتفرد) يعنى ان تصبح فرد، والأبعد من ذلك فالفرديه تطور الفرد الى الاعمق لكى يكون ذا صبغه وحيده ، وتعنى أيضا أن تعود الى ذاتك وعندئذ يستطيع ترجمة الفردية الى الواقعيه الذاتية (Jung, 1972a).

إن ظهور الذات يتحدد باشارات او رموز الانماط الأولية التى تعبر عن الكمال والاكتمال والدقة، مثل هذه الرموز ربما تأخذ شكل دائره *(mandala) او شكل رباعى وقد تظهر فى الأحلام والرسوم والصور (Fordham, 1966).

---

* المندلا : رمز الكون عند الهندوس والبوذيين ، وهى عبارة عن دائرة تطوق مربع ⧈ وعلى كل جانب فيها يوجد رسم لإله .

وعلى الرغم من إن الذات تقع بين الشعور واللاشعور الا انها وراء العالم المدرك، والشيء الوحيد الذى نعرفه عن الذاتيه هو الانا Ego ، وهو المفهوم الشعورى لفرديتنا وزياده على ذلك - بينما كل شخصيه لديها الميل الداخلى للتفرد وتطور الذاتية الى درجة الثبات، فان تحقيق مثل هذا النموذج يعد امراً يصعب الوصول له ، وبالنسبه لبعض الاشخاص يظل مستحيل التحقيق ، ولذا فهم يلجأون الى تقليد الاقران او الشخصيات البارزه، وطرق التفرد هنا تكون خادعه وعقيمه. " فلكشف ما هو متفرد حقيقة فينا فنحن فى حاجه الى نظرة فاحصه ، ولكننا نكتشف فى النهاية او بصورة مفاجئه ان من الصعب جدا ما تكون عليه صورتنا الفرديه " (Jung, 1972 c) .

التقدم والتراجع :

يتقدم الليبيدو فى اتجاه امامى مؤيداً وميسراً تطور الشخصية وتوافق الفرد مع الواقع، ولكن اذا ما قوبل هذا التقدم بإحباطات من العالم الخارجى او بحاجز داخلى مثل الكبت فإن الليبيدو سوف يتحول الى ذكريات وأنماط أوليه تكمن داخل اعماق النفس (وهو ما يعرف باسم النكوص)، على العكس من ذلك - فإن فرويد يرى ان النكوص هو عوده عنيده لمرحلة فى الطفوله حدث فيها تثبيت ، بينما يرى يونج ان نكوص المريض ليس الرجوع (الارتداد) الى الطفوله ولكنه محاوله ضعيفه للوصول الى شيئ ضرورى ، فلقد كان تطوره ذات جانب واحد فقط تاركا خلفه جوانب هامه فى الشخصية ، ولذا فقد انتهى نموه بالفشل والتراجع - ومع ذلك فالنكوص لايشمل سوى خطر واحد غير مدرك ، وهو ان اللاشعور قد يستخدم الطاقه النفسيه الاضافيه كستار للشعور مؤديا بذلك الى السلوك العصابى أو حتى الذهانى .

أنماط الشخصية (الوظائف والاتجاهات)

رفضاً لمفهوم التثبيت ، ينسب يونج الفروق الفرديه فى الشخصية الى عمليتين اخريتين هما : الطريقه التى يستجيب من خلالها الفرد لفهم المثيرات الخارجية والداخليه، والخصائص الاتجاهية (داخلية - أم خارجية) فى حركة الليبيدو .

البعد الاول : ويتناول طريقة الفرد فى الإستجابة للمثيرات الخارجية والداخلية ويتكون من أربعة وظائف هى :

١ - الحقيقى والواقعى أوما يسمى (الحسى) Sensatition .

٢ - الذى يسعى ويفهم ما يستقبله بمداركه (المفكر) Thinking .

٣- تقييم سعادة أو رغبة لما تفعله (الشعوريه) Feeling .

٤ - تشكل احاسيس ومشاعر داخليه لايمكن تفسيرها بسهوله اذا لم تستقدم الوظائف السابقه (حدس) intuition .

"الاحساس يخبرك ان شيئ ما يوجد ، التفكير يخبرك ما هذا، الشعور يخبرك بما يوافق عليه وما يرفضه، والحدس يخبرك من اين تأتى والى اين ستذهب (Jung,1968) "

الحس والتفكير يعتبرا امرين متعارضين يشار اليهما على انهما وظائف عقليه لانهما يتضمنا إنماطاً للسلوك المعرفى ، كما أن الشعور والحدس ايضا متعارضان ، وهى وظائف معقده تعرف بالوظائف غير العقليه . ولدى كل فرد القدره على استخدام الوظائف الأربعه ولكن بطريقة تختلف بدرجة كبيرة عن الاخرين ، والوظيفه السائدة أو المسيطرة لاتستخدم بطريقه طارئه ولكن كأساس ينظم شخصية الفرد .

البعد الثانى : الذى يتناول اتجاه حركة طاقه الليبدو ويتكون من اتجاهين :

١ - التحول الخارجى لليبدو تجاه العالم الخارجى ويعرف بالانبساط Extraversion .

٢ - التدفق الداخلى لليبدو نحو أعماق النفس البشرية ويعرف بالانطواء introversion .

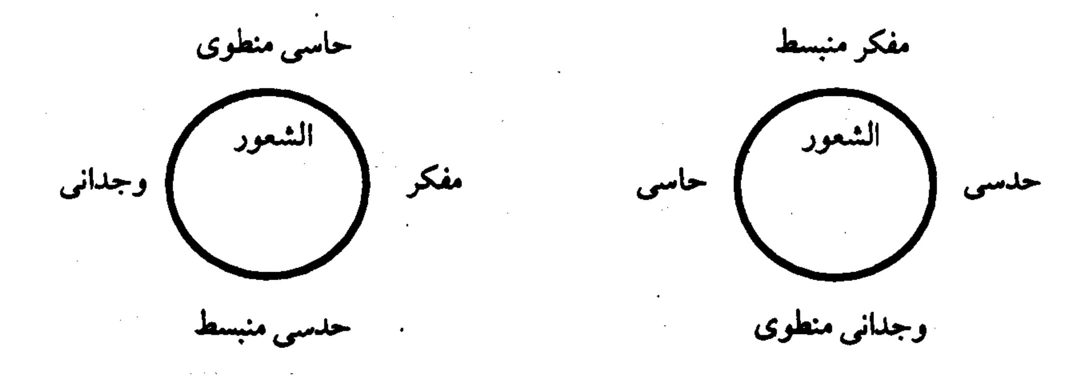
الانبساطى يتميز بالمسايرة ، والمغامرة من أجل التعرف على غير المألوف ، والتكيف بسهوله مع مواقف معينه ، والتأثر باشياء واحداث فى العالم الخارجى - اما الانطوائى يتميز بالتمركز حول الذات - الغموض - الخجل - الاهتمام بنفسه (Jung, 1976) .

وكما فى الوظائف فانه يوجد ميل داخلى لاتجاه يسود او يتغلب على الاتجاه الاخر ، والاتجاه السائد يتحد مع الوظيفه المسيطره ليشكل الشخصية المدركه وهذا يوضح ان هناك ثمانية أنماط أو نماذج فى دراسة الشخصية يمكن توضيحها كما يلى :

الوظائف	الاتجاهات: منبسط	الاتجاهات: منطوى
المفكر	يتميز بسعيه لتفسير وفهم الحقائق التى تدور حوله فى العالم الخارجى ، والقواعد العقليه والمناقشات الفكريه ، يحسن التوقع والتنبؤ ، والاكتشاف وحل المشكلات ، مصلح اجتماعى، يعيش طبقاً لنظام ثابت- موضوعى وجاف، وايجابى بدوره . ويكون وجدانى منطوى لاشعورياً بصوره قويه .	يتميز بسعيه لهم وتفسير الحقائق التى تدور حول ذاته - قد يصبح فيلسوفاً او سيكولوجى وجودى او عالم شارد الذهن ، اذا كان رجلا فقد يخشى النساء . وجدانى منبسط لاشعوريا بصوره قويه.
الوجدانى	يؤكد على الاحكام التى تتطابق مع القيم الخارجية، وعاده يكون (محافظ) على القديم، يتقبل بلاتشكك الحقائق والمعايير الشائعه من كل نوع - اجتماعى - ولكن قد يبدو متقلب ويجنح لنزواته - ومتفاخر - وهذا النوع يشيع بين النساء . لاشعورياً يكون منطوى مفكر بصوره شديده	يوكد على الاراء التى تتعلق باحواله وظروفه الداخليه الذاتية - متحرر وغالبا ما يبدى وجهة نظر اعتراضيه على المعايير والحقائق الشائعة . يبدو بارداً - متحفظ ، غامض ، لديه انفعالات خفيه قويه - هذا النوع اكثر شيوعا بين النساء . لاشعوريا يكون منبسط مفكر بصوره حاده .
الحاسى	تميز بادراكه للعالم الخارجى كما هو عليه بالفعل، واقعى وغير خيالى - شهوانى - يبحث عن المتعه واللذه اكثر شيوعاً بين الرجال. لاشعوريا يكون حدسى منطوى .	يتميز بتأكيده على النتيجة الذاتيه كما يدركها، يرى العالم الخارجى على انه مبتذل، وبال (رث) ، ربما يكون فنان عصرى - أوموسيقى . لاشعورياً يكون حدسى منبسط .
الحدسى	يؤكد على (يتميز) بالبحث عن احتمالات جديده فى العالم الخارجى ، ربما يكون مضارب- مقاول- متسلق- هو اجتماعى - لايستطيع الاستمرار فى وظيفة او نشاط ، ينقصه سداد الرأى - وهذا النوع اكثر شيوعا بين النساء. لاشعورياً يكون منطوى حاسى .	يؤكد على (يتميز) بالبحث عن احتمالات جديده فى النفس الذتية (فى ذاته) . ربما يطور (ينمى) استبصارات (نظرات) جديده متألفه لامعه (براقه) . او ربما يكون حالم غامض و مهووس - Crank, Prophet او عبقرى غير غير مفهوم . لاشعوريا يكون منبسط حاسى .

ان أنماط الشخصية لدى يونج صعبه الفهم والتبسيط فلايوجد المنبسط او المنطوى الخالص، ولايمكن تقسيم الطبيعه البشريه الى ثمان وظائف مستقله كما ان نظريه الأنماط هى مجرد اطار لفهم النفس ودوافع الليبيدو، والناس يعكسون الصفات المعطاه بدرجات مختلفه ، اضف لذلك ، فالخسائر اللاشعويه للوظائف والاتجاهات السائده نتيجة للتأكيد على الميول المضاده والوظيفتين الباقيتين تتأرجح مابين الشعور واللاشعور، ويقوم بدور مساعد فى الوظائف السائده ، فلاتوجد وظيفه او اتجاه يمكن ان تظهر بعد ذلك بشكل كامل ولكنها فقط تختفى تدريجياً (Jung, 1976) .

على سبيل المثال فالشخص الذى لديه سيطره لوظيفه التفكير ، يركز على القواعد العقليه والاقتباسات الفكريه واذا اصبح الانطواء هو الاتجاه السائد فان التفكر سيتركز على الافكار التى تدور حول الذات كالفلاسفه من امثال كانت Kant ، اما اذا سادت الانبساطيه فان التفكير سيوجه الى حقائق فى العالم الخارجى (كالعلماء من امثال (اينشتين) وفى كلا الحالتين فان الوظيفه المواجهه (وجدانى Feeling) والاتجاه المخالف (الانبساط فى الحالة الأولى والانطواء فى الحالة الثانية) يصبح فى ادنى درجاته ويكبت فى اللاشعور الشخصى، ولهذا فالنمط المفكر / المنبسط يؤكد لاشعورياً على الاحكام المركزه حول الذات، فى حين ان المفكر / المنطوى يكون وجدانى منبسط لاشعورياً ، اما الوظيفتين الاخريتين (الاحساس- الحدس) ربما يقومان بدور العاملين المساعدين شعوريا اولاشعورياً ، فالعالم المنبسط الذى يفكر من اجل وضع فروض بحثه يحتاج الى وظيفة الحدس (البداهية) للوصول إلى أفضل صيغة لهذه الفروض ، وهذا ما ينطبق على الوظائف الاخرى . فعلى سبيل المثال فالشخص المنطوى الحاس يكون منبسط وحدسى لاشعورياً وربما يستخدم التفكير والوجدان كعوامل لاشعوريه مساعده وهكذا ، ويمكن تبسيط ذلك فى الشكل الآتى .



ان الوظيفه والاتجاه المفضل من الفرد يجب ان تكون سائده حتى يصبح تطور الشخصية امر مضمون النجاح ، وحيث ان الأمريكان يفضلون بشده الانبساط ، فان اولياء الأمور والمدرسين في مجتمعنا من المحتمل ان يعاملوا الطفل المنطوى باهتمام زائد، والجدير بالذكر ان الانبساط أو الانطواء بقدر معتدل يعد أمراً عادياً وسوياً ، وان المحاولات غير المنظمه لتغيير الطبيعه الموروثه للفرد ستؤدى أ خيرًا الى عصاب وينتقد يونج ميلنا الى تمجيد التفكير واهمال الحدس والتخمين فيقول : ان الحدس افضل هبه للانسان وفقدان وظيفه إنسانيه طبيعيه من شأنه خلق اضطراب عام، نتيجه لذلك فان تغلب التفكير على الوظائف الاخرى من شأنه بدأ الاضطراب العصبى للانسان المتحضر، ومن الواجب الا نحقق ذاتنا بالفكر فقط لان الانسان لم ولن يكون مخلوق للتفكير فقط ومن هنا يجب الا يتأصل فينا" (Jung, 1976).

حتى لو حدثت أفكار نتيجة إنكار الطبيعه الحقيقيه للفرد ، هنا قد يحدث سوء توافق لان الميول الاقل قدره تكبت بشده ، فالمنبسط عموماً ربما يتجاهل الظروف الداخليه ويتبع نظام مُحطم للذات، فقد يظل يعمل حتى يصاب بقرحة المعده أو أزمة قلبيه، والمفكر المنبسط بدرجة كبيره ربما يسعده ان يجمع عدد كبير من الحقائق غير المترابطه ، دون ان يستطيع ربط مصادر الأبداع الداخليه المحتاجه الى الترابط، ويغرق دائما نفسه فى بحر من الاوهام . أما المنطوى عموماً ربما يفقد القدره على فهم البيئه بدقه والتأثير فيها بوضوح ، وينشغل بالاوهام العقيمه، اما الأنماط الحاسه والبديهيه من المنطويين قد يصبح ضعيف فى الوظائف العقلية ويصطدم بكل مصادر الألم لأن الحكم والمنطق ناقصان (Jung, 1976)، والاكثر من ذلك فان القوى تحت القيمية والقوى اللاشعوريه ربما تتخلل القوى الشعورية وتتبع طرقاً لهزيمة الذات . إن النمط الشعورى المنبسط هو الذى يقول ويفعل مايراه صحيحاً في قوله، وربما يذل لسانه بما يوضح العداوه والانكار للافكار غير التقليديه، والعالم المنبسط ذات التفكير الحر وبإفراط ربما تطغى عليه المشاعر المنطويه اللاشعوريه، ويزور النتائج ليؤكد توصله الى نظريه او قوانين علميه معللاً ذلك بان " الغاية تبرر الوسيله " ، والمنبسط المفرط ربما يخضع لتغيرات حالته النفسيه، اما المنطوى المفرط ربما يقوم بمحاولات سخيفه للتغلغل فى نفوس الاخرين، كالثرثره لمده طويله فى الموضوعات التى تضايق الناس، مثل هذه الأنماط الشخصية تكون غير فعالة وغير مُرضية لأنهم محكومين بنظم غير راقيه وهم اشخاص لم ينمو إلي مستوي ا لنضج .

ان علاج نمط الشخصية المفرطه فى جانب واحد من وظائفها واتجاهاتها يكون (بالارتداد) باللاشعور ، ومن الممكن بمساعدة العلاج النفسى لتحليلى ، وبالمثل فأن هذا يمكن أية قيمة تحتيه أو منخفضه فى الوظائف والاتجاهات لتسير فى مسارها الصحيح - بعض الناس يُنمي او يطور اثنين او حتى ثلاث وظائف او يحقق توازن بين الانبساط والانطواء، غير ان التفرد عمليه صعبه، والقليل جداً هو الذى يكون قادر على إحداث التكامل بين الوظائف والاتجاهات فى نسق متكامل ، ويرتقى بكل منها فى مسار مستقل.

تطبيقات نظرية يونج :

تفسير الأحلام : فى علم النفس التحليلى كما فى التحليل النفسى تحقق الاحلام حلول هامه لألغاز اللاشعور - بينما يختلف مدخل يونج فى تفسير الاحلام بصوره واضحه عن مدخل فرويد.

الأحلام الشخصية والجمعية : فالاحلام حول اسرة الفرد، واصدقاؤه وحياته اليوميه تنبع من اللاشعور الشخصى ، اما اللاشعور الجمعى فى الجانب الاخر فتنبع منه أحلام الأنماط الاولية منذات الطبيعة الروحية والساحرة، ويوضح يونج أن هذا التميز ينتشر بصورة جلية بين قبائل الجونى Elgonyi فى افريقيا الوسطى - حيث الحلم البسيط Little dream (مثل الأحلام الشخصية) ينظر اليها على أنها غير هامة أما أى شخص لديه حلم كبير big dream (مثل الاحلام الجمعية) فانه يستدعى القبيله ويخبر كل فرد به . (Jung, 1972 c) .

الغرض من الأحلام :

طبقاً لوجهة نظر يونج ، الأحلام يمكن ان تخدم عدة اغراض وليس مجرد تحقيق غرض واحد ، انها تعبر عن مخاوف الشخص ، وتعكس مواقف فعليه فى حياه الحالم ، ويعكس توجهات قصديه هادفه حول توقعاته المستقبلية ، وهو عمليه تحذيريه ، او يبحث عن اتجاهات اخلاقيه تحقق حلولا خلاقه لمشكلات الفرد القائمة ، كما يحدث عندما يكتشف عالم او كاتب نظريه هامه او قصه خلال حلمه، او حتى الناتجه من توارد الخواطر.

ان اغلب الأحلام تكون تعويضيه فى عمليه سيكولوجية يخفى بها المرء عجزاً معيناً او شعوراً بالضعه وذلك من طريق التفوق فى حقل معين، وذلك بهدف تحقيق حالة من

التوازن السيكولوجى (Ellenberger, 1970)، على سبيل المثال حلم يونج انه حنّى رأسه ذات مره ليرى مريض فى برج عالى ، واستنتج انه يجب عليه ان يعتنى به فى الواقع، وهذا الاستبصار مكنه من أن يتغلب على علاجه غير الناجح سابقاً وان ينجح فى فترات لاحقه. وبالمثل فالرجل الذى لديه تضخم فى الانا ربما يحلم بنفسه كسكير (يترنح) يسير ببطىء حول دائره على شكل خندق، والشاب ربما يحلم ان والده المسيطر يفشل فى قيادة سياره ويصطدم بحائط ، والشخص الذى يعانى من عقده النقص ربما يحلم فجأه أنه شخصيه مشهوره كنابليون او الاسكندر المقدونى (Jung, 1974 a) ، وعلى الرغم انه من الممكن ان تسهم الأحلام فى تحقيق الرغبات فى بعض منها ، فالهدف الاول هو تعويض النقص فى جانب واحد من الشخصية بتوضيح الجانب الاخر والعكس .

رموز الحلم :

بينما يعتقد فرويد ان رموز الحلم تخفى حقائق غير ساره لتحافظ على النوم أو ليستمر النوم ، فإن يونج يعطى تقديراً وإهتماماً للمحتوى الظاهر للحلم . فلغة الحلم لغه معروفه للجميع ، وهو يعكس المنطق الطبيعى فى اللاشعور " يقول يونج " بالنسبه لى الحلم جزء من الطبيعة التى لاتترك مجال للانتباه إلاوطرقته ولكن يعبر عنها ببعض الاشياء الحسنه بقدر الأمكان . وما يسميه فرويد بالخداع أو التنكر disguise هو بالفعل شكل لكل الاندفاعات التى تأخذ صورة طبيعيه فى اللاشعور . (Jung, 1972 b).

ويوافق يونج على أن بعض رموز الحلم يكون لها صبغه جنسية ، ولكن الواضح ان هناك احتمالات اخرى عديده، فإدخال المفتاح فى القفل او فى (كالون الباب) ربما يشير الى عملية الجماع، او ربما يصف ويشير الى امال جديده يسعى الفرد لتحقيقها بدرجة محتمله فى حياته المقبله، أحلام مريضته السلبيه " بأن خصامها مع والدها اصبح على اشده" قد يحدث بسبب الخيالات الجنسية فى الطفوله والرغبه اللاشعورية فى التسلح (امتلاك سلاح) الذى هو هنا رمز "للقضيب" ، وقد يكون هذا الحلم : مؤشراً لحاجتها لبعض المصادر الجديده للقوه والتى تمكنها فى المستقبل لان تتعامل مع العالم الخارجى بمزيد من التقدم والايجابية . وأبعد من ذلك : فكل رمز لديه على الاقل معنيين والرمز الواحد ربما يعنى اشياء مختلفه من فرد لاخر ، على سبيل المثال . حلم اثنان من مرضى يونج ذات مره انهما يقودان مجموعه من الفرسان عبر ميدان متسع ونجح الاول فى عبور قناه متسعه (او خندق) فى هذا الميدان، بينما سقط الراكب الثانى . . بالنسبة للمريض

الاول الذى يتسم بالانطواء والحرص، فالحلم يمثل بالنسبه له سعيه لاخذ مزيد من الفرص- اما المريض الثانى والذى يتسم بكونه منبسط صريح فالحلم يمثل اشاره تحذير له بانه بعيد جدا عن الحرص والحذر - وبالمثل - فرمز الأم قد يعنى الحب والرعايه لشخص ما يحلم، والعكس صحيح فقد يعنى الاحباط والغضب لحالم اخر او قد يكون مرتبط بشىء ما كعمل الفرد مثلا. وهذا يوضح ان تفسير الحلم يحتاج الى التعاون الفعال من الحالم "انه من الحماقه التخطيط لاعطاء تصور منظم لتفسير الحلم، كمن يشترى كتاباً ويحكم عليه من عنوانه (Jung, 1975 b) . ولذا كان يونج يرفض اسلوب فرويد فى التداعى الحر، وكان يفضل ان يترك قطار الحالم من الافكار يتحرك لكى يوضح محتوى الحلم نفسه، وكان يرفض وضع قائمة من الافتراضات حول طبيعة الحلم ورموزه اكثر من كونها نابعة من اللاشعور .

تسلسل الحلم :

من الثابت عند يونج انه بنى تفسير الحلم على عنصر تسلسل الأحلام من الشخص نفسه، فالموضوعات والاحداث الهامه تميل الى الظهور وبصورة متكررة فى صورة أحلام مختلفه، وفى ضوء هذا المدخل او التفسير الدقيق والسهل معاً يمكن ان تمدنا الإحلام بكثير من المعلومات المختلفه عن الشخصية .

ان كتابات يونج فى الأحلام تتميز بالصعوبة، وتميل الى الجدل والنقاش وكثرة الاشارات للألغاز التى تحجب او تبعد تأثير احداث الحلم او قد تبقى اثر الحوادث او خبرات الفرد السابقة مما يؤدى الى تعثر فهم طبيعة الحلم .

الأمراض النفسية :

تتفق وجهة نظر يونج وفرويد فى النظر الى الأمراض النفسية على انها تختلف فى الدرجة اكثر من اختلافها فى النوع ومن الصعب الوصول الى درجة السوية ، فكل شخصية لديها اضطراب ولو بسيط فى جانب واحد على الأقل من جوانب الشخصية . ويوافق يونج أيضا على أن العصاب هو عملية تشمل كبح لطاقة الليبيدو . فالاعراض العصابيه تزداد بواسطه عوامل ثانوية مثل التدليل والتوتر الناتج عن ضغوط أحداث الحياة وتكرار العصاب يمكن ارجاعه الى سوء ادراك ، وفساد العلاقات الشخصية بين الفرد ونفسه . (Jung, 1975 a)

ويرى يونج الأسباب المترسبه من الطفوله للامراض النفسيه اقل اهمية من الاسباب الحاضره- فالنكوص العصابى يكون مفيد ولكن بصورة غير واضحه . والأعراض المَّرضية قد تكون حلول مستقبليه محتمله لمشكلات المريض او رغبات محرمه تأخذ صوراً رمزيه بدلا من ان تتحق فعلياً . ويرى يونج أيضاً أن فقد الشعور الدينى حالة شهيرة من العصاب ، ويختلف عصاب منتصف العمر فى جوهره عن عصاب الشباب ، كما يرى أن الذهان ذات مغزى كبير ولابد من علاجه ، مع ان التكهن بنهايته يكون اقل تحديداً من العصاب .

اسباب العصاب :

كما رأينا فإن اللاشعور الجمعى الفطرى قد هيأ شخصيه الفرد بطرق مختلفه للانبساط او للانطواء ، او لاحد الوظائف الاربعه وما الى ذلك - والهدف من التفرد هو الوصول الى الخصائص الفطريه المميزة . لتحقيق آمال وأهداف الشخص ، وتحقيق انسجام مع المكونات الاقل مرتبه ، فأذا ما احبط هذا الهدف من العالم الخارجى ، او ان اسلوب التربيه الذى نشأ عليه الفرد يختلف عن ميوله الفطريه ، هنا يحدث صراع بين اللاشعور والشعور ، وهذا الانقسام الداخلى قد يصبح عنيف فينتج عن ذلك العصاب ، ومع الميول لتحقير حقيقة الفرد تحدث استقطابات داخل النفس تزيد حدة الأعراض ، والصراعات العصابية ربما تحدث بين المكونات المختلفة فى الشخصية . مثل اختلاف الأنا مع الظل ، واختلاف الاتجاهات والمكونات المسيطرة مع الاتجاهات والمكونات الكامنة ، أو اختلاف القناع مع الأنيما ، والأنيموس ، او القناع مع الظل وهكذا . (Jung, 1972 b) .

لتوضيح ذلك . نفترض أن لدينا طفلاً منطوياً بطبعه دُفع بشده تحت إلحاح الوالدين أو المجتمع لأنْ يكون مُنبسط ، وهذه عوامل خارجية تؤثر على عملية التفرد ، وتصبح نفس الطفل أشبه بمنزل انقسم على نفسه ، فالشعور يبحث عن الانسجام مع ارشادات الوالدين بأظهار السلوك المُنبسط ، ويعاقب الرغبات المنطوية من اللاشعور - بينما الميول الانطوائية التى يجب ان تبقى فى النظام المغلق للنفس تنبه من اللاشعور وتقاوم بشده العمليات الشعورية - ولسوء الحظ ، فالعصاب ربما ينتج من قرار داخلى لدى الطفل لرفضه الخاصيه المنطوية فى اللاشعور فى مواجهة تحوله الى مُنبسط ، او قد يسرف

فى اظهار الخصائص المنطويه الوراثيه محاولاً طرد كل مجالات الانبساطيه، ويبقى على الاعتبارات الوضيعه فى الشخصية دون استبعاد .

وعلى العكس من التحليل النفسى فإن علم النفس التحليلى يفضل التركيز عى الاعتبارات المرضيه العصابيه كعوامل اكيده فى الحالة المرضيه الراهنه ، ويرى يونج ان ذكريات الطفوله اذا كانت سيئه فإنها هنا تضر اكثر مما تفيد . " ان اسباب الصراعات المرضيه تقع اساساً فى الحاضر . نحن نسأل ماهى المطالب التى لم يحققها المريض ولم تكتمل ، ماهى الصعوبات التى حاول تجنبها، إن مطالب العلاج النفسى تهدف الى تصحيح الاتجاهات الشعورية ولاتتقيد بذكريات الطفوله. من الطبيعى انك لاتستطيع ان تفعل هذا دون ان تلفت الانتباه الى الجوانب الاخرى ، ولكن تركيزك الاساسى يجب ان ينصب على اتجاهات المريض، وهناك اسباباً فعليه خارجيه ، لان هناك القليل من الاعرَاض العصابيه التى تفضل عدم الرجوع الى شرور الماضى وتسعى الى الوصول بالذكريات النفسيه الحاليه الى بر الأمان، وترفض اية محاولة من جانب المعالج للوصول الى تلك العقبات معتذراً عما حدث فى الماضى (Jung, 1975 a) .

أعراض العصاب :

الصراعات العصابية تولد كميه جوهريه من اللبيدو التى لاتستطيع السير فى الاتجاه العكسى لان النظام العادى من التقدم يدفع بواسطه الصراع الداخلى، وبدلا من ذلك ترتد طاقة اللبيدو الى اللاشعور على اعتبار انها القوه التى يمكن ان تحل العصاب " فالتعويض اللاشعورى للإتجاهات اللاشعورية العصابية يشمل كل العناصر التى تسبب توجيهات صحيحه وفعاله فى جانب واحد من العقل الشعورى، اذا كانت هذه العناصر تمت بطريقة شعوريه، حيث تفهم وتتكامل كما لو كانت حقائق واقعه" (Jung, 1972 b) .

ولكن إذاكانت النفس غير قادرة على نقل هذه المعلومات الى الشعور عن طريق تطوير رمز مناسب (فالطريق الوحيد الذى يخبر الفرد هو اللاشعور الجمعى)، او اذا ظهر الرمز ولكنه كان مجهولاً أو لم يتم ادراكه فالسلوك وحيد الاتجاه سوف يستمر، فذوى النمط الفكرىَ المتطرف ربما يهمل الانذارات الحيويه للحلم ويصر على محاولة توضيح سبب مقبول لافعاله ، بدلا من السماح لوظيفة الشعور تحت القيمى لان تخرج . فالعقد اللاشعوريه التى اختفت بطاقه اللبيدو المرتده ربما اذن تصبح قويه لتكتسب استقلالها الذاتى وتعبر عن نفسها فى صورة اعراض مرضية .

وكما سبق واوضحنا نفترض أن رجلاً ذات قناع مفرط الوضوح وذات قوه وسلطه سوف ينكر التعبيرات الكافيه من الكم الانثوى فى الأنيما لديه . . والصراع الناتج بين هذين المركبين من الشخصية يعوق النمو الطبيعى ويسبب نكوص لطاقة اللبيدو الى اللاشعور حيث يكون اللبيدو ما يشبه عنقود من العقد المتداخله مكوناً أنيما تالفه، هذه العقد ربما تظهر فى اغراض مناسبه. بالنسبه للرجل الذى ينمى الأعراض العصابية لان يكون منجذب نحو نساء عديدات أو غير مرغوبات ، حيث يرى التحليل النفسى مثل هذه الأعراض على انها صور مختلفه من تحقيق الرغبه- اما علم النفس التحليلى فقد أرجع هذه الأعراض الى توجيه القصد (الغرضيه الموجهة) انه يفترض ان الجهد المبذول لان تصبح الأنيما أفضل حالاً يمكن ان يتحقق بتطوير القناع .

وبصوره واضحه ومخالفه تماماً لفرويد ، استنتج يونج ان الأعراض العصابية غالبا ما تنتج من انكار الفرد الحاجات الدينيه الموروثه، وأن ما يقرب من ثلثى المرضى يبحثون عن خدمة علاجية بعد منتصف العمر، والمشكله الاولى تتضح لدى كل فرد فى ايجاد مظهر عقائدى في الحياة، وهؤلاء الذين نجحوا فى الوصول الى هدفهم هم الذين واجهوا معاناة حقيقية (Jung, 1972 d) .

ويتفق يونج على أن العصاب لدى المرضى من الشباب يكون نتيجة التركيز على اتجاهات مثل الجنس والقوة، ولكنه أخذ استثناء فرويد فى التفسير الحرفى للرغبه فى سفاح المحارم ناظراً الى ذلك كرغبه رمزيه لانجاز إعادة ميلاد نفسى وإحضار الاعتبارات تحت القيمية الاربعه للشخصيه من اللاشعور لدى الفرد.

اخيراً ، بينما يوضح يونج بعض الاختلافات بين الانواع المختلفه من العصاب، فهو يؤكد على الحاجه على فهم المريض اكثر من نوعه (او تصنيفه) كما فى الأحلام. وهو ينصح بوضع كل انواعها جانباً واعتبار كل حاله كما لو كانت اقتراح او موضوع جديد (Jung, 1975a)

الذهان :

فى حين ان العصابى يقاوم العقد اللاشعورية من الأمتداد والاستمرار، فان الذهانى قد أغرق تماماً بواسطة صور الأنماط الاولية. (Jung, 1974 a) والذهانى لديه كمية روحيه وفاتنه تشبه الحلم الكبير، ولهذا السبب ، فان تفجير اعماق نفس الفرد يلزمه اتصال قوى بالواقع (كما فى العمل والزواج) والتوجيه من معالج نفسى كفىء . فى الحقيقه انه اذا

لم يبالى بالعصاب فسوف يتحول الى الذهان الكامن والقابل للظهور، وهو يوافق على تحليل محتوى اللاشعور للوصول لمحتواه فيقول : " نحن نخطىء تماماً اذا اعتقدنا بان تحليل اللاشعور يكون اقل ضرراً بعض الشيىء، ذلك لان هناك بعض الاشياء والحقائق التى تكون مدفونه بعمق وغير مرئيه، لذا يجب ان يأخذ المحلل النفسى هذه النقطه فى الحسبان" (Jung, 1972 b) .

ولقد كانت محاولات يونج المبكره فى العلاج النفسى تدور حول خبراته فى الشيزوفرينيا (الفصام العقلى) والذى كان يسمى الاختلال العقلى المبكر (demetia Praecox) مما جعله اكثر قدره على التعامل مع الصور المتقلبه من السلوك عما كان عليه فرويد ، فقد لاحظ ذات مره أن الأعراض الذهانية تشبه تلك الأعراض العصابية مما كان له معنى هام فى تفكيره، فهذه المريضه بالفصام عبرت عن نفسها بالجمله الاتيه " انا اللوريلاى Lorelei) والذى يرجع الى صعوبة التكهن بحالتها . . . حيث شرح طبيبها أعراضها بالعباره (انا لا اعرف ماذا يعنى هذا) فى حين نجح يونج فى معرفة قصدها حيث كانت هذه العبارة بداية قصيدة هين Heine الشهيرة والتى تحمل عنوان داى لوريلاى (Jung, 1974, f) ويعد يونج اول من طبق مفاهيم التحليل النفسى على الفصام واول من قرر امكانيه وجود الميكانزمات السيكوسوماتيه فى هذا الاضطراب (Arieti,1974) .

العلاج النفسى :

لقد كانت خطوات يونج الاولى فى اكتشاف اللاشعور تعتمد على استخدام التنويم المغناطيسى - غير ان هذه الطريقه سرعان ما اتضح انها غير صالحة (لم تحقق نتيجة مرضيه) ، ففى اثناء شرحه امام مجموعة من طلابه عددهم ٢٠ دارس ، أبلغ سيدة مريضة فى خريف عمرها كانت تعانى من شلل فى ساقها اليسرى بانه سيقوم بتنويمها مغناطيسياً وعليه فقد وقعت فى غيبوبه مباشره بدون ان تتم عملية التنويم وظلت تتحدث ما لا يقل عن نصف ساعه متصله وتقاوم محاولات يونج لايقاظها، وفى النهاية تم ايقاظها، وقد شفيت تماما والقت بعصاها ، وصارت قادره على السير على قدميها فأعلن يونج وهو يسعى لان يتفادى ما أصابه من حيره " يمكنك الأن أن تدركين ما يمكن فعله عن طريق التنويم المغناطيسى " وبالفعل لم يكن لديه ادنى فكره عما حدث (Jung, 1972 b) .

مثل هذه التجارب دفعت يونج الى البحث عن اساليب اوسع وطرق يمكن الاعتماد عليها لدراسة اللاشعور لدى المريض من خلال الأحلام والرسوم وطورت

الطريقه الاخيره الى طريقه حديثه تسمى العلاج بالفن Art Thearpy ، بينما هناك اقتراحات اخرى ليونج تنادى بطريقه غير مباشره الى اهمال استخدام العقاقير (Ellenberger, 1970) .

الاسس النظرية للعلاج النفسى عند يونج :

تعتمد طريقه يونج فى العلاج النفسى على استبعاد الصراع الداخلى فى النفس والوصول الى وحده منسجمه من المتناقضات الشعوريه واللاشعورية وذلك من خلال استخدام منهج للوصول الى الفرديه ، فمن خلال المحادثه مع اللاشعور (مواجهة اللاشعور) ، يتعلم المريض ان الحياه ليست حاله من الانطواء او الانبساط ، التفكير او الشعور ، والاحساس او الحدس ، الخير او الشر ، ولكن كل ذلك ، والنمو مطلوب حتى تصبح المكونات تحت القيميه مقبوله من الانا ، والاسقاط غير الضار يفيد ايضاً كمعرفة عظيمه فيما يحققه اللاشعور وهو ما يمكن المريض من ان يدرك الاخرين بموضوعيه اكثر ويجعله يستجيب بصوره مناسبه اكثر ، ولابد ان يكون المعالج حذراً حتى يتحاشى الوصول بسرعه - حيث يؤدى ذلك الى انقضاض ضار من الأنماط الأولية الناتجة فى الذهان (Jung, 1972 b) .

الاجراءات العلاجية :

ينصح يونج بتوسيع وتنويع اساليب العلاج النفسى " فليس هناك اسلوب علاجى او مبدأ واحد فى التطبيق، حيث ان كل حاله تأتى للعلاج تكون متفرده فى ظروفها النوعيه (Jung, 1968) مثل هذه الانشطه : كالرسم وتشكيل الصلصال والغناء والتمثيل كانت شائعه فى نظريه يونج، وقد كان يونج يُغنى للمريض غناء الأطفال، عندما كان يواجهه بمريض لم ينم لفتره مَن الوقت. اما المرأه التى لم تستطع ان تحدد مبادئها الدينيه فقد قام بإحضار الكتاب المقدس، وخصص لها جزء منتظم كواجب تقوم بدراسته بانتظام (Whitmont & Kaufmann, 1973) .

وبينما كان يعالج سيدة مريضة وقورة ومحترمة وجهت اليه صفعة ، عندئذ قفز يونج واحضر قائمة طولها ستة اقدام وقال " حسناً انت السيدة، لقد أوذيتى أولا - السيدات اولاً - ثم تعرضت انا للايذاء " . وهنا سقطت المريضه مغشياً عليها على مقدعها. ومن هنا بدأت عمليه العلاج تأخذ مسارها الناجح (Jung, 1965a) .

ومن النادر ان يستمر العلاج النفسى لفتره طويله حينما يمر المريض بخبرات مفاجئه ومخيفه من ان تكون حالته نتيجة اختلال عقلى، وقد التقط يونج كتاب قديم جداً من رف مكتبته وملتفتاً الى إمرأة عجوز تتنابها تلك الحاله قائلا " انت لست مختله عقليا، ان حالتك معروفه منذ ٤٠٠ سنه" ثم عاد وجلس على مقعده ورجع الى وضعه العادى . وفى حالات قليله اخرى يستمر العلاج النفسى عدة سنوات، فقد عدل يونج نظام العلاج على فترات طويله وذلك لادراكه ان التفسير المباشر قد يكون ذات خطر كبير، وتؤثر فى العلاج واكتساب المريض الاحساس بالراحه، ولم يأبى يونج او ينفر من الاستفاده بأساليب التحليل النفسى او حتى عن طريق اعطاء مرضاه المتعلمين كتب لفرويد او أدلر ويكتشف عن طريق تفاعله معهم اكثر الطرق مناسبه للعلاج (Jung, 1972 b) .

*** مراحل العلاج النفسى :**

فى المراحل الاولى من العلاج النفسى ، كان يونج يعقد لمرضاه اربعة جلسات اسبوعياً، حيث تعتبر المرحله الاولى مرحلة التنفيس الانفعالى ، وتطهير المشاعر والعواطف، وحيث تظهر اسرار المريض على السطح، والتى تحتاج فى الغالب الى اقصى حد من الرحمة والحنان من المعالج النفسى، ولقد استنتج يونج من اختبار تداعى الكلمات بعد تطبيقه على إمرأه مريضه بالذهان قد سمحت لطفلها ان يشرب من ماءملوث، والتى ثبت بعد ذلك انها كانت سامه. وقد بدأ مرضها منذ اللحظة التى اكتشفت حبها الحقيقى لشخص أخر غير زوجها ، وقد واجهها يونج بهذه الاحاسيس بعيداً عن علم تلاميذه، وبعد اسبوعين تحسنت المريضه بصورة واضحه وكان هذا كفيل بعدم رجوعها ثانيه الى المستشفى (Jung, 1965a) .

وتؤدى مرحلة تفريغ الطاقه الى ارتباط المريض بالمعالج ، وهذا يؤدى الى المرحله التاليه من العلاج وهى مرحلة إلقاء الضوء على الجانب المظلم من النفس (اى كشف محتوى اللاشعور لدى المريض) ، وتفسير ما تشير ايه الأعراض والسلوك واصل الاضطرابات العصابيه او الذهانيه فى مرحلة الطفوله . . ويجب ان يتعلم المريض كيف يتخلى عن خيالاته غير الناضجه وغير الواقعيه مثل "الرغبه فى ان يكون قوى ، او ان الطريق لإزالة الوهم من الحياه مفتوح" ، بعد ذلك تأتى مرحلة الاعداد لجوانب متنوعه من جوانب الحياة، والتى رسمت للتغلب على التغيرات المعرفية التى حدثت نتيجة للمرض الذى تعرض له المريض ، وهناك بعض المرضى (مايزيد على النصف تقريبا)

يحتاجون الى مرحلة رابعة من العلاج، وهذا المدخل الذى يتبعه يونج يرجع الى التفسير او التأويل، او مثل طريقه التفسير التركيبى للكلمات (تفسير الكلمات المركبه انه يعتنى بالقناع ، اللاشعور الشخصى، والظل بعد أن يفتح طريقاً مؤديا الى الطبقه العميقه من اللاشعور الجمعى اكثر وضوحاً، والسماح لرموز الأنماط الأولية للظهور بوضوح، وهو ما يؤدى بالشخصية الى مزيد من التفرد، ورقى الثقة فى الذات ، ومن الطبيعى اذن ان تظهر الأنيما والأنيموس أولاً متبوعه بمثل هذه الأنماط الأولية مثل الرجل العجوز الحكيم، والأم العظيمه (Ellenberger, 1970) .

وخلال المراحل الأخيرة من العلاج (أو المبكرة فى الحالات القليلة الحادة) . يرى المعالج المريض مرة أو مرتين أسبوعياً ، ويجلس المعالج والمريض وجها لوجه لمناقشة الأمور الخاصة به ومن تجاربه الخاصه ان المده الأوليه للرعايه لاتقصتر على عدد من الجلسات الى ان يتعلم المريض كيف يمضى فى طريقه ، هذه الطريقه تساعد على ان يكون هناك حرية اكثر وتتيح للمعالج وقت كافى ليرى الحالات الاخرى .

المقاومه والتحول والتحول العكسى :

لم يهتم يونج بالتحول كجزء اساسى من العلاج النفسى ، على الرغم من ان ظهوره كان ضرورياً ، وقد نقد التحول العصابى فى التحليل النفسى وارجعه الى وجود خطأ فى العلاج يشجع المريض على الانغماس فى الخيالات الطفوليه ، مما يؤدى الى اعتماده الخارجى على المعالج ويزيد من صعوبة الشفاء . ويقول يونغ " لقد لفت نظرى احد طلابى بأن عملية التحول نقل من خلال عمليه دفع المال من المريض للمعالج (Jung, 1972 b) .

واشار ايضا الى انه ليس من الضرورى ان يكون رفض المريض لتفسيرات المعالج نوعا من المقاومة ، وإنما أرجعها الى أن المريض أما أنه لم يصل بعد الى النقطه التى يستطيع من خلالها فهم ذاته، أ وأن التفسير نفسه غير صحيح أو غير تام (Jung, 1968) .

وقد اكد يونج بأن شخصية وتوافق المعالج اكثر اهمية من الاسلوب المستخدم فى العلاج - وفاقد الشىء لايعطيه - فالمعالج المضطرب نفسيا لايمكن ان يقود مريضاً الى بر الأمان. والمعالج يجب ان يركز على حياة المريض ككل وأن تؤدى نصائحه الى سمو معرفته بنفسه، ويعد يونج اول من نصح بان يحلل المعالج النفسى شخصيته للحد من التحولات العكسيه المؤذيه المشابهة وهذا الاقتراح قبله فرويد فعلا (Jung, 1968) .

العمل :

تتضمن كتابات يونج القليل نسبيا عن سيكولوجية العمل . وكما رأينا سابقاً ، يمكن تطبيق خصائص أنماط الشخصية فى هذا المجال (مجال العمل) . فالنمط المفكر المُنبسط يكون مناسب له العمل فى مجال العلوم الطبيعية ، اما النمط الحدسى المُنبسط فهو بلاشك اكثر صلاحيه للعمل فى وظائف تحتاج الى نوع من الالتزام، اما النمط المُنطوى فيجب ان ينصح بعدم العمل فى التجارة ، وما الى ذلك حيث العمليات التى يشعر فيها بالنقص او انه مجرد عنصر مساعد تؤثر على الشخصية بدرجة ما . وفى العمل كما فى اى شيئ اخر فالتوافق الناجح يجب ان ينبع من الميول الفطرية فى اللاشعور الجمعى .

التربية :

فى التربية كما فى العلاج النفسى يُعد كمال والتزام المعلم أمر فى منتهى الاهميه . فالتعليم الاولى للطفل يتحقق بواسطة الوالدين الذين قد تكون لحياتهما وشخصياتهما اكبر الاثر على الطفل " فكل المشكلات الوالديه تنعكس بدون قصد منهم على نفسية الطفل" وبالمثل فالتربيه (النظامية) تتضمن ما هو أهم وأكبر أثراً من تلقين المنهج الدراسى، إنها تتضمن التربية النفسيه الحقيقيه الذى تكون ممكنه من خلال شخصية المعلم (Jung, 1976) ، فالمربى سيىء التوافق غالبا ما يسقط أخطاءه الداخليه على التلاميذ ويعتقد انهم هم الذين فى حاجة الى الإصلاح، كما انه يكون نموذج سيئ قد يتوحد معه الطفل، اما المعلم حسن التوافق فى الجانب الاخر فانه يسهل تقديم الطفل للعالم من اوسع الأبواب .

ونظراً لان وظيفة المعلم هامه بهذه الصوره فان يونج اوصى بالتربيه المتواصله والمستمرة للمربيين وللكبار ايضا بقدر الأمكان - حيث ان مشكلات الحياه المتشابكه لاتقف عند حد تخرج المربى من المدرسه او الجامعة ، وهو ينصح ايضا المدرسين ان يحترموا عقل واتجاهات الطفل المُنطوى اكثر مما يقدرون الطفل المُنبسط - كما يشير الى أن الكثير جداً من الاطفال يرددون ما يسمعونه كالببغوات دون ان يكشفوا عما يدور فى عالمهم النفسى ، وعلى المربين ايضا ان يكونوا جاهزين لمواجهة وتقبل المطالب الملحه للطفل الموهوب، كما يجب ان يكون لديهم بعض الفهم عن الاختلافات العامه فى الأمراض النفسيه للطفوله (Jung, 1976) .

وكما ان تدريب المشتغلين بعلم النفس (الاخصائيين النفسيين) هام ، فان يونج يوصى بضرورة وجود خلفيه واسعه من العلوم الانسانيه والتاريخ والادب والميثولوجيا ، فهو يعتبر مثل هذه العلوم اساس معرفى لتفسير صحيح لأحلام المريض، وخيالاته ، أو أيه رموز عقليه أخرى . (Jung, 1968) .

الادب والميثولوجيا (الأساطير) :

على حد قول يونج – توجد فى الأدب معانى رمزيه واضحه تحدد بدايه النوايا الشعوريه للمؤلف. وذلك فى روايات عن الحب، الجريمة ، الأسرة ، والعديد من الاعمال الدراميه المبدعه التى تعكس عقد لاشعويه ذاتيه وصور الأنماط الأولية والتى استطاع من خلالها ان يحقق المؤلف رغبته الخاصه ، وعمل من هذا النوع ذلك ما صوره فاجنر Wagner فى موسيقاه والجزء الثانى من فاوست Faust مما يجبر الفرد على ان يبحث القيمه المختبئه لهذه الاعمال ، فالادب والفن ذات تأثير واسع على تطور المجتمع وبدونهما يكون التطور ناقص او محدود .

وعلم النفس لتحليلى يعكس الاهتمام بتفسير الظاهره الملفته للنظر وهى (الاطباق الطائره) ، وما نواجهه كثيرا من كوارث مثل الاسلحه النوويه والزياده السكانيه الكبيره، لدرجة ان الارض اصبحت بمثابة سجن كبير يرغب الانسان فى الهروب منها ، وهذه النظره غير الساره نميل الى التعبير عنها من خلال خلق رغبه لاشعوريه لايجاد من يستطيع مواجهة توتراتنا الجمعية ، ونسقط هذه الطريقه غير المقبوله منا بأبعادها فى شكل دائرة او ظاهره جويه والتى ترمز الى الأمر وإلى الاستقرار والثبات الذى نبحث عنه فى حياتنا (Jung, 1958).

الكيمياء القديمه *: Alchemy

ويقصد بها يونج الرمز الذى يعنى العمل الذى كان يبغيه الكيميائيين القدامى والذى يركز اساساً على تحويل المعادن الرديئه الى ذهب ،وهو يرى ان الكتابات الكيميائيه تمثل إسقاط لاشعورى لخبرة داخلية ، وبصورة جزئية الحاجة الى تحويل المكونات المختلفه.

---

* الكيمياء القديمة (الخيمياء) وكانت تهدف إلى تحويل المعادن الخسيسه إلى ذهب واكتشاف علاج كلى للامراض ووسيلة لإطالة الحياة إلى ما لا نهاية أو تحويل الشيء المبتذل إلى آخر نفيس والقدرة على ذلك .

فى الشخصية الى كليات روحيه جديدة . وسر الكيمياء القديمه هو فى الحقيقه وظيفه متهمة، وتحويل الشخصيه عن طريق خلط وصهر المكونات النبيله مع المكونات الخسيسه والوظائف المتميزه مع الناقصه، والشعور مع اللاشعور (Jung, 1972 c).

مبدأ التزامن Synchronicity

باقتراب حياته من النهاية ، طور يونج مبدأ التزامن، الذى يعنى التطابق الزمانى او المكانى بين الاحداث التى لاترتبط بالسببية او القصدية . كما يحدث عندما تقف الساعه فى لحظه وفاة شخص دون ان يكون أحد الجانبين سبباً للآخر وتعدد الوظائف لاتخدم اغراض معروفه. حتى يونج لم يستطع بعد ذلك نسب هذا التطابق الى فروض حقيقيه. وبالمثل . فانّ شخصا ما قد يحلم باحداث مستقله تماماً ثم تتحقق بعد ذلك . مثل فرصه المقابله مع صديق لم يراه منذ سنوات ، ويستشهد يونج بنتائج التجارب فى الباراسيكولوجى التى تعد ادله حقيقيه للتزامن والعلاقات المتزامنه .

نظرية يونج فى الميزان :

الانتقادات والمعارضات :

١- التشوش الأدبى وارتباك المفاهيم : تعد كتابات يونج فى بعض الأحيان واضحة جداً إلا أن اسلوبه الأدبى يوصف بأنه ممقوت ومربك وتنقصه الدقه والترتيب ، فعلى القارئ أن يكافح فى عدد من الصفحات تتدفق فيها الأفكار وتتضمن فقرات طويله وقوائم طويله من المراجع الغامضه والمعقده ، ولم يكن يونج مهتما بالتعريفات الواضحه لمصطلحاته ، فمثلا تعريفه للغريزه على انها استجابه متعلمه أو سلوك تعود عليه الفرد وفى الوقت ذاته هى محدد فطرى للسلوك. وان الشعور شيئ يمكن تقييمه . وهذا أمر غير مناسب لأن على العالم او المنظر ان يقدم افكاراً جديده وواضحه ويعرف مصطلحاته بدقه ولم يفعل يونج ذلك مما جعل هناك بعض الرفض وسؤ فهم لأعماله ، التى وصفت أحيانا بأنها سطحية وغير ناضجة أحيانا أخرى .

٢- الافتقار الى الأسس العلميه : انتقد البناء التركيبى للاشعور الجمعى عند يونج على انه غامض ويفتقر الى الاساس العلمى ونفس الأمر بالنسبه لاعتقاده فى الباراسيكولوجى، والنموذج الميتافزيقى للبيدو، وقد فهم ذلك على انه مجرد محاولات

شبه علميه وضعها يونج للهجوم على فرويد وانتقاده وليس لبناء نظريه ناضجه ، فالوظيفه التى تقع خارج نطاق البشر من الصعب شرح كيف تطبق ، فمثلا مفهوم التزامن يبدو مفهوماً غير واضحاً، كما اظهر يونج عدم تفضيل لإستخدام الإحصاء مما جعله يبالغ فى أهمية الأحداث غير العاديه .

٣- الاستقلال الذاتى للنفس البشرية : لو كان الجنس هو القوة التى دفعت فرويد الى اعتناق فكر دوجماطى حوله ، فإن نفس الأمر حدث ليونج حول مفهومه عن الاستقلال الذاتى ، فهو يرجع افكارنا وخيالتنا الى احداث مستقله حدثت لنا اطلقتها مالدينا من عقد نفسيه وفى رأيه غير الصائب بالطبع -ان ليس من الطبيعى - بل من الضرورى ان نسمع اصوات تنبعث من داخلنا لكى نتعلم من اللاشعور الجمعى ومن ثم تحدث عملية التفرد، وهذا ما يتعارض كلية مع علم النفس الحديث لان ذلك يعنى ان هناك إختلال عقلى ما، بالإضافة لذلك ان هذه الأصوات لاشك ستؤثر على الرأى الشخصى ومن ثم تؤجل تحقيق التفرد والذاتية .

ولقد تأثر فى هذا الجانب من نظريته بسيرته الذاتيه وانه كان اسير افكاره السيئه لدرجة انها طورت لديه قلقاً ذاتيا شديداً كان يحاول الخلاص منه بقوله "لاتفكر فيه، لاتفكر فيه" ولكن استطاع ان يحرر نفسه من هذا القلق ويتغلب على المه الداخلى عندما قرر ان الله وحده هو الذى وضعه فى هذا الموقف وان الله خلق ادم وحواء بالطريقه التى خلقوا بها حتى لايفكروا فيما يودون التفكير فيه ، وقد كان حريص على التحليل النفسى لشخصه بغرض معرفة اسباب الافكار غير الساره التى تنتابه والى اى مدى يتأثر اعتباره الشخصى لذاته بانجازاته العلمية .

الدراسة الأمبريقية :

البحث فى مجال علم النفس التحليلى يعتمد على الجدل النسبى ، ويركز على الأنماط النفسيه، بعض هذه الدراسات كانت مبسطه لدرجة شوهت وضع وصوره يونج حيث تعاملت مع الاتجاهات فقط ، ولكن البعض الاخر اعطوا اهتمام مناسب لنماذج الشخصية فى نظرية يونج بما فيه من تعقيدات مثال ذلك استيفنسون Stephenson (1950) الذى حاول وضع مقياس مبتكر لهذه النماذج ، والدراسات الأخرى غالبا ماتستخدم دليل ميرز - بيرج للأنماط Myers-Briggs (1962) وهو أداه جيدة الصدق

تتضمن كل من الاتجاهات والوظائف معاً . وفى دراسة قام بها كارلسون وليفى Carlson& Levy, 1973 وجدا فروقاً بين النمط المُنطوى المفكر، والنمط المُنبسط العاطفى فى بعض مظاهر الذاكره قصيرة المدى .

كما وجد كيلمان وتيلور Kilmann & Taylor, 1974 فروقا بين المُنبسطين والمنطوين فى درجة قبولهم او رفضهم لمواقف التعلم الجمعى، كما وجد كل من شابيرو والكسندر Shabiro & Alexander, 1969 انه تحت ظروف القلق المرتفع لكل من المُنبسطين والمنطوين توجد فروق فى الميل للتعاطف مع الآخرين، ولقد اعطى ايزنك اهتماماً كبيراً لموضوع الانبساط والانطواء وله دراسات عديده فى هذا المجال خلال الفتره من ١٩٤٧ - ١٩٧١ ولكن قل الاهتمام بهذه النوعية من الدراسات بعد ذلك نظراً لما يكتنفها من صعوبات منهجية .

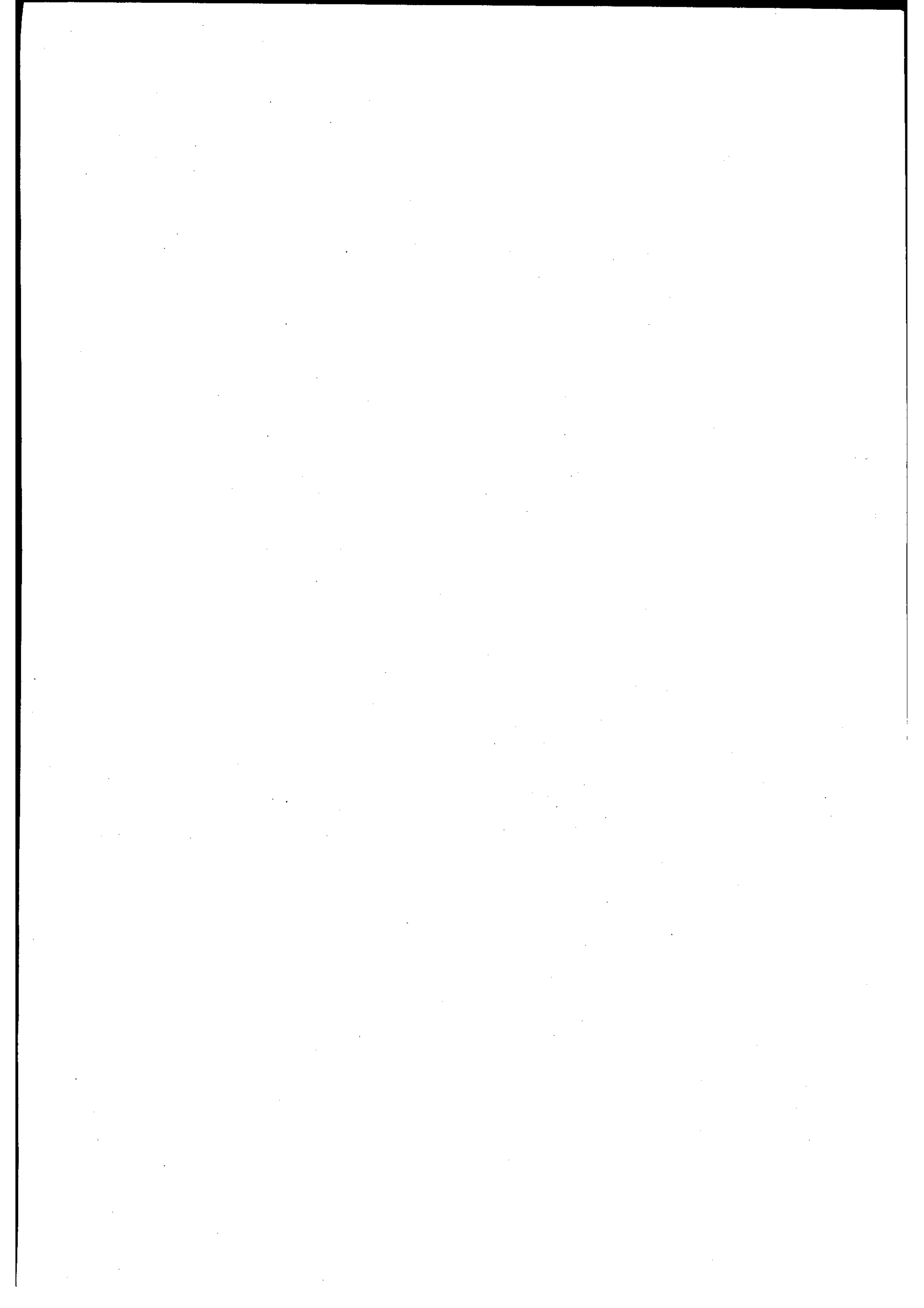
إسهامات النظرية :

على العكس من اراء فرويد المتشائمه، فان مفاهيم يونج تؤكد على الميول الايجابيه الوراثية لادراك واقعية الذات والنظره الخارجية العامه لهؤلاء المنظرين امثال هورنى، ألبورت، روجرز وماسلو، وقد اختلف يونج مع فرويد فى اخذه اتجاه نشط فى العصاب (بتوجيه اهتمام اكبر الى دراسات العصاب). وبتقديم اسهامات اكثر وضوحاً لفهم الفصام (الشيزوفرينيا)، وقد اكد على أن رموز الحلم ربما لاتكون جنسية ولاخداعيه، وقد واصل تقنينه لطريقة تفسير الأحلام، ولقد اصبح مصطلحاه الانبساط والانطواء تعبيران شائعان فى حديثنا اليومى وان كان بطريقه اسهل من تلك التى اوضحها يونج .

ولقد ادت اقتراحات يونج الظاهرة أو الخفية الى الصور الحديثه من العلاج مثل العلاج بالرسم، وهذه الطريقه فى العلاج النفسى قد لاقت قبول واسع الانتشار، وكذلك استخدامه لاربعة جلسات او اكثر اسبوعياً وعمل مقابلات للمناقشة، واجراءات اختياريه، والتدريب المطلوب للتحليل النفسى، وتأكيده على التوافق النفسى للمعالجين النفسيين، وهو ما سماه روجرز "حسن التوقع" . وقد اعتقد يونج حول اهمية الاسقاطات اللاشعورية فى قبولها بعدد من النظريات الحديثه، وفى الواقع فان اختبار "تداعى الكلمات" مازال شائع الاستخدام فى كشف الكذب .

ان مفهوم اللاشعور الجمعى يعطى احساس باحداث التاريخ فى الحياه بافتراض ان شيىء ما منا يبقى بعد الموت، ولقد كان يونج مدركا بالفعل أن الناس فى حاجة الى وجود معنى لحياتهم ، واخيراً ، فان الارشادات العمليه ليونج قد تركت اثراً طيباً لتتبع طبيعة أو حقيقة الشعور الداخلى الذى لم يستخدم بعد لانه يعد اسلوب مهين للاخرين للتعرف على الاشياء الخفيه فى حياتهم وجعلها ذائعه بين الناس، فاحضار الظل الى الضوء (القاء الضوء على الظل) او حتى قبول الاعتبارات غير الساره فى شخصيه الفرد ولتجنب الاخطار تنتج عن قناع كبير وجاف او تلك التى تكون غير مكتمله النمو . وكما عند يونج كما عند فرويد يعد هذا رزيله ، اما الفضيله فهى المعرفة الحقيقية للنفس .

ولقد وصف فرويد ذات مره يونج بأنه مجنون (Roazen, 1976) ، وهناك بلاشك علماء نفس معاصرين سوف يوافقون فرويد على هذا التشبيه، ولكن حتى الان مازال يونج يعد معالجا نفسيا ذو بصيرة ، ومفكراً ذو خيال خصب قدم لنا معلومات شامله بدرجة غير عاديه تفوق الحد عن موضوعات عديده ومختلفه، ورغم ان الكثير من الناقدين لنظرية يونج ذات اراء مقنعه الا أن كتابات يونج رغم ذلك قد قدمت ثروه علميه هامه وعظيمه .



الفصل الرابع

علم النفس الفردى

(الفرد ادلر: ١٨٧٠-١٩٣٧)

القضايا العلمية عادة ما تكون قضايا عقليه وموضوعيه، ورغم ذلك فى حالات كثيرة يحتدم الخلاف بين أصحاب التخصص لاختلاف وجهات النظر العلمية، وهو ما حدث عام ١٩١١، عندما اختلف كل من فرويد وأدلر حول نظرية التحليل النفسى وهو ما دفع فرويد الى الدفاع عن نظريته فى التحليل النفسى وخروج ادلر من دائرة فرويد، ودفع فرويد ايضاً الى منع أتباعه من حضور أى مؤتمر علمى يشترك فيه أدلر عن التحليل النفسى وتحطمت علاقة الصداقة القديمه بين الرجلين، وتوقفا عن الحديث مع بعضهما البعض، ورفض أعضاء كل معسكر مجرد الجلوس بالقرب معاً حتى فى حفلات العشاء - حتى يونج ذلك الرجل المعروف بتحمله ودراسته لعادات الاجناس والبشر اتجه لوصف مجموعة ادلر " كمجموعة منفرده" من الطلاب الصغار (Roazen 1976 b).

ولاشك ان هجوم فرويد كان متجاوز الحد، وكاد يبدو وكأنه فهم أحسن طريق لفقد الشهره، واليوم اصبح فرويد هو واضع اسس التحليل النفسى بينما افكار أدلر الهامة اصبحت مشكوك فيها فى رأى العلماء الآخرين.

نشأته وحياته .

ولد أدلر فى ٧ فبراير عام ١٨٧٠ فى رادولفشيم Rudolfsheim وهى مقاطعة فى فينا . وكان ابوه تاجر حبوب يهودى ، يميل بحبه وولعه أكثر نحو أدلر ، بينما وصفت امه بانها كانت حزينة ومنبوذه . كثيرة التضحية بنفسها فى سبيل الأخرين ، مثلما كان فرويد ويونج نشأ أدلر فى طبقة دون المتوسطة ووصل الى عالم المجد والشهرة ، ولكنه على العكس منهما ظل مرتبط عاطفيا بهذه الطبقة ومهتما بمشاكلها الاجتماعية ، وكان أدلر المولود الثانى (Ellenberger, 1970) الذى تربى فى ظل أخيه الأكبر الموهوب والناجح ومع أسرته التى تحتوى أخ حسود أصغر منه ، وثلاث أخوه أخرين .

وكان أدلر ضعيف البنية ، أصيب فى طفولته الأولى بالكساح ويتقلص فى البلعوم وفى سن الثالثة توفيت أمه ، وهى نائمة الى جانبه فى فراش واحد ، وبعد عام أصيب بالتهاب رئوى ، دهمته السيارات خلال حياته المبكره مرتين فى شوارع فينا (اسحق رمزى ١٩٥٢) .

ولقد تابع أدلر دراساته فى الطب فى جامعة فينا غير أنه كان ساخراً ولم يلتحق بأى من محاضرات الهستيريا التى كانت تلقى هناك من عالم النفس غير المعروف - فى ذلك الوقت - فرويد - وحصل ادلر على درجته فى الطب عام ١٨٩٥ بدون تقدير ، وبدأ بعدها مزاولة عمله . . وفى سنة ١٨٩٧ تزوج من رايزا إبستين Raissa Epstein وكانت إمرأة اشتراكيه ومفكره حره ، وانجبا أربعة أطفال (ثلاث إناث وولد واحد) ، أصبح أثنان منهما من علماء النفس الفردى ، وكانت اول طبعه لكتابة ظهرت عام ١٨٩٨ مؤكداً على ظروف العمل المرضيه بعمال النسيج فى القطاع الخاص وحاجة الفقراء للعلاج الاجتماعى .

كانت أول مقابله بين أدلر وفرويد عام ١٩٠٢ فى ظروف طيبه ، وكان لايزال غير معروف (Ellenberger, 1970) وظل نشط فى مجال التحليل النفسى لعدة سنوات وأصبح أول رئيس لجمعية فينا للتحليل النفسى عام ١٩١٠ ، وكما فعل يونج أصر أدلر على ان يكون حراً فى التعبير عن اراءه الخاصه ، وقد عبر عن ذلك لفرويد قائلا : هل تعتقد انك تعطينى السعادة الكبيره لوقوفى فى ظلك طوال بقية حياتى (Roazon, 1976 b) وترتب على ذلك ان تباعدت نظريه أدلر عن التحليل النفسى ، واتخذ طريقاً منفصلا ، وهنا اتهمه فرويد بالضلال وسرقة مؤلفاته وطالبه بالتعويض وقرر حرمانه من عضويته فاستقال أدلر من جمعية التحليل النفسى عام ١٩١١ وكون جمعية نفسية خاصه به سماها اولا "

جماعة التحليل النفسى الحر " وأخيراً عدل اسمها الى " جماعة علم النفس الفردى ، والتى نشطت خلال السنوات التالية لانشائها ولكنه عانى من رد فعل مؤلم عندما رُفض عام ١٩١٥ للعمل كعضو هيئة تدريس فى جامعة فينا وحكم على عمله بانه مجرد أفكار تخمينيه وتأمليه وغير ذات طابع علمى- وما ان جاءت الحرب العالميه الاولى فعمل أدلر كطبيب نفسى فى الجيش النمساوى تبع ذلك مرحلة اكثر صعوبة بعد هزيمة الالمان والمعاناه من الفقر والمرض والجوع وكلها عوامل عضدت بدون شك من وجهة أدلر الاجتماعيه (النزعه الاجتماعية لأدلر) ، ورفضه الانضمام لاية انشطه حزبيه سياسيه .

ولقد وصف أدلر بأنه رجل قصر ، قوى ذو مظهر غير لائق اقل اناقه عن كل من يونج وفرويد، كانت حياته بسيطه بطريقة غير عادية وبلاغرور ولايشبه اطلاقاً الرجل النموذجى، كان يتميز بقوه عواطفه التى ادت آلى تأثره السريع وحساسيته المفرطه، كما كان يتميز بقدرته على العمل بسرعة، ويمتلك قوة بديهة عن الاعراض الكلينيكية للمريض، مشكلات الحياه، الترتيب الميلادى، ولقد نظر الى الناس على انهم مُعلمين وخبراء فى شئون الحياه، ولسؤ الحظ فانه لم يكن يجيد عمله على اكمل وجه، حيث قادنا علم النفس التحليلى الى طريقة شكليه محدده وبدون بصيرة واكتسب أدلر شهره غير واسعه، وذلك بسبب مقابلتة لمريديه ومرضاه على مقاهى فينا المختلفه .

وكانت معظم انجازات أدلر الهامة والقيمه خلال الفتره من ١٩٢٠-١٩٣٣ حيث نشر عدد اًمن الكتب الهامه، وسلسله من ارشاد الطفل فى فينا، ولقد زار أدلر الولايات المتحده عدة مرات ابتداء من عام ١٩٢٦ وما بعدها، للمشاركة وللمحاضره فى كلية ويتنبرج Wittenberg ولعدد من المناهج فى جامعة كولومبيا ، وفى سنة ١٩٣٠ تشرف أدلر بلقب " مواطن فينا " غير ان عمدة المدينة كان مستاء من أدلر فقدمه على انه " بحق تلميذ فرويد " ، وتنبأ أدلر بأن النازيين يتربصون به ويتوعدونه فتحرك الى الولايات المتحده الامريكيه عام ١٩٣٤ حيث عمل فى كلية لونج ايلاند Long Island للطب ، واستمر يبذل جهده ليقيم دعائم علم النفس الفردى، ولاتوجد طبعه رسميه لاعماله التى يبلغ عددها حوالى ست مجلدات، وفى الاعوام الاخيره تطورت لدى أدلر الاحساس باضطرابات قلبيه، مما جعله يعيش حياة محدوده، وخلال محاضره له فى أبردين Aberdeen باسكتلندا عانى من ازمة قلبيه حاده أودت بحياته فى ٢٨مايو ١٩٣٧ .

الطبيعة الاساسيه للبشر :

اطلق أدلر على نظريته علم النفس الفردى Individual Psychology ، ولسؤ الحظ فان هذا الاسم لايعبر عن محتوى النظريه الى حدما . فكلمة الفردية تعبر عن اعتقاده بوحدة وعدم التجزؤ لكل شخصيه إنسانيه ، ولكنه دون ان يقصد اشار الى ان العامل الاجتماعى يعد اهم العوامل على الاطلاق ، وقد دافع عن ذلك بقوله " الفرد يصبح الفرد فقط فى اطار سياق اجتماعى ، ولكن انظمه اخرى فى علم النفس تجعل هناك اختلافات بين مايسمونه علم النفس الفردى وعلم النفس الاجتماعى ولكن بالنسبه لنا لاتوجد هذه الاختلافات " .

وعلم النفس الفردى يعطى اهتمام قليل نسبيا للغموض الذى يكتنف تناقضات الميتافزيقا ، والتعمق فى أغوار النفس البشريه ، ان اهداف أدلر هى تزويد كل فرد بفهم جيد لطبيعته البشرية الانسانية ، وهو يؤكد على استخدام الأسلوب البراجماتى * للتعامل مع مشكلات الفرد ، ما اكتسبه خلال طفولته ، وما حققه من تفاعل مع الاخرين ، وما يحصل عليه من خصائص فى الحياه بشكل عام (Adler, 1969) .

الاهتمامات الاجتماعيه :

حينما ينظر انصار التحليل النفسى الى الحياه على انها صراع بين الانانية الذاتية المورثه ومتطلبات المجتمع . يرى أدلر ان الناس لديهم ميول فطرية للارتباط بالاخرين ، وهو ما سماه بالاهتمام الاجتماعى Social interest أو الشعور بالترابط الاجتماعى Community Feeling وهذا يتضمن اكثر من مجرد العضويه فى مجتمع معين او جماعة بعينها ، وهذا يرجع الى احساسنا بنوع من انسانيتنا ، وهو ما يمكننا من التغلب على ضعفنا الفزيقى من خلال الحياه فى تعاون مع الآخرين وتقسيم العمل معهم .

فيقول أدلر " تخيل لو ان انسان ما عاش بمفرده دون وسائل ثقافيه فى غابة بدائيه فسوف نجده بالطبع غير متوافق بالقياس لاى كائن بشرى آخر . فالمجتمع اذن هو الضمان الوحيد لبقاء ووجود الجنس البشرى والاهتمام الاجتماعى هو الحقيقه التى يتحتم وجودها حتى يتم التغلب على الضعف الطبيعى. (Adler, 1979 b) . والاهتمام الاجتماعى

* البراجماتية : وهو ما يعرف بفلسفة الذرائع وهى فلسفة أمريكية تتخذ من النتائج العملية مقياساً لتحديد قيمة الأفكار الفلسفية وصدقها .

يفوق كل من الانا الاعلى واللاشعور الجمعى لانه يضم خطوط ارشاديه تناسب تطور الشخصيه ، والشخص المتوافق يتعلم منذ وقت مبكر تطوير امكاناته الفطرية ويساعده ذلك على التوافق فى الحاضر والمستقبل بصفة عامه ، ولكن الشخص غير المتوافق يغلب عليه ليس فقط الفشل فى التسامى والفرديه ولكن انكار الشعور بالترابط الاجتماعى والمطلب الأكبرلعلم النفس هو فهم وتجاوز اسباب عدم الكفايه فى التعاون .

وهكذا فقد الح أدلر على الميل الى الاجتماع ، فالتفكير والعقل والمنطق والاخلاق والجماليات جميعها امور لاتنشأ إلا فى المجتمع وأنها فى الوقت نفسه مسالك بين الافراد يقصد منه حفظ الحضارة من التحلل " ذلك ان كل الكفايات الانسانية لايمكن ان تنمو وتنضج إلا من خلال اهتمامنا برفاقنا من المجتمع ، وليست اللغة أو القراءه أو الكتابه سوى جسر للوصول الى غيرنا من الناس كما ان التفكير من الامور المشتركة بينهم جميعاً وليست وظيفه مستقله فى كل واحد منهم لان فهم الامر هو فهمه على الوجه الذى يخيل إلينا ان الناس جميعاً يفهمونه عليه (اسحق رمزى ١٩٥٢).

القصدية وأهداف الحياة :

احتوت نظرية أدلر فى بدايتها فكره الدافع العدوانى ، وشغل مكانه هامه فى نظريته لمدة اثنى عشر عاما سابقاً فرويد بذلك ، ولكنه تنازل اخيراً عن هذا المدخل ، وعلى عكس علم النفس التحليلى والتحليل النفسى ، فان علم النفس الفردى نظر الى فكره وراثة المكونات الشخصية كشئ خرافى (Adler, 1958) ، فنحن لسنا مجرد الات تحرضنا بواعث فطريه ولكننا نختار اهدافنا الحياتيه والوسائل التى تحققها ، حتى الاهتمام الاجتماعى ليس هو فقط الذى يتميز بوجود نزعه او ميل فطرى ، ولكن من الممكن جداً ان ننكر هذا الميل ونختار التمركز العصابى حول الذات .

" الحياة النفسية للانسان تتحدد بواسطة أهدافه . . ولايستطيع اى انسان ان يفكر ، يشعر ، يدرك ، يحلم ، بدون أن توجه هذه الانشطة المركبه والمستمره والمباشرة تجاه اهداف موضوعيه ، فالفهم الحقيقى للسلوك عند اى انسان يكون مستحيل بدون فهم واضح للاهداف الخفية التى ينبغى تحقيقها " (Adler, 1979 a) . لهذا لايمكن أن نتصور العقل الانسانى نوعا من المجموعات الاستاتيكيه ، بل يمكن ان نتصوره فقط مجموعة معقده من القوى المتحركة التى تصدر مع هذا عن علة واحده ، وتجاهد لتحقيق

هدف واحد، ولايمكن ان نتصور الحياه النفسية دون هدفا تتجه نحوه من صنوف النشاط التى توجد فى الحياة النفسية (اسحق رمزى : ١٩٥٢).

ولقد تابع أدلر كما تابع يونج العوامل المؤدية لتفضيله للقصديه، فهو ينظر الى مرحلة المهد والطفوله المبكرة كفتره لها اهميتها البالغة ، "وأهدافنا الرئيسية عادة ما تتشكل خلال السنوات القليلة الأولى من الحياة، وقد تنحرف عن مسارها خلال الرشد فقط وبصعوبه بالغة " لايستطيع احد ان يفهم نمو اى فرد دون ان يفهم مرحلة طفولته التى مر بها Adler) (1964 b , ، فالفتاه التى تستخدم المرض لجذب انتباه الوالدين فمن المحتمل بدرجه كبيره ان تستخدم هذا الاسلوب فى الرشد، وكذلك المعاناه من الصداع المستمر اذا تعلق اى موضوع بزوجها- ويرى فرويد ان هذه المكافأت التى تحصل عليها تعد نواتج ثانويه فقط ، ولكن أدلر يراها احد المفاتيح الخفيه الهامه لفهم طبيعة الانسان - فنحن لانعانى من الخبرات الصادمه فقط ولكن نستنتجها او نفسرها لكى تتناسب مع اغراضنا ، واهداف الحياة لاتحتاج الى الواقعية حتى تكون هامه. . فالناس غالبا ما يمثلون " بقدر الامكان" فى روايات تكاد تكون حقيقيه او قريبه من الواقع وسلوك الفرد سوف يتأثر بوضوح بالاعتقاد بأنه سيكافىء على احسانه بعد الحياة ، او بواسطة الخيالات العصابيه او المبالغه فى الاهتمام بالنفس- حتى هذه الافكار ربما لاتعبر تماماً عن الواقع ، ويظن أدلر ان الشخصيه خيره بطبيعته حتى الناس الذين يختارون ويتابعون اهدافهم طبقا لفهمهم الذاتى عن انفسهم، والاخرين، والعالم بصفه عامه .

غير ان أدلر على شدة دعوته للغائيه، قد حاول فى مواضع قليله ان يوفق بين الغائيه والعليه. لكنه مع هذا يلح فى تأكيد أهمية الغائية وحدها ويفسر كل ظواهر الحياة النفسية تبعا لذلك على انها إعداد لبعض المواقف المقبله حتى وكأنه من غير المحتمل ان نرى فى النفس سوى قوة تعمل نحو غاية ولهذا ينظر علم النفس الفردى الى كل ما يصدر عن النفس الإنسانيه كأنه يوجه نحو هدف معين(أسحق رمزى ١٩٥٢).

الشعور بالنقص والسعى نحو الوصول للرفعة :

يرى أدلر ان الهدف الاول الذى يندرج تحته كل انماط السلوك الانسانى هو حماية الذات ، فكل فرد يبدأ حياته ضعيفا لاحيله له، ويمتلك الدوافع الفطريه للتغلب على الشعور بالنقص والسيادة على البيئة المحيطه به . "ويرى أدلر ان المرء يصل الى معنى الحياة منذ السنوات الاربع أو الخمس الاولى من العمر لكنه لايصل الى ادراك ذلك المعنى

بالوسائل المنطقيه المضبوطه بل يتحسس طريقه فى الحياة كما يتحسس الاعشى طريقه فى جو غامض، وذلك للحصول على الغايات التى قد تضمن له الامن وتخفف من شعوره بالقصور "(إسحق رمزى ١٩٥٢).

والصراع السوى من اجل تحقيق الرفعه يوجه بواسطة الاهتمام الاجتماعى ، ويعطى اعتبار لرفاهية الاخرين ، وعلى العكس من ذلك، فالصراع الأنانى من اجل السيطره والمجد الشخصى يحطم الفرد ويصيبه بالامراض النفسية (Adler, 1958) . والشعور بالنقص يندرج تحت الصراع من اجل الرفعه ليس بوسائل غير مألوفه او غير مرغوبه ، فاذا واجه الطفل ضعفه بتفاؤل وشجاعه، والسعى من اجل الرفعه وذلك بعمل المجهود اللازم للتعويض Compensate فالمستوى المشبع او حتى الرفيع من التوافق ربما يتحقق ، والمثال المشهور لذلك هو (احد العامه عند الاغريق ديموسين Demosthene) الذى كان صعب العلاج وكان يمارس الكلام عن طريق وضع الحصى فى فمه واخيراً اصبح اعظم خطيب فى اليونان القديمه ، او الشخص الذى يتسم بعدم جاذبيته العضويه ربما يسعى للتعويض الناتج عن شعوره بالنقص ويكسب عدد من الاصدقاء والمعجبين ، ويصبح شخص طبيعى وعطوف. . فالشعو بالنقص " تصبح ظروف مرضيه فقط عندما يصاحبها أحساس بعدم الملائمة يعم الفرد ككل، ويجعله يلجأ الى كبت هذا الاحساس ويعجزه عن استمرار النضج والتطور ومثل هذا الانقسام او التحطيم (عقده النقص Inferiority Complex) يمكن ان يحدث مبكراً فى العام الثانى من العمر " كما أن هناك أيضا الامراض واسعه التأثير الضار التى تنتج عن العقده تحت ظروف مختلفه (Adler, 1969) ، ومن الممكن الشعور بالنقص دون ان يوجد هذا فعلا حيث يكون مجرد اعتقاد (مثل خصائص شخصيه أدلر) وهى حالة اساسيه لضبط الذات Self - judgment .

والطفل الذى يخضع لعقده النقص يرى فقط امكانية تجنب الصعاب بدلا من ان يواجهها ويتغلب عليها" تخيل اهداف الطفل الذى يكون غير واثق فى قدرته على حل مشاكله- ياله من عالم محزن سوف يعيش فيه هذا الطفل ، هنا سوف نجد الخجل والانطواء وعدم الثقه وكل تلك الخصائص الاخرى والسمات التى تجعله ينظر لنفسه على انه ضعيف عندما يصف نفسه (Adler, 1957) ، ولقد كرس أدلر جهداً كبيراً ليلفت النظر الى اهم العوامل النمائية التى تسبب تحول الشعور بالنقص (او السعى السوى لحماية الذات) الى عقده النقص المرضيه (التحطيم والانانيه) .

تركيب الشخصيه :

نظر لان أدلر يرى ان الشخصية وحده واحده متكامله لاتتجزاء ، فهو لذلك لم يضع اية افتراضات حول تركيبها ، وهو يتفق مع فرويد ويونج في ان الجزء الاكبر من شخصيتنا لاندركه تماماً " وان اصعب شيئ على الانسان أن يفعله هو ان يعرف نفسه او يسعى لتغيير نفسه" . ولكنه يعزو او ينسب نقص المعرفه الذاتيه الى عوامل قصديه او غرضيه اوصراعية . ونحن نخدع انفسنا لكى نصل الى تحقيق مأربنا (اهدافنا المختاره) ، واللاشعور هو ذلك الجزء الذى لانريد فهمه او معرفته .

" لايوجد هنا سؤال عن اى شيئ يتصل بالخبرات اللاشعورية المكبوته ، انه فقط استفسار عن بعض الاشياء غير المفهومه . الشعور ، واللاشعور يتحركان معاً فى نفس الاتجاه ولايتناقضان كما هو معتقد. والأكثر من ذلك انه لايوجد خط فاصل بينهما ، والسؤال الذى يطرح نفسه لنا هو اكتشاف الهدف من حركتهم المرتبطه . فكل ذاكره منساقه وراء الفكره الهادفه التى توجه الشخصيه بوجه عام. ماهو مفيد لنا نشعر به ،ماهو ضار يشوش افكارنا ويزعج مجادلتنا نلقى به فى اللاشعور (Adler, 1969) .

ويقسم أدلر الناس الى طرازين :

الاول : وهم اؤلئك الذين يعرفون قدراً اكثر من المتوسط عن حياتهم اللاشعورية .

الثانى : أولئك الذين يعرفون قدراً اقل منه ، اى انه يقسمهم تبعاً لمدى نطاق الشعور عندهم فترى غالباً ان الفرد يكون من الطراز الاخير- . ويرى أدلر ان الشعور ضرب من النشاط العقلى يسهل تفهمه الى حدما- ذلك ان الانسان يستطيع ان يتفطن الى كثير مما يجرى فى عقله غير ان هذا التفطن ليس سوى جانب صغير من ضروب النشاط ثم قال أنه ليس من الصواب ان نطلق لفظ اللاشعور على كل ما يجرى فى العقل بعيداً عن نطاق الشعور (إسحق رمزى ١٩٥٢).

فالسمات غير المقبوله اجتماعياً كالتكبر أو التعالى ، العناد ، الجبن ، الحقد وكراهية الاخرين أو العدائية لهم تكون بسبب سوء فهم لا شعورى . فالشخص الذى يطلب فترة تفكير معقوله من المضيف قبل ان يوافق على حضور حفل غالبا ما يصل متأخراً او مرتدياً لملابس غير عاديه يجنى من خلالها شعور اقوى بالعظمه رغم ان اللاشعور يقف وراء واجهه مفرطه بالتواضع ، ولقد ذكر سقراط لشاب يتحدث بطريقه جيدة يرتدى ملابس

قديمه وقذره " ايها الشاب الاثينى ان اناقتك تنبع من وراء كل ثقب فى ردائك " وبالمثل فان العدائية ربما يعبر عنها بالنسيان القسرى للاوامر المتسلطه من الزوجه او صاحب العمل او ربما بالمصادفه ترك إصيص الزهور قريبا من حافة البلكونه فتقع ، وربما تؤدى الى اصابه احد الاشخاص (Adler, 1957) . وفى رأى أدلر فان الشعور واللاشعور متداخلين ومعقدين ، والسلوك الانسانى يجب ادراكه وتفسيره على انه معقد وهادف وموحد الاتجاه نحو أهداف معينة مفهومه أو غير مفهومه من قبل الفرد الذى يختار هذه الأهداف .

نمو الشخصية :

يشارك أدلر فرويد الرأى فى أن الشخصية تتكون خلال السنوات الخمس الاولى من الحياة ، ويتفق معه أيضا فى ان هناك غرائز جنسيه فى الطفوله . ويرى أدلر ان السلوك الجنسى فى الطفوله هو شكل من اشكال المجاهدة للاستعلاء (للتغلب على الشعور بالنقص) ، وهو يرفض فكرة وجود مراحل نمو معينه مفضلا التركيز على الممارسة الموجهة لتقويه الاهتمام الاجتماعى ، وتجنب الوقوع فى كارثه عقدة النقص (Adler, 1969) .

العوامل المؤثره فى نمو الشخصية :

بلا شك فأن جهود الطفل للاهتمام الاجتماعى تزدهر بواسطه الام ، فهى التى تعطى الدروس الاولى فى التعاون عندما ترضع وتضم طفلها الى ثديها وهذا هو اول معبر للحياه الاجتماعية " فنحن مدينين الى الاحساس الامومى (الاحاسيس التى نستمدها من الام) بالاتصال بالجزء الاكبر من الشعور الاجتماعى الانسانى ، وعليه يدور الجزء المستمر من الحضاره الانسانية " (Adler, 1958) ، وبعد ذلك لابد ان تساعد الطفل فى تقويه علاقته بأبيه والاخرين ؛ فاذا كانت الام غير اجتماعية او متقبلة لذلك فان الطفل سوف يتعلم كيف يقاوم الاهتمام الاجتماعى بدلا من المجاهده لتطويرها .

أن دور الاب هو اعطاء الطفل الشعور بالشجاعة والاعتماد على الذات وان يؤكد على الحاجه الى التعاون المُرضى والموفق ، ويرى أدلر ان كثيراً من الاباء غير مُعدين (مستعدين للتغلب على المخاطر والتحديات التى تواجه اطفالهم) . "وأن اول درس للتعاون بين الناس يخبره الطفل يعود الى خبرته بعلاقه والديه معاً . فاذا كان تعاونهم

ضعيف ، فلا امل لان يتعلم كيف يكون متعاون ، ولسؤ الحظ ، فالقليل منهم هو الذى يميل لان يتعلم من اخطاؤه ويتجنبها على ان هؤلاء الذين فى امس الحاجة الى النصيحة هم هؤلاء الذين لم يأتوا الاخطاء من قبل " (Adler, 1958) .

أ- التدليل :

ربما يكون التدليل من اخطر الاخطاء التى يقع فيها الوالدين ، بإغراق الطفل بالاهتمام المفرط ، الحمايه ، المساعده ، هذا التدليل Pampering او الافساد Spolin) يسلب الاطفال استقلالهم واعتمادهم على الذات ، ويشطر (يحطم) ثقتهم بنفسهم ، ويخلق فيهم الاعتقاد الهمجى بان العالم يدين لشخص واحد فقط ، بالاضافه الى الاعتقاد الخاطئ بأنهم يعانون نقص فى القدرات اكثر من كونه نقص فى التدريب ، والاطفال المدللين تنمو لديهم عقده النقص ، وهذه الحاله المرضيه تظل كامنه الى ان تحين الفرصه المناسبه فتظهر واضحه وتسبب فشلا محقاً ، لانهم لم يتعلموا الاعتماد على النفس بل تعلموا ان يأخذوا ولايعطوا ، والاطفال المدللين تعلموا حل مشاكلهم من خلال مطالب غير واقعيه من الاخرين ، ولذلك فهم عرضه للاصابه بسلس البول (التبول اللاارادى) ، الكوابيس والاحلام المفزعه ، القلق ، ثورات الغضب كوسائل لاشعوريه للحصول على العطف والرعاية اذا شعر بفقدها ، ولفت انتباه الاخرين له . وهم اذا طلبوا شيئ كانوا متوقعين ان كل فرد لابد وان يتعامل مع رغباتهم على انها اوامر لابد وان تطاع ، ولايعطون الجهد المطلوب لاى عمل مهما كانت اهميته ، يتمردون على سلطه الولدين خلال مواقف أعتراضية بالعبوس والسلبيه ، او قد يلجأ الى الانطواء او حتى الانتحار اذا لم يستطع الحصول على مايريد ، وعندما يصلون الى سن الرشد فهم يميلون الى اسلوب الانانيه بدلا من روح التعاون فى العمل والزواج هذا السلوك الثقيل والمرهق من الطبيعى ان يثير نقد حاد ، واعتراض او رفض الاخرين ، وهو ما يقوى عقدة النقص ويجعله يسعى لجلب المزيد من التدليل فلا يوجد خطر أكبر من تدليل الأطفال فى مجتمعنا المعاصر .

والتدليل أيضا ربما يكون سبباً لعقدة اوديبيه ، حيث يرى أدلر ان عقدة اوديب ليست عامه ولاجنسيه وهى فى رأيه أيضا ليست حقيقه اساسيه ولكنها شعور غير طبيعى ينتج عن شعور امومى مفرط (شعور مستمد من الام بصوره واضحه) . فضحايا عقدة اوديب هم أطفال دللوا من امهاتهم وكان اباءهم مختلفين او قاسيين (Adler, 1958) فالولد المدلل يرغب فى اقصاء والده والاستئثار بامه ، والدافع وراء هذا ليس جنسيا ولكنه للحفاظ على

تدليل والدته المفرطه فى تدليله ، ويتهم أدلر التحليل النفسى بخطأ قصر دراسته على الأطفال المدللين فقط الذين يتبعون مبدأ المتعه ، ويشعرون بالغضب اذا لم تلبى رغباتهم التى تتسم بالانانيه ، ثم عمموا نتائجهم بوضوح على كل البشر " ان السعى فى سبيل تحقيق الاشباع هو فقط مجرد واحد من ملايين انواع السعى نحو الرفعه ، ولا يمكن ان نستطيع ان نأخذه على انه الدافع المركزى والاساسى فى كل تعبيرات الشخصية " (Adler, 1958) .

ب - الإهمال : Neglect

وهو اقصى طرف عكسى للتدليل ، حيث الفشل فى توفير الرعايه والاهتمام بالصوره الكافيه ، ويخلق الاثر الخاطئ من الأحساس بأن العالم كله بارد - جاف - وغير متعاطف . " والطفل الذى يعانى الاهمال لايعرف ابداً كيف يكون الحب والتعاون وهو يضع تفسيرات للحياه لاتتضمن هذه القوى الاخوية (الحب ، التعاون) ، ولسوف يبالغ فى تقديره لصعوبات الحياة ، ويحقر من شأن قدرته على مواجهة هذه المصاعب ، ويرى انه لايستطيع ان يحظى بالحب والتقدير اذا ادى اعمالاً نافعه للاخرين " (Adler, 1958) ، إن مثل هؤلاء ينظرون للحياه كما لو كانت عدواً لهم ، ويعبرون عن عقدة النقص لديهم والتى يعانون منها عن طريق الشك ، العزله ، العناد ، الحقد ، وكما قال شكسبير فى مأساة ريتشارد الثالث " طالما اننى لا استطيع ان اثبت اننى محب . . . فأنا مصمم على ان اثبت اننى شرير " ."Since I Cannot Prove alover.. I' m determined to prove a villain"

جـ -عوامل والديه اخرى :

فالوالدين الذين لايستطيعون ان يظهروا قدراً عادياً من الحنان او الذين يصفون رقه المشاعر بأنها سخافه او ضعف ، فهم يضعفون وبدرجة كبيره قدرة الطفل على ادراك الحب وإظهاره ، والاتجاه العام لهذا الطفل نحو الحياة يتمثل فى الهرب وتفادى كل مظاهر الحب ورقه المشاعر " ، وقد يلجأ بعض الوالدين الى استخدام اسلوب العقاب لتعليم الطفل قيم ومعايير معينه والعقاب أيضا وخاصه العقاب البدنى ضار بالطفل ومن شأنه ان يخلق لديه الشعور بالنقص ، واى عمليه تعليميه لاتقوم فى اطار من الصداقة هى عمليه خاطئة . ان الثواب والعقاب يجب ان يكونا للنجاح او الفشل فى التدريب او التعلم وليس لشخصية الطفل .

كما ان السخرية من الطفل هى شيئ اقرب ما يكون الى الجريمة ، وينتج عنه خوف دائم من ان يكون محل سخرية الاخرين - بينما النقد الزائد عن الحد من جانب اشخاص اخرين تجعل نظرة الطفل غير طيبه نحو التعاون والعلاقات الاجتماعيه ، ومن العوامل الاخرى المرضيه المتضمنه مثل ارهاب او تخويف الطفل، والتنافس الزائد عن الحد وغير الشريف بين الاخوه والاقارب، او الوالد الذى يقوم بدور المبدع والمبتكر فى اساليب تربيته لطفله والعالم بكل شيئ والذى يعتدى على خصوصيات الطفل، والاثاره الجنسيه الزائده عن طريق التقبيل والحنان المسرف كلها امور غير مطلوبه. (Adler, 1958).

د - النقص العضوى :

بالاضافه الى اخطاء الوالدين فى التربيه فان العجز البدنى البارز أو المرض الخطير قد يثير شعوراً نفسيا قوياً بالعجز والنقص العضوى ليس بالضروره ان ينتج عنه المرض النفسى " فالاعضاء غير المكتملة تؤدى الى العديد من الاعاقات ، ولكن نواحى النقص هذه ليست مصير أبدى لايمكن التغلب عليه، فالعقل اذا تدرب جيداً على التغلب على الصعوبات فان الفرد قد يستطيع تحقيق النجاح بصوره لاتقل عما لدى هؤلاء الذين لايعانون من مثل نواحى النقص هذه (Adler, 1958) . ويعرف ذلك باسم التعويض .

ومن الامثله على ذلك ديموثين الذى سبق الحديث عنه انفاً او ذلك الطفل الذى ولد ولديه عيب فى احد عينيه أو كليهما قد يناضل بجد لكى يرى (او يسمع او يلمس) باقصى قدر ممكن ويصبح حاد الملاحظه بصوره غير عاديه، ومن الأمثلة على ذلك طه حسين، وابو العلاء المعرى ، وهيلين كيلر أستاذة الجامعة الصماء البكماء العمياء ، ولكن لما كانت نواحى النقص العضوى تمثل بالفعل صعوبات كبيره، ولما كان الوالدين المعنيين من المحتمل ان يجعلوا الامور اكثر سوءا وذلك بتدليل الابن المعوق فالنتيجه الاكثر احتمالا هى عقدة نقص مدمره. "لايمكن لأحد ان يقرر كتعميم او كقاعده اساسيه ان الأطفال الذين يأتون الى هذا العالم ، وهم يعانون من نقص عضوى يتورطون فى سن مبكره فى معركة مريره من اجل البقاء او الوجود ينتج عنها غالبا خنق كل مشاعرهم الاجتماعية . وبدلا من امتاع انفسهم بالتوافق مع زملائهم فانهم يكونون مشغولون بصفه دائمه بأنفسهم وبالتأثير الذى يحدثونه على الاخرين" . (Adler, 1973) .

على سبيل المثال : احد الاولاد ظل يحتفظ بصوته الطفولى ومعاناته من صلع بالرأس لفترة طالت بشكل غير عادى ، وتصرف تجاه نواحى النقص العضوى هذه

بصوره غير ملائمة، لدرجة انه وهو بالغ حاول دائما ان يثبت انه مهم بشكل غير عادى ، وكما يمكن آن يتوقع، ان فقد هذا الاهتمام الاجتماعى ادى فى النهاية الى فشل زواجه (Adler, 1957) .

ويربط أدلر بين مشاعر النقص والنزوع للرجوله أو الاحتجاج الذكرى Masculin protest ، ولقد جمع بطريقه ما تفسيره بين القصور والضعف والانوثه، كما جمع بين القوة والرجوله ، فالقصور مرادف فى نظره للانوثه، بينما القوة ترادف الرجوله، ومن المفروض ان كلا من الذكر والانثى يوجد لديه هذا النزوع للرجولة أو هذا الاحتجاج الذكرى ضد الضعف، وهو أيضا ما تفسر به محاولات الاناث التشبه بالرجال فى الزى والتدخين والمطالبه بالمساواه بالرجل فى الحقوق السياسيه ، كما نفسر به أيضا ما يقوم به بعض الغلمان من محاولة التشبه بالرجال، فمشاعر النقص اذن ليست علامه على الشذوذ وانما هى سبب كل ما يحققه الانسان من تحسن اما ما قد يحدث من شذوذ فهو بفعل ظروف خاصه يمر بها الطفل كالتدليل الزائد او القسوه الزائده (سيد غنيم ١٩٧٨).

هـ - الترتيب الميلادى : Birth order

يعلق أدلر اهمية كبيره على الترتيب الميلادى للطفل فى الاسره ويؤكد على أن الوضع داخل الاسره غير متكافىء بالنسبه لكل الأطفال . فاكبر الأطفال سنا (الطفل الاول) يتمتع بفتره مؤقته على اعتبار انه مركز الاهتمام الذى لاينازع، وهذا المركز الممتع من المحتمل ان يتضمن تدليلا كبيراً وهذه الفتره تصل الى نهايتها بصورة مفاجئه وعنيفه بوصول الاخ الاصغر، وما لم يُعد الوالدين ابنهم الاكبر اعداداً جيداً للتعاون مع القادم الجديد، ويستمران فى توفير العنايه والاهتمام والرعايه الكافيه له حتى بعد ان يولد الطفل الثانى . وذلك لان خلع الطفل الاول من على عرشه بتلك الصورة المؤلمه يولد فيه عقدة النقص ولهذا السبب فان الأطفال الذين يولدون أولا هم اكثر الأطفال عرضه فى المستقبل واكثرهم احتمالاً لان يصبحوا مصابين بالعصاب، ومجرمين ، ومدمنى خمور ومسكرات ومنحرفين (Adler, 1958)، كما يميلون أيضا للتعبير عن مشاعر النقص فى فترة الطفوله بكثرة وتكرار احلام الفشل، ويبدون اهتماماً عظيما بماضيهم وخاصه فترة مجدهم عندما كانوا يتحكمون بمفردهم فى مملكة الاسرة، ويقاومون التجديد ويتحملون المسئولية ويتبعون خطى الوالدين. " ان اكبر الأطفال غالبا ما يتتابهم الشعور بان الاقوياء يجب ان يظلوا اقوياء وان فقدهم لقوتهم هو مجرد حادث طارئ ، وهم يشعرون بالاعجاب الشديد لهذه القوة" .

ويتعرض الطفل الاوسط لضغوط من الجانبين فهو يتصرف كما لو كان فى سباق وكما لو كان هناك شخص ما يسبقه بخطوه او خطوتين وعليه ان يسعى كى يلحق به ويسبقه، اما الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الثانى فيميلون لأن يكونوا منافسين او حتى ثوريين، ويفضلون ان تنتقل السلطه من شخص لاخر، ويحلمون بالسباق، وهم الذين ينشئون بصورة طيبه مع ذلك، نظراً لأنهم لايشغلون ابداً الوضع المرضى للطفل الوحيد المدلل.

اما الطفل الاصغر فيواجه بوجود عدد من المنافسين الأكبر منه سناً، ويميل لان يكون طموحا بشكل بالغ، وهؤلاء الأطفال غالبا ما يتبعون طريقاً فريداً من دون الاخرين فى الاسره، كأن يكون التاجر الوحيد او الموسيقى الوحيد فى اسره من العلماء، وبالرغم من انهم لايتعرضون للخلع من المنزله الرفيعه (كما يحدث للطفل الاول) بواسطة شقيق اصغر منهم فان مركزه باعتباره طفل الاسره كلها مما يجعله هدفاً للتدليل من الجميع وعلى ذلك " فان الطفل الاصغر هو الطفل صاحب النسبه الثانيه الأكبر وسط الأطفال اصحاب المشاكل" (Adler, 1969) وعلى سبيل المثال فهم قد يتحولون عن التحدى والمنافسه ويلجئون الى اساليب الهروب، وتلمس الاعذار، والكسل.

والمراكز الاخرى فى الترتيب الميلادى للاسرة لديها أيضا مشاكل هائله ضخمه فالطفل الوحيد غالبا ما يكون مدللا ولديه توقع غير حقيقى لكونه مركز اهتمام الاخرين باستمرار، ويحاول ان يقول اويخترع ما يلفت النظر لاهميته بين الاخرين، وأيضا فهم غالبا ما يتسمون بالخوف والجبن ودائمى الاعتماد على الاخرين، بينماالاباء الذين يرفضون ان يكون لديهم اكثر من طفل يكونوا دائما عصابيين وقلقين ولايستطيعون مساعدة طفلهم على التخلص من خوفه. (Adler, 1958)، وغالبا ما يظهر الطفل الوحيد عادى تماماً طالما يتفاعل داخل اسرته وبيئته العائلية، بينما يظهر عليه الامراض ويفتقد الاهتمام الاجتماعى لاول مره عند دخوله المدرسه ومشاركه الاخرين اهتماماتهم. الولد الوحيد وسط مجموعه من البنات، او البنت الوحيده وسط مجموعه من الاولاد يكونا أيضا فى وضع لايحسدون عليه، مثل هؤلاء الأطفال يكونوا ثوريين او متمردين على جو الاسره الذى تسيطر عليهم، وذلك بالاسراف فى اظهار خصائص جنسهم، او ان يكونوا مستسلمين وخاضعين ومحبين جداً للجنس الاخر، اما الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الثالث سواء كانوا ذكوراً او اناثاً غالبا ما يواجهون مواقف غير مرغوب فيها كان

يتمنى اباؤهم ان يكون لهم طفل اخر من الجنس الأخر (كان يتمنى أبويهم أن يكون مولودهم الجديد من الجنس المخالف لما هو عليه). والولد الاول الذى يأتى بعده اناث من المحتمل ان يعانى من الارتباك والخجل لان اخته الصغرى قد تخطته او سبقته فى النضج، حيث ان النمو الفسيولوجى للبنات عامه اسرع من نمو الاولاد .

ويوضح أدلر ان اثر الترتيب الميلادى هو مجرد استعداد او ميل فقط وليس حقيقه مؤكده " فعلم النفس الفردى ضد القواعد الثابته"، فسحر الطفل الاول لدى الوالدين ربما يهزم الطفل الاصغر منه ولايعانى خلعه من العرش، والطفل الأكبر اذا كان ضعيف العقل - ضيق الافق. ربما يفقده صواب القيادة (قيادته) للطفل الثانى، او ربما يدلل الوالدين الطفل الاوسط اكثر مما يفعلون مع الطفل الأكبر او الاخير، والطفل الذى يولد بعد الطفل الأكبر او بعد اخوته بسنوات عديده سوف يعامل معامله اقرب الى الطفل الوحيد. . وينصحنا علم النفس الفردى بأن افضل فاصل زمنى بين مواليد الأخوة حوالى ثلاث سنوات تقريبا حتى يكون الطفل قد نضج بدرجة كافيه، ويتقبل استعداد الوالدين للمولود الجديد فى الاسرة (Adler, 1969) .

الخصائص الطبولوجية (أسلوب الحياة) :

يستجيب الطفل لشعوره بالنقص، وترتيبه الميلادى ، والاساليب الوالديه فى التربيه بتطوير اسلوبه فى الحياة ، فسلوك الابداع الذاتى، والتنظيم المعرفى يتكون تماماً عند اربعة او خمس سنوات مكونا الاهداف التى يختارها الطفل فى حياته والاساليب التى يستخدمها لتحقيق هذه الاهداف كاستخدامه لعمليات الادراك، والتذكر، والانشطه العقليه الاخرى والتى تشكلها هذه الاغراض على سبيل المثال، فالطفل المدلل يختار الهدف الذى يجذب الانتباه باستمرار ، محاولا تنفيذ هذا الهدف من خلال الغضب والتكشير ويرى الأخرين على انهم مجرد وسائل لتحقيق رغباته، اما الطفل المهمل سوف يختار الهدف الذى يمكنه من ان يكون محل احترام الأخرين . فيصبح عدوانى ومسيطر، وينظر للاخرين على انهم اعداء لدودين له، اما الطفل الذى منح الاهتمام والرعايه الكافيه والمناسبه فيبنى اسلوباً للحياه يتضمن النفع للاخرين، والرضا الوظيفى، تحقيق زواج ناجح، والاخلاص والتعاطف مع الناس، وكما فى علم النفس الفردى دائما فالمحددات الاساسية للشخصيه هى الموضوعات الأوليه " فليست خبرات الطفل هى التى تحدد افعاله ولكن الاستنتاجات التى يرسمها من خبرته هى التى تُقر افعاله " (Adler, 1958)،

فالطفل المدلل اذا شعر بالاهمال التام فالنتيجة المتوقعه ان يكون الاهمال اسلوب حياته (والعكس صحيح).

يقر أدلر بأن كل اسلوب للحياه ، وكذلك كل شخصيه تعتبر وحده مستقلة . " نحن لانعتبر الانسان او البشر على شكل انماط لان لكل انسان اسلوب منفرد فى الحياة، فكما اننا لايمكن ان نجد ورقتين متماثلتين متطابقتين تماما فى شجرة واحدة، فاننا لايمكن ان نجد اثنين من البشر متشابهين تماماً (Adler, 1969)، ورغم ذلك لايمكن تجنب وصف الانسان فى شكل أنماط للشخصية، وذلك لان تعبيراتنا تفتقر الى الدقة الكافية لكى تصنف كل الفوارق الدقيقة التى تميز انسان عن الاخر، فهناك الأطفال ذات النمط البصرى الذين يميلون الى الرسم والجغرافيا ، وأطفال اخرين ذات النمط السمعى، وهؤلاء يتأثرون غالبا بما يسمعون، ويبقى اخرون الذين تسيطر عليهم الرغبه فى الحركة والنشاط (Adler, 1969) وعلم النفس الفردى يخصص اعتبارات معينه للسمات العامه للشخصيه، وهذه السمات تعطى معلومات جوهريه عن اسلوب حياة الشخص.

طبيعة السمات :

تتميز السمات بأنها " تمكننا من فهم اتجاه الفرد نحو بيئته، ونحو الأشخاص المحيطين به، ونحو المجتمع الذى يعيش فيه ونحو متطلبات الحياة بصفة عامة (Adler, 1957). بعض الخصائص غير المرغوب فيها تأخذ شكل عدوانى، مثل الاشخاص المتكبرين المختالين الذين يحاولون ان يظهروا اهتمام اكثر من اى شخص اخر.

وحيث ان هذا التكبر يتعارض بشده مع الاهتمام الاجتماعى، فانه غالبا ما يأخذ شكل الطموح الزائد او التواضع المُزيف او الاهتمام المسرف بالتوافق والتفاصيل " ومن الخصائص الأخرى للشخصية : العدوانيه، الغيره، والجشع، والحقد، ويعبر الفرد عن غيرته وحسده للأخرين بأن يلومهم عن اخطاؤه وعيوبه هو، وينقد الأخرين بشده، ويدمر خططهم ، أو بالخوف المستمر لان يصبح مهملاً منهم، والفرد الجشع يرفض الاهتمامات الاجتماعيه، "ويبنى سياجاً حول نفسه (بقدر الامكان) لكى يكون مطمئن على ثروته الضخمه" . بينما الحقد الشديد يدمر العلاقات الشخصية مع الأخرين ، وربما يؤدى الى اتباع أسلوب إجرامى فى الحياة. . وهذه الصور المضلله للنضال من أجل الرفعة أو السمو، اقل من ان تكون " حيل رخيصه" يمكن عن طريقها أن يتخيل اى فرد ما يتمنى ان يحققه، والابعد من ذلك ان التقييم الشخصى يزيد خسارة الأخرين لسؤ الحظ .

وهناك بعض الخصائص غير المرغوبه غير العدوانية ، فالناس الخجولين يبحثون عن السمو والامان عن طريق الابتعاد عن المجتمع والابتعاد عن الدخول فى علاقات صداقه، بعض الافراد يحاولون كسب الولاء وجذب الانتباه عن طريق اظهار القلق وعدم المساعده، بينما اخرين يتصف اسلوب حياتهم بالكسل والتشاؤم. ومثال ذلك الطلاب الذين يهملون الاستعداد لامتحان قادم ، والذين يبالغون فى صعوبته يكسبون من ذلك فائدتين :

الاولى : انهم اذا رسبوا يكون لديهم عذر جاهز مسبقاً حتى يتجنبوا الشعور بالالم وخيبه الامل

الثانية : اذا نجحوا فيمكنهم ان يهنئوا نفسهم ، وقدر محدد من السمو غير الموجه يمكن ان يؤدى الى الاحساس بسؤ الحظ المتكرر بدلا من الاحساس بالوحده "كونك غير محظوظ هو احد الطرق لكونك هام (Adler, 1957) .

اسلوب الحياة الصحيح يتجنب كل هذه التجاوزات السابقة ، ويتمثل السمات والانفعالات الشخصية المقبوله كالاهتمام الاجتماعى، احترام قيم المجتمع، المرح، التفاؤل، التعاطف، والتواضع الحقيقى. " يمكن ان يشعر الانسان بأن الناس المرحين هم افضل البشر ، فالمرح وسيله فعاله فى تقريب المسافه بين انسان واخر، فالمرح يحطم العزلة . . . التعاطف او الود هو انقى تعبير عن المشاعر الاجتماعية الناضجه (Adler, 1957) .

ورغم ان السلوك قد يتغير – ويتغير فعلاً – فى المواقف المختلفه، فان اسلوب الحياة يبقى ثابت تقريبا، فالشخص المتكبر قد يتصرف بتكبر مع من اسهم فى عمله أومع زوجته لكى يظهر انه ذات مستوى رفيع فعلاً(ليظهر سموه) وقد يعبر عن إحساسه بأهميتة بصوره اكثر اسرافا واكثر رقه وخبث مثل دوام الوصول متأخرا عن المواعيد أو أن السمات غير المرغوبه ربما تختفى فى وجود الظروف المُرضيه والمحببه للشخص، وتصبح واضحه فقط فى مواجهة الاحباط، والفشل والضغوط، والخطر، او خيبة الامل، والامثله على ذلك بوضوح : مثل الفرد المتعاون الذى يصاب بالذعر ويصبح متمركز حول ذاته تماماً فى الطوارئ المفاجئه، ويطأ الأخرين فى محاوله يائسه للهروب من منزل يحترق او سفينه تغرق . . والطفل الوحيد المدلل من المحتمل ان يسلك بصوره طيبه داخل المنزل، ولكنه يثير سلسله من المشاكل عند دخوله المدرسه لوجود اخرين معه يجذبون انتباه معلميه وهو اشبه فى ذلك بخصائص الشخصية الشكسبيرية

نورثمبرلاند Northumberland والتى تعمل باخلاص طوال الوقت الذى يشعر فيه بالامان ولكنه يخون ملكه عندما يحتدم الخطر" (Adler, 1969) .

الحركات الطبيعية : Physical Movements :

يظهر اسلوب الحياة أيضا فى الحركات الطبيعيه للشخص، مثال ذلك، الاتكال المستمر على شيئ ما ربما يؤدى الى الاعتماد (كالادمان) والحاجة الى الحمايه، والمكابره والكسل، الارتعاش، وجود مسافة كبيره بينه وبين الناس، تجنب لمس العين وطريقته فى الوقوف والمشى والجلوس ربما اظهرت ميولاً جوهريه ، بل والوضع الذى يتخذه اثناء النوم، فعندما نرى شخصاً ينام على ظهره متمدداً كجندى فى الانتباه كان ذلك دليلا على انه يريد ان يبدو عظيماً بقدر ما يستطيع، والذى يرقد منحنياً كالقنفذ والملاءه ملتفه على رأسه ليس من المحتمل ان يكون مناضلا او متصفاً بالشجاعة والشخص الذى ينام على بطنه يكشف عن العناد والسلبيه (كمال دسوقى ١٩٨٥) ، او حتى النوم فى وضع يشبه وضع الجنين (نوم القرفصاء) ربما يشير الى وجود نزعات الجبن ، وقد يكون التبول اللاارادى وسيله للفت الانتباه، وكما رأينا - فهذه الاوضاع دائما لها معناها ولهجتها والتفكير فى مثل هذه المفاتيح قد يختبر الادله الاخرى حول الفرد قبل رسم ايه استنتاجات ثابته (Adler, 1969) .

الذكريات المبكرة :

ان افضل طريقة للتعرف على الأسلوب الحقيقى لحياة شخص ما هو الرجوع الى ذكرياته الاولى Early Recollections فى مرحلتى المهد والطفوله المبكرة ،حتى الذاكره الضعيفه قد تمدنا بمعلومات حيويه، وأى تشويه فى ذكريات الفرد تكون مصممه بتعمد (أو لاشعورياً) لخدمة أغراض الحياة المختاره، هذه الذكريات لايمكن ان تتعارض مع أسلوب حياة الفرد (Adler, 1958).

والذكريات الأولى جديرة بالملاحظة الى حد كبير لأنها تمثل نقطه البداية الفعاله فى حياة الفرد ، فهى توحى بوجهة النظر الاساسية للفرد فى الحياة - على سبيل المثال اذا كانت اول ذكرى لرجل ماهى انه كان دائما يوجد فى احضان امه ثم وضعته على الارض بسرعه لتلتقط أخيه الأصغر وتحمله، فان أسلوب حياته فى مرحلة رشده تدور حول خوفه المستمر من ان الأخرين سوف يفضلون غيره عليه، ومع وجود غيرة شديدة على خطيبته، ورجل اخر كان أسلوب حياته يتصف بالخوف ووهن العزيمه او تثبيط الهمه ذكر انه كان

يسقط من حمالة الأطفال baby carriage ، وامرأة ظلت بلازواج حتى الخامسة والثلاثين من العمر تذكرت انها كانت تنقاد فى خوف لمقابلة ابن عمها فى خماره (حانه)، امرأه اخرى كانت لاتستجيب لتوصيات وتوجيهات ونصائح الأخرين والخوف من ان تكون منقاده بواسطتهم كأسلوب فى حياتها ذكرت ان والديها منعوها من الذهاب للمدرسة حتى كبرت اختها الأصغر لكى تصحبها معها الى المدرسه . (Adler, 1969) وفى كل حالة فان أسلوب حياة الفرد الحاليه يظهر من خلال الذكريات المؤثره، وينسب أدلر المشاكل المؤلمه الى اكثر مما ترجع لاحداث الطفوله نفسها، هو يؤكد ثانياً على ان هذه الادله يجب التحقق من صدقها مثل التعبيرات الاخرى فى الشخصية .

تطبيقات نظرية علم النفس الفردى:

تفسير الأحلام : يرى أدلر ان الأحلام تعبير اخر عن أسلوب الشخص فى الحياة، فالشعور واللاشعور متضامنين ومتحدين فى خدمة اهداف حياة الفرد وليسا متضادين او متنافرين (كما ذكر فرويد) . وبالمثل لاتوجد حاجة الى مفاتيح لفهم اللاشعور ، فى الحقيقة فالمعلومات التى تحصل عليها من الأحلام يمكن ارجاعها فى مصادرها الاساسيه الى الذكريات الاولى، وسمات الشخص، والحركات الطبيعيه، والخيالات . ويرفض أدلر فكرة ان الأحلام تحتوى على عناصر جنسية أو تمثل إشباع رغبات، كما ينكر ان الأحلام هى الحارس او الوصى على النوم حتى لايوقظ الحالم، وكذلك لم يوافق فرويد ويونج على ان تفسير الأحلام يمكن اختصاره فى كتاب صغير يوضح الاجراءات التقليديه والرموز، فكل حلم على الاقل وحده مستقله لان لكل فرد أسلوب حياة مختلف عن الأخرين. وحيث ان المعرفه الاولى المتوفره فى يد الحالم اساسيه وجوهريه للوصول الى التفسير الحقيقى للحلم ، فرموز الحلم لفرد ما ليست هى نفسها تماما رموز حلم لفرد اخر" . واذا لم توحى الأحلام ببعض الذكريات الهامه، يجب تعليل جودها بطريقه اخرى، وطبقاً لذلك فان أدلر يوافق القول بان كل حلم يخدم اغراض المراوغه وخداع الذات، فهذا الفرد الذى يحتفظ بأسلوب مضلل لحياته خلال ساعات اليقظة مبتعدا عن سمات غير مرغوبه الى تدعيم مستمر لاشعوريا لهذا الموضوع وذلك من خلال أحلام مناسبه- هذه الأحلام تخلق حاله انفعاليه تبقى على حالة الاستيقاظ .

" كل انواع البشر يحلمون ، ولايفهم احد منهم حلمه إلا بشق الأنفس ، والشرح يؤكد فى الحقيقه بأن القليل من الناس يعرفون انفسهم حتى فى ساعات اليقظه، القليل من

الاشخاص لديهم القدره على تحليل ذاتهم بطريقه تمكنهم لأن يروا كل ما يفكرون فيه . . كل حلم هو ثمالة ذاتية ، او تنويم ذاتى وكل اغراضه تنشيط الحاله المزاجية التى نعدها لمواجهة المواقف ولنعبد الطريق نحو الأهداف الخاصه للفرد نحو التسامى او الرفعه (Adler, 1969) .

فهذا الطالب الذى يكون على وشك (مقربه) من امتحان هام والذى يتميز اسلوبه فى الحياة بالجبن والتشاؤم ربما يحلم انه مطارد من اعداؤه (او انه يواجه مشكلة او فقد ملابسه ، او انه يجلس على حافة كوبرى (قنطره) يمر على بحر عميق ، هذا الحلم يجعل الطالب يستيقظ ولديه شعور بعدم الشجاعه والخوف - والانفعالات التى تدعم هدفه السرى (الخفى) بتأجيل او تجنب دخول الامتحان ، وربما يؤدى ذلك بالطالب الى غياب غير مسموح به وذلك بحجة ان الفشل والرسوب لامفر منه فى كل طريق ، وذلك بدون ان نتعرف على خصائص الشخصيه غير السويه التى تندرج تحت هذا التصرف . أو أن الشخص الذى يرغب فى الهروب من مطلب غير سار (محزن) بدون تعرض للوم ربما يحلم بالفشل فى اللحاق بقطار أو بأنه معرقل أو مكبل بالاغلال . هذا الخط الفكرى أدى بأدلر الى النتيجة المشكوك فيها وهى ان بعض الناس لايحلمون ، ويضم فى هذا النوع الأفراد العصابيين الذين وصلوا الى نقطه من الاتزان النفسى ولأيرغبون فى التغيير ، والناس الاسوياء الذين يتميز أسلوب حياتهم بالواقعيه وقلة الحاجة الى خداع الذات وواقعية التدعيم الانفعالى " فالناس الشجعان جدا قليلا ما يحلمون ، لانهم يتعاملون بكفاءة مع مواقفهم فى نفس الوقت .

١- تتوقف أحلامهم بقدر الامكان ،

٢- يتحققون مما تعنيه تلك الأحلام (Adler, 1969). .

غير ان الابحاث الحديثه وضعت حلا لهذا الصراع واوضحت أن كل فرد يحلم والناس يختلفون فقط فى المده التى ينسون فيها أحلامهم . . علاوة على ذلك . . يبدوا ان أدلر غير متأكد او متمكن من تمسكه واقتناعه برأيه ان كل الأحلام لاتكون صيغه موحده ، مثال ذلك أحلام السقوط التى تشير الى ان صاحب الحلم يتميز بالغرور أو كونه يشعر أنه احسن من الأخرين ، ولكن السقوط فى خطر قريب يفقده هذا الشعور المبالغ فيه من الأفضليه والاحترام والتقدير ، وأحلام الطيران (الأحلام التى يطير فيها الفرد) والتى تعكس رغبة جامحة لتحقيق مركز مرموق وسمو وهذه غالبا ما تقترن بأحلام تنذر

بالسقوط، اما أحلامك عن كونك ارتديت ملابس غير لائقه ، فإنها تعبر عن الخوف من ضبطك فى موقف خاطئ او معيب ومشين (Adler, 1964b).

ويقدم أدلر أشارة مناسبه ووثيقه الصله بالموضوع عن الطبيعه الغرضيه للحلم، فهو يرى ان الأحلام تعد الفرد للمستقبل، فليس من المدهش اطلاقا انه يجب ان ترتبط بالواقع الذى نعيشه . . على سبيل المثال فالشاعر الاغريقى القديم سيموندز Simonides حلم ان شبح لرجل ميت حذره من عمل رحله خطيره فى البحر، ويقى الشاعر فى منزله، وتأكد ان السفينه (الباخره) تعرضت لعاصفه وغرقت وفُقد كل المسافرين ، يناقش أدلر ذلك بقوله انه من المحتمل ان يكون سيموندز كان يرفض القيام بالرحله على الاطلاق منذ ان عرف ان السفر بالبحر يكون خطر فى تلك الايام ، وان الحلم خلق لديه حاله انفعاليه جعلت من السهل عليه ان ينصاع لرغباته الحقيقيه ولكن لاشعوريا، والكارثه الفعليه سوف تكون ضاره بصوره غير عادية لو تناسبت الظروف والاحوال واوضحت فقط ان توقع سيموندوز للموقف كان فرضاً مضبوطاً (Adler, 1969) .

الأمراض النفسية

يعد معيار أدلر للصحة العقلية شبيه بمعيار فرويد، فيلاحظ أن أدلر يضيف كل الصفات الهامه فى الاهتمام الاجتماعى، والشخص حسن التوافق (الشخص المتوافق جيداً) يحقق تعهداته للأجيال الحاضرة والمستقبله وذلك بالمواجهه الناجحة للتحديات الثلاث فى الحياة : العمل، والحب، والزواج ، والاسرة ، والعلاقات الشخصيه الداخليه interpersonal (Adler, 1969) . وعليه اية حال فالكمال التام يكون من الصعب تحقيقه. وحتى الناس الأسوياء فى علاقاتهم لديهم القليل من صفات الشخصيه الأنانيه وغير المرغوب فيها. لذلك فإن أدلر يتفق مع كل من يونج وفرويد فى أن المرض النفسى يمثل اختلاف فى الدرجة اكثر من كونه اختلاف فى النوع .

" اللاسويه النفسيه، والعقد والأخطاء التى توجد فى المرضى النفسيين لاتختلف بصوره جوهريه فى تركيبها عن أنشطه الافراد العاديين. نفس العناصر ونفس المقدمات، ونفس الحركات تكون فى الاعتبار والاختلاف الوحيد (يتمثل) فى ان المريض الذهانى يظهر المزيد من الاعراض التى تمثل الأدله والبراهين ومن السهل التعرف عليها، ولذلك يمكن ان نتعلم من الحالات الشاذه" (Adler, 1957) .

إن الجزء الاكبر من الاختلاف بين نظريه ادلر والتحليل النفسى وعلم النفس التحليلى تتضح فى محاولة وصفه لأسباب السلوك الشاذ. ففرويد ويونج ينسبون المرض النفسى الى الصراع بين مكونات الشخصية ولكن أدلر نظراً لانه يركز على وحده الشخصيه فانه يستبعد هذا الاحتمال. ولايستطيع أدلر ان يتقبل فكره فرويد عن التثبيت المرضى والنكوص، حيث انه يتفق ويونج من ان كل سلوك مصمما أولاً لخدمه بعض الاهداف المستقبليه "فالعصاب هو عمل خلاق وليس عوده الى صور طفليه اولخصائص الاسلاف" (Adler, 1964b)، وبدلا من ذلك : فسر أدلر الامراض النفسيه على انها نتيجة لسؤ الارشاد فى اسلوب الحياه حيث يشبه الفرد المريض بالرجل الذى يحاول ان يلبس الحصان طقمه من نهاية ذيله، فهذه ليست خطيئه ولكنها فقط طريقة خاطئة (Adler, 1958) .

أصل وخصائص العصاب :

ينشأ العصاب خلال السنوات القليلة الاولى من الحياة، متأثراً فى هذا بعوامل مثل الحماية، الإهمال، الترتيب الميلادى، والنقص العضوى، والطفل يختار اسلوبه فى الحياة بما يجعله يعانى من سلسلتين قد يسببا المشاكل هما : الصعوبات الواضحه فى تحقيق الاهتمام الاجتماعى، والاحساس المسرف بعدم الكفايه والتوافق، مما يجعل الامور سيئه، هذا التصور الخاطئ للذات والصراعات المحتومه للمجتمع مع الحقيقه القاسيه. . على سبيل المثال : بدلا من تلقى الاهتمام المستمر، فالطفل المدلل تجده يترقب ويتوقع من الاخرين ان يكونوا متعاونين ومساعدين له فى التصرفات التى لم يسبق لهم الاستعداد لها. هذا الاكتشاف غير المتوقع او المقبول، يعمل كأنه صدمه كهربائيه ويكشف مرض الطفل الذى يظهر فى نوعين من الظروف المتشابهة فى كل الامراض العصابيه هما : عقدة النقص، ونقص الاهتمام الاجتماعى (Adler, 1979 c) .

وعندما يشعر العصابى بأنه غير قادر على مسايرة صعوبات وصراعات الحياة اليوميه، يلجأ الى حيل وأساليب متعددة الأشكال ليكتسب الرفعة والسمو، وذلك بإبعاد السمات غير المرغوبه الى اللاشعور، متجنباً المسئوليات، ومحاولا فقط عمل الاسهل من المطالب، مؤثراً دائما المتطلبات والافعال غير الواقعيه او مترقبا للاخرين، ويلقى اللوم نتيجة اخطاؤه وتقصيره على الاخرين. يريد كل شيئ أو لاشيئ على الاطلاق، ويصبح استبدادى، يبحث عن الانتقام، ويتجنب الاخرين، يحقر من شأن واهمية الحياة ويسرف فى نمو الخوف من الموت - خبيث- متظاهر - قلق - غير شجاع -

يشعر دائما بالذنب، سريع التأثر بالاخرين (قابل للايحاء) ، او قد يلجأ الى ايه حيله اخرى تحول صورة النقص الواضحه لديه الى ميزه، مثل هؤلاء الناس " غالبا ما يصابون بالعصاب وهم باستمرار سريعى الدهشه والتعجب، يفضلون الوحده دون ان يترددوا ولو للحظه (Adler, 1958) . حتى المعاناة التى يسببها مرضهم تكون مفضله لديهم عن الفشل فى المحاوله، لكن الفشل فى تحقيق السمو اكثر وضوحاً هنا - والتعرف على الجذور الحقيقيه لعقدة النقص ولذلك فهم ينظمون مبرراتهم العصابيه عن اسلوب حياتهم الغامضه والتى تتسم بالمراوغه، لذلك نجدهم يقولون " لو لم اكن كسول لكنت الرئيس " ، " لو لم توجد حالة الرعب لكنت قد اديت بصورة اعظم " ، "نعم انا محتاج الى وظيفه او العمل بجدية فى المدرسه، أو لمزيد من الاصدقاء ولكن لااستطيع لاننى مضطرب جداً" - فالمفهوم الضمنى المثير او الواضح نعم yes فى هذه الامثله يعكس بقايا الاهتمام الاجتماعى الذى مازال موجوداً. بينما كلمة ولكن "but" الاكثر قوة ترفض هذا الخط الفكرى فى مواجهة التنازلات ، والتمسك بالاسلوب غير السوى للحياه" فالعصاب أسهل طريقه للهروب " .

عقدتى النقص والتعالى Inferiority and superiority Complexes

احد الصور المألوفه للعصاب والتى تعكس اختفاء عقدة النقص المؤلمه خلف عقدة التعالى، والتى تتضمن اعتقاد خادع لكون الفرد افضل واحسن من الاخرين . فالشخص الذى يخاف ان يكون محتقراً من الأخرين قد يمشى مختالاً حتى يجعل من نفسه عظيما وعقدة التعالى ربما تكون اكثر وضوحاً فى إظهارها للضعف، وهى فقط حيلة اخرى، تُنشأ اهدافاً من غير الممكن تحقيقها لانها اهداف فاشله والتأكيد على عقدة النقص تقود الى الاعتماد على الاحساس المرضى بالتعالى " إنه إذا عانى شخص الشعور بأنه فى شرك فانه يكافح ويناضل اكثر ، الأمر الذى قد يصبح معه فى وضع اسوأ (Adler, 1958) .

الاحتجاج الذكرى :

ينسب أدلر المرض النفسى الى عدم التكافؤ فى التركيب الاجتماعى - وخاصة تلك التى تتعلق بالجنسين كتمييز الرجل عن المرأه. وهو بذلك على العكس من فرويد الذى كان يرى ان المنزل هو المكان الذى يجب ان تلزمه المرأه ، غير ان أدلر يؤكد ان من حقها ان تتابع عملها، وينتقد بشده هؤلاء الرجال الذين يرون ان المساعده فى أعمال المنزل تتعارض وعزتهم أو كرامتهم، ويلاحظ كذلك ان مرحلة الطفوله ربما تكون أسمى أشكال

الاهتمام الاجتماعى، وهو يربط بين العديد من صور الزواج غير السعيد، والعلاقات الإنسانية المحطمة، والمآسى الشخصية بخرافة ضعف الجنس الانثوى.

" كل قواعدنا واتجاهاتنا التقليديه، وقوانيننا، واخلاقياتنا، وعادتنا، تعطى برهان للحقيقه التى تقول انهم خططوا وتمسكوا بأحقية الذكور فى تأكيد سلطتهم، ولا أحد يمكن أن يحمل صفه الدونية أو النقص بدون ان يغضب او حتى يشمئز - ذلك ان المرأه لابد ان تكون خاضعه هو خرافه" . وعندما تشعر الفتاه ان الرجال مفضلون عليها من المجتمع، هنا قد ترفض دورها الانثوى وينمو لديها احدى صور عقدة النقص وهى الاحتجاج الذكرى Masculine Protest ، فهى ربما ترتدى مثل الولد، وقد تصر على (تصمم على) ان تُنادى باسم ولد، وتتبع الاشكال الرجوليه فى العمل واللعب، وتنصرف عن العلاقات الجنسيه الغيريه وترفض الزواج ، والاعتراض الذكرى ربما يحدث ايضا مع الأولاد الذين ينشأون فى اسره تتميز بخضوع الاب وسيطرة الام، ويتمرد ضد ظاهرة سمو المرأة ، وذلك بالتظاهر بالإسراف فى السلوك الانثوى ، وربما يظهر الولد احتجاجه الذكرى لانه يشك فى مقدرته على اتمام دوره المفضل، وهذا الصراع يحدث نتيجة التنميط غير الواقعى للذكور فى قوالب اجتماعيه (Adler, 1969) . ولقد انتقد أدلر بشده كل مظاهر التحيز الاجتماعى، وحذر ان هذه لاتقود فقط الى عقد النقص والامراض النفسيه، بل قد تؤدى الى مثل تلك المحاولات الفاشله فى التعويض كالحرب والثورات .

انواع من الامراض النفسية :

رغم أن أدلر قد استنتج بعض الاختلافات (الفروق) بين الانواع المختلفه من الامراض النفسيه، الا انه نظر اليها بنفس الصوره تقريبا . وذلك على أنها " أخطاء خطيرة فى الحياة" . صُممت لانجاز صوره سهله ومشوهه من التعالى . على سبيل المثال :

١- الاكتئاب كمحاولة للسيطرة على الأخرين من خلال النقص والشكوى .

٢- الانتحار قد يكون وسيله ثأريه للفرد المدلل الذى يتوقع ان تكون حياته طويله، وبعد ذلك ييأس بسهولة .

٣- السلوك القسرى والأفكار القهرية يمكن ان تعبر عن المعاداه او الكراهيه او الخصومة كما يحدث عندما تنجح امرأة غير سعيده فى اثارة زوجها بأن تقضى ايام كامله فى تنظيف منزلها.

٤- الفوبيا (المخاوف المرضيه) ربما تعبر عن رغبة فى الأمان. كالمرأه التى تخاف الخروج الى الشارع بمفردها تحتاج الى زوجها لان يكون بجانبها حتى يشعرها بالإمان.

٥- البارانويا: السلوك البارانووى يحفظ صورة كاذبه مبالغ فيها، وذلك بلوم فعل شخص اخر او اخطاء محتمله والانتصار على اناس اخرين . او ايه معوقات اخرى .

٦- الهلاوس والادمان تُمكن الفرد من الشعور بانه صوره فريده وليخلق الاعذار عن فشله فى محاولته فى تحقيق التعالى (السمو) بطريقه ذات اهميه اجتماعيه اكبر.

٧- الجنسية المثليه : يمثل احتجاج ذكرى من شخص خائف وليس نتيجة لعدم الاعداد المطلوب للجنسيه الغيريه فى مرحلة الطفوله، أكثر من كونها ظروف فطريه بيولوجية.

٨- كما وأينا فالاعراض السيكوسوماتيه كالصداع ربما يسهم فى خدمة اسلوب الحياة المرضيه .

وتعد نظرية أدلر النظرية الوحيده فى النظريات المبكره فى الشخصيه التى اعطت أهمية لمشكله الجريمه ، وينظر أدلر الى المجرم على انه جبان يختبئ وراء سلاحه وان ما يحققه من جرائم ضد الأخرين يرجع الى عقدة نقصه. ولايوجد مجرم بالفطره ولكن الافراد الذين نما لديهم عقدة التعالى لديهم فقد فى الاهتمام الاجتماعى الذى لايوجد لديهم او يوجد لديهم القليل من التوجيه حول (عن) استمرار سلوكهم هذا " فالجريمة احد اشكال الهروب السهل من مشاكل الحياة، وخصوصا المشكلات الاقتصاديه والمعيشيه، والجريمه قد تُبنى على تقليد بطولى" (Adler, 1969) .

ويعترض أدلر بشده على استخدام العقاب البدنى للمجرمين ، مؤكدا ان هذا يزيد شعور المجرم بالغيظ وحب الانتقام وعلى عكس فرويد الذى لم يفضل النظر الى المجرم على انه مريض، بينما أدلر اعتبرهم مرضى قابلين للعلاج النفسى، ولقد حقق بالفعل معهم قدراً من النجاح .

الذهان :

حاول أدلر ان يضع مريض الذهان فى نفس الاطار انذى يوجد عند مريض العصاب، لقد وصف مريض الذهان بانه خائف جدا (يسرف فى خوفه) ويتجنب الاهتمام

الاجتماعى، وينقصه حتى على الاقل ان يقول " نعم " كما فى العصاب، ويميل فقط لان يتخلص من كلمه "لكن" . . هذا الوصف يحوى بعضا من الصدق ولكن تفسير الذهان على انه يرجع الى تعبير عن الاحساس بعدم الشجاعه والشعور بالنقص يظهر بصوره خطيره، ويصعب تبسيطه (sullivan, 1974) .

العلاج النفسى :

الاساس النظرى : يهدف التحليل النفسى من خلال عمليه العلاج النفسى الى الوصول الى "انا قويه" ، بينما يهدف يونج الى توجيه المتناقضات المختلفه فى النفس. . اما هدف أدلر فى العلاج النفسى فيدور حول تحقيق اهتمام اجتماعى باسلوب الحياة - بهذه الطريقه- فان عقدة النقص المؤلمه تندرج تحت انانيه المريض، ونحاول معه ان نظهر لديه الاستعلاء الى حيز الوجود ونخلصه من الشعور بالنقص " ان اهم شيئ هو تقليل شعور المريض بالنقص، وطريقة علم النفس الفردى، والتى لم نتردد فى اتباعها، تبدأ وتنتهى بمشكله النقص" (Adler, 1969) ، وبتبصير المريض حول اهداف حياته التى يسيىء فهمها ، وعوامل الطفوله التى تؤثر على اختياره لهذه الاهداف ، فالمريض يُقدم على تحقيق اكتشافات هامه وفعاله للعوامل التى تنتج عنها مشاكله (مشاكلها) كصعوبات فى التدريب ونقص الاهتمامات الاجتماعيه التى يمكن التغلب عليها ببعض المجهود اكثر من كونه نقص اكتشاف القدرة ، والتسهيلات العلاجية بهذا الاختزال تفيد كنموذج للسلوك الصحى، او بامداده باهداف جاهزه لمحاولات المريض للاهتمام الاجتماعى " فالعلاج هو نفسه تمرين على التعاون، واختبار فى القدرة على التعاون . إن مطالب علماء الطب وعلماء النفس هى إعطاء المريض خبرة الاتصال بالأخرين، وتمكينه من نقل شعوره بالضعف الاجتماعى الى الأخرين (Adler, 1958) .

اجراءات العلاج :

البدايه : يرى اصحاب السيكولوجيه الفرديه أن العلاج النفسى محال إذا لم يسع المريض بنفسه الى الطبيب النفسى إذ لاخير فى علاج مريض أرغمه أهله إرغاماً على استشارة الطبيب دون رغبته فى العلاج . ذلك لان المريض اذا قبل ان يتردد على الطبيب تبعاً لالحاح اهله اخذ يحاول ان يثبت لهم عبث الجهود التى تبذل لعلاجه وجدب المحاولات التى ترجى منها اصلاحه، ومع هذا فقد يقبل المريض على العلاج، اذا وُفق الطبيب ان يكشف له عن حقيقه حاله كشفاً رائعاً مقنعاً يغير موقف المريض ازاءه ويدفعه الى التردد عليه بمحض رغبته (إسحق رمزى ١٩٥٢).

لان اسلوب العلاج السوى لايمكن ان يتحقق من خلال الاجبار، والعقاب او النقد، او التوبيخ او التسلط او محاولة اظهار العلم بكل شيء من جانب المعالج. مثل هذه الاساليب من شأنها ان تعزز الاحساس المسرف لدى المريض بالشعور بالنقص . وبدلا من ذلك فان محاولات علم النفس الفردى تحاول تنبيه الاهتمامات الاجتماعيه الكامنه لديه من خلال التشجيع والمساواه. . حيث يجلس المعالج والمريض وجها لوجه وعلى مقعدين من نفس الحجم والشكل والنوع. بينما يتخذ المعالج اجراءات مناسبه وغير شكلية وان يكون مساير ومتكيف مع المريض فى الحالة المزاجية ، وفى حالة ذهنيه يقظه، وان يكون مداعب للمريض ومبتسم فى وجهه. بينما يكون المريض حراً فى ان ينهض من مقعده وان يتحرك داخل الحجره. وفيما عدا المراحل الاولى فان المريض يخضع للعلاج مره او مرتين كل اسبوع، والعلاج طبقا لمنهج أدلر يستمر لاكثر من عام، وفى اغلب الحالات يتضح التحسن إبتداءً من الشهر الثالث للعلاج (Adler, 1964 a) .

كشف أسلوب الحياة :

وكما كان فرويد ويونج كان أدلر غير مقتنع اطلاقاً بالتنويم المغناطيسى وكانت طريقته لكشف اسلوب الحياة يشتمل على تحليل الاحلام لدى المرضى، والذكريات الاولى ، والحركات الجسميه ويقدر الامكان ما يصدر عن المريض من مفاتيح الاسئلة واسلوب فعلى . هو غالبا ما يسأل المريض : اذا لم يكن لديك هذا المرض، ماذا كنت ستفعل؟ . والاجابه عاده ما تختصر فى نقاط عن مطالب الحياة التى يخشاها المريض مثل الزواج او الطلاق، تكوين مزيد من الصداقات ، ان يكون عدوانى بصوره اكبر، ان يجد عمل وغير ذلك الابعد من ذلك اذا اشتملت الاجابه على مصادر جسميه فمن المحتمل الاتكون المشكله ذات طبيعه نفسية فحسب .

وهكذا كان يرى أدلر ان اهم خطوة فى العلاج هو الكشف عن النظام العصابى للمريض أو نمط حياته لأن المرض ينشأ فى اساسه من ان المريض كون لنفسه منذ الطفوله غاية يود تحقيقها تناقض الحقيقه وتعارض اوضاع الجماعه ومطالب الحياة الانسانية ويقول ان خير ما يعين على ذلك الكشف ان يتقمص الطبيب شخصية المريض وان ينظر اليها نظراً فنياً مباشراً ، وينصح أدلر اتباعه بتجنب الوقوع تحت سطوه المريض والا يعد الواحد منهم بنجاح العلاج حتى فى أكثر الحالات أمناً واملاً (إسحق رمزى، ١٩٥٢).

فيقول له " انا لست الامل الاخير لديك ربما يكون الامل الاخير شخص اخر، وربما يكون هناك اشخاص اخرين يستطيعون مساعدتك ايضا" وربما ينصح هؤلاء المكتئبين والمنطويين "افعل فقط ما تراه مناسب لك" واذا رد المريض بان لاشيئ يناسبه، يرد عليه أدلر قائلا " اذن لاتفعل على الاقل ما هو غير مناسب" هذا الاسلوب يخدم (يفيد) فى تخفيض عداوة المريض ويأسه ويشعره بأنه من الممكن ان ينتصر. وهناك اسلوب اخر لدى أدلر. بان ينصح المريض " يمكن ان تشفى تماماً فى خلال اسبوعين اذا اتبعت هذه التعليمات. ولكنها صعبه، ولاادرى ماذا كنت تستطيع اتباعها ام لا". وفى هذه اللحظه ينظر متشككاً للمريض الذى يجب ان يكون منتبها ومركزاً تفكيره مع المعالج. وهنا يضيف له "حاول ان تفكر كيف تسعد كل يوم شخص ما". فاذا اوضح المريض ان هذا المطلب يبدو مستحيل. او ان الأخرين لم يكونوا يوما ما غير سعدا (او ان الأخرين سعداء باستمرار) وهنا يرد أدلر بطريقته القويه فى الاقناع بقوله " فى هذه الحاله ستحتاج الى اربعة اسابيع، ربما تكون احسن اذا دربت نفسك على القليل من ذلك، ولاتفعل اى شيئ لاسعاد شخص اخر، ولكن مجرد التفكير فى كيف يمكنك ان تفعل هذا، واذا ثبت ان هذا أيضا شيئ صعب يقترح أدلر على المريض اننى ساكون سعيد اذا اعطيت ولو انتباه جزئى لاحلامك او خبراتك وذكرياتك المبكره. واخبرتنى بها فى الجلسه القادمه. (Adler 1958).

التبصر بأسلوب الحياة والتغلب على مشاعر النقص.

ان اول مطلب فى علاج أدلر هو الفهم لمشكلات المريض واسلوب حياته وهذا ما يمكن ان يأخذ من يوم حتى اسبوعين- فالذكريات المبكره، وتفسير الاحلام " والسؤال" يلعب دوراً فعالاً خلال هذه الفتره. وفى المرحله الثانيه من العلاج. يساعد المعالج المريض برفق وبالتدريج لان يجعله مدركاً لاسلوب حياته، واهدافه الخفيه، وعقدة النقص لديه، وتتغير شخصية المريض كلما زاد يقينه من صحة ما تقول به السيكولوجيه الفرديه. ذلك لان التحول الداخلى هو العامل الاهم فى شفاء المريض اما أعراض المريض فقد تتحسن كثيراً او تختفى تماماً قبل ذلك وقد تبقى بعض اثار المرض التافهه، لكن بقاءها يثبت ان المريض لم يبرأ من علته برءاً تاماً فاذا وقفنا بالعلاج عند هذا الحد لم يكن علاجا تاما صحيحاً وان رأى الناس فيه توفيقا لان المريض عندذاك يكون قد تخلى عن كفاحه الخاطئ فى سبيل السيطرة على عجزه عن ادراك اوضاع الحياة ادراكا موضوعيا صحيحاً (إسحق رمزى ١٩٥٢).

ولكى يكتمل شفاء المريض لابد ان يصل الى المرحله الثالثه والاخيره التى تحدث عندما يقرر المريض ان يبذل المزيد من الجهد للوصول الى اسلوب حياه جديد يتسم بالتعاون ويؤمن من اعماقه بغايات الحياة وهى كسب الرزق وتكوين عائله والاتصال بالناس وحاول جاهداً ان يحققها وان يعمل على اداء ما تتطلبه من الحياة من عمل وزواج ومصادقه، غير انهم يقولون ان ذلك الهدف لايمكن الوصول اليه فى عالم الواقع، كذلك يقتصر العلاج على استبدال الاخطاء الصغيره بالإخطاء الكبيره وعلى الدنو من منهج الحياة المثالى الى اقرب حد مستطاع (استحق رمزى ١٩٥٢).

ولقد طور أدلر اسلوب علاجى مناسب للاطفال ، يتضمن تدريبهم فى مكانهم الطبيعى بالمنزل ورؤية الوالدين على الاقل خلال جزء من جلساتهم، ويعد أدلر من اوائل من وضعوا اسس العلاج النفسى الاسرى والجمعى، حيث اكد على ان تدخل الوالدين فى العلاج والتدريب لاطفالهم يعطى نتائج اسرع واكثر صدق وثقه حتى يتم شفاء المريض (Adler, 1964 b)

المقاومة والتحول :

يرفض أدلر رأى فريد فى المقاومه والتحول . فالمريض يقوم بمحاولة ليقاوم ويحبط مُعالجه . ولكن هذا يعكس فقط عدم قدرته على التعاون ونقص الشجاعه لديه على التغير. والاحتجاج ضد سؤ الارشاد من جانب المعالج وتهديد سعيه للاستعلاء . وينظر أدلر الى التحول على انه نتيجة لاخطاء المعالج مثل اثارة الرغبات الطفولية لدى الفرد المدلل نحو مزيد من الحب والتسامح وهو غالبا ما يرى ان التحول لايحدث فى اسلوبه العلاجى اذا تم بصوره صحيحه . وهو يرى أن الجدال الذى يظهر بين الطبيب والمريض مع وجهات نظر غير واضحه من الجانبين يجعل المريض يميل لتعميم سلوكه من احد صور السلطه (كالاب مثلا) الى اخر (مثل المعالج او المدرس). (Adler, 1958). وهكذا فالمريض فى اسلوب أدلر العلاجى يتعلم ان يحل الاخطاء الكبيره فى حياته باخرى اقل منها ضرراً . وهذا يشمل تحوله عن المطارده الخياليه . والاوهام ، والاستعلاء الانانى، والبحث بشجاعه وتعاون لتحقيق مطالبه، وهذا مايساعد على إدماجه بألم الدافع والحقيقه .

العمل :

لقد عبر أدلر عن اهتمامه بالمظاهر النفسية والاجتماعيه للعمل والتى اصبحت من الدوافع القويه لتحسين ظروف العمل وسن القوانين لحمايه حقوق العاملين وإنشاء اتحادات لهم . . وهو ينصح ان يتم الاختيار للمهنه بحيث يكون مكون لاسلوب حياة الفرد وذكرياته المبكره . على سبيل المثال ان الذكريات الاولى لمريض العصاب تتضمن رؤيته من خلال نافذه للاخرين بينما كانو يعملون . هذا الرجل قد يجد اشباعاته اذا عمل بالفن فالوظيفه هذه تمكنه من استمرار الدور المرغوب كمشاهد فى طريق الاهتمام الاجتماعى وبالمثل فالذكريات المبكره للعديد من الاطباء هى موت احد افراد الاسره .

فالمرض يتضح عندما يحاول الشخص الهروب من زواج غير ناجح او ان يصبح بلاعمل (يصبح فرد عاطل). او عندما لايستطيع الفرد المدلل ان يتقبل وضع يكون تابع او خاضع فيه (وضع ثانوى). ان عدم القدره على اختيار مهنة مناسبه فى مرحله الطفوله والمراهقه لهو اوضح دليل على تضخم او زيادة عقدة النقص . فكل اطفال "المدارس يجب ان يطالبوا بكتابه موضوعات تعبير عن " ماذا اريد ان اكون فى اخر حياتى " وهذا من شأنه ان يعلمهم ان يثيروا هذه القضيه (Adler, 1969) .

التربية :

لقد كرس أدلر جل اهتمامه على اثر التربيه فى تطور الشخصية- فالمدرسة تصقل استعداد الطفل للحياه الاجتماعية ، وربما يكون من الضرورى تقديمها من اجل تصحيح اخطاء الوالدين وقد يحدث ذلك " فالمدرسة هى الساعد الطويل للاسره " واملنا ان يتدرب المعلمون التدريب الجيد وهنا لاتصبح هناك ضروره للعاملين بعلم النفس (Adler, 1958) . فالمعلم الصادق الفاهم لطبيعة عمله يكون لديه القدره على فهم طبيعة اسلوب الحياة المشكله لدى الطفل فى وقت قصير للغاية - ويتخذ الاجراءات التصحيحيه . ولسوء الحظ . فان رجال التربيه ليس لديهم الاعداد الموثوق فيه لمساعده الطفل على ان تنمو شخصيته فى خط مستقيم وسوى والفصول المدرسيه غالبا ما تكون مكتظة بأعداد كبيره من التلاميذ ايضا . مما يجعل من الصعب حتى على المعلم الماهر لان يفعل اكثر مما يتطلبه المنهج المقرر .

ويرى أدلر ان المعلم بمثابه موجه وعامل مساعد فى حل مشاكل الطفل واعداده للتعاون والمشاركة ، وبتلقينه لتلاميذه للمثاليات الاجتماعية يمكنه ان يسهم فى استمرار الحضاره " فالهدف الحقيقى للمدرسه هو بناء الشخصية والهدف الاساسى من التربيه هو التوافق الاجتماعى (Adler, 1969) فدور العوامل الوراثيه فى تشكيل الشخصية يجب ان ينخفض الى الحدالادنى بواسطة المدرس. واخيراً فالطفل الذى يتجنب المسئوليه (والمربى الذى يقدم تعليم فقير) يرجعون فشلهم وكل ما يصادفهم من معوقات على العوامل الوراثيه. فقد يكون من راحة البال للمعلم اذا قال للطفل، انت لست مذنب لعدم فهمك للرياضيات .ولكن هذا لايؤثر بشيء سوى تثبيط الهمه لدى الطفل ، ويجب ان توضع طموحات ومنافسات الفرد فى الاعتبار. كما يجب تجنب تثبيط الهمه فى نمو الاهتمام الاجتماعى ، والتعليم المشترك (التربيه المشتركة) هى عمليه مرغوبه فيها لما تسهم به من دور فى تعلم التعاون المتبادل بين الجنسين. ويجب ايضا تجنب عمل فصول خاصه للطفل بطيء التعلم لان هذا من شأنه ان يخلق الاحساس لديهم بعدم الشجاعه وعقد النقص، " وحيث يوجد اطفال نابغين فى الفصل فأن تقدم وارتقاء المستوى لكل الفصول يمكن ان يزداد سرعته ويتضاعف وهذا يعد ظلماً للاعضاء الأخرين من بطيء التعلم ان يحرموا من مثل هذه المثيرات Adler, 1958 ومن الخطأ الكبير ان نعلم الاطفال عن الطبيعة الشريرة للنفس البشرية بسرعة كبيره، لان هذا من شأنه ان يزيد حده نمو اسلوب متشائم عن الحياة لديهم ، وكذلك ينظر أدلر الى ان التشجيع والحب ارفع مقاما من العقاب والتهديد. واخيراً فالمعلم يجب ان يكون حسن التوافق وان يكون ذو خبره بالحياة التى يخدم فيها كنموذج فعال للاهتمام الاجتماعى، وأن يعاملون التلاميذ باحترام وتقدير وهو ما يمكن ان يسهم فى تقدم ورقى الجنس البشرى (Adler, 1969) .

الأدب :

لم يتحدث علم النفس الفردى كثيراً عن الادب والفنون ، فهناك قصص تعبر عن الاحساس بالتفاؤل والامل فى حياه مستقبليه سعيده واحيانا تعطى دروس مناسبه عن مخاطر الغرور والانانيه . فشكسبير يصور فى مسرحيته هاملت " البحث عن الاستعلاء عن طريق القتل" وفى الكتاب المقدس توضيحات مختلفه عن اهمية الترتيب الميلادى، كما حدث عندما انجب (يعقوب) Jacob " المولود الثانى" او يوسف (الابن الاصغر) تطور لدى إخوته إحساس قوى بالمسابقة والمنافسة (Adler, 1969) .

نظرية أدلر فى الميزان :

١- انتقادات وتناقضات :

أ- اسراف التبسيط : التبسيط صفه معيبه لاى نظريه ، وصف أدلر للحياه يتناقض مع فلسفة يونج للحياه العقليه (الميتافزيقا). حيث يبدو ان علم النفس الفردى هو وصف مبالغ فيه لعقدة السلوك البشرى . .

ويكرر أدلر مراراً ان اضطراب اسلوب الحياة يمكن ان يسببه مجرد حدث او حدثين فى مرحلة الطفوله مثل ولادة أخ او اخت او نقص عضوى فى احد اجزاء الجسم . وذلك بدلا من معالجة السلوك كشئ صعب التحديد Overdetermined فنموذجه يقدونا أيضا الى عدة تساؤلات وخصوصا مفهومه عن القلق فهو على الاحسن من وجهة نظره حقيقيه جزئيه" ، وفى الاسوء امر بسيط جذاب ، فالقلق العصابى يتضمن تماماً المعاناه الحسيه والالم النفسى والجسدى الشخصى وهذا فى اصعب صورة يشبه الاضطراب الانفعالى وكلاهما يخدم (يفيد) كمجرد محاوله لجذب انتباه الأخرين - وكان لدى أدلر صعوبات فى التوفيق بين بعض معانى اللاشعور- فقد كان يرفض طريقة التحليل النفسى بتخفيف الكبت بدعوى انه لايؤمن بوجود (انقسام فى مكونات الشخصية). ولهذا فقد فشل فى اقتراح اى طريقه مناسبه والتى بها يمكن الحصول على الافكار والانفعالات غير المرغوبه من اللاشعور عند الفرد اكثر من تركيز الانتباه. وبسبب هذا وبسبب تأكيده على اعتبارات حريه الاراده الذاتية للشخصيه، فان نظريه أدلر قد نُقدت بسبب تأكيده الزائد على قدرات الانا. ويؤكد المحللون النفسيون انه حتى اذا اختار بطريقه شعوريه اهداف جديده للحياه وعمل جاهداً على تحقيقها واختزال النواتج الثانوية التى تنتج عن المرض. هذه الجهود ربما تبقى فى اللاوعى Undermined بسبب قوى لاشعوريه معاكسه قويه لم يتم تحليلها بدرجة كافيه حيث يرى أدلر : " ان الذات تلعب دور المهرج فى السيرك الذى يحاول ان يقنع المتفرجين بان كل تغير فى حلقه السيرك يتم بناء على اوامره، ولكن الصغار فقط هم الذين ينخدعون به من جموع المتفرجين . ورفض أدلر السماح بالتأثيرات الوراثية فى الشخصية لان تظهر بصوره جزئيه هو امر مشكوك فيه بالاضافه الى بعض مظاهر الضعف فى مدخله فى تفسير الأحلام، العصاب ، والتحول .

ب - المغالاه فى التأكيد على العوامل الاجتماعية : ان محاولات أدلر لتحديد الشخصية ككل فى مصطلح العلاقات الشخصية لهو موضع انتقاد، فعلم النفس الاجتماعى بحق هو

نظام هام، ولكنه يمثل فرع واحد فقط فى علم النفس الحديث، ومعظم النظريات الحديثه توافق على ان الشخصية توجد، ويمكن دراستها بمعزل عن الوجود الانسانى .

جـ - المغالاه فى التأكيد على الشعور بالنقص : مصدر اخر للجدل يتركز فى اقتناع أدلر بان كل عصابى ، وذهانى ومجرم يعانى من عقدة النقص ، فالاحساس المغالى فيه بالعجز يلعب دوراً هاما فى العديد من الاضطرابات الجسميه والعقليه، ولكن يمكن التساؤل هل يمكن تفسير الانواع المختلفه من الأمراض النفسية بسبب واحد؟ . لدرجة ان أدلر يستخدم عقدة النقص لتفسير بعض انماط السلوك مثل النوم فى وضع القرفصاء او تفضيل القهوه الغامقه اللون (البن الغامق عن الفاتح)، وهذا يقودنا الى ان نستنتج ان " النقص " بالنسبه لعلم النفس الفرويدى يشبه " الجنس " فى التحليل النفسى حيث تكمن خطورة التناقض فى الاعتماد على سبب واحد للسلوك عموماً .

د - التفاؤل الزائد : يقدر ما تميزت نظرية فرويد بالتشاؤم الزائد بقدر ما تميز علم النفس الفروى بالاتجاه العكسى وهو التفاؤل الزائد ، فاذا لم توجد عند الانسان طبيعة مدمره او رغبات محرمه (غير مشروعه) وتملك قوى غريزيه فطريه للاهتمام الاجتماعى كيف يمكن اذن للفرد ان يفسر حدوث العديد من الحروب والجرائم والكوارث التى هى من صنع الانسان. فالمؤثرات النفسية والاجتماعية فى نمو الطفل يمكن ان تكون مؤذيه بحق لتصل الى مذبحه ولهذا السبب فان الاتجاهات النظريه لدى فرويد ويونج تعطى انطباع لبعض المشاهدين لان يقتنعوا اكثر بالتاريخ المُسجل.

هـ - انتقادات أخرى : ان اعمال أدلر تشبه الى درجة كبيره اعمال فرويد ويونج، حيث لم يؤيدوا نتائجهم بواسطة بيانات احصائيه تؤكد الموضوعيه فى اقرار هذه النتائج مما يجعل الشك قد يتطرق الى اذهان البعض حول ذاتية ملاحظاته. ولم يضع أدلر خطوط خاصه للتمييز بين المستوى المعتدل من الحب الامومى والتدليل ، او بين المستوى الادنى من التهذيب الكافى، والاهمال او القسوة.

بالاضافة الى ان أدلر لم يتمسك باعتقاده المعترف به فى فرديه كل شخصيه انسانيه، فلقد ذكر مراراً سمات الشخصية، انماط الأحلام، وتشابهات اخرى بين المخلوقات الانسانيه، وقد اوضح أن الاطفال المُدللين (او المُهملين) لديهم أساليب للحياه تتضمن الكثير من العوامل المشتركه . . وكما وجه لفرويد وجه لأدلر انتقادات من اصحاب النظريات الذين يعتقدون ان النمو يستمر بعد سن الخامسه او السادسة من العمر. . و لأبعد

من ذلك . . على حين أن علماء النفس المحدثين اعطوا لأدلر تصديق كاف، فقد كان يبدو هو نفسه متطلعاً الى اتفاقه مع يونج فى الادراك الذاتى والقصديه، والأمراض كنظام مضطرب فى العلاقات الاجتماعية .

٢- الدراسات الامبريقية :

لقد أجريت العديد من الدراسات حول تأثير الترتيب الميلادى على جوانب الشخصية والمتغيرات السلوكيه ، وتراوحت هذه الدراسات مابين الاهتمام بجوانب أساسية كالنجاح فى المدرسة والعمل والعلاقات مع الزفاق ، والاستقلالية، والثقة بالنفس، والكفاية حتى قضايا فردية مثل القابلية للتنويم المغناطيسى واستعمال اليدين أو اليد الواحدة - وقد دعمت النتائج ما يؤكد ميل ذوى الترتيب الميلادى الأول الى تحقيق النجاح والأنجاز ، وانهم اكثر اعتماديه واكثر حاجة للتعاطف معهم، واكثر خوفاً وأكثر تأثراً بالسلطة واقل رغبة فى المشاركة فى انشطة رياضية خطرة - أما الطفل الأخير يكون اكثر تقبلاً من رفاقه أما الطفل الأوسط فيمثل نسبة كبيره من الاحداث الجانحين . ورغم ذلك لاتعد نتائج الدراسات فى هذا الشأن قاطعة فبعض الدراسات اكدت أهمية الترتيب الميلادى ونفى البعض الآخر ذلك ، وبعضها دعم اراء أدلر فى حين نفاها البعض الآخر . والسبب المحتمل لذلك أنه ليس من الضروره أن يرتبط الترتيب الميلادى بالوضع السيكولوجى للفرد فى الأسرة فعلى سبيل المثال فإن الطفل الثانى الذى يولد بعد أخيه الأكبر بست سنوات سيعامل بطريقة مختلفة عما لو كان بينه وبين أخيه الأكبر طفل اخر ولذلك يعد الترتيب الميلادى مجرد متغير سفسطائى وجدلى ليس إلا .

بعض الدراسات الأخرى استخدمت مقاييس ورقة وقلم فى قياس الاهتمام الإجتماعى وأسلوب الحياة والعلاقة بين الاهتمام الاجتماعى والسلوك التعاونى أو علاقة الاهتمام الاجتماعى بموضع الضبط الداخلى والخارجى او علاقته بالجاذبية الشخصية، وعلاقة الذكريات الأولى والمبكرة فى الطفولة بالاختيار المهنى والنجاح الأكاديمى فى الجامعة ، وقد نشرت معظم هذه الدراسات فى مجلة علم النفس الفردى J. of Individual Psychology وتميل أغلبها الى تدعيم وجهة نظر أدلر مع بعض الاستثناءات فى هذا الشأن .

بعض الدراسات التى قارنت بين أسلوب أدلر وأسلوب فرويد فى العلاج النفسى مثل دراسة فيدلر Fiedler , 1950 حيث وجد أن المعالج الماهر يمكن ان يستخدم كلا

الطريقتين بصرف النظر عن خلفيته النظرية وان كلاهما تؤتى ثمار جيده عموماً . كما دعمت طريقته من العديد من الدراسات التى أكدت على فعالية أسلوب أدلر العلاجى مثل دراسة هين Heine 1953 ، شلين وآخرين Shline et al , 1962 ، كما استخدمت دراسة أولسون Olson, 1979 استرجاع الذكريات المبكرة فى عملية العلاج بنجاح .

٣- اسهامات النظرية :

كان أدلر أولى علماء النفس الذين اكدوا على المحددات الاجتماعية فى الشخصية . على انه عامل هام ربما يكون قد بُخس من يونج وفرويد، وهو الوحيد في علماء النفس المبكرين الذين خصصوا جزء من نظريتهم للجريمه واسبابها. والتربية ، وارشاد الطفل. وعلى عكس فرويد فان أدلر قد درس الطفل مباشرة ، ولقد كانت لاقتراحاته في تربية الطفل الكثير من القيمه .

ومثل يونج – فقد اكد أدلر على اهمية مبدأ القصديه او الغرضية فى السلوك والحكم او القرار الهادف، واهداف الاختيار النفسى (الانتقاء النفسى) كمحددات للسلوك الانسانى. ومصطلح عقدة النقص، واسلوب الحياة . اصبحت جزءاً من لغتنا اليوميه، واهمية المبالغه فى الاحساس بالنقص لاقت ايضا قبولاً واسعاً من علماء النفس المحدثين، فالبساطه النسبيه فى علم النفس الفردى لها بعض الفوائد رغم ما لاقته من اعتراض. فبعض المرضى يجدون ان من السهل عليهم ان يفهموا او يستفيدا من اسلوب أدلر عن اسلوب يونج وفرويد– وأدلر مثل فرويد – لم يلجأ لاسلوب المراوغه ، فنحن مسئولين عن سلوكنا فضلا عن الوراثه وبعض القوى اللاشعوريه.

وبالرغم من هذه الاسهامات ، فان أدلر يذكر ان ما فعله لايستحق الكثير ، كما نشرأحدالمحلليين النفسيين السويسريين أن أفكار أدلر كانت هُراء ، وأنه من غير المفيد ان اقضى بضع دقائق فى علاج مريض من الشعور بالنقص – وبالمثل فقد نشر فى النيويورك تايمز ما يفيد ان يونج هو الذى اكتشف عقدة النقص . وعلى الرغم من أن تأثير أدلر فى علم النفس الحديث ليس بالكم الكبير وغير موثوق به تماما فان البعض يرى ان علماء النفس يجب ان ينظر اليهم على انهم تابعين لأدلر.

الفروق بين أدلر وفرويد

يمكن تلخيص اهم الفروق بين نظريتى أدلر وفرويد فى النقاط الاتية :

أدلــر	فرويــد
- يؤكد على العقل الشعورى الواعى .	- يؤكد على العقل اللاشعورى .
- الاهداف المستقبله منبع رئيسى للدوافع .	- الاهداف المستقبله غير هامة .
- الدوافع الاجتماعيه أولاً .	- الدوافع البيولوجية أولاً .
- متفائل بخصوص الوجود الانسانى .	- متشائم بخصوص الوجود الانسانى .
- الأحلام تستخدم فى حل المشكلات	- الأحلام تستخدم فى تحقيق (الوصول) الى العقل اللاشعورى
- الانسان فى النهاية حر الى حد ما فى تحديد شخصيته الخاصة (المستقله) .	- الشخصية تتحدد تماما بالوراثة أولا والعوامل البيئية ثانيا .
- يعطى الحد الأدنى من الاهمية للجنس .	- يعطى الحد الأقصى من الأهمية للجنس .
- يهدف العلاج النفسي الى توحيد اسلوب الحياه مع الاهتمام الاجتماعى	- يهدف العلاج الى كشف الذكريات المبكرة المكبوتة .

الباب الثالث

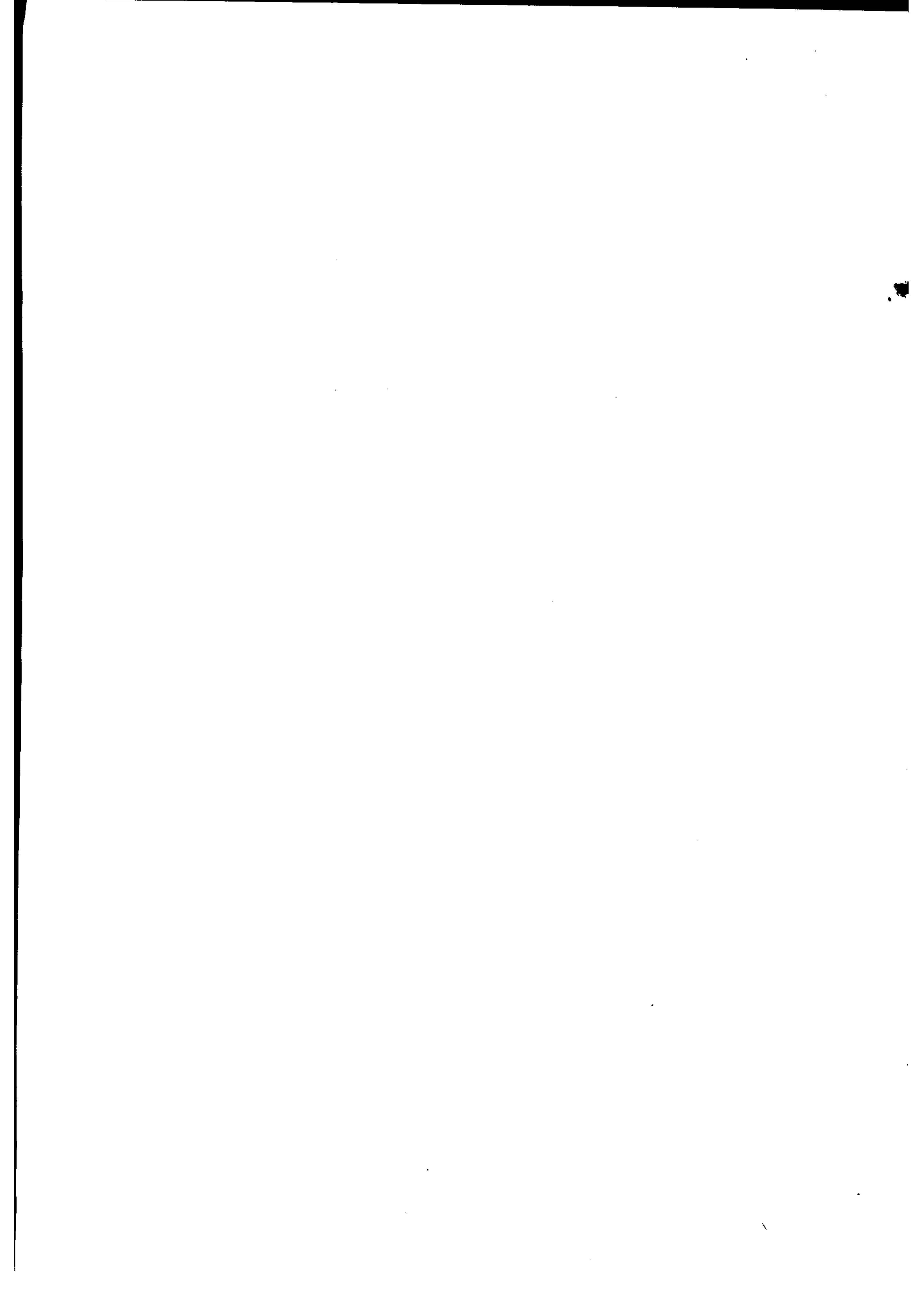
التحليليون الجدد

الفصل الخامس : العلاقات الشخصية المتبادلة I كان هورنى

الفصل السادس : العلاقات الشخصية المتبادلة II إريك فروم

الفصل السابع : العلاقات الشخصية المتبادلة III سوليڤان

الفصل الثامن : علم نفس الانا إيرك إريكسون



الفصل الخامس

العلاقات الشخصية المتبادلة I

كارن هورنى (١٨٨٥-١٩٥٢)

النظريات التى سيتم عرضها فى الفصل الحالى والفصول الثلاثة التالية بُنيت على نظريات فرويد ويونج، وأدلر. كل واحد منهم رفض الاعتبارات البيولوجية والليبيديه فى نظرية فرويد، واكد بدلا من ذلك على المحددات الاجتماعية للشخصية، ومع ذلك فقد استفادوا مما قدمه أدلر ويونج للتحليل النفسى، وكل واحد منهم اعتبر أراء أدلر على انها مبسطه للغاية، وساروا فى نفس مسار افكار فرويد .

لقد حدثت اللحظة المؤلمة فى حياة كارن هورنى عندما فُصلت من العمل عام ١٩٤١ فقد كانت اقرب فى مدخلها الى التحليل النفسى، ولكنها بعددت بوضوح عن مفاهيذم فرويد التقليديه التى تعلمتها فى معهدنيويورك للتحليل النفسى وهنا صدرت اوامر صارمة بطردها (Rubins, 1978) فى هذه اللحظة الدراميه انتفضت كارن هورنى وشبت مرفوعه الرأس واستمرت فى بناء نظريتها، واكدت على اراء ادلر وخاصة العوامل الاجتماعية ونظرة الامل والتفاؤل فى الطبيعة البشريه بالاضافة الى الصراعات النفسية الداخليه التى رفضها أدلر .

نشأتها وحياتها :

هى كارن دانيلسون Karn Danielson ، ولدت فى قرية صغيرة تعرف باسم (بلانكيتز) فى هامبورج بالمانيا فى ١٦ سبتمبر ١٨٨٥ (فى العام الذى كان فرويد يتعلم فيه التنويم المغناطيسى على يد شاركو فى باريس)، كان والدها قائد بحرى نرويجى الاصل ولام هولنديه ، وكان الاب يكبر الام بسبع عشرة سنه، ويتميز بشخصية تختلف عن الام فقد كان متدين جدا، ورجل هادئ ، اما الأم فقد كانت نشطه ، جذابه ومتحررة الاتجاهات مما ادى الى تصادم الأب مع غرور وجمال وذكاء كارن من ناحية والأفكار المتحررة لزوجته من ناحية أخرى ، وكان لها أخ اكبر منها وأخوات بنات وأخوه ذكور من والديها لزواجهما السابق، وجده حنونه وعاطفيه (Kelman, 1967) .

ولقد قررت كارن وعمرها ١٢ سنه ان تدرس الطب، وظلت تسعى لتحقيق هذا الهدف على الرغم من رفض والدها لذلك، وكانت طالبة ممتازه خلال دراستها الاكاديميه، واخيراً حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة برلين عام ١٩١٥ ، ودُربت اصلا كمحلله نفسيه، والتحقت بمعهد برلين للتحليل النفسى سنة ١٩١٨ وبدأت ممارستها الخاصه بعد ذلك بعام واحد ولقد عارضت ونقدت افكار فرويد حول مظاهر الجنس الانثويه .

وتزوجت كارن هورنى من اوسكار هورنى Oskar Horney وهو رجل اعمال فى ٣١ اكتوبر ١٩٠٩ وانجبا ثلاث بنات ، وتركته بعد الحرب العالمية الاولى عام ١٩٢٠ وطلقت منه عام ١٩٣٩ .

وتشبه هورنى فرويد فى ان كل منهما يوصف بأنه شخص معقد تصدر عنه تصرفات مختلفه متناقضة، قوى - ضعيف - متشدد ومنعزل، حنون ومهمل . متسلط ومؤثر، قائد وتابع، عادل وحاقد. انها كانت أساساً شخصية أنانية ومنغلقة حتى العشرينات من عمرها مبتعدة بنفسها عن الرأى العام، ومحتفظه بقليل من العلاقات الحميمة . بدأت بعد ذلك تكون علاقات اجتماعية واضحة واصبحت قادره على جذب عدد كبير من الأفراد والجمهور على السواء (Rubins, 1978) .

وهاجرت هورنى من برلين الى شيكاغو عام ١٩٣٢ والتحقت بمؤسسة نيويورك للتحليل النفسى عام ١٩٣٤ - وعموماً فالفرق بين نظريتها وبين علماء التحليل النفسى التقليديين قادتها الى نزاعات حاده معهم . حيث رفض طلابها الاقتناع بمذهبها، وعانت هى نفسها من قدرها المحتوم بكونها غير جديرة بأن تكون معلمة للتحليل النفسى .

وفى عام ١٩٤١ تنازلت عن عضويتها فى معهد نيويورك للتحليل النفسى وكونت مؤسسة امريكا للتحليل النفسى والذى ضم بين أعضاؤه فروم Fromm وسوليفان Sullivan اللذين تخلوا هما ايضا عن معهد نيويورك بسبب نظرياتهم ، وماتت هورنى فى نيويورك بسبب السرطان فى ٤ ديسمبر ١٩٥٢ .

طبيعة الشخصية :

اتفقت هورنى (وتقرأ هورن - أى Horn-eye) مع ادلر ان طبيعتنا الفطرية هى اساساً بنائية (انشائيه). وتتأثر الشخصية بالعوامل الحضارية او الثقافية ، فنحن نجاهد لنتطور ، والسلوك المرضى يحدث فقط عندما تتجمد تلك القوى الفطرية ولا تسير تجاه النمو الايجابى (عندما تفشل القوى الفطرية فى السير بالنمو فى المسار الايجابى) بسبب قوى اجتماعية خارجية . ان تشاؤم فرويد باعتقاده ان العصاب وطرق علاجه ينتج من الاعماق ممايدل على عدم اقتناعه بصلاحية البشر ونموهم ، فهو رجل يعتبر ان الانسان قدر له ان يعانى ويتحطم ، والغرائز التى تدفعه هى التى تتحكم فيه او على الاحسن تتسامى به وفى اعتقادى الخاص ان الانسان يملك القدره والرغبه على التطور ليصبح كائن بشرى لائق (Horny, 1945) .

تركيب ونمو الشخصية :

تشارك هورنى فرويد الرأى (وجهة النظر) حول المحددات النفسية . وأهمية العمليات اللاشعوريه مع التأكيد على الكبت وميكانزمات الدفاع الأخرى . ورفضت فلسفة ادلر من ان الشخص مولود بصراعاته الداخليه وكل عصابى فى حرب مع نفسه " وعلى اية حال فإن هورنى ليس لديها سوى القليل الذى يمكن أن تقوله عن تركيب ونمو الشخصية وتطورها . " انا لا اعتقد انه من الممكن بلورة الصراعات العصابية كما اوضحها فرويد" . وفضلت ان تركز فى الجزء الاكبر من جهدها على ثلاث محاور تطبيقيه هى - العصاب - العلاج النفسى - الجنس الانثوى Femal Sexuality .

تطبيقات نظرية هورنى :

تتفق هورنى مع كل من فرويد ويونج وأدلر على ان الامراض العصابية ليست بدرجة واحدةوكانت تحذر من ان الصرعات العصابيه تختلف بوضوح بين الناس العاديين ، فالاخير (ادلر) قدم اختبارات عمليه ، فعلى سبيل المثال عندما يختار الفرد بين قضاء

وقت فراغه مع صديقه او فى التأمل الهادئ - فالصراعات العصابية تكون حاده جدا فى اللاشعور وتكون مكبوتة بصورة حاده ولذلك فان ما يظهر على السطح منها شئ زهيد (Horny, 1945).

القلق الاساسى : Basic Anxiety

اكتشفت هورنى ان العصاب ينتج من علاقات داخلية مضطربه (اضطرابات داخليه) خلال فترة الطفوله اكثر من كونه يرجع الى دوافع فطرية او غريزية وخصوصا ان الوالدين ربما يسلكون بطرق مرضيه مثل التسلط- الحماية الزائده (التدليل)- التعسف- الاهانه والاستهزاء (التحقير)- القسوة - التعالى - الرياء - التقلب (التذبذب) - التفرقه فى المعاملة بين الاخوه وبعضهم البعض - العقاب أو الثواب بلاحدود - الاهمال.

" هذه الاخطاء ترجع جميعها الى ان الناس المحيطين بالطفل منهمكين مشغولين فى اضطراباتهم (عصابهم) محاولين أن يكونوا قادرين على حب الطفل، واعتباره الشخص الوحيد الذى ينفرد بحبهم، اى ان اتجاهاتهم نحوه قائمة على استجاباتهم العصابية، والنتيجة ان الطفل لاينمو فيه الشعور بالانتماء بل ينمو فيه شعور عميق بعدم الامان والخوف ولذلك استخدمت مصطلح القلق الاساسى Basic anxiety (Horny, 1950).

فالشعور بالوحدة فى عالم مخيف وغير ودود يمنع الطفل من الانسجام مع الاخرين بطريقة عاديه (طبيعية)، والاضطرابات الخارجية تقوده فى الحال الى توترات داخلية نفسيه خطيره، كذلك محاولاته الاولى للانسجام مع الاخرين ليست مبنيه مع شعوره الحقيقى بل على ضرورياته الهامة (علاقات منفعية). . فهو لايستطيع ان يحب او يكره بسهولة ، ويثق او لايثق فى الاخرين او يعبر عن امنياته او يقاوم الاخرين بسهولة، ولكنه مضطر بصوره تلقائية لاختراع طرق للتعامل والانسجام معهم بأقل حد ممكن من احداث قلق له (Horny, 1945) ، والنتيجة ان الحاجة الصحية الى تحقيق الذات تستبدل لديه بدافع الشعور بالامان وهذا فى نظر هورنى يتم بالمبالغة فى واحدة من المكونات الثلاث الجوهرية للقلق الاساسى وهى : العجز helplessness والعدوان aggressiveness أو العزلة detachment ، والحل العصابى للتخلص من العجز ينتج عنه رغبات مفرطه للحماية والرضوخ للاخرين او التحرك تجاه الناس moving toward people ، اما التوجه العدوانى فيقود الى رغبات صريحة للتسلط والسيادة ،والتحرك ضد الناس

moving against peaple ،والحـل الانعزالـى يؤكد على التجـنب الواضـح للاخريـن أى التحـرك بعيدا عن الناس moving away from people .

وحيث ان الشخص السوى يكون حر الى حدما فى التحرك تجاه او ضد او بعيداً عن الناس حسبما تضطره الظروف ، فكل واحداً من الحلول الثلاثة قسرى وغير مرن. على اية حال فهم بالتبادل متوافقين (اى لايحدثوا مع بعضهم فى وقت واحد) والاتجاهان الاخران يبقيان فى اللاشعور ولا يظهرا إلا نادراً للتأثير فى السلوك .

التحرك تجاه الناس (النمط المشارك للناس) :

فالعصابى الذى يتحرك بصوره جليه نحو الناس يبحث عن الأمان من خلال الحماية والتعلق بالاخرين (Horny, 1945) فهو يحول الاحساس الداخلى بالضعف الى ميزة او صفه حسنه وكأنه يقول يجب أن تحبنى ، وان تعفوا عنى، ولاتهجرنى لانى ضعيف لاحيلة لى" ويتضح الاحساس بضعف الذات فى قصة سندريلا مع زوجة ابيها" (Horny, 1945)، هؤلاء الاشخاص يسترعون اهتمام الاخرين وبسرعة لتنفيذ رغباتهم ويكبحون انانيتهم وكراهيتهم والرغبة فى تأكيد ذاتهم .

فى حين ان هؤلاء المرضى يخطأون عندما يعتقدون أن لجوءهم للاخرين والتقرب منهم حقيقى لأننا نرى ان اهدافه الحقيقية تكمن فى دوافع الشعور بالامان، وهو ما يعد مناقض للظاهرة كما أن نقص الاهمية لدى الاخرين واتجاهات التحدى والاتجاهات الطفوليه اللاشعورية ، والنزوع الى التحكم وخداع الآخرين والحاجات الماسه للتغلب عليهم او التمتع بالانتصار والانتقام يجعل الفرد يشعر بأنه منبوذ ظلماً.

التحرك ضد الناس (النمط المهاجم للناس) :

العصابيون الذين يبالغون فى التحرك ضد الناس والعدوان عليهم يرون ان الحياه اشبه بغابة دارون حيث البقاء للاقوى، والبحث عن الامان من خلال التسلط والاستغلال والسيطره المباشره وغير المباشره (Horny, 1945) . وفى حين نرى ان الشخص الخاضع (المتحرك نحو الناس) يميل الى اعتبار الاخرين اولياء نعمه له اما العدوانيين فانهم ينظرون الى الناس على انهم عدوانيين ، وكالطفل المهمل فى نظرية ادلر فأى علاقة او اى موقف يترقب من خلاله "ما الذى يمكن أن أستفيده من هذا الموقف" وهذا الشخص يعتبر ان القسوة والعنف قوه وان التساهل مع الاخرين يدل على الخضوع .

هذا الحل لمشكلة القلق الاساسى يتعارض بشدة مع الشعور لدى المريض بالعجز المزمن، والحاجة السويه للحب . واذا كبحت هذه الخصائص فانها تهدد التوجه الأساسى. . ولذلك فأن العصابى العدوانى يتصرف بأنانية وعدوانية (تلذذ بعذاب الاخرين)، وخاصة مع الصغار والعجزة (ذوى العاهات) لان هذا السلوك يجعلهم يتذكرون ما يكرهونه فى انفسهم (Horny, 1945) وتُرجع هورنى هذا الى التبرير اللاشعورى، وتتشابه فى ذلك مع فرويد وتعارض يونج .

التحرك بعيداً عن الاخرين (النمط الهارب من الناس):

المريض العصابى الذى يتحرك بعيداً عن الاخرين يحاول حل القلق الاساسى للحصول على الامان بتجنب الاتصال بالاخرين (Horny, 1945) مثل هؤلاء الاشخاص يسعون لان يصبحوا ذات قدرة (كفاءة) ذاتيه كامله، ولا يسمح لاى فرد أو لاى شخص اخر ان يصبح اساسى ولاغنى له عنه. ولكنهم يحققوا هذا الهدف المهم عن طريق التحديد اللاشعورى لحاجاتهم بتحديد عواطفهم ويغالون فى تفردهم وتفوقهم ، فالعصابى المنعزل ربما يرفض ان يسأل عن الاتجاهات التى يريدها اذا كان فى بلد غريب ، ويميل الى التصور الباطل بعظمة نجاحه او تصرفاته ، فهو يشبه شخص فى غرفة فندق نادراً ما ينزع علامة " ممنوع الازعاج" من على باب غرفته . (Horny, 1945).

التوافق مع القلق الأساسى :

حيث أن القلق الأساسى يولد فى الشخص الشعور بالعجز والخوف ، فإن الفرد يحاول تحقيق حد أدنى من هذا القلق وقد حددت هورنى عشر استراتيجيات لخفض هذا القلق لأقصى درجة أطلقت عليها الحاجات العصابية ، وأن الشخص السوى لديه أغلب إن لم يكن كل هذه الحاجات مشبعه بشكل مقبول ، فكل حاجة تظهر منها يحاول إشباعها وغالباً ما ينجح فى ذلك ، فى حين أن الشخص العصابى يركز على واحدة أو اثنتين من هذه الحاجات ولا يستطيع الانتقال بسهولة من واحده الى الأخرى ، وأن ما يركز عليه يعتبره الحاجة الأساسية والبؤره المركزيه فى حياته ، وهذه الحاجات العصابية العشر هى :

١- الحاجة العصابية للتعاطف والقبول : كالشخص الذى يحيا لكى يكون محبوب ، محل إعجاب الأخرين .

٢- الحاجة العصابية إلى القرين الذى يثرى حياته : مثل هذا الشخص يحتاج إلى التعاطف مع شخص ما يحميه (أو يحيمها) من الأخطار ويشبع كل رغباته وحاجاته .

٣- الحاجة العصابية لأن يعيش الفرد داخل نطاق محدود : مثل هذا الفرد يكون محافظ جداً ، يتجنب الهزيمة أو الفشل من خلال محاولته تحقيق القليل جداً . أو كما نقول يتبع مبدأ (لاتعمل كى لاتخطئ فتعاقب).

٤- الحاجة العصابية للقوة : مثل هذا الشخص يحترم القوه ويحتقر الضعف .

٥- الحاجة العصابية لاستغلال الآخرين : مثل هذا الشخص يفزعه استغلال الآخرين له ، ولكن لايضايقه الى أدنى حد حتى مجرد التفكير ان يستغل هو الآخرين .

٦- الحاجة العصابية للتقدير الاجتماعى : يحيا هذا الفرد لكى يكون محل تقدير كأن يظهر أسمه فى الصحف . وأن أعلى هدف له اكتساب مكانة مرموقة .

٧- الحاجة العصابية إلى الاعجاب الشخصى : يحيا هذا الفرد حياته لكى يُمدح ويثنى عليه . ويتمنى أن يراه الأخرون فى صورته المثالية التى يعتقدها عن نفسه .

٨- الحاجة العصابية للطموح والإنجاز الشخصى : مثل هذا الشخص لديه رغبه جامحة لأن يكون مشهور، وغنى ، ومهم بصرف النظر عن النتائج .

٩- الحاجة العصابية إلى الاستقلال والاكتفاء بالذات : مثل هذا الفرد يبذل جهداً كبيراً ليتفادى تحمل تبعات أى فرد أخر ، لايريد الارتباط بأى شئ أو أى شخص ويتجنب التبعية مهما حدث .

١٠- الحاجة العصابية للكمال وتجنب الإهانة : مثل هذا الفرد يحاول تحقيق الكمال بسبب حساسيته الشديده للنقد. (Hergenhahn, B.R. 1980) .

الصورة المثالية :

فى اغلب الأحيان تأخذ الاعتبارات غير المقبوله للشخصية العصابيه والصراعات الداخلية المؤلمه طريقها مختفية بعيداً خلال نمو الصورة المثالية للذات (Horny, 1950) ، وهذا الامتداد لمفهوم الذت ربما يشمل الاعتقاد الخادع بأن العصابى المسالم (الذى يتحرك نحو الناس) يكون غير انانى، متعاون وجذاب ليحقق حب لاينتهى، أو لديه ضعف مورث، اما العصابى العدوانى ربما يعتقد انه عظيم، محبوب، ولطيف، بينما يعتقد العصابى المنعزل أن لديه كفاءة ذاتيه ومقدره تجعله لايحتاج اى شيئ من اى شخص اخر بالرغم من ان اشكالها غير مقبوله، وتظهر الصورة المثالية واقعية تماماً لمكونها، والنتيجة هى دخوله فى دائرة قاسية .

والصورة المثالية تحدد معايير ثابته اما ان تؤدى الى تحطم نهائى و تجعل المُعانى (العصابى) يُحجم عن التذوق المر للحقيقة ، وهذا بدوره يزيد كراهيته لدخول او اقتحام حقيقة النفس الضعيفة ومن ثم يحتقر ذاته Self-Contempt مما يزيد شدة الصراعات الداخلية والاعتماد على الصورة المثالية ، والأبعد من ذلك فإن هذه الصوره تصبح غير واقعية ويشعر الفرد انه مجبر على التضارب مع انتصاراته التى مازالت عظيمه (Glory) كما يقول فوست "Fust" فإن العصابيين يبيعون ارواحهم للشيطان ويتنازلون عن امانيهم الحقيقية ، ومقدرتهم فى فصل الصوره الحقيقة عن الصورة المثالية أو هم مثل فرانكشتين Frankenstein يستخدمون طاقاتهم لتحطيم ذاتهم " (Horny, 1950) .

وتؤمن هورنى بأن الصراعات الداخلية تحدث فقط بين الميول العصابيه المتناقضة مثل الرغبة القوية فى العدون والرغبة فى الاستقلال ، كما ترى بأن " الصراعات العصابية يمكن ان تحدث سواء بين قوتين عصابيتين أو بين واحده عصابيه والاخرى سويه ، (Horny, 1950) . وبحديث خيالى يبنى الشخص صورة مثالية عن نفسه لانه لايستطيع ان يعدل من نفسه كما هى فعلا ، والصوره بوضوح تعكس هذا الادعاء ، ولكن بعد وضع نفسه على تمثال يستطيع ان يعدل حقيقة نفسه من انها مازالت اقل مما يعرفها ويبدأ فى الهياج ضدها . فهو يتخبط بين عشق الذات وادانتها ، ويبين صورته المثالية وصورته القبيحة ويفتقد بذلك الأرض الصلبه التى يقف عليها ، فالعصابى يعشق ويكره ذاته ، يوقرها ويوبخها ، وهذا اساس الصراع الداخلى المركزى .

وتتفق هورنى وأدلر على ان الاحاسيس اللاشعورية بالضعف غالبا ما تتوارى بالتقدم الواعى أو الهادف . وان القوه اللاشعورية المدركه هى التى تطغى باستمرار وتختفى خلف العفه او الحشمه المغالاه ، ولكن بينما تحمل الصوره المثاليه بعض التشابه مع عقدة التعالى Superiority فهى تحجب بصورة لاشعوريه اتجاهات مضاده ومحطمه اكثر منها موحده وعصابيه وتقول هورنى ان اسهام ادلر العظيم لتوضيح اهمية الدافع العصابى للرفعة والقوة جعلنا لانتعمق . كما تختلف وجهة نظر هورنى فى دراسة المتناقضات داخل النفس عن تلك التى اهتم بها يونج ، فهى ترى ان الانطواء عصاب اكثر من ان يكون ميل فطرى أو سوى ، كما تختلف عن فرويد فى اضافة مفهوم احتقار الذت كأحد الاسباب المحتمله لعدم تحقيق الصورة المثالية للذات بدلاً من تشرب المعايير الوالديه فى الأنا الأعلى . وتوضح هورني العلاقة بين الأساليب الأساسية الثلاثة للتوافق والحاجات

العصابية العشر وصورة الذات على النحو الأتي :

حل الغاء أو طمس الذات الحب التحرك نحو الناس (الإذعان)	الحل الشامل (واسع المدى) السيادة التحرك ضدا لناس (العدوانية)	حل الاستسلام الحرية التحرك بعيدا عن الناس(العزلة)
الحاجة إلى : ١ - التعاطف والقبول . ٢ - القرين الذى يثرى حياته ٣ - العيش داخل نطاق محدود * اذا كنت تحبنى فلن تؤذينى "	**الحاجة إلى :** ٤ - للقوة والقدرة والمتعة ٥ - لاستغلال الاخرين ٦ - للتقدير والمكانة الاجتماعية ٧- الاعجاب الشخصى ٨- الانجاز الشخصى * " اذا ما كان لدى القوه فلن يستطيع أحد أن يؤذينى " .	**الحاجة إلى :** ٣- العيش داخل نطاق ضيق ٩- الاكتفاء بالذات ١٠- الكمال وتنب الإهانة . * " اذا إنسحبت فلن يستطيع أحد أن يؤذينى
التوحد مع احتقار الذات الواقعية .	التوحد مع الذات المثالية	التردد بين احتقار الذات الواقعية ، والذات المثالية .

وترى هورنى أن لدى كل فرد فرق بين ذاته الحقيقية real Self ، والذات المثالية Ideal Self . فالذات الحقيقية تتضمن الأشياء الحقيقية عن انفسنا فى أى وقت أما الذات المثالية فإنها تعكس ما يجب أن تكون عليه وهى هدف يسعى اليه الشخص السوى لتحقيقه مستقبلاً . وبالنسبة له فإن كل من الذات الحقيقية والمثالية متقاربين وغير متباعدين ولذلك تكون طموحاته واقعية ودينامية . أما الشخص العصابى فإنه يعانى مشكلة فى علاقة ذاته الحقيقية مع الذات المثالية لأن ادراكه لذاته الواقعية مشوش . فلذلك فإن أحلامه غير واقعية ويصعب تحقيقها .

الحقوق والواجبات وحيل الدفاع النفسى :

تحول الصورة المثالية للذات الرغبات العادية الى حقوق Claims ومطالب غير منطقية التى يفترض أنها تمنحها الشعور بالاستعلاء والعظمه أو المجد، فأحد مرضى هورنى كبت تردده البالغ وقصوره الذاتى ، وطالب بأنه ينبغى أن يكون العالم

تحت إمرته ، سيده تعانى بطريقة لاشعوريه من شكوك شديده اعتقدت أنه من غير المعقول أن الرجل الذى ترغبه لن يبادلها الحب أو أن دعواتها لن تستجاب ، وبالمثل أحد الأفراد ينتابه إحساس لاشعورى بأنه غير محبوب ، ومن ثم أصبح لايبذل أى جهدعلى الاطلاق لكى يخفف من حدة هذا الموقف المؤلم ، ويتوقع بدلاً من ذلك أن يتصل به شخص آخر. شخص آخر عصابى لديه مشاعر مكبوته بعدم الكفاية المهنية ربما يطالب بالحصول على مهنة أفضل دون أن يسعى للحصول عليها فعلياً ، حتى المرضى ربما يتوقعون مكاسب عظيمه من العلاج النفسى دون التعامل فعلياً مع مشكلاتهم (1950) .

الشخص العصابى تقوده الأوامر الداخلية التى تفرض عليه ذاتياً والتى تهدف الى تحقيق الصورة المثالية ، وهو ما تطلق عليه هورنى طغيان الواجب the tyranny of the should . ويتضمن ذلك الاعتقاد بأنه ينبغى أن يكون لدى الفرد أقصى درجة من الأمانه ، والإيثار ، والعدل والكرامة والشجاعة ، أى ينبغى أن يكون حبيب (محب)، زوج ، أو موظف كامل بمعنى الكلمة ، أى يتصف بأقصى درجات الكمال، لكى يتحمل المفاجأت الأكثر سوءاً وغير السارة دون أن يتعرض لأى أذى ظاهر. وهكذا ترى هورنى " أن الواجبات ربما تكون خارجية ، وتبدو بصورة غير صحيحة وأنها مفروضه من لاشيئ، وعلى عكس الأنا الأعلى عند فرويد ، حيث نجد أن الواجبات دائماً تمثل قوة عصابية فهى تشبهه تماماً بالطغيان السياسى فى الدوله البوليسية (الدكتاتورية) . (1950)

إن الميكانزمات الدفاعلية كالعزل ، والتبرير والتخيل ، وغيرها ، إنما تهدف الى إقناع الفرد بأنه على صواب ، وإخفاء الصراعات الداخلية واستعادة الإحساس بتماسك وحدة الشخصية ، وقد يفيد الخداع فى تحقيق نفس أهداف الحيل الدفاعية من خلال تصوير كل القيم الأخلاقية بأنها زائفة وغير حقيقية والهروب من المهمة المؤلمة الشاقة المتمثله فى فحص ما يؤمن به الفرد ويعتقده (1950) .

بعض الأعراض العصابية الاخرى :

على الرغم من ان مريض العصاب (العصابى) يكبت الصراعات الداخلية المؤلمه . إلا أن هذا الاضطراب قد يظهر بطرق مختلفه غير مباشرة كما يلى .

١- السلوك المتناقض لدى الشخص، فقد يكون لديه رغبة قوية واكيده للزواج او مصادقة الاخرين، ورغم ذلك يخشى الاتصال والتفاعل مع الاخرين .

٢- التعاسة الشديده (الحزن الواضح) : ويشبه فى ذلك حالة اليأس فى رواية جحيم دانتى Dante's Inferno والتى يقول فيها " يهجر السعادة كل من دخل هنا " ، ويحدث هذا بسبب استحالة تحقيق الصوره المثالية، واليأس من كونه له ذات.

٣- مخاوف التغيير : لكونه يتوهم سخرية واهانات الاخرين واذلالهم له او من انه مجنون.

٤- التردد الواضح : مع وجود صراع بين الشعور برغبات واقعية والتردد فى التحول عن القرارات الصغيرة الى القرارات الراشده والقضاء على الصراعات.

٥- السلوك غير الفعال او غير المؤثر : كالعربة التى يقودها سائق يضغط على دواسة البنزين باحدى قدميه، وبالاخرى على الفرامل .

٦- الحياة المعقده المنطويه المعزولة : حيث يعانى من محاولات الإعراض عن الاجتهاد فى عمل أو شيئ ذات اهمية خوفا من الفشل فيه. •

٧- الخجل : حيث صراع الرغبه فى الاتصال بالاخرين مع ا لخوف من النبذ (الرفض) .

٨- الرغبة فى الانتقام او السلوك الانتقامى .

٩ - التعب والاجهاد الجسيم : والذى ينتج من اضاعة الطاقة الاساسية فى الاضطرابات الداخلية .

وهورنى - مثل ادلر - ترى ان عقدة اوديب كمحدد ثقافى ترجع الى الاعراض العصابية التى نتجت عن الاسراف فى تدليل الطفل اكثر من كونها ظاهرة عامه (Horny, 1950).

العصاب والعمل :

ليس غريبا ان تنعكس الاضطرابات العصابية على العمل فالصورة المثالية ربما تقود العصابى الى طرق غير مجديه للحصول على الوظيفة التى تحمل توقعاته المستقبلية، حتى لونجح فى النهاية يشعر بأنه يشغل وقت فراغه ليس إلا ، ولم يحصل على ما يستحق لانه لم يحقق الاهداف والرغبات التى كان يسعى اليها فعلاً . ومن ثم فان الاجتهاد القسرى وغير المباشر من اجل الشهرة يبدأ مرة اخرى .

والعصابيون الذين يتحركون تجاه الناس دائما يقللون من شأن انفسهم واعمالهم، ويشعرون بأنهم مُغرقون فى المهام الصعبة، ويتجنبون التهديدات المحتمله لسموهم بالتقليل من قيمة نجاحهم ويظهرون الاخطاء فى ادائهم ويصبحون قلقين وفى موقف دفاعى فى سبيل حاجتهم لان يصبحوا مستقلين، اما العصابيون الذين يتحركون بعيداً عند الناس فهم يفضلون دائما العمل بمفردهم ويكرهون الالتزام بالمواعيد وتلقى الاوامر، والتمرد عند الاجبار على اداء عمل بصوره متقنه . (Horny, 1950).

العصاب والأدب :

طبقا لرأى هورنى ، فان هناك العديد من مظاهر العصاب توجد فى العديد من الاعمال الادبيه كما فى عمل جورج أرول George orwell, 1984 بعنوان Ninteen Eighty - four الذى صور الطغيان فى احسن صورة له ووصف الطاغى بالعصابى الذى يتميز بالصلابة والانحلال الخلقى والديكتاتورية ، اما قصة كفكا Kafka المحاوله the trial فانها تعكس تعبيرات الارتباك والتبرير ، ولوم الذات لدى العصابى . اما قصة ستيفنسون Stevenson دكتور جيكل ومستر هايد فانها تعكس الصراع بين الذات القديسه الطيبه، والذات الشريرة الشيطانية، والشخصية التى تعانى حقيقة من فقد القدره على التقدم، اما الكابتن اهاب Ahab فى رواية Moby Dick فانه يوضح مثال ممْتاز لحاجة مريض العصاب للتغلب على احقاده (Horny, 1950).

تفسير الاحلام : Dream Interpreatation

كما فى النظريات الاخرى التى ناقشت ذلك - كانت هورنى تستنتج معلومات قيمه من احلام مرضاها، فحلم المريض بضياع جواز سفره او وضع جواز السفر فى مكان غير معروف، او رؤيته لبرواز صورته دون ان تكون الصورة بداخله يعبر عن ضياع الذت الحقيقية للحالم، وكما فى علم النفس الفردى فأن الحلم بسقوط Falling المريض يعبر عن طبيعة مضطربه للمريض بالشعور بالغرور، وكما فى علم النفس التحليلى فالمريض الذى يحلم بانه عاجز أو أبله ربما يخدم هذا الحلم كتعويض بالمبالغة عن صورة الذت، اما الكابوس بوجود المريض فى حجرة مغلقه عليه بها شخص يريد قتله فتدل على الاحتقار الحاد من المريض لذاته .

اما الحلم بأنه المريض قد زرع نبات يأخذ فى النمو فتتوقع انه يدل على هموم او انشغال نفسى وعاطفى (انفعالى)، وحلم المريض بأنه يقوم بعمل مكالمة تليفونية

طويله مع شخص فى مكان بعيد يدل على رغبة المريض فى التوجيه والارشاد النفسى الدائم من المعالج، والحلم بأن المحلل (المعالج) اشبه بالسجان يكشف عن رغبة المريض للوم على اخطاءه ازاء الاخرين، هذا وتختلف هورنى عن ادلر فى كونها ترى ان الاحلام تعكس مشاعرنا الحقيقية اكثر مما تكون نوعا من صور خداع النفس Seff-deception (Horn y, 1950).

العلاج النفسى :

الاسس النظرية : ان الهدف من العلاج النفسى عند هورنى هو كشف وحل الصراعات الداخلية المكبوته عند المريض، وبذلك تتحرر القوى البنائية الفطرية وتنمو وتتطور (Horny, 1950) ويتعلم المريض ان الحل المقترح لانقاذ حياته يعمل على زيادة الاحباط، واحتقار الذات، واخفاء القوى المقاومة لذلك، فبالنسبة للمريض الذى يتحرك مع الناس يكتشف العدوانيه والانانيه التى تولد لديه رغبة زائدة عن الحد فى ان يرضى الاخرين او يسعدهم ، اما العصابى الذى يتحرك ضد الناس يصبح على وعى بمشاعره المكبوته باليأس، اما العصابى الذى يتحرك بعيدا عن الناس يعترف بالحاجة القوية لديه للتبعية او الاعتماد على الاخرين، والتى تتصارع مع الرغبة لتجنب الاخرين. ويجب فحص المريض للوصول الى الصراعات الداخلية واخراجها الى الضوء، والبعد عن الصورة المثالية ووضع اسس او مقومات الاشباع فى تحقيق الذات الواقعية، ولتكون مؤثرة يجب ان يتم هذا الاستبصار بصورة انفعالية وعقليه معاً .

يجب الا تظل معرفة المريض لنفسه معرفة عقليه فقط، ربما يكون من الصحيح ان نبدأ بهذه الطريقة ولكنها يجب ان تتحول الى خبرة انفعالية ، فالواقعية العقليه المجرده بأحساس دقيق قد يدركها المريض بأنه لاتوجد واقعية على الاطلاق، انها لاتصبح حقيقة لديه، ولاتصبح خاصية او سمته الشخصية، ولاتأخذ جذورها داخله (Horny, 1950).

اجراءات العلاج النفسى : كما فعل فرويد - لجأت هورنى للاستخدام الشامل للتداعى الحر وتفسير الاحلام، وكما فعل ادلر - كانت تبحث وتنشد تغيير أمال المريض التى يختارها خطأ ، فعلى سبيل المثال فإن استجابة المريض للشعور باليأس قد تدفع المعالج ان يقول "بالطبع إن الموقف فى غاية الصعوبة ولكن موقفك إزاءه هو الذى خلق اليأس لديك، فاذا ما غيرت نظرتك للحياه لن يكون هناك اى شعور باليأس (Horny, 1945) او اذا كان لديه شعور قوى بالاحتقار من جانب الاخرين، ربما يفسرها المعالج بأنها فقط

مجرد احتقار من المريض لذاته" وهذا درس صعب وطويل لاى شخص لكى يتعلم ان الاخرين ليسوا هم الذين يؤذونه، ولاحتى يكونون احترامه لذاته (Horny, 1950).

وعلى كل حال، فان طريقة هورنى كانت اكثر فاعليه من طريقة فرويد فى التحليل " "بمجرد اعتقادى أن المريض يسير فى طريق غير واضح او طرق مشتته لااتردد فى التدخل لاقتراح طريق اخر، بالاضافة لذلك فان هورنى تختلف عن فرويد ويونج بتشجيعها للتحليل الذاتى Self-analysis، وتحذر ايضاً من التأكيد على خبرات الطفوله الامر الذى قد يشجع المريض على الاغراق فى ذكريات الماضى المؤلم، وبذلك يكون من الصعب عمل خطه شامله لمهام العلاج ، وتؤكد هورنى على انه ينبغى ألا يتجاهل المعالج القيم الخلقية للمريض، وما يمكن ان تقوم به من دور فى الاستقرار النفسى له اذا كان لديه نظام من الاسس الخلقية المستقرة (Horny 1950) .

مراحل العلاج : يتكون العلاج النفسى عند هورنى من مرحلتين اساسيتين :

يأمل معظم المرضى فى تحسين سلوكهم العصابى بدون تغيير او حتى بدون اعتراف بصراعاتهم الداخلية. لذلك فان المعالج يساعد المريض على :

أولا : فى اكتشاف أن حل العصاب المتسلط يعتمد على هزيمة الذات Self-defeating بصورة قهريه، وذلك اثناء تأجيل اى تفسير للميول المعاكسه المكبوته. ولقد حذرت هورنى من انه لاجدوى من عرض التغيرات الاساسية للسلوك اثناء اقناع المريض من ان التحرك ضد او بعيدا عن الناس امر مرغوب عنه، وتعويض الصوره المثالية التى ربما تكون الدليل الوحيد فى حياة المريض حتى اكتسابه مقياس اقوى للحقيقية.

ثانيا : عندما يصبح مريض العصاب اقل صلابة فى توجيهه، ويسمح للصراعات الداخلية المكبوتـه بالظهـور، والرغبـات الحقيقية تصبح اكثر قابلية للوصول لها من قبل المريض والمعالج معاً(Horny, 1945).

وتعرف هورنى ان الهدف من العلاج النفسى ليس الوصول الى حالة الكمال ولا امكانيه الهروب من صعوبات الحياه اليوميه " لايستطيع المحلل (المعالج) تحويل المريض الى انسان سليم تماماً، وانما يستطيع مساعدته فقط لكى يصبح حر فى الاجتهاد للاقتراب من المثالية ، وليس الهدف من التحليل الرجوع الى حياة خاليه من المخاطر والصراعات ولكن لمساعدة الفرد وتمكينه من حل مشاكله (Horny, 1945) .

المقاومة والتحول :

تشارك هورنى فرويد الرأى فى ان المريض يكون لديه مقاومة لاشعورية للعلاج النفسى، ولكنها ترفض فكره التدمير الفطرى للذات او الدافع المحرم illicit drive وفى رأى هورنى ان المرضى يرفضون بفاعليه الحلول العصابيه وينكرون وجود صراعاتهم الداخليه بغرض حفظ الاحساس بوحدة الشخصيه، ويتجنبون توقع التغير المرعب، ويتمسكون بالنموذج الناجح والواضح للتوافق غير المرغوب، وعلى اية حال فأن المقاومة غير مؤذيه، ولكنها تحقق دليل مفيد للموضوعات اللاشعورية الهامة التى يرغب المريض فى تجنبها كما تمدنا ببعض التنبيهات ، عندما يعطى المريض تفسيرات ذات تهديدات كبيره (Horny, 1950)

وفى تعارض واضح مع ادلر، ترى هورنى ان التحول كان أحد الاكتشافات العظيمة لفرويد ، وهى ترفض ثانية التفسير المعيارى للتحليل النفسى من ان التحول إلزام برجوع (ترديد) السلوك الطفولى، وبدلا من ذلك فهى تجادل فى ان المعالج يصبح جاهز لمحاولات المريض فى ان يتحرك تجاه او ضد او بعيداً عن الناس، ولذلك فان العصابى العدوانى يحاول السيطره على المعالج، اما العصابى الانعزالى (إالمنعزل عن الاخرين) ينتظر كالمتفرج (كمريضى يتفرج ويشاهد) للمعالج وهو يقوم بتقديم علاج عجيب له. اما العصابى المساير يستخدم الالم والمعاناه للحصول على المساعدة . (Horny, 1950) .

الجنسيه الانثوية Female- Sexuality

على الرغم من ان هورنى ترى فى نفسها مبدئيا انها من الفرويديين الجدد Neo-Freudian الا ان نظريتها فى الجنسيه الانثوية اكثر تطابق مع نظريه ادلر، وكتابتها الاولى المبكرة ترضى بوجود ما يسمى بحسد القضيب، ولكنها اخيراً رفضت الجدل الفرويدى حول حاجة النساء الاسوياء الى طفل صغير كبديل عن القضيب، او ان نقص او فقد Lack العضو الذكرى ينتج عنه احتقار الذت ولومها وضعف الانا الاعلى، ومن وجهة نظر هورنى . انه من الصعب الاعتقاد بأن ذلك العضو الذى بُنى بناءاً بيولوجياً من اجل القيام بوظائف انثوية يمكن ان يؤدى نفسيا الى الرغبه فى خصائص ذكريه، او ان نقول ان نصف الجنس البشرى غير سعيد بجنسه، وهى تلخص فى نقاط ان نظرية فرويد للتحليل النفسى ركزت قبل كل شيئ على دراسات قام بها معالجين ذكور على مرضى ذكور ايضا، وهو ما قد يخفى تماماً سعاده وبهجة الامومه وبعض مظاهر التسامى الانثوية الفريده (Horny, 1967) .

وبدلا من ذلك تؤكد هورنى على دور المؤثرات الثقافية فى السلوك الانثوى ، فإذا اعتبر المجتمع ان القوه والشجاعة والاستقلال والحرية الجنسيه كصفات ذكرية أساسية ، واعتبر المذله والتبعية كصفات انثويه فطريه سوف تتجه النساء لتعتقد انهن ذات مكانة ثانويه " فالنظرة الى النساء من انهن مخلوقات ضعيفات وعاطفيات لايتحملن المسئولية ، ويعتمدن على الاخرين هو نتيجة الميول الذكريه كجعل المرأه اقل شأناً وتقليل تقديرها لذاتها " (Horny, 1967) ، وترى هورنى ان الحسد يعمل فى كلا الطريقين ، فالرجال لديم غيره لاشعوريه من صدور (اثداء) النساء ، وسلبيتهم مقابل قدرة المرأة على رعاية الاطفال ، وهى تحذر ايضاً من ان مفهوم حسد القضيب قد يشجع الاناث المرضى لاظهار مشكلاتهم بلومهم لطبيعتهم الانثويه بدلا من لومهم لسوكهم العصابى " فكل شخص ينتمى لمجموعة قاصرة أو مجموعة أقل يميل لان يجعل من هذه الحالة مبرراً او غطاءاً للشعور بالنقص من جوانب مختلفه .

تقييم نظرية هورنى :

انتقادات وخلافات :

انتقدت هورنى بشده لاقتباسها الكثير من علم النفس الفردى ، والتحليل النفسى ، ولفشلها فى تقديم تركيب واضح لنظريتها ذات صيغة جديدة وفعاله ، فالصورة المثاليه تشبه الى حد كبير جزء من عقدة النقص وفكرة الصراعات النفسية الداخليه بين هذه المتناقضات (الذات المثاليه والمدركة) كالعدوانية ، والعجز يشبه ميكانزمات الدفاع مثل التكوين العكسى عند فرويد بالإضافة لذلك فإن تحقيق الذات هى فكرة يونج فى الاصل .

والحكم العلمى قد يكون قاسيا على اؤلئك الذين يقومون بمجرد تعديل افكار الناس الاخرين كما لاحظت هورنى ذلك بنفسها ، ولاتثير نظرية هورنى بحوثاً تجريبيه بدرجة كبيره وربما الاكثر أهميه من ذلك تأكيدها الصريح للاسباب العصابيه (اسباب العصاب) واهمالها لنمو وتركيب الشخصية السوية ، وحيث انها تنظر الى العصاب كحالة متدرجة ، وان استخدام مصطلح العصاب فقط فى حالة شعور الشخص بأنه عصابى Neurotic ونظريتها بذلك غير ملائمة بأى حال للأفراد الأسوياء ، لذا أخذ كل النقاد عليها كتاباتها عن قيم سطحيه ووصفوها كالتى تقوم بالطب الكلينكى بطريقة جديدة مستخفين بأهميتها كواضعة لنظرية فى الشخصية .

إسهاماتها :

تمثل كتابات هورنى وجهة نظر معالجين نفسيين مهره واكفاء ظهروا بوضوح وجلاء لتسهيل التحليل الذاتى وفهمه ، ومحاولتها تعديل التحليل النفسى الفرويدى فى اتجاه طريقة ادلر . بدرجة كافية ليكون أفضل فى اعتبارات عديدة ، وتقدم بديل قابل للنمو لهؤلاء الذين يقبلون بعض من معتقدات ادلر ، ويرفضون نظرية الليبيدو لفرويد ، لذلك تريد ان تحتفظ بفكرة الصراعات الداخليه ، ومدخلها الى مثل هذه الظواهر المهمه مثل القلق ، والتحول تُعد اكثر تبصراً من ادلر – وقد كان لرأيها فى تحرر المرأة وافكار مثل تحقيق الذات مكانه بارزه فى عمل كثير من علماء النفس مثل ألبرت إليس Albert Ellis صاحب نظرية الأفكار العقلانية ، وكارل روجرز Carl Rogers صاحب نظرية الذات .

ولقد قسمت هورنى الاستبصارات القيمة وحسنه التشخيص الى معنى وديناميات للشكل الاكثر انتشاراً للأضطراب النفسي والعصاب ، بالرغم من ان هناك الذين يعدون هورنى كخارجة عن العصر ، الا ان الكثيرين يرون ان اعمالها يجب أن يقرأها كل من يرغب فى الفهم الجيد للشخصية الانسانية .

الفصل السادس

العلاقات الشخصية المتبادلة II

إريك فروم (١٩٠٠ - ١٩٨٠)

كان فروم فى وقت ما زميل لكارن هورنى ، ونظريته فى الشخصيه هى مزيج من نظرية فرويد وادلر . . حيث كان فروم يكرس انتباه اكبر لدور القوى الاجتماعيه ويعكس عمله بشده نظريه كارل ماركس Karl Marx الذى كان ينظر اليه على انه مفكر اكثر عمقاً من فرويد (Fromm, 1971 a) .

نشأته وحياته :

ولد فروم فى الثالث والعشرين من مارس ١٩٠٠ فى فرانكفورت بألمانيا ، وكان الطفل الوحيد لوالديه ووصف بأنه عصبى ، وكان والده يعمل فى تجارة الخمور ، وطفوله فروم تحمل تأثير قوى لليهوديه ولكنه رفض عقيدته الاصليه فى السادسه والعشرين من عمره لانه كما يقول " اننى لا افضل اطلاقاً ان اشترك فى تقسيم الجنس البشرى سواء كان ذلك تقسيماً دينياً او سياسياً " .

وعلى عكس فرويد وأدلر ويونج وهورنى لم يكن لفروم تدريب طبى - ولكنه حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هيدلبرج Heidelberg عام ١٩٢٢ ودرس بعد ذلك فى المعهد القومى للتحليل النفسى ببرلين ، وكما حدث لأدلر ، أدى التخريب الذى اسفر عن الحرب العالميه الاولى الى احداث صدمه عميقه له واثرت فيه ودفعته نحو الايمان بمبدأ الاشتراكية الماركسية . . وتزوج فروم من فريده ريتشمان Frieda Reichmann فى ١٩٢٦ عالمة التحليل النفسى المشهوره ، وما لبث ان انتهى زواجهما بالطلاق ، وتزوج فروم بعد ذلك من هنى جارلاند Henny Garland عام ١٩٤٤ التى ماتت فتزوج من أنيز فريمان Annis Freeman عام ١٩٥٣ وزار فروم معهد شيكاغو للتحليل النفسى عام ١٩٣٣ كأستاذ زائر وهاجر الى امريكا بعدها بعام واحد وظهر كتابه الاول " الهروب من الحرية Escape From Freedom الذى طبع فى ١٩٤١ واعيد طبعه فى ١٩٦٥ ، ولانه خرج عن نطاق نظرية فرويد بتأكيده على تأثير العوامل الاجتماعيه فى الشخصية ، أسقطت عضويته فى المؤسسة العالميه للتحليل النفسى ، وفى سنة ١٩٤٥ كون فروم مع وليام ألنسون William alanson المؤسسة البيضاء للعلاج النفسى . . وقام بالتدريس فى جامعة كولومبيا ، وجامعة يل Yale وجامعة ولاية ميتشجان Michigan وجامعة نيويورك ، والمدرسه الجديده للدراسات الاجتماعية ، ولقد ركز فروم نشاطه واهتمامه على المشاكل الاجتماعية والفلسفه السياسيه وساعد فى تأسيس The National Committee for a sane Nuclear Policy (SANE) عام ١٩٥٧ وتشمل اعماله المنشوره اكثر من عشرون مجلداً العديد منها اثبت شعبيته لدى عامه الجمهور وقد خدم فروم كأستاذ للطب النفسى فى الجامعة الوطنيه فى مكسيكو مدة ستة عشر سنة ومات بأزمة قلبيه فاجأته فى منزله بمورالتو Muralto بسويسرا فى الثامن عشر مارس ١٩٨٠ .

طبيعة الشخصية :

الدوافع العضوية مقابل الدوافع غير العضويه :

العزله والتضاد :

طبقا لفروم (Fromm, 1976b) فان الانسان شاذ onomaly ويمثل نزوه الكون، والحافز الاصلى لنا هو وقاية الذات Self-Preservation ، لذلك فنحن مرتبطين ارتباطاً معقداً بالطبيعة الحيوانيه وبدوافعنا الفطريه (الغريزيه): الجوع - العطش - الجنس - والدفاع ضد الحرب او الفرار، كذلك فان قمة تفكيرنا يجعلنا ننفصل عن طبيعتنا وينتج الشعور بالوحده والقلق الذى لايوجد في الاعضاء الدنيا من المخلوقات - والسلوك البشرى لايمكن ان يتبع ببساطه المسلك الفطرى فقط السابق ذكره ، ولذلك فنحن نمتلك مثل هذه النوعيات الفريده كالوعى الذاتى Seff- awareness ، والنسبيه، والتصور، وبدلا من ذلك يجب علينا ان نكافح ، ونناضل، ونسعى لنؤكد اسباب وجودنا لنخلق لنا مكاناً خاصا بنا فى هذا العالم . ويجب ان نتصدى لمشاكل البشريه المميزه، وغير المرضيه، ويجب ان نواجه الحقيقه التى تهددنا بأن الموت سيحرمنا من الوقت اللازم والكافى لننجز ما يجب ان يكون " انها الحقيقه المره والمؤلمه لمعظم الناس انهم يموتون قبل ن يولدوا حقيقة" . (Fromm, 1971 b). وهكذا فأن الكثير من الدوافع البشريه تتكون من دوافع غير عضويه مكتسبه (متعلمه)، او انفعالات متأصله الجذور والخصائص .

الدوافع غير العضوية :

ولان دوافعنا غير العضويه ليست غريزية لذا فانه من الصعب اشباعها، وليس لدينا برنامج فطرى حتى يمكن التأكيد على ما تم انجازه، ولذلك فأنه من السهل جداً أن نختار بدلا من الاهداف التى تبدو بعيده المنال أهدافاً أخرى قريبه، ولكن النتيجة النهائية تسبب عدم الارتياح حتى ولو كان ذلك اثناء العلاج النفسى .

الحاجة للاخرين The Need for others

بسبب مشاعرنا الانسانية المؤلمه بالعزله (المصحوبه بالالم والعزله). ولأننا ضعفاء ومكتئبين وتعساء فى مقابل قوى الطبيعة الجباره، لذا يجب ان نتعاون معاً لكى نحمى انفسنا ونحيا، "ان الضعف البيولوجى للانسان هو طبع ينعكس على الثقافة الانسانية،

والانسان بداية إجتماعى بطبعه ، وعلم النفس الفردى هو فى الاساس علم نفسى اجتماعى Social psychology (Fromm, 1976 c). ان اهدافنا ان تتأصل الجذور الاجتماعية الآمنه ، وتحقيق اكبر قدر من الانجاز تحت مظلة من الحب الناضج الذى يشبه مفهوم أدلر عن الاهتمام الاجتماعى .

" ان ضرورة الاتحاد مع الكائنات الحيه الاخرى والاتصال بهم حاجة ماسه تتوقف عليها صحة الانسان العقليه وهذه الحاجة تكمن فى كل ظاهرة من ظواهر العلاقات الانسانية الفرديه وفى كل لون من الوان عواطف المحبه بأوسع معانيها . وهناك عدة وسائل تمكن الفرد من تحقيق هذا الاتحاد فذلك يكون بالخضوع لشخص معين أو لجماعة او نظم أو اله وبذلك يتجاوز المرء عزلة وجوده الفردى بانتمائه الى شخص او الى شيئ اكبر من نفسه ، ومن الممكن ان يتجاوز المرء عزلته بوسيله اخرى ، فهو يستطيع ان يتصل بالعالم بتسلطه عليه وذلك بأن يجعل غيره جزءاً منه ومن ثم يتجاوز وجوده الفردى بالسياده والسيد والمسود كلاهما يفقد وجدانيته وحريته ويعيش كل منهما كل على الاخر لكى يشبع رغبته فى الاتصال بغيره " . (اريك فروم ، ١٩٦٠).

ان فن الحب يشتمل على الاهتمام الطبيعي للاخذ والعطاء مع الاخرين ، إنه المعرفة الموضوعية والملموسه لمشاعرهم او رغباتهم الحقيقيه واحترام حقهم فى التطور والنمو بطريقتهم الخاصة بهم ، واحساسهم بالمسئولية تجاه كل البشريه " الحب ليس فى البدايه علاقة بشخص معين (بعينه) ، انه توجيه لخصائص الشخصيه التى تعتزم عدم الارتباط الشخصى بالعالم ككل ، فلو اننى حقيقة احب اى شخص فان هذا يعنى اننى احب كل الناس ، واحب الدنيا ، واحب الحياه" (Fromm , 1976c) .

وهكذا يرى فروم ان الحب هو الاتجاه الوحيد الذى يستطيع المرء ان يشبع به حاجته الى اتحاده مع العالم كما يشبع فى الوقت ذاته حاجته الى الاحساس باستقلاله الذاتى وبفرديته ، ويقسم فروم الحب الى عدة انواع :

- الحُب المُنتج . ويقصد به اتصال الفرد ببنى الانسان وبالطبيعه وبنفسه اتصالا ايجابياً انشائيا فى المجالات المختلفه الفكريه والعمليه ، والحب المنتج قد يكون اخويا بين الند والند على اساس المساواه ، وقد يكون (امويا) تقوم العلاقة فيه بين الام والطفل على اساس من عدم المساواه ، ولكنها عونا للطفل على الانفصال عن امه والاستقلال .

- الحب الجنسى : وهو التعلق بشخص واحد وهو عادة من الجنس الاخر يشتهى الانصهار معه والاتحاد به ويبدأ الحب الجنسى بالانفصال وينتهى بالوحده على خلاف الحب الاموى (اريك فروم ، ١٩٦٠).

كل انسان لديه القدره على الحب ، ولكن تحقيق ذلك صعب للغايه ، فنحن نبدأ الحياة بتمركز الطفوله الكامل حول الذات Self Centerd ولانستطيع حتى التميز بين ذاتنا والاخرين " النرجسيه الاوليه كما فى نظرية فرويد" Primary Naricissism والخبرات المرضيه اثناء السنوت اللاحقة تستطيع كلها بسهوله ان تعيدنا الى هذه الحاله غير الناضجة " النرجسيه الثانويه Secondary naricissism والسلوك الناتج يشبه المؤلف أو الكاتب الذى يقابل صديقا له ويتحدث باستمرار عن نفسه لبعض الوقت ، وينهى ذلك بقوله دعنا الان نتحدث عنك كيف رأيت كتابى الاخير ؟.

والنرجسية هى نوع من الخبره التى يرى الشخص فيها نفسه - جسمه وحاجاته ، وتفكيره وكل شيئ وكل فرد يتعلق به كحقيقة كامله. بينما كل فرد، وكل شيئ حتى الذى لايكون جزءاً من الشخص او حتى تلك التى لا تمثل موضوعاً فى حاجاته ليست مهمه او حقيقة كاملة له . . معظم الاشخاص لايكون لديهم وعى او ادراك بنرجسيتهم . ولكن فقط هؤلاء قد يعلمون بتلك المظاهر التى لاتكشف عنها بجلاء (Fromm , 1980).

النرجسية الاولية لاتخلو من القيم فنحن لانريد ان نكرهها لتبقى تحديات الحياه ولنظل ننظر لانفسنا بشيئ من الاهتمام وكنتيجة : فان بعضنا يبقى فى النهاية نرجسى الى حدما ، وليس هذا فحسب ربما يكون الاكثر اهمية لكل الاهداف الانسانية ان تتغلب وتبرز هذه الميول الفطرية ، فالميول الذاتية المبالغ فيها تعوق الاغراض الحقيقية للاخرين وتفسد العلاقات الشخصية مع الاخرين، والطريق الوحيد الذى نحصل به على ارساء جذور الامن الاجتماعى وحفظ الكرامة الشخصيه يكون عن طريق الانتماء للاخرين فى علاقة حب طبيعية وناضجة .

السمو/ التفوق :

عدم حب الاجناس الاخرى يدل على ان الانسان يبقى غير راضى عن دوره كمخلوق ونحن نحتاج الى السمو على الحاله الحيوانيه والسعى الى التأثير القوى فى بيئتنا، وفروم كأدلر، وهورنى يعتقد ان لدينا ميول فطريه لتحقيق السمو بطرق بناءه " الكفاح من اجل

الصحة والسعاده. هو أحد اجزاء العتاد الطبيعى للانسان، فكل الاعضاء والاجهزه لديها ميل فطرى لجعلها (الصحة والسعادة) امراً واقعياً (Fromm, 1976 c)

وهنا ثانيه : فان تحقيق جهودنا الايجابية ليس مطلب سهل، بالاضافه لذلك ، فان دوافعنا الفطريه للنمو تدفعنا لنحمى انفسنا ضد التهديد بالهجوم ، ويعرفه فروم بالعدوان الرقيق bengin aggression الذى يحتوى فى داخله قدرة ثانويه غير فطريه تعد دافعاً محطماً ولايخدم أية دوافع عقلانية ويعرفه فروم بالعدوان المؤذى malignant aggression فإذا حدث لفرد ما تعثر فى نمو كنتيجة للسلوك غير السوى للوالدين مثلاً سيتحول النوع الأول من العدوان الى النوع الثانى بدلاً من ان يكون بمثابة قوه دافعه للابتكارية الخلاقة . .

الهوية : Identity

لايوجد لدى الحيوانات غير الراقية احساس بالهويه لكن الانسان يحتاج الى الشعور بالأنا" انا اكون I am I " (Fromm, 1976 b) بالاضافة الى الارتباط بالاخرين. . فإن الطفل الذى يكون فى طور النمو عليه ان يتعلم كيف يحيط بالروابط البدائيه المتعلقه به مع والديه وان يقبل الانفصال عن الكائنات العضوية الاخرى .

كما يحدث للدوافع غير العضويه - فإن من الصعب تحقيق الهويه لأن الحياه مليئه بالاخطار وهو ما يدفع الشخص لأن يكتسب نوعاً من الأمان والانتماء الى قوة تحميه ، حتى ذلك الطفل الذى كان فى طور النمو والذى كان يدعى " اوديب" فإن صراعاته ترجع لرغبته القويه فى الآمن والآمان .

فالفرد الناضج يكون اكثر وعياً عن الطفل بمخاطر الحياه، فهو يعرف القوى الاجتماعية والطبيعية التى لايستطيع التحكم فيها، والاحداث التى لايستطيع التنبؤ بها، وكذلك وعيه بالمرض والموت بانها أشياء لايمكن التملص منها- وما الذى يكون اكثر طواعية للإنسان ويحقق رغبته فى قوة تعطيه الحمايه والحب المؤكد، ولذا فهو ممزق (مشتت) بين ميلين منذ لحظة ميلاده، اولهما ان يتوافق مع ضؤ الحياه والاخر ان يرتد مرة اخرى الى الرحم الذى خرج منه، واحد للمغامره والاخر للتأكيد، واحد للاستقلال والاخر للحماية والاعتماد . (Fromm, 1980) .

اطارات التوجيه والتكيف وفقا للظروف والحقائق والاوضاع :

كما كان يعتقد يونج فان فروم يرى انه لابد لنا من الاحساس بمعنى الحياة والغرض منها ، فكلنا يحتاج لفلسفة شخصيه ترسى قيمنا واهدافنا فى الحياه وترشدنا ازاء انماط السلوك المفروضه والثابته، وتحدد لنا مكاننا فى العالم الذى نعيش فيه عن طريق الاطار التوجيهى او اطار من التقوى Frame of devotion . والانسان لايعيش وحيداً ولذا فهو يبحث عن اجابة لمطالبه الانسانية وعن وجود معنى له، ومحاولته تحقيق الاحساس بوجوده هذا (Fromm, 1976c)

ان الحاجة لوجود فلسفة شخصيه وثابته هى حاجة قويه ايضاً وذلك لبناء اطار عقلانى ينظم علاقتنا بطريقة سليمة ، فالاطارات البدائية الصحيحة/ السويه تؤكد على الحب، التنافس، الانتاجية، العقل ، وحب الحياه biophilia، بينما الاطارات غير العقلانية تنغمس فى حب الموت necrophilia، التدمير، القوة، ، الثروه، والاعتماد التكافلى، فالشخصية بلا شك محددة الابعاد حيث انه بالنسبه لاطارات التوجيه المختلفه قد تتصارع مع بعضها فى درجات متفاوته. ولذلك فالشخص المسيطر والمحب قد يكون نرجسى الى حدما او ذات اطار توجيهى قوى ثابت او اطار خير متصدق شعورى ربما تحكمه عوامل لاشعورية وبدون النظر للشكليات "فنحن لانجد اى ثقافة قديمه او حديثه لاتشمل قليل او كثير من الاطر التوجهيه وكذلك الاشخاص. (Fromm, 1973) .

تكوين الشخصية :

الى حد كبير لايكرس فروم انتباها كبيراً على بناء الشخصية فهو قد قبل بطريقة مبدئية تحول الأنا الاعلى Superege من حالة القسوة والوحشية (عدم التبصر بالقيم والمعايير) الى حالة اللين (الادراك والتبصر بالقيم) وقد وصف الأنا الاعلى بانه موروث او مستمد من الوالدين واضاف الى ذلك فكره الضمير الامومى الموروث Maternal وبالتالى فان النتيجة النهائيه التى استخلصها أنه الافضل ان يتحرر علم النفس من نفوذ نظرية طاقة الليبدو وجزئياً من مفهوم الهى ، والأنا ، والأنا الاعلى (Fromm, 1973) .

ميكانزمات الدفاع والهروب :

يؤكد فروم على اهمية العمليات اللاشعورية والميكانزمات المختلفة للدفاع . وتتضمن التبرير، رد الفعل، النكوص، الكبت، وغيرها من ميكانزمات الدفاع:

الشخصى اذا كان صادق وموضوعى ربما تحركه بصوره متكرره دوافع لاشعوريه تختلف من شخص لاخر ويعتبر انه مدفوع بها. وثورة فرويد جعلتنا ندرك الاعتبارات اللاشعورية لعقل الانسان، والطاقه التى يستخدمها الانسان فى قمع الاهداف غير المرغوبه بصوره واعيه . وأوضح ان المغزى الجيد لايعنى شيوع فى اللاشعور ، لقد كشف الامانه بدون امانه وبتوضيح انه ليس من الكافى ان يكون لدينا معنى" للشعور" وعلم النفس فقط هو الذى انتفع بمفهوم القوى اللاشعورية عن طريق ادراك مبررات الخداع بتحليل كل من الفرد او الثقافة (Fromm, 1980) .

واكثر الموضوعات التى يكبتها الانسان هى الانفعالات والاعتقادات غير الساره مثل الهلاك والتحطيم ، الكراهية ، الحسد ، النفاق، الثأر والخوف من الموت. وكما فى نظرية يونج - حتى الخصائص الايجابية يمكن ان تكبت ايضا اذا هددت الاطار التوجيهى للفرد. (Fromm, 1965) .

بالإضافة الى ميكانزمات الدفاع يقدم فروم ثلاث وسائل اخرى لتخفيف شعورنا بالعزله والهروب مما يهدد حريتنا من سلوك فطرى هو قدرنا ، وميكانزمات الهروب الثلاثة هى :

١ - الخطوع للسلطة authoritarianism ، وهو ما يرمز الى الارتباط الانفعالى العاطفى بالافراد الاخرين والذى يتكون من اتجاهين متعارضين : الاعجاب بالسلطه، والرغبة فى الاستسلام لقوة الاخرين (المازوخيه) بالاضافة الى الرغبه فى ان يكون مركز السلطه والسيطره على الاخرين (السادية) وكمثال على ذلك الزواج الذى يشمل خصائص الاستسلام والسيطره وحتى مع الوالدين ينعكس كلا الاتجاهين فى اوقات مختلفه، واتباع المتعصبين للملوك الطاغين من امثال هتلر وغيره .

٢- العدوان المؤذى : هو أيضا احد ميكانزمات الهروب ، فالشخص يبحث عن وسيلة يبعد بها التهديدات الخارجيه عنه بدلا من ان يفهمها ويتوحد معها .

٣- ومن اكثر ميكانزمات الهروب فى المجتمع المعاصر هو المسايره الذاتية أو التألف الذاتى automaton conformity وكالحرباء التى تغير لونها يتوارى الانسان فى دور اجتماعى مقبول (فهو شخص اشبه بالحرباء) يتوارى فى الادوار الاجتماعيه المقبولة، والمسايرة الذاتيه شعور غير مرغوب فيه لانه يتعارض مع الحاجة للهويه،

ولان كل المجتمعات يمكن ان تمرض كالأفراد ومن ثم يكون النمط الشائع من السلوك مرضى (Fromm, 1965) .

نمو الشخصية :

على العكس من فرويد - لم يحدد فروم مراحل متميزه لنمو الشخصية ، وهو ايضا يحيد(يميل) عن معيارية التحليل النفسى ويرى ان الشخصية تستمر فى النمو خلال المراهقة والرشد ، بالرغم من ان التأثيرات الخارجية يجب ان تكون محدوده الأثر فى الكبار وذات اثر اقل فى تكون انطباعات الفرد (Fromm, 1976c) ويتفق فروم مع فرويد حول الاعتقاد بوجود الجنسيه الطفليه أى بوجود النشاط الجنسى فى مرحلة الطفولة . ويتفق معه ايضا فى ان الشخصيه تتحدد خلال السنوات الاولى من العمر ، حيث الفتره الطويله من الاعتماد الانسانى على الاخرين تخدم كدروس فعاله فى الحاجة للارتباط بالاخرين .

ونظرية فروم ليس لديها الكثير عن تطور الشخصيه- فالطفل النامى يتعلم ببطء التميز بين انا I ، وغيرها "Not I" (انتقالية من الأنانية الى الغيريه) وذلك من خلال الاتصال بالبيئة مع التأكيد على اهمية دور الوالدين ، حيث ينمو لديه الاحساس بالهوية Sense of Identity الذى استعاره (اقتبسه) فروم من مصطلح يونج الفرديه Individuation .

وبالرغم من ان الاحساس بالهويه من مبادئ النمو السوى . فانه يعمل على زيادة انفصال الطفل عن تأثير الاسره وينمى فيه الشعور بالعزلة ويولد لديه الشك حول حقيقة مكانتة فى المجتمع . فالحرية لعمل ما يريد لاترتبط فقط بالتحرر من السلطة ولكن ايضا بالتحرر من امنها وحمايتها (بالتحرر مما تقدمه من امن وحماية) وحتى بصفته الانسانية يكسب استقلالا عظيماً خلال دروس التاريخ ،لقد اصبحنا اكثر استقلالية واكثر قلقا " عندما يصبح شخصاً ما فرداً، فأنه سيقف وحيداً فى مواجهة اخطار العالم ومظاهر العنف فيه (Fromm, 1965) .

إذا آمن الطفل بقدرته الذاتية/ الخاصة وسعة حيلته مع زيادة الشعور بالعزله ، والقلق فان شخصيته بذلك ستنمو بطريقة عادية ، هذا النمو الايجابى يسهل وجوده النمط الوالدى biophilous والذى يتسم بالدفء والفاعليه وعدم التهديد والذين يعلمون اطفالهم عن طريق القدوه وليس بالاجبار ، ولكن اذا فقد الطفل الاحساس بالاعتماد على الذات نتيجة

سلوك والدى مرضى، فان الطفل يميل للتضحية بقدراته الفطرية السليمة ويبحث عن مخرج وطريق هروب من حالة التهديد الانسانية لعزلته بطريقة غير رشيده، وعلى سبيل المثال : فالوالدين القاسيين قد يستخدما الطفل لتحقيق طموحاتهم المُحبطه للنجاح فى الجوانب المهنية والاجتماعية او للتمتع بالاحساس بالقوة الشخصية، مثل هؤلاء الاباء يكون من الافضل لهم كبت ميولهم الحقيقية (وافاضة الحب على الطفل) وتركيز اهتمامهم على الطفل والتضحية من اجله وتوجيهه ، وتقديم الهدايا كتشجيع له ولكن بطريقة ذكية وصحيحة ليتعلم الاستقلال .

الطفل المدلل (الذى يوضع فى حقيبه من الذهب) الذى يحصل على كل شيئ يتمناه لايريد ان يترك هذا التدليل او يغادر هذه الحقيبه. والنتيجة لذلك غالبا هى تعميق الخوف من الحب فى الطفل عندما يكبر، ويصبح الحب بالنسبه له هو الأخذ دون العطاء، والخوف من السعى للحصول على الحريه (بل الارتباط الدائم بالوالدين). (Fromm, 1965).

ومن امثلة الانماط السلوكيه الوالديه المرضيه كما يراها فروم التشاؤم ، الغيره، النرجسية، القسوه، والعقاب البدنى، مثل هذه الصور من سؤ المعامله الوالديه تجعل الطفل يعتقد ان حب الوالدين له شيئ فيه إستثناء وليس شيئاً حقيقياً. (Fromm, 1976c)

انماط الشخصية :

الصفات التى توصف بها الشخصية السويه تشمل ، الحب ، الابداع، والعقلانيه وتشكل الاطار المرجعى او التوجيهى المنتج Productive (Fromm, 1976a) مثل هذه الانماط الشخصية تقابل خصائص الشخصية القضيبيه عند فرويد (بدون تضمينات جنسيه)، فهو لايرجعها الى عوامل جنسيه وانما الى عوامل اجتماعيه وبيئيه مثل السلوك الوالدى اكثر مما ترجع إلى الغرائز الجنسية .

وكما رأينا، فالمبادىء غير المرغوبه او الاطر المرجعيه غير المنتجة وتشمل الارتباط التكافلى او الارتباط الاعتمادى بين الطفل ووالديه، النرجسية ، والسعى القسرى فى سبيل الثروة والقوة، التخلى عن (اهمال) الشعائر الدينيه، وميكانزمات الهروب الأخرى (كالخضوع للسلطه، المسايره الذاتية ، تحطيم الذات) بالاضافه الى ذلك فقد وصف فروم اربع انماط من الشخصية ذات الاطار المرجعى المنتج. (Fromm, 1976a)وهى :

١- الشخصيه حسية المرجع : تتسم بنزعة الى تقبل المقترحات او العروض بعطف. وتشبه فى خصائصها الشخصية الفميه الاعتماديه فى نظرية فرويد (بدون تضمينات جنسية ايضا)، وطبقا لمفهوم هورنى " التحرك نحو الناس. ، هذا النمط يعتقد ان منبع كل شيئ مرغوب يكون خارجى (مركز التحكم لديه خارجى). ويبحث عن الامان الكافى عن طريق كونه محبوب ومحل رعايه الاخرين.

٢- الشخصيه استغلاليه المرجع Exploitative : وهى تنظر ايضاً الى ان كل شيئ حسن يكون مصدره خارجى (مركز تحكم خارجى)، ولكنه يكافح للحصول عليها من خلال استخدام قوته ودهاؤه ، مثل هذا الشخص يشبه فى خصائصه الشخصيه الفميه الساديه فى نظرية فرويد (Fromm, 1973) ووصف هورنى للشخصيه التى تتحرك ضد الناس.

٣- الشخصية سياجية المرجع hoarding : وتتصف بالبخل، الالتزام القهرى بالنظام الثابت - العناد، وتشبه فى خصائصها الشخصية الشرجية فى نظريه فرويد، والتى "تتحرك بعيداً عن الناس" فى نظرية هورنى، او كما يصفها أدلر (Adler, 1957) هى شخصية لديها رغبة فى الحفاظ على الاشياء عديمه القيمة، شخصية تزخر بالحيرة والقلق، وتتميز بالتكتم وتمنع اى شيئ من اسرارها من الخروج وتحافظ على ما بها فى داخلها (Fromm, 1973).

٤- الشخصية تسويقية المرجع Markiting : وهذا النمط من الشخصية لايقابل أية انماط فى نظرية فرويد، ولكنه يشبه الى حد ما الشخصية فائقة النمو (overdevelopment persona) فى نظرية يونج والشخصيه التسويقيه تعتبر نفسها كسلعه وتسعى لإيجاد الرواج الخارجى لها. ، والفرد يعرض نفسه فى السوق الاجتماعى، بينما بعض البريق الاجتماعى يبدو مرغوب لديه، هذا الفرد يميل لكبت حاجاته الداخليه للهويه وتحقيق الذات بغرض ان يصبح قدوه امام الاخرين.

ويضيف فروم (Fromm, 1973) ما يسمى بالشخصيه البيروقراطيه وهى شخصية تتمسك بالتعليمات الوضعية بصورة حرفيه، وهى شخصية ذات تكيف غير منتج تخضع للسلطه حيث يوجد اشخاص من هذا النوع يتم التحكم فيهم من اعلى بينما لديه السلطه لأن يكون اكثر مرونه، وهو كمن يستخدم رمزا أو لونا ليعبر عن عدائيته وساديته نحو الاخرين وربما يتحين الفرصه لاغضابهم عن طزيق غلق شباك الزبائن قبل الوقت المحدد

مجبراً واحد او اثنين من الناس الذين يقفون فى طابور منذ فتره لكى يغادر المكان وهم صفر اليدين . ويفرق فروم (Fromm, 1976 c) بين التكيف غير المنتج والتكيف المنتج بالفروق الجوهرية بين الشخصية سياجية التكيف والشخصيه تسويقيهالتكيف فالأول يميل لينتج الجشع والطمع . . . مثل هذه الشخصيه تعرف بالمعادلة الاتية :

انا موجود لانى املك كذا Iam(i.e. exist) because I have X

او انا اساوى ما املكه وما انفقه Iam = what I have and what I consume

وقد اشار فروم بأن الانواع المختلفة من التكيف غير المنتج تختلف فى الدرجة كما تختلف فى النوع ، حيث قد تختلط بالتكيف المنتج (او يختلط كل منهما بالاخر). على سبيل المثال . الشخص الذى يتقبل الاراء الى حدما ، وهو ايضا ذات انتاج غزير ربما يكون مؤدب ومتوافق ، بينما نمط الشخصية التسويقية غير المنتجةالمتفتحه ربما يكون ضعيف وغير متمسك بالقيم وبالمثل فالشخص البطولى الاستغلالى قد يكون لديه ثقه فى ذاته واكثر انتاجية ، وقد يكون متغطرس ومغرور وأقل انتاجية .

والنمط السياجى ربما يكون عملى وذو حاسة اقتصاديه اكثر انتاجية ، وقد يكون ضيق الافق وبخيل . . . النمط التسويقى ربما يكون ذو هدف ومرن (أكثر انتاجية) وقد يكون انتهازى ومتناقض (اقل انتاجية) (Fromm, 1976a) .

تطبيقات على نظرية فروم :

تفسير الأحلام :

كما فعل فرويد : كان فروم يرى ان الأحلام هى الطريق الملكى الى اللاشعور . وقد استنتج ان تفسير الأحلام ربما يكون اكثر الطرق اهمية وقيمه فى العلاج النفسى . ورغم انه لايملك الوسيله للتحكم فى هذا المجال لان لغة الأحلام من الاشياء التى يجب ان نتعلمها لانه كما قال التلمود Talmud " الاحلام التى لم تفسر كالخطابات التى لم تفتح " فالأحلام هى وسيله اتصال هامه بيننا وبين انفسنا (من انفسنا لانفسنا) (Fromm, 1957).

الغرض من الحلم :

يتفق فروم مع فرويد فى ان الحلم يخدم تحقيق رغبة اثارتها الاحداث اليوميه الثابته ، والحقائق المهدده ربما تحث ذلك بطرق مختلفه على سبيل المثال المحامى تحت

التمرين (المحامى الصغير) الذى أُنتقد من رئيسه فى العمل . وشعورياً اعتبر هذا الحادثه شيئ عادى ، وفى نفس المساء حلم بأنه ركب حصان أبيض امام طابور من الجنود ، وهو بذلك يسكن خوفه من الفشل ويحتفظ بتقديره لذاته الذى هو فى الحقيقة قد اهتز بأحداث اليوم السابقه . والحلم قد حقق هذه الرغبه بطريقة منطقيه ورشيده . ويشبه فى ذلك احلام اليقظه عند الطفل الذى يحلم ان يكون جندياً عندما رفضه اصدقاءه أو رفاقه . (Fromm, 1957) .

وفى الجانب الاخر . يشارك فروم يونج وجهة النظر من ان الأحلام قد تكون ذات معانى واضحه وغير خفيه ، وليس من الضرورى ان يشمل صراعات الطفولة . والحلم قد يعبر عن القلق والهواجس الحالية ، كما يحدث عندما يخاف رجل خوفاً لاشعورياً من سيطرة النساء ويحلم ان امرأه قتلته ، وكذلك فالحلم قد يخدم بعض الوظائف المنطقية والحلول العمليه للمشاكل ، فالكاتب الذى يسعى بشتى الطرق للوصول الى موقع مغرى فى عمله لكى يحصل بذلك بطريقة مناسبه على مبالغ أكبر من المال . قد يحلم بحل هذا المأزق عن طريق الحلم بأن اثنين من الانتهازيين نصحوه لكى يتسلق القمه وقتل نتيجة صدمه ، وفاق فى زعر واضح ، وهو ما يشير الى ان قبوله لهذه المهنة ربما يحطمه نفسيا ويشبه فى ذلك مكتشف حلقه البنزين **Benzin ring** الذى رأى التركيبه الصحيحة فى حلم يعض فيه الثعابين ذيل بعضهما .

والحلم ايضا يعطى استبصار دقيق وحاسم للفرد عن نفسه والاخرين . فالأحلام المتكرره عن الجثث والجماجم تشير لاشعورياً الى الخوف من الموت ، وقد يقابل شخص طيب السمعة او شخص كريم فى ساعة مبكره من الصباح مما يدل على أحساس لاشعوري لديه انه ليس محل اعجاب تقريبا من البعض كما يعتقد الناس ، واحلام البعض بأنه غير نزيه او قاسى يدل على الشعور بالذنب للتأكد من احساسه بأنه مختلس او غير رحيم . . وبسبب (القدره التنبيهية للاحلام) والتى تتسامى اثناء اليوم . " نحن لسنا اقل عقلانيه او اقل تهذيب فى احلامنا ، ولكن ايضا اكثر ذكاء ، وحكمة ولدينا القدره الجيده على الحكم الجيد عندما نكون نائمين اكثر منه عندما نكون مستيقظين .
وبدون النظر الى محتواها المحدود ، فكل حلم يفترض ان يكون مفهوم من قبل الحالم حيث الدور الذى نلعبه فى الحلم ، ونحن المؤلف ، إنه حلمنا ونحن الذين افتعلنا الرواية (Fromm, 1957) .

وما هو فى الحلم غير مهم على الرغم من انه فى الحقيقه فى غاية الاهميه، ربما يُحجب عن طريق واجهته الهشه ، فهذه امرأه شابه ذكرت ان حلمها لامعنى له لانه يحتوى فقط على تقديمها لزوجها لطبق الفراوله بينما اشار هو ضاحكا يبدو انك نسيتى ان الفراوله هى الفاكهة الوحيدة التى لا احبها" (Fromm, 1957) . وهذا الحلم - رغم ذلك - يعكس بوضوح الصراع الزواجى او الخلاف غير الواضح بينهما، ولكن - ككل الأحلام انه يتعلق بالمشاكل ذات الاهميه الواضحة .

رموز الحلم :

يرى فروم ان الأحلام يعبر عنها بلغة الرموز Symbolic Language، وصور الاتصالات الهامه وجدت ايضا فى الروايات الجميلة والاساطير "اللغة الرمزيه فى العالم الخارجى هى نفسها اللغة الرمزيه فى داخل النفس، رمز لارواحنا وعقولنا" (Fromm, 1957) . وكان فروم يرى ان العديد من رموز الأحلام جنسيه، مثال ذلك الشخص الذى يشعر بالضياع ومرتبك بالمشاغل اليوميه للحياة مما يعيقه عن إشباع دوافعه الجنسية . ربما يحلم انه وصل الى ضواحى المدينه حيث تجد المنازل الشعبيه الفقيره والشوارع الفارغة ولاتوجد مواصلات الى المكان الذى يريد الحالم الوصول اليه، او حيث ان رمزية اللغة لديها قوة تعبيرية ويمكن ان تكون غير حقيقيه تماما (خياليه) فالحالم ربما يصوره حلمه بأنه انسان جبان فى صورة دجاجة .

بعض رموز الحلم لها تبايناً عالميا فى الدلالة لانها ترتبط جوهريا بما تمثله . مثل تمثيل القوه والحيويه بالنار وتمثيل البطأ والتقيد بالماء المتحرك، وآمن اهل الوادى يرتبط بالجبال ، وعلى عكس من الطرز البدائيه ليونج حيث يرى فروم ان الرموز العالمية تنتج من القدرات الانسانية الفطرية اكثر من كونها ترجع الى السلالة المورثه (Fromm, 1957) بعض عناصر الحلم تمثل العلاقة المتعلمه للمفاهيم التى تعبر عنها، وعلى سبيل المثال: المدينه او الشارع الذى نقع فيها فى شراك الحب يبدو انها ترمز الى السعاده بينما نفس المشهد ربما يرمز الى الحزن لدى للفرد الذى يقاس من آلام الفراق بفقدانه لمن أحبه فى هذا المكان (الشارع أو المدينه). بالاضافه لذلك. ان معنى رموز الحادث يجب ان تدعم بواسطه الحالم. ففروم مثل فرويد يستعمل التداعى الحر لحمل المعلومات الى الشعور .

أحلام فرويد ويونج :

إن تفسير أحلام شخص ما ليس بالأمر الهين، ويرى فروم أنه حتى فرويد ويونج اظهـروا ميلاً للهروب بعيداً عن الحقائق المهدده. فهذا فرويد حلم ذات مره بأنه يقوم بعمل رسم توضيحى لنبـات، ومـع كل صـوره يوجد نمـوذج لنبـات جـاف ممـا يرسمـه، واعتماداً على التداعى الحر الموسع فسر فرويد هذا الحلم على انه تعبير عن اعتزازه / تفاخره بانجازه المهنى والعلمى. اما فروم - فقد استنتج ان الحلم يعكس بالفعل وخز الضمير وتقريع الذات Self-reproach وفشل حياة فرويد الجنسيه. " ان رسمه للزهره يعكس جعله للجنس والحب موضوعاً لبحثه العلمى بدلا من تركهما كأحد جوانب الحياة " (Fromm, 1957) .

وقد حلم يونج ذات مره انه قتل شخصا يدعى سيجفريد Siegfried باستخدام بندقيه- وانزعج من هذا الحلم - واستيقظ معتقدا انه يجب ان يقتل نفسه ما لم يفهم هذا الحلم. وفى النهاية قرر أنه هو رمز للبطل القاتل الذى قتل نفسه، وهذا يعبر عن شعوره بالتواضع. اما فروم فقد فسر ذلك بأن يونج فى هذا الوقت كان غاضباً لنجاح غريمه فرويد، والذى كان يُقدره فى الوقت ذاته . حتى لم يجد ملجأ (ملاذ) سوى رغبة لاشعوريه فى قتله (وقد علق فرويد على هذا التفسير بالموافقه غير ان يونج تضايق من ذلك) ومع عدم قدره يونج على الاعتراف بالحقيقه لانه يكبت الشعور بالرغبه فى موت غريمه " التغير البسيط من Sigmund Freaud الى Siegfried كافى لمساعدة اى فرد لديه مهارة فى تفسير الأحلام، ولماذا اخفى المعنى الحقيقى للحلم عن نفسه " (Fromm, 1980) .

الأمراض النفسيه :

وللاهمية بمكان : تقبل فروم تعريف فرويد للصحة النفسية بأنها القدره على الحب والعمل المنتج، وهو يتفق معه ايضاً فى ان الأمراض النفسيه تمثل اختلاف فى الدرجة (تختلف فى الدرجة) اكثر من اختلافها فى النوع . " الظاهرة التى تلاحظها على الشخص العصابى هى فى الاساس لاتختلف عن تلك التى نجدها فى الاسوياء. انها فقط اكثر وضوحاً وتكراراً وحده ويسهل التعبير عنها بصوره واضحه لدى الشخص العصابى اكثر من الاسوياء " (Fromm, 1965) .

اسباب العصاب : بالاضافة الى ما سبق الاشاره اليه من انماط السلوك الوالديه المرضيه. يركز فروم على ان العصاب غالباً ما يحدث بسبب الثقافة التى يحيا فيها

الانسان. وهو مقتنع بأن المجتمع يسعى الى جعل الناس تحقق رغباتهم بالطريقه التى يرغبها المجتمع - انه يحطم ارادة افراده دون ان يكونوا على وعى بذلك من خلال طرق كالاستبداد (الديكتاتوريه)، ألاضطهاد والمذلة، العقاب، والايدولوجية المناسبه. مما يجعل الناس يتبعون (يتابعون) رغباتهم الحقيقيه وهم غير واعين بأن رغباتهم نفسها محدده بشروط ومتقلبه باستمرار. (Fromm, 1975c) .

هذا ونحن نركز على التكيف الذاتى بواسطة المجتمع الحقيقى الذى ايدناه لنخدم أهدافنا. ولجعل الاحوال سيئة فنحن ايضا مستمرين فى رميه بواسطة مختلف اشكال الجهل والحماقة والمثيرات المرضيه، وهذا يشمل التبريرات الكاذبه (المبررات المخادعة) التى تطلقها الوكالات الحديثه لاثارة رغباتنا الجنسيه(مثل : انا لندا - طيرتى (Im Lind, Fly me) ويهددنا بالنبذ الاجتماعى مالم نستخدم الطريقة المناسبه لازاله الرائحة الكريهة، ويستغلون التغيرات الثوريه والجذريه فى حبنا للحياه، اذا اشتريت نوعا ما من معجون الاسنان او يحثنا لشراء منتج ما ببساطه بالاعلان عنها بواسطه افراد مشهورين او جذابين. "كل هذه الطرق غير منطقيه، فليس لديهم ما يفعلونه مع الكم الكبير من السلع وهم يخنقون ويقتلون القدرة الحرجة للمشترى كالمنوم الفاشل، او كالتنويم المغناطيسى غير الصحيح (Fromm , 1957) .

بالاضافة ايضا الى احساسنا بالعزلة وعدم الوضوح يكون السياسيين المختارين الذين يرى فيهم الفرد ذاته. ويخفون باستمرار انفعالاتهم الحقيقيه خلف لهجة مزدوجة او تصريحات متضاربه، الاعمال الضخمه والمسئوليات التى يبدو الفرد امامها عديم القيمه. الاعمال المكرره التى حولت العامل الى ترس فى ماكينة والتفرقه العنصريه، والمدن التى تموج بالسرعه والمزدحمه بالسكان، والصراعات الاجتماعية التى تدفعنا الى التمركز حول الذات مره والانفتاح على العالم مره اخرى. والتهديد المستمر من الحرب النوويه. وحيث ان الوالدين بمثابة وكلاء سيكولوجيين للمجتمع فنحن جميعا معرضين (ولو بطريقه غير مباشرة) لتأثيرهما منذ لحظة الميلاد، فى الحقيقة: " ان المشكلات الحقيقية للحياة العقليه (النفسية) ليست فى الاجابة على السؤال لماذا يُصاب بعض الناس بالجنون ولكن الاهم من ذلك لماذا لا يصاب كل الناس بالجنون" (Fromm, 1965) .

ديناميات العصاب : طبقا لرأى فروم - فالعصاب دائما يحدث نتيجة صراع بين قوتين متضادتين، انه يحدث عندما تتصارع دوافعنا الفطريه السويه نحو تحقيق الذات والاستقلال. مع التأثيرات الوالديه والاجتماعية، وكذلك بين الزياده الجزئيه فى الرغبات القوية المتعارضه لعزل الذات الحقيقيه والنكوص الى طبيعتنا الحيوانيه غير المستقله.

ويعد احسن فهم للعصاب على انه اطار تكيفى غير منتج (اطار غير منتج من التكيف) يشبه الى حد ما الاعتقادات الشخصيه غير الرشيدة ويرى الهدف لدى علماء النفس لايجب ان يكون مجرد وصف وعلاج مجموعه من الاعراض ولكن لفهم الصعوبات فى جذور الحياه التى تؤدى الى الخصائص العصابيه (Fromm, 1965) .

وكما فى نظريه هورنى ، العصاب قد يكون كنتيجة للكفاح القسرى من اجل الشهرة أو المجد. فالنرجسيين الذين لايستطيعون الحفاظ على العلاقات الشخصيه المشبعه يميلون لان يقرروا بأن المبرر الوحيد للعزله والقلق يتمثل فى الاهتمامات الذاتيه (الاهتمام بالذات) Self-Interest ، وهذا الاستنتاج غير المنطقى يميل لان يظهر بكثره فى صورة الرفض وخيبة الامل والانهزاميه . . . ويخلق الحاجة لان يبقى الانسان ذونصر عظيم يبرر به المبالغة فى صورة الذات كما ان النرجسيين ربما يتوحدون مع السياسيين، والجماعات العنصريه (الاقليات) او الجماعات الشعبيه وذوى الميول الاجتماعية مما يخلق احداثاً مؤلمة مثل التمييز العنصرى، والعنف ، والحروب . (Fromm, 1971 b) .

العلاج النفسى والاصلاح الاجتماعى : يقبل فروم العديد من المذاهب (الاعتقادات) والاساليب فى التحليل النفسى الفرويدى، بما فى ذلك الحاجة الى نقل محتوى اللاشعور الى الشعور، والمقابله الحره، والمقاومه ، التحول والتحول العكسى، وتفسير الأحلام وهو يوافق فرويد الرأى بأن التحليل النفسى لايناسب كل فرد ولايكفل له التحسن دائما، وفضل فروم ان يعفى الاشخاص الذين لديهم تحول عصابى من العلاج ويرى انه لكى تصل الى شعور المريض يجب ان يكون المحلل ذو منطقيه وانسان ذكى، ولقد فضل الاسلوب الذى كان يستخدمه أدلر لجمع المعلومات فى البداية . ويشارك هورنى وجهة النظر من ان الاستبصار والحكمة أو الفطنه يجب ان تتحقق فى كل من المستوى العقلى والانفعالى لدى المريض لكى تكون فعاله، وبصوره جزئيه، فالعلاج التحليلى يساعد المريض على تخليص ذاته من نرجسيته وليكتسب او يستعيد قدرته على الحب (Fromm, 1973) .

وفى معظم الحالات فان وصف فروم للعلاج النفسى يشير الى المجتمع عموماً اكثر مما يشير الى الفرد ذاته، فهو يحذر من عواقب النقص المستمر فى الغذاء ، وتلوث البيئه الذى ينتج من عوادم السيارات، والأوبئة وأخطار الحروب النوويه الذى بات يهددنا فى كل لحظه ويقول مايتراوح بين ١٠-٢٠ مليون شخص من البشر يكادون يموتون

جوعاً كل عام، فـي حين ان النمو السكاني يزيد من احتمالية ارتفاع وزيادة أسباب الموت (الانفجار السكانى خطر يهدد البشريه) الحرب النوويه الشديده، ومنذ الازل والبقاء الطبيعي للجنس البشرى يعتمد على التغيرات الراديكاليه للجنس البشرى . وبعد ذلك - فنحن نسلب / ننهب المواد الخام من باطن الارض، ونسمم الارض ونجهز لحرب نوويه، ونحن غير مترددين تماماً فى ترك أبناءنا فى هذه الارض المنهوبه (الخاويه) كميراث لهم (Fromm, 1976 c)" .

ويرى فروم ان الخيار الوحيد لتفادى هذه النكبات او الكوارث هى اعادة نمذجة المجتمع بطريقة راديكالية وبناء المجتمع من جديد ، والأكثر اهميه من ذلك - فالنمو العشوائى يجب ان يستبدل بتوسعات بديله يتم التخطيط لها جيداً، ويجب أن نتخلى عن التوجه التملكى "having" والذى يتميز بزيادة الاستهلاك ووضوحه . مثل الإفراط فى شراء السيارات الجديده كل عام ولأحدث موديلات من السيارات . وان نستبدل ذلك بالتوجه الفعال being orientation والذى يركز على البحث عن اهمية ما نمتلكه واظهار الهدف من الاستهلاك المعقول الذى يقوم على الضرورات الفعليه . ووصى فروم بحظر اساليب غسيل المخ brain washing من قبل رواد الصناعات الحديثه والاعلانات السياسية وكذلك يمكننا بالمثل ان نفطم (نمتنع عن عاده ما) انفسنا من مثل هذه الدعاوى (نشر الافكار والمعلومات والإشاعات لخدمة او إيذاء مؤسسة او قضيه Propaganda) ونتعلم كيف نحسن استخدام قوة المنطق لدينا، فالقوه الشرائية يجب أن تُستخدم للتعبير عن جودة الصناعة وان نبادر بمقاطعة الشركات التى تخدعنا بالقول ان السيارات الفاخرة لاتزيد سوى ٢٠٪ عن السيارات الشعبيه لان ذلك أمراً يصعب فهمه،كما ينادى فروم بتخصيص الإجتماعات العامه التى تعقد فى المدن لزيادة مقدره الناس كى يكونوا على درايه أحسن بالقوانين الهامه، وأخراج معنى متكامل وظاهر للتأثير فى تقدم الحكومة والمنظمات الانسانية المتوافقه مما يجعلها تستجيب فى الحال للمشاعر والمشكلات الشخصية، ويجب ان يستبدل الروتين الحكومى المغالى فيه والذى يتعامل مع الناس وكأنهم أرقام مسلسلة ذات صفه مجهوله . والتربيه يجب ان تمكن الدارس من اكتشاف قدراته الفطرية والخبرات الواقعية التى يتعلمها أكثر من التركيز على حفظ عدد كبير من الحقائق غير المرتبطة". والفجوة بين الأقطار الفقيرة والغنية يجب ان تقل جدا عن طريق المساعدات من الغنى للفقير، وبالمثل للتقليل من احتمالية انتشار الأوبئة أو قيام الحرب النووية يجب ان نحرص على ان نوفر للمعدومين كفالة مناسبة من الدخل السنوى، وتأكيداً لمستوى الحقوق الفردية" يجب دفع كل فرد لاخذ حقوقه كامله،

وتحرير المرأه من السيطرة وانتقام الرجال ، كما يجب ان نبحث عن طريقه بديله لاختيار اعضاء المجالس النيابية والمحليه لاتعتمد على الاختيار عن طريق الانتخاب الشعبى ولابالتعيين عن طريق الحكومة ، ويجب ان تقوم هذه المجالس بتقديم النصيحه لكل من القاده السياسيين ، والمواطنين عامة ، واخيراً يُعد نزع القوه النوويه أمر جوهرى لامناص منه (Fromm, 1976 c) .

ويذكر فروم ان العديد من الناس ربما يكون قد تقبل تماماً ما عليه المجتمع بوضعه الحالى ولن يتقبل مثل هذه التغيرات السريعه ، حتى فى اكثر الاحتمالات لحدوث النكبات المستقبله ، لا لكونه متفائل حول امكانيه علم النفس الاكاديمى لتقديم حلول واجابات فعاله ، ان الباحثين جميعاً غالبا ما يفضلون التعامل مع المشاكل التى تعد غير واضحه طالما انهم قادرين على قياسها بوضوح والأبعد من ذلك فالحقد يزيد المصاعب ويقلل من فرص النجاح ، ويرى فروم رغم ذلك ان محاولات التغير يجب ان تتم فيقول : " لو أن شخصاً مريضاً لديه حتى مجرد فرصه واحده للشفاء ، لايستطيع أى طبيب مسئول أن يقول لقد يئسنا من الشفاء أو سوف يستخدم مسكن للإلم فقط ، بل على العكس من ذلك كل شيىء يمكن تصوره يمكن أن يُفعل لحماية حياة الشخص المريض . وبالمثل فالمجتمع المريض لايمكن أن يستثنى أى شيىء أقل من ذلك " (Fromm, 1976 c) .

الأدب والاساطير :

بالاضافة الى الأحلام . . لفت فروم الانتباه الى الطبيعة الرمزيه للأدب والاساطير على سبيل المثال ، فإن أسطورة جونه Jonah ترمز الى عبث محاولة هروب وانتقال إضطراب الشخص الى الاخرين ، وتبين أيضاً كيف ان ميكانزمات الدفاع العصابيه مثل العزل ، ويرمز له بأنها كشىء القى فى المحيط وطفت كشيىء ضخم - كيف تجاوزت وظيفتها الأصلية واصبحت الى حد كبير تدمر نفسها " أما رواية كفكا Kafka بعنوان المحاوله the trial هى شكل من الحلم تعبر عن النمو والحياة عديمة الجدوى للعصابيين وان الصغيره هوود Hood ترمز الى فتاة صغيره تواجه المشاكل الجنسية والخلافات حول الصراع بين الجنسين وأن الطاقية (غطاء الرأس) الأحمر المصنوع من الهيروين يمثل تصوير للرجل على شكل ذئاب خطيرة وحتى والت ديزنى فى روايته ميكى ماوس Mickey Mouse تخدم كوظيفه نفسيه عن طريقة مساعدة الناس الذين يعانون من شعور غير ملموس (واضح) للتوحد مع الصغير (Fromm, 1957) .

نظرية فروم فى الميزان :

١- الخلافات والانتقادات :

ليس من الغريب ان يجمع فروم أهم التوصيات لتشكيل المجتمع الذى يعانى خلافات كثيرة . ومدخله الاجتماعى يختلف كثيراً عن هؤلاء الذين يؤمنون بالرأسماليه ، ورغم عيوبها - فأنها مازالت أحسن وسيلة لسد احتياجات الناس ، وبعض من اقتراحاته تظهر عدم الكفاءه ، والبعض الاخر يصعب الى حد كبير تطبيقها . والاكثر من ذلك العديد من علماء النفس المحدثين يرون أن افكار فروم ليست سوى القليل من التأملات الفلسفية ، وكتاباته عاجزه عن تقديم التحليلات الكميه وتحقيق توقعات العالم عموما (خصوصاً الذى يتوقع تلك التغيرات الاجتماعية) . وعلى العكس من فرويد : انه حتى من الصعب التحقق تماماً من التطابق بين محتوى نظرية فروم والمشاهدات العمليه من خلال ممارساته للتحليل النفسى . وغياب النتائج القاطعة كل ذلك اعطى ما كتبه نمط من نغمه الواعظ فقط التى تحير كل من يبرر مناقشته لموضوعاته .

بعض الملاحظات الفلسفيه تثير اسئلة مستمره حول تفسير فروم للمفاهيم الاجتماعية الإنسانية الماركسية . وعلى العكس من فرويد لم تتضح دائما لدى فروم العلاقة بين المصطلحات التى استخدمها فى اعماله الاولى وتلك التى وضحت فى كتاباته الاخيره ، وبينما قد عمل فى أوقات يستشهد فيها بمن سبقه من علماء مثل يونج وأدلر ثم غدا فى أغلب الحالات وكأنه يتجاهل المتشابهات الهامه بين عملهم وعمله هو .

اسهاماته :

رغم ذلك كان فروم مفكر ذات علم وبصيره . وهناك من يتفق على أن البحث فى ازمة الطاقه ، وعالم المرأه والحرب النوويه تمثل تهديدات عظيمه لمجتمعنا الحالى ، ولقد اسهم اسهاماً كبيراً فى مساعدتنا على فهم تفسير الأحلام ، والحريه وعوامل الدمار فى العالم . وما تتضمنه نظريته عن الدوافع العضويه فى الشخصية يظهر عدم المنطقية لرفض أدلر المحددات الفطرية للسلوك . كما ان نظرية التعادل الانثوى جاءت اكثر تطابقاً مع وجه النظر الحديثة عما كانت عليه نظريه فرويد . كما كان تركيز فروم على النرجسيه يبدو وكأنه تبرير جيد عندما يطبق على المجتمعات ذات الحقوق المسلوبه Spoiled society . وكما كان كمن سبقوه فقد أثر فروم فى نظريات الآخرين وأفكارهم .

الفصل السابع

العلاقات الشخصية المتبادلة (III)

هارى ستاك سوليفان (١٨٩٢- ١٩٤٩)

كما كانت هورنى ، وفروم ، فإن هارى ستاك سوليفان Harry Stack Sullivan يؤكد ايضاً على الطبيعة البينشخصية - وبينما ركزت هورنى على العصاب واكد فروم على الدور المرضى للمجتمع، فإن سوليفان يركز مبدئياً على مجالين هامين آخرين هما : نمو الشخصية ، وديناميات وعلاج الفصام ، وبصورة جزئية فهو يرى ان المدخل النمائى الارتقائى يعد أهم الطرق المشبعة لتوحيد متناقضاته النظرية . فيقول " إذا تتبعنا بعناية شديدة كيف ان كل فرد يصبح راشد ، هنا فقط يمكن أن نتعلم ما هو اكثر أهمية عن الحياة وصعوباتها، وكيف نتعامل معها" (Sullivan, 1953) .

نشأته وحياته :

ولد سوليفان فى الحادى والعشرين من فبراير ١٨٩٢م فى نوريتش Norwich بنيويورك، وكان الطفل الوحيد لوالديه، حيث كان الاب يعمل فلاحاً وفى دباغة الجلود، ولم تهتم والدته لكى تلاحظ تطور شخصيته، وكان مختلف عنها تماماً لدرجة أنه شعر أنها لاتعتنى به اكثر من عنايتها بحبل الغسيل الذى تعلق عليه اشياء عديمة القيمة تقريباً (Sullivan, 1942) ، ونظراً لأن أسرة سوليفان كانت هى الأسرة الكاثولوكية الوحيده فى مجتمع من البروتوستانت، فقد عاش سوليفان حياة تتميز بالعزلة والوحدة، وهو ماساعده بلاشك فى تطوير اعتقاد غير عادى لاثر العزلة الشديدة فى الإصابة بالفصام، كما أثر ذلك على شخصيته فكان منطوى على نفسه، وسبب ذلك تعرضه لمشاكل شخصية خلال فترة الشباب فى جامعة كورنيل Cornell .

ولم يعد سوليفان الى جامعة كورنيل بعد فصله منها لمدة فصل دراسى واحد، وفى عام ١٩١١ التحق بكلية شيكاغو للطب والجراحة، ثم بالفرع الطبى فى فلبيربازو Valparaiso بجامعة انديانا، واكمل دراسته عام ١٩١٥، وحصل بعد ذلك على الماجستير من فلبيريازو عام ١٩١٧م ، ورغم اعتقاد سوليفان أن لديه مهارات عالية تؤهله للعمل كطبيب باطنه لكنه فضل العمل كطبيب للأمراض النفسية، وبالفعل اشتغل فى مصحة للعلاج بالتحليل النفسى خلال الفترة ١٩١٦-١٩١٧م . وبعد ان خدم اثناء الحرب العالمية الأولى كملازم أول فى القافله الطبية العسكرية بالجيش الأمريكى، عمل فى مستشفيات حكومية، وخاصة فى ماريلاندMaryland وواشنطن ، وللحصول على درجة الدكتوراه فى الطب بدأ دراسة جادة عن الفصام تحت إشراف وليم ألنسون وايت William Alanson ، الذى أسس هيئة الطب النفسى وعين سوليفان رئيساً لها عام ١٩٣٣، ورغم إيمانه بضرورة العدول عن طريقة التحليل النفسى الفرويدى لتناسب ميوله النظرية، الا انه هاجر الى نيويورك عام ١٩٣١ سعيا منه وراء المزيد من التدريب على التحليل النفسى ، ورغم معاناته المالية فى البداية إلا انه تغلب على أزمته المالية هذه، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل فى مجال الانتقاء المهنى للأشخاص العاملين فى مهن جديدة ثم عمل بعد ذلك فى منظمة اليونسكو، وبعض منظمات الصحة العالمية.

ولقد عاش سوليفان حياته أعزب ، غير أنه بدأ فى عام ١٩٢٧ فى تكوين علاقة جنسية مثلية مع أحد الشبان يدعى جيمس إنسكو James Inscoe أو جيمى Jimmie

كما كان يناديه، وعاش مع سوليفان ما يزيد عن عشرين سنه كربيب محبوب وصديق وحارس خاص له ورغم ذلك لم يتبناه بصورة قانونية ، ولقد كتب سوليفان سبع مجلدات فى حياته ، منها مفاهيم الطب العقلى الحديث Conceptions of modern psychiatry فى (١٩٤٧)، " الطب العقلى : مدخل لدراسة العلاقات البينشخصية " ويتضمن احداها محاضرات إضافية له جمعت ونشرت بعد موته، ومات سوليفان أثر نزيف فى المخ فى باريس فى الرابع من يونيو عام ١٩٤٩ أثناء عودته من مصحة عقليه فى امستردام بهولاندا.

طبيعة الشخصية :

مبدأ إحادية الجنس The one- genus postulate

كمثل فروم – سلم سوليفان – الى حد ما بأثر الوراثة فى الشخصية ، فكل الجنس البشرى لديه أساس فطرى تشمل الدوافع الفسيولوجية الشائعة كالجوع والعطش والتنفس والجنس والحفاظ على درجة حرارة معتدله للجسم، وهو ما يفسر الفروق الفردية فى الخصائص الطبيعية، والقدرات الحسية، والذكاء ، ومعدل الوصول الى مستوى النضج، ويخلص سوليفان الى أن كل شخص لديه خصائص إنسانية تفوق مادون ذلك وهو ما يعرف بمبدأ إحادية الجنس، فأوجه الشبه بين الشخصيات المختلفه تفوق أوجه الاختلاف، كما تفوق أوجه الشبه مع أى شيئ آخر ، وحتى اكثر الاشخاص إعاقه لن يكون اختلافه كثيراً عن أعظم العباقرة اذا ما قورن ذلك بأى عضو فى أى نوع آخر غير بشرى. ولذلك يختلف سوليفان عن أدلر فى انه يحاول أن يقلل أو يحد من أهمية الفروق الفردية ويؤكد على ميوله النظرية فيما يتعلق بهذه القضية فى إنسان القرن العشرين.

الحاجة للآخرين : يشارك سوليفان كل من فروم وهورنى الرأى حول عدم الاقتناع والنفور من النظرية الليبيديه لفرويد، ويرى ان ذلك يعد مناف تماماً لطبيعتنا ان نفترض ان سلوكنا محدد تماماً بالغريزة الجنسية، وانه فى الحقيقة ، فيماً عدا بعض العيوب المورروثه مثل العيوب الخلقية منذ الولادة فإن الطبيعة الإنسانية مرنة ومتكيفه " رغم القيم الاجتماعية الخيالية والقوانين الحمقاء التى تحكم الأنشطة التى نعيش فى ظلها، فالأطفال فى الصغر يبدون طبيعيين جداً، ويعرفون طريقهم فى الحياة (sullivan, 1968) وبدلاً

من أن ينتهى سوليفان الى أن الشخصية الإنسانية تتشكل بواسطة القوى الإجتماعية ، ومع طول فترة الطفولة، مما جعلها تتأثر بالآخرين وتعتمد عليهم، لقد ادرك الحاجة الإنسانية القوية للعلاقات البينشخصية، وبالمثل فإنه من النادر ان نجد شخص يستطيع ان يقطع علاقته بالآخرين لمدة طويلة من الوقت دون ان يصاحب ذلك حدوث تدهور فى شخصيته، وهو يرى ان الشخصية يمكن ان تعيش وتحيا وتُدرس من خلال التفاعل الشخصى الواضح، ويعبر عن ذلك بقوله " تعد الشخصية نموذجاً ثابتاً للعلاقات بين المواقف والاشخاص التى تميز الحياة الإنسانية، والشخصية لايمكن ان تنفصل أو تنعزل عن العلاقات الشخصية المعقدة بين الأشخاص الذين يعيش الفرد وسطهم ، ويمثلون هم بدايته، والابعد من ذلك فإن هدف الطب النفسى دراسة الظواهر التى تحدث فى مواقف التفاعلات الشخصية فى صورة تفاعل بين اثنين أو أكثر من البشر (1968) .

وحيث ان سوليفان يعرف العلاقة بين الاشخاص بأنها تتضمن كل ما يتم بينهما حتى الأوهام والعزلة والمرض النفسى، وان ذلك لاينتقص من طبيعة الشخصية ، فبعض الناس لديهم ذاكره أو علاقات وهمية مع أشخاص حقيقيين أو خياليين، كماأن هؤلاء الاشخاص يتأثرون بشده بمواقف العلاقات البينشخصيه .

خفض التوتر ، والحاجات الفسيوكيميائية، والنوم ، والقلق، والوهن :- فى اتفاق مع كل من هورنى وفروم ، يرى سوليفان أن الطبيعة الإنسانية لديها ميل أو اتجاه نحو تحقيق الصحة النفسية ، ومع ذلك فهو أيضاً يشارك فرويد الاعتقاد بأنه تحركنا رغبة قوية فى خفض مالدينا من توتر داخلى. وان الظروف الإنسانية المثالية تتمثل فى تحقيق التكامل الكلى أو التوازن او الشعور المطلق بالنشاط والخفه Euphoria وهى حالة من السعادة المطلقه توصف بغياب الإحساس بأى نقص داخلى أو وجود مثيرات خارجية مدمره أو مهددة، وعلى الجانب الآخر تماماً يكون التوتر المطلق absolute tension ، والتوتر المطلق يرتبط عكسيا مع الأيوفوريا، ويماثل حالة من الرعب ، وكالخط المستقيم توجد الايوفوريا فى جانب ، والتوتر المطلق فى الجانب الآخر وبينهما نقاط وسط ولكنهما حالات فرضية ولايوجدان فعلياً فى الطبيعة (Sullivan, 1973) . ويرى سوليفان أن التوتر يمكن أن يظهر بأربعة طرق مختلفة :

الأولى : حالة من عدم التوازن الداخلى تسببها الحاجات البيوكيميائية الهامة مثل الرغبة الجنسية ، والحاجة للتخلص من الفضلات بالتبول والتبرز، والحاجة للطعام والماء

والاكسجين ودرجة الحرارة المناسبة، وهذه الحاجات تقترن بتوتر يكون عادة وليس دائماً توتر شعورى وهو ما يحركنا لكى نبذل الطاقة ونشبع الحاجة .

الثانية : ان التوتر أيضاً قد يظهر نتيجة الحاجة الى النوم، الذى يراه سوليفان مختلف تماماً عن الحاجات البيوكيميائية .

الثالثة : التوتر قد يظهر كنتيجة للقلق، وهذه الخبرة الانفعالية غير السارة فى اثرها غالباً ما ترجع الى اسباب داخلية أو خارجية ، وقد يكون بسبب انفعالات غريبة Uncanny emotions من الخوف والفزع والرعب والاشمئزاز .

والقلق يمكن ان يشبه ما هو اكثر من مجرد الإضطرابات الشديده فى البيئة مثل الضوضاء الشديدة والتهديد الصريح، ولكن بعض المنابع الرئيسية للقلق تعود الى طبيعة علاقة الأطفال بأمهاتهم ، والتى تمثل غاية الإهتمام الشخصى (وظيفة الأبوه والأمومة)، كما ان أهم العوامل التى تثبت القلق تتمثل فى العلاقة بين الأشخاص ، إن توتر القلق يمكن ان يزيد قلق الطفل اذا شاب العلاقة بين الطفل وأمه، وهذا القلق يختلف عن توتر الخوف Fear الذى يحدث عندما يكون هناك تأخير واضح فى إشباع الحاجات العامة .

وعلى الرغم من أن الوسائط التى ينتقل بها القلق من الأم الى الطفل غير مؤكده ، وربما تتضمن بعض مصادر التعاطف فى جزء ما من مرحلة الطفولة ولكن تأثيرها يكون واضح ومزعج بصورة خطيرة، وعلى العكس من الحاجات البيوكيميائية التى يمكن اشباعها بشكل كافى من سلوكيات موضوعية كالأكل والشرب، فإن افضل تخفيف للقلق يكون من خلال العلاقة الآمنة مع الآخرين غير القلقين أو ما يعرف بالأمان البينشخصى Interpersonal Security ، على ألا يرتبط ذلك بصفة ثابته مع أى حدث من قبل الوليد وهو ما يجعل التخلص من القلق أمراً مختلف تماماً عن كل الحاجات الأخرى، كما انه أمراً اكثر صعوبة فى تحقيقه، مما يجعل الأحوال سيئة أن يعوق القلق اشباع الحاجات الأخرى، أو يتداخل مع / أو يؤثر فى القدره على ابتلاع الطعام أو الشراب أو يعوق النوم عند التعب، أو يقلل من قدرة الفرد على الاستبصار والتفكير العقلانى، ويشبهه سوليفان هنا بصدمة عنيفة بالرأس يمكن ان يسبب احتمالية عدم التكامل المشبع فى العلاقات البينشخصية مسبباً سوء التوافق الإجتماعى بين الاشخاص . وكمثال على ذلك ما يحدث عندما يجوع الطفل ورغم ذلك يبقى يرفض حلمة الثدى كنتيجة القلق. ولهذه الأسباب

فقد خصصنا جزء كبير من حياتنا ، وجزء كبير من الطاقة لكى نتجنب أو نخفض التوترات غير المرغوبة من القلق. كما نتجاهل ذلك الجزء الذى لايمكن التفاعل معه، وهو ما يعرف بعدم الانتباه أو التجاهل المختار Selecive inattention ، وبطريقة لاشعورية يتحول القلق الى أقل الانفعالات قبولا كمثيرات للغضب " يعد القلق مسئولاً عن جزء كبيراً من سؤ التوافق، والعجز، والتوتر غير المناسب، علاوة على ذلك عدم الكفاءة فى العلاقة مع الآخرين (Sullivan, 1968) .

الرابعة : يحدث التوتر عندما تكون الأم أو من يقوم مقامها محل ملاحظة من قبل طفلها وبشكل مبالغ فيه ، وهو ما يوضح وجود حاجة ما، وهذا النوع من التوتر يعبر عنه بما يسمى بخبرة الوهن أو الضعف tendeness ويعد بمثابة مثير أو محرك للنشاط تجاه انفراج حاجات الوليد (1968) . مثل الحاجة للحصول على الحماية والمساندة من قبل الأم مما يثير حفيظتها لتمنحه إياها، وينتج عن ذلك إحساس بأول علاقة شخصية ذات أهمية أو قيمة فى حياته، واذا ما أستجابت الأم لتوترات الوليد بشيئ من القلق فإن قدرتها سوف يحدث لها نوع من الكف ، وبالتالى لن يكون هناك شيئ صحيح يمكن ان تفعله مع قلق وليدها، فيما عدا ان تنقطع عن الاستمرار فى اظهار قلقها (Sullivan, 1968).

الديناميات :

على الرغم من أن سوليفان قد قبل نموذج خفض التوتر فى الشخصية ، إلا انه رفض مفهوم الطاقة النفسية ويقول " الطاقة كما أعرفها هى الطاقة كما تعرف فى علم الفزياء، ومثل هذه الطاقة له صورتين اساسيتين هما طاقة الجهد وطاقة الحركة Potential & Kinetic وليس هناك حاجة لأن نضيف صفات مثل العقلية أو النفسية، فالطاقة الجسمية هى النوع الوحيد من الطاقة الذى اعرفه" (1968) . . والأعضاء الجسمية تحول الطاقة الجسمية الى سلوكيات أخرى لإشباع حاجاتها .

وللتأكيد على ان الشخصية هى مجموعة العمليات الدينامية، تتصف بحالة من التدفق الثابت لهذه العمليات، فإن سوليفان يفضل أن يعرض مثل هذه التحولات فى الطاقة بالديناميات Dynamisms . والديناميات هى عملية فطرية ومألوفة، ولهاعلاقة بالصورة النهائية التى تكون عليها الشخصية، وهى شائعة بشكل قليل أو كثير فى كل

الأفراد، وربما تأخذ بعض الصور المختلفة من السلوك كالكلام أو الحركة ، وربما تشمل أحداث غير ظاهرة وخيالية أو كافية كالعمليات العقلية ، أو ربما تكون لاشعورية جزئياً أو كلياً. وعلى سبيل المثال فدينامية الكراهية hate تتكون من تحول أوإعادة تشكيل الطاقة الفزيقية الى تفكير خفى ، أو سلوك ظاهر يختزل التوتر من خلال العدوان ، أما دينامية الاتصال الجنسى فتتضمن استخدام الطاقة فى إشباع الحاجة للجنس ، وتتعدل أو تتغير الديناميات بشكل ثابت فى سلم الرقى أو التطور النمائى للفرد من خلال التعلم أو النضج ، ومع ذلك فالسلوك الناتج عادة لايكون متطابق مع مختلف المواقف (أو كما يعبر عنه مختلف الأفراد) . فإظهار الكراهية ربما يختلف الى حد ما فى الشدة أو الخواص النوعية والسلوكيات المصاحبة من فرد لآخر ومن موقف لآخر لدى نفس الفرد ، ولكنها رغم ذلك تمثل نفس الديناميات .

ويوضح ذلك سوليفان بقوله ليس مجرد ان يختلف برتقالتين عن بعضهما البعض فى الحجم أو الشكل أو حتى الطعم يجعلهم لاينتمون الى نفس النوع من الفاكهة ، أو أن كلمة ما قد تترجم بمعنين مختلفين تماماً من قبل اثنين من الناس ، ولكنها تبقى فى النهاية ذات معنى واحد ، ولكن الكراهية والشهوة hare and lust تختلف فى دينامياتها كما يختلف الليمون عن البرتقال " ، فالدينامية تتكون من نمط أو غشاء من تحول الطاقة الى نوع آخر يختلف محتواها فقط بدرجات واضحة . . " فالدينامية هى النمط الثابت نسبياً من تحول الطاقة الى إحدى الصور الأخرى ، وتتميز بتوجيهها للكائن العضوى ككائن حى ، كما يعرف النمط Pattern بانه غلاف من الاختلافات الجزئية غير الواضحة ، ولذلك أفضل مصطلح الدينامية لانه يشير الى الميكانزمات العقلية والنظام النفسى وما شابه ذلك ، ويدل على القدرة النسبية المحتمله للفرد أن يكون بمنأى عن أى تغيرات " (1968) .

وينظر سوليفان بالفعل الى الكائن العضوى الانسانى ككل كديناميات أولية تتكون من ديناميات ثانوية متنوعة ، كالخلايا والاعضاء ، فيناقش مثلاً الخصائص الدينامية لقرنية العين أو القلب ، وهو ما يعكس أن هذه المكونات يمكن أن تسهم فى الحياة ، وفى نجاح عملية زراعة الاعضاء ، بعد موت الفرد ، وبشكل أساسى فإن سوليفان يركز على ثلاث انواع اساسية من الديناميات .

النوع الأول : يتضمن هذا التحول فى الطاقة التى تتركز مباشرة على التوترات الناتجة عن اختلال عملية الإحساس بالنشاط والخفة (الايوفوريا) ، والعلاقات

البينشخصية الموزعة أو المركزة مثل الرغبة الجنسية، الخوف، الغضب، الكراهية، الشعور بالذنب، التكبر (1973) وتتضمن كذلك فى هذه الفئة ديناميات الأمان وعدم فتور الشعور والانعزالية التى تفيد فى حالة التوترات الزائدة عن الحد دون أن يكون هناك من يحد أو يخفض منها عندما تكون على وشك الظهور، وعلى سبيل المثال اذا كان هناك طفل جائع لم يأكل منذ فتره، فإن التوتر الزائد والخوف يميلان لانتاج انماط سلوكية مثل تحطيم الذات والتقلص العضلى وزرقة الوجه الناتجة عن نقص الاكسجين فى الدم، ولذلك فإن دينامية التخلى عنه باللامبالاة تدفعه لأن يسلك بطريقة ما مثل تبليل الفراش، وطالما أن هذا الطفل لايستطيع أن ينهى هذا التوتر فإنه يلجأ الى النوم، وبالمثل فإن دينامية الارق المستمر يمكن أن تؤدى الى القلق الزائد واللامبالاة الزائده أو المحدودة، ويمكن أن يكون ذلك مؤذياً أو حتى ممتعاً (1968).

النوع الثانى : يتكون من تحولات الطاقة المميزه والتى تحدث بصفة خاصة فى النهايات الموقفية للجسم bodily end-station فى اثناء التعامل مع العالم من خلال مناطق التفاعل مثل الفم، و الشرج، والقناة البولية، والأعضاء التناسلية، والغدد اللبنية فى ثدى الأم، وعلى سبيل المثال فالمنطقة الفمية لاتفيد فقط فى حالة الحاجة للطعام والشراب، ولكن كدينامية لها فإنها توضح الحاجة الى المص والرضاعة، ونفس الأمر بالنسبة لليدين لاتسعى فقط الى معالجة الأشياء ولكن ايضاً لمسها ..وما شابه ذلك (1968) ويتضمن السلوك الطبيعى الملاحظ كل من التفاعل البينشخصى وديناميات المناطق الشبقية. حيث انها تتضمن بعض صور العلاقات مع الآخرين والتى يتم التعبير عنها من خلال منطقة واحدة على الأقل من مناطق التفاعل.

النوع الثالث : ويعد ذات أهمية جزئية لاترقى لمستوى النوعين الآخرين وهو نظام الذات Self-System والذى يخدم حاجتنا للتحرر من توتر القلق، وحيث ان هذا النوع جاء مطابقاً لما اقترحه سوليفان حول تركيب الشخصية فسوف يتم شرحه فى جزء لاحق من هذه النظرية.

أساليب وانماط الخبرة :

أوضح سوليفان ان الخبرة الإنسانية تتكون بالتحديد من التوترات المختلفة والديناميات وإشباع الحاجة ، ويحدث ذلك من خلال واحده أو اكثر من النماذج أو الأساليب الآتية :

الأسلوب الأول : النظام الأولى أو التناسق الأولى Protataxic وهو أولها فى الظهور ، ويمثل القدرة الكاملة للطفل حديث الولادة على فهم وادراك البيئة ، وهذه الصوره المحدده وغير المتمايزه من الخبره تتشابه مع ما يحدث فى حالة الانفصال السريع ويصبح الفرد غير قادر على هذا الاختلاف بين ما كان وما أصبح عليه ، أو بين ذاته والآخرين ، انها تشمل بعض المؤشرات لمناطق معينة فى التفاعل مع المثيرات التى تصطدم بالشروط الخارجية ، فالمنطقة الفمية مثلاً يمكن تشكيلها أو ربطها بأى نوع من الرموز من خلال خبرات النظام الأولى . ولذلك فإنه من السهل كما يرى سوليفان تخمين العمليات الداخلية للطفل حديث الولاده (1968)، ولايعد هذا النمط مقصوراً على مرحلة الطفولة المبكرة ، ولكنه يمتد خلال حياة الفرد، وكلما تقدم الطفل فى النمو فإن ذلك الكم المتراكم من الخبرات المتداخلة تأخذ فى التصنيف الى وحدات اكثر ترابطاً وهكذا يبدأ الطفل الدخول فى المحور الثانى .

ويعرفها كمال دسوقى (١٩٩٠) عن سوليفان بانها وصف مميز لمنوال به الاحوال الوقتية غير مفرق بينها وغير مترابطة ، فتلك هى الخبرة الأولى للوليد، أو هى صفة لما يتصل بمنوالات خبرة فيها الوقائع أو الأحداث يحاط علماً بها فى غير ترابط . والأحداث الخارجية لاتدرك إلا باهته أو خافته ولاتنظم إلا بطريقة بدائية ، فهى خاصية عقليات صغار الاطفال، وعقول الكبار الراسخين فى الذهان .

الأسلوب الثانى : أو ما يسمى بالمحور الجانبى أو الاردافى Parataxic : والذى يتميز باستخدام الرموز الذاتيه مثل استخدام الكلمات التى لامعنى لها إلا عند من يستخدمها ، كما تتميز بالقدرة على ادراك الاختلافات أو الفروق الزمنية . ورغم ذلك تعد خبرة هذه المرحلة خبرة غير منطقية ، كما انها تنم عن نقص

فى فهم علاقة العلة أو السببية ، كالاعتقاد بأن المصائب تأتى من المشى تحت سلم خشبى أوالمرور بجوار قطة سوداء وتتحول التوحدات اللاعقلانية للمريض الى المعالج وأشخاص آخرين كالأباء . والمريض نفسياً الذى يتوقع هطول المطر فى يوم صاف ، ويستنتج أن التفكير الاجترارى بالفعل يسبب انهمار المطر الذى قد يحدث احيانا فيما بعد، "والطفل أو الذهانى الذى يستخدم هذا الأسلوب يتصف بشذوذات فى السلوك الانفعالى ، كما يتميز بتملك استعدادات وافكار واتجاهات لاتتكامل او هى توجد فى غرف محكمة المنطق، كما يتميز بعدم التوافق فيما يتصل بالانفعالات والرغبات وهى عند سوليفان صفه لنمو المهارات والاتجاهات والافكار من غير أن تجلب كلها فى علاقة بجوانب شخصية المرء الاخرى" (كمال دسوقى : ١٩٩٠) .

الأسلوب الثالث : هو المحرر أو النمط الاسنادى أو المرجعى Syntaxic ، وهو اكثر صور الخبرة تعقيداً وتبدأ فى الظهور فى الشهر الثانى عشر حتى الشهر الثامن عشر من العمر فالخبرات المرجعية يمكن نقلها عن طريق رموز مقبولة ومفهومه لدى المجتمع . مثل هذا التطور فى التقييم، والاسناد أو المرجع يتضمن كذلك ادراك المفاهيم المرتبطه بالفعل والأثر أو السبب والنتيجة (Sullivan, 1968) . " وعند سوليفان هى ما يتعلق بتلك الخبرات التى يمكن تناقلهـا عن طريق مفاهيم تكون لها مراجع موضوعية محددة، هو وصف مميز لمنوال خبرة يمكن تناقله عن طريق مفاهيم مرجعها بيانات متفق عليها" (كمال دسوقى، ١٩٩٠).

الغائية أو القصدية :

مثلما هو الأمر عند يونج وأدلر يرى سوليفان أن السلوك الانسانى يجب أن يفهم فى ضوء السببية والقصدية . إن قدرتنا على تحقيق عملية تخفيف التوتر تنمو فى الطفولة المبكرة، ولكنها تمثل واحده فقط من الصفات الأساسية فى الجنس البشرى (1968) ، ويختلف سوليفان عن يونج فى انه يرى ان الظواهر النفسية يمكن أن تتحول بالتدريج إلى أحداث نفسية ، وتتضمن كتاباته عدداً من الإشارات الى دور الجوانب التشريحيه والعضوية فى الوظائف الإنسانية .

تركيب الشخصية :

يتفق سوليفان مع فروم وهورنى فى الرأى على نقض النموذج الفرويدى فى تركيب الشخصية . ويستنتج بدلاً من ذلك أننا ننظم خبراتنا من خلال تكوين مفاهيم عقلية عن أنفسنا وعن الآخرين . هذا التشخصات * Personifications تتكون من المشاعر والاعتقادات المكتسبه التى لاتتطابق دائماً مع الحقيقة . وعلى سبيل المثال يبدأ الطفل فى تجسيد الأم المثالية أوالجيدة، وذلك من خلال سلوكها الرقيق المشبع لحاجاته، ويكون تجسيده سيئاً للأم من خلال سلوكها المحبط الذى يوحى بالقلق، وحيث ان الطفل يكون قادر فقط على التمييز البدائى، كالتفريق بين تخفيف وتصعيد التوتر، فإن هذه التشخصات تختلط لدى الطفل، وهذه التشخيصات لاترجع بشكل أو بآخر الى ما يعرفه عنها بقدر ما ترجع الى شخصية الطفل ذاته . وعلى الرغم من أن اجزاء من التشخيص تتغير فى كليات بسيطة آو معقدة ، حتى أن الأم ذاتها قد يختلط لديها تشخيصين للطفل أحدهما يرتبط بما تريده من الطفل وما تتوقعه منه والاخر يرتبط بما صدر عنه فيما سبق، ومجمل القول ان التشخيصات لايمكن فصلها عن الموضوعات التى يتم تجسيدها، وهو فى أغلب الأحيان لايعبر بصدق عن واقع الشخص موضوع التشخيص أو التجسيد (1968) .

ويتميز الجانب اللاعقلانى فى عملية التشخيص بالثبات فى حالة القوالب النمطية الثابته Stereotypes أو المعتقدات التى تطبق بشكل متصلب على مجموعة من الاشخاص وبالتالى تتجاهل الفروق بين هؤلاء الأفراد، وغالباً ما يكون الأطفال نمط ثابت عن الجنس المخالف مفاده أن لديهم بعض الخصائص السلبية عموماً (1968) ، كما أن هذه اللاعقلانية تظهر فى تشخيص الفرد لذاته .

---

* ويعرف كمال دسوقى (١٩٩٠) التشخص اصطلاحياً " بأنه خلع جسدى أو مجازى لخصائص وصفات الشخص الإنسانى على الأشياء غير الحيه أو على قوى وظواهر الطبيعة، أو نسبة الخصائص الشخصية والإنسانية الى المجردات أو النماذج أو الموضوعات، أو إضفاء خواص على الشخص الآخر هى التى تنقص المرء ذاته. أو هى كل من : خلع صفات شخصية على تجريد أو تمثل شخص ما، وتشكيله اسقاط بها يعزو أحد الأشخاص لشخص آخر النعوت الملائمة أو غير الملائمة كنتيجة لإحباط رغباته الخاصة. وهو من مصطلحات الطب العقلى يعنى عادة عملية إضفاء نعوت سارة أو غير سارة على فرد آخر نتيجة إحباط رغبات وأمانى المرء الخاصة مثال ذلك ان فصامياً لم يتلقى رداً على خطاب له إتهم الطبيب بأنه يعترض البريد. فالتشخيص إحدى صور الإسقاط الذى منه خواص الواقع المرغوب فيه والمرغوب عنه تنسب لشخص ما حتى لو لم يكن للشخص علاقة بحصول هذا الواقع. وهكذا لاتنمو توهمات الاضطهاد الفصامية إلا اعقب شعور المريض باعتراض ارضائه، ويختار شخص المضطهد ليتولى الصفات اللازمة لتفسير الإحباط ، فتوهمات الاضطهاد تغلب العقبات المادية الى آليات وحيل أشخاص بعينهم هم المضطهدون للمريض" .

نظام الذات :

يبدأ الوليد البشرى فى دراك نفسه على أن ذاته تتكون من وحدات مستقله ومتمايزه ، ويكون ذلك فى حوالى الشهر السادس من العمر تقريباً ويبدأ فى تنظيم هذه المعلومات بتكوين تجسيدات أو تشخيصات مُعبرة . وهذه العملية مهمة جداً لدرجة ان سوليفان يميل لتقسيم الشخصية الى مجموعتين اساسيتين الأولى تتضمن نظام الذات Seff-System أو دينامية الذات Seff-dynamism فى جانب وكل ماعدا ذلك فى جانب آخر (1970) .

وينتج نظام الذات بصورة جزئية من خبرات الفرد عن جسمه ، وعلى سبيل المثال فإن مص الابهام يسهل عليه التمييز بين ذاته والآخرين ، لانه ينتج شعوراً منفرداً بين عملية المص وما يقوم بمصه ، وفى اغلب الأحيان ينشأ نظام الذات من تقييم الفرد لأهمية الاخرين فى حياته كالوالدين مثلاً . ولذلك فان الهدف الأساسى من النمو النفسى هو مساعدتنا أو تمكيننا من أن نسمو بأصلنا الحيوانى ، وان نعيش مع الآخرين فى تنظيم إجتماعى ، وبالمثل فإن الميول المكتسبة بطريقة غير مشروطه للطفل الوليد يجب ان تستبدل فى آخر الأمر بنظام من الثواب والعقاب يصمم ليُعد الطفل كى يأخذ مكانة فى المجتمع . وخلال الفترة الأخيرة فى مرحلة المهد (نهاية السنة الثانية) وفى بداية الطفوله يصبح اعطاء مصروف أو هدية بمثابة مكافأة لتخفيض حدة القلق المرتبط بممارسة سلوك مرغوب (كالنجاح فى تحقيق تعلم مناسب لتدريبات الحمام ، والتصرف بطريقة مناسبة إزاء سلوك غير مرغوب اجتماعياً مثل مص الإبهام) . إن عملية الإثارة المنفره ، وقلق الأم ، والعقاب وحتى مجرد غياب الهدية أو المكافأة تعد عوامل مثيره للقلق كنتيجة لأخطاء الطفل وإهماله لأوامر الكبار ، ويتعلم الطفل كيف يتعرف ويستجيب لمثل هذا التدرج فى القلق عن طريق ارضاء والديه ، وتسهم هذه المعرفة فى تشكيل النظام الذاتى ، فالذات المرغوبة التى يعبر عنها الوالدين بكلمة أحسنت ترتبط بالخبره التى تمثل تعزيزاً أو مكافأة أدت الى خفض القلق أما الذات غير المرغوبة المتمرده التى يعبر عنها الوالدين بكلمة أسأت تنتج عن خبرات العقاب وتؤدى الى زيادة القلق .

وكما فى حالة مفهوم الطفل عن الأم الحسنة والسيئة فإن تجسيده للذات المرغوبة وغير المرغوبة تنصهر تدريجياً فى وحدة متفردة ، والأكثر شده من ذلك هى تلك الخبرات المبكرة من القلق المرتبط بالمبالغة فى التصلب وصرامة نظام الذات . ويرى سوليفان أن سلوك التمركز حول الذات هو استجابة متعلمة من القلق اكثر من أن يكون كنتيجة لنرجسية فطرية (Sullivan, 1970) .

التجاهل (قلة الانتباه الاختيارى) :

إن الهدف الأول لنظام الذات المرغوب فيه هو تخفيف القلق ، وهو ما يمكن الطفل

من أن يحصل على رضا الوالدين والحصول على الحد الأقصى من الإشباع المُرضى لحاجاته، ولكن تحقيق هذا الهدف فى ظل إجراءات الأمان المشكوك فيها يجعل من الصعب تحقيقه على اكمل وجه، لذلك يضطر الفرد الى استخدام ما يسمى بالتجاهل أو عدم الانتباه الاختيارى Selective- Inattention ، فاذا ماكان النظام النفسى يواجه أو يصطدم بمعلومات تهدد ثباته فمن السهل أن نرفض أو نتجاهل النتائج المتعارضه ويواصل اداء وظائفه كما كان سابقاً .

وربما يكون للتجاهل من حين لآخر بعض الوظائف النفعية، كما يحدث عندما يتجنب شخص ما ما يبذله من جهد خلال تركيز مشاعره أو افكاره بصوره مكثفة. ولكن عملية التجاهل هذه عملية غير محكومة، وتعوق قدرتنا على التعلم من المصادر المهددة كمواقف الفشل ومواقف الضعف الشخصى ويعبر سوليفان عن ذلك بقوله "يعد التجاهل أكثر من أى شئ آخر غير ملائم وغير متوافق فى الحياة، فالمعنى الكلاسيكى لها يعنى اننا لانستفيد من الخبرات التى تقع فى نطاق إعاقتنا الجزئية" (1968). وبغض النظر عن أن هذه العملية مثيرة جداً، لكنها تخرج عن نطاق عالمنا الشعورى وحيث أن احداث الاهمال لاتؤثر فى وعى الفرد ومداركه، إلا انها تبقى مصدراً لنظرية شخصية لانها ربما تبقى دليلاً واضحاً لشخص اخر أيضا مثل الطبيب النفسى مثلاً. ويعبر سوليفان عن ذلك بقوله " لايمكن أن يهتم الطب النفسى بأى شيئ من تلك الأشياء الغامضة التى تتعلق بحياة البشر، انه يجب أن يهتم فقط بما يحياها الإنسان من حياة راهنة، أو يمكنه أن يرشدالى النمط الشائع لهذه الحياة، وهكذا فأنا لا أعرف أى استخدام لأى شيئ فيما عدا ما استطيع ملاحظته، وان ما يمكن أن يلاحظ بواسطة ملاحظ فعلى فى علاقته بشخص آخر يختلف نسبيا عما يلاحظه شخص ثالث، وعلى الاقل ما يمكن أن يلاحظه عن نفسه (1968) .

ونظراً لأن النظام الذاتى يستفيد أو ينتفع بالإهمال أو التجاهل المختار فى مقاومة القلق، إلا أنه يختلف عن الديناميات الأخرى فى انه يهدف الى المقاومة غير العادية لعملية التغيير، بينما تبقى عملية التصلب تكف أى تغيير فى شخصية الفرد، إنها تمثل أيضاً المبدأ الثابت فى النمو التكوينى، قد نكون غير عقلانيين، وغير سعداء على الأقل اذا توقعنا ان يستفيد شخصاً اخر وبشكل سريع من خبراته ، بما فى ذلك نظامه الذاتى، مع ان ذلك يعد توقعاً معقولاً فى كل المجالات التى لايتضمنها نظام الذات، إلا ان التعاون الآمن لنظام الذات يخلق ايضاً لدينا إنطباع مفاده أننا نختلف كثيراً عن الآخرين بصورة أكبر مما هو قائم فعلاً (وهو ما يمثل وهم أو ضلالات وحدة الفرد)، وربما ينتج عن ذلك المبالغة فى تجسيد الذات Self-Personification ، وهو ما يشبه الى حدما عقدة الاستعلاء عند أدلر (Sulliran, 1971) .

ويعتقد سوليفان أن نظام الذات قد لايتطور فى مجتمع واقعى حقيقى، والفرد ذو التوافق الحسن مع الحياة الإنسانية هو الفرد المتحرر نسبيا من القلق والمثيرات المزعجة ، ولكن سوليفان يعتقد ان هذه الاعتبارات فى الشخصية يحتمل ألا تكون أمور حتميه، ويحذر من أن يصبح على الوالدين أن يبذلا قصارى جهدهم ليطابقاً بين ما يقدمون من ثواب وعقاب وبين ما يطالبهما به المجتمع من توقعات والتزام بقيم ومعايير المجتمع، فالنظام الذاتى ليس متصلباً فحسب بل أيضاً غير سائد، ومن ثم فإنه سوف يؤدى بلاشك الى صعوبات جوهرية فى هذه الحياة .

إنكار الأنا التشخصية : Not-me personification

الاعتقاد بأن القلق الشديد اثناء مرحلة الطفولة والذى يرجع الى طرق خاطئة فى عملية التربية أو التنشئة يزيد من إنكارنا لذاتنا التشخصية ، فالجوانب المهمة والمخيفه فى الشخصية تكون عادة لاشعورية. ومن ثم فإن عملية الانكار تندرج ضمن هذه الجوانب من الشخصية التى تهددنا تماما حتى أن إساءة التشخص Bad-me* Personification لايستطيع مواجهتها وتفصل لاشعوريا (فهى غير مرتبطه Dissociated) بالتشخص الذاتى. . ويعد عدم الارتباط هنا بمثابة صورة مبالغ فيها من اجراءات الأمان التى تتم بشكل رمزى كمن يدفع شيىء ما لايرغبه ليضعه فى جزء خفى أو مظلم. وتظل مع مرور السنوات فى سلام تام وعلى الثبات ليحفظها فى اللاشعور (1971) وعلى سبيل المثال فإن الطفل الصغير أو مريض الفصام ربما يمريض ليتجنب التعرض للعقاب نتيجة لما يؤمن به من معتقدات وكانه يقول " انا لم افعل ذلك، لقد فعلته يداى " فحالة الطوارئ الشعورية للخلفية التشخصية تنتج انفعالات غريبه وشعور الفرد بأنه ليس هو أو عدم إحساس الفرد بذاته. وتعد الخبرات المثيره شائعة فى مرضى الفصام كما تكثر فى بعض الأحلام المزعجه والكوابيس وحالات الفزع من الصدمات التى تحدث للعديد من الأشخاص العاديين.

ونظراً لأن انكار الانا التشخصيه تمثل اكثر الدفاعات شدة ضد القلق مقارنة بالتشخص السيىء Bad-me ، فإن بعض المنظرين فى مجال الشخصية ينظرون لها على

* يترجمها كمال دسوقى (١٩٩٠) ما أسوأ نى : وتعنى وعى الطفل بنفسه على أنه غير مقبول من الكبار المحيطين به ، ويقال ان عنقود الأفكار والمشاعر التى تتسمى بهذا الاسم هى نواة الأفكار .

أنها المحور الثالث فى النظام الذاتى للفرد، إن هذه الاستمرارية يمكن ان ترجع الى خلفية مثل الذات الخيره * Good-me والتى تنتج من خبرات قلق محدودة فى الطفولة واكثر مرغوبية)، كما تنتج خبرات مثل not - me أو bad-me عن قلق حاد فى الطفولة واقل مرغوبية، وبسبب طبيعتها غير الارتباطية فإنها تبدو اكثر معاكسه او معارضه للتشخص الذاتى من كونها مساعده على عملية التوافق .

أنماط دفاعية أخرى:

يتناول سوليفان حيل دفاعية أخرى كالتبرير وأحلام اليقظة ، ويرى أن هاتان العمليتان غالباً ما يفيدان فى المساعدة فى التعرف على عواقب الأمور والتخطيط الواقعى لها . ولكنه يختلف عن فرويد فى تفسيره لعملية التسامى كحيلة فعاله في خفض القلق ، فهو يرى ان سلوك الفرد يستبدل لاشعورياً بأخر اكثر اشباعاً ولكنه فى الوقت ذاته اكثر إحباطاً، وهذا يعنى ان التسامى لايعد ميزه على الدوام أو فى كل الاحيان لانه سيحرم الفرد من تحقيق إشباعاته حينما يصبح القلق مرتبطاً بأنشطة مرغوبه، ويعطى مثال على ذلك بتسامى سلوك الدافع الجنسى الذى قد يحول دون تحقيق الاشباع السوى عند محاولة اشباعه من خلال علاقة مشروعه .

بالإضافة الى ذلك فإن لسوليفان بعض التحفظات حول التعبيرات الفرويديه الأخرى، فهو يرى ان التقمص له فائده لفظية عظيمه وهامة وانه من الصعب تصور أهميته ومضمونه، وأن الإسقاط هو بمثابة صورة ظريفة لما يدور من مناقشات بين مجموعة من العصابيين الذين افرطوا فى تعاطى الكحول حتى اخر الليل، أما النكوص أو الارتداد فهو قريب لما يحدث كل يوم عندما يذهب طفل الى فراشه لينام وما يرتبط بذلك من تعقيدات وفى هذه الحالة قد يكتسب نمطاً من السلوك المحطم للذات اكثر من أن يصبح مبهم الى حد كبير ، ويعبر عن اعتراضه لفرويد فى تفسير هذه المفاهيم بقوله " يلجأ الأطباء النفسيين لان يدفعوا جانباً ما لا يفهموه على الإطلاق من أسرار مريضهم " (1968).

* الانا الطيب أو الذات الخيره Good-me هى ذلك الجانب أو الجزء من نفس الطفل الكلية الذى يتعرف عليه بوصفه يجلب له الثواب (خصوصاً التأييد والحنان) من والديه، أو مفهوم الصغير عن ذاته على أنها خيره .

نمو الشخصية :

يرى سوليفان أن علم نفس النمو هو المفتاح الحقيقى لفهم السلوك البشرى ، يختلف رأيه بوضوح عن نظرية فرويد ، فى أنه يؤمن بوجود تغييرات جوهرية فى الشخصية غالباً ما تحدث خلال مرحلتى الطفولة المتأخره والمراهقة . ولذلك فقد حدد سبع مراحل متميزه قد تنمو خلالها الشخصية ، وتعد كل مرحلة بمثابة الوقت الأمثل لنمو قدرات فطرية محددة يمكن الوصول اليها ، كما يرى سوليفان ان النضج البيولوجى يلعب دوراً حيوياً فى نمو وتطور الشخصية ، وأن المحاولات غير الناضجة لتدريب الطفل قبل ان تنمو لديه الاستعداد ات العضوية والقدرة البيولوجية على السيطره على سلوكه ، ستكون النتيجة المتوقعة حتماً هى الفشل ، كما أن التدريب الذى قد يحدث بعد فوات الأوان من الصعب أن يحسن من سؤ التوافق عند المتعلم (Sullivan, 1968) . وهذه المراحل السبعة هى :

١- مرحلة المهد (الوليد) :

وتبدأ هذه المرحلة بعد دقائق قليلة من الولادة وتستمر حتى ظهور الكلام حتى ولو كان بشكل غير مفهوم ، واهتم سوليفان بإلقاء الضوء فى هذه المرحلة على اثر القلق والضعف الأمومى على الوليد . واذا كان سوليفان يعتقد بأهمية المنطقة الفمية فى هذه المرحلة ، إلا أنه لايؤمن بالتفسير الشبقى أو الجنسى لفرويد ويرى ان هذه المنطقة يدور حولها وظائف حيويه وهامة أخرى كالتنفس والبكاء والتغذية ومص الإبهام .

تمد عملية التغذية الطفل بأول الخبرات وبأول تجربه اصيله وحتميه فى علاقاته البيتشخصية . وتشجعه على التوحد مع المصادر الهامة فى العالم الخارجى . فالوليد الصغير يشخص أمه أولاً ما اذا كانت حسنه أو سيئة مميزاً فى ذلك بين أربعة أنواع مختلفه من الحلمات nipples (كرمز للأم مصدر الغذاء) :-

١- الحلمة الجيدة والمُشبعة أو المُرضية : Good and Satisfactory وهى حلمة الأم الحنون التى تمد الطفل بالحنان والحليب أو الغذاء عندما يكون جائع .

٢- الحلمه الجيده غير المُشبعة أو المُرضية : Good but unsatisfactory وهى حلمة الأم الحنون التى تقدم له عندما يكون غير جائع .

٣- الحلمة المؤذية أو الظالمة Wrong هى حلمة الأم التى لاتعطى الحليب ومن ثم يدفعه بين الحين والآخر إلى الغذاء البديل.

٤- الحلمة الشريرة evil وهى حلمة الأم القلقة التى تبدو غير سعيدة والتى ترفض مجرد فكرة أن طفلها جائع (Sullivan, 1968) .

ويكون الصياح أو البكاء فى بعض الأحيان أكثر الأساليب فعالية فى إشباع حاجاته وخفض مالديه من قلق. ويختلف طبقاً للهدف منه (كالصراخ عند الجوع، والصراخ عند الخوف، والصراخ عند الاحساس بالبرد او تبليل الفراش وما إلى ذلك) وعلى سبيل المثال: تمثل عملية الصراخ عند الجوع الأسلوب الأصلى أو المحورى - ولكنه الإسلوب غير الناضج - لدى الطفل للتعبير عن فكرة "تعالى أيتها الحلمة الى فمى Come, nipple into my mouth" ، وليس هناك بالضرورة علاقة مع خبرات الطفل عند صياحه نتيجة الإحساس بالبرد، أوالصياح عند الإحساس بالألم، أوالصياح تحت أية ظروف أخرى (Sullivan, 1968). فاذا كان من الضرورى تأجيل عملية الإشباع فإن الديناميات المذكورة سابقاً تعمل على تقليل حدة التوتر، ونظراً لان الصراخ عادة ما يدعو أو يؤدى الى الراحة كنتيجة لإشباع حاجاته، فإن مثل هذا النجاح يساعد على المبادره من جانب الطفل لتنمية الإحساس بالاستبصار وتكوين العلاقة بين السبب (التوتر والصراخ) ، والنتيجة (اشباع الحاجة وتحقيق الراحة)، وهو ما يجعل الطفل يستنتج فى كثير من الحالات القاعدة التالية : أنا أصرخ عندما إعانى توتراً ما، وهذا الصراخ ينتج بعض الأشياء المختلفه التى ترتبط بالراحة من هذا التوتر (Sullivan, 1968) .

ويبدأ نمو النظام النفسى خلال منتصف مرحلة المهد تقريباً ويسهل من ذلك عمليات الاكتشاف لأجزاء الجسم مثل مص الإبهام والانتقال التدريجى من الارتباط بالأم الى محاولة التطبيع الإجتماعى، وحيث ان التعلم الناجح لايتم بدون النضج الكافى، فإن الأمومة الرشيده يجب ان تكون دقيقة وحذرة في عدم فرض مطالب غير واقعية أو الرغبة فى تحقيق أهداف واقعية بشكل فورى او متعجل مثل محاولة منع مص الإبهام فى الحال أو بشكل فجائى أو محاولة الإسراع بالتدريب على الذهاب الى المرحاض أو أعمال التواليت، ويحذر سوليفان من هذا المسلك المرضى للأبوين مثل القلق الزائد أو الاعتقاد الغاضب بأن الطفل يتعمد إزعاجهم محطماً رغبتهم فى السيطرة وعقابهم الشديد والمستمر. والايشجعوا الطفل الوليد لأن يبقى إعتمادياً وطفولياً فى سلوكه، وان يقاوموا الخوف من مداعبة الطفل لأعضاءه التناسلية أو فتحة الشرج ، وتناقض معايير الثواب والعقاب، أو تكوين تشخيص خاطئ تماماً يسلك الطفل فى إطاره (1971) .

وخلال الفترة مابين الشهر الثانى عشر والثامن عشر يبدأ استخدام اللغة عن طريق التعلم بالمحاولة والخطأ وتقليد الأصوات فى البيئة التى يعيش فيها وهذا يمثل بداية ظهور السلوك الاردافى (الباراتكسيك) أو الاسنادى المرجعى اذا صدر نطق الطفل للكلمة مطابقاً للكلمات الأصلية أو الحقيقية، ويبشر ذلك ببداية المرحلة الثانية من مراحل نمو الشخصية .

ويلخص هول وليندزى (١٩٧٥) ما يتم فى هذه المرحلة فى النقاط الآتية :

١- ظهور ديناميات البلاده الوجدانية والانفصال عن طريق النوم .

٢- الانتقال من أسلوب الخبرات الخام الى أسلوب الخبرات المتتالية فى التعرف .

٣- تنظيم تشخصات مثل الأم الشريره والقلقة والنابذه والمُحبطه، والأم الطيبة والمسترخيه والمتقلبه والمُشبعة .

٤- تنظيم الخبره عن طريق التعلم وبزوغ أوليات نظام الذات .

٥- تفاضل جسم الطفل بحيث يتعلم إشباع توتراته مستقلاً عن الأم التى ترعاه عن طريق مص الإبهام .

٦- تعلم الحركات المتآزره التى تستخدم العين واليد، واليد والفم ، والأذن والصوت .

٢- مرحلة الطفولة :

بالإضافة الى تطور استخدام اللغة يبدأ الطفل الصغير فى اكتساب عدد من الاستجابات التى تساعده على منع القلق ووقف عقاب الوالدين (1968) ويتضمن ذلك استخدام الخداعات والمفاهيم العقلية لإدخال السعادة فى نفوس الوالدين ،وزيادة استخدام التسامى . بعض انواع العقاب قد تحدث بصورة متكررة، وهذا يؤدى بدوره الى نمو الجانب السيئ Bad-me فى النظام الذاتى للشخصية .

وقد يمنح الوالدين المزيد من الإثابة والتدليل للطفل كوسيلة لمساعدته فى تحقيق المزيد من التشخص الحسن أو الجيد بقدر الإمكان وليس من الضرورى ان ينتج أذى شديد، ولكن إذا اعيق إشباع هذه الحاجة بسبب قلق الوالدين وعدم ثباتهما واللاعقلانية أو السلوك العدائى لديهما فإن المكونات المرتبطة بمشاعر اللاسواء سوف تكون اكثر سيطره على نظام الذات كما يحدث للطفل المنبوذ أو المهمل فى نظرية أدلر، كما أن

التحول الحاقد (تحول الحقد) Molevolent Transformation ينتج من الاعتقاد المضلل بأن إناساً اخرين يكرهونه أصلاً ويعتبرون أعداءً له . . ويعبر سوليفان عن ذلك بقوله إن " تحول الحقد ربما يمثل التشويه الأكبر الذى يمكن أن يحدث فى طور الطفوله على طريق تطور الشخصية . مثل هذا الطفل يتعلم أنه من غير الملائم أن يظهر أى حاجة الى الميل للتعاون مع الأشخاص ذوى السلطة من حوله فى تلك الحالة . . . إن الاتجاهات الحاقده أساساً هى الاتجاهات التى يحياها الإنسان حقيقة بين أعداءه . . إن هذا التشويه وهذا الحقد يعطى نفس المشاعر تقريباً . وهو ما يعبر الطفل عنه بقوله لقد كان كل شيىء محبوب ، ولكن ذلك قبل أن اتعامل مع الناس ، وعلى اساس هذه القاعدة التى تكاد تصبح مبدأ ثابتاً فإن الحدث ذو الاتجاه القبيح يصبح من غير الممكن بالنسبة له ان يشعر بالميل إزاء أى شخص أو أن يتعامل معه بلطف أو عطف" (1968) .

وقد يكون الطفل الحاقد طفل عابث أو مؤذى ومزعج ، يتصرف كالنمر أو يُظهر تعبيرات وتصرفات كالعناد ، وغالباً ما يفشل فى عمل ماهو مطوب منه ، إن مثل هذا النمو الخاطىء فى الشخصيه يعطل نمو العلاقات الايجابية مع الأخرين ، وخاصة ذوى السلطة من خارج الأسرة .

ومن المشكلات الأخرى المحتمل ظهورها فى مرحلة الطفولة هى الشعور بالوحدة Loneliness التى تحدث بسبب فشل الوالدين للتقرب للطفل أو مشاركته اثناء لعبه ، فالطفل المنعزل الذى يعانى شعوراً بالوحدة غالبا ما يفرط فى أحلام اليقظة التى قد تحبط لديه القدرة على التمييز مابين الحقيقة والوهم أو الخيال وأن يتحول من الإثره الى الايثار . ومن الأخطاء الوالديه الأخرى هى الانصياع الكامل لأى نزوه أو رغبة لدى الطفل ، وهو ما أشار اليه ادلر من قبل بالطفل المدلل وتؤدى هذه العملية الى قتل روح المبادئة لدى الطفل وتخلق لديه حالة من الطاعة العمياء (1968) .

وتنصهر كميات لها أهميتها ودلالتها من التشخص للأم الحسنة أو السيئة فى كينونة واحده اثناء مرحة الطفولة . وهو ما يدعم بالحقيقة ان لهذه الشخصية الهامة فى حياة الطفل (وهى الأم) معنى واحد ، وفى هذه المرحلة يقترن دور الأب مع دور الأم كسلطة قياديه بالنسبة له ، وهو ما يؤدى الى جعل الطفل يبدأ فى تكوين تشخص محدد للأب كذلك . . . كما تتطور فى هذه المرحلة المعرفة المرتبطه بالجنس مع رغبة الولد أو البنت للتشبه بالوالد المماثل له فى الجنس ، ويرى سوليفان ان هذا التوحد لايرجع الى عقدة أوديب وأثارها

كما يدعى فرويد، ولكنها تحدث لأن معظم الأباء يكونون اكثر انسجاماً مع الطفل واكثر قبولاً وحباً له اذا كان من نفس جنسهم، كما انهم يكافئونه على السلوك الذى يطابق سلوكهم أو يطابق السلوك المناظرلسلوك جنسه (ذكر أو أنثى) عموماً (1968) .

٣- فترة الصبا (عهد الحداثة) : The Juvenile Era

تبدأ فترة الصبا مع ظهور الحاجة إلى أصدقاء أو رفاق اللعب، والذى ينشأ عند اقتراب موعد دخول المدرسة الإبتدائية (1968)، وكمثل أدلر . . فقد استنتج سوليفان أن النظام التربوى يمكن ان يمنح الفرصة لمعالجة كل الأخطاء الوالدية التى تحدث خلال فترتى المهد والطفولة المبكرة، وهذا التغير المفضل فى الشخصية أمر قائم الاحتمال لأن النظام الذاتى المتسم بالصلابة يكون قابل جداً للتغيير فى مستهل كل مرحلة تطورية، وعند نضج القدرات الجديدة يتزايد إحتمال التغيرات الجوهرية فى السلوك .

ويتعلم الصبى خلال هذه المرحلة ان يتوافق مع متطلبات المرحلة ومع الثواب والعقاب من اعضاء السلطة الجدد فى حياته كالمدرسين، ويلاحظ كيف عُولج آو عُومل الصبية الآخرين من قبل هذه السلطة أو كيف تعاملا مع بعضهما البعض، ويستمر فى تطوير عملية التسامى والانماط السلوكية المرغوبة لكى يتفادى القلق ويبقى على تقديره لذاته، ويتعلم كيف يتعامل مع الرفاق بما فى ذلك الرفيق المستأسد الحاقد، ويتقدم فى القدره على تحقيق التفاعلات الإجتماعية من خلال المناقشة والتراضى مع الآخرين، وفى المدرسة يتعلم الصبى كيف ينخرط فى جماعة أو يبقى خارج الجماعة، وقد ينتابه إحساس مؤلم بالرفض من قبل أحد الرفاق . ولذلك فإن المدرس الجيد يمكن ان يساعد كقوه مؤثره وفعاله فى تغيير الشخصية إلى الأفضل، فالفرد القاسى والمتنمر قد يستميله النكوص الى حالة مرضية حتى ذلك الطفل الذى ينحدر من أسرة سعيدة، وتعد فترة الصبا هذه هى الفترة التى عندها يبدأ العالم فى التعقد بسبب وجود أشخاص آخرين، والتى تتمثل من خلال المحاولات غير التجريبية فى العلاقات البينشخصية والتى تعكس غالباً احساس صادم إزاء المشاعر والأحاسيس القيمه للأخرين (1968) .

وخلال مرحلة الصبا يصبح النمط الإسنادى أو المرجعى واضحاً وجلياً أو بارزاً، وبالإضافة الى ذلك يبدأ الوالدين فى فقد صفة الألوهية gadlike التى يعتقدها الطفل عنهم ويبدأ فى اتخاذ الصفه الإنسانية عند الطفل، أى يأخذا طريقهما لديه إلى التشخص الطبيعى ويعبر سوليفان عن ذلك بقوله " يصل الأطفال الى مرحلة الحداثة دون أن يكون

لديهم الحرية لأن يقارنوا اباءهم بغيرهم من الأباء أو المدرسين أو ما شابه ذلك . واذا ظلا مقدسين لديه أوهم أكثر الناس كمالاً على وجه الأرض . فى هذه الحالة فإن أهم إسهامات هذه المرحلة وهو فى طريقة الى التطبيع الإجتماعى هو تحطم هذه الصورة لديه (1968) .
ومن الأسباب الأخرى التى تعد من مصادر المرض النفسى تتمثل فى الوالدين المجبرين على الانتقال من مدينة إلى أخرى ، مما يحول بين الصبى وبين تكوين علاقات صداقه مُشبعه مع مجموعه ثابته من الرفاق ، أو ذلك الوالدين الذين يحطون من أو ينتقصون قدر الآخرين ويجعلون الصبى يشعر بعدم القدره على معرفة الصحيح أو الخاطىء من الأمور ، ويقول " إذا اردت ان تحافظ على تقديرك لذاتك مرتفعاً من خلال هدمك أو إدناء مالدى الآخرين فأنت إذن شخص غير محظوظ بالتأكيد . وإذا قدست التلال فبالله لن يكون هناك جبال . . . فهؤلاء هم الأباء الذين يحتمل ان يتسموا بالقوه وبعدم الكفاية وعدم الملائمة وذوى التكوين غير الفعال تجاه الصبية (1968) .

ويتحقق التوجه المتكيف للحياة مع الآخرين مع نهاية فتره الصبا ، ويتضمن ذلك الاستبصار الحقيقى والدقيق بطبيعة الحاجات البنيشخصيه للفرد والطرق الملائمة لإشباعها . وألا يكون ذلك من خلال التسامى حيث ان ذلك يتم بصورة لاشعورية ويقول سوليفان " يصل معظمنا الى مرحلة الرشد ولديه طرق دفاعية ثابته للتعامل مع من يأتى بعدنا من بنى البشر وهو ما يجعلنا عاجزين عن إعطاءهم القدر المناسب من التوافق " .

٤- مرحلة ما قبل المراهقة .

تعتمد أو ترتكز مرحلة ما قبل المراهقة على الحاجة الى علاقة قوية مع شخصية محددة من نفس الجنس أو صديق حميم (1968) . وتمتد هذه المرحلة مابين الثامنة والنصف وحتى العاشرة . وعلى الرغم من ذلك فقد تتأخر لبضع سنوات إذا كان النمو أو النضج بطيئاً .

وتمثل علاقة الصداقة فى مرحلة ما قبل المراهقة علاقة حرجة وحاسمة لأنها تمثل الظهور الأول لعواطف مثل الحب أو الميل المخلص للاهتمام بسعادة شخص آخر . وفى الحقيقة فإن تأثير هذا الفرد الهام يكون فعالاً فى تعديل الجانب المتصلب والجاف من النظام الذاتى . وتصحيح أى إعوجاج فى الشخصية ويحمل ذلك معه الى المراحل اللاحقه ، " لأن الشخص يبدو أيضاً منغلق فى علاقته مع الآخرين ، ولأنه يصبح قادر على أن يرى ذاته بعيون الشخص الآخر ، ولذلك فإن مرحلة ماقبل المراهقه فى نمو الشخصية

تتميز خصوصاً بتصحيحها للاسترسال فى الخيال هروباً من الواقع وعدم الافراط فى الافكار الخيالية حول الذات والأخرين (1968) . وربما تساعد علاقة الصداقة الحميمة هذه على تغيير وجهات النظر غير الحكيمة أو غير الرشيدة كالإفراط فى التمركز حول الذات والميل إلى العبوس وتقطيب الجبين عندما يحدث أمراً خاطئاً أو غير مرغوب، والاعتماد الزائد أو التعلق المفرط بالآخرين وعدم تحمل المسئولية ، والإعتقاد الخاطئ بأن على الفرد أن يكون محبوباً من الآخرين دائماً . وربما تعكس هذه العلاقة تحول الغل أو الحقد. وعلى هذا الاساس فإن صعوبة التعامل مع الآخرين من نفس الجنس (لدى الذكور على الأقل) يعكس الفشل فى تطوير هذه العلاقات الجوهرية فى مرحلة ما قبل المراهقة. وهو ما يؤدى بدوره الى مزيد من الشعور بالوحده .

ويحدث تشكيل المجموعة الاجتماعية التركيبيه أيضاً خلال هذه المرحلة، فالأفراد الذين يتسمون بدرجة أقل من القدره أو النضج يميلون لأن يكونوا تحت إمرة أو سيطرة وتوجيه قائد يستطيع التعبير بفاعلية اكثر ومنطقية عن مشاعرهم ، قد تسلك مثل هذه المجموعات بطريقة غير مقبوله إجتماعياً أو حتى بطريقة إجرامية ، غير ان سوليفان يرى أن ذلك يعد استثناءاً للاعتبارات المرغوب فيها فى مرحلة ما قبل المراهقة .

٥- المراهقة المبكرة :

تبدأ مرحلة المراهقة المبكرة مع البلوغ ، وبلوغ ديناميات الرغبة الجنسية الى أوج قوتها، وهو ما يؤدى الى الرغبة فى تكوين علاقة قويه مع عضو من الجنس الآخر (1968). وعلى العكس من فترة ما قبل المراهقة التى لايكون للجنس خلالها أى معنى أو دور، إلا أن هذه المرحلة تتميز بالرغبة الجنسية الجامحة ، ويتم التعبير عنها من خلال المنطقة التناسلية، والوصول الى قمة الإثارة فى هزة الجماع .

ويرى سوليفان ان مرحلة المراهقة المبكرة تواكبها إحتمالية وجود سلسلة من مظاهر سوء التوافق. ويرجع ذلك الى العوامل الثقافية المعوقة لممارسة النشاط الجنسى، والافتقار الى الإرشاد والمعلومات المرتبطة بهذه الناحية خلال هذه الفترة الهامة، وحتى الأباء قد يزيدوا المشكله حدة من خلال تحفظاتهم الرجعية المبالغ فيها واللجوء الى السخرية بدلاً من الدعم العاطفى، والمراهق الذى يتجنب ممارسة علاقة جنسية غيرية ربما يدفعه أو يقوده ذلك الى الإصابة بالعنة والبرود الجنسى والقذف المبكر، وهو ما يسبب بدوره نقص كبير وحاد فى تقدير المراهق لذاته. " وتدريجياً يؤدى تقدير الذات

المنخفض الى خلق مشكلات وصعوبات حقيقية لدى الشخص تجعله لايستطيع بدوره أن يظهر مشاعره الحسنه إزاء شخص آخر " (1968) . وقد يندفع الشخص غير المحظوظ أو غير السعيد هذا الى الزواج بأول شخص من الجنس الآخر يبدى له بعض مشاعر الحب، مثل هذه العلاقة غالباً ما تكون غير مُشبعة ولامُرضية، فقد يعزل المراهق أو يفصل بين حاجته لإشباع رغباته الجنسية وبين حاجاته للألفه والمودة وقد يترتب على ذلك ان يصبح قادراً على إشباع رغباته الجنسية فقط مع البغايا والمنحرفين ويرفض الجنس ولايشعر بلذة منه اذا مارسه مع من يحبه بإخلاص. أو ربما ينمو لديه شعوراً بالكراهية والخوف من الجنس الاخر مما ينتج عن ذلك العزوف عن الزواج، والإفراط فى الخيالات الجنسية، والوقوع فريسه للجنسية المثلية ، ويرجع فشله المحتوم الى سلسلة من العيوب والنقائص فى كل مظاهر الحياة الحقيقية ، وليس فقط الكراهية اللاشعورية للجنس المخالف فى النوع. وقد يبقى المراهق غير نامى او ناضج عاطفياً أبعد من مرحلة الصبا ويستجيب لديناميات الرغبة الجنسية لديه بتكوين علاقات جنسية وغرامية سطحية وقصيرة الأمد (دون جوانيه)، أو التهيج الجنسى بدون استثاره خارجية. وقد يضطر المراهق القلق الى ممارسة العادة السرية أو الاستمناء مما يؤدى الى توقف فى نمو الشخصية لديه والعجز عن تكوين علاقة جنسيه غيريه صحيحة وناجحة . كما ان المعدل البطيء من النضج ربما يعيق الرغبة فى تكوين علاقة جنسية غيرية ويستثير ضغوط هامه على المراهق من رفاقه الأكثر نضجاً فى هذا الإطار.

على الرغم من خطورة هذه المشكلات، وأهمية وضرورة ديناميات إشباع الرغبة الجنسية، لم يؤمن سوليفان بأن القصور الجنسى هو أهم العوامل المرتبطه بالاضطراب النفسى، وبدلاً من ذلك فقد فضل التأكيد على عدم القدرة على تكوين علاقات بينشخصية مُشبعة ومرضية، وهو ما يتمثل بشكل ثابت الجذور فيما نشاهده من صعوبات جنسية واضحة (1968) .

المراهقة المتأخرة :

يواكب الجزء الأخير من مرحلة المراهقة تحقيق القدرة على ممارسة انشطة جنسية مُشبعة ومُرضية (1968) ، ويجب على المراهق فى هذه المرحلة ان يناضل فى سبيل زيادة قدرته على تحمل ما يلقى على عاتقه من مسئوليات إجتماعية إضافية مثل العمل، وزيادة النفقات الإقتصادية، وتتأثر شخصية المراهق فى هذه المرحلة بالمستوى الاقتصادى

الإجتماعى له أو لأسرته . فهؤلاء الذين يستطيعون الالتحاق بالجامعة يكون لديهم سنوات عديده تمثل فرصة للملاحظة وتعلم مالايستطيعه الآخرون وهكذا " تعد مرحلة المراهقة المتأخرة ضرباً من التدشين أو التنصيب الطويل نسبياً لامتيازات وواجبات وطرق الإشباع والمسئوليات التى تتطلبها الحياة الاجتماعية ، والقيام بدور المواطن ، ويكتمل بالتدريج الشكل التام والكامل للعلاقات الشخصية المتبادلة ، وتنمو الخبره بالأسلوب التركيبى الذى يسمح بالتوسع فى الافاق الرمزية للشخص ، وتثبيت دعائم نظام الذات ويتعلم الفرد اشكالاً من الإعلاء للتوتر أكثر فعالية ، وتتكون أساليب اكثر قوة فى الحماية من الحصر " (هول وليندزى ١٩٧٥).

مرحلة الرشد :

لم يكن لدى سوليفان الكثير ليقوله عن مرحلة الرشد التى تمثل النضج واكتمال نمو الشخصية ، ويرجع ذلك الى أن الأطباء النفسيين لم يكن لديهم الفرصة الكافية لملاحظة السلوك المتوافق. والرشد يدل على وجود ذخيره ناضجة من التفاعلات البينشخصية والقدرة على الحب الحقيقى ، وهو الحالة التى عندها يكون الناس الآخرين واضحين ولهم أهميتهم كذات الفرد تماماً (1968) ، وتشير هذه الفترة الأخيره للمرحلة التناسلية عند فرويد (بدن التعميم الجنسى) . أو مرحلة التوجه المنتج أو الفعال عند فروم . غير ان سوليفان كان غير متفائل بخصوص الفرص المتاحة لهؤلاء الراشدين لكى يبلغوا هذا التوجه الفعال فى المجتمع الأمريكى ، ولذلك يقول " أنا اعتقد انه بالنسبة لأغلب الناس، تعد مرحلة ماقبل المراهقة هى اكثر المراحل التى لاتحتوى على إضطرابات فى حياة البشر أو اكثر المراحل التى ينعم فيها الفرد بحياة إنسانية مستقرة. ومن بعدها تبدأ توترات الحياة ومطالبها التى تحولهم الى صورة كاريكاتيرية فى ادنى مرتبه لما سيكونوا عليه مستقبلاً" (Sullivan, 1953) . وفيما يلى تلخيص للفترات النمائية السبع عند سوليفان :



شكل رقم (٧ - أ) ملخص مراحل النمو وخصائصها عند سوليفان .

تطبيقات نظرية سوليفان :

المرض النفسى : مثلما ذهب كل علماء نظريات الشخصية، لم يذهب سوليفان بعيداً حينما اعتقد أن الفرق بين السواء والمرض هو فرق فى الدرجة وليس فى النوع " فكل مريض هو تقريباً شخص يشبه الطبيب النفسى " حتى السلوك الشاذ لمريض العصاب يرتبط بالعمليات التى تحدث فى الأشخاص الأسوياء تقريبا (1970) .

اسباب المرض النفسى : يرى سوليفان أن كل الصور غير العضوية للإضطرابات العقلية (بما فى ذلك العصاب والفصام) ترجع إلى علاقات بينشخصية مرضية. وتتضمن ذلك كل الاحتمالات المذكوره سابقاً كالتعلق الأمومى الزائد خلال مرحلة المهد، والعقاب غير المناسب، والافتقار إلى العطف والحنان الكافى خلال مرحلة الطفولة والفشل فى الحصول على جماعة الرفاق المناسبة من الصبيان فى مرحلة الصبا، أو تحقيق الصداقه فى مرحلة ما قبل المراهقة، ومشاكل مرحلة المراهقة الناتجة عن علاقات جنسية غيرية وديناميات إشباع الدافع الجنسى عموماً ، وعلى وجه الخصوص كل ما يصعب التسامى به وما إلى ذلك. والنتيجة هى التدنى الواضح فى تقدير الذات، ووجود نظام ذات مشوه ومتصلب جداً، وهو ما يحول دون قدرة المريض على تشكيل وأداء ناضج للسلوك فى التفاعلات البينشخصية، ويخلق صعوبات فى الحياة يصعب مواجهتها من قبل نسبة كبيره من الناس العاديين.

وعلى سبيل المثال فالتشخص السيئ للذات والمبالغ فيه من قبل الفرد الحقود يصدر بناءاً على اعتماد زائداً على ديناميات الكراهية وانحطاط الذات والآخرين، وهذا الاداء السلوكى المحدود يتجه الى منع تكوين علاقات بينشخصية مُرضيه ومُشبعة، أو قد تأخذ إجراءات الأمان لدى المريض شكل خيالى أو سؤ إدراك لرغبات الآخرين والتجاهل المختار لاراءهم وانتقاداتهم مما يجعل من المستحيل الارتباط بهم بشكل فعال، أو يقود انخفاض تقدير المرء لذاته الى الاعتماد الواضح والمبالغ فيه على الآخرين، أو الاستقلالية والإنعزالية عنهم كما تعبر عنها هورنى بالتحرك مع أو ضد أو بعيداً عن الناس، وبصرف النظر عن السبب أو الشكل فإن كل الاضطرابات العقلية يمكن ان تفهم على انها انماط سلوكية غير متوافقه غير مناسبة فى العلاقات البينشخصية (Sullivan, 1973).

ويعبر سوليفان صراحة - مثله فى ذلك مثل أدلر - وباهتمام عن الآثار المدمرة للتعصب العنصرى والدينى على الشخصية الإنسانية ، بالاضافة إلى آثار الدمار الناتجة عن الحروب كالحرب العالمية الثانية ، كما يتفق مع فروم حول أهمية القوى الإجتماعية. المريضة ويرى أن المجتمع الغربى مجتمع مريض إلى أبعد درجة حيث يشعر كل من يعيش فيه انه غريب عن عالمه، وهو ما يشعر كل شخص بأنه مريض لاقصى درجة (1971).

أنواع الأمراض النفسية والعقلية : ينتقد سوليفان الأطباء النفسيين الذين لايربطون بين المرض النفسى والثقافة التى ينظر اليها على أنها مصدر للإضطراب المحتمل " هذه

الكلمات الخادعة أبعد من أن أستطيع اكتشافها. فاستخدام المصطلحات المرضية يعنى أننى كمريض وبطريقة ما عضو فى رابطة سرية فى مكان ما، هذه الرابطة مكونة من إناس لايستطيعون بالتأكيد التخاطب مع أى شخص خارج هذه الرابطة، ولديهم تصور ان كل منهم يستطيع التحدث مع الآخر فقط (Sullivan, 1968). ولذلك لم يستخدم مثل هذه الأنواع الوصفية الشكلية مثل ذهان الهوس والاكتئاب، والهستيريا وتوهم المرض، والبارانويا والمرض العصابى، ولكن انصب الجزء الأكبر من إهتماماته الإكلينيكية على اثنين من الإضطرابات الأساسية هما عصاب الوساوس القهرية، والفصام.

فعصاب الوساوس القهرية يعكس السيطرة الكاملة للقلق والافتقار البين لتقدير المرء لذاته، والذى ينتج عن عدم النجاح الواضح فى إقامة العلاقات البينشخصية، وتتكون عمليات الأمان الناتجة من أفكار وأحداث وقتيه تبدلت لاشعورياً الى السلوك المثير للقلق، وعلى سبيل المثال فقد تحل الكراهية محل الحاجة الى تهديد الآخرين، أو أن الخوف من الإسنادية أو المرجعية Syntaxically لدى الفرد للتعبير عن المشاعر الحقيقية إزاء شخص آخر ربما يقوده الى التعبير عن ذلك من خلال عدة صفات مراوغة أو غير مستقيمة للسلوك، ويسعى وكأنه محدود بالنمط الاردافى الذى يستخدم رموز ذاتيه ليس لها معنى إلا بالنسبة له. وتلعب المكاسب الثانوية أيضاً دوراً بارزاً فى هذه الإضطرابات، فأحد مرضى سوليفان بقى مربوطاً فى الطابق الثانى من منزله بسبب وساوسه حول الانتحار عن طريق القفز من على السلم، وهو بذلك لم يحقق فقط بعض الأمان ضد تهديدات العالم الخارجى، ولكنه تمتع أيضاً بعطف ثابت وانتباه دائم من قبل زوجته التى اصبحت مجهده وقلقه بسبب مطالبة العصابية وطُلقا بعد سنوات قليله من ذلك. (1971).

وينظر سوليفان الى عصاب الوساوس القهرية على أنه يتشابه فى جوانب عديدة منه مع الفصام، وعادة ما يمثل سبباً (مقدمه) أو نتيجة لهذا الشكل من الأمراض الذهانية، ويحدث الفصام بسبب وجود انفعالات غير متوقعه فى مراحل الحياة المبكرة للفرد وجزئياً فى مرحلة المراهقة، مثال ذلك اذا كان لدى الوالدين مخاوف غير واقعية حول الناحية الجنسية للطفل ويصبح فزع ومضطرب اذا داعب الطفل اعضاؤه التناسلية أو عبث بها، فإن القلق الشديد الناتج أو الهلع Panic يعمل تماماً كمؤثر أو مخدر قوى ويكون أشبه بضربة قاسية على الرأس هذا بخلاف ربط الأعضاء التناسلية بالتشخص السيء أو بالعقاب

القاسى ، وبدلاً من ذلك فقد لايربط القضايا المهددة بشكل كبير بنظامه الذاتى وانما يربط التصرفات والسلوك الجنسى بتجاهل التشخص Not-me بشكل لاشعورى. ويعزيها (أى التهديدات) الى مصادر خارجية ، ويترتب على ذلك تكون فجوة او ثغرة فى هذه المنطقة من الشخصية، وهو ما يخلق بلامفر مشكلات واضحة خلال مرحلة المراهقة. وتتضمن مطالب الفصامى من أجل الإحساس بالأمان - تتضمن - النكوص الى طور الطفولة فى حالة النمط الجانبى أو الاردافى ، والكلام أو الحديث الذى ليس له معنى إلا للمريض فحسب، ولكنه يبدو غير مفهوم وشاذ بالنسبة للآخرين، ويرى سوليفان أن الفصام يمثل عودة إلى صورة سابقة لوظيفة عقلية فى محاولة لدفع القلق الزائد واستعادة الإحساس المحطم بتقدير الذات، وليس ارتداد أو انسحاب الليبيدو من العالم الخارجى كما يدعى فرويد، وليس كنتيجة لبعض ظواهر التحول الشخصى فيما يشبه اللاشعور الجمعى عند يونج (Sullivan, 1973).

العلاج النفسى :

الأساس النظرى : يرى سوليفان أن العلاج النفسى أولاً وأخيراً هو عملية تعليمية ويقول " لاتوجد إختلافات جوهرية بين انجازات العملية العلاجية والإنجازات فى الصور التربوية الأخرى ، فكل منهما يخضع فى النهاية لمؤثرات الخبره ، ولذلك فأنا اتجنب استخدام مصطلح الرعاية Cure لأنى لا أعتقد انه يطبق فعلياً فى إطار الشخصية (1970)

وبصورة مثالية ، فإن العلاج النفسى يمكن المريض من اكتساب استبصارات قيمة بقضايا يتم تجاهلها بشكل مختار من قبل المريض، واعادة التكامل بين الجوانب غير المرتبطة من الشخصية، وتحقيق بعض التوازن بين التشخص السيئ والحسن، وهذا الامتداد لنظام الذات الذى تحققه العملية العلاجية تسهل النمو بفاعلية أكثر، ويخلق سلوكيات بينشخصية اكثر كفاءة أو فعالية، مثل هذا العلاج ربما يساعد المريض الذى يعانى من اندفاعات جنسية غير مرتبطه لأن يتقبل ضبط الدوافع الجنسيه، وان يدرك ويغير الإحساس بالذنب والخجل المصاحب لذلك وان يطور أو ينمى السلوكيات الممكنة لإشباع هذه الحاجة ، ويتعلم المريض الحقود ان يخفض التشخصات السيئة المبالغ فيها وان يكون بعض الحب لذاته وان يستبدل الاختلالات الإردافية أو الجانبية بإدراكات بينشخصية اكثر فعالية ، وعادة ما يعبر عن ميوله وحبه نحو الآخرين.

وعلى الرغم من أن العلاج يساعد على تنمية الدوافع غير الفطرية نحو الصحة العقلية، إلا أن تحقيق عمليات الأمان المختلفه ومواجهة مواطن الضعف فى الشخصية يعد مطلباً صعباً ومُضنياً. ولذلك يجب أن يكون المعالج النفسى خبيراً بالعلاقات البينشخصية، وان يعرف أكثر مما يعرفه المريض عن اى موضوع فى أي مجال ربما تثار فيه المناقشة، وان يكون قادراً على تبديد شكوكه وقلقه عن طريق التأكيد له أن العلاج النفسى حقاً سوف تكون له نتائج مُفيده ومُتميزه (1970).

الإجراءات العلاجية : يرتكز العلاج النفسى فى رأى سوليفان على العلاقات البينشخصية بين المريض والمعالج حيث يأخذ الأخير دور الشريك والملاحظ معاً "يدرك الطبيب النفسى فى كل الحالات حقيقة مؤداها أن العلاج النفسى هو تفاعل بين شخصين، ولذلك فإنه يركز انتباهه على العمليات القائمة فيما بينه وبين الشخص الآخر (المريض)، وليس على ما يحرك هذه العملية، ما الذى يفعله هذا المريض وماذا يقول فى ذاته أو فى داخله معى ولى. وبعد ذلك سوف يبدأ فى استخدام إحساسه" (1973).

يتجنب أنصار نظرية سوليفان فى العلاج استخدام سرير أو مضجع للمريض ويجلسون على مقعد موضوع بجوار المريض بزاوية قدرها (٩٠درجة) وهو ما يمكنهم من اكتشاف البدايات المفاجئة والتغيرات التى تطرأ على المريض بدون تعب من تعبيرات وجهه. وهم أيضا يرفضون استخدام التداعى الحر مع مرضى الفصام لانهم مثارين بقلق شديد، ويفضلون استخدامه مع إضطرابات أخرى عندما يكون المريض فى علاقة قوية مع المعالج. وكمثل هورنى فإن سوليفان يرفض تحديد مدة ثابته للجلسات وإنما يترك ذلك على حسب ظروف الجلسة، كما يفضل الى حد ما أن يقدم تفسيرات بسيطه ليساعد المريض على تجنب القلق وتحديد نظام الذات للمريض، والهدف من هذه التفسيرات هو مساعدة المريض على معرفة أن طريقه الحالى فى الحياة غير مُرضى وغير مشبع وعليه أن يكتشف أسلوباً اكثر إشباعاً من خلال تعديل نظامه الذاتى. (1968).

ويشارك سوليفان فرويد رأيه حول عدم رضاه عن كتابة مذكرات خلال الجلسات العلاجية، ويرى ان هذه الطريقة لاتُلهى فكر المعالج عن العناية بمريضه فحسب بل تجعله أيضاً غير قادراً على تسجيل ما يحدث من اشياء هامشيه فى سلوك المريض ويدافع فى نفس الإطار عن استخدام اشرطة الكاسيت.

وعلى العكس من فرويد فقد كرس سوليفان الجزء الأكبر من اهتمامه بعلاج الفصام، وعلى مدار حياته أخذ ينتقد بشده الطرق المتواضعة التى تستخدمها مستشفيات الأمراض العقلية والظروف المتردية فيها، وأى انتقاد كان يقدمه كان بمثابة ملاحظة نابعه من قواعده المتميزه ومواضع اهتمامه، فعلى سبيل المثال منع سوليفان الممرضات الإناث من الظهور امام المرضى الذكور اثناء العلاج، لأن الذكور ينظرون اليهم كرموز مُهدده لخضوعهم للسلطة ، وبدلا من ان يدرب من معه من المساعدين الذكور كان يؤكد عليهم بأن مراقبة الحياة اليومية للمريض وعلاقاته الإجتماعية اكثر أهمية من الجلوس لساعات طويله مع الطبيب النفسى (1970) . مع أنه كان ساخراً ومداعباً فى علاقته بطلابه إلا انه كان نوعاً آخر مع مرضى الفصام، حيث كان معهم رحيم ولطيف حتى لو صفعه المريض على وجهه فلا يأخذ بثأره منه، ويسأله بهدوء: حسنا هل تشعر بتحسن الآن ولم يتهيب من استخدام طرق غير تقليدية ، واستعاض عن نقص اسلوب التخدير الحديث باستخدام المشروبات الكحولية ليهدأ من نظام الذات المتصلب، ويجعل المريض قابلاً للتغيير (1953) .

تفسير الأحلام :

كما فى نظرية التحليل النفسى - استنتج سوليفان أن دفاعات النظام الذاتى تهدأ وتضعف الى حد كبير خلال النوم العميق، وهذا يعطيه الفرصة لكى يفرغ أى توترات لاترضيه خلال ساعات اليقظة ، أو بسبب الحاجات التى أشبعت جزئياً بسبب عملية التسامى لانها تبقى تسبب قلقاً شديداً ، وعلى العكس من فرويد، لاينظر سوليفان للأحلام على أنها مصادر غنية بالمعلومات عن طبيعة الشخصية الإنسانية، ولكنه اثبت ان تذكرنا لما نحلمه قد يكون مشوش وغير دقيق، ويعتمد ذلك على نظام الذات لدى الفرد، وينتقد تلك التفسيرات التى تقدم للحلم بناءاً على غير اساس وترجمة الأحداث الظاهرة (المحتوى الظاهر) برموز توضح المحتوى الباطن أو الخفى، ويرى ان هذه العملية مجرد جهود غير دقيقة وغير مجدية فى تفسير الحلم وترجمة رموزه تعتمد اصلاً على ما لدى المحلل من خبرة تركيبية.

وبدلا من ذلك يحدد سوليفان استخدامات المعالج النفسى للأحلام وتفسيرها على انها تعكس الجوانب الخلقية الهامة لدى المريض، وان الهدف منها هى إثارة سلسلة افكار المريض وقدح زنادها، ومثال ذلك حلم أحد مرضى سوليفان ذات مره انه اقترب من الجاذبية القويه لطواحين الهواء الهولندية ، وادى ذلك الى تمزيق جسده قطعاً صغيره دُفنت

فى الرمال بعمق عدة بوصات تحت الأرض ، قال سوليفان هذا حسن أنت نشط فى الخارج، ولكن فى الداخل تشعر بالفساد وتهاب الموت هل هذا يثير أى شيىء فيك ؟ فيجيب المريض يا إلاهى My God ، أمى My Mother ويدرك المريض فى دهشة أنه ينظر الى أمه على انها نوعاً من الزومبى Zombie (وهى أفعى مؤلهه فى الديانه الودونيه Voodosim أو هى قوة فوق طبيعة يزعم المعتقد المودونى أنها تدخل أجسام الموتى فتحييها) أو كشخص قلق ومُرهق يقدم ملاحظات ثقافية غير ذات قيمة (1973) .

مراحل العلاج النفسى : على العكس من فروم وهورنى وضع سوليفان اربعة خطوات إرشادية شاملة تركـز على تفاعل المعالـج النفسى أثنـاء المقابلة مع المريض وهذه المراحل هى :-

المرحلة الأولى : البداية أو الاستهلال الشكلى Formal Inception :

والتى خلالها يبدأ المريض فى مقابلة المعالج ويمده ببعض التفسيرات للدخول فى العلاج ويرى سوليفان الأهمية الكبيره للسلوك المبدئى من قبل المعالج، ويحذر من بعض الأخطاء حتى البسيطة منها مثل الضغط القوى على يد المريض عند مصافحته وما يترتب على ذلك من رعب للمريض ، أو التحيه البارده والجافة جداً أو الاستقبال الحار جداً أو أية أساليب أو سلوكيات تدل على طغيان وعدم ثبات المعالج، فكل ذلك يؤثر عليه ويشوه ادراك المريض ويضعف قدرته على متابعة العلاج، ويطالب بأن يكون المعالج يقظ وذكى يدرك كل معنى وذو دهاء وبصيرة لكل ما يحدث فى المقابله وما يشملها من تغير فى قوة ونغمة صوت المريض

المرحلة الثانية : المرحلة الاستطلاعية (الاستكشافية) Reconnaissance :

وتبدأ بعد ما يكون المعالج فكرة جيدة عن مدى حاجة المريض للمساعدة المهنية، وتستغرق هذه المرحلة عموماً مابين سبع ساعات ونصف الى خمس عشرة ساعة تقريباً وتتكون من أسئلة عن البيانات الشخصية للمريض مثل السن ومكان الميلاد، والترتيب الميلادى ، والحالة الإجتماعية ، والخلفية التربوية والتعليمية ، والتاريخ المهنى له، ومهنة والدى المريض، وما اذا كان يوجد أى راشدين آخرين فى المنزل خلال الطفولة من عدمه، وأخيراً استنتاجات المرحلة الاستكشافية فى خطوات ملخصه لما عَلم المعالج عن المريض وأهم المشكلات الواضحة التى تهدده بخطر مستقبلى .

المرحلة الثالثة : مرحلة الاستعلام المُفصل Detailed Inquiry :

وتمثل اطول مرحلة فى العلاج ، ويعتمد نجاحها على القدرة المهارية للمعالج النفسى، فالمراحل المختصره السابقة لاتمد المعالج بصورة محكمة عن المريض، لأن العديد من المرضى يحاول إختزال قلقه عن طريق عمل جُمل مُصممه بصوره محكمة بغرض خداع المعالج حتى لايدرك أو يتجاهل فشلهم وارتباكهم أو المبالغة فى حجم انجازاتهم ، أو ربما تكون قدرة المريض على التواصل ضعيفة لأنها تتضمن رموز غير جوهرية (ردفيه)، وخلال مرحلة الاستعلام المفصل فإن الإنطباعات التى نحصل عليها من المرحلتين الأولى والثانية يتم اختبارها فى مواجهة النتائج البديله التى مدنا بها المريض. وعلى هذا فالمعالج النفسى يشير الى الاعتبارات الهامة فى تاريخ نمو المريض وما تضمنه من مهام كالتدريب على أعمال الحمام، وتعلم الكلام، واتجاهاته نحو عملية الالتزام بالوعود، والمنافسة، وخبرة الذهاب للمدرسة ، والصداقة فى مرحلة ماقبل المراهقة ، خبرة البلوغ، والاتجاه نحو الجنس والحديث الجنسى، والتاريخ المهنى والإجتماعى، وقلق المريض وعمليات الأمان التى سعى اليها بتجنب القلق، كما تعد علاقته مع المعالج ذاته فى غاية الأهمية .

المرحلة الرابعة : مرحلة الانتهاء Termination ونشمل اربعة خطوات هامة :

١- الخطوات الشكليه الموجزه عما تعلمه المريض خلال فتره العلاج .

٢- وصف للافعال التى يجب أن يمارسها المريض ، والتى ينبغى عليه تجنبها.

٣- رسم خطه مرنه للمريض تحدد خطوات حياته المستقبلية.

٤- توديع المريض بلاتردد وبنفس الطريقة التى قوبل بها مع ملاحظة اهمية تجنب احتمالية حدوث نكوص لدى المريض والتنبؤ بتمام الشفاء .

ويقول سوليفان أنا لاأحاول أن اغلق كل الأبواب أمام الشخص، أنه يجب ان يغادر ولديه الأمل بتحسن فيما يعانيه من اضطرابات (1970) .

المقاومة والتحول والتحول العكسى : كمثل هورنى ، يفضل سوليفان ان نتقبل رأى فرويد عن المقاومة ، وهو يوافق أن النظام الذاتى للمريض دائماً ما يعترض على أهداف العلاج . ويفسر ذلك على انه محاولة لخفض القلق اكثر مما يفسره على انه جهد يبذل لكبح

اندفاعات مُحرمة، ويعارض سوليفان استخدام التحول، وينظر له على انه صورة أخرى من التحريف الاردافى يجب أن يتعلم المريض تجنبها، ولم يستعمل سوليفان مصطلح التحول العكسى، وعلى الرغم من ذلك فقد حذر من مخاطر التصنيف فى انماط فرعية ويستنتج ضرورة ان يقوم المعالج النفسى بالتحليل الشخصى لذاته من حين لآخر. (1968).

وفوق كل ذلك - يؤكد سوليفان على صعوبة القيام بعلاج نفسى ناجح، وعلى المعالج النفسى فى البداية ان يفحص المريض ليتأكد من ان هناك فائده سوف تعود على المريض، وليس الأمر مجرد فائده ماليه أو مهنية للمعالج. فالمعالج النفسى أبعد ما يكون عن كونه عالم، وربما يفتقد الممارس لهذه العملية العلاجية توجيهات نظرية وإجرائية هامة. وربما تعوق المعايير الثقافية عملية العلاج، فربما تؤكد أن الناس ليسوا فى حاجة لمساعدة مهنية حتى لاؤلئك الذين يعانون من مشكلات شخصية صعبة، مما يجعل هؤلاء الذين دخلوا بالفعل في عملية العلاج اكثر دفاعاً أو مقاومة ويقول سوليفان " لاتوجد فى عملية العلاج النفسى أى نوع من التهريج أو العبث Fun إنه عمل، إنه العمل الذى أحبه بدرجة غير مفهومه" (1968).

العلاج النفسى والإصلاح الإجتماعى:

كمثل فروم - يشرح سوليفان بعض التطبيقات الاجتماعية لنظريته فى الشخصية مثل التوترات العالمية، الدفاع القومى، ولقد منعه موته المبكر من الاستفاضه فى هذا المجال.

نظرية سوليفان فى الميزان:

١- أوجه النقد والخلاف:

يكره أى شخص بعض الجعجعه والكلام غير المفهوم الذى يصدر عن الأطباء النفسيين، ويبدو أن سوليفان لم يرغب ان يشذ عن القاعده التي سار عليها بعض سلفه، فقدم بعض المصطلحات الفنيه من اختراعه الشخصى التى صعب على الأقل ترجمتها الى اللغة العربية بمصطلحات واضحه ومحددة، ومن المحتمل أن تكون نظريته أكثر صعوبة من نظريات أخرى - ماعدا نظرية يونج، وربما بعض الأجزاء فى نظرية فرويد. كما تعد لغته صعبة الفهم للقارئ العادى.

وعلى الرغم من أن نظرية سوليفان تقوم على فروض محتمله ، إلا أنه يؤكد على نموذج لتخفيف التوتر والقلق المرتبط بالدوافع الإنسانية التى كانت موضوع للنقد فى نظرية فرويد. ويتماثل مفهوم الدينامية لدى سوليفان بمصطلح اللبيدو أو الطاقة الجنسية عند فرويد، وعقدة النقص عند أدلر ، ولكن هذا المفهوم (الديناميه) لم يلقى قبولاً واسعاً بين الأطباء النفسيين المعاصرين. كما فشل سوليفان فى الاعتراف بفضل الآخرين عليه، ولم يستفد بجهد اسلافه من أصحاب النظريات الأخرى رغم بعض التشابه بين افكاره وافكار الآخرين فقد ركز على وصف المفاهيم بصياغة جديدة مثل عمليات الأمان، وميكانزمات الدفاع، والتحول الحاقد، كما يتشابه مع أدلر فى بعض المفاهيم مثل اهتمامه بالطفل المُهمل والتشخص، ونظام الذات ، ونمط الحياة .

كما انتقد سوليفان بسبب ارجاعه لنظام الذات الى إهتمام وإسهامات الاخرين فى الوسط المحيط بالفرد، كما انتقد لتجاهله التشويهات التى حدثت للطفل وسؤ ادراكه ودور ذلك فى تشويه نظام الذات لديه، كما كان مدخل سوليفان لتفسير الإحلام سطحياً وغير مُقنع مقارنه بفروم وأدلر، كما يعاب عليه تأكيده المبالغ فيه على العلاقات البينشخصيه، أو العلاقات الشخصية المتبادلة .

٢- إسهاماته :

يعد سوليفان اكثر من أكد على أهمية فهم وعلاج الفصام، كما يعد اكثر من اكد على الأسباب غير العضويه ودور العلاقات الشخصية المتبادله والطبيعة الترتيبية للمرضى، كما يعد من اكثر المعالجين الذين حققوا نجاحاً فى علاج مرض الفصام، كما يعد أول من اشار الى الأسباب السيكودیناميه لهذا المرض. كما يلقى رفض سوليفان لفكرة اللبيدو الفرويديه تأييداً كبيراً من قبل علماء النفس المُحدثين ويتطابق رأيه مع هورنى وفروم، كما وجد مفهومه حول أهمية العوامل المرتبطه بالقلق شهره اكبر مما حققها أدلر، كما أعطى سوليفان إهتماماً بمراحل النمو يفوق اهتمام كل من هورنى وفروم، كما إهتم بالعوامل المرضية المحتمله فى مرحلة المراهقه بصورة تفوق فرويد وأدلر اللذين لم يعطيا إهتماماً يذكر لهذه المرحلة. كما يعد إهتمامه بالسلوك الظاهر أحد الجوانب الهامة التى لاقت تأييداً فى نظريته من انصار المدرسة السلوكية وستلقى دائماً كتاباته إهتمامات متزايده نظراً لما تتميز به من شمول وعمق .

الفصل الثامن

علم نفس الأنا

إريك إريكسون

على عكس كل من يونج وادلر وهورنى وفروم وسوليفان الذين اختارو جميعاً رفض نموذج الطاقة النفسية الذى وضعه فرويد. اختار بعض المنظرون العوده له مره أخرى مع بعض التعديل، وبقبول للمبادئ الأساسية لفرويد كالنشاط الجنسى الطفولى والصراعات اللاشعورية والنموذج التركيبى للشخصية، وهم يُزعتون لتأكيد فرويد على الهى اللاعقلانية وتفسيره للامراض العقلية وطريقته فى العلاج النفسى التى تعكس أهمية التوافق بين المكونات العقلية ، وباستخدام بعض كتابات فرويد الأخيرة كنقطة انطلاق آخذ هؤلاء المنظرين يبحثون عن إعادة التوازن المفقود عن طريق التركيز على قوة الأنا العقلانية، وهو ما أصبح معروفاً بعلم نفس الأنا .

ومن العلماء الذين ساهموا فى تطوير علم نفس الأنا بول فيدرم Federm,P. وأنا فرويد Freaud ,A. ، هينز هارتمان Hartman, H. وارنيست كريس Kris, E ، لوڤينشتين Loewenstien ، ودافيد رابابورت Rapaport, D. وعلى سبيل المثال فقد اكد هارتمان على ان وظائف كاللغة، والذاكرة ، والمهارات الحركيه والتفكير هى من وظائف الأنا، وشبه الأنا بمركز الوطنية والسلام فى بلد تحدث الحروب على حدودها، كما حافظ هارتمان على المظهر المقبول للفرويدين الجدد والميتافزيقين .

لكن ما حققته نظرية الأنا من الانتشار والاهتمام المهنى لم يكن ليحدث لولا هذا الرجل غير العادى المبدع الذى دخل دائرة فرويد فى فينا وعمره (٢٥ سنه) بدون اية درجة جامعية على الإطلاق، وخرج بعد ذلك كواحداً من أوائل المهتمين بعلم نفس الطفل، كما اسهم بمصطلح ازمة الوية Identity Crisis فى تفسير الكثير من ظواهر مرحلة المراهقة . إنه إريك هومبرجر إريكسون Erik H. Erikson .

نشأته وحياته :

ولد إريكسون فى الخامس عشر من مايو عام (١٩٠٢م) فى فرانكفورت بالمانيا لوالدين دنماركيين ، وكان ابوه بروتستانتى ترك الأسرة قبل ولادة إريكسون وتزوجت أمه بعد ثلاث سنوات من عمر إريكسون من الدكتور تيودر هومبرجر طبيب الأطفال الذى كان يعالج ابنها وكان يعتنق اليهودية وهى نفس ديانة الأم. واحتفظت بزواجها السابق سراً على ابنها إريكسون خلال طفولته ا لمبكره ، وعاش فتره طويلة تحت رعاية الأم وزوجها ناسياً تلك الفترة التى عاشها مع الأم بمفردها. وخلال العقود الاربعة الأولى من عمره عرف باسم إريك هومبرجر الى أن أصبح مواطن امريكى الجنسية عام ١٩٣٩ ففضل ان يحمل أسمه الحقيقى وهو إريك إريكسون ، أما مصدر الألم الآخر الذى كان من أسباب تميع الهوية عند إريكسون هو التناقض بين وراثة إريك لليهودية (عن امه وزوجها) وبين مالديه من خصائص شعوب شمال اوربا وما تميز به من طول القامة والشُقره وزرقة العيون، وهو ما جعله مرفوض من جماعات الطفولة فى كلا المجموعتين، ولقد انعكس ذلك عليه فى السنوات الأخيرة من عمره.

كان إريكسون طالباً متوسط التعليم لم يحصل على شهادةجامعية من أى نوع، وخلال العشرين سنة الأولى كان هائماً على وجهه الى ان درس فى مدارس الفن ورسم صوراً زيتيه للأطفال ، وعانى من مشاكل نفسيه تتأرجح بين العصاب والذهان وكان يصف نفسه بأنه نابغ منذ صغره ولكنه بلا مأوى . وفى صيف عام ١٩٢٧ تحرك الى ڤينا وقبل العمل كمعلم للأطفال فى مدرسة صغيرة أنشئت لأطفال مرضى واصدقاء فرويد، وتمتع بتبنى حقيقى من قبل أنصار فرويد، ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتلقى تدريبات فى التحليل النفسى للطفل، متضمنا تحليلاً شخصياً من أنا فرويد ، وكان مرتبه متدنى جداً لم يتجاوز سبع دولارات شهرياً ، وتزوج إريكسون من جوان سيرسون Joan Serson فى الأول من ابريل ١٩٣٠م وهى راقصة كنديه الاصل زميلته فى المدرسة وكان زواجاً ناجحاً وأنجبا ولدين وبنت . وفى سبيل الحصول على هوية توجه إريكسون الى كوبنهاجن (بالدنمارك) ليحصل على الجنسية الدنماركية وليؤسس أول مركز فى التحليل النفسى هناك، لكنه فشل فى تحقيق الهدف، وعندما تنبأ بقدوم التهديد النازى هاجرمن الدنمارك الى بوسطن بأمريكا عام ١٩٣٣ ، وفيها أصبح أول من مارس التحليل النفسى فى هذه المدينة ، والتحقق بالعمل فى عيادة هنرى موراى فى هارفرد. وكمثل يونج كان ايكسون مهتما

بالدراسات عبر الثقافية ، وكانت اولى دراساته عن قبيلتين احدهما من الهنود الحمر والأخرى أمريكيه وهما قبيلتى السيوكس Sioux واليورك Yourk وخلال الفترة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ عُين فى قسم الطب النفسى بمعهد العلاقات الانسانية بجامعة يل Yale ، ولقد اتاح له هذا المنصب حرية كاملة ليتابع ما يرغب من بحوث ، وفى عام ١٩٣٩ انتقل الى سان فرانسيسكو حيث استأنف عمله فى التحليل التفسى للأطفال وواصل إهتمامه بالانثروبولوجيا والتاريخ ،وفى عام ١٩٤٢م اصبح استاذ لعلم النفس فى جامعة كاليفورنيا بيركلى وشارك فى الدراسة الطولية المشهورة " دراسة توجيه الطفل " تحت اشراف جين ماكفرلين J. Macfarline وتبع ذلك فتره مكثفه من الملاحظة الاكلينيكية قضاها إريكسون ليرسخ هويته المهنية كمحلل نفسى عن طريق التأليف(جابر عبد الحميد ١٩٨٧) وفى عام ١٩٥٠ نشر إريكسون أول كتبه الطفولة والمجتمع Childhood & Society الذى اكتسب شهره واسعه واعيد طبعة عام ١٩٦٣ ورغم انه الف بعد ذلك سبع كتب أخرى فإن كتابة الطفوله والمجتمع اعتبر أهم كتبه لانه يقدم فيه الموضوعات التى شغلته بقية حياته. وبعد تخليه عن منصبه فى جامعة كاليفورنيا كاحتجاج على قسم الولاء الخاص باعضاء هيئة التدريس عام ١٩٥١ والذى أعلن مؤخراً انه غير قانونى ، فقد أخذ إريكسون موقعه فى مركز اوستن ريجرز فى ماشستس وهو مركز يهتم برعاية الشباب الذى يعانى إضطراباً نفسياً ، وفى سنة ١٩٦٠ عين استاذاً فى جامعة هارفرد ، حيث كان مدخله الى دورة الحياة مألوفاً جدا لطلابه . وتقاعد إريكسون فى ١٩٧٠م، وانتقل الى سان فرانسيسكو بكاليفورنيا واستمر يكتب ويعمل كاستشارى لمستشفى مونت زيون Mount Zion واستشارى لبرنامج العلوم الطبية والصحية فى جامعة كاليفورنيا . كما تابع الكتابة فى صحف ومجلات واسعة الانتشار مثل التايمز والنيوزويك .

طبيعة الشخصية :

العمليات البيولوجية، والليبدو،والجنس:

ظل إريكسون على ولاءه لفرويد حيث ضّمن الليبدو فى البناء الأساسى لنظريته، ولكن بدون بعض الجوانب التى يشملها هذا المفهوم . فقد شبه هذا المفهوم بالضوء الواضح والقوى الذى يُلقى على ظلام العقل البشرى فيضيئه، وعرفه بأنه طاقه جنسيه متحركه تسهم فى رفع وخفض مساعى الإنسان وغالبا ما يحدث ذلك فى وقت واحد. كما تحافظ على قبول ما اعتبره فرويد فرض عملى فقط وحذر من انه يعطى قليل من الاهتمام للتحدث عن الطاقات التى لايمكن إثباتها عملياً (Erikson, 1968) .

ويتشابه إريكسون مع فرويد ايضاً فى احتفاظه بأهمية الدافع الفطرى، لكنه انتقد فرويد لاهتمامه الزائد بالجانب الفوضوى فى الشخصية (الهى) دون الجانب المتعقل (الأنا)، ولاعتباره ان الجنس يبدأ منذ الميلاد وليس مع البلوغ ، وذكر ان التحليل النفسى يجب ان يرجع الى التوجه البيولوجى بشكل أساسى، ويصف غرائزنا الجنسيه والعدوانية فى الطفولة بالغموض. فالدوافع المرنه بصوره غير عادية تتأثر بكل من التدريبات وأساليب المعاملة الوالديه وبالعوامل الثقافية ، وهو يوافق على ان انكار قوى التوافق الفطرى تجعل التحليل النفسى ليس إلا نوعا من التزييف أو اللغو البيولوجى ,Erikson) (1968 . رغم ان إريكسون استبقى على هذا . لكنه لم يوضح التعارض بين الغريزة والليبدو مفضلاً التركيز على الدور الذى تلعبه الأنا والقوى الإجتماعية فى تشكيل الشخصية الإنسانية .

عمليات الأنا : الهوية والسيادة .

أ - الهوية :

يرى إريكسون أن الأنا أبعد من ان تحاول التوسط بين الهى الغريزيه والأنا الأعلى التأديبى والبيئة المحيطه ، ولكن قدرتها تمتد إلى أبعد من مجرد الدفاع ضد الغرائز المحرمه والقلق ، والسبب الأساسى هنا هو أن الوظيفة البنائيه للأنا السويه هو احتفاظها بالشعور بالهوية Identity أو هوية الأنا أو الهوية السيكولوجية . وهذه حالة داخلية تتضمن اربعة جوانب رئيسية هى :

١ - الفرديه Individuation وتعنى الإدراك الواعى بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقله واضحة .

٢ - التكامل وتوفيق المتناقضات : أى الإحساس بالكمال الداخلى واللإنقسامية وهو ما ينتج من العمليات اللاشعورية للأنا ، فالطفل النامى يكون صور مختلفة للذات مثل اقل حباً أو أكثر حباً من قبل الاخرين ، النبوغ والفشل ، الطاعة والعصيان، الثقافة والجهل، ضآلة الجسم والعجز عن الاستقلال فى الصغر مقابل كبر الجسم والقدرة على الاعتماد على النفس فى الكبر ، وغيرها ، والأنا السويه تكامل بفاعلية بين هذه الصور الخيالية وينتج عن ذلك احساس بالتكامل والانسجام الداخلى والتفرد مع نمو الشخص وتطوره .

٣- التماثل والاستمرارية : اى بذل مجهود شعورى للإحساس بالتماثل الداخلى والاستمرارية بين ماهو ماض وما يتوقع ان يحدث فى المستقبل ، والشعور بان حياة الفرد ملائمة له وانه منقاد فى اتجاه ذات معنى (Erikson, 1975) .

٤- التماسك الإجتماعى : أى الإحساس الداخلى بالتمسك بالمثاليات والقيم التى يؤمن بها بعض الجماعات ، والشعور بالتدعيم الإجتماعى والصدق ، والهوية الثابته تحقق احساس داخلى بالتماثل والإستمرارية وبكونها ذات معنى للآخرين وان الفرد قريب لادراكهم وتوقعاتهم وعند حسن ظن الاخرين به ، ولذلك فالهوية كعملية مستقره ليس فقط فى ذات الفرد لكن ايضاً فى ثقافته التى ينتمى اليها . (Erikson, 1969) .

وفضلا عن احساسه الداخلى بتشتت الهوية فى وقت ما فقد استثار إريكسون الصعوبات التى واجهت بعض الجنود الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية ، والعقبات التى لاقوها عندما حاولو الإندماج فى المجتمع ، واصبح اكثر اهتماماً بالمشكلات التى ترتبط بالانتشار الحاد فى الهوية ، ومع الوقت ومن خلال خبراته الإكلينيكية بدأ يعتقد ان الازمات النفسيه التى خبرها بعض الجنود انما حدثت كنتيجة لتخليهم عن دورهم العسكرى ودخولهم فى دور أخر مدنى ، وهو ما يتماثل مع المشكلة التى يمر بها المراهقين عندما يتركون طفولتهم من خلفهم ويتحركون قدماً خلال مرحلة المراهقة الى مرحلة الرشد ويُعرف هوية الأنا " بانها ادراك الحقيقة بأن هناك تماثل ذاتى واستمراريه فى طرق الأنا التكاملية ، وفى نمط الفردية الشخصية ، وان هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصى كما يدركه الاخرون الذين يمثلون أهمية فى الوسط الاجتماعى لهذا الفرد" (1969) . . وحتى فى الكتابات المبكره لإريكسون (١٩٥٦) حيث كان يرى ان مصطلح الهوية يتضمن كل من استمرار التماثل (الاتساق مع النفس) ، واستمرار الاشتراك فى بعض الصفات الجوهريه مع الاخرين ، وفى كتاباته بعد ذلك قرر أن التماثل الذاتى ، والإستمراريه يتم التعبير عنها من خلال الإحساس الشعورى بالهوية الفردية والكفاح اللاشعورى بغرض استمرارية الخصائص الشخصية والعمليات المستمره للمحافظة على تركيبه الأنا Ego Synthesis (اى تكوين مركب عن طريق الجمع بين مركبات اكثربساطه أو الجمع بين الشيىء ونقيضه) والكفاح الداخلى مع معاير الهوية للمجموعة التى ينتمى لها .

ونظراً لأن بناء الهوية عند إريكسون اكثر تعقيداً عند فروم، فهو يوافق على انها تمثل حاجة حيوية لوجود كل إنسان فى حياة إجتماعية ذات معنى، ولا يمكن الشعور بالرغبه فى البقاء على قيد الحياة بدون الإحساس بهوية الأنا، والحرمان من الهويه يمكن ان يقود الى الانتحار (1963) . وغالبا ما ترجع حالة انتشار الهوية أو انتشار الدور/ تميع الدور فى مثل ازمات الهوية التى تتضمن كل ما هو عكس ثبات الهوية كالإحساس بالانهيار الداخلى، وقلة أو انعدام الإحساس بما يمكن ان تقود اليه الحياة ، والعجز عن الاستفاده من المساعدة المتاحة بواسطة الادوار الإجتماعية المشبعة أو المهمة. هذه الظروف قد تتمثل فى صعوبة الذهاب للسرير أو النوم فى الحال، وفى الاستيقاظ ومواجهة اليوم الجديد، وقلة التركيز واستغراق الوقت فى اجترار الهموم الذاتيه والخيالات الخاصة به، كما يكون لدى الفرد إحساس غير مفهوم بكونه شخص تائه وغير ذات قيمه أو أنه ليس حسناً . ويرى إريكسون أن انتشار الهويه تمثل المشكله الكبرى التى تواجه العلاج النفسى الحديث فيقول :

" إن مرضى اليوم يعانون فى اغلب مشاكلهم من : ما الذى ينبغى ان يعتقده أو يؤمن به، وما ينبغى ان يفعله ، وما ينبغى ان يكون عليه ، بينما مريض التحليل النفسى المبكر يعانى اكثر من الكبت الذى منعه من ان يكون كما يفكر وكما يعرف، ويرى ان دراسة الهوية اذن اصبحت استراتيجية فى وقتنا الحالى كما كان دراسة الجنس فى عصر فرويد(1968) .

الشعور بالهوية يبدأ فى المهد عن طريق الاشخاص الاخرين ذات الأهمية فى حياة الطفل مثل الأم، ولكنها لاتكتمل أو تصل الى تمام النضج حتى مرحلة المراهقه (كما سنرى) ، وكل هويه تشمل جوانب تُعد ايجابية (متوافقة مع ما يتعلم الفرد ليبدو مرغوب فيه) أو تعد سلبيه (أو تماثل ما يعاقب عليه الفرد أو حذر من إتيانه مرة أخرى). إن النمو الايجابى للهويه يعد اكثر صعوبة لوجود مؤشرات أو علامات معينة تدفع اكثر الى التميع ، وحتى الهوية السلبية من المحتمل ان تبدو مفضله لذوى الإضطرابات الداخلية من مشتتى الهوية، ومثل هؤلاء الاشخاص يفضلون مخالفة الادوار التى وضعتها لهم الغالبية من الناس ، كما ان الدول والمجتمعات تمر فى بعض فتراتها بأزمة هوية كما يحدث عندما يهاجم التماثل والاستمرار بتهديدات جديده كالحرب النوويه أو بحدوث تغير سريع فى المعايير والأيديولوجيات والتيارات الفكرية المعاكسة (Erikson: 1975) .

بُعدى الهوية :

عرف إريكسون (١٩٥٦) الهوية بأنها المجموع الكلى لخبرات الفرد، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما الى كل من هوية الأنا Ego-Identity وهوية الذات Self- Identity ، وترجع هوية الأنا الى تحقيق الالتزام فى بعض النواحى كالعمل والقيم الأيديولوجية المرتبطه بالسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته غيرها. اما هوية الذات فترجع الى الادراك الشخصى للأدوار الإجتماعية، حيث ان الفرد والوظائف الإجتماعية فى نظرية الهوية يمكن توضيحهما بشكل أفضل من خلال اعمال معاصرة واكثر تميزاً لبعض المهتمين بمجال تكوين الهوية مثل جروتيفانت وثوربك وميز (Grotevant et al , 1992) الذين اوضحو ان الهوية تتكون من بعدين هما :

١ - البعد الايديولوجى Ideological ويتضمن نواحي مهنية ودينية (عقائدية) وسياسية، وفلسفة الفرد لأسلوبه فى الحياه بما تشمل من قيم واهداف ومعايير .

٢ - البعد الاجتماعى او هوية العلاقات البينشخصيه Interpersonal ويتضمن جوانب مثل الصداقة، مواعدة الجنس الاخر Dating ، والادوار الجنسية وطريقة الاستجمام أو الترفيه التى يختارها الفرد . وقد ثبت فى دراسات حديثة عولجت فيها نظرية إريكسون ان وجهة النظر هذه صحيحة مما دفع كل من أدمز وجروتيفانت الى اعداد مقياس لرتب الهوية فى كلا البعدين (محمد السيد عبدالرحمن ١٩٩٤).

ب - السيادة Mastery

طبقا لأدلر وفروم استنتج إريكسون انه توجد لدينا حاجة أساسية للسيطره وتغيير البيئة ، كما ان لدينا حاجة للهوية، فالسيادة تمثل وظائف الأنا التى تنشد السعادة وتبتعد عن اشباع اندفاعات الهى واحباطاتها التى تسبب التوتر الشديد، ويرى إريكسون ان التعليم ليس مجرد شكل من اشكال التسامى بالفضول الجنسى بل انه يحوى طاقة فى ذاته ، فحب الحياه يمكن ان يفوز فقط خارج نطاق الاحباطات، ويكون حب الموت اذا اعطى الفرد الفرصه لتقييم هذه الجهود الهامة . (1964) .

وكما فى حالة الهوية فإن الإحساس بالسياده يعتمد على التوقعات والتدعيم من المجتمع، فالطفل يتحرك ليكرر ويتقن افعال مثل المشى ليس فقط ليستمتع بالإحساس بالتفوق الجسمى أو السيادة على جسمه أو ليتناول الأشياء التى سوف تشبع دوافعه

الليبدية، ولكن ايضا لأن عملية المشى توافق توقعات الكبار وتسهم فى تحقيق ذات واقعية ومشبعه، بالإضافة لذلك ينمو اقتناع بأن الأنا يمكن ان تتعامل بفاعليه مع العالم الخارجى مما يساعد على تكوين احساس ايجابى بالهوية " لاينخدع الطفل بالمدح الاجوف والتشجيع القائم على التعاطف، اذا كانت هوية الأنا لديه لم تكتسب قوة حقيقية، أو بدون انجاز حقيقى من الانجازات التى تُعد ذات معنى فى الثقافة. (1968)

المجتمع والثقافة :

بجانب اعتناقه لوجهة نظر اكثر إيجابيه واكثر واقعية عن الطبيعة الإنسانية، رفض إريكسون بصوره نسبية مفهوم فرويد عن المجتمع من أنه عدو لاحل له ومصدر إحباط لرغبات الفرد، فيقول : "إن الصعوبات الكبرى فى طريق التحليل النفسى كعلم نفس عام يحتمل ان تتمثل فى بقاءه على مفهومه الأول من أن البيئه تمثل عدو لنا. إن عالمنا يتضمن الاعراض والدفاعات، وما لدى التحليل النفسى سوى القليل ليقوله حول الطريقة التى بها ينمو محتوى الأنا أو ما يسبب فشل النمو بعيداً عن المجتمع واعضاءه. ولكن التحليل النفسى اليوم (يقصد علم نفس الأنا) قد حرك مواضع اهتمامه لدراسة جذورالأنا فى التكوين الإجتماعى (1975).

وكما رأينا فإن الاحساس الثابت بالهوية أو السيادة يتطلب المساندة من الأشخاص الآخرين ذات الأهمية، والمجتمع أيضا يساعد على تخفيف صراعات الحياة عن طريق تحديده لقيمة الادوار، فأدوار مثل أمين المكتبه، والطبيب والمحامى، والأم والأب، تؤكد أن الفرد قد وجد قدرته على العمل ويخطط لحياته بفاعلية، بالإضافة لذلك تأكيد المجتمع على العلاقات الاجتماعية المتبادلة، فالتبادلية Mutuality هى حاجة إنسانية عظيمه فى حياتنا، تخلق لدينا الإحساس بالوجود والاحساس بأين يقف الشخص وينظر الى الاخرين، اما تجاهل هذا التأكيد فإنه يوقظ اكثر الاحساسات صعوبة وهى معرفته بطبيعته (1963).

ونظر لأن إريكسون يرى ان المجتمع يلعب دوراً بارزاً فى تطوير ونمو الأنا، فهو على العكس من فرويد خصص بعض الوقت لدراسة تأثير الثقافات المختلفة على الشخصية، وبصوره مبدئية فقد لاحظ اثنين من القبائل فى ولاية انديانا الأمريكية هما قبيلة السيوكس واليورك. وعلى سبيل المثال فقد لاحظ ان قبيلة السيوكس كانوا يستمرون فى إرضاع اطفالهم من الثدى لعدة سنوات، أما قبيلة اليورك فكانوا يفضلون الفطام المبكر،

السيوكس كانوا يكرهون الادخار ويسعون لمساعدة الآخرين حتى فى الأشياء التى لاتستحق المساعده ولو كانو لايملكون إلا القليل، أما اليوك فكانوا يؤكدون فى ثقافتهم على الأمان الاقتصادى، وهذه الفروق الجوهرية فى هوية قبيلتى السيوكس واليورك ترجع مبدئياً الى تفضيل قيمة إجتماعية تتركز على اكتساب المال لدى اليورك والعكس فى السيوكس والتى ترجع بدورها الى جنه الامتيازات الفعلية غير المحدودة المتمثله فى صدر الأم عند اليورك، وبقاء الحنين الطفولى الى الأم من قبل هؤلاء الذين انفصلوا عنها مبكراً وبالقوة، وهذا ما قد يؤدى الى مثل هذا التناقض فى القبيلتين " (1963) .

وبمساعدة الأفراد كى يجدو الادوار المناسبة داخل النظام، فان الثقافة تسعى ايضاً لتخليد وتدعيم نفسها بنفسها، والتأثيرات الاجتماعية ليست دائماً نافعة أو مفيده والثقافة دائماً تواجه الفرد بقيم متضاده، مثلاً عندما يؤكد المجتمع الرأسمالى على كل من المنافسة (الفوز هو الشيئ الوحيد الذى يستحق الاهتمام)، والتعاون (افعل كل ما تستطيعه من خير للأخرين). ولذلك فإن تكوين هوية ثابته يصبح أمر يصعب تحقيقه، وبعض المجتمعات تخلق الأقليات المظلومة التى ربما يجد اعضاؤها انفسهم مرغمين على التوافق مع الهوية السلبية التى تفرضها الأغلبية، كما أن الثقافة المريضة تصارع وتضعف تكوين الهوية على نطاق واسع ، كما حدث للشباب الألمانى الذى نما فى ظل النازية (1963) .

المنطقة والأسلوب :

كمثل فرويد وسوليفان يخصص إريكسون بعض الأهمية لأغلب مناطق الجسم التى تتفاعل مع البيئة كالفم والشرج والأعضاء التناسلية، وسرد بذلك سبع صور للتعامل مع البيئة هى:

١- إندماجى من النمط الأول : التقبل السلبى والاستسلام .
٢- إندماجى من النمط الثانى : التعارف الهادف .
٣- الإحتفاظى: الحكم السريع على الآخرين .
٤- المتجاهل : لايهتم بأحوال الآخرين .
٥- المتطفل : العدوان على البيئة والذكوره المبدئية .
٦- الشامل : الجاذبية والرغبة فى الحماية ، الأنوثة المبدئية .
٧- التوالدى : ينجب ويتناسل .

وربما تستخدم أساليب مختلفه مقترنه مع بعضها البعض فى اكثر من منطقة واحدة فالاحتجاز أو الإبعاد (اسلوبين مختلفين) قد يكون للطعام أو البول أو البراز (فى مناطق مختلفة). وبالمثل فإن التثبيت قد يحدث لكل من المناطق والأساليب على حد سواء، وعلى سبيل المثال : فالطفل قد يستمر فى مص حلمة الرضاعة أو يمص إبهامه حتى بعد سن الفطام (الفم هنا هو منطقة التثبيت) أو ربما يتوقع الراشد دائما الحصول على الإشباعات بدون بذل جهد (التثبيت عند الأسلوب الاندماجى الأول) أو الفهم المعرفى (حب المعرفة) المقترن بالتواصل مع الآخرين (التثبيت عند الأسلوب الاندماجى الثانى). وسعة التذكر لكمية كبيره من الحقائق والصور (إحتفاظى) ، والنسيان السريع للمعلومات بعد سماعها مباشرة (متجاهل) وهكذا . وفى مثل هذه الأمثلة فإن زيادة النمو فى أسلوب معين أو منطقة معينة، وبالمثل بطء النمو فى منطقة أخرى يوضح جانب واحد فى عدم نضج الشخصية .

ويرى إريكسون ان الأسلوب المتطفل يوجد اكثر فى الأولاد ، أما الأسلوب الشامل فيوجد اكثر لدى البنات من خلال صور الجاذبية مثل تمشيط الشعر، وسهولة الاستثارة بالخوف، وسعيهن لجعل انفسهم اكثر جاذبية ومحبوبين للآخرين . ولقد رأى إريكسون ان لعب الاطفال يميل لإظهار الفروق الجنسية فالأولاد يميلون لتركيب الأشياء الطويلة، أما البنات فيركزون على الأسلوب الشامل ويميلن لبناء الأشياء المفتوحه والمغلقه أو المفتوحة فقط ويبنون العاباً تركيبيه تتضمن الاستمرارية . ويربط إريكسون هذه الفروق فى جزء منها بالفروق النفسيه فى المستقبل بين الجنسين والفروق فى الادوار مثل التناسل، والحمل ورعاية الأطفال. كما استنتج أن رغبة المرأة فى الإصلاح تعد من مظاهر الأنوثه لديها. وكمثل هورى وفروم، فإن إريكسون ينتقد بشده مدخل التحليل النفسى التقليدى فى نظرية فرويد عن الجنس الأنثوى، ويوافق هورنى الاعتقاد بأن حسد القضيب يعد رمزاً لغيرة النساء على الدور الرجولى فى المجتمع. وهو يوافق على ان الرجال يحسدون المرأة (شعورياً ولاشعورياً) على قدرتها على القيام بدور الأم. ويعتقد أيضاً ان النساء يتفوقن على الرجال خاصة فى قدرات اللمس، وتمييز الأصوات ، وتذكر الخبرات الحديثه، والعواطف، ويعبر عن أمله فى ان النساء الاحرار سوف يساعدون فى تغيير عصر الرعب النووى والحروب الذرية باتجاه جديد مليء بالأمن والسلام (1975) .

اللاشعور :

يرى إريكسون ان اللاشعور يندرج ضمن الإسهامات الهامة فى نظرية فرويد، ويرى اننا تعلمنا الكثير فى العقود القليلة الماضية حول الدوافع الإنسانية والنمو اكثر مما تعلمه السلف فى القرون السابقة، كما وجد إريكسون انه حتى الثقافات البدائية تعبر عن قبول فطرى وفهم للاشعور كما توضحه بعض كتابات رجال الدين، وما تشمله من تفسير الاحلام التى ترجع الضلالات والهذاء والانحراف عن السواء الى قوى خارجية اكثر مما تردها الى الدوافع الشعوريه للفرد (1959) .

تركيب الشخصية :

لولا تأكيد إريكسون على الأنا لتشابه تصور إريكسون عن تركيب الشخصية مع مفهوم فرويد، فهو يرى ان الشخصية تتكون من :-

١- **الهى** : لاشعوريه تماماً ولاتستطيع ادراك الصحيح من الخطأ ، وهى المكون الوحيدالذى نولد مزودين به ، وعلى هذا فهى تحوى تاريخنا الذى يخبر البداية لنا والغرائز الفطرية والمروثة .

٢- **الأنا** : تقع الأنا بين الهى والأنا الاعلى وهى لاشعوريه الى حد كبير ، كما فى نظرية فرويد ، فهى تحفظ التوازن بين دوافع الهى المحرمة والقيود القاسية التى يفرضها الأنا الاعلى وذلك باستخدام ميكانزمات الدفاع اللاشعورية كالكبت ورد الفعل العكسى، والانكار والرفض للواقع ، والاسقاط ،والتوحد والنكوص، واحلام اليقظة وما الى ذلك. فغالباً ما يشارك الناس فى أخطاء الآخرين الذين يكرهونهم (اسقاط)، متجاهلين تماماً الإنذرات التى تقدم لهم لتفادى الكوارث وشيكة الوقوع كالحروب النوويه والموت الجماعى (انكار الواقع)، ومحاولة جعل الهوية السلبية تبدو وكأنها فضيله (رد فعل عكسى)، وميكانزمات الدفاع ربما تستخدم بطرق متوافقه أو طرق غير متوافقه على حد سواء، وان قدرات الأنا أيضا تشمل وظائف عقليه بناءة كالهوية والسيادة ، ولأن هدف إريكسون أن يوسع التحليل النفسى الفرويدى فقد قام بشرح العمليات الحره للأنا والجوانب المنطقية والصراعات التى تحدث لها فذكر ان " الأنا يجعل من الممكن للإنسان ان يربط معاً كلا النموذجين التطورين وهما حياته الداخلية وتخطيطه الاجتماعى، إن الأنا لم يعد هو الحصيله

الفرويديه لضغوط الهو والأنا الأعلى، وان اتجاه سلوك الفرد يتحدد بقدرة الفرد علـى تنمية عمليات الأنا الخاصة به واستخدامها كاللعب والتفكير والكلام والأفعال، كما يقترح إريكسون ثلاث إنجازات للأنا كضرورة لازمة للشخصية السوية والناضجة هى :

أ- التوافق بين التهيج الجنسى والاحتياجات الجنسية فوق التناسلية .

ب - التوافق بين الحب والجنس .

جـ - التوفيق بين نمط الانتاج الجنسى والعمل المنتج (هنر ماير ١٩٨١) .

٣- **الأنا الأعلى** : يشمل الأنا الأعلى كل المثاليات والقيم الأخلاقية التى يبثها المجتمع فى الفرد، ويخدم الوظيفة الأساسية لحفظ الهو فى حالة طاهره، وعلى أية حال فمن الممكن أن يصبح الأنا الأعلى قوة تعسفية تستخدم وسائل بدائية وبربريه ضد الأنا. وهكذا يستطيع أن يجعل العقاب يبدو وكأنه شيئ مناسب للتستر على احاسيس الكراهية والدوافع الجنسية أو يثير مزيد من الأعتقاد بأن الفرد أقوم اخلاقاً من الاخرين وهو ما يجعله يستدير ضد الاخرين فى صورة من المراقبه الاخلاقية الدائمة والصارمة لهم. وتسهم الأنا الأعلى فى تدعيم العلاقة بين الراشد والطفل الصغير الذى لاحول له ولاقوة، ولذلك فإن إريكسون (كمثل سوليفان) يحذر من التدريب الوالدى الذى يفشل فى أن يعكس المعايير الثقافية والأخلاقية للمجتمع ، لأن ذلك سيعمق الشقاق بين الأنا الأعلى والأنا وينتج الصراع النفسى الداخلى .

وعلـى الرغم مـن أن إريكسون قـد أبقـى علـى النمـوذج البنائـى لتركيـب الشخصية عند فرويد إلا انه يحذر من خطـورة تحويل مفاهيـم الهـى والأنا والأنا الاعلى المجردة الى مفاهيم مادية، وهكذا فهو يركز على أنها تركيبات مجردة صممت لمناقشة وفهم الشخصية (1963) .

ملخص للفروق بين نظريتى إريكسون وفرويد
فى كل من طبيعة وتركيب الشخصية

مجال المقارنة	نظرية الهى لفرويد	علم نفس الأنا لإريكسون
الهى	أحط مكونات الشخصية، توجد عند الميلاد أى نولد مزودين بها، لاشعوريه ولا أخلاقية.	مماثله ولكن بدرجة أقل قوه.
الأنا	*الأصل : يبدأ تطورها من الهى عند ٦-٨ شهور. * خصائصها : كالراكب الضعيف، يقاوم فى يأس لكى يسيطر على الحصان الجامح، تركز ببطء على اشباع اندفاعات الهى بالطريقة التى ترضى كل من الأنا الأعلى والعالم الخارجى. *ميكانزمات الدفاع : تستخدم ببطء لكى تحمى النفس، والتهديدات الخارجية واندفاعات الهى المحرمه والقلق.	* الأصل : يبدأ تطورها مستقله عن الهى بعد الولاده مباشرة. * خصائصها : قوية الى حد ما وتتحكم فى نفسها(تحكم ذاتى)، تتجه مباشرة نحو الأهداف البناءة كالسياده والتكيف مع البيئة. وظائفها غير مرتبطه بإشباع اندفاعات الهى، والسعادة لمعايشتها للواقع. * ميكانزمات الدفاع : مكون توافقياً ودفاعياً فى نفس الوقت كما يحدث عندما تأخذ اندفاعات خيالية فى حل مشكلات شخص ما وتصبح اساساً فى تكوين أهداف واقعية.
الأنا الأعلى	تشمل المثاليات والقيود التى تم غرسها من قبل المجتمع، وربما تكون ضعيفة أو قوية وحازمة.	مماثلة تماماً
نمو الشخصية	تكتمل تماماً عند حوالى ٥ سنوات من العمر	تستمر مدى الحياة من الميلاد حتى الشيخوخة
المجتمع	مصدر حتمى للصراعات والإحباطات، حيث ان اندفاعات الهى المحرمة وغير الواقعية يجب ان تتسامى، وهو عبء خارجى يفرض على الأنا.	ليس من الضرورى ان يكون مصدر للصراع والاحباط، حيث ان وظائف الأنا تحليليه، ويمكن ان تعبر عن نفسها بصورة مستقله. تزويد التدعيمات واحيانا المعوقات للأنا بالأدوار الاجتماعية وبهويتها.
الليبيدو	الطاقة النفسية التى تحرك كل الأنشطة العقلية.	هناك تشابه جوهرى غير أن تأكد اريكسون على الليبيدو وأقل، لأن اهتمامه الأكبر ينصب على الأنا والقوى الإجتماعية.
وجهة النظر حول الطبيعة الإنسانية	متشائمة بسبب التأكيد على الاندفاعات المحرمة والقوية للهى	اكثر تفاؤلاً لأن القوى الاعظم تخص الأنا العاقلة والمتكيفة.

نمو وتطور الشخصية :

كما فعل فرويد فقد نسب إريكسون أهمية سيكولوجية غير عادية للمدة الطويلة التى نقضيها معتمدين على الاخرين والتى تميز مرحلة الطفولة الانسانية، وهو يرى ان اعتمادنا الشامل والمبكر على الغير (الوالدين بالطبع) سهل تشرب المعايير الوالدية ونمو الأنا الأعلى. ويتفق مع فرويد فى ان صراعات مرحلة الطفولة تظهر تأثيرها فى الشخصية فى مرحلة الرشد. وبعض من هذه الصراعات يرجع للانشطة الجنسية المكبوته منذ الطفوله، ولقد استنتج إريكسون أن عدم التكافؤ بين مرحلتى الرشد والطفوله يجعلنا نقضى فتره طويلة من العمر نعانى من عدم النضج الانفعالى . والصراع مع اهدافنا الكثيرة العقلانية والاخلاقية. (1975) .

ومع ذلك يرفض إريكسون جهود فرويد فى الاكتفاء بالسنوات الاربع أو الخمس الأولى من العمر كحدود عمريه لنمو الشخصية، ولذلك فقد أكد على ان نمو الشخصية مستمر خلال دورة الحياة Life Cycle ككل ووضع ذلك فى ثمان مراحل تشتمل على النمو من بداية العمر حتى سن الشيخوخة. وان الفرد ينتقل من مرحلة الى المرحلة التى تليها عندما يكون مستعداً لذلك بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً واستعداده الشخصى هذا يقابله الاستعداد الاجتماعى .

الإنبثاق المتعاقب لمراحل النمو النفس جنسى :

يشبه إريكسون عملية النمو النفسى بعد الولادة بعملية التطور العضوى قبل الولاده حيث تتطور اعضاءنا الجسمية وفقاً لسبق تاريخى، وبالمثل فنحن نرث الاستعداد السيكولوجى لكى نتوافق مع البيئة بنسب محددة. وان كل المراحل الثمانية موجوده فى شكل أولى منذالميلاد ولكنها تنبثق من بعضها البعض بشكل متتابع أو متعاقب epigenetic ويصاحب كل مرحلة ازمة أو مشكله نفسيه تحدث بسبب زيادة النضج من ناحية وكنتيجة للمطالب الكبرى للآباء والمجتمع من ناحية أخرى ، ويجب أن تُحل هذه الأزمة بواسطة الأنا اثناء المرحلة المناسبة لنمو الشخصية لكى تتقدم بنجاح ، لان حل أزمة النمو فى اى مرحلة يساعد فى تثبيت مظاهر النمو التى حدثت فى مرحلة سابقة والتمهيد للمظاهر الجديدة للنمو التى تحدث فى المرحلة اللاحقه. ومن ثم يحدث نمو ايجابى للانا تجعلها تتصف بالثقه والاستقلالية . . . وغيرها أما الحل المرضى لازمات

النمو أو استمرار الصراع يجعل الأنا تكون صفات مختلفه تتسم بعدم الثقة والشك والخجل وغيرها، ورغم ان الأزمة أو المشكلة مشتركه بين كافة البشر إلا ان تفاصيل وأسلوب التغلب عليها تختلف من ثقافة لأخرى، وهكذا تتسم كل مرحلة بالديناميه لأن نجاح الفرد فى حل أزمة ما يقوده الى مزيد من النضج ويؤهله لحل الازمات المستقبلية .

وينبغى ان نلاحظ ان هذه المراحل الثمانية لم توضح طبقا لجدول زمنى محدد ويشير إريكسون الى ان لكل طفل جدول زمنى خاص به، ولذلك فسيكون مضللاً ان نحدد وقتا معيناً لكل مرحلة، والأكثر من ذلك فإن كل مرحلة لاتمر وتترك هكذا، بل على العكس فإن كل مرحلة تضيف شيئ ما لتكوين الشخصية ويعبر عن ذلك إريكسون بقوله " ان أى شيئ ينمو طبقاً لخطة أساسية، ومن خلال هذه الخطة الأساسية تنمو الأجزاء ، ولكل جزء وقته التصاعدى الخاص حتى يكتمل نمو الأجزاء كلها لتكون الشكل الوظيفى " (1968).

ويحدد إريكسون ثلاث متغيرات أساسية تؤثر فى عملية النمو هى :

١- القوانين الداخلية للنمو : ومثلها فى ذلك مثل العمليات البيولوجية غير قابله للإرتداد.

٢- التأثير الثقافى: الذى يحدد المعدل المطلوب من النمو وينحاز الى بعض مظاهر النمو على حساب البعض الآخر .

٣- الفروق الفردية فى النمو : أى الاستجابة الفطرية التى تميز كل فرد عن غيره، وأسلوبه المميز فى النمو كاستجابه لمطالب بيئته : (هنرى ماير ١٩٨١) .

وتشغل مرحلة الطفولة المراحل الاربعة الأولى ، بينما تشغل المراحل الأخرى بقية عمر الكائن الحى . وفيما يلى وصف مختصر لهذه المراحل :-

١- مرحلة الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة (المرحلة الفمية الحسية) :

كما فى نظرية فرويد فإن المرحلة الأولى تتركز حول منطقة الفم، والأسلوب المتبع هو عملية الضم أو الدمج، فالشيئ الأول الذى يتعلمه الطفل هو عملية الأخذ ليس فقط عن طريق الفم من خلال التغذية والرضاعه ولكن ايضاً من خلال العينين والحواس الأخرى (1968) . ويوافق إريكسون ايضاً على ان الرضاعة تمدنا باللذه الليبيديه من خلال الفم، وان عمليه التقبل السلبى والاستسلام تتحول بالتدريج لأسلوب اكثر عدوانية هو العض والقسوة عندما تظهر الأسنان ، وكمثل سوليفان يؤكد إريكسون على الجوانب

النفسية الإجتماعية للمرحلة الفمية الحسية خصوصا الرعاية والإهتمام الأمومى الذى يمثل الأهمية الأولى لتفاعلات الرضيع مع شخص آخر .

عندما تستجيب الأم لجوع طفلها بالتغذية المناسبة المصحوبة بالشعور بالود، هنا يتعلم الوليد انه توجد بعض الارتباطات بين حاجاته والعالم الخارجى، وهذا الشعور الأولى بالثقه Trust يرُسى الأساس القوى للتبادلية والقدرة على العطاء للآخرين ، ويعد هذا الانجاز الاجتماعى الأول بالنسبة للطفل " إن رضا الأم على اتمام عملية الرضاعة بدون قلق او غضب يدل على انها أصبحت على يقين داخلى لايقل عن قدرتها على التنبأ الخارجى (1963) ولكن إذا استمرت الحالة المؤلمة من الجوع لدى الطفل محل تجاهل من قبل الأم بشكل مستمر، أو أن الأم دائماً مشغوله وغير متأثره بمعاناة وليدها، فإن الطفل سيطور احساساً عميقاً بالخطر المهدد وعدم الراحة وهو ما عبر عنه إريكسونْ بالشك Mistrust ، ويسعى للسيطرة على الآخرين من خلال التهديد أو الأفراط فى الخيال.

" يخلق الامهات الشعور بالثقة فى نفوس اطفالهن بواسطة الاهتمام الحاسى بحاجات الطفل الفردية، والشعور الثابت بالاعتمادية، وعلى العكس فإن الفقد القاسى لحب الأم الذى اعتاد عليه الطفل بدون بديل مناسب فى هذا الوقت يمكن ان يقود الى كآبة طفليه حادة، واذا ما بقى الحال دون تغير من حزن مزمن ربما يؤدى الى الاكتئاب طوال بقية الحياة. أن المرحلة الفمية قد تشكل لدى الرضيع الإحساس بالثقة الأساسية أو الإحساس بعدم الثقه (الشك) والذى يظل بدوره المصدر الذاتى لكل من الأمل أو اليأس خلال بقية الحياة " (1963) .

وحيث انه حتى افضل الأباء والامهات لايسلكون بشكل مثالى فى كل المناسبات فإن كل شخصية تشمل بعض درجات لكل من الثقة وعدم الثقة، إن ذلك لايعني انه امر ضار بالنسبة للفرد او يؤدى بالجميع الى عدم التكيف والاتصاف بالتشاؤم والعناد، ولكن اذا كان المعدل السيكولوجى بين هاذين المتغيرين (الثقة وعدم الثقة) كبير ولصالح الشك فإن هذا معناه أن الأنا أصبح فى خطر ، ومن غير المحتمل ان يستطيع حل مشكلات أو ازمات المراحل التالية، والعكس اذا كانت درجة الثقة أقوى فإن الطفل سيتعلم رؤية العالم بشكل افضل ويحدوه الأمل لتحقيق امنياته. ولاشك ان انبثاق هذه الايجابية وتكيف الأنا يساعد على النمو السوى للشخصية والسير قدماً لحل أزمة هذه المرحلة. (1964) .

٢- الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك (المرحلة الأستيه العضلية) :

بمجرد ان يكتسب الطفل الثقة فى اسلوب أمه فى رعايته، وفى العالم الخارجى، فإن جهازه العضلى يجعل من الممكن له بعض السيطرة على البيئة، وخلال هذه المرحلة يسعى الطفل لكسر علاقة الاعتمادية المطلقة على الأم لكى يقوم بأسلوب جديد وهو الاندماج مع المجتمع، والاستقلال الذاتى autonomy . " القوة المكتسبة فى أى مرحلة تختبر من خلال استغلال الفرص فى المراحل التالية والقابلية لتعديل ما اكتسب فى المرحلة السابقة " . (1968) .

يتعلم الأطفال سريعاً أن النظافة والتدريب على الذهاب للحمام أمر هام، وهم يستطيعون الاختيار بين الاحتفاظ او طرد فضلات الجسم، وهذه الجهود يمكن أن تتم أما بأسلوب معتدل أو بأسلوب عدوانى فاشى أو قد يتم التعامل مع تدريبات الحمام بأساليب متناقضة تنعكس سلبياً على الطفل .

وعلى الرغم من أن إريكسون يقبل مفاهيم ومصطلحات التحليل النفسى مثل الاحتباس الشرجى، والتفريط الشرجى، والشخصية الشرجية وما تتصف به من نظام وبخل وعناد، إلا انه استمر فى إظهار دور التأثيرات الثقافية فى نمو الشخصية، فإذا كانت أساليب المعاملة الوالدية أو الضبط الوالدى خلال هذه المرحلة تخلق فى نفس الطفل الإحساس بالأمان، فإنه سوف ينمو لديه إحساس ايجابى لأظهار الاستقلالية، واذا كان الأبوين متساهلين تماماً ومتسيبان اكثر مما ينبغى فإن هذا ربما ينتهى - وليس بالضرورة - بمحاولات فاشلة للاستقلال. ولكن الوالدين الذين يفرطان فى حماية الطفل ويشترطون قيوداً عنيفة وطرقاً لاتقبل التغيير على تدريب الطفل على الذهاب للحمام، فان الطفل سيستجيب بنوع من العجز وعدم القدره على ضبط ذاته او الاستبقاء العنيد لفضلات الجسم، مع قلق صريح وواضح واشمئزاز، وفى هذه الحالة فإن تعبيرات الطفل لتحقيق الاستقلال ستصبح مشوبه بإحساس واضح من الخجل والشك shame & doubt . " فى هذه المرحلة سوف تكون هناك معركة من أجل الاستقلال، الطفل يشعر ان الثقة الاساسية فى ذاته والعالم الخارجى لن تكون عُرضه للخطر نتيجة العنف المفاجىء الذى يتولد عن رغبته فى تحقيق اختياراته " . (1963) .

وكما فى حالة الثقة وعدم الثقة، فإن الاستقلال الذاتى والخجل والشك مظهران حتميان لكل شخصية، والنمو الناجح يتحقق من خلال ترجيح كفة الاستقلال واستخدام

الاساليب النفسية الإجتماعية التى تدعم حرية الاختيار وضبط النفس من ثم قوة الارادة. " فالإرادة لايمكن تدريبها ما لم يكن الأمل اكيداً ، ولا يمكن لأى شخص أن يحيا دون أن تبقى الأنا لديها كل من الأمل المستمر والإرادة" (1964) .

٣- المبادأة مقابل الشعور بالذنب (المرحلة الجنسية الحركية) .

تركز المرحلة الثالثة من مراحل النمو المتعاقبة الضوء على القدرات الحركيه كالمشى والجرى، وهو ما يزيد احساس الأنا بالسيادة وعمل ما تستطيع ، ويمكن للطفل الآن أن يتعلم تغيير الدافع الجنسى المهدد الى اهداف مقبوله مثل اللعب. ويشغل اللعب تفكيره وتحطيطه ويصبح المحاولة التى يعبر من خلالها من بر الفشل الى بر النجاح، لقد اصبح قادراً على ترك الرغبات الاوديبية والتغلب على الإحباط وتبديله باللعب بادوات وادوار الكبار والتحول من عقدة الذنب والموافقة الوالدية الى انجازات أخرى تسهم فى تحديد شعوره بالمبادأة initiative ، مما ينتج عنه تكيف الأنا واكتساب الصفات الحميده مثل الشجاعة وتتبع الأهداف القيمة التى يمكن ان تُغرس فيه والتخلص من الخوف من العقاب (1963) .

وبشكل مثالى - يتعلم الطفل الآن أن يحول الدافع الجنسى المهدد إلى أهداف اكثر قبولاً مثل اللعب ، . فاللعب بالنسبة للطفل هو ما يفكر فيه ويخطط له، ويشبه العمل بالنسبة للراشد، وهو عالمه التجريبى الذى فيه يتم أعادة النظر وتدبر أسباب قلقه فى السابق، واختبار التوقعات " الى الحد الذى يكون الطفل فيه قادراً على التخلى عن رغباته الأوديبية ويحجب غضبه وإحباطه وتستبدل اللعب كسلوك بألعابه وادواته، والراحة الناتجة عن قهر الشعور بالذنب وتحقيق الاستحسان والقبول الوالدى على ما يحققه من انجازات جديده هى التى تساهم فى خلق الإحساس بروح المبادأة " وتؤدى سيطرة روح المبادأة التى تحققت على الشعور بالذنب Guilt الى تكوين الأنا المتوافقه مع الغرض أو الهدف Purpose أو الى الشجاعة على تصور وتخيل ومتابعة الأهداف القيمه بلاخوف من العقاب .

ويعيش الطفل فى هذه المرحلة صراعاً بين رغباته الطفولية للاستمتاع باشباعاته الغريزية ، وبين التوجيه الذاتى الأكثر نضجاً الذى يُفرض عليه من الأنا الأعلى، ولكن انبثاق وظهور الإحساس بالهدف أو الغرض يوضح أن روح المبادرة والمبادأة قد تجاوزت الشعور بالذنب وتغلبت عليها وأن أزمة هذه المرحلة قد مرت بنجاح .

٤- اكتساب حاسة المثابره مقابل الإحساس بالنقص (مرحلة الكمون).

كما في نظرية فرويد، فإن المرحلة الرابعة لإريكسون هى فتره تهدأ فيها الرغبات الجنسية وهى تسبق البلوغ مباشرة ، وتتميز هذه المرحلة بأنه يمكن وصفها بأنها مرحلة حب الاستطلاع الشامل والرغبة فى التعلم، ومع تسامى الطفل بميوله الغريزية، ويبحث عن اكتساب المعرفة عن طريق إنجاز شيىء ذات قيمة، ويبدأ كذلك فى تعلم قيمة العمل، والتكيف مع القوانين المادية، والاهتمام بالثقافات الأخرى التى تؤيد هذه الجهود وتزوده بالمعلومات التى يسعى للحصول عليها، " ويتم ذلك بمعاونة المؤسسات التعليمية فى المجتمع. إن هذه المرحلة تمثل تأصيلاً رسمياً لغرائز الفرد، ولعل هذا يفسر عدم بروز منطقة جسديه غالبه فى هذا الوقت بل تجد الطاقة الغريزية موزعة على الجسد كله وتتحول عن الهدف الشبقى الى الانجاز الذى يتوج مثابرته فى العمل، وتصبح المنطقة الشبقية هى امكاناته العقلية والحركية فيكتسب المهارات والمعلومات" . (محمد شعلان ١٩٨٥).

ويصبح النمو الجسمى فى هذه المرحلة اكثر بطأ ، ويعكس النمو النفسى نمطاً مماثلاً ويعتمد فى لعبه على المظهر الإجتماعى، وهو يضمن بلعبه مواقف من الحياة الإجتماعية الواقعيه، وليس الجنس بالضرورة هو مضمون اللعب، ويميل الجنسين الى الانفصال فيما يختص بعادات اللعب ، وان كان فى بعض الأوقات يتطرق كل منهما الى عالم الاخر، ويبدأ اللعب يفقد أهميته فى نهاية هذه المرحلة ، ويتخذ عالم الأقران موضعاً ذا أهمية مساوية لموقف الكبار ، إن هؤلاء الأقران لازمون لأجل احترام الذات، فبينهم يجد الطفل مصدراً آخر لتحقيق الذات خارج نطاق الأسرة (هنرى ماير ١٩٨١).

إن نجاح الطفل إثناء هذه المرحلة فى تحقيق مطالبها يسهم بايجابية فى الإحساس بالمثابره Industry ، أما الفشل واليأس فيقلل من القدرة على الاستخدام الأمثل للادوات والامكانات بطريقة منتجة، مما يعطيه الإحساس بعدم التوافق والشعور بالنقص Inferionity ، ويتحدد نجاح نمو الشخصية بالمعدل النفسى الإجتماعى لتحقيق المثابرة، وانعكاس ذلك على إحساسها بالكفاءة Competence ، أو امتلاك الحرية والذكاء لانجاز المهام التى لايمكن ان ينجزها من يشعر بالنقص (Erikson, 1964) .

٥- اكتساب الإحساس بالهوية مقابل تميع أو انتشار الدور (مرحلة المراهقة) :-

مع نمو القدرات والوصول الى البلوغ تأتى الطفولة الى نهايتها وتبدأ مرحلة المراهقة التى اعتبرها إريكسون وسوليفان من قبل فترة فى غاية الأهمية تمثل مرحلة الانتقال من

اعتمادية الطفولة الى استقلالية الراشدين الكبار، ويجب على المراهق ان يتجاوب مع التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للنضج الجنسى ، ويضع الضوابط المحددة لخطورة الدوافع الجنسية والصراعات الداخلية التى يمكن حلها فقط عن طريق اكتساب المعرفة والتأييد من الاخرين المحيطين به، ويصف إريكسون المراهق فى هذه المرحلة بقوله "الشاب يكون فى عنفوان حيويته ، يجب ان يطلق العنان ويتخلص من مرحلة الطفولة، ويعتمد على ذاته ويخلق توازناً بين الحاضر والمستقبل، وان يعرف متى يترك العنان لعواطفه كى تناسب، ومتى يتحكم فيها، وما الذى يُمكنه من أن يحكم الدفاع عن عواطفه المتأججة ، ومتى يطلق لها حرية التنافس، ولذلك يجب على الفرد ان يتحين الفرص فى عمله وفى حبه ، ويجب ان يقتبس ويتشبه بإناس لهم مغزى فى حياته، ويقارن بين مايراه فى نفسه وما يخبره به الاخرون وان يحكم حكماً سليماً، وان يكون عن حسن طن وتوقع الآخرين" (Erikson, 1969) .

والمشكلة الحرجة فى هذه المرحلة هى أزمة الهوية Identity crisis وهي أزمة يمر بها اغلب المراهقين فى وقت ما ويعانون فيها من عدم معرفتهم ذاتهم بوضوح، او عدم معرفة المراهق لنفسه فى الوقت الحاضر أو ماذا سيكون فى المستقبل فيشعر بالضياع والتبعية والجهل بمايجب ان يفعله ويؤمن به ، وهى علامة على طريق النمو يمكن ان تؤدى أما الى الإحساس بالهوية أو الى مزيد من الانهيار الداخلى وتشتت الدور او تميع الهوية Identity Confusion " إن أزمة الهوية أو تميع الدور كثيراً ما تتميز بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو عن مواصلة التعليم، ويعانى كثير من المراهقين من صراع العصر، ويخبرون إحساساً عميقاً بالتفاهة وبعدم التنظيم الشخصى وبعدم وجود هدف لحياتهم، انهم يشعرون بالقصور والغربه واحياناً يبحثون عن هوية سلبية هوية مضادة للهوية التى حدد خطوطها الوالدين أو جماعة الاتراب، ويفسر بعض السلوك الجانح بهذه الطريقة (جابر عبد الحميد ١٩٨٧م) .

ويتوقف نجاح المراهق فى حل أزمة الهوية على ما يقوم به من استكشاف للبدائل والخيارات فى المجالات الأيديولوجية والإجتماعية ، وكذلك على ما يحقه من التزام او تعهد بالقيم والمعايير السائدة في مجتمعه ، وبناءاً على ما يحققه المراهق من نجاح أو فشل فى حل أزمة الهوية يتجه الى أحد قطبى الأزمة ، فإما أن يتجه الى الجانب الايجابى منها فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره فى المجتمع وهو ما يعرف بانجاز الهوية ، واما

أن يتجه الى الجانب السلبى منها ويظل يعانى من عدم وضوح هويته وعدم معرفته لنفسه فى الوقت الحاضر وماذا سيكون فى المستقبل وهو ما يعرف بتشتت أو تميع الهوية .

ويرى مارشيا Marcia,J.E 1966 ان المراهقين وهم فى سبيلهم لمواجهة أزمة الهوية يستخدمون اربعة طرق يمكن فى ضوءها تصنيفهم الى اربعة رتب بناءاً على ما حققوه من نجاح فى سبيل ذلك وهم :

- مُشتتى الهوية Idenitity Deffused وهم الاشخاص الذين لم يمرو بأزمة ولم يكونوا هوية بعد، ولايدركوا الحاجة لأن يكتشفوا خيارات أو بدائل بين المتناقضات وربما يفشلون فى الالتزام بأيديولوجية ثابته .
- مُنغلقى الهوية Identity Foreclosed . وهم كذلك اشخاص لم يمروا بأزمة ولكنهم تبنوا معتقدات مكتسبة من الآخرين (أخذوها جاهزه من ابائهم والمحيطين بهم)، ولم يختبروا حالة معتقداتهم وأفكارهم أو مطابقتها بمعتقدات وافكار الاخرين، ويقبلون هذه المعتقدات دون فحص أو تبصر أو انتقاد لها، وتماثل هذه العملية عملية التوحد فى مرحلة الطفولة المبكرة. ويوصف هذا الشباب بأنه غلق هويته مسبقاً أو حبس هويته .
- مُعلقى الهوية * Identity Moratorium وهم الأشخاص الذين مروا أو يمرون حالياً بأزمة ، ولم يكونوا بعد هوية، أى انهم خبروا بشكل عام الشعور بهويتهم، وبوجود أزمة الهوية ، وسعوا بنشاط لاكتشافها ، ولكن لم يصلوا بعد الى تعريف ذاتى بمعتقداتهم .
- منجزى الهوية Identity Achieved ، وهم الأشخاص الذين مرو بأزمة وانتهوا الى تكوين هويه واضحة محددة، اى انهم خبروا تعليق نفسى إجتماعى وأجروا استكشافات بديله لتحديد شخصيتهم والالتزام بأيديولوجية ثابته .

ويرى إريكسون ان الهوية يمكن ان تأخذ شكل ترتيبى أو رتب، وفى وقت ما يكون الفرد فى أحد الرتب الأربعة ، وعلى مدار الزمن فإن نفس الشخص ربما يتغير ويصنف فى

* تعنى كلمة Moratorium تأجيل سداد الديون لحين الوفاء ببعض الشروط، وتعنى كذلك تعليق أو توقف مؤقت للنشاط . ويقصد بالنشاط هنا ذلك النشاط المؤدى الى انجاز أو تحقيق الهوية ولذلك يفضل المؤلف استخدام كلمة تعليق وليس تأجيل .

رتبه أخرى ، وبالطبع فإن أقل هذه الرتب نضجاً هم مُشتتى ومُنغلقى الهوية ، واكثرهم نضجاً هم مُعلقى ومُنجزى الهوية. ولقد اعتقد إريكسون فى البداية ان كل مجتمع يضع جدولاً زمنياً افتراضيا لاستكمال الهوية ، ولكنه عاد ليعترف بان هناك تباين واضح فى كل من المدة ، والشدة أو الدرجة وطبيعة الطقوس والشعائر التى يمارسها المراهقون ويرى ايضاً أن المجتمع يمنح الافراد الفرصه للتأجيل النفسى الاجتماعى للهوية فى حين يسعى المراهقون الى تكوين التزامات أو تعهدات خاصة بهم فى الحياة والى ترسيخ تعريف ثابت نسبياً للذات (محمد السيد عبد الرحمن ١٩٩٤).

ولاشك ان تشتت أو انغلاق أو تعليق الهوية تمثل مظاهر حرجة لنمو الهوية تبقى الإحساس بالأزمة قائمة وهو ما يدفع المراهق قدماً لانجازها ، ولذلك وصف إريكسون الهوية بأنها بمثابة نقطة دوران ضرورية ولحظة حاسمة تحدد ما اذا كان ينبغى ان يتحرك النمو فى مسار واحد أو اكثر. وتساعده على تنظيم موارده واكتشاف الهوية إضافة الى التمايز والتفرد ، ويعتقد ان ازمات الهوية تثير الهوية الشعورية التى تجبر الفرد على اكتشاف البدائل والخيارات بين وجهات النظر المتباينة فى نواحى عديدة يمكن تقسيمها الى مجالين هما المجال الأيديولوجى والمجال الإجتماعى واعادة حلها من خلال التعهدات والالتزامات .

ويلعب المجتمع دوراً بارزاً فى التأجيل أو التعجيل بتحقيق الهوية ، ويعد نمط التنشئة الاجتماعية الذى يتبعه الوالدين واحداً من أهم المؤثرات الأولية والذى من خلاله يؤثر الوالدين فى نمو الهوية لاطفالهم ، حيث يُفترض ان الوالدين ربما يدعمون عمليات نمو الهوية من خلال امداداهم لأطفالهم بالأمان العاطفى (التقبل والتعاطف والرفقه) ، وذلك من خلال المظاهر السلوكيه التى توضح هذه العمليات. وفى المقابل فإن العلاقة بين المراهق ووالديه التى تتصف بالفقر أو الضعف العاطفى أو تتصف بالرفض وعدم التواصل مع الطفل ربما لاتحقق الأمان العاطفى الذى يحتاجه المراهق لاستكشاف هويته .
بالإضافة لذلك فإن التماسك القوى والأسرة المحيطه بالطفل التى تستخدم التدليل والحماية الزائدة ولاتعطيه حداً مقبولاً من الحرية ربما تسبب قدرة محدوده على إطاقة الإحباط وعجز فى القدره على تحقيق التفرد وهو ما يُحدث انغلاق الهوية ، وقد وجد أُدمز (١٩٨٥) ، وأدمز وجونز (١٩٨٣) ان المراهقين مُشتتى ومُنغلقى الهوية يدركون والديهم على أنهم أكثر رفضاً لهم وضبطاً وتنظيما لسلوكهم عن مُعلقى ومُنجزى الهوية . كما وجد كامبل وآخرون ان مُنغلقى الهوية يميلون لتقرير وجود علاقة مفعمة بالحب مع والديهم .

كما يفترض انصار نظرية التعلم الإجتماعى ان الأباء الذى يتمتعون بمستوى ناضج من نمو الهوية يقدمون نموذجاً يحتذى لابناءهم المراهقين الذين يقلدونهم اثناء عملية التعلم بالملاحظة ويطورون بذلك هويتهم (محمد السيد عبد الرحمن ١٩٩٤).

فالمراهقين اذن يحاولون الالتزام بالقواعد الثابته فى المجتمع وعدم الخروج عليها ويحاولون تحقيق الالتزام الايديولوجى والإجتماعى من خلال الاشتراك فى جماعات لها أهداف تحقق الصالح العام كالهلال والصليب الأحمر الدوليان وغيرهما. حتى الأحداث الجانحين يكونوا فى حاجة للاحساس بالهوية من خلال الاستجابة لجماعة الرفاق، ولذلك يلوم إريكسون المجتمع على فشله فى تحقيق النمو السوى للهوية ويرى ان ما يحدث من جرائم يجب ان يتحمل الكبار مسئولياتهم نحوه لانهم لم يعطوا المراهقين فرص ذات قيمة لتحقيق هويتهم، إن أخطار المراهقة ليست فقط فى تميع الدور ولكن أيضاً فى التكيف مع ايديولوجيا تدعم الهوية السلبية. كما ان الإحساس الايجابى بالهوية يعتمد جزئياً على الدور الجنسى، وعلى تحقيق وظيفة مُرضية أو عملاً منتجا. ورغم ان أزمة الهوية مُتعبة وتسبب الإضطراب فإن المراهق ربما يظل يرفض سيطرة الكبار ويدافع عن شعائر واخلاقيات المراهقه ويبقى متمسكا بها فى هذا السن، ويحدث ذلك خاصة اذا لم تحل ازمات النمو فى المراحل السابقة بصورة ناجحة. كالدارسين الفاشلين الذين لايستطيعون استكمال اى منهج دراسى بنجاح، او الذين لايستطيعون تبنى فكرة ما أو التكيف مع مهنة مناسبة – وهو نفس حال إريكسون عندما ارتبط بفرويد فى فينا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره– وبعبارة أخرى فإن الحل الصحيح لأزمة الهوية فى المراهقة تعكس التقبل الارادى لسيطرة الهوية اكثر من تشتت الدور وظهور الشعور بالولاء أو الإخلاص Fidelity ، أو القدرة على التمسك بالولاء والحرية بالرغم من بعض التناقض فى القيم التى يتمسك بها. (1964) .

٦– اكتساب حاسة الألفه مقابل العزلة (مرحلة الرشد المبكر).

تمثل المرحلة السادسة بداية مرحلة الرشد وفيها يبدأ تحمل مسئوليات العمل والزواج، وخلال هذه الفتره يكون الفرد قد اكتسب الإحساس بالهوية، هذا الإحساس يجعله يضحى برغباته الضرورية فى سبيل تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، خيث يزيده انجازه لهويته قدره على الانصهار مع الآخرين دون الخوف من ان يفقد جانب جوهرى من ذاته ومثل هذه الألفه Intimacy هامة وضرورية لتحقيق الصداقة القويه والزواج الذى له مغزى ويحقق هدفه، فى حين ان الراشد الذى لم يحقق هويته بعد (مازال

مشتت أو منغلق أو معلق الهوية) سيبقى يشعر بالعزلة isolation وانهماك الذات ولذا سنجده منفصل عن الآخرين ومنعزل عنهم . إن المرور الناجح خلال أزمة الرشدالمبكر يؤدى الى التغلب على الشعور بالعزلة ويغلب على الراشد الشعور بالألفه وهو ما ينمى لدى الأنا القدره على الحب Love الذى يعد بمثابة تعهد متبادل بانكار الذات فى سبيل الاخر والالتزام بهذا التعهد، فضلاً عن الرعاية والاحترام والإحساس بالمسئولية كل نحو الآخر .

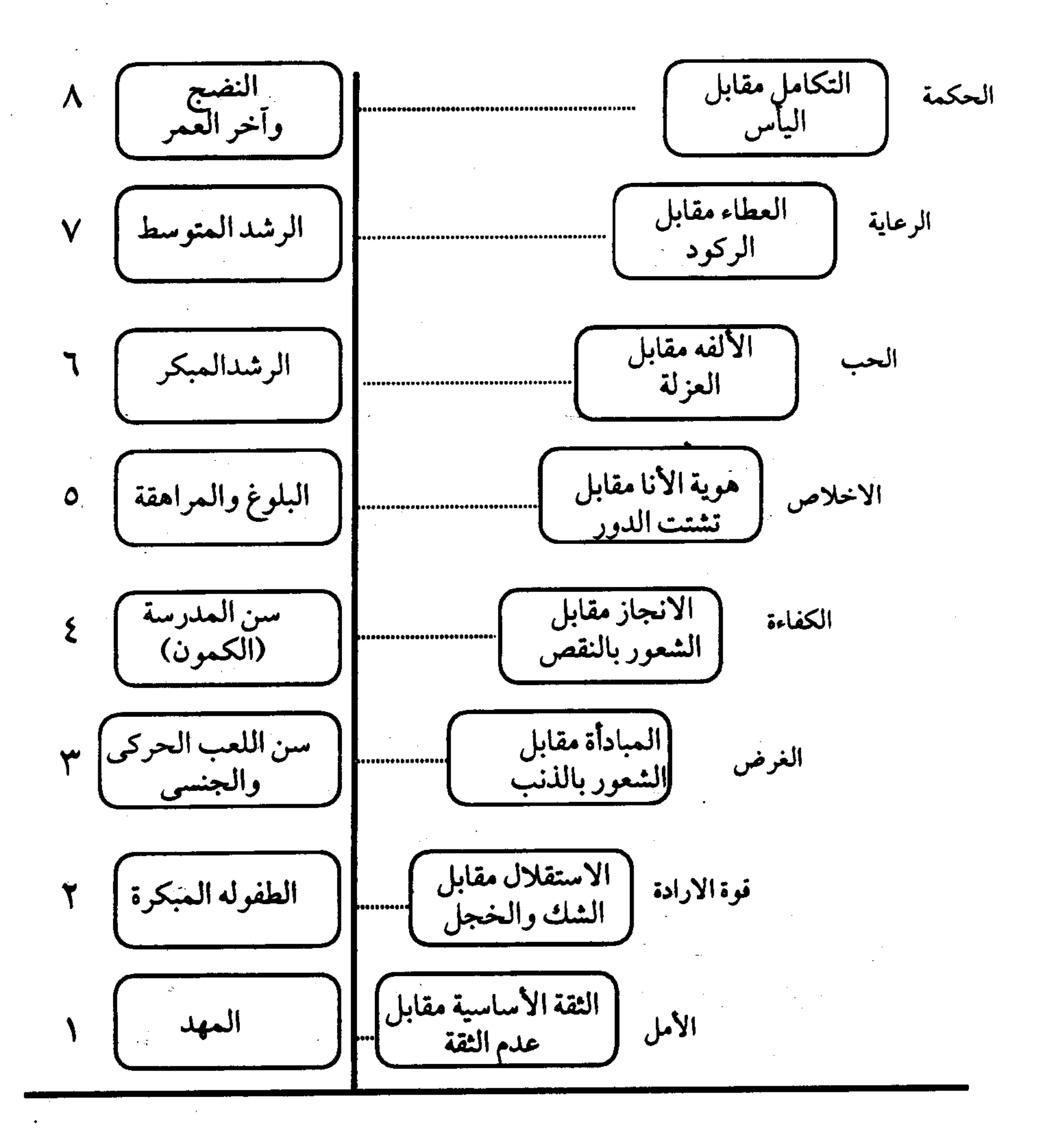
٧- اكتساب حاسة الانتاجية مقابل الكساد (مرحلة الرشد المتأخر) .

مرحلة الرشد هى المرحلة المثالية للانتاجية genertivity التى تتضمن الانتاج والابتكارية ، وقبل ذلك التناسل وارشاد الأجيال التالية (Erikson, 1968)، فإذا ما نجح الراشد فى تطوير هويه ايجابية وان يحقق الألفه والحياة السعيده من خلالها، فإنه يصل الى مرحلة الانتاجية، وقد يتحقق ذلك من خلال التفاعل المباشر مع الأطفال أو من خلال ابتكار الأشياء والادوات التى تخدم الاجيال اللاحقه ، والشخص الذى يفشل فى تحقيق الانتاجية يتصف بالكساد والركود Stagnation . اذا كان معدل النمو فى صالح الانتاجية وتغلب الراشد على أزمة الكساد والركود اكتسبت الأنا احساساً بالرعاية وهو احساس مفاده بان هناك شخصاً أو شيئاً يستحق الإهتمام . ويجب ان ندرك ان الانتاج لايعنى مجرد التناسل او يتصف به من ينجبون الأطفال فقط ولكن ينطبق على كل من يرعى النشىء ويهتم بشئونه ، كما يشير الى الطريقة التى يحددها ويمارسها مع شريك الحياة والمجتمع ككل.

٨- تكامل الهوية مقابل اليأس (النضج أو الحكمه) .

القليل فقط هم الذين يستطيعون حل أزمات المراحل السبع السابقه، وهم فقط الذين يستطيعون تحقيق تكامل الهوية Ego-Integrity والشعور بالايجابية نحو الحياة التى يعشونها (Erikson,1968) ، وعكس التكامل الذاتى هو اليأس despair او الخوف من ان يتدخل الموت قبل أن يجد الفرد طريقاً منجياً الى حياة لها معنى . فإذا تغلب تكامل الأنا على الشعور بالإحباط يكون الناتج من ذلك هو التوافق السيكولوجى الذى ينتج الأنا المتصفه بالحكمه Wisdom ، أو عدم الارتباط بالحياة فى مواجهة الموت، وللحكمه تأثيرها على الأجيال التالية أو كما يقول إريكسون " لن يخاف الأطفال الأصحاء من الحياة اذا كان الكبار من حولهم لديهم تكامل ولايخافون الموت " (1964) .

ويوضحح الشكل الآتى وصفا ملخصاً للمراحل الثمانية للنمو فى رأى إريكسون



عن هيجل وزيجلر (Hjelle, L.A. & Ziegler, D.J. 1981)

الطقوس والشعائر الإجتماعية :

اعطى إريكسون بعض الاهتمام للطرق أو الأساليب الاجتماعية المتكرره والمتفق عليها التى تساعد على عملية التكيف الذاتى مع البيئة وهو ما أطلق عليه الطقوس أو الشعائر Ritulization : حيث تساعد هذه الطقوس على تحقيق حاجتنا الفطرية الموروثة للإثبات والتأكيد المتبادلين وهو ما يحدث مثلاً عندما يكتسب الطفل الحس المعرفى والتوافق من خلال انماط التفاعل اليومى مع الأم التى تطعمه وتحميه وتمرضه وتغير ملابسه وتدعوه باسمه كما تنمى لديه هذه الطقوس بالإحساس بالانسجام والتعايش مع المعايير الاجتماعية ، ففى قبائل اليورك على سبيل المثال يتعلم الطفل اثناء وقت الغذاء ان يضع قليل من الطعام فى الملعقه ، ويرفعها الى فمه ببطء وان يضع الملعقة ثانيه عندما يمضغ الطعام وفوق هذا كله يفكر كيف يصبح شخصا غنياً بينما هو يستمتع بما يتبلعه من طعام (1963) . بعض الطقوس الأخرى تحدث اثناء دورة الحياة والتعامل بشيء من التمييز الواضح بين ماهو صواب وما هو خاطىء ، فالألعاب التى تعيد تخليق خبرات ماضيه وتسهم فى اعداد سلوك الطفل من أجل " سلوك الراشد مستقبلاً ، كما ان الكثير من المهام المدرسية تشكل سلوك الطفل طبقاً لقواعد ثابته ، كما ان طقوس الانتقال من المراهقة الى الرشد تتضمن مثاليات ومعايير ثابته تقريبا .

وكما يحدث فى مرحلة الرشد يصبح الفرد ملتزم بأداء هذه الطقوس والشعائر مثل الطقوس المرتبطه بأدوار المعلم أو ادواره كأب ، كما ان الأنا لديه تبقى تكتسب الدعم والمساندة من الطقوس الإجتماعية التى تتضمن طقوس وشعائر الطفولة . مثلما يحدث عندما يعطى المعايير الدينية الفرصه لكل القوى لتحقيق العدالة من خلال قاعة المحكمة ، ويمكن العمل المسرحى كل من الممثلين والجمهور من التنفيس عن مشاعرهم الدرامية ، كما ان ذلك يحميهم من سوء التوافق الاجتماعى مع هذه الطقوس لانه فى بعض الاحيان يكون التطبيق الحرفى للقانون أهم من الالتزام بروح القانون .

تطبيقات نظرية إريكسون :

١- تفسير الأحلام :

كما فى الجوانب الأخرى لنظرية الأنا التزم إريكسون بنظرية فرويد فى تفسير الأحلام مع ادخال بعض التعديلات عليها ، فهو يوافق على أن الأحلام تقدم معلومات هامه عن محتوى ومضمون اللاشعور ، وأن عملية التكثيف تُنتج رموز الحلم بأكثر من معنى ، وأن

كل من عملية التداعى الحر، والتعرف على أحداث اليوم السابق للحلم تعد عوامل مساعدة ومُعينة وذات قيمه فى عملية التفسير . وفى رأى إريكسون تبقى الأنا السويه قوية نسبياً حتى أثناء النوم، فهى لاتقوم بمجرد حلول وسط والتوصل الى تسوية فيما يتعلق بالدوافع غير المشروعه للهى الغريزيه كما يدعى فرويد، ولكنها أيضاً تنتج أحلام بالنجاح والانجاز مما يمكننا من الاستيقاظ ولدينا إحساس بالكفاءة والكمال ، كما رفض إريكسون الجدل الفرويدى القائل بأن كل حلم يشيع تقريباً رغبة جنسية طفولية، ويرى بدلاً من ذلك أن الأحلام ربما تتعامل مع أزمات المراحل التخليقية لنمو الهوية ، وتصور الأزمات المستمرة التى يمر بها الحالم (مثل التهديدات وشبكة الوقوع للإحساس بالهوية) وتقترح الحلول الممكنه لها . وقد يكون للحلم غرض معين يمكن تفسيره من قبل الحالم أو المحلل النفسى " بمجرد أن نبدأ دراسة أحلامنا فربما نتخيلها ونحلم بها لكى ندرسها" . وهكذا فإن إريكسون يتماثل مع يونج وفروم فى رؤيتهما من أن الأحلام غائية وتتضمن رموزاً جنسية وغير جنسية على السواء، وهو يرى أن بعض أحلام فرويد اذا ما أعيد تفسيرها بصورة صحيحة وسليمه فإنها سوف تدعم نظرية الانا النفسى إجتماعية بدلاً من نظرية الهى الغريزية الفرويدية .

أحد الأمثلة لتفسير إريكسون للأحلام يتعلق بمريض شاب حلم حلماً صادماً لدرجة أنه خاف ان يفقد عقله - حيث رأى وجه ضخم مرعب أجوف محاط بشعر قذر ولزج لشخص يجلس فى عربة حصان (حنطور) يجرها حصان واحد لايتحرك ، وقد ظن فى الحلم أن هذا وجه أمه" . لقد عانى هذا المريض من شكوك كبيره ترتبط بالوظيفة الدينية التى اختار العمل فيها، ويرمز الوجه الأجوف الى افتقاده العميق للهوية ، أما الشعر الذى يشبه الميذوزا Medusa أو قنديل البحر يعكس الإضطرابات الدالة على الخنوثه والجنسية المثلية والخوف من النساء لديه أما الحصان والعربة فيرمزان الى عقل والدته المتشوقه الى مكان ريفى عاشت به فى طفولتها وتركزت مشاعرها على انها غير قادره على مسايرة الحديث والعالم المتغير، والوجه ايضا يمثل جدة ذو الشعر الابيض ، مقابل هذا الذى مازال يسعى لتحقيق الهوية، واخيراً فان المريض متعلق بإريكسون خوفاً من ان يهجره قبل ان ينجز الوجه المتماسك او هويته الخاصة (Erikson, 1964) .

حلم اخر ذكرته امراة شابه مريضه ، وهو حلم قصير يتمثل فى رؤيتها لكلمة واحده S(E)INE على خلفية مظلمة الـ E الأولى بين قوسين، حيث كشف الحلم عن

خوف مرض من الاقتراب من نهر السين فى باريس وحلمها يقترح العديد من الكلمات الالمانـية واللاتينية Sehen ليرى (to see) ، Seine اى اداه الملكيه Sine, his اى بدون without والذى استرجعته من ذاكرتها انهـا رأت فى باريس صوره مخيفه للمسيح وقد ظُهر، هـذه الافكار ادت بدورها الى تذكر حادث مرضى فى طفولتها حيث قام والـدها بعمل قسطره Catheterized لها (وكان يعمل طبيب اطفال) بسبب تعب فى المثانـه اثناء المرحلة التناسلية الحركية وهكذا يكون واضحا ان الحلم قد كشف عن وجود عقده اوديب . وان تأخر الحرف الاول من اسم إريكسون (E) يعنى التحول من التعلق بالاب الى التعلق بالمحلل ورغبات جنسيه محرمه متمثله فى جريان الماء فى النهر أوالبول . (Erikson, 1977) .

٢- الامراض النفسية : Psychopathology

على الزغم من ان إريكسون قد عرف نمو الأنا السوية بتفصيل اكثر من فرويد الا أنه يوافق فرويد بأن الفرد حسن التوافق هو ذلك الشخص الذى يمكنه عمل شيئين على اكمل وجه هما : الحب والعمل وهو أيضا يتفق معه على ان الامراض النفسيه تمثل اختلاف فى الدرجة اكثر من كونها اختلاف فى النوع ، وان الدراسة التحليلية للمرضى والصراعات النفسيه غير العادية لديهم يمكن ان تساعد على فهم المرض النفسى من خلال فهمنا للنواحى الخفية من الوظائف العقلية العادية (كالميكانزمات الدفاعية). حيث يحذر إريكسون من ان الصراعات التى تحدث للانا لايمكن ان تفهم كلية من سلوك الافراد المرضى نفسيا.

أ- اسباب المرض النفسى :

تحدث الامراض النفسيه عندما تتحول الأنا القادرة الى انا ضعيفه بواسطة المرض الاجتماعى أو الأمراض الجسمية ، والأكثر اهمية من ذلك هو الفشل فى حل ازمات تعاقب المراحل، على سبيل المثال . . شاب صغير السن دخل القسم الطبى خلال الحرب العالمية الثانية للعلاج من صراع شديد وقلق مرتفع، هذا الالم وظروفه تثبت فى جزء كبير منه الفشل فى تنمية الاحساس بالهوية القوية بصورة كافية لتحمل مخاوف الحرب (وترجع الى المشكلات العديده مع امه خلال المراهقه)، والى الاثار المُضعفة للقلق الشديد والى فقد التأييد الاجتماعى عندما كانت فرقته العسكرية ترتعد تحت النيران .

مريض آخر – هو صبى صغير يعانى من تشنجات مشابهة للصرع ، الأنا لديه فشلت فى تنمية الاحساس باستقلاله الذاتى وكانت قويه خلال المرحلة الشرجية العضلية ، مبدئياً بسبب خجله واحساسه بالذنب على اعتقاد غير صحيح بأن عدوانه تسبب فى موت جده لوالدته ، الأنا كانت قد ضعفت جداً بسبب عدم القدره على تحمل مثل هذه المشكلات وبواسطة بعض الصعوبات الاجتماعية لكونه من اسره يهوديه وحيده فى مدينة وثنيه (مُلحده) . (Erikson, 1963) .

عوامل اخرى يحتمل ان تمنع تأثير الحلول الفعالة فى مختلف الازمات المتعاقبه للنمو تتضمن الفطام الفجائى او الرضاعة الخالية من الحب . خلال المرحله الفميه الحسية . والقسوه الزائدة او التساهل المُفرط فى تدريبات استعمال التواليت خلال المرحله الشرجية ، او عدم سلوك الوالدين بثبات أو يغلب عليهم التناقض والنفاق والاهتمام الزائد بمداعبة الطفل لاعضاءه التناسليه أو فتحه الشرج، وترغيب الطفل فى سن متقدمه فى دراسة الطبيعة الشريرة لدى البشر أو تحطيم روح الطفل بالسيطره الشديده والتسلط أو القسوة المفرطة .

ب – انواع الامراض النفسية :

فى حين ان إريكسون يستخدم مختلف المصطلحات النفسيه المرضيه فهو يحذر من ان تكون مسميات التشخيصات معتمده على التوقعات الذاتيه او طبقاً لتصنيفات علم الامراض النفسيه (كالانطواء والانبساط – البرانويا – الاجرام – الجناح – او حتى مجرد "المريض") كأطار للهويه السالبة . ويرى إريكسون ان العلاج غير الناجح لدورا Dora كمثال نموذجى لذلك، لانها اثبتت عدم القدره على حل أزمة هوية المراهقه ولان القيوه كانت تتسم بالغدر مثلما رأت فى الكبار .

ويقاسم إريكسون فرويد الرأى فى ان النكوص يلعب دوراً حيوياً فى الامراض النفسيه . فمعظم العصابيون يكونون معوقين جنسياً وان اعراضهم تكون ظاهرة جداً، فأحد المرضى وكان عمره اربع سنوات انتفخت بطنه لدرجة أوشكت على الانفجار نتيجة رفضه التخلص من البراز . هذه المشكلة ترجع الى حد ما الى توحده مع ممرضته المحبوبه التى تركت المنزل عندما اصبحت حامل، متضمنا الاعتقاد من جانبه ان الاطفال يولدون من الامعاء وهذا ايضا يعكس الرغبة لان يصبح رضيعاً مرة اخرى حتى تعتنى به الممرضه من جديد، ووضح خلال النكوص انه كان يتصرف بنموذجيه اكثر من ذلك

الوقت الذى كانت الممرضه موجوده فيه، ولحسن الحظ فان شرح مبسط للحقائق وبطريقة ملائمة لعمره قدم عناية سريعة ومفيده (Erikson, 1968) لكن إريكسون يحيد عن نظرية فرويد بتأكيده على ان الاعراض النفسيه غالباً ما تمثل مجهوداً يائسا لنمو واعادة الاحساس بالهوية اكثر من كونها تعبير عن بعض القوى الغريزيه العنيده. وايضاً يعزو بعض الانفعالات غير الساره وغير المرتبه الى القلق .

بجانب العمل المباشر مع الاطفال يختلف إريكسون عن فرويد بعلاجه للعصابيين كما يعالج الذهانيين، فالعصاب يرجع ايضا الى ضعف الأنا والمشكلات النفسيه وعدم الثقة، وكمثل يونج وسوليفان ، استنتج إريكسون ان الكلام المتقلب الشاذ للعصابيين يحمل معانى مهمة، وان كتاباته تثبت بعض الادله فى تفكير الفصاميين كما يحدث للبنات الصغيره التى تخاف من ان تكون سبب ذهاب والدها بالسفر أو الموت بعيداً مجرد لمسه (Erikson, 1969) .

٣- العلاج النفسى :

أ - الاساس النظرى :

حث أن إريكسون يعتبر نفسه فى الأساس كمحلل نفسى، فإن معظم أهدافه العلاجية مشابهة لفرويد، لذلك فإن المريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعوريه الى الشعور ويحقق استبصار هام فى كل من المستوى العقلى والانفعالى ، ويقوى القدره على العقلانية والواقعية، والتوجه الذاتى فى اختيار توجيه الأنا، وحيث ان اعراض المرض ماهى إلا محاوله فاشله لتحقيق الاحساس بالهوية يمكن ايضا ان يزول بواسطة مساعدة المريض ليكمل البحث فى سبيل تحقيق الهوية بطرق فعالة .

بالإضافة لذلك يحذر إريكسون من ان العلاج النفسى من خلال التحليل النفسى الكلاسيكى يتضمن اقتراحات غامضه، ويحتوى على عناصر انهيار، وهو يقارن بين طريقة جلوس المحلل النفسى مخبأ عن انظار المريض أو خلف رأسه ، وبين طرق العلاج الاخرى التى يجلس المريض فيها مع المعالج وجهًا لوجه. فالطريقه الفرويديه غالباً ما تؤدى الى النكوص او التحول ، وتحول دون قدره المعالج على فهم سلوك المريض فى المواقف الطبيعية، كما يحذر من ان التحليل النفسى يهتم بالمرضى الذين يعدون الى حدما أصحاء بالدرجة الأولى وموهوبين ، كما يُستخدم للاشخاص الذين ادى عملهم الى مشاكل مزعجة بالنسبة لهم (Erikson, 1977) .

ب - إجراءات العلاج :

كمثل فرويد، ينظر إريكسون الى التداعى الحر على أنه أفضل طريقة للوصول الى معنى للمحتوى الهام فى اللاشعور . حيث . أن أكثر إجراءاته العلاجية صممت لاختصارأو للتقليل من الأخطاء ، والجهد الكبير الذى يوجد فى طريقة فرويد للعلاج . على سبيل المثال ، فإنه يأخذ دوراً أكثر ايجابية فيشارك ويراقب، وكمثل أدلر ويونج . يؤكد إريكسون على أهمية المقابلة وجهاً لوجه بين المريض والمعالج . وهو أيضاً يفضل تجنب الاستغراق فى ماضى المريض، ولايؤيد كذلك عدم تزويد المريض بالتبريرات التى أدت الى الاضطراب العصابى له، وكذلك يرفض عدم تحمل مسئولياته عن سلوكهم (Erikson, 1964) .

ويرى إريكسون ان اللعب هو الطريق المُعبد الى اللاشعور عند الطفل وليست الاحلام ، وعلى سبيل المثال التشنج الذى سبق شرحه لدى الصبى الصغير غير القادر عن التعبير عن عمق أفكاره خوفا من عقابه بالموت بسبب عدوانه نحو جدته فهو يرى ان هذا الطفل قد يسعى ليعبر عن هذه الفكره العلاجية من خلال ما يسمى العلاج باللعب Play Thearapy مثلا من خلال ترتيب مجموعة من القطع الخشبيه على شكل توابيت تساعد البنت الصغيره على التعبير عن مشاعرها الاوديبيه المكبوته وغضبها أو من خلال مشهد مسرحى يبنى على أن تقوم الدميه البنت بغلق باب الحمام على الدميه الأم، وتعطى الدمية الأب ثلاث عربات جميلة وجديدة" .

" يميل الأطفال الى ان يصفوا فى شكل تمثيلى مالا يستطيعون وصفه او قوله فى الحقيقة ، ويستطيع الطفل أن يعد ليقدم مسرحية نظمها بمفرده مهما كانت الأنا لديه مشوشه ، وبالنسبة لاداء الدور فيها فهو يعد أوضح مقياس طبيعى لدرجة الشفاء أو العلاج الذاتى لمشكلات الطفوله كما وصفها وليم بلاك William Blake ، إن ادوات اللعب toys وطرق تفكير الكبار هى ثمار لكلا الفترتين (Erikson, 1963) .

المقاومة ، التحول، والتحول العكسى :

يوافق إريكسون على وجود المقاومة اللاشعورية للمعالج مثل السكوت الواضح والتجنب الهام ولكن غير السار، ولكنه يفسر ذلك بخوف المريض من ان يترتب على ضعف الأنا لديه أن يهمل او يُحطم برغبه المحلل القويه. وهو يشارك فرويد

الرأى فى أن المقاومه تمثل مصدر مهم للمعلومات . فى حين يركز يونج على أن المستويات الكثيفه (كالتحول العصابى) يمكن أن تثير النكوص الزائد والرغبات الطفوليه . ويعتنى إريكسون بضرورة ان يقوم المحلل نفسه بالتحكم فى عملية التحول العكسى كالرغبة فى السيطرة أو حب المريض ويرى ان التحليل الشخصى (التحليل الذاتى من الفرد لنفسه Personal analysis) جزء اساسى للتدريب على طريقة التحليل النفس العلاجية عند اريكسون بالاضافة لذلك فهو يرى أنه لايوجد مدخل علاجى (سواء لفرويد او يونج أو إريكسون) يمكن ان يكون مؤثر أو فعال إذا لم يكن هناك أنسجام فى هوية المعالج (Erikson, 1969) .

٤- العلاج النفسى والاصلاح الاجتماعى Social Reform

حيث ان المجتمع يلعب دوراً حيوياً فى عملية نمو الاحساس بالهوية ، فأن العلاج لاشخاص معينين يمكن أن ينجز الكثير ، والثقافة التكنولوجية فى مجتمعنا هى مصدر اساسى لاشياء غير محدده ، انها تتحدى الافراد بالالات المبتكره والمعقده المبهمة ، وفرضت على الانسان اذواق معينه ومستويات اداء مهنى معين قد يبدو غير مريح بالنسبه له . فالماكينات التى لم تعد مجرد آلات أدت لاضطراب الوظائف الفسيولوجية للانسان وتتجه الى جعل الانسان مجرد ترس فى هذه الآلات (Erikson, 1963) . كما أن العنصريه صور أخرى للصراع تساهم فى تشتت الهوية وخلق الهويات السلبيه ، والأمراض النفسيه ، بينما الاخطار التى تلوح فى الافق للحرب النوويه تخلق الحاجة الفعالةللتعرف على مدى اخلاصنا للبشريه عامة .

" ان التقييم الاجتماعى التاريخى للانسان يوضح أننا نصل الى ازمات فى كل الاوقات فى العالم ، ومفترق الطرق يقدم اسباب عديده للهلاك ، بينما يقدم سهماً واحداً للشفاء واخر للنمو ، ويرى إريكسون ان نمو الشعوب يمر تقريبا بأزمات مثلما يمر الافراد (Erikson, 1964) .

٥- العمل :

فى تطابق مع أدلر يرى إريكسون أن عدم القدره على اختيار عمل خلال مرحلة المراهقه من أسباب الاضطرابات النفسيه ، وكما رأينا ان تحقيق إشباعات الأنا عن طريق اختيار مهنةربما يمثل احسن طريقه للتخلص من تشتت الهوية ، وابعد من ذلك - ينظر

إريكسون الى العمل على انه من المحتمل ان يكون اكثر المشكلات اهمالاً فى التحليل النفسى فى نظريته وما سبقها وما لديه إلا القليل ليقوله حول محاولات البشر للعمل .

٦- الادب :

يرى إريكسون أن العديد من أعمال الكتاب السود تعكس تشتت الهوية لديهم فشخصية بيف Biff فى مسرحية موت بائع Death a Salesman يعانى من مثل هذه المشكله التى تتضمن أنه لم يستطيع أن يحصل على أى تأييد فى الحياه ويرى إريكسون انه من الخطأ ان نستدل على الأمراض النفسيه من مثل هذه الأعمال، فذات مره ناقش قصة Tom Sawyer مع مجموعة من العاملين فى الحقل الاجتماعى لافتاً الانتباه الى شخصية بن روجرز Ben Rogers التأملية والخيالية وهو يتعامل مع قارب بخارى وقائده . بعض الاكلينيكين قرر أن "بن" بهذاالتأمل كان يتهرب من أب طاغى ومتسلط عن طريق الخيال ولكونه مسئول كبير، البعض الآخر استنتج انه كان يحيى بطريقة رمزية بعض أحداث التبول اللاإرادى وتدريبات الحمام ويتخيل وجود قارب يصب مياه حقيقية . أما اريكسون فكان يعتقد ان "بن" فتى طبيعى النمو، حيث يفيده لعبه بتلك الطريقه الرمزيه فى التوظيف الجيد لكل العمليات النفسية مثل نشاط المخ (قائد القارب)، الاعصاب والعضلات الارادية (نظام الاشارات والمحرك)، والجسم (القارب)، (Frikson, 1963) .

٧- دراسة شخصيات تاريخية :

اولى اريكسون اهتماماً كبيراً بكتابات وحياة العديد من الشخصيات التاريخية مثل مارتن كنج لوثر Luthor ، وهتلر، وجوركى Gorky وغاندى ، وجيفرسون، وحذر من استخدام السير الذاتية كبديل للتداعى الحر، وذكر أن الكتابة عن المجال النفسى للشخصيات التاريخية لايمكن ان ينجوا من مشكلة التحول والتحول العكسى ، ولقد كان إريكسون يهدف من ذلك اصلاً الى القاء الضوء على ما بداخل هؤلاء الاشخاص فى ضوء تصوراته ومفاهيمه النظريه، كما استخدم هذا الاسلوب فى محادثه له مع قائد جماعة البلاك بانثر او الفهود السوداء Black panther والذى يدعى هاوى نيوتن Huey Newton. .

نظرية إريكسون فى الميزان :

أ- الانتقاد واوجه الخلاف : وجهت لإريكسون بعض الانتقادات أهمها :

١- تأييده لفرويد وخدمة السياسيين : تعكس كتابات إريكسون بعض الاضطراب

والتصدع ، فهو من ناحية يقر بولاءه القوى لفرويد ونظريته ويصف نفسه على انه محلل نفسى، ثم يعود ويتحفظ على تركيب اللبيدو عند فرويد. كما حاول تخليد بعض الاحداث المزعومة فى حياة فرويد ضمن نظريته مثل طرده من فينا، وأيد بشده الميول الاوتوقراطيه الاستبداديه، كما صبغ نظريته بسيرته الذاتيه عن الهوية . وقد ذهب إريكسون بعيداً عندما ارجع بناءه النظرى عن الهوية الى خبرات حياته السابقه ومكرراً الحديث الغامض والمبهم الذى ذكره فرويد عن هذا المصطلح فى الماضى. رغم ذلك تُعد نظرية إريكسون أكثر راديكالية من نظرية الهى الفرويدية. فقد اكد على الأنا الموجبة والعمليات الاجتماعية وبشكل مختلف عن نظرية فرويد المتشائمة. وأعطى إهتماماً اقل للبيدو ومتحولاً عن القبول المسبب لهذه التركيبات الى الرفض الصريح بسبب طبيعتها التى لايمكن اثباتها بالدليل القاطع . وحاول إريكسون تبسيط مفاهيمه العميقة عن الهوية مما استغرق منه وقتاً طويلاً كان خلالها ضالاً تائها، ولكنها ساعدته على فهم وكشف غموض ازمة الهوية لديه، وقد كانت الفجوة بين ايضاحه لنظرية فرويد وتنقيحه لتركيباته النظريه توحى بأنه يعطى بعض الانتقادات لنظرية فرويد، اما عن الانطباع السائد بالمسايرة السياسية فإن ذلك امر قائم ، وربما يرجع ذلك الى انه قد شعر ببعض الخوف من حرمانه من عضوية جماعة التحليل النفسى لرفض نظرية اللبيدو، وهو المصير المؤلم الذى سيلاقيه كل من اعترض على نظرية فرويد. ولكن أياً كان السبب فإن هناك على الأقل بعض التشوس والتناقض فى طبيعة واتجاه مساهماته النظرية .

٢- **المحافظة الاجتماعية والتفاؤل** : على الرغم من أن إريكسون قد انكر وجود اى رغبة فى الدفاع عما فى نظريته من تطابق وانسجام، فإن البعض نظر الى افكاره على انها تعارض أى تغير اجتماعى وبصورة خاصة تأكيده على ان النمو السوى للأنا يحتاج الى التدعيم الثقافى، وهو ما تم تفسيره على انه تأكيد لدور القواعد والمبادئ الثقافية فى هذا الاطار، كما انتقد إريكسون فى تأكيده على ما يسمى بالقاعده الذهبية للتبادلية ، والتى نظر اليها على انها تفاءل مبالغ فيه، فالعديد من المشاكل يصعب حلها بمجرد السماح للاجزاء المتعارضه ان تحقق بعض النفع أو المكاسب.

٣- **انتقادات أخرى** : تفتقر أعمال إريكسون الى أية تحليلات كميه أو إحصائية، فبعض علماء النفس استفسر عن مدى شمولية أو عمومية الانبثاق المتعاقب لمراحل النمو

النفسى جنسى، حيث وجد البعض تدعيمات قليله مستنبطه من حياتهم الشخصية او من مرضاهم. كما فشل إريكسون فى تحديد تلك العوامل التى تسهم بمعدلات سيكولوجية مفضله أو غير مفضله فى المراحل الأخيره للنمو مثل المثابرة مقابل الشعور بالنقص. وبالنسبة لاؤلئك الذين ينظرون الى القلق على انه مشكلة سيكولوجية فى غاية الخطورة ، فقد لاقت معالجته السطحية له بعض النقد اذا قورنت باعمال سوليفان وهورنى. كما ان بعض الانتقادات وجهت له بسبب التقارب الفكرى بينه وبين مفهوم فرويد عن النشاط الجنسى الأنثوى ، واوضح مثال لذلك عندما ارجع خوف المرأة من الهجر الى عوامل تشريحية بدلاً من ان يرجع ذلك الى فقد الدعم والسند المالى فى مجتمع يغلب ان يكون الرجال فيه هم الأكثر قدرة على الكسب المادى من النساء. وأخيراً ، ونظراً للتأثير الكاسح لنظرية فرويد، فقد فشل إريكسون فى تقديم معلومات كافية كتلك التى قدمها من سبقوه مثل أدلر وفروم وسوليفان .

ب - الدراسة الامبريقية :

الدراسات التى تناولت نظرية إريكسون تعاملت أما مع تعاقب المراحل أو الهوية - وعلى سبيل المثال وجدت دراسة برونسون (Bronson, 1959) التى اجريت على عينة من طالبات الجامعة ان القلق المزمن يرتبط إحصائيا بالافتقار الى الاستمرار الداخلى من الماضى الى الحاضر، الصورة غير الثابته للذات . ووجد كل من بيك وهافجهرست peck & Havighurst, 1960 فى دراستهما لنمو شخصية الأطفال والمراهقين- وجدا - نتائج مُدعمة لأهمية المؤثرات النفسيه والاجتماعية على تحقيق الثقه والاستقلال فى مرحلة الطفولة .

وقد عرض المؤلف ضمن مؤشرات صدق وثبات مقياس موضوعى لأساليب مواجهة أزمة الهوية فى مرحلتى المراهقه والرشد المبكر، والذى قام بترجمته الى اللغة العربية عن مقياس ادمز Adams ما يزيد عن (٤٠) دراسة تناولت الفروق بين منجزى ومعلقى، ومنغلقى ومشتتى الهوية فى النمو المعرفى، والتسلط والتصلب، والنمو الأخلاقى ونمو الأنا والألفة، ومركز التحكم والشعور بالذات، والذكورة/ الأنوثة، والمرغوبية الاجتماعية، والرضا الاجتماعى ومؤشرات سلوكية عديده مثل التحصيل الدراسى، والاشتراك فى الأنشطة الطلابيه، واستخدام المواد المخدرة، والعوامل الأسرية المرتبطه بتشكيل الهوية وغيرها. . حيث دعمت النتائج فى اغلب الدراسات

وجهة نظر إريكسون ومارشيا من أن منجزى ومعلقى الهوية يتسمون بمستوى مناسب من النمو عن كل من منغلقى ومشتتى الهوية . (محمد السيد عبد الرحمن ١٩٩٤).

وفى دراسة للمؤلف عن سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلاب المرحلة الثانوية والجامعية وجد أن منجزئ الهوية الايديولوجية يتسمون بالمغامره والسيطره، اما منجزى الهوية الاجتماعية فيتسمون بالمغامرة والتنظيم الذاتى، ويتسم معلقى الهوية الأيدلوجية بعدم الامان والحساسيه وعدم الثبات الانفعالى والافتقار الى التنظيم الذاتى ، كما يتسم مُعلقى الهوية الاجتماعية بالحساسيه وعدم الامان. فى حين يتسم منغلقى الهوية الأيدلوجية بالراديكالية والدهاء ويتسم منغلقى الهوية الاجتماعية بالراديكالية والتخيل، اما مشتتى الهوية الأيدلوجية فيتسمون بعدم الامتثال والافتقار الى التنظيم الذاتى والتوتر والراديكالية وعدم الامان، فى حين يتسم مشتتى الهوية الاجتماعية بعدم الميل للمغامره والراديكالية والاندفاعية والسمات المذكوره من سمات الشخصية فى نظرية كاتل (16 PF.) . والنتائج المذكوره تدعم نظرية إريكسون حول أزمة الهوية (محمد السيد عبد الرحمن ١٩٩٧) . وقد فتح مقياسى مارشيا Marcia , 1966 ، وادمز (١٩٨٦) المجال للعديد من الدراسات فى هذا المضمار .

جـ - اسهامات النظرية :

يعد الإسهام الأساسى فى نظرية إريكسون هو توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسى، وذلك من خلال رفضه لوجهة نظر فرويد بأن المجتمع دائما معادٍ ومحبط ومن خلال تأكيده على تأثير العوامل والمؤثرات السيكولوجية والفروق الثقافية فى نمو الشخصية، فلقد ساعد على تحقيق بعض التكامل بين التحليل النفسى وعلم الاجتماع . كما تعد نظرته السيكولوجية للتاريخ بمثابة محاولة هامة للربط بين التاريخ وعلم التحليل النفسى كذلك. كما كان لتأكيده على عمليات الأنا التكيفية والسوية اثرها فى استبصارنا بأن التحليل النفسى ليس قاصراً على التعامل مع الحالات الاكلينيكية وغير السوية، ولهذه الأسباب فإن بعض المنتقدين ينظرون الى سيكولوجية الأنا على انها الاتجاه الجديد الأكثر فعالية الذى يجب الأخذ به فى مجال التحليل النفسى .

بالإضافة لما سبق فقد اصبح مصطلح أزمة الهوية من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية، كما يعد إريكسون أول محلل نفسى يقوم بعلاج الأطفال سواء كانوا عصابيين أو

ذهانيين، ووضع اساليب قيمه جداً فى عملية العلاج باللعب، واقتناعاً منه بأن الشخصية لاتتكون أو تتبلور كلية خلال السنوات الاربع أو الخمس الأولى، وضع إريكسون مراحل النمو والتطور بشكل اكثر امتداداً ، واكد على أهمية مرحلة المراهقة بما يوازى تأكيد فرويد على مرحلة الطفولة. لقد قبل العديد من علماء النفس المعاصرين أهمية اكتساب الطفل للثقة الاساسية والأمل فى مرحلة الطفولة .

وتعد دراسة إريكسون لشخصية المهاتما غاندى من الإسهامات الهامة سار على دربه الكثيرين بعد ذلك مثل البورت وماسلو . كما يعد إريكسون - مثله فى ذلك مثل أدلر وسوليفان- من اكثر العلماء رفضاً للتعصب الإجتماعى والعنصرى عموماً ومن اكثر المدافعين عن الاقليات، كما كانت نظرته للجنس الأنثوى اكثر توازناً ومنطقية من نظرة فرويد. ورغم انتماءه التحليلى إلا انه لفت الانتباه لبعض أوجه القصور فى طريقة التحليل النفسى فى مجال العلاج التى اعطاها فرويد بعض الأولوية والإهتمام .

ولا أحد يستطيع أن ينكر ان إريكسون قد حقق شهرة اكبر مما حققها اصحاب نظريات آخرين مثل سوليفان، رغم تأكيد الأخير على المتغيرات النفسيه/ الاجتماعية، واهتمامه بنمو الشخصية فيما بعد مرحلة الطفولة، ورفضه للمفهوم غير المرغوب (اللبيدو). فالعديد من المحللين النفسيين يعتبرون نظرية اريكسون بتوجهاتها النفسية الاجتماعية قد احتفظت بنقاط قوى معقوله من نظرية التحليل النفسى وفى نفس الوقت تخلت عما فيها من نقاط ضعف أو عالجت بعضها. وهذا هو السبب الأساسى فى شهرة صاحبها.

الباب الرابع

النظريات الأكاديمية الأمريكية المبكرة

الفصل التاسع: نظرية السمات   جوردن ألبورت

الفصل العاشر : نظرية الحاجات   هنرى موراى

النظريات التى تم عرضها فى الفصول السابقة تمت بواسطة أطباء ممارسين فعلياً لعملية العلاج لنفسى، اعتمد اغلبهم فى صياغته للنظرية على الدراسة المتعمقه للمرضى . وعلى العكس من ذلك ، فإن هناك بعض نظريات الشخصية التى تاثرت بشده باعمال الدراسات المكتبية ، ويعد كل من جوردن البورت Allport, G. ، وهنرى موراى Murray, H. مثالاً واضحاً لهذه الفئة من علماء النفس . فقد عملا معاً كزميلين فى جامعة هارفرد ، وكل منهما شارك الأطباء السابقين اهتمامه بدراسة الافراد، واعدا مقاييس للشخصية معروفه جيداً سهلت لهما اعمالهما التجريبيه ، ورغم ذلك يوجد بينهما اختلافات جوهرية . ففى حين يعد موراى من الفرويديين الجدد، ينظر البعض لألبورت على انه مثل ادلر يفضل التركيز على الجانب الشعورى فى الشخصية .

الفصل التاسع
نظرية السمات

جوردن ألبورت (١٨٩٧ - ١٩٦٧)

فى عام ١٩٢٠ ، وبعد سنة واحدة من حصوله على ليسانس الآداب التقى ألبورت بفرويد - وكانت هذه المرة الوحيده التى يلتقيان فيها - والتى وصفها فيما بعد بحادثة مأسوية فى نموه Traumatic devetopment episode . لقد كتب له، وتلقى منه عرضاً بوظيفه رغم قلة خبرته ، حيث كان عمره وقتها إثنا وعشرون سنة . ولم يكن ألبورت مستعداً لهذا اللقاء، ولذلك جلس صامتاً وبدأ فرويد اللقاء بالحديث وتخلل هذه الجلسة بعض التوتر، غير أن حادثة وقعت عندما كانا فى عربة ترام متجهين الى مكتب فرويد وهى أن طفلا كان عمره أربعة سنوات كان يعانى من فوبيا القاذورات ، ويبدو أن الحالة كانت تعانى من سوء معاملة أم مسيطرة ، والتمسك القوى بالرسميات أو الشكليات كانت تجلس بجواره . وهنا نظر فرويد الى ألبورت بعين المعالج العطوف وسأله هل أنت مثل هذا الطفل الصغير ؟ and was that Little boy you ، ونظراً لأن هذا السؤال لم يكن فى محله فقد كان رد فعل ألبورت عليه سلبياً ، وهنا صعق فرويد وشعر بالذنب وحاول تغيير الموضوع، وقد علمت هذه الواقعة ألبورت أن علم نفس الأعماق رغم ما يتمتع به من جدارة واستحقاق إلا أنه قد يدفع صاحبه والمؤمن به الى التهور والاندفاع وأن عالم النفس يجب أن يكون على معرفة جيدة بالدوافع الظاهره للسلوك قبل أن يغوص بحثاً فى محتوى اللاشعور (Allport, 1968) .

وعلى الرغم من أن ألبورت قد وصف اكتشافات فرويد بالعبقرية إلا أنه لم يسير فى تياره ، وكان أكثر اقتناعاً بعلم نفس الأنا، وقد تميز ألبورت بعقل متفتح فكان يأخذ كل ماهو جيد من الأفكار من مصادر مختلفة ويوحدها فى كل متكامل وهو ما يعرف بأسلوب الانتقائية eclecticism (أى عدم اتباع نظام واحد بل انتقاء كل ما يعد الأفضل فى كل الأنظمة) ، ولذلك يقول إن الأنظمة المحدودة والدوجماطية تحد من قدرة العالم على التفكير، ولايوجد مجال واحد فى علم النفس الحديث يستطيع حل مشاكل الإنسان سواء فى تفرده أو نموه وخاصة ذلك الذى يبنى على سلوك الأشخاص المرضى والقلقين . ولذلك فقد أخذ ألبورت وضعاً خاصاً وبشكل خاص فيما يتعلق برؤيته لنظريات الشخصية، ودور اللاشعور فى السلوك ، ومقارنة الطفولة بالرشد ، والعلاقة بين السواء والمرض النفسى

نشأته وحياته :

ولد ألبورت فى الحادى عشر من نوفمبر ١٨٩٧م فى مونتيزوما بولاية إنديانا الأمريكية، وكان الابن الأصغر بين أربعة أبناء ذكور لوالده الذى يعمل طبيباً وأمه التى تعمل مدرسة، وتعتنق الأسرة المذهب البروتستانتى، وتميز بالنزعة نحو العمل الجاد. من بين أخوته فلويد Floyed الذى أصبح هو الآخر متخصص فى علم النفس، وقضى معظم طفولته ومراهقته فى كليفلاند بولاية اوهايو التى انتقل اليها حينما كان فى السادسة من عمره، وتلقى تعليمه فى مدارس عامة، وكان فى طفولته يتصف ببعض مظاهر عدم الاستقرار، فكان سريع الكلام، قليل المشاركة فى اللعب مع زملاء المدرسة، كما كان استفزازياً.

وأكمل ألبورت دراسته فى جامعة هارفرد فى الوقت الذى كان أخوه فلويد دارساً فى نفس الجامعة، وحصل على ليسانس الاداب فى ١٩١٩م فى الاقتصاد والفلسفة، ثم قضى سنة فى كلية روبرت فى اسطنبول يُدرس علم الاجتماع واللغة الانجليزية للأتراك.. ثم عاد الى هارفرد وأكمل متطلبات رسالة الدكتوراه فى علم النفس فى ١٩٢٢م. وخلال العامين التاليين درس فى برلين، وفى هامبورج وكامبرج بانجلترا، وقد لعبت هذه الخبرة الأجنبية المكثفة دوراً فى تطور اهتمامه بالشئون العالمية والتى تتضح من نشاطه خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة فى حياته. كما جعلته واحداً من أكثر المؤيدين لعلم النفس الألمانى فى أمريكا، وتزوج ألبورت من أدا جوالد Gauld, A فى الثلاثين من يونيو ١٩٢٥ وأنجبا طفلاً واحداً أصبح طبيباً فيما بعد وكرس جهده لتكوين سمعة علمية وشخصية طيبة، وبعد عودته من أوربا عمل مدرساً بقسم الأخلاق الاجتماعية Social Ethics فى جامعة هارفرد لمدة عامين ثم عمل أستاذاً مساعداً لعلم النفس فى دار تموت ثم دعى ليعود الى هارفرد فى ١٩٣٠م، وفى عام ١٩٣٧ ألفَ أول كتاب له بعنوان " الشخصية : تفسير سيكولوجى "، فى حين كان كتابه " نمط ونمو الشخصية " الذى صدر فى ١٩٦١ أكثر كتبه انتشاراً، وفى ١٩٦٦ عين كأول أستاذ فى مؤسسة ريتشار كابوت Richard Cabot للأخلاق الاجتماعية وقد كان له الدور البارز فى نشأة وتكوين قسم العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفرد، فى محاولة لتحقيق التكامل بين علوم النفس والاجتماع والانثروبولوجى.

وقد صدر لألبورت عشرات الكتب والموضوعات المنشورة فى مجلات علم النفس المتخصصه، واثنين من مقاييس الشخصية، كما اختير رئيساً للجمعية الأمريكية لعلم

النفس عام ١٩٣٧ ، ورئيسا للجمعية النفسية الشرقية ، ورئيساً لجمعية الدراسات النفسية للقضايا الاجتماعية ، وفى ١٩٦٣ حصل على الميداليه الذهبية من المؤسسة الأمريكية لعلم النفس (APA)، وفى ١٩٦٤ حصل على جائزة رابطة علم النفس الامريكى، كما عمل رئيسا لمجلة علم نفس الشواذ، وعلم النفس الإجتماعى. وبعد عمر حافل بالعمل والعطاء مات ألبورت فى التاسع من اكتوبر ١٩٦٧م .

الطبيعة الأساسية للنفس البشرية :

على العكس من أصحاب النظريات البينشخصية interpersonal مثل أدلر وسوليفان فان ألبورت ينظر للشخصية على أنها شيء ما داخل كيان الفرد فيقول " بالطبع، إن الإنطباع الذى نكونه عن الآخرين واستجاباتهم لنا تعد عامل هام فى تطور شخصياتنا، ولكن ماذا عن الناسك المتعبد وهؤلاء الذين يعتزلون الآخرين، هل يفتقدون الشخصية لكونهم لايؤثرون على الآخرين ؟ وهو يجيب على هذا السؤال بقوله إن مثل هؤلاء الاشخاص لهم خصائص شخصية لاتقل عما لدى هؤلاء الذين يعايشون الأخرين فى المجتمع الإنسانى، وأنه من الواجب أن نمتلك بداخلنا صفات تحدد وتميز طبيعتنا الحقيقية. وكما سنرى ، فإن ألبورت يوافق أدلر فى أفكاره بان كل شخصية متفردة، وبعد عرضه لحوالى خمسين تعريفاً للشخصية تم وضعها بواسطة منظرين آخرين أصبح على قناعة وأكثر ميلاً الى التعميم بأن الشخصية تنمو وتتغير بديناميكية وتفرد خلال حياتها مكونة نمط منظم فى الشخص السوى ومكونة وحدة متسقه لكل من الوظائف العقلية والفيزيائية، ومكونه نظام معقد من العناصر المتفاعلة، وتغير وتحدد كل ما نفعله .

" لاتوجد بالطبع تعريفات صحيحة أو غير صحيحة ، فالمصطلحات يمكن أن تُعرف بطريقة مفيدة لإعطاء مانريده، وعليه تعرف الشخصية بأنها ذلك التنظيم الدينامى داخل الفرد للنظام السيكوفزيقى والذى يحدد كل من خصائص السلوك والتفكير المميز له" . (Alport, 1961) .

ويعتقد ألبورت أن مشكلة الدافعية تمثل الى حد ما مسألة مركزية فى الدراسات السيكولوجية للشخصية، ويعرف الدافع بأنه كل ظرف داخلى فى الشخص يولد حدثاً أو فكراً (Allport, 1961) .

الدوافع الغريزية :

لاعتبارات كثيرة فإن مفاهيم ألبورت عن الطبيعة الإنسانية تختلف وبشكل جذرى عن مفاهيم التحليل النفسى لفرويد. فهو يوافق على أننا نمتلك ميولاً لاعقلانية ذات جذور عميقه فى شخصياتنا أو تُخم من اللامنطق Marshland of unreason له تأثيره الوراثى الواضح على شخصيتنا، وهو ما يمدنا بالعناصر الخام كبنية الجسم، الذكاء، والخصائص المزاجيه الإنفعالية (كالنشاط أو الفتور)، وبشكل واقعى فان كل فرد يكافح من أجل خفض وإشباع دوافعه الفطرية كالجوع والعطش والجنس والحاجة للأكسجين، والحاجة للنوم، وضرورة إخراج الفضلات الجسمية فيقول " كل الناس فى كل العالم لديهم دوافع. . إذا كان هناك شخص ما جائع جداً أو فى حاجة شديدة للأكسجين أو الماء أو الراحة فإن الدوافع الأخرى تتنحى جانباً حتى يتم إشباع هذه الدوافع . (Allport, 1961) .

تبقى الدوافع الغريزية نشطة الى حد ما خلال حياتنا ولكنها تهيمن تماماً على تصرفات الأطفال الصغار الذين يشبههم ألبورت برعب لم يطبع إجتماعيا Unsocilized horrer ، لما يتصفون به من إلحاح زائد، وبحث دائم عن السعادة ، وفقدان الصبر، والتخريب وعدم الوعى، ويتفق ألبورت مع فرويد وفروم على أنه يجب أن نتعلم ما نقهر به نرجسيتنا الفطرية، ولاشك أن حب الذات Self Love أمر واضح ويبقى دائما إيجابى ونشط على مدار حياتنا وطبيعتنا، ومع ذلك يوافق ألبورت على أننا جميعاً نمتلك القدرة الفطرية للتخلص من هذا التمركز حول الذات من البداية. ويتفق أيضاً مع هورنى فى أنه ينسب الفشل فى تحقيق النضج الى العلاقات الطفولية المضطربة منذ البداية التى تعوق النمو السوى أكثر من اعتقاده بعدم القدرة على التسامى بالغرائز المحظورة كما يعتقد فرويد- والأكثر من ذلك أهمية فى نقاط الخلاف مع فرويد أنه لم يؤمن بأن اختزال الدافع هو فصل الختام فى سلوك الراشدين، إنه أحد القلائل من منظرى الشخصية الذين لديهم قناعة بأن دوافع الأطفال والراشدين تختلف فيما بينهم فى النوع أكثر من اختلافها فى الدرجة، ويقول : الشخصية مثل كل شيىء حى تتغير وتنمو وحيث أن الدوافع هى التى تحرك الشخصية " فهى دينامو الشخصية" فإنه يجب أن نتوقع أن الدوافع هى الأخرى تنمو وتتغير، وأن الفروق بين دوافع الأحداث والراشدين فروقاً واسعة" (Allport, 1961).

وظيفة الدوافع لدى الراشدين :

تختلف دوافع الراشدين عن دوافع الأطفال فى أربعة جوانب أساسية :

١ - زيادة المعرفة والتوتر : تبقى الغرائز تمارس فعالياتها فى مرحلة الرشد - فجميعنا يبقى مهتما بما تحققه أنشطة اختزال الدوافع من سعادة كالأكل والشرب والنوم والجنس، ولكن فى جزء أساسى من ذلك فإن دوافع الكبار تتكون من عمليات معرفية لاتعتمد نسبياً على الدوافع البيولوجية ، وتختلف من فرد لفرد أخر، وحتى تبقى أو تزيد مستوى التوتر بهدف تحقيق أهداف بعيدة المنال نسبياً . ويضرب مثال على ذلك بطالب الجامعة الذى يُنحى جانباً العديد من الأنشطة السارة مثل كرة القدم، أو مقابلة خطيبته فى سبيل النجاح فى مقررات دراسية تؤهله للعمل فى مجال ما، وكذلك الثوار الذين يجاهدون فى سبيل تحرير أرضهم قد يضحون بحياتهم فى سبيل ذلك، والطيارين فى الحرب العالمية الثانية الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل أوطانهم ، والسياسيون الذين يعملون من أجل خدمة مجتمعهم لساعات طويلة ويتحملون السعى فى سبيل ذلك حتى لو انتابهم الشعور بالتعب، إن مثل هذه الأمور تقود ألبورت الى اعتقاد بأن الكثير من سلوك البشر لايمكن تفسير بمصطلح اختزال الدافع أو مبدأ فرويد فى البحث عن اللذة وتجنب الألم . ولذلك يقول : "إن اختزال الدافع مجرد نصف المشكلة ، فنحن نتعلم بالتأكيد نماذج سلوكية لاختزال التوتر ، كما أننا نأتى للنظر الى العديد من إشباعاتنا السابقة على أنها عديمة القيمة، معتقدين فى رغبتنا فى الثبات ورغبتنا فى التغير كذلك . . إن العديد من الأشياء التى نفعلها تزيد توترنا ولاتخفضه، وتخفض من فرصتنا فى تحقيق السعادة ، فالإنسان لايمكن أن يهدف مباشرة الى تحقيق السعادة لأن بعض الناس يعتقد أنه إذا حصل على شهادة جامعية أو تزوج أو حقق لنفسه مستوى معيشة مرتفع سيكون سعيداً ولكن هذه تمثل الأهداف المادية الملموسة، السعادة فى أحسن صورها هى أن تبتكر بطريقة أو أخرى أنشطة دافعة جديدة" . (Allport, 1955) .

لاتعمل العوامل المعرفية كمجرد خادم للدوافع الغريزية كما يعتقد بذلك أصحاب سيكولوجية الذات ، ولكنها تعمل كمحركات أساسية للدوافع فى اتجاهها الصحيح ، إن الطبيعة الإنسانية تتضمن كل من الحاجة الى اختزال الدوافع التى تتجلى فى أحسن صورها فى مرحلة الطفولة ، وإبقاء التوتر أو زيادته تحقيقاً لاهتمامات وطموحات وهو ما يتجلى فى أحسن صوره لدى الراشدين الأسوياء .

٢- **التنوع والتفرد** : من خلال ما سبق ذكره يتضح أن لدى ألبورت قناعة بأن الدوافع المعرفيه تختلف فى نوعها من شخص الى آخر، مما يجعل من المستحيل أن نشرح دوافع الشخصية فى مجرد عدد محدود من المصطلحات العامة، وأن هناك تنوع غير عادى فى دوافع الراشدين مما يجعل الشخصية متميزه بتفردها، وكما أن البحوث والدراسات فى مجال علم النفس تجرى على مجموعات من الناس ثم تحاول تعميم نتائجها وكأنها قواعد عامه للسلوك الإنسانى وهو ما يعرف بالمدخل الجماعى **nomothetic approach** فإن ألبورت يوافق على أن نظرية الشخصية يجب أن تركز كذلك على الحالات الفردية، انه لم يرفض إطلاقا المدخل الجماعى ولكنه يفضل بشكل أوضح التركيز على دراسة الخصوصيات **Idiosyncrasies** التى تميز أشخاص بعينهم عن الأخرين وهو ما يعرف بالمدخل الفردى* **Idiographic approach** ويدلل على ذلك بقوله: "هب أنك تريد أن تختار زميل يقيم معك فى حجرة أو تختار زوجة أو زوج، أو تريد أن تشترى هدية لأمك فى عيد ميلادها، فإن معلوماتك عن عامة الناس لن تساعدك كثيراً، فكل شخص من هؤلاء متميز بطبعه ولايوجد شخص يشبه أو يطابق الأخر ولن يتكرر كنسخة منه، وإذا أردنا أن نطور علم الشخصية فيجب أن نقبل هذه الحقيقه (Allport , 1965) .

٣- **الغائية** **Teleology**: طبقا لرأى ألبورت فإن الأمثلة السابقة توضح أن أغلب سلوك الإنسان غير محدد بأسباب مسبقة، إن كل دوافعنا الراهنة تنبثق وتنمو عن دوافع سابقة، ولكن ماحركنا سابقاً يجب أن يحركنا الآن ، وأن الماضى ليس له تلك الأهمية مالم يكن قادر على أظهار ذلك النشاط الدينامى فى الوقت الراهن، وعلى خلاف من أراء يونج وأدلر فإن ألبورت يستنتج أننا غالباً ما نسترشد بعزائمنا **intentions** . إن هذه الصورة الغائية للدوافع تتضمن كل من الرغبات المعرفية والتخطيط المعرفى لإشباعها ولكونها موجهة إزاء بعض الأهداف المستقبلية مثل اكتشاف أراضى جديدة، أو أن تصبح طبيب أو حتى مجرد الحلم بالطيران. لكى نفهم ما يكون عليه الشخص، فمن الضرورى دائماً أن نشير إلى ما يحتمل أن يكون عليه مستقبلاً ، فكل حاله يكون عليها الشخص تحدد اتجاه الإحتمالات المستقبلية (Allport, 1955) .

٤- **الاستقلال الذاتى الوظيفى** **(Functional autonomy)** مع أن العديد من النظريات تنظر الى سلوك الطفل والراشد على أنها تعبيرات مختلفه لنفس الدوافع

* **المدخل الفردى** : هو مدخل يهتم بالدراسة المركزة لحالات فردية سواء فى شخصيتها أو وضعها الاجتماعى .

الأساسية (مثل دوافع الجنس والعدوان فى نظرية فرويد عن التحليل النفسى ، أو السعى الى التفوق فى نظرية أدلر)، إلا أن ألبورت يعتقد أن دوافع الشخص الراشد غالبا ما تصبح مستقلة فى أغراضها عما كانت عليه فى مرحلتى الطفولة والمراهقة- فعلى سبيل المثال : فإن الشخص الذى أمضى حياته كبحار ربما يشعر بحنين قوى للعودة للعمل فى البحر حتى بعد أن أصبح مستقل مادياً، ويختفى هنا الدافع الأصلى (وهو الحصول على المال من هذا العمل) ، والموسيقى الذى يبقى يعمل لساعات طويلة مقابل أجر ربما يعزف الآن بدون أجر لهدف آخر كالتسلية والاستمتاع مثلاً ، وطالب الجامعة الذى اختار مهنة الطب فى البداية لإرضاء والديه فربما يستمر فى دراسته الآن ليس لمجرد إرضاء الآخرين ولا لإشباع دوافع سادية فى الطفولة ولكن لأنه أصبح مستمتعاً بعمله كطبيب، والبخيل الذى تعلم التوفير للضرورة أثناء طفولته البائسة ربما يصبح الشعور بحب المال والذهب وكبر حجم حسابه فى البنك دافعاً لاستمرار بُخله . وفى كل هذه الأمثله يتضح أن عامل الاستقلال الذاتى الوظيفى ينتهى بذاته .

ويصور ألبورت مبدأ الاستقلال الذاتى الوظيفى بصورة مختصرة تمثل المضى قدماً للميول والرغبات المولدة للسلوك أو يعرفه " بأنه نزعة قويه لنمو نظام دفاعى ما يصبح مستقلاً لدرجة بعيدة عن الحافز الأول الذى أحدثه فى البداية، وعلى ذلك فنشاط ما قد يصبح غاية أو هدفاً فى ذاته بعد أن كان وسيله للغاية . فالصلة التى تربط النشاط الحالى ببواعثه القديمة ليست أكثر من الصلة التى تربط الشجرة الكبيرة بالبذرة التى نبتت عنها - حقيقة إن حياة الشجرة متصله بحياة البذرة ولكن البذرة لم تعد تغذى الشجرة النامية التى اكتمل نموها الآن (سيد غنيم ١٩٧٨).

ينظر الاستقلال الذاتى الوظيفى لدوافع الراشد على أنها مختلفه (مُتغيرة)، وكمدعمة لذاتها، ومتعاصرة (راهنة وقائمة) وتنمو عن أحداث سابقة ولكنها مستقلة وظيفياً عنها ، ويرى ألبورت أنه ليست لكل دوافع الراشدين الاستقلال الذاتى الوظيفى فيما عدا تلك التى تؤدى الى اختزال الدوافع الغريزية، واستعلاءها التى يعتقد ألبورت أنها مجرد ظواهر عرضية، وكذلك الإضطرابات العصابية والذهانية التى يمكن أن تسهم فى التثبيت الطفولى وعدم حل عقد الطفولة ثم تعود للظهور من جديد مسببة الاضطرابات النفسية، ولاتوجد طريقة يمكن من خلالها التنبؤ بالدوافع التى تصبح مستقلة وظيفياً، ولم يعتقد ألبورت أنه من الضرورى إظهار أصل وتاريخ مثل هذه الدوافع .

ويميز ألبورت بين نوعين من الاستقلال الذاتى الوظيفى للدوافع :

الأول: يعرف بالاستقلال الذاتى الوظيفى المستمر (المثابر على الظهور) Perseverative ويدل على نشاط يتكرر ظهوره من قبل الفرد وعلى نحو آلى كان يحقق فى الماضى هدفا أو غرضاً محدداً ولكنها لم تعد كذلك الآن وغالباً ما ترتبط هذه الدوافع بعمليات عصبية أو بيوكيميائية كالتدخين أو إدمان المخدرات وأنماط التكيف الحركى، كالهرش والنشاط الإيقاعى والأفعال الأخرى التى يبدو أنها لم تعد تحقق فائدة بيولوجية فى الوقت الراهن ولكنها مازالت تقاوم الانطفاء .

الثانى : فيعرف بالاستقلال الذاتى الوظيفى الجوهرى Propriate أو الأساسى وهو أكثر أهمية من سابقه ويتضمن دوافع أكثر تعقيداً لاتعتمد مباشرة على التغذية المرتدة كما فى النوع السابق وتقوم بخلق القوى المنظمة فى الشخصية ، وهذا النوع محكوم بثلاث مبادىء :

١- مبدأ تنظيم مستوى الطاقة : ويقرر هذا المبدأ أن الفرد عندما لايكون فى حاجة الى الاهتمام بأسباب البقاء والتكيف المبكر فى الحياة فإنه يتوفر لديه قدر ملحوظ من الطاقة ، ولما كانت هذه الطاقة فائضة عن متطلبات التوافق الأساسى فإنه يمكن تحويلها الى الكفاح المميز الممتد نحو تحقيق المرامى المستقبلية .

٢- مبدأ الأتقان والكفاءة : هناك حاجة فطرية لدى الراشدين الأصحاء ليزيدو من كفاءتهم وفاعليتهم وليطمحوا الى إتقان أعظم ، وبعبارة أخرى فإن الأصحاء وفقا لما يراه ألبورت فى حاجة الى أن يزداد تحسنهم فى أشياء أكثر فأكثر.

٣- مبدأ التنميط المتميز والجوهرى : إن الذت المميزة الممتدة هى الإطار المرجعى الذى يحدد ما يسعى الإنسانى لتحقيقه فى الحياة وما ينبذه، وهذا معناه أنه على الرغم من أن الدوافع تصبح مستقلة وظيفياً عن الماضى إلا أنها لاتصبح مستقلة عن الذات المميزة الممتدة ، أى ينبغى أن تتسق جميع الدوافع مع الذات ككل وهذا يؤكد اتساق الشخصية وتكاملها (جابر عبد الحميد ١٩٨٦) .

القيم :

يتفق ألبورت مع كل من يونج وفروم على أن وجود الإنسان يحتاج الى وحدة فلسفية تعطى معنى لحياته ، وتهديه الى بعض الإجابات لتلك المشكلات المؤلمة التى قد يعانيها

مثل الشعور بالذنب والخوف من الموت . . وقد بنى ألبورت أفكاره عن القيم على أعمال الفيلسوف الألمانى إدوارد اسبرنجر .Spranger, E واستنتج وجود ستة أنواع أساسية من القيم وهى :-

- القيم النظرية : وتدل على رغبة عقلية لاكتشاف الحقيقة ، وتنظيم معلومات الفرد بأن يصبح عالم أو فيلسوف .
- القيم الإقتصاديه : حب العمل خاصة ماله فائدة أو قيمة تطبيقية .
- القيم الجمالية : التأكيد على الاستمتاع بالشكل والتناسق والجمال والفن على أن يكون ذلك غاية فى حد ذاته .
- القيم الاجتماعية : التعلق بالآخرين وحبهم .
- القيم السياسية : حب القوة ، وليس من الضرورى أن يرتبط ذلك بالمجال السياسى .
- القيم الدينية : رغبة خفية للاندماج مع بعض الحقائق العليا أو السامية .

هذا التصنيف للقيم ينطبق فعلياً على أغلب الناس عموماً ولكنه يتميز بفرديته ، فأى نظام من القيم لدى أى شخص يتكون من تركيبة فريده من الاحتمالات الستة . . فعلى سبيل المثال ربما يكون هناك شخص مهتم بالقيم النظرية والجمالية وغير مهتم بالقيم السياسية والدينية . بينما شخص آخر على العكس من ذلك تماماً ، وشخص ثالث ربما يكون متعلق داخلياً بالقيم الستة معظمها أو كلها ، وربما تكون واحدة أو اثنتين ذات أهمية أكثر نسبياً من البقية ، وهناك أيضاً من يسقطون هذه القيم أو أغلبها من حساباتهم وهو ما يفعله المكتئبين والمقدمين على الانتحار - ويعد ألبورت أول من تناول هذا الجانب من المنظرين فى الشخصية ، كما أعد مقياساً للقيم نقله الى العربيه عطيه هنا .

اللاشعور والوعى :

يتميز مدخل ألبورت الى اللاشعور بمحاولة التكافؤ بين الضدين الى حدما ، والتوحيد بين النظريات التى تناولته بالشرح . فهو من ناحية يشارك أنصار التحليل النفسى الاعتقاد بأن أغلب تصرفاتنا الشخصية يمكن أن تتم بطريقة أو بأخرى بشكل لاشعورى ، فالكثير من الدوافع لاشعورية ، طفولية ، ونابعة من ذاتنا . كما أنه أيضاً يؤمن بأن الشخص السوى يندفع بداية بواسطة كل من البواعث الشعورية والصراعات ، ويؤكد على وجهة نظر

فرويد فى ارتباط العمليات اللاشعوريه بالاختلالات السيكوباثولوجية . فيقول : لقد كان فرويد طبيباً اكلينيكياً عمل سنوات وسنوات مع أشخاص مضطربين نفسياً، وأن وجهة نظره أكثر قابلية للتطبيق على هؤلاء الأشخاص أكثر من أولئك الذين يتميزون بالسوية ، لأنهم (أى المرضى) بعيدين عن الذات الجماعية autonomous ego أكثر من الأسوياء الذين تكون دوافعهم شعورية بشكل أوضح (Evans, 1970) .

بالإضافة لما سبق - يفضل ألبورت التأكيد على الجوانب المحسوسة من الدوافع الإنسانية ، فهو يعتقد أن حب الإنسان للاستمتاع هو دافع حقيقى ومُكتمل أفضل من تفسيره على أنه تسامى لرغبة محرمة، أو رغبة جامحة فى الاستعلاء أو التعالى ، فيقول " يوجد بالتأكيد ملايين الأنواع من التخصصات فى الحياة التى لاتشغلنا على الإطلاق، ودافعها محسوسة الى حد كبير، وممتعة أو مسلية وغير محددة، وتمتع حياتنا، وأى وصف مختصر يفتقد هذه النقطه تماماً يُعد غير قادر على إلقاء الضؤ على الشخصية بشكل وظيفى " (Allport, 1960) .

ونظراً لأن ألبورت يرى أن دوافع الراشد السوى شعورية ومحسوسة فأنه يوافق على أن الاعتبارات الهامة فى الشخصية يمكن التحقق منها ببساطة بالسؤال المباشر، فالسؤال الذى يقدمه أدلر ماهى توقعات الشخص التى يمكن أن يحققها فى سنوات قليله؟ مثل هذا يتطابق مع قول ألبورت إذا أردت أن تعرف شيئا ما عن شخص ما فلماذا لاتسأله هو أولاً . (Allport,1961) .

تركيب الشخصية :

على النقيض من فرويد ويونج ، لم يقدم ألبورت تمييزاً واضحاً بين الاعتبارات التركيبية والدافعية للشخصية . ولكن التركيب الذى سيتم شرحه فى هذا الجزء هو تركيب جوهرى ومثالى يلعب دوراً واضحاً فى تفسير سلوكنا وأفكارنا .

السمات العامة والميول الشخصية :

تمشياً مع أفكار ألبورت عن محسوسية الدوافع الإنسانية ، فإنه يقدم وصفاً لتركيب الشخصية فى مصطلح السمات Traits مثل : الصداقة، الطموح، النقاء أو النظافة Cleanliness ، الغيرة، الإلتزام، الخجل، اللباقة، السيطرة ، الخطوع، الكرم، وغيرها. حيث قدر عدد هذه السمات بما يتراوح بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ سمة تحت ما يقرب

من ١٨٠٠٠ مسمى، ويفترض أن سلوك أى فرد لايكون مماثل أو صورة طبق الأصل من سلوك شخص أخر بسبب ظروف البيئة الخارجية أو ضغوط من الأشخاص الآخرين والصراعات الداخلية ، ولاتسطيع أى نظرية للسمات أن تكون ذات صوت مسموع إلا اذا أخذت بعين الاعتبار ذلك التعدد والتنوع فى سلوك الفرد، فالسمات لاشك تعد ذات أهمية كبيرة لارتباطها المباشر بالعديد من الجوانب الثابتة فى الشخصية.

ويعرفها ألبورت بقوله : السمات هى تركيبات نفس عصبية neurospychic لديها القدرة على استدعاء العديد من المثيرات الوظيفية بفاعلية، والمبادأة والتوجيه الفعال للعديد من صور السلوك التكيفى والتعبيرى (Allport, 1961).

إن سمة مثل النظافة تعد أكثر عمومية من العادات (مثل المداومة على غسيل الأيدى وغسل الأسنان). كما أن السمات أكثر وضوحاً من الاتجاهات التى تتضمن تقييماً لأشياء محدده مثل الإشتراكية أو الاجهاض، أو العلاقة مع الجيران، كما أنها (أى السمات) تتداخل وترتبط فعلى سبيل المثال فإن الأشخاص الذين يتسمون بالود يميلون لأن يكونوا متحدثين (لبقين)، ويشير ألبورت الى السمات على أنها نفس عصبية لأنه يعتقد مثل فرويد وسوليفان أنه قد يصبح من الممكن ربط عناصر المكونات المختلفة للشخصية بعمليات فسيولوجية محددة .

وليوفق ألبورت بين تأكيده على المدخل الرمزى Idiographic والحتمية فى المقارنة بين مختلف الأشخاص فقد قام بالفصل بين نوعين من السمات :

١- السمات العامة (المشتركة) Common Traits

فعلى الرغم من تفرد الشخصية إلا أن الثقافة تجعل هناك تشابها بين الأفراد فى طرق التوافق، وترجع السمات المشتركة الى هذه الاعتبارات فى الشخصية التى تتأثر بالثقافة السائده وتوجد التشابه بين أغلب أفراد هذه الثقافة. وهو ما يجعل من الضرورى استخدام الاختبارات، والمقاييس، ومقاييس التقدير أو أى طريقة أخرى للمقارنة، ولكن السمات المشتركة هى فى الحقيقة سمات جمعية nomothetic، ولا تستطيع أن تعطينا أكثر من مجرد مظهر تقريبى لأى شخصية وعلى سبيل المثال إذا قلنا أن هناك أشخاص يتصفون بسمة السيطرة فإنه بالقطع هناك تنوع لانهائى للمتسلطين (المسيطرين) فهم قياديين عدوانيين مترددين وقد يكونوا حتى إنقياديين وخجولين. وعندما أقول أن سمير وسعيد

عدوانيين فإن ذلك لايعنى أنهما يتطابقان أو يتماثلان فى نوع العدوانية لأن عامة الحديث يفتقر الى السندالسيكولوجى دائماً.

٢- السمات الفردية (الشخصية) Personal Traits

وهى سمات لايتماثل فيها الفرد مع غيره ولكنه يتفرد بها عن الأخرين وتحدد طريقته فى السلوك، وتلعب السمات الفردية دوراً أساسياً فى تحديد الخطوط العريضة المميزة لشخصية الفرد عن غيره من الأفراد. ويفضل وصفها بأكثر من صفة فربما تقول أن الصغيرة سوزان لديها ميل لمساعدة الآخرين بكل ما تملك ، أو أن نقول إن هذا الشاب سوف يعمل لك أى شيئ إذا لم تمنحه أتعابه، وقد يكون لدى الفرد درجة مرتفعه فى السمات العامة من قبيل حب الجمال أو الميول الفنية، ويتميز بالقلق، ولديه درجة منخفضة فى الميول القيادية، والحاجة للإنجاز، هذه الخصائص إذا اجتمعت فى شخص واحد فقد تجعله " فنان منعزل يتميز بالكفاية الذاتية" .

ولايتفق ألبورت مع كاتل فى تحديد عدد معين من السمات تحدد سلوك الشخص ولكنه يرى أن بعض الأفراد قد توجد لديهم سمة واحدة لها صفه السيادة وتلعب دوراً أساسياً فى توجيه سلوك الفرد وقد أطلق عليها السمة الرئيسية Cardinal مثل سمة البخل فى شخصية سكرودج Scroogels miserliness والإغراء الجنسى فى شخصية دون جوان، والتلذذ بالتعذيب المقترن بالجنس فى شخصية ساد Sade (السادية)، والمهارة فى شخصية ماكفيلى وغيرهم . .

أما السمات المحورية (المركزيه) Central فتتراوح بين ٥-١٠ سمات وأغلبها من أمثله السمات التى نجدها مكتوبة فى خطابات التوصية (الشفاعة)، وتمثل الميول التى تميز الفرد تماماً والتى تظهر بسهولة ويمكن حتى استنتاجها فى المقابلات الشخصية. أما السمات الثانويه Secondary فهى أقل عدداً ومحدودة التأثير فى سلوك الفرد إذا قورنت بغيرها ومن حيث المثيرات المرتبطه بها، وكما أن أدلر يقر أنه لكى يُفهم الفرد لابد من معرفة عدد محدد من المظاهر المرتبطه بنمط حياته فإن ألبورت يرى أن معرفة عدد قليل من السمات المركزية عن الشخص تجعل من الممكن التنبؤ بمعظم الأنماط السلوكيه له . وحيث أن الاستعدادات الشخصية لايمكن تعريفها بمصطلح يمكن ترجمته من خلال الملاحظة الى عمليات سلوكية فإنه يجب استبدالها الى سلوك ظاهر وهو ما سلم به ألبورت كعمل شاق خاصة عندما يكون حصيلة لسمة فردية مثال ذلك : عند كتابة خطاب

لأحد الاقارب ربما يجب - فى جزء منه - أن نظهر سمات مثل : المسئولية، الأمانة، الصداقة والضغوط الخارجية (من أحد الوالدين أو الزوجين) ، الأهم من ذلك أن تعميم موقف واحد ربما يكون فى منتهى الخطأ فقد يصل طالب متأخراً لفصله بسبب ظروف طارئه أو أمر خارج عن إرادته على الرغم من أنه يحافظ على وقته جيداً. كما أن إعطاء هديه لشخص ما قد يدل على الكرم، وقد يكون بهدف تحقيق منفعة شخصية (رشوة). كما أن أستاذ الجامعة قد يترك مكتبة القسم فى غاية الإهمال ولكنه يصبح فى غاية الاهتمام بنظام مكتبه أو منزله، كما أن بعض السمات الثانوية موجهة ومحكومة بواسطة السمات المركزيه دون غيرها .

ولم يقترح ألبورت أن السمات الشخصية تنعكس من خلال السلوكيات التى تحدث بشكل متكرر وبعمق وعلى مدى واسع من المواقف، فقد يعكس الاعتذار عن حضور حفله دُعى اليها الشخص وجود مزاج كدر (وقد يدل على ارتباط سابق)، ولكن الشخص الذى يعبر الشارع دوماً لتجنب مقابلة شخص يعرفه ويقضى وقتاً غير قصير بمفرده فإنه من المحتمل وصفه بالإنعزالية Seclusive ، حيث يصبح من المُهم توضيح مدى ثبات وشدة السلوك عند وصف الفرد.

الجوهر Proprium

على الرغم من أن الشخصية الراشدة السوية تتصف بوجود عدد كبير ومتشابك من الاستعدادات، والإهتمامات والغرائز إلا أنها تنتظم حول الأمور التى تعد أكثر أهمية بالنسبة للفرد. وحيث أن مصطلح الذات Self أو الأنا Ego قد استخدم من قبل منظرين آخرين وبطرق مختلفه فإن ألبورت يوحد مضمونها فى مفهوم الجوهر فيقول " أعتقد أن الجوهر هو ذلك الجزء الدافىء ، والمركزى، الذى يمثل منطقة خاصة فى حياتنا، وهكذا فقد اقترح ألبورت تسمية جميع وظائف الذات أو الأنا كما وردت فى النظريات الأخرى بالوظائف الجوهرية Propriate للشخصية ، وقد حددها فى ثمان أشكال متميزة للشخصية يتم تنميتها خلال أوقات مختلفة على مدار حياة الشخص وهى :

١ - الإحساس بالذات الجسمية The Sense of Bodily Self .

لايستطيع الطفل حديث الولادة التمييز بين ذاته والآخرين، ويتعلم تدريجياً الفصل بين الأحداث الداخلية والخارجية، وقد حذر ألبورت - كما فعل سوليفان قبله - من أننا لا نعرف حقيقة ما يخبره الطفل حديث الولادة. كما أنه يشارك فرويد الاعتقاد بأن أول

إحساس ذاتى يشعر به الطفل هو إحساسه بجسده، والذى يتطور عن الإحساسات العضوية والإحباطات الخارجية بدءاً من عجز الطفل عن تناول طعامه عند ما يريد ذلك حتى ضرب رأسه فى شيئ وهنا يتعلم التميز بين جسده والأشياء الصلبة من حوله ويبقى هذا الإحساس راسخ دوماً فى وعينا، ويوضح ألبورت ذلك بقوله : كيف أن الاحساسات الجسمية الفطرية يمكن إدراكها من خلال تجربة صغيرة أو حتى بالتخيل، فكر أولاً فى ابتلاع اللعاب أو افعل ذلك، بعد ذلك تخيل أنك بصقته فى هذه الحالة سيتحول ماهو طبيعى ومقبول الى شيئ غريب ومكروه ، إن ما أتلقاه وأقبله جسديا يدفئنى وأرحب به ، وما أبعده عن جسدى هو شيئ مرفوض حتى لو كان معنويا كحملقه عين أو لمسة برد أو شيئ غريب . (Allport, 1961) .

٢- الإحساس باستمرارية هوية الذات The Sense of Continuing Self-Identity

مثلما فعل إريكسون ، لقد اعتبر ألبورت أن الشعور بالتماسك الداخلى والإستمزارية أمر ضرورى لتحقيق الوعى الذاتى لدى الفرد، فيقول "اليوم أتذكر بعض من أفكارى التى كانت بالأمس، وغداً سوف أتذكر بعض من أفكار اليوم والأمس معاً، وأنا متأكد أنها أفكار نفس الشخص- وهو أنا" . يبدأ الإحساس بهوية الذات فى الطفولة المبكرة ويساعد على ذلك تطور المهارات اللغوية وخاصة عندما يمتلك شيئ ويسمع اسم ما يمتلكه، ولكن ذلك يبقى غير ثابت الى حد ما حتى سن الرابعة أو الخامسة، بعد ذلك تبدو ثقته فى ذاته كوجود إنسانى له كيانه .

٣- تقدير الذات (احترام الأنا) Self-Esteem (ego-enhancement)

كما رأينا فإن النرجسية أو عشق الذات تنشأ مبكرة فى حياتنا، وتحاول الأنانية المحافظة على اعتداد الفرد بذاته تجنباً لأى إذلال يربكها، وهو أمر عادى يمثل صور مألوفه من قبل الذات أو الأنا ومن ثم تكون الأنانية Selfish ، والغرور أو التبجح egotistical، ويعد تقدير الذات أحد الحقائق الثمانية للجوهر وربما يكون من أبرزها فى طبيعتنا الشخصية حتى ولو كنا لانملك فى جيوبنا جنيها واحداً .

٤- امتداد الذات (امتداد الأنا) Self-Extension (Ego- Extension)

فيما بين الرابعة والسادسة من العمر فإن الإحساس بالذت يمتد أو يتسع تدريجياً لأشياء خارجية هامة، ومن ثم يتطور مفهوم الملكية (mine) فيشمل والداى الطفل،

أقاربه ، ألعابه ، وهو ما ينشئ الأساس للامتداد الذاتى الأخير والمهم والمتمثل فى حب الإنسان لدينه ووطنه ومهنته، ويعتبر ذلك ألبورت من علامات النضج فيقول "إن من علامات النضج أن يمد الإنسان إحساسه بالاستغراق الذاتى الى قيم مطلقه وإذا لم يسعى الى تطوير اهتماماته خارج ذاته (لتبقى جزء من ذاته فقط) سيبقى يعيش أقرب الى مستوى الحيوان منه الى مستوى الإنسان" .

٥- صورة الذات Self-Image

تعد القدرة على التفكير فى الذات فى الوقت الحالى، وكما يتمناها الفرد مستقبلاً أحد مظاهر الجوهر التى تظهر خلال الفترة من ٤-٦ سنوات وكما ذكر سوليفان فى نظريته فإن صورة الذت تتضمن الإحساس بكونه حسن good-me أو سيئ bad-me وهذا الإحساس يتطور كاستجابه لتوقعات الوالدين، وإثابتهم، وعقابهم. كما تتضمن مايدركه الفرد عن قدراته الذاتية وحالته مقارنة بالآخرين والأهداف التى يضعها لنفسه. هذه الاعتبارات الجوهرية تفيد كوسائل استبصار ومرشد جيد للفرد عن مواطن القوة والضعف، كما يتفق ألبورت مع هورنى فى أنه من المحتمل بدلاً من ذلك أن يصبح معارض بخشونه لتكوين صورة مثالية ويكون بدلاً منها معايير وأهداف غير واقعيه ويصعب تحقيقها.

٦- الذات كمناضل عاقل (وأحيانا مستخدمة للميكانزمات الدفاعية)

(The self as Rational coper (and Sometime user of Defense Mechanisms)

مثل مفهوم الأنا عند فرويد فإن الجوهر يجب أن يوحد المطالب الخارجية مع الحاجات الداخلية لتكوين خطط واقعية لمواجهة الاندفاعات البيولوجية والمطالب البيئية، وما يحرمه الضمير، وحتى فى بعض الأوقات فى سن الرشد يختار الفرد تجنب هذه الصعوبات بدلاً من مواجهته كما فى السلوكيات التى شرحها فرويد ببراعة فى حديثه عن ميكانزمات الدفاع كالكبت ، وإنكار الواقع، والتبرير والإسقاط والإزاحة والتثبيت، والنكوص، ورد الفعل العكسى، والتوحد مع المعتدى، ومفهوم أدلر عن تعويض النقص، فعلى سبيل المثال فإن الأم التى تكره نسلها تصبح قلقة شعورياً ولكنها تفرط فى التوكيد على حبها لهم (تكوين عكسى)، والطفل الذى يمتعض من ولادة أخ جديد له ربما يبقى يردد no baby, no baby (إنكار الواقع) والشخص الذى يحصل على تقدير أقل مما يتوقعه فى امتحانات أو ترقية ربما يؤكد أن الشخص الذى قام بعملية التقييم لايعرفه جيداً (تبرير) غير أن ألبورت لاينظر الى الغرائز المحرمة على أنها جزء متكامل فى

الطبيعة البشرية ، ويستنتج أن الشخصية التى تسيطر عليها ميكانزمات الدفاع هى شخصية غير سويه فى الحقيقة فيقول " توجد ميكانزمات الدفاع فى كل الشخصيات، ولكن عندما تصبح لها اليد العليا فإن ذلك يعنى اننا نتعامل مع حياة مضطربه بشكل سيئ Allport,1968 ، إن الشخص السوى هو الذى يواجه الواقع عادة بدلاً من البحث عن اساليب للهروب، والجوهر لديه القدرة على تحقيق حلول مُرضيه وتحقيق التوافق اكثر من مجرد إعلاء الدافع أو الانتظار أملا فى تحقيق الوعود ويختلف رأى ألبورت عن فرويد حيث يقترح أن هذا الجانب من نمو الجوهر يبدأ فى النمو فيما بين السادسة والثانية عشر .

٧- الإجتهادات الجوهرية **Propriate Striving**

إحدى الوظائف الجزئيه والهامة للجوهر هى تشكيل أو تكوين الغائية teleological المتقدم ذكرها، المعرفة، خفض التوتر (أو زيادته)، الأغراض والأهداف التى تعطى معنى لحياة الفرد، فالخصائص الإنسانية المميزه يبدأ تطورها أولاً فى المراهقة، الكفاح الناضج يكون فى سبيل اهداف بعيدة المدى تتميز بالدقة ويمكن تحقيقها ، الأب (أو الأم) المخلص (المخلصة) deveoted لايفقد إهتمامه بطفله، والمتحمس للديمقراطيه يبقى طوال حياته منشغلاً فى توضيح أهميتها للعلاقات الإنسانية، والعالم أو المبتكر تشغله اسئلة كثيرة ومتعدده، والوقع يؤكد أن المقياس الوحيد لنضجنا العقلى هو قدرتنا على الشعور بعدم الرضا على ما قدمناه من اجابات على مشكلاتنا سعياً نحو إجابات احسن وأدق .

٨ - الذات كعارفه **The Self as Knower**

اخيرا يلاحظ الجوهر الوظائف السبعة السابقة والأشكال الأخرى للشعور فى الشخصية ، فنحن نعرف انفسنا ونمتلك الآن الإحساس بالجسد، هوية الذات، وامتداد الذات وغيرها .

ونبه ألبورت الى عدم وجود خط فاصل وواضح بين الجوهر وبقية مكونات الشخصية، فالجوهر ليس هو الذات او رجل صغير Little man قزم hamunculus فى النفس يعالج ببراعة مانرتكبه من أخطاء " إذا سألنا لماذا اكتئب نزيل المستشفى، لن يكون من المفيد أن نقول أن الذات لديها صورة خاطئه، أو لأن الذات فعلت هذا وتركت ذلك أو ارادت هذا دون ذاك أو ترغب فى هذا أو ذاك معا - إنها سلسلة كبيره من الأسئلة الصعبة" (Allport, 1961) .

الشعور (الوعى) conscience

تبقى الأشكال المختلفة من الجوهر - والتى سبق عرضها - بدون معنى إذا كانت منفصلة ومتباعدة ، ولكنها غالباً ما تُمزج وتنصهر مع بعضها فى أكثر من نظام معقد، ومن أمثلة هذه النظم هو الشعور أو الوعى الذى يعد حقيقة عامة (يُحفظ لدى القليل من المرضى النفسيين) ويمثل نموذجاً لتقدير الذات لدى الفرد، وصورة الذات، وإجتهادات الجوهر، ويشارك ألبورت فرويد فى اعتقاده بأن الإحساس الخُلقى ليس فطرياً، وأن الطفل يتشرب معايير والديه عن الصواب والخطأ، كما أنه يوافق أيضاً أن شعور الراشد يختلف فى النوع عن شعور الطفل، فإحساس الفرد المخيف أصلاً، " بما يجب" ، " وما لايجب" أن يفعل يتطور أخيراً فى صورة أكثر نضجاً وتتكون معاييره الخاصة ، وللتأكد من ذلك، فإن بعض البالغين يعانى من توقف فى نموه الأخلاقى ، وتبقى عقد وصراعات الطفولة مصدر إزعاج له .

وبالقطع فإنه بالنسبة لاغلب الأفراد، فإن الشعور ينقل مركزه تدريجياً من مجرد عادات محددة من الأمتثال الى الجوهر، إن الإحساس بنضج الشعور نادراً ما يرتبط بالخوف من العقاب سواء خارجياً أو كنوع من تدمير الذات . إنه ليس أكثر من مجرد شعور بالالتزام .

تطور الشخصية :

حيث أن ألبورت يرى أن معظم دوافع الراشدين تتصف بالأستقلال الوظيفى عن أصولها الطفولية وفى مرحلة المراهقة ، لذلك فإنه يعتقد أن الحاجة لدراسة دورة تاريخ الشخصية أو مراحل تطوره حاجة محدودة، ولكنه يرى أن رأى فرويد القائل بأن الشخصية تتحدد ملامحها فى سن الثالثة أو الرابعة مجرد هُراء أى رأى خاطئ كما أنه يرى أن السنة الأولى أقل السنوات أهمية فى تشكيل الشخصية مفترضاً أن هناك سلسلة من الاضطرابات الصحية لم تحدث بعد خلال هذه السنة .

ويتفق ألبورت مع هورنى فى أن الطفل غير الاجتماعى يصبح بالغاً إجتماعياً أولاً بسبب قدراته الفطرية الصحية، والدليل على ذلك أن نمو الشخص السوى ربما يكبح بسبب السلوك المرضى للوالدين والمتقلب بين منح الحب والعقاب وسرعة الغضب، وقلق الخصاء والصور الأخرى من المعاناة الجسدية مما يؤدى الى الفشل فى إمداد الطفل

بالحد الأدنى والضرورى من الشعور بالأمن والحب، ومن ثم إحباط النمو الإستقلالى. ولكن بدون هذه التأثيرات السلبية، يبقى الطفل حراً فى استخدام قدراته الفطرية فى التعلم بطرق صحيحة، ويتأصل فى سبيل النمو السوى .

محكات النضج Criteria of Maturity

تمشياً مع تأكيده على دراسة الشخصية الراشدة السوية، فقد قام بصياغة محكات للصحة النفسية أو النضج أكثر استفاضة من محكى فرويد " الحب والعمل " وأهم هذه المحكات :

١- اعتناق فلسفة موحدة : Unifying philosphy

فالاشخاص الناضجين يعملون على تطوير فلسفة موحدة تعطى معنى لحياتهم وتوجههم فى المستقبل، وتجعلهم قادرين على مواجهة المشاكل والمصاعب. ويرى ألبورت أن فلسفة الحياة هى جهاز من القيم مرتب فى نسق معين .

٢- القدرة على تحقيق امتداد للذات Self-Extension

وذلك من خلال ممارسة الأنشطة والمشاركات التى تعد ذات معنى وفائدة له كالزواج وتكوين أسرة، والعمل، واتخاذ عدد مناسب من الأصدقاء ، والنشاط السياسى، وعدد كاف من الهوايات والشخص الناضج لايعكف على ذاته ولايقصر اهتماماته على إشباعاته البيولوجية من طعام وشراب وجنس، ولكنه لديه توجه نحو مستقبله . وغير متعلق، دينامى، ويسعى لتحقيق ذاته دائماً .

٣- تكوين علاقات شفقه وحب مع الاخرين : Compassionate and loving relationships

أى التآلف مع الآخرين وتكوين علاقات إجتماعية بعيدة عن الحقد والغيرة، فالشخص الناضج لديه استعداد للتضحية من أجل الآخرين أو على الأقل قبول تبعات ما يعطيه، لديه شعور بالمسئولية إزاء الآخرين عموماً ، ويخطط حياته فى إطار قيم ومعايير الجماعة .

٤- الأمن الانفعالى وتقبل الذات Emotional security & self-acceptance

الأشخاص الناضجين تعلموا كيف يقابلوا مشاكلهم بطرق فعالة دون أن يصيبهم الإحباط مما يضفى على حياتهم شعوراً بالأمن النفسى، وليس من السهل أن يقعوا فريسة

للفوضى أو تثبط همتهم أو يختل توازنهم بخيبة أمل، وهم قادرون على الاستفاده من خبراتهم الماضية، يتقبلون ذاتهم وقدراتهم ولديهم ثقه فى النفس تمكنهم من تأجيل إشباعاتهم وتحمل إحباطات حياتهم اليومية دون لوم للآخرين على أخطائهم أو ممارسة سلوك غير مرغوب .

٥- لديهم توجهات واقعية realistic orientation

الأشخاص الناضجين لديهم توجهات واقعية نحو ذاتهم ونحو العالم الخارجى تتضمن القدرة على التضحية بذاتهم فى سبيل عمل ذات معنى ومواجهة الصعاب بدون هلع أو خوف أو اللجؤ الى حيل دفاعية ، وهم قادرون على التخطيط للأحداث المستقبلية والسعى الجاد لإنجاز ما يتم تخطيطه .

٦- الاستبصار بالذات Self-insight

يتفق ألبورت مع كل من فرويد ويونج على أن الاستبصار الحقيقى بالذات أمر صعب تحقيقه، فنحن نفكر فى ذاتنا كثيراً ولكن ليس بموضوعية مطلقة، ولذلك فإن الشخص الناضج هو شخص أكثر وعياً بذاته وإدراكا للحاجة الى التغير والنمو، كما يدرك الفرق بين ما يعيه عن ذاته وما يذكره الآخرين عنه، لديه روح الفكاهه والمرح ويستمتع بذلك أيا استمتاع .

وفى كل الإحتمالات ، لايوجد شخص يتمتع بهذه المحكات الستة للنضج، ولا من الضرورى أن تعبر هذه المحكات بكفاءة عن العمر الزمنى ، على الرغم من ان الراشدين (أو الشباب) ربما يعكسون جيداً درجة غير عادية من النضج أو عدم النضج .

نمط الحياة the style of life

نظراً لأن ألبورت يرى أن كل شخصية تمثل وحدة مستقلة، فإنه يرفض استخدام صفات تحدد أنساق اوأنماط للشخصية typologies مثل استخدام أدلر لنمط الحياة وهو يرى أنه توجد اعتبارات كثيره يمكن فى ضوؤها تصنيف الأشخاص (كريم ، نرجسى، حازم، متسلط، وغيرها) وأى فرد يمكن أن يكون لديه مئات من هذه الصفات، وكذلك فإن تصنيفه فى نسق أو نموذج شخصية معين لايعكس ما يتسم به من تفرد فيقول إن استخدام نمط الشخصية مريح ولكنه مخادع ولا أحد على الأطلاق يستطيع أن يعطى فى كلمة واحدة كل ما تتميز به الشخصية من صفات (Evans, 1970) .

تطبيقات على نظرية ألبورت :

أ - علم الامراض النفسية - العلاج النفسى - الإصلاح الاجتماعى :

يعد ألبورت أول المنظرين الذين لايتوفر لديهم شيئاً عملياً ليذكره حول تفسير الأحلام، وأول الذين وضعوا الاختلافات النوعية بين السويه والمرضى النفسى- فمن ناحية فإن الشخص السوى لديه القدرة على مواجهة الصعوبات المختلفه التى تفرضها الحياة اليومية ، هو موجه بالدوافع التى تعد شعورية أولاً ، ولديه القدرةعلى الاستبصار بذاته، ويتميز بالمرونة، ولديه استقلال وظيفى، ولكن العصابى أو الذهانى الذى لديه استعداد فطرى للنمو الطبيعى أغلق كنتيجة للتأثيرات المرضية فى الطفولة ، الفشل فى مواجهة المشاكل الهامة بواسطة استخدام حيل الدفاع النفسى فى حماية ذاته ، كما أنه محكوم بواسطة دوافع لاشعورية، معقدة، نرجسى ولديه تثبيت عند مستوى طفولى، وكنتيجة لذلك فإن الشخص المريض هو شخص متمركز حول ذاته، ولديه خوف من تحقيق التوازن المطلوب لتكوين علاقات ذات معنى فى حياته .

على الرغم من أنه لم يعمل فعلياً فى مجال العلاج إلا أنه اتخذ مدخلاً انتقائياً (أى لايتبع نظاماً واحداً بل ينتقى كل ما يعتبره الأفضل فى جميع الأنظمة فى العلاج النفسى)، كما وجد بعض المميزات فى الطرق المختلفة. فهو يرى أن الخوض فى خبرات الطفولة يكون مفيد فقط إذا لم تصبح الحالة المرضية مستقله وظيفياً، وعلى العكس، إذا أصبح العصاب أو الذهان جزء متكامل فى معاناة نمط الحياة، ويجب استخدام علاج أكثر توجيهاً لتسهيل نمو أهداف وميول جديدة ، ولكن ماصورة هذا العلاج ؟ لقد حدد ألبورت الهدف من العلاج النفسى فى مساعدة المريض على أن ينمو فى اتجاه المحكات الستة للنضج (Evans, 1970) .

كما فعل كل من فروم وسوليفان ، فقد أعطى ألبورت بعض الاهتمام بالإصلاح الاجتماعى والعلاقات الدولية ، فهو يعتقد أنه حتى تهذيب الطفل يجب أن يتلائم مع علم النفس ويجب أن يقدم له أراء وأفكار تركز على القضايا العالمية الهامة، خاصة قضايا نشر السلام، كما أنه يستنتج أن علم النفس والاجتماع من العلوم التى يصعب تأصيلها فى كشف كوامن الطبيعة البشرية عن الفزياء والكيمياء وتحتاج الى الدعم الحكومى فيقول "لقد أخذنا سنوات من العمل المعملى وملايين من الدولارات لمعرفة اسرار الذرة، ولكننا فى حاجة إلى ما هو اكبر من ذلك لمعرفة الطبيعة اللاعقلانية لرجل ما" (Evans, 1970) .

ب - طبيعة الأشخاص المتعصبين The Nature of Prejudice

لقد أخذ ألبورت بعض الإهتمام بسيكولوجية المتعصبين والذين يعرفهم بأنهم أشخاص لديهم عدائيه لاعقلانيه irrational hostility نحو الآخرين لمجرد إنتمائهم الى جماعات طائفية ، فيقول : التعصب العرقى هو كراهية مبنية على تعميمات خاطئة وغير ثابتة، يتم الإحساس بها أو التعبير عنها، وربما توجه مباشرة ضد مجموعة ككل، أو إزاء شخص بعينه لكونه عضو ينتمى لهذه المجموعة، وحيث أن الاتجاه السالب نحو الأشخاص يدعمه تعميم غير منطقى مبالغ فيه فإننا نعانى من أعراض التعصب لأن المتعصب يشعر أن الأخرين أقل منه فى شيىء ما بدرجة لايستطيعون ان يرقو الى مستواه فيها" .

والتعصب ليس كمعظم الأخطاء الحقيقيه الأخرى، فالمتعصبين تتميز شخصيتهم بالتصلب ويقاومون تصحيح مالديهم من أفكار ومعلومات ، وعلى سبيل المثال فإن بعض مديرى الفنادق يرفضون بشكل دائم المطالب المكتوبة من نزلاء الحجرات الذين يفهم من أسماءهم أنهم يهود (الذين تدل أسماءهم على أنهم يهود) ، كما يرفضون الاستجابة للمعلومات التى يدلى بها هؤلاء اليهود بدون سبب منطقى أكثر من كونهم ينتمون لجماعات عرقيه أخرى - كما أن عالم الأنتروبولوجى الذى يرفض ترك أطفاله يلعبون مع أبناء الهنود الحمر الذين يسكنون فى عمارة مجاورة له بسبب إصابتهم بمرض معدى كالسل (الدرن الرئوى) لايعد متعصب ، لأنه هنا يحاول تفادى خطر حقيقى، وليس لأنه يحمل هو أو أطفاله أفكاراً خاطئة عن هؤلاء الأشخاص، وعلى الرغم من أن الاتجاهات التعصبية قد تكون موجبة أو سالبة إلا أن ألبورت يعتبر أن الأثار الضارة للاتجاهات الايجابية أمر غير شائع .

وينظر ألبورت الى التعصب كظاهرة معقده تنتج من عوامل متعدده، ومتداخله، فعلى سبيل المثال فإن التعصب العنصرى ضد السود والملونين فى أمريكا يجب ارجاعه جزئيا الى عوامل تاريخية مثل تجارة الرقيق، وفشل التنظيمات السياسية فى الجنوب الأمريكى بعد الحرب الأهلية، كما ترجع الى تأثير العامل الثقافى الاجتماعى من قبيل الإعلانات التى تشير الى سعيهم الى التملق والإعجاب بمن هم أرقى منهم اقتصادياً ، وكذلك يرجعها إلى محددات موقفية ، فالمتعصبين يتعلمون عن طيب نفس فى مناطق تنتشر فيها الحرف اليدوية . ويذكر ألبورت كذلك العوامل السيكودينامية ، فمثلا عندما

ينتاب الفرد شعور بالإحباط نتيجة فقده لعمله أو الحصول على درجات متدنيه فى المدرسة ينتابه إزدراء حاد للضغوط الوالدية التى دفعته للبحث عن فرصة هروب يتملص بها من إحساسه بالمسئولية عن ذلك ، كما ترجع المشكلة الى الاعتقادات الظاهراتية Phenomenological beliefs مثل ما هو معروف عن اليهود بالخبث أو الدهاء وأنهم مرتزقه أو ماهو معتقد عن السود بأنهم غير أذكياء ويتصفون بالسذاجة مما يشوه إدراكات الأخرين عنهم، وأخيراً لكونهم يتصفون بوجود أشياء مثيره مثل البشرة السوداء مما يثير مخاوف لاعقلانية أو شعور بالعدائية، ويعد التعصب أمراً مرفوضاً لذوى الفكر السوى لأنه يؤدى الى سؤ حكم مسبق وصور متعددة من التميز ، ويجب تعويد الأطفال على أن يفهموا أننا جميعاً أعضاء فى أسرة واحدة باختلاف الجوانب العرقية والدينية وغيرها لأن التعصب يظهر غالباً عندما يحاول الوالدين إظهار التميز للمجموعة التى ينتمون اليها، ودمغ الآخرين بالدونية والانحطاط أو أنهم مؤذيين ، فى هذه الحالة يتوحد الطفل مع هذه الأفكار ويسلك بناءاً عليها، كما ينتج التعصب من ضغوط تقع على الفرد بهدف إلزامه بالطاعة العمياء كما حدث فى ألمانيا النازيه قبيل الحرب العالمية الثانية، أو يحدث كنتيجة لأحداث صادمة تدفع الفرد للخوف أو الكراهية لجماعة معينة . كما أن التعصب ضد الأقليات أمر شائع جداً فى أغلب المجتمعات (Allpor, 1968) .

وينظر ألبورت للتعصب كنتيجة لاضطراب نفسى - وهو ما اعتقده أدلر من قبل، فمن نتائج التعصب زيادة أستخدام حيل الدفاع النفسى ، الانسحاب ، السلبية، وقوة الروابط داخل الجماعة مقابل ضعف العلاقه مع الجماعات الأخرى ، والتوحد مع المعتدى وتكون النزعة لإيذاء الذات ، ويؤكد ألبورت مثل فروم وسوليفان على ضرورة مقاومة التعصب والحد من الصراعات بين الجماعات وتنمية الشعور بالانتماء للإنسانية لدى الأطفال من الصغر .

قياس الشخصية personality measurment

١- دراسة القيم :

لم يكن ألبورت مثل المُنظرين السابقين ، حيث فكر فى تقييم تركيباته النظرية من خلال دراسات عملية ، وقام بالاشتراك مع مساعديه فى بناء وحساب صدق وثبات مقياسين للشخصية أحدهما هو مقياس القيم (والأخر لقياس السمات) الذى أعده بالاشتراك مع فيرنون، وليندزى (١٩٦٠) ويقيس الامتداد النسبى للقيم الستة التى يفضلها

الفرد وهى القيم النظرية، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، ويتكون المقياس من جزئين : فى الجزء الأول يفاضل المفحوص بين اختيارين أ ، ب إعتماداً على درجة تفضيله لأحدهما على الأخرى ، أما فى الجزء الثانى فيختار إجابة واحدة من أربعة اختيارات .

٢- خطابات تلقاها من جينى Latters from Jenny

حيث قام ألبورت بدراسة إيدوجرافية Idiographic Study لما كتبته إمراءه عجوز من خطابات تدعى (جينى ماسترسوت) وهو أسم مستعار لامرأة مصابة بمرض عصابى، حيث قام بتحليل محتوى لحوالى (٣٠١ خطاب) كتبتهم الى زوجين حديثى الزواج على مدار (١٢ سنة) فى الفترة العمرية ٥٨-٧٠ سنة ، بعد اقتراح ما يمكن أن تتصف به شخصيتها من قبل كل من فرويد ويونج، وأدلر وعلماء نفس الأنا وعلم النفس الوجودى، حدد ألبورت خصائصها فى ثمان صفات شخصية هى : برانويا الإضطهاد ، الأنانية والتمركز حول الذات، الاعتمادية، الاستعراضية الشديدة ، الاستمتاع الحسى والفنى، العدوانية، السخرية المرضية من الآخرين ، الحساسية العاطفية (سيطرة العاطفه على العقل) . كما أكد أنه يصعب البحث بعمق فى دوافع جينى، وأكد أنه يمكن إجراء بحوث نفسية متعمقة باستخدام التحليل الكيفى أو الوصفى لحالات فردية .

٣- دراسات أخرى :

لقد عطى ألبورت إهتماماً واضحاً بالتعبيرات السلوكية الظاهرة، ويتضح ذلك من خلال إسهاماته العديدة . فهو يرى أن السلوك لايوجه فقط نحو أهداف جزئية ولكن يتم التعبير عنه بطرق ثابتة ومتفردة تميز الشخص عن غيره من الأشخاص، وعلى سبيل المثال فبعض الاستنتاجات الدقيقة تماماً عن الشخصية يمكن الوصول اليها من خلال تعبيرات الوجه والإيماءات الصادرة من قبل شخص آخر، كالأداء الصوتى لشخص ما، ومعدل سرد الحديث (الرتم)، ودرجة النغمة أو طبقة الصوت، وطريقة نقل المعلومة بعناية واهتمام، وفوق ذلك كله نوع أو صياغة الكلمة المنطوقة . كما أن طريقة الوقوف والمشى ووضع الجسم عند النوم هى صفات شخصية ثابتة ومستقرة الى حد بعيد، كما أن تحليل خط السير فى الكتابة تنبأ بمعلومات معينة وبشكل جيد، ولكن يفضل بعض المتخصصين فى الخط دراسة ذلك بالإضافة لأنواع أخرى من السلوك التعبيرى (1961)، كما درس ألبورت الاختلافات بين المعتقدات الدينية الظاهرية والجوهرية، كما أهتم بسيكلوجية الإشاعة وسيكولوجية الراديو (1960) .

وفى اتفاق مع فلسفته ، فلقد حذر ألبورت الباحثين النفسيين من الالتزام المفرط باستخدام نظرية سيكولوجية معينة، واستنتج أن المجلات السيكولوجية العلمية تحتوى على العديد من الدراسات التى صممت بطريقة منهجية رائعة ولكنها لاتضيف إلا القليل من الإسهامات فى حل المشكلات العلمية والاجتماعية والنفسية ، مدعماً رأيه بقوله "إن العقول مُحددة الاتجاه لايمكن أن تقدم حقائق متعددة الاتجاه " . كما ينصح السيكولوجين بالاهتمام بكل من العمق والاتساع فيما يقدمونه من معلومات .

نظرية ألبورت فى الميزان :-

١- أوجه النقد والخلاف :

نظراً لأن هدف ألبورت هو الوصول الى خيار قابل للتطبيق فيما يتعلق بتوكيدات فرويد عن السببية عند الأطفال ، والعمليات اللاشعورية ذات الجذور العميقه فى الشخصية ، فقد لاقت نظريته بعض الاعتراضات من اؤلئك الذين يفضلون الأسس التى قام عليها التحليل النفسى بدلاً من الحياد عنها. وتتمثل هذه الانتقادات فى رفض ألبورت لأهمية السنوات القليلة الأولى من الحياة دون غيرها الى درجة مبالغ فيها. كما أن اهتمامه بالاستقلال الوظيفى فى مرحلة الرشد خلق فجوة بين مرحلتى الطفوله والرّشد، وتعد استكشافات أموندسين Amundsen بمثابة أمثلة للكفاح والنضال المناسب، فسرها فرويد وإريكسون بلغة خبرات الطفولة والعقد التى لم تُحل، وبصورة مشابهة، فإنه على الرغم من أن البحار المتقاعد الذى كان يكسب قوته من البحر والذى أصبح سلوكه غير فعال على المدى البعيد، فإن المغالاة فى تقدير السلوك توضح أن الضغوط الأخرى التى أثرت فى الماضى تبقى تؤثر أيضاً فى الحاضر. أضف لذلك فإن العمليات والميكانزمات التى يتضمنها الاستقلال الذاتى الوظيفى لم يتم شرحها باستفاضة ، فالدوافع ربما تتغير مع الزمن وتصبح منفصلة جزئياً وكلياً عن أصولها الطفولية، وحتى بالمقارنة مع النظريات الأكثر دقة وشديدة التفصيل فى التحليل النفسى، فإن القدرة التفسيرية للاستقلال الذاتى الوظيفى تبدو فى أحسن الأحوال ناقصة وغير كاملة، ويشبه ذلك بالعبارة القائلة بأن رجل ما يحب العيون الزرقاء لأنه يحب اللون الأزرق، أو كما نقول بالعربية فسر بعد الجهد الماءُ بالماءِ. ولذلك فإن توكيدات ألبورت على الشعور والجوانب الراهنة للشخصية تعد تبسيطاً بالغ الإفراط وخطأ جسيماً .

بعض الانتقادات وجهت الى ألبورت وخاصة فيما يتعلق بأن السلوك البشرى لايمكن وصفه بشكل كافى من خلال السمات ، وأكد العلماء والمنتقدين أنه يجب توجيه مزيد من الاهتمام الى المتغيرات البيئية والبينشخصية ، أضف لذلك أن ألبورت لم يكن أكثر نجاحاً من أدلر فى دفاعه عن تفرد الشخصية الإنسانية. هناك فى الحقيقه معلومات قيمة يمكن الحصول عليها من خلال دراسة الحالات الفردية، ولكن نظراً لأن دراسة ملايين الاشخاص تبدو مهمة مستحيلة، ولذلك فإنه يجب على علماء النفس أن يكونوا قادرين على استنباط بعض المبادئ العامة يمكن بمقتضاها أن يتم تعميم المعلومات التى تم الحصول عليها من المرضى أو الأفراد المُعرضين للبحث على مجموعة أكبر وأوسع من الأشخاص. ولذلك فإن اعتراضات ألبورت على التعميم وتأكيده المبالغ فيه على التفرد والتميز قد يدفع بالبعض إلى الاعتقاد بأن علم النفس ليس علماً حقيقياً ، وأغلب السيكولوجيين الحاليين غير راغبين وغير مستعدين لقبول هذا الاحتمال الرهيب والمؤلم . ورغم ذلك فإن معظم بحوث ألبورت كانت منطقية فى طبيعتها. ومن الانتقادات الأخرى التى وجهت إليه مفهومه حول الاستعداد الذاتى للمرض النفسى والعقلى الذى يختلف فى النوع عن الشخص العادى وليس فى الدرجة كما ذكر أغلب علماء النفس، كما انتقد خاصة عندما اعتقد أن اللاشعور يشكل معظم الشخصية يسود فقط فى الأفراد غير العاديين والشواذ.

إسهاماته :

لقد وفرت نظرية ألبورت خياراً محتملاً لأولئك الذين يشاركونه تحفظاته على نظرية التحليل النفسى، ويبقى مفهوم السمة واحداً من أهم المفاهيم التى جذبت المدافعين عن النظرية ومنتقديها على حد سواء، وكما فى علم نفس الأنا فقد ضّمن ألبورت نظريته مفاهيم هامة مثل زيادة الدافع، والناحية المعرفية، والغائية من السلوك (أى كون السلوك موجهاً نحو غاية)، والدوافع الفطرية الصحية التى نظر اليها على أنها أجدر بالدراسة عن الغرائز المحرمة وغير المشروعة فى نظرية فرويد وخفض الدافع والسببية وبالمثل يُعد مدخله الإيجابى للدين أمراً يُحسب له، ولايحسب عليه كما كان على فرويد .

ويعد ألبورت أول المنظرين السيكولوجين الذين سعوا الى الدعم التجريبى لأفكارهم من خلال إجراء تجارب شكلية وتحليلات إحصائية، واهتم بدراسة القيم من

خلال مقياس له أهميته واعتباره فى هذا المجال حتى الآن. كما تعمق فى دراسة الذات أو الجوهر، وقدم محكات جيدة للصحة النفسية أكثر اتساعاً وعمقاً عمن سبقوه، كما أن مدخله المثير إلى الشخصية، يعد تغييراً إذا ماقورن بالدوجماطيين من علماء النفس الذين يصرون على ارتباطهم الكامل بمدارسهم العلمية والفكرية رغم ما يوجه لها من انتقاد، فلم يكن منغلق الفكر. كما تعد دراساته حول طبيعة الأشخاص المتعصبين التى أعدها خلال الفترة من ١٩٥٤-١٩٥٨ إسهاماً جيداً وفعالاً فى مجال علم النفس الإجتماعى. كما كان لاهتمامه بالسلوك التعبيرى دوراً فى إلقاء الضوء على طرق التواصل، ودور لغة الجسم body Language فى ذلك، كما أن من أفكاره ما أثارت تفكير الباحثين وانتقاداتهم حول علماء آخرين من أمثال روجرز وماسلو، وماى. كما يعد ألبورت معلماً موهوباً، أدى اهتمامه المتفرد بطلابه كأستاذ ناجح الى جذب العديد منهم ليصبحوا سيكلوجيين ناجحين.

وعلى الرغم من أن نظرية ألبورت فى الشخصية لاتبدو كافية بمفردها كنظرية متكامله تماماً أو كخيار بديل للنظريات السابقة، إلا أن بعض السيكولوجيين المعاصرين ينسبون أنفسهم الى ألبورت Pure Allportians، ومما لاشك فيه أن أفكاره كان لها أثرها البعيد فى نمو وتطور الفكر السيكولوجى.

الفصل العاشر

نظرية الحاجات

هنرى موراى

فى حين ترك لقاء ألبورت مع فرويد نوعاً من التشكك فى علم نفس الأعماق (اللاشعور) كان الأمر مختلف تماماً بالنسبة لموارى ، فقد أصبح أكثر تعصباً واقتناعاً بالعمليات اللاشعورية عندما قابل يونج ، ويقول "لقد زُرت دكتور يونج فى زيورخ عام ١٩٢٥ وكان عمرى ٣٢ سنة ، وتحدثنا معاً لساعات ، وتنزهنا فى إحدى البحيرات ، ودخنا السجائر أمام المِدفأه ، وقد فتحت أمامى هذه الزيارة البوابات الكبيرة لهذا العالم النادر والعجيب ، ورأيت أشياء لم أكن أحلم بها فى فلسفتى الخاصة ، لقد دخلت معه الى أعماق علم النفس ، لقد خبرت اللاشعور " ، ولذلك كان على العكس من ألبورت ، فمفاهيم موراى النظرية وطرق البحث التجريبى وأساليبه فى القياس تغوص فى الأعماق الداخلية لتصل الى مادُفن وخُبأ فى اللاوعى داخل الشخصية الإنسانية .

نشأته وحياته :

ولد هنرى موراى فى الثالث عشر من مايو ١٨٩٣ فى مدينة نيويورك لوالدين متحفظين فى حين تميز والده خاصة بالحزم والمرح فى نفس الوقت ، وفى سن مبكرة كان يشعر بأن أمه تفضل عليه شقيقه الذى يصغره وشقيقته التى تكبره وقد عانى فى طفولته من عيوب فى الإبصار ، كما عانى من مشكلة التهتهه مما آثار رغبته فى تعويض ذلك فى صورة تفوق دراسى وأصبح دارساً متميزاً ومتعدد المواهب وتلقى تعليمه في مدرسة جروتون Groton,S. وكلية هارفرد وحصل على ليسانس الأداب فى التاريخ بامتيار عام ١٩١٥ وحصل على بكالريوس الطب والجراحة من كلية كولومبيا فى ١٩١٩ وكان الأول على دفعته ، وفضل دراسه علم الأجنه Embryology فى معهد روكيفلر فى مدينة نيويورك وحصل على درجة الدكتوراه فى الكيمياء الحيوية من جامعة كامبردج عام ١٩٢٧ .

لقد كانت مقابلته ليونج التى تمت عام ١٩٢٥ سبباً لانشغاله وإهتمامه بعلم النفس ، حيث جمع بين دراسة علم النفس الإكلينيكى فى جامعة هارفرد فى ١٩٢٧م وأكمل برنامج للتدريب على التحليل النفسى فى عام ١٩٣٥ مما زاده فهماً لذاته ، كما عرف من يونج أن ثمة علاقه بين كل من عيوب الإبصار ومشكلة التهتهة التى تعرض لها - وأدراك أهمية اللاشعور فى سلوك الإنسان وخاصة بعد أن قرأ كتابه الأنماط النفسية . كما التقى موراى بفرويد مرة واحدة فى عام ١٩٣٧- وقد استفسر منه فرويد بصفته مؤسس التحليل النفسى - بشيء من الغضب عن سر حصول يونج على درجة فخريه من جامعة هارفرد بينما لم يحصل عليها هو . وشرح موراى لفرويد بذكاء السبب فى ذلك قائلاً : إنك كنت الاختيار الأول فى الحقيقة للحصول عليها من قبل لجنة الاختيار ، ولكنها مرت الى غيرك خوفاً من أن تربكهم برفضك لتلك الدرجة الفخرية .

وعاد موراى الى معهد روكفيلر وقضى به عاماً واحداً كمساعد باحث ثم قبل دعوة من جامعة هارفرد كمحاضر فى علم النفس عام (١٩٢٧) ، وكان لهذا الاختيار غير التقليدى لرجل غير عادى وغير مدرب أكاديمياً فى علم النفس جعل موتين برنس Prince, M. يعدل من نظام قسم علم النفس فى جامعة هارفرد وأصبح موراى يُدرس علم نفس غير العاديين وعلم النفس الدينامى ، وفى سنة ١٩٢٨ رقى موراى إلى أستاذ مساعد ورئيساً لقسم علم النفس الاكلينيكى وحصل عام ١٩٣٧ على وظيفة أستاذ مشارك

، وأصبح واحداً من أعضاء جمعية بوسطن للتحليل النفسى حيث أكمل فى سنة ١٩٣٥ تدريبه فى التحليل النفسى تحت إشراف كل من فرانز ألكسندر وهانز ساشز .

وبالإضافة إلى القيادة الحكيمة لقسم علم النفس الاكلينيكى فى هارفرد اختار موراى مجموعة من الشباب الدارسين الكفئ للعمل بالقسم ، ولكى يعطى هو جهداً أكبر لبلورة نظريته فى الشخصية والتى نشر الخطوط الرئيسية لها فى كتابه استكشافات فى الشخصية (١٩٣٨م)، ولأول مره من الناحية الاكلينيكيه تأخذ نظرية التحليل النفسى أهمية أكاديمية كبيره، وبُذلت جهوداً جادة لابتكار وسائل لتحويل أراء فرويد الى عمليات تجريبيه تسمح بدرجة من التأكيد أو الرفض التجريبى ، وفى سنة ١٩٤٣ ترك موراى هارفرد وانضم للفرقة الطبية العسكريه برتبة رائد ثم مقدم وقام بتأسيس وإدارة مكتب الخدمات الاستراتيجية ، ومهمة هذا المكتب هو ترشيح المتقدمين للمهمات الصعبة والخطرة والسرية ، وفى سنة ١٩٤٦ مُنح وسام الاستحقاق لعمله فى الجيش، وفى ١٩٤٧ عاد مرة أخرى لهارفرد ليعمل محاضر نصف الوقت لعلم النفس الاكلينيكى فى قسم أفتتح حديثاً هو قسم العلاقات الإجتماعية ، وفى ١٩٥٠ عين أستاذاً لعلم النفس الاكلينيكى وأسس قسم ملحق لقسم علم النفس الاكلينيكى حيث قام هو وعدد من زملاءه وبعض الخريجين بعمل دراسات للشخصية جمع خلالها ٨٨ حالة تاريخية ، وأصبح موراى أستاذاً متفرغاً عام ١٩٦٢ ، ومُنح جائزة الإسهام العلمى المتميز من رابطه علم النفس الأمريكى، والوسام الذهبى لمؤسسة علم النفس الأمريكية بسبب إسهاماته فى هذا المجال .

وبالإضافة الى إهتمامه بتوسيع أراءه النظرية، فقد قام موراى بتحويل الاهتمام إلى بعض مشاكل الحياة المعاصرة مثل إيقاف الحروب، وخلق موقف عالمى موحد من القضايا الهامة . وكان دائم النقد لعلم النفس بسبب إظهاره لسلبية البشر، وأنانيتهم المُهلكة، ولذلك يعد موارى رمزاً لعلم النفس الإنسانى المتفائل . ولقد أسهمت أبحاثه الطبية والبيولوجية دور هذه العوامل فى السلوك ، وقد كان يؤمن بأن الشخصية يجب أن تُقيم بواسطه فريق من المتخصصين وأن هذا التقيم يجب أن يعطى أهمية قصوى لحالة المريض، كما أعطى اهتماماً لتصنيف السلوك، وأكد على الدراسة المتأنيه للحالات الفردية، ويرجع ذلك الى خلفيته الطبية من ناحية ومعرفته بعلم الأساطير، والإبداع الأدبى فى الكتابات القديمة من ناحية أخرى مما أمده بمصدر دائم للأفكار الخاصة بالبشر واحتمالات الخير والشر لديهم .

وتظهر عبقرية موراى من منشوراته التى نبعت من دراسته العميقة لأعمال هيرمان ميلفل Melville, H. التى استمرت خمسة وعشرون عاماً ، مما أعطاه شهرة واسعة بين دارسى أدب ميلفل ، ولكنه لم ينشر من هذه الأعمال إلا بحثين الأول يتناول التحليل النفسى لشخصية موبى ديك Moby Dicke ، والثانى يتناول تحليل قصة بيير Pierre .
ويعد كتابة استكشافات فى الشخصية (١٩٣٨) من الكتب التى تتضمن الخطوط العريضة لنظريته والتى دعمها فى كتابات أخرى مثل أعماله المشتركه مع مورجان مثل دراسة اكلينيكية للمشاعر (١٩٤٥)، ودراسات فى الخلافات الشخصية الداخلية (١٩٦٣). .
وقد عرض للتغيرات الرئيسيه التى حدثت لمعتقداته النظرية فى فصول من كتب أخرى وفى خطاب ألقاه فى جامعة سيراكوس ١٩٥٨ ، ويعد مقياسه الإسقاطى T.A.T. الذى شاركه مورجان ومورجان ١٩٤٣ من أعظم مقاييس الشخصية ، وظهر لأول مرة عام ١٩٤٣ ، وهكذا ظل عطاء موراى فى مجالات عده إلى أن مات .

طبيعة الشخصية :

يتفق موراى مع ألبورت أن علم النفس يجب أن يتعامل مع حالات فردية ، وانطلاقاً من هذا الاعتقاد سمى نظريته علم الشخصية Personology ، فهو ينظر الى الشخصية كوحدة واحدة من بعض جوانبها ولاتوجد عناصر فرعية فيما عدا بعض الاستثناءات التى يمكن تناولها فى كل حالة - وهو يرى ان الشخصية هى الجهاز المسيطر على الجسم ، وهى المؤسسة التى تظل تعمل دون توقف منذ الميلاد حتى الموت فى عمليات تحويلية وظيفية. (هول وليندزى : ١٩٧٥).

ورغم أن أراءه الخاصة بطبيعة الشخصية تأثرت كثيراً بنظرية التحليل النفسى إلا أنها تختلف عنها كثيراً. ولقد كان قلقاً من استخدام كلمة البنية أو التركيبه Structure للشخصية بسبب ارتباطها بالاستمرارية القانونية والاعتبارية للشخصية ، فهو يعتقد أن الشخصية تكون دائماً فى حالة من التغير وقد افترض عدة تعريفات فى أوقات متباعدة مثل :-

- شخصية الفرد هى شيئ مجرد يكون بواسطة صاحب النظرية وليس مجرد وصف لسلوك الفرد .
- شخصية الفرد تشير الى عدة أحداث تحتل حياة الفرد كاملة " فتاريخ الشخصية هو الشخصية " .

- تعريف الشخصية يجب أن يعكس العناصر الدائمة والمتكررة للسلوك وأيضاً العناصر الحديثة والنادرة .
- الشخصية هى العنصر المنظم أو الحاكم للفرد، فوظيفتها هو التكامل بين الصراعات والمتناقضات التى تظهر فى الشخصية .

الحاجات :

يتفق موراى مع ألبورت فى الإعتقاد بأن الدوافع تمثل أساس المحاولات والمساعى فى نظرية الشخصية، ولكنه يفضل قبول رأى فرويد القاضى بأننا مدفوعين برغبة فى إشباع الدوافع المولدة للتوتر لإزالة هذا التوتر وأطلق عليها الحاجات، وأن الشخصية محددة بطبيعتها بما يصدر عنها من عمليات نفسية مركزها المخ. وهو يعرف الحاجة بأنها تكوين فرضى ذات قوه ثابتة نسبياً مصدرها المخ تنظم إدراكاتنا وتفكيرنا وتصرفاتنا، وبواسطتها يتم تشكيل مراكز الإثارة والمواقف غير المشبعة فى اتجاه هدف معين- وعلى خلاف فرويد فقد قام موراى بتوسيع نطاق الحاجات البيولوجية لتشمل : الجوع ، العطش، الجنس ، ضيق التنفس، وإزالة الأوضاع الجسمية غير المريحة ، الحاجة الى تسكين أو تجنب الألم مثل الحرارة والبرودة والأذى ، كما وضع قائمة بالحاجات النفسية - كما اتفق مع يونج فى اعتقاده بأننا نمتلك كل من الغرائز المحرمة والجهود الإيجابية الفطرية على حد سواء ، كما أنه لاينظر الى عملية الإبداع والإبتكار والتخيل على أنها نتيجة لعملية تسامى، ولكن كحاجة إنسانيه هامة . . وهكذا يرى موراى أن الحاجة هى نقطة البداية فى أى سلوك إنسانى، فالإنسان يسعى دائماً لإشباع حاجاته الأساسية فى الحياة اليومية .

ويوافق موراى على أنه تدفعنا الحاجة الى تحقيق اللذة الناتجة عن اختزال الحاجات غير المشبعة بدلاً من النزعة الى التوازن البدنى (الهوميوستازيا)، فلدينا استعداد لتعلم أنشطة من قبيل الأكل، والجنس لتطوير مستويات أكبر من التوتر وجعل الدافع المؤجل إشباعه أكثر إمتاعاً. حتى الأنشطة غير المشبعة جزئياً يحكمها مبدأ اللذة، ويختلف رأيه فى ذلك عن ألبورت .

معظم الناس يعملون أشياء عديدة كل يوم لايهدفون من وراءها الحصول على المتعة، فالشخص يمكنه أن يجزم على الفكر الرافض لمبدأ المتعة، ولكن فى مثل هذه الحالات فإننى أعتقد أنه قرر بصورة شعوريه أو لاشعورية بأن هناك أشياء غير سارة (مثل الألم ، والنقد، واللوم، وتحقير الذات) ربما تحدث إذا لم يفعل ما يجب عليه أن يفعله ،

فنحن نذهب لطبيب الأسنان لتفادى الألم مستقبلاً أو خلع الضرس المتضرر، ونرد على الخطاب ليس فقط لتجنب فقد مكانتنا الاجتماعية ولكن لأسباب أخرى كثيرة، فإذا لم يكن ذلك هو تفكيره حول عدم السعادة المتوقعة التى تسيطر على ذهنه، فسيكون هذا هو تفكيره حول السعادة المتوقعة والممكن تحقيقها على المدى البعيد مستقبلاً، وتصور الأحداث بعد الموت فكثير من الأشخاص يثيرهم مشاعر شديدة من المعاناة حول ما قد يصيبهم بعد الموت ، أولها مثلاً تقسيم ثروتهم على الورثة .

فالشخص الذى يتجنب بشكل ثابت أى مخاطر ولو بسيطة يشعر بالرضا التام إذا اشتغل فى مهنة أو وظيفة يستمتع فيها بالأمان والسلامة، ويصبح قلق جداً فى مواجهة التهديدت التى قد تُفرض عليه (لديه حاجة شديده لتجنب الأذى). فى حين أن شخصاً أخر لديه درجة غير عادية من الشعور بضرورة تواجده مع أصدقاءه، ويعبر عن سعادته عند مشاركتهم أفراحهم والإخلاص لهم وتزداد حاجته للأخرين فى حالة التعرض للأحداث الجسيمة (الحاجة للتعاطف) . وقد يمكن تصنيفها الى عدة أنواع على حسب المجال العام لها :

أ - الحاجات البيولوجية وتشبع بواسطة سلوك ظاهر من خلال أجهزة ومناطق خارجية بالجسم Exterofactive system وقد تكون :-

- فميه مثل الأكل والشرب والعض ولهذه الحاجات دلالة خاصة وهى الإشباع عن طريق الغذاء والعدوان والاستنكار مثل البصق. . .إلخ
- شرجية كالإخراج ودلالته الاحتفاظ والانحراف أو العدوان .
- تناسلية وتشمل دوافع الإشباع الجنسى، والعدوان الجنسى (السادية) .

ب - حاجات تؤثر على المناطق الداخلية Entrofactive system وهى الحاجات التى يمكن ملاحظتها من خلال التغيرات الذاتية الملحوظة والحركات التعبيرية مثل الخوف والغضب والخزى .

جـ - حاجات لفظية Verbone الحاجات الخاصة بالنطق مثل الكلام بكل مظاهره كالمدح أو التوبيخ أو الاستفسار .

د - الحاجات الفكرية Ideological وهى الحاجات الموجهة نحو الأفكار المجردة أكثر من الأفراد ويصحبها السلوك الفكرى مثل التجاهل لأراء الأخرين والتوافق الفكرى .

هـ - حاجات خاصة بالعلاقة مع الآخرين Intravertive فانتقاد وإيذاء الأخرين يشار إليه بأنه عدوان خارجى ، فى حين أن إيذاء النفس وانتقادها نتيجة سوء تقدير يعد عدوان داخلى ومن نواتجه الانتحار .

و - الحاجات الكامنة Latent مثل الأوهام ، الأحلام ، الأبدع الفنى .

ز - الحاجات الخاصة Focal التى تظهر تجاه شيئ ما أو عدد محدود جداً من الأشياء .

ح - الحاجات المتمركزة حول الجوانب الشخصية الإجتماعية Egocentrieor Sociocentric وهى حاجات خاصة جداً مثل النرجسية (حب الذات) ، أو نتيجة للضغوط الاجتماعية .

ط - الحاجات الناشئة عن الاتجاه أو العلاقة بالأعلى أو الأدنى Infravertive and Superavertive مثل الصداقه أو التمرد على السلطة . . . وغيرها .

وكثيراً ما نجد أن الحاجات (أ ، جـ ، د ، ز ، ح) تتداخل مع بعضها البعض فى حين تستقل الحاجات الأخرى نسبياً. ومعظم الحاجات يمكن أن توصف على أنها أنساق لرد الفعل الإجتماعى ، وقد تساعد فى رفع قيمة هذا النسق وتحقيق التماسك والانسجام مع الأنساق الأخرى أو معارضته ، فربما يبدو شخص طموحاً أو انعزالياً أو إجتماعياً أو حتى عدوانياً، ولكن من الضرورى النظر بعين الاعتبار الى القيم والميول والإتجاهات فى مقابل المظاهر السلبية الأخرى، وقد يهدف شخص إلى تحقيق مكانة مرموقة ولكنه يعجز عن تحقيق النجاح فى كل ما يقدم عليه، فعليه أن يختار من بين البدائل أى بين ما يكره وما يفضل، وبين ما ينجح وما يفشل فيه .

وفيما يلى قائمة بالحاجات الظاهرة التى حددها موراى ووصفاً لأنماط السلوك والانفعالات المصاحبة لها.

١- **الحاجة للسيطرة : N. Dominance** : أى سيطرة الفرد على بيئته بهدف التأثير على أو توجيه سلوك الأفراد الآخرين عن طريق تقديم المقترحات أو الإغراء أو الأوامر بحيث يتصرفون طبقاً لأراءه ومطالبه سواء بالإقناع أو الإجبار .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الثقة بالنفس .

٢- **الحاجة للإذعان (التبعية) : N. Deference** : ويقوم هذا الدافع على

الإعجاب والتأييد والمدح للأخرين وخاصة الرؤساء والاستسلام لنفوذهم وتقليدهم، والإستسلام عن طيب خاطر ورضا لتأثيرات الآخرين الذين نرتبط بهم وأن نقتدى بهم ونقلدهم .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الاحترام ، الإعجاب ، التوقير، الحيرة .

٣- الحاجة للاستقلال N. Autonomy : وتتمثل فى النزعة الى التحرر والتخلص من القيود والمسئوليات وتحدى التقاليد والقوالب النمطية المفروضة، وأن يتخلص من الأسر أو الحبس وأن يقاوم القهر والاستعباد، وأن يتجنب ما تمليه السلطة الديكتاتورية من أفعال وأنشطة وأن يكون حراً مستقلاً يسلك وفق هواه، وألا يشعر بالتبعية والاعتمادية .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الغضب عند التقيد، والإستقلالية، واللامسئولية .

٤- الحاجة للعدوان N. Aggression وتتمثل فى تخطى العقبات بالقوة، والقتال، العراك، الثأر، الأذى ، الهجوم ، المعارضة، العقاب، القتل، أو استخدام ألفاظ من قبيل السب ، اللعن، سؤ التقدير (الذم)، والتوبيخ والتأنيب. . . الخ .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : التردد ، الغضب ، العبوث، الغيرة، الكراهية .

٥- الحاجة للانصياع والاستسلام : N . Abosement ومن مؤشراتها الاستسلام السلبى للمؤثرات الخارجية، وقبول اللوم والأذى، والعقاب والاعتراف بالدونية والخطأ والهزيمة وسؤ الأداء. ومن جهة أخرى يلجأ الشخص الى تحقير ذاته وعقابها واللوم القاسى لها وربما يتجاوز ذلك الى الحد المرضى فيقع فريسة للمرض وخاصة إذا ارتبط ذلك بالجنس .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الاستسلام ، والخجل والإحساس بالذنب، الكآبة، والدونية، واليأس، والضعة، والتهرب من المسئولية .

٦- الحاجة للإنجاز : N.Achievement من مؤشراتها إنجاز شيئ صعب والسيطرة على الموضوعات والأشياء والأشخاص الى حد الإجادة بحيث يصبح الأداء سريعاً ومتمكنا منه بقدر الإمكان، كما يعنى ذلك تخطى العقبات وتحقيق أفضل النتائج ، وتحقيق التفوق بما فى ذلك التفوق على الآخرين، وزيادة مواهب الفرد عن طريق

الممارسة والتدريب الناجح . ومن أشكاله الإنجاز الرياضى وتحقيق المكانة الإجتماعية والتميز الفكرى والتفوق العلمى .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الرغبة - الفهم - الطموح .

٧- الحاجة للجنس N. Sex أى إقامة علاقة جنسية صحيحة وناجحة مع الجنس المخالف .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : المتعة الحسيةّ ، الحب - الشعور بالمرغوبية.

٨- الحاجة الى الاستمتاع الحسى N. Sentience أى البحث عن ، والاستمتاع بالإنطباعات الحسية وآثارها ، والإحساسات هنا أما أن تكون شمية مثل العطور ، أو غذائية مثل الطعام الشهى ، أو سمعية كالأصوات الطبيعية والبشرية والشعر والموسيقى أو بصرية كالألوان والضؤ والمناظر الطبيعية والملابس والفنون التصويرية والمسرحية ، وقد تكون رياضية بالاستمتاع بالممارسة الفعلية لنشاط رياضى .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : مشاعر وعواطف حسية

٩- الحاجة للاستعراض N. Exhibition من مظاهرها محاولة لفت النظر وجذب انتباه الآخرين ، وترك انطباع يثير العجب والدهشة ويستحوذ على الإهتمام فيُغرى أو يُسلى أو يُمتع أو يسحر أو يخلب اللُب وغير ذلك من المترادفات السلبية والإيجابية .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الزهو ، والغرور ، والكبرياء ، والتفاهة أوالاعتداد بالذات ، والثقه بالنفس .

١٠- الحاجه للعب N. Play أى الميل نحو تحويل كل شيئ إلى المتعة واللهو لذاتها دون أى هدف آخر . حيث يكرس بعض الناس وقت فراغهم لصور مختلفة من المتعة من الألعاب الرياضية المختلفة ، والرقص ولعب الورق وغيرها ، وقد تتسم ساعات عملهم أيضا بالاتجاه العابث أو اللعب ويفضلون الضحك وإلقاء النكات .

ويكشف هذا البعد عن نفسه فى لعب الأطفال القائم على الأستمتاع وعدم التركيز والنشاط الاتفاقى (القائم على الصدفة) والذى يقوده الخيال بما يخفف من توتراته الداخلية دون تحقيق لأهداف خارجية وهو ما يعرف " بالنشاط الممتع " . إذ يهدف الى مواجهة العقبات الراهنة ، فاللعب مثل الخيال لايمكن السيطرة عليه أو توجيهه

إذ لا هدف له، ولابد من إدراك وجود تدرج واضح فى الفرق بين اتجاه العبث واتجاه الإنجاز اللـذان كثيراً ما يتداخلان حينما نجد الطفل يصر على إنجاز مهمة ما غير حقيقية أو حينما يتحول اللعب الى إنجاز رياضى، ولكن مازال هناك تساؤلا قائماً حتى الأن فى دراستنا وهو هل اللعب والإنجاز يتضمن كلاهما مفهوم الحاجة فقد تبين أن اللعب أحياناً يكون نوعاً من الهروب من الحقيقة أو محاولة الاسترخاء والاستمتاع بالبعد عن التوتر بحيث يبدو الشخص بشوش أو حتى عدوانياً الى حد ما.

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : المتعه الحسية، التقلب الانفعالى بين الخوف والفزع.

١١- الحاجة للانتماء N. Affiliation وهى النزوع الإيجابى نحو الآخرين، فى حين أن الرفض هو النزوع السلبى عنهم، حيث ينظر الشخص الى غيره على أنه طرف النقيض له، وكلا النزعتين تعملان وتتمثلان فى وقت واحد وذلك بسبب الانتماءات الحزبية والجنسية، والدينية وغيرها. . أما النرجسية فهى الانتماء والإندماج ولكن نحو الذات. فالانتماء إذن : هو الاقتراب والإستمتاع بالتعاون مع الآخرين ويتم حين التقاء الشبيه بالشبيه بحيث يكسب كل طرف منهما عاطفة الأخر ويعمل على إسعاده والإخلاص له.

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الثقة فى الآخر، النيه الحسنة، التعاطف والإيثار، والحب والتسامح . . . الخ.

١٢- الحاجة للمعاضدة (المساعدة من الغير) N. Succorance هى سعى الفرد للحصول على العون والمساندة عن طريق الشكوى والتبرم والصراخ، والتماس العطف والحب فى حين أن النجدة (تعزيز ومساعدة الغير) Nurturance هى نقيض الحاجة السابقة، لكن كلاهما مُكمل للآخر، ففى الحاجة الأولى نبحث عمن يشبعها كما يفعل الأطفال مع أمهاتهم، وتعد حاجة فرعية لأنها متضمنة فى حاجات أخرى مثل تجنب الأذى والانتماء. فالمعاضدة إذن : هى إشباع حاجات شخص عن طريق تعاطف ومساعدة شخص حليف، وهى طلب العون والتأييد والإشباع والرعاية والحب والنصح والتوجيه، والتسامح والتقبل والتسريه والتعزية والتقرب الى من يحقق الحماية والتأييد.

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : التلهف والإحساس بالعجز ومشاعر اليأس والقنوط، وعدم الأمان، والتذرع بالضعف والخوف.

١٣- الحاجة للعطف (نجدة الغير) N. Nurturance : أى منح التعاطف وإشباع حاجات الغير من العاجزين والضعفاء ، والمرضى ، وقليلى الخبرة ، والانهزاميين والمنبوذين، والوحيدين بلاونيس، والمضطربين عقلياً وذلك عن طريق الغذاء والتأييد والحماية والتمريض والعلاج .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الشفقة والتعاطف، والرقة .

١٤- الحاجة الى الدفاعية (الدفاع عن النفس) N. Defendance : أى الدفاع عن الذات ضد الإهانات واللوم والنقد، وإخفاء أو تبرير الإخفاق أو الفشل أو تعضيد الذات ومساندتها .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الإحساس بالذنب ، الدونية، القلق، المهانة.

١٥- الحاجة للتعويض أو التعادلية (الفعل المضاد) N. Counteraction : السعى للسيطرة على نقاط الضعف وتعويض الفشل ومشاعر الهوان والخزى عن طريق الإصرار ومداومة العمل، ومواجهة المخاوف والسعى لتحطيم العقبات والمصاعب ومواجهتها حتى يتحقق للذات شعوراً بالاحترام والافتخار ثانية . ولم يكن واضحاً لدى موراى حتى عام ١٩٣٨ أن التعويض يجب أن يُنظر اليه بشكل مختلف عن الإنجاز لأن التعويض هو إنجاز شيئاً ما بهدف تعويض فشلاً أو شعوراً بالعجز حيث يمارس الفرد سلوكه وجهوده الموجهة نحو إنجاز الأهداف الصعبة (التى فشل فيها) دون استعداد لقبول المساعدة.

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الخجل والخزى بعد الفشل، التظاهر بالجبن، التصميم على تخطى العقبات ، الكبرياء، الفخر ، الرغبة فى الصراع .

١٦-الحاجة إلى تجنب الوضاعة (ما يحط القدر) N. infavoidonce أى تجنب انحطاط الشأن ، وتجنب المسئوليه خوفاً من الفشل، وتجنب المواقف الحرجة والظروف الجديدة التي قد تولد الإحساس بالضآله أو الوضاعة والدونية .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : مشاعر الدونية قبل واثناء الحديث، التوتر الانفعالى، اللهفة، الخجل، الميل للعزلة .

١٧- الحاجة إلى تجنب الأذى N. Harmavoidance من المعروف أن رد الفعل البدائى (الفطرى) للمثيرات المؤلمة هو الخوف والانسحاب وتجنب مثل هذه المثيرات من

بعد، حيث تتداخل هذه المخاوف مع مجموعة من المخاوف المكتسبة كالخوف من الإصابة الجسديه والمرض والموت والتشوهات ، وتصنف كل هذه المخاوف تحت ما يسمى بتجنب الاذى . فتجنب الاذى اذن يتضمن نجنب الألم والاصابات الجسديه والمرض والموت والهرب من مواقف الخطر واتخاذ الاجراءات الوقائيه .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الخوف ، اللهفة ، الرعب، الذعر .

١٨- الحاجة للتنظيم N. order ترتبط الحاجة للتنظيم بالحاجة للتعويض وبالحاجة لتجنب الاذى ، والحاجة للوم ، وتنتج من الخوف والكبح الذى تفرضه السلطه الاجتماعية الأقوى، ومن الخوف من الارتباك والتشتت العقلى الذى قد ينتج من عدم النظام . وتعنى الحاجة الى ترتيب وتنظيم الأشياء والحفاظ على النطافة والنظام والاتزان والاهتمام بالترتيب والدقة .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الخوف من اللوم ، القلق ، التشتت الفكرى

١٩- الحاجة للرفض N. Rejection : وهى عزل الذات عن الغير، والهجر والانفصال تمايزاً عما هو دون ذلك، أو ما هو غير مرغوب ومُنفر، والتخلى عن ، وعدم الاكتراث بالأشياء التافهة والتعالى على الغير ونبذه .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : التقزز والنفور ، الاحتقار ، الضيق، التبرم، الشذوذ

٢٠- الحاجة للفهم : N. Understanding وتتضمن الميل الى توجيه أسئلة أو الإجابه عن أسئلة عامة ، الاهتمام بالنظريات وبتحليل الاحداث والحقائق العامة، مناقشة وتفسير الظواهر فى ضؤ المنطق والأسباب ، تصحيح الذات وانتقادها، وبذل المحاولات لجعل الافكار تعبر عن حقائق ، والاهتمام المتعمق بالصياغة المختصره للمعلومات والحقائق والأهتمام بالعلوم والرياضيات والفلسفة .

السلوكيات والانفعالات المصاحبة : الاهتمام ، التفكير ، الاستفسار ، الدهشة .

ويرى موراى أن هذه القائمه من الحاجات تتفاعل وبعضها البعض بشكل واضح فالحاجات الخمس الأولى مثلا وهى السيطره، والتبعيه والاستقلال والعدوان والانصياع تتداخل جميعها، فالسيطره تتجلى فى الرغبه على السيطرة على أحاسيس وسلوك الآخرين الذين يميلن الى الانقياد والتبعية لشخص يكون موضع اعجاب لهم مدفوعين

بحافز الدونيه والانصياع والتبعيه ، فكل شخص يكون تابعاً لمن يفوقونه وسيداً على من دونه. اما الأستقلالية فتضح لدى اؤلئك الذين لايسيطرون على ولايتبعون الاخرين اى لدى الذين يريدون انتهاج سبيلاً مستقلاً عن التأثير. أما دافع العدوان فيسود عندما تضعف السيطره، فيتحول الشخص الى عدوانى اذا فقد سيطرته على مناطق نفوذه. وهكذا .

كما أن الشخص الذى يتجنب بشكل مستمر أى مخاطر ولو بسيطه يشعر بالرضا التام إذا عمل فى مهنة أو وظيفه يستمتع فيها بالأمان (تجنب الاذى). كما ان الشخص الذى لديه درجة عاليه من الاجتماعية وبضرورة تواجده مع اصدقاؤه يشعر بالسعاده عند مشاركتهم والإخلاص لهم (تعاطف) وهكذا .

ولو انك تفحصت قائمة موراى بعناية وجعلت تطبقها على اصدقاءك ونفسك لوجدت أنها وصف حساس الى درجة فائقه لانماط الدوافع فى الحياة العادية اليومية ، تخيل انك خرجت من أحد الامتحانات الصعبة وانك وزملاءك جعلتم تسترجعون الخبرة وتحللونها، سوف تجد أن بعض الزملاء يهاجمون الأستاذ على انه وضع أمتحاناً صعباً وغير عادل (العدوان)، وأن نفراً منهم اتخذوا من الدرجة مؤشراً على قصورهم وعجزهم (الضعه والدونية) وأن آخرين عزمو على أن يعملوا بجد اكثر فى المستقبل (التعويض)، بينما يرفض آخرين الاعتراف بالدرجة أو قد تجدهم يكذبون بشأنها (الدفاع)، أو قد يتخلى بعض الطلاب عن هذا المقرر (تجنب الوضاعة). وقد يُقدم بعض الطلاب بضع كلمات قليله من التعاطف والتشجيع (معاضده) للآخرين الذين يبدو انهم فى حاجة ماسة اليها (العطف). (موراى : ١٩٨٨).

ويعد تحديد الحاجات الشخصية أمراً غير سهل نظراً للتعقد والتداخل بين هذه الحاجات.حيث تتصف بعدد كبير من الخصائص منها :

١- بعض الحاجات يتم كبحه أو كبته بسبب صعوبة اشباعه فى وقت ما بعينه كالدافع الجنسى .

٢- بعض الحاجات ترتكز على هدف واحد محدد مثل التعاطف مع صديق ، وبعضها متشعب يمكن اشباعه بأكثر من طريقة مثل اشباع الحاجة للطعام اثناء المجاعات.

٣- الحاجات يمكن ان يتحقق من اشباعها شعوراً عاماً بالمتعة والسرور وليس مجرد تحقيق هدف بعينه وخاصة تلك التى ترتبط بميل أو هوايه معينه .

٤- تتبادل الحاجات مواضعها بالنسبه لبعضها البعض، فبعض الحاجات الأساسية قد تصبح ثانوية فى وقت آخر. فمثلاً عند التحدى لتحقيق هدف أو مطلب تصبح السيطرة حاجة ثانويه بالنسبة للإنجاز، وعند الكفاح من أجل الحرية - تصبح السيطرة ثانوية بالنسبه للاستقلال الذاتى ، وعند إكساب الاخرين قواعد ومعايير (وخاصة الصغار) باستخدام القوة يصبح العدوان ثانوى بالنسبة للسيطرة وهكذا. . . .

٥- قد تنصهر حاجتين فأكثر فى مركب أكثر وزنا وقيمة ، فالخدم وأصحاب الأعمال الدنيا تنصهر لديهم الحاجة للخضوع ولوم الذات، والملاكم المحترف أو المصارع تنصهر لديه الحاجة للعدوان والاستعراضية معاً.

٦- قد تتعارض بعض الحاجات مع بعضها البعض ، فالتعاطف يتعارض مع السيطرة والعدوان، والاستقلال الذاتى يتعارض مع الخضوع .

الضغوط Press

غالباً ما تستثار الحاجات بواسطة عوامل داخلية أو خارجية أو كلاهما معاً ، فلايمكن دراسة الشخصية بمعزل عن البيئه التى توجد فيها " فى كل لحظة يتحدد سلوك الكائن العضوى بدرجة كبيره بالعوامل البيئية سواء كان ذلك تجنباً لأذى فيها أو للإستفاده منها، ويقصد بالضغط ما يمكن أن يتعرض له الفرد أو يقدم له، وتعمل القوة على تحقيق السعادة للفرد بشكل أو بآخر، فالضغوط التى تبقى على نفس الصورة سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات ترجع الى هذه الاعتبارات البيئيه التى تسهل أو تختصر جهود الفرد لتفادى الأذى أو الوصول الى الهدف المنشود" .

ونحن لاندرك ماحولنا من متغيرات البيئة بشكل دقيق ومحكم دائماً حيث يميز موراى بين التفسير الفردى للأحداث الخارجية وهو ما يعرف بالضغط بيتا Beta Press، وبين الواقع الحقيقى كما يعرف بواسطة الاستعلام الموضوعى وهو ما يعرف بالضغط ألفا Alpha press ، بالإضافة لذلك فإن تفاعل ضغط الحاجة الفردية يرجع الى ما يسمى بالثيما Thema ، فعلى سبيل المثال إذا رُفض شخص من غيره واستجاب بطريقه معينة، فإن الثيما تتكون من ضغط الرفض P (الحدث البيئى)، الذى سبب الحاجة للرفض (استدعاء الحاجة) ، وبالتناوب فإن ضغط الرفض ربما يؤدى الى الحاجة للإذلال أو الحاجة للانحطاط ، أو أن الثيما ربما تبدأ بحاجة مثلما تسبب الحاجة الشديدة للتعاطف

سلوكاً غير مناسب يؤدى الى ضغط الرفض أو الازدراء . كما أن البعض الآخر يتجهون الى ذاتهم أى يتعاطفون مع ذاتهم (ضغط التعاطف) ولكن سؤ الإدراك يؤدى للعدوانية والتهديد (ضغط العدوانية) ، فالثيما إذن هى تفاعل فردى بين الحاجة والضغط ويمكن لأى منهما أن تستدعى الأخرى، وهى تركيب دينامى من الأحداث على مستوى الكتلى Molar فالثيما البسيطة هى اتحاد ضغوط جزئيه أو نواتج (O) Outcome وحاجات جزئيه (n) تتعامل مع الطبيعة العامة للبيئة، والطبيعة العامة لتفاعلات الفرد .

الغائية ، والاحداث ، النواتج :

يعتقد موراى – مثل يونج – أن السلوك الإنسانى يتأثر بكل من السبب والغاية معاً، فهو يرى أن الأحداث التى تتم أثناء المهد والطفولة هى محددات رئيسية لسلوكيات الرشد. ولكنه أكد أيضاً على أننا نكون الخطط والاستراتيجيات التى تهدف الى تحقيق أهداف مستقبلية. ولكى نرسم تصور محكم عن الشخصية يجب دراسة السلوك عبر فترة زمنيه ممتدة، والذى يتكون من إجراءات بسيطة نسبيا Proceedings مثل الحديث الى شخص ما، وقراءة كتاب، أو إجراءات أكثر اتساعاً ترتبط بنفس الفترة الزمنية Serials، كما يحدث عندفرد ما عندما يعمل للالتحاق بالجامعة للحصول على شهادة جامعية، والدراسة، أداء الامتحانات. وفى كلا الحالتين لايمكن فهم السلوك إلا بارجاعه للأحداث التى أدت اليه والتخطيط الفردى للمستقبل .

اللاشعور :

كما رأينا ، فان موراى يعطى للعمليات اللاشعورية اعتباراً هاماً ، فهو يقبل الفكرة العامة ليونج عن النماذج البدائية ولكنه أكثر التزاما بأفكار الفرويديين الجدد ويتطلع أن يعيد علماء النفس فى المستقبل النظر فى الخطوط العريضة فى نظرياتهم، فالشخصية فى رأيه هى اتحاد كامل بين الأحاديث، وضغط الجماعات ، والزعامات ، والجماعات، والانعزالية ومديرى الحروب. . وعالم النفس الذى لايدرك ذلك يكون قد أغلق عقله ضد تدفق الصور والمشاعر التى تكون شخصيته كمحلل نفسى .

ولدى موراى قناعه بأهمية العوامل اللاشعورية كالكبت والمقاومة والإسقاط وقد بنى مقياسه .T.A.T للكشف عن هذه العمليات كما أن إدراكه للاشعور مثل فرويد ويونج حيث يعتقد بوجود مستويات متدرجة له فبعض الخبرات يسهل استدعاءها أكثر من غيرها .

تركيب الشخصية :

يعبر موراى عن بعض شكوكه حول استخدام التكوينات التركيبية للشخصية، وخوفه من أن ذلك سوف يؤدى الى ضعف فهمنا للطبيعة الدينامية للشخصية، ولذلك فقد احتفظ بنسخه معدلة من التركيب الثلاثى الذى اقترحه فرويد :

١- **الهى ID** : نولد مزودين بها وهى لاشعورية تماماً. وهى لاتتضمن فقط مجرد التقسيمات الغريزيه والفطرية، لكن كذلك القوى الفطرية كالإبداع والتعاطف. ويجادل موراى حول نسبة الجزء الخير والشرير فى الهى ويرى أنها تختلف باختلاف الأفراد، فالبعض لديه بعض الصعاب فى ضبط النزعات المحرمة للهى عن غيرهم .

٢- **الأنا Ego** : كما فى نظرية فرويد. فإن الأنا هى المكون العقلانى والتنظيمى للشخصية، فهو يبقى بين الهى والأنا الأعلى كوسيط وربما ينحاز الى احداهما عن الأخر. فأما أن يخضع لاندفاعات الهو، أو يدافع عنها من خلال الكبت والإسقاط، كما أن لديه درجة ما من الاستقلال أو بعض العمليات المستقلة، كما أنه فى رأى موراى أقل اشتراكا فى الصراعات داخل النفس كما يعتقد فرويد لأن الهى فى رأى فرويد لاعقلانيه كلية، كما أن الأنا القوية ضرورية للشخصية السوية وأن ضعفها يعطى فرصة للإضطراب .

٣- **الأنا الأعلى Superego** : يتفق موراى مع فرويد على أن الأنا الأعلى هى المكون الأخلاقى للشخصية، وهى لاشعورية الى حد كبير، وتتكون من المعايير التى تم تشربها من الوالدين ومصادر السلطة وتسهم فى تخليد الثقافة، ويعتقد موراى أن الأنا الأعلى يستمر فى تطوير خبرات الطفولة تحت تأثير خبرات جماعات الرفاق، كما أنه يستخدم مصطلح الذات المثالية ego Ideal التى ترجع الى الذات المرغوبة أو مثالية الذات أو الى جهاز من البرامج المسلسلة الذى يحولها من الإجرامية الى الحكمة الهادئة.

تطور الشخصية :

كما ذكر ألبورت، يؤكد موراى على أنه يجب على الطفل النامى أن يتعلم إشباع حاجاته بطرق مقبولة إجتماعياً، حيث يصبح من السهل بشكل طبيعى أن يُبدل أو يغير

شخصيته بدلاً من إحداث تغيرات عنيفة مفاجئة فى المجتمع مثل هذه العملية- التنشئة الاجتماعية- يتم إنجازها عن طريق الالتزام القهرى بالقيود والتوقعات الإجتماعية. (على سبيل المثال، كبح الإندفاعات المحرمة أو إتاحة الفرصة لاستبدال الأهداف بأخرى مقبولة إجتماعياً). وبالإضافة الى تأكيده على السببية والغائية فإن موراى يختلف عن ألبورت بتركيزه على دراسة تطور الشخصية من خلال المفاهيم الآتية :-

أ- العقد :

يعتقد موراى - مثل فرويد - أن مرحلة الطفولة مليئة بالخبرات السارة والمحزنة، وأن عدم الإحساس بالأمان قد يحدث منذ الميلاد كنتيجة لعدم إحساس الأم أو المربية بالمسئولية وإهمالها للطفل وعدم توفير الراحة اللازمة للجسم وأخطاء التدريب على الإخراج ، والإثارة الجنسية، والعقاب الوالدى ، وتحوى شخصية أى راشد على خبرات لاشعورية عن مرحلة الطفولة وتؤثر فى سلوكه وخاصة الخبرات الحرجة والمعروفه باسم العقد.

وعلى سبيل المثال فإن الإحباطات الولادية natal Frustration ربما تؤدى على المدى البعيد الى "مركب الناسك" Claustral complex التى تتضمن الاعتمادية السلبية، والرغبة فى العودة الى وضع ماقبل الولادة سعياً وبحثاً عن الأمان، والحاجة لتجنب الأذى، والحاجة للعطف، كما تقترن عقدة الناسك غالباً بالخوف من فقدان المساندة ، والخوف من الأماكن المفتوحة ، أو الاختناقات ، وكذلك ربما تؤدى الصعوبات الولادية الحادة الى مركب أو عقدة غير نسكية Anticlaustral Complex. التى يتميز أصحابها بالإستقلالية والخوف من الأماكن المغلقة. وتنتج العقدة الفمية oral Complex. عندما يتعرض الطفل لإحباطات مرتبطه بعملية الرضاعة مثل الفطام الفجائى للطفل، وتتضمن هذه العقدة كل من الاعتمادية الزائدة ، والحاجة للعطف. فى حين يقود إحباط عملية المص الى الحاجة للعدوان (أو إذا كانت العدائية لاشعورية فيتم إسقاطها على الآخرين) والى القلق، والحاجة لتجنب الأذى ، بعض المركبات الفمية تأخذ صور أخرى مثل كراهية أنواع معينة من الطعام، والحاجة للرفض، أما المركب الشرجى anal C. فهو أقل تواتراً من المركبات الأخرى، وكما ذكر فرويد ينتج هذا المركب من خبرات التدريب على الإخراج وربما تؤدى للإحتفاظ والحاجة للنظام (متضمنة كل من البخل والعناد) أو التبذير والحاجة للعدوان. أما ذوى الركب البولى Urethral C.

فيتصفون بجانب تبليل الفراش بصفات مثل النرجسية والطموح . أما مركب الخصاء Castration C. فو محدد بمعناه وهو القلق المرتبط ببتر القضيب ولايعتبره موراى أصل القلق العصابى كما زعم فرويد . كما قبل موراى مفهوم فرويد عن عقدة أوديب ولكنه لايؤمن بشيوعها، ويقر أن الطفل يتعلم أن يفضل الوالد (الأب أو الأم) الذى يفضله أو يفضلها .

حاجات وضغوط مرحلة الطفولة Childhood Press and needs

على العكس مما هو شائع أو مُعتقد، فإن موراى يرى أن ضغوط الطفولة الهامة غالباً ما تحدث بعد استخدام اللغة، ويصبح من السهل عليه إعادة تسمية الأشياء بسهولة أكبر- فمن الضغوط الهامة لديه تجنب ضغوط خفض المساندة الأسرية والحفاظ على الترابط العائلى والأمان الأبوى، ومن المظاهر المرضية لخفض المساندة الأسرية تغير أو عدم ثبات النظام، الخلافات أو النزعات الأسرية، وعدم القدرة على تحقيق مطالب ورغبات الطفل، والرقابة الصارمة والمقلقة، والانتقال الى بيئة جديدة، أو غياب أحد الوالدين أو كلهيما أو مرضهما. كما توجد ضغوط أخرى تؤثر على نمو الشخصية لدى الطفل تتضمن كل من السيطرة، وإهمال ، والرفض وفقد المكانة فى الأسرة نتيجة ولادة إخوة جدد، والتعرض لأخطار وسؤ حظ كالحوادث أو فقدان الأسرة مما يولد فى الطفل حاجة شديدة للتعاطف والمرافقة، ويؤكد موراى على أن الضغوط بيتا هى المحددات الأساسية للسلوك، وعلى تصرف الأطفال وما يعتقدونه، والذى ربما يختلف تماماً عما يعتقده علماء النفس عن تأثير العوامل الموقفية.وفيما يلى قائمة بالضغوط العشرين التى حددها موراى لمرحلة الطفولة (Muray, 1938) .

١- ضغط خفض المساندة الأسرية P. Family insupport وتشمل التناقض الحضارى، والأسرى ، والتذبذب فى المعاملة والانفصال الوالدى، وغياب أحد الوالدين أو كليهما، ومرض أو موت أحد الوالدين أو كليهما، الفقر ، عدم الاستقرار المكانى للأسرة (الانتقال من مكان لأخر)

٢- ضغط الخطر P.Danger مثل الضغوط المصاحبة للأخطار الجسمية والكوارث الطبيعية والمرتفعات والمياه والوحدة والظلام والظروف الطبيعية كالجو القاسى والحرائق والحوادث والحيوانات المفترسة .

٣- ضغط الضياع أو الفقدان P. Lack or loss مثل فقدان الممتلكات والصحبة .

٤-ضغط الحبس (الاحتجاز) والحرمان P. Retention, withhoding .

٥- ضغط الرفض P. Rejection وعدم التقدير أو الاحتقار .

٦- ضغط التنافس P.Rival

٧- ضغط ولادة الأشقاء P. Pirth of sibling

٨- ضغط العدوان سواء من جانب الأقران الأكبر سناً (ذكر أو أنثى) والرفاق المشاغبين أو النظراء عموماً .

١٠- ضغط السيطرة والتدريب الصارم على النظام والالتزام الدينى .

١١- ضغط السيطرة/ والعطف من الوالدين .

١٢- ضغط العطف / التدليل .

١٣- ضغط المعاضدة .

١٤- ضغط الاختلاف .

١٥- ضغط الانتماء / الصداقة .

١٦- ضغط الجنس : كالإغراء والجنسية المثلية والغيرية، والجنس بين الوالدين .

١٧- ضغط الخداع P. Deception

١٨- ضغط المرضى P. Illness

١٩- ضغط الفعالية P. Operation

٢٠- ضغط الشعور بالنقص P. Inferiority والذى قد يكون بدنيا أو إجتماعياً أو فكرياً .

ويرى موراى أن ظهور الحاجات يعتمد على الضغوط التى يتعرض لها الفرد فالعقاب القاسى من قبل الوالدين ربما يؤدى الى ظهور الحاجة للتحقير أو للإنصياع والإستسلام كما يؤدى العدوان أو الإيذاء اللفظى من الرفاق الى ظهور الحاجة لتجنب المذلة . . وهكذا .

تطبيقات نظرية موراى :

أولاً : علم النفس المرضى . والعلاج النفسى . والإصلاح الاجتماعى :-

من العجيب ألا يكون لموراى باعاً طويلاً فى أمور يهتم بها أمثاله من علماء النفس التحليليين مثل تفسير الأحلام وعلم النفس المرضى، كما كان لاهتمامه بدراسة الأشخاص الأسوياء حال دون المناقشة المستفيضة للأمراض النفسيه والعلاج النفسى ولكنه أعطى بعض الإهتمام للمشكلات الإجتماعية وحذر من الانتحار الجماعى للجنس البشرى اذا ما قدمت البشريه على حرب نووية وأكد على حاجة المجتمع الإنسانى الى الإصلاح الاجتماعى.

ثانياً : قياس الشخصية :

تعد أعظم إنجازات موراى فى مجال قياس الشخصية حيث فتح المجال لقياس الدوافع والصراعات والإحباطات اللاشعورية فى الشخصية عندما وضع بالاشتراك مع مورجان اختبار تفهم الموضوع T.A.T والذى أصبح مع اختبار الرووشاخ من أكثر الاختبارات المستخدمة لهذا الغرض انتشاراً، كما بنيت فى ضوء هذا الاختيار اختبارات أخرى تصلح للاستخدام مع الأطفال C.A.T ، ومع المسنين S.A.T فضلاً عن القياس الموضوعى للحاجات النفسية وفيما يلى عرض مختصر لهذه المقاييس :-

١- القياس الإسقاطى للشخصية :

أ- اختبار تفهم الموضوع للكبار (المراهقين والراشدين) : .T.A.T

يعد هذا الاختبار من أكثر الاختبارات الإسقاطيه شيوعاً، إذ يستخدم على نطاق واسع فى أعمال العيادات النفسية وفى دراسة الشخصية، وتدور فكرته حول تقديم عدد من الصور الغامضة نوعاً ما ، ودعوة المفحوص إلى تكوين قصة أو حكاية تصف مايدور بالصورة، وتتحدث عن أحوال الأشخاص والأحداث التى تجرى فيها، ثم يقوم الفاحص بدراسة ما يقدمه المفحوص، ويحاول أن يستشف منها ما يعتمل فى نفسه من ميول ورغبات وحاجات مختلفة. ومن المعروف أن القصص الحرة التى سردها الفرد دون أن تكون استجابات لمثيرات محددة تعكس أحياناً الكثير من مشاعره وانفعالاته وأحاسيسه وما يعتمل نفسه من ميول وحاجات ورغبات .

ويتكون الاختبار من عشرين صورة تقدم للمفحوص الواحدة بعد الأخرى، ويطلب منه أن يكون حكاية أو قصة عن كل منها، مساحة الصورة ١٥ × ٢٠ سم تقريباً موضوعه على بطاقة من الكرتون مساحتها ٢٣ × ٢٧ سم تقريباً وتقدم الصور فى جلستين. وهناك صور خاصة بالصبيان B ، وأخرى بالبنات G وصور خاصة بالرجال M وأخرى خاصة بالنساء W حيث أن الاختبار يصلح للمراهقين والراشدين فقط . وتعطى الصور وفق ترتيب محدد تشير اليه الأرقام المكتوبة على ظهر البطاقة ، وتشير الحروف الأبجدية المكتوبة الى جانب الرقم الى نوع الشخص الذى تقدم إليه البطاقة ذكراً أو أنثى. صغيراً كان أو كبيراً ، فالرموز BM تعنى أن الصور تخص الذكور صبيانا ورجالاً ، G F. تخص الإناث بنات وسيدات ، M تخص الذكور فوق ١٤ سنة، F تخص الإناث فوق ١٤ سنة، ويستغرق تطبيق الاختبار جلستين بواقع حوالى ٥ دقائق لكل قصة، ويحسن فى مثل هذه الأحوال عدم مقاطعة المفحوص بل تركه يتم قصته حتى لوأدى ذلك لإتمام الاختبار فى ثلاث أو أربع جلسات. ويفضل أن يجلس المفحوص على مقعد مريح أو يستلقى على أريكة بحيث يكون ظهره للفاحص ويجب أن يكون جو الاختبار مشبع بروح الألفة والصداقة، وأن يكون المكان وشخصية الفاحص مما يدعو الى الإطمئنان. وقد أعد بلاك استمارة لتحليل القصص التى تُسرد من قبل المفحوص يكشف من خلالها عن شخصية البطل، وحاجاته الأساسية والأشخاص والأشياء التى أهملها، وشخصية الوالدين وأنواع الصراعات والمخاوف لديه وطبيعة القلق، والحيل الدفاعية التى يستخدمها وقوة الأنا الأعلى ومدى تكامل الذات، ويحتاج تطبيق الاختبار الى شخص مُدرب واسع الاطلاع على نظريات التحليل النفسى ونظرية موراى. (سيد غنيم وهدى براده ١٩٨٠).

ب - اختبار تفهم الموضوع للأطفال C.A.T

اختبار تفهم الموضوع للأطفال اختبار إسقاطى مشتق من اختبار موراى تفهم الموضوع للكبار لكنه لا يلغى اختيار التات ولايحل محله فلكل منهما مجاله الخاص ، ووضع اختبار الكات كل من بلاك وبلاك Bellac & Bellac 1948 ، وكان هدفهما هو وضع اختيار اسقاطى عن طريق الصور يصلح لصغار الأطفال . وترجع فكرته الأولى حول المشكلات النظرية للإسقاط واختبار التات، وقد أعرب كريس عن اعتقاده فى ميل الأطفال الى تقمص الحيوانات أكثر من تقمص الأشخاص وقد استنتج ذلك من مقالة فرويد " مخاوف طفل فى الخامسة " وتعرف فى أوساط التحليليين بقصة " هانز الصغير "

وانتهيا إلى عدد من المواقف التى يمكن أن تعرض مشكلات الأطفال عرضاً ديناميكياً، وقاما بوضع مجموعة من الصور عُرضت على بعض الباحثين النفسيين ممن لهم صلة بصغار الأطفال ولهم دراية باختبار التات ، وأمكن انتقاء مجموعة من عشر صور تبين أنها أكثر فائدة من غيرها وهى التى يتكون منها الاختبار الحالى .

وعند إجراء الاختبار يجب الاهتمام بالمشكلات العامة فى اختبارات الأطفال من قبيل إقامة علاقة طيبة مع الطفل، ومن الواجب أن يقدم الاختبار على أنه لعبة كلما أمكن ذلك . كما يجب تشجيع الطفل من حين لآخر واستثارته بدون الإيحاء له بمحتوى القصة، وبتحليل هذه القصص يمكن الوقوف على كثير من المشكلات المتعلقة بالطعام خاصة والمشكلات الفمية عامة والوقوف على كثير من المشكلات الناجمة عن تنافسه مع أخوته، وإلقاء الضوء على اتجاهاته نحو والديه ، وكيفية إدراكه للأشكال الوالدية فى الصورة، ومعرفة علاقة الطفل بوالديه كزوجين والتى يعبر عنها سيكولوجياً بالموقف الأوديبى ومدى قوتها وحدتها فى المراحل الأولى . وكذلك خيالات الطفل إزاء والديه وخيالاته حول العدوان سواء الموجه نحو ذاته أو الموجه نحو العالم الخارجي ومدى تقبله لعالم الكبار، ومخاوفه من الوحده ليلاً وما يحدث من سلوك الاستمناء والإخراج وموقف الآباء منها، وهو ما من شأنه أن يلقى الضؤ على شخصية الطفل وميكانزماته الدفاعية ودينامياته، كما يساهم فى تحديد العوامل الدينامية التى تتصل بسلوك الطفل فى الجماعة والمدرسة ورياض الأطفال وفى البيت ، ويعد أداه نافعة فى يد السيكاترى والسيكولوجى والمحلل النفسى والإخصائى النفسى والاجتماعى، كما يمكن ان يُستعمل مباشرة فى العلاج باللعب، كما يفيد فى القيام بالدراسة التتبعية الطولية لنمو الأطفال على فترات تبلغ نصف سنه كما يتميز بإنه اختبار متحرر من أثر الثقافة (سيد غنيم، وهدى براده ١٩٨٠).

جـ - اختبار تفهم الموضوع للمسنين S.A.T

وضعه ايضاً كل من بيلاك وبيلاك كامتداد لكل من التات والكات . عندما أدركا زيادة كبيرة فى عدد المسنين ومشكلاتهم التى تتركز حول الشعور بالوحدة والإحساس بعدم النفع والتعرض للمرض والعجز، والتقدير المنخفض لقيمة الذات . ويقول بيلاك نحن لم نتمكن من التوصل الى صيغة مثالية عندما كرسنا جهودنا من أجل تقديم مثيرات تساعدنا فى الحصول على صور تعكس تفهم مشكلات الشيخوخة ، فكان علينا أن نصمم صوراً غامضه الى الدرجة التى تكشف عن التفاوت الفردى الفسيح ، وفى الوقت نفسه تقوم

بعمل مرآه تعكس المواقف والمشكلات القائمة حالياً والتى يرى المسنين أنها تفيدهم فى الوقت الحاضر. وإذ يعنى هذا تقديمنا لمثيرات تسمح باستنهاض موضوعات الوحدة، والإفصاح عن المرض والتقلبات المزعجة الأخرى، فإننا نقدم أيضاً صوراً تساعد على إظهار المشاعر السعيدة من قبيل فرح الأجداد والأحفاد، ومباهج ومناسبات فيها فرح ورقص وفيها الألعاب الجماعية التى تعبر عن التفاعل الاجتماعى.

ويتكون الاختبار من ١٦ صورة تم انتقاءها من سلسلة متتالية من الصور مكونة من ٤٤ صورة، وقدمت الى عينات تم تحديدها على أساس اختلاف السن، وبعضهم كان يعمل والبعض الأخر متقاعد، والبعض فى مؤسسات رعاية المسنين أما الآخرين فكانو يعيشون فى بيوتهم، ولتطبيق الاختبار يجب أن يتمتع الفاحص بالحصافة الاكلينيكية التى تعنى تقديم الصور بلباقه وإقامة علاقة ألفة ومودة نفسية مع العميل، كما يجب تهيئة مقعد مريح وخلق جو نفسى يتسم بالألفة وأن نحثه على تركيز الانتباه وعدم التحول عن المثير. وكما هو الحال فى التات والكات يجب أن تعود وتسأله أسئلة محددة عن بعض الاستجابات التى أبداها. ويتم تطبيق الاختبار فى جلسات لاتزيد عن نصف ساعة بمعدل خمس دقائق على الأكثر للقصة الواحدة، ويتم تقديم الصور طبقا للتسلسل الذى ترقم به، وقد قام كل من عبد العزيز القوصى، ومحمد عبد الظاهر (١٩٨٤) بإجراء بعض التعديلات على الصور لتناسب البيئة المصرية بعد عرضها على رجل وسيدة من المسنين، ويصلح الاختبار للأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة. . ويمتع بدرجة مقبوله من الصدق والثبات إذا أخذنا فى الاعتبار الطبيعة الإسقاطيه للاختبار. (عبد العزيز القوصى، محمد عبد الظاهر الطيب : ١٩٨٤).

٢- القياس الموضوعى للحاجات :

أ - مقياس التفضيل الشخصى لإدواردز : وضعه آلن إدواردز ونقله الى العربية جابر عبد الحميد، ويزود الباحث بتقدير سريع ومريح لعدد من الحاجات النفسيه التى حددها موراى وزملاءه وهى خمس عشرة حاجة هى التأمل الذاتى والمعاضدة، السيطرة، لوم الذات، العطف، التغيير، التحمل، الجنسية الغيرية، العدوان، التحصيل، النظام، الخضوع، الاستعراض، الاستقلال الذتى، التواد. ويتكون الاختبار من ٢٢٥ عبارة، وقد عمد إدواردز الى إنقاص رغبة المفحوص فى الاستحسان الإجتماعى على تحريف الإجابة وذلك بوضع عبارتين فى كل فقرة من فقرات الاختبار متساويتين من حيث درجة

الاستحسان الإجتماعى وعلى المفحوص أن يختار بينهما . ويتم تطبيق الاختبار فردياً أو جماعياً وتسجيل الإجابات فى ورقة إجابة منفصلة ويحتاج طالب الجامعة إلى ٦٠ دقيقة ليكمل الاختبار وقد يستغرق بعض الطلاب وقتاً أطول من ذلك. ويعد المقياس أداه مفيدة من أدوات التوجيه التعليمى والمهنى والتوجيه النفسى للطلاب، كما يفيد فى إثارة المناقشات عن نوع العلاقات الشخصية المرغوبة فى الاتصالات الاجتماعية وعن متطلبات العمل ودرجة الإضطلاع بالمسئولية ومرونة التصرف ومدى توافر السمات اللازمه فى المفحوص، كما أنه يفيد فى مقارنة مستوى طموح الفرد بمستوى طموح زملاءه، واستخدم هذا الاختبار فى عدد كبير من الدراسات الوصفيه والإمبريقية .

ب - مقياس الحاجات النفسية : " اعداد المؤلف بالإشتراك مع سامى هاشم (١٩٩٧) ويقيس الاختبار ٢٢ حاجة من الحاجات التى وصفها موراى وزملاءه فى كتابهم استكشافات فى الشخصية (١٩٣٨) حيث حددت ٦ بنود لكل حاجة وبذلك تكون الاختبار من ١٣٢ عبارة تقيس الحاجات الآتية : الحاجة للسيطرة، التبعية (الانقياد للاخرين)، الاستقلال ، العدوان، الانصياع والاستسلام، الانجاز ، الانانية (الغرور الذاتى)، الحاجة للجنس ، الحاجة للاستمتاع الحسى، الحاجة للاستعراض، الحاجة للعب، الحاجة للانتماء ، الحاجة للانعزالية النرجسية ، الحاجة للمعاضه (المسانده من الغير)، الحاجة لتقديم العون (للعطف) ، الحاجة لتجنب اللوم، الحاجة الى تجنب المذلة، الحاجة الى تجنب ما يحط القدر، الحاجة للتبرير، والحاجة للتعويض، والحاجة الى تجنب الأذى . . ويجيب المفحوص على البنود بدائما أو أحيانا أو نادراً . وتتراوح درجاته على كل بعد بين ٦-١٨ درجة وتدل الدرجة المرتفعة على عدم إشباع الحاجة. ويتمتع المقياس بدرجة مناسبه من الصدق والثبات .

ثالثًا : البحث العلمى والدراسة الامبريقية :

كان موراى خلال بحوثه العلمية يفضل الدراسة المكثفة والمتعمقة لمجموعات صغيرة العدد من الأشخاص بدلاً من الدراسة السطحية على عينات كبيرة العدد، ويقول فى ذلك: "السبب فى أن نتائج العديد من الباحثين فى مجال الشخصية تكون مضلله وخادعة وتافهة، هو أن القائمين على التجربة قد فشلوا فى الحصول على معلومات وثيقة الصلة وكافية عن الحالات التى يقومون بدراستها، فالاكاديميين يدمنون المنهجية العلمية، ومن ثم فقد حددوا أنفسهم فى دراسة أجزاء غير هامة فى الشخصية ،

وربما ينظر الى ذلك على أنه - من المحتمل أن يكون - واحداً من المظاهر العديدة المتعلقة بالاهتمام بالدراسات السطحية فى علم النفس الأمريكى مقابل الدراسة المتعمقة فى علم النفس الألمانى فى ذلك الوقت، والإهتمام بالسلوك بدلاً من المشاعر الداخلية واللاشعورية أو هدف ومغزى السلوك . . وهكذا فلن يكون لدينا أصدقاء بدون علاقة صداقة ، ولن تتحدد مكانه نجوم السينما ورجال الأعمال الكبار إلا فى ضؤ ثرواتهم وسلوكياتهم الشخصية (Murray et al : 1938) .

ولقد تعمق كتاب موراى الأول استكشافات فى الشخصية الذى نشره عام ١٩٣٨ فى دراسة لعينة من ٥١ حالة (معظمهم من طلاب الجامعة) وذلك باستخدام مقاييس عديدة سلوكية وسيكولوجية (تتضمن بالطبع اختبار التات) ، وأجريت هذه الدراسة الطولية فى قسم علم النفس الاكلينيكى فى جامعة هارفرد بتعاون بين أعضاء هيئة التدريس فى اقسام الطب النفسى، وعلم النفس والأنثروبولوجى وعلم الاجتماع ، واستخدمت لذلك اختبارات إسقاطية وموضوعية، وملاحظة سلوكية ومقاييس تقارير ذاتية ، ومقابلات متعمقة، وإجراءات تجريبية متعمقة وركزت النتائج على عرض الآتى :

١- الخلفية الاجتماعية التاريخية للشخصية وتتضمن التاريخ الشخصى والأسرى، والخبرات التعليمية فى المدرسة والجامعة ، والنمو الجنسى ، والأهداف المستقبليه .

٢- المشكلات الراهنة ووسائل علاجها .

٣- التوقعات المستقبلية : مايتوقعه الفرد فى المجال الاقتصادى ، السياسى والاجتماعى، والعلمى، والأحداث والأمال الشخصية المتوقعة .

٤- القدرات : قياس القدرات المختلفة بطريقة التقرير الذاتى أو غيرها وخاصة القدرات الميكانيكية، والإجتماعية ، والفنية، والابداعية النظرية .

٥- ذكريات النجاح والفشل : أى استدعاء مواقف النجاح والفشل فى حل المشكلات والمعضلات المختلفة (Hjelle, L.A & Ziegler, D.J. 1981) .

ويعد هذا النوع من الدراسات بمثابة النموذج الذى يدعو موراى الى استخدامه دائماً كما أجرى دراسات على أثر الخوف على تقييمات الشخصية، وأخرى على الأشخاص الأكثر قدرة على العمل فى مجال الجاسوسية أو المعاونين لهم ، كما أجرى دراسة على العلاقات الضاغطه بين الأشخاص، حيث درس تأثير المجادلة والمناقشة المثيره للغضب

على عينتين من ٢٠ طالباً جامعياً ودرس ردود أفعالهم من خلال أعماق اللاشعور وذلك بمساعدة الصور المتحركة، والشرائط المُسجلة، والمؤشرات السيكولوجية على انفعالاتهم، والتقريرات الذاتية المُفضله التى تم الحصول عليها من الحالات نفسها.

رابعاً: الأدب :

كرس موراى جزءاً كبيراً من وقته وجهده خلال الفتره من ١٩٤٩ - ١٩٦٨ فى تحليل بعض الأعمال الأدبية، وكان أهمها ذلك التحليل السيكولوجى لرائعة زميله هيرمان ميلفلى Melville, H. وهى رواية موبى ديك Moby Dick وقارن بينها وبن سيموفونيات بيتهوفن فى كلمات، وفسر سلوك الكابتن أهاب Ahab كتجسيد للأنماط البدائية الشريرة عند يونج أو هو صورة للهى المتحررة عند فرويد فيقول : "فى الواقع إن اعماق الذات عند آهاب تتصف بالكرم والنبل، ولكنه وقع فى خطأ فاجع، هو أنه قاوم الشروربإ ستخدام القوه بدلاً من الحب، ولذلك أصبح صورة للشيئ الذى يكرهه" وللوهلة الأولى فإن ستاربوك Storbuck يمثل الأنا المنطقية المتعقلة التى سُحقت من خلال إجبارها على التعصب والاندفاع بواسطة الهى. فى حين أن الحوت الأبيض الضخم الذى وصفه أهاب بأنه كالجدار الذى يحول بينه وبين الماضى البعيد فإنه يمثل الأنا الأعلى، وتمثل الرواية صراعاً جوهرياً بين الأنا الأعلى المكتسب لمعايير المجتمع وثقافته والهو بدوافعها الغريزية، والتى ليس من الضرورى أن تكون جنسية.

نظرية موراى فى الميزان :

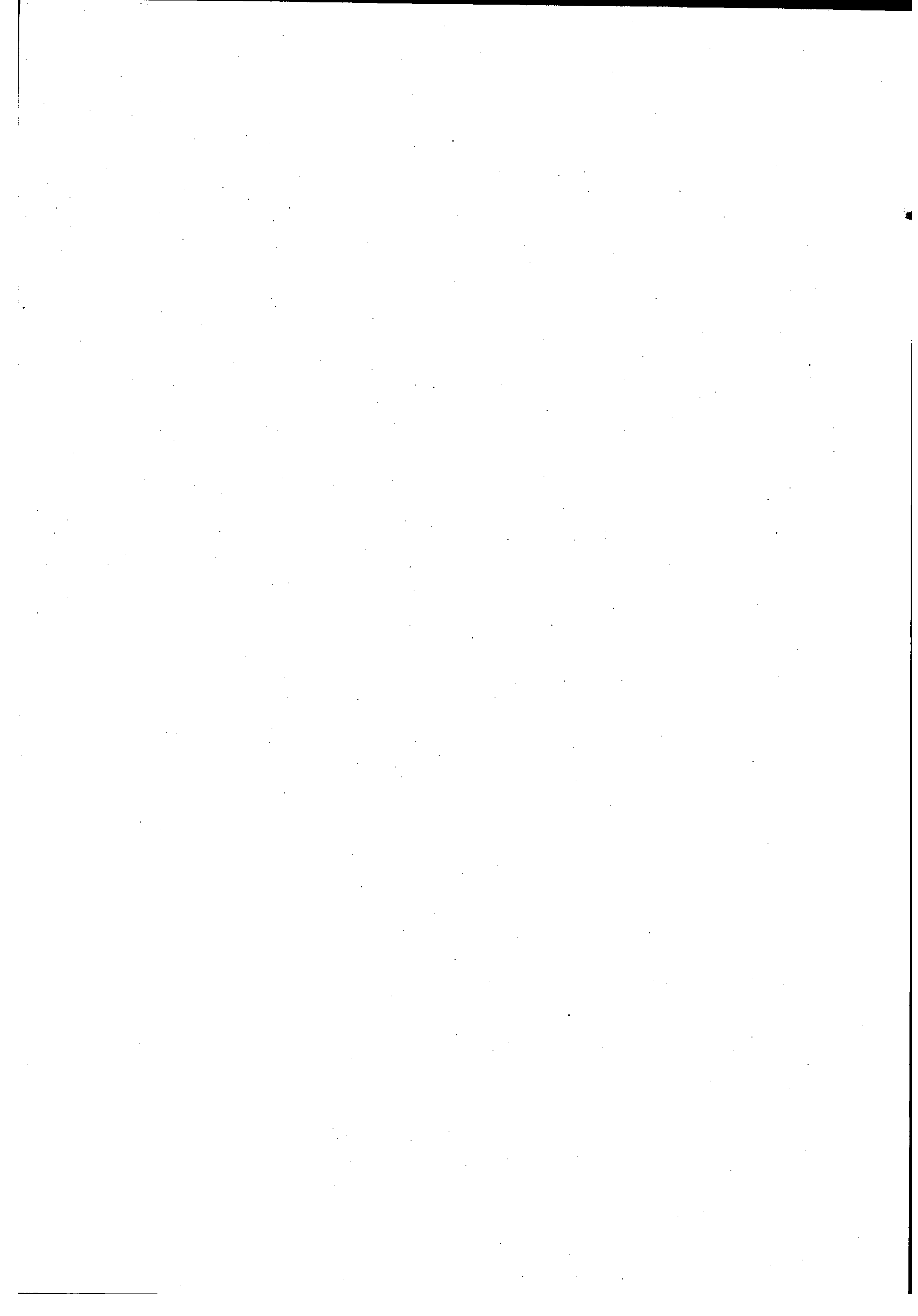
١ - أوجه النقد والخلاف :

لقد كان موراى بشكل عام مُغرم باستخدام التعبيرات والألفاظ الجديدة، اتسمت العديد من المصطلحات الجديدة التى استخدمها بأنها جافة، كما اتصفت مناقشاته الفنية بالصعوبة مثلها فى ذلك مثل أعمال يونج. أضف لذلك أن علم الشخصية فى نظريته كأحد الفرويدين الجدد كان يفتقد الى الإثارة، ويبدو أن التركيبات الجديدة فى نظريته هى التى أدت الى مثل هذه الإعاقة. كما انتقدت تصنيفات موراى للحاجات حيث أن بعض التفاصيل الهامة فى النظرية بقيت غير واضحة مثال : كيف تنبثق الحاجات النفسية من الحاجات الحشوية. ورغم ان موراى من علماء نفس الأعماق (اللاشعور) إلا أنه لم يكرس سوى قليل من الإهتمام للتطبيقات الهامة على ذلك مثل تفسيرالأحلام، وتفسير

الاضطرابات النفسية، كما يعاب عليه أنه قام بتبديد كتاباته وبعثرتها فى فصول من بعض الكتب أو فى مجلات علمية بدلاً من جمعها فى كُتب من تأليفه، مما أهدر جهده وجعل نظريته فى الشخصية تفشل فى جذب الكثير من طلابه أو يكون لها تأثير قوى فى علم النفس الحديث كما لبعض النظريات الأخرى .

٢- الإسهامات :

رغم ماوجه الى موراى من انتقادات إلا أن أعماله فى جامعة هارفرد تمثل الخطوة الأساسية الأولى فى التحقيق العملى لرؤى فرويد بما يتصف به من دقة وصرامة فى مجال البحث التجريبى، ولذلك يعد موراى مؤسس علم النفس الاكلينيكى الحديث، وكما فى علم نفس الأنا لإريكسون ، فقد احتفظ علم الشخصية لموراى بالعديد من المفاهيم الفرويدية، كما ركز على الأسوياء أكثر من دراسة المرضى النفسيين، وكذلك الغائية والسببية، وكل من الغرائز المشروعة وغير المشروعة، ونمو الشخصية على مدار الحياة . كما يعد تصور موراى عن الدوافع تصور متميز وخاصة لأولئك الذين يتوقون الى زيادة كم الطعام أو الإثارة الجنسية للوصول الى حد الإشباع أو اختزال الدافع . كما ولدت الحاجة للإنجاز مجالات بحثية جديدة وخاصة فى مجال الخوف من النجاح، كما اعتبرت حاجة نفسيه استحثت باحثين آخرين قدموا دراسات هامة مثل ديفيد ماك كليلاند . ويبقى اختبار التات أكثر المقاييس الإسقاطية للشخصية شيوعاً حتى وقتنا هذا، وكذلك مابُنى عليه من أدوات كالكات والسات ، كما بُنى على تصوره للحاجات أدوات سيكومترية مثل قائمة إدوارادز للشخصية، وكذلك صور بحثية متميزة مثل طريقة چاكسون Jakson فى دراسة الشخصية. ويعد موراى عالم بارز ذو ثراء علمى غير عادى وخلفية متنوعة، ولايعد أفضل الفرويديين الجدد فحسب بل بقيت طريقته فى البحث السيكولوجى متداولة وقائمة حتى وقتنا هذا ، كما أنها فى غاية الأهمية لما تتميز به من دقة وموضوعية وشمول .



الباب الخامس

علم النفس المعرفى

الفصل الحادى عشر : سيكولوجية التركيبات الشخصية

چورج كيلى

على الرغم من تصنيف نظرية كيلى ضمن أكثر من فئة من نظريات الشخصية إلا أن اهتمامه المبالغ فيه بإبراز دور العقل فى التعامل مع البيئة وضغوطها ، والتغير الذى يحدث فى تكوينات الشخصية نتيجة لتاثير العامل المعرفى واثر ذلك على السلوك ، ووصفه للناس بانهم كالعلماء فى تناولهم وتعاملهم مع احداث الحياة جعلنى أكثر قناعة بانها نظرية معرفية من الطراز الأول رغم انها تهتم بما تهتم به النظريات الإنسانية والوجوديه والظاهراتية .

الفصل الحادى عشر

سيكولوجية التركيبات الشخصية Personal Constructs

جورج كيلى (١٩٠٥-١٩٦٦)

اغلب الناس والعلماءمعهم والمتخصصين المُدربين يعطون بعض الاهتمام بالأفكار الخفية، والإجراءات المستترة والأسرار غير المعروفة وعلى غرار ذلك نجد چورچ كيلى الذى أكد أننا نسلك مثل هؤلاء العلماء . فكل منا يبتكر فروض خاصة ويقوم باختبارات تجريبية للتعامل مع العالم الذى نعيش فيه ، وهذه هى التركيبات الشخصية المتفردة التى يجب أن يبحث عنها عالم النفس سعياً وراء فهمها، حيث حاول معظم علماء النفس فى الحقيقة الوصول الى تركيبات تتصف ببعض الثبات على الأقل ، ويفضل كيلى ترك كل هذه الأمور المألوفة خلفه والخوض فيما هو جديد فيقول : "فى نظريتى يظهر مصطلح مثل التعلم بصعوبة على العموم، وهذا أمر متعمد بشكل كامل، حيث وضعناه جانباً، فلاتوجد ذات ، ولا انفعالات ، ولادوافع، ولاتعزيز، ولا شعور ولاحاجة ، والقارىء هنا سينتابه إحساس بأن ذلك أمر محفوف بالمخاطر وينطوى على بعض المجازفة حتى لدى من لاتخيفهم الأفكار غير التقليدية عن الناس" (Kelly, 1955) .

كما تتميز نظرية كيلى ببعض الإستثناءات التطبيقية عن نظريات الشخصية الأخرى، حيث أكد أن علم النفس مازال ناشئاً صغيراً وأن أى نظرية لكى تكون مفيدة يجب أن تكون محددة فى مجال بعينه من مجالات السعى البشرى، أى لديها مدى مناسب وتركيز على نشاط مناسب .

وقد صممت نظرية كيلى فى علم نفس تركيبات الشخصية للاهتمام بجانب محدد هو علم النفس الإكلينيكى مع التأكيد على مساعدة الأشخاص الذين يعانون مشاكل فى علاقتهم مع الآخرين ليعيدو بناء حياتهم من جديد "إذا نجحت النظرية التى بنيناها فى هذا المدى المحدد من الملائمة سوف أعتبر أن جهودى قد نجحت وأؤكد رغم ذلك أنها أقل فائدة فى جوانب أخرى" (Kelly, 1970) .

نشأته وحياته :

ولد جورج آلكسندر كيلى فى الثامن والعشرين من أبريل عام ١٩٠٥م فى مزرعة بالقرب من بيرث Perth فى كنساس ، وكان الطفل الوحيد لأبوين شديدى التدين، وأم شغوفه به ، وأب تدرب ليكون من قساوسة الكنيسة ولكن لضعف صحته ترك الكنيسة واتجه الى الزراعة . وفى سنة ١٩٠٩ غير والد كيلى نظام سيارته لتُستخدم فى نقل العائلة الى كلورادو حيث تسلم قطعة أرض كانت توزع مجانا على المستوطنين، ولكنهم عادوا ثانية الى كنساس نظراً لنقص الماء فى مزرعة كلورادو، ولم يفقد كيلى روحه القيادية التى اكتسبها خلال طفولته وأصبح شخص عملى جداً، كما تأثر باعتقادات والديه وعدد كبير من أعضاء الكنيسة فكان عازفاً عن الأعمال الشيطانية التى يقوم بها رفاق سنه كالشراب ولعب الورق والرقص مع الجنس الآخر، كما كانت أسرته ملتزمه بالقيم التقليدية وتضع طموحها فى كيلى كطفل وحيد، وتعلم كيلى فى المرحلة الأولى فى مدرسة ذات نظام الفصل الواحد وعندما بلغ الثالثة عشر أُرسل إلى ويشتا Wichita حيث تنقل بين أربعة مدارس ثانوية مختلفة ، ولم يكن يستقر فى البيت كثيراً حتى تخرج من المرحلة الثانوية فالتحق بجامعة الأصدقاء Friends Uni فى ويشتا وهى مدرسة للكويكر Quaker ، وبعد ثلاث سنوات انتقل الى كلية بارك وحصل منها على درجة البكالريوس فى الفزياء والرياضيات فى عام ١٩٢٦م.

خطط كيلى بعد ذلك أن يصبح مهندس طيران أو مدرس للغات أو للدراما، ولكنه أدرك أن ذلك لن يساعده على التعامل مع المشاكل الاجتماعية التى ازداد إهتمامه بها، نتيجة لذلك التحق ببرنامج الماجستير فى جامعة كانسس فى مجال علم الاجتماع التربوى كتخصص عام، وفى العلاقات العمالية كتخصص دقيق. حيث درس كيفية قضاء العمال فى كنساس وقت فراغهم وحصل على الماجستير فى ١٩٢٨م ، ثم حصل على منحه دراسية فى جامعة أُوينبرج فى اسكتلندا حيث قرر التخصص فى علم النفس، ثم عاد الى أمريكا وحصل على الدكتوراه من جامعة ولاية أويا حيث تناول فيها معوقات الكلام والقراءة ، وكان ذلك عام ١٩٣١ وفى شتاء عام ١٩٢٨ قابل جلاديز تومسن Gladys, Thompson وتزوجها فى ١٩٤١ وأنجبا ولداً وبنت .

وبدأ كيلى عمله كمتخصص فى علم النفس فى كلية فورتى هايز Forty Hays فى ولاية كانساس، وحصل على درجة أستاذ مساعد فى علم النفس عام ١٩٤٣ ، وخلال هذه

السنوات الإثنا عشر قام بتطوير برنامج يتضمن القيام برحلات له ولطلابه مما يعطيهم الفرصة لاكتساب مداخل جديدة لمعالجة المشكلات السلوكية التى تواجه طلاب المدارس العامة، كما أثارت لديه هذه الخبرات عدداً من الأفكار الجديدة التى ساعدته على صياغة نظرية كما أسهمت فى أسلوبه فى مجال العلاج النفسى، وخلال هذه الفترة تحرر كلية من أفكار فرويد ومدخله فى فهم الشخصية الإنسانية ، وقد علمته خبرته الاكلينيكية أن الناس فى الغرب ضحايا للجفاف والقحط والعواصف الرعدية والترابية والانهيار الاقتصادى أكثر من كونهم ضحايا للقوى الليبيدية .

وخلال الحرب العالمية الثانية، رأس كيلى برنامج تدريبى للتأهيل النفسى للطيارين، فقد ظل اهتمامه بمجال الطيران قائماً حيث عمل لفترة فى مجال السلاح الجوى الأمريكى فى واشنطن حتى عام ١٩٤٥، وخلال هذا العام التحق بوظيفة أستاذ مساعد فى جامعة ماريلاند . وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك العديد من المطالب والأعباء الملقاة على اكتاف المتخصصين فى علم النفس الاكلينيكى ، حيث عادت أعداد كبيرة من الجنود الأمريكان يحملون علـى كاهلهم أوزار الحرب وأثارها التى يحتاجون الـى من يساعدهم فى التخلص منها، فقد كانت هذه الحرب أحد أهم العوامل التى أسهمت فـى تطور علم النفس الاكلينيكى كجزء مكمل لبرنامج الرعاية الصحية العامة، وقد كان لكيلى دوراً بارزاً فى هذا المجال، وفى عام ١٩٤٦ أصبح كيلى أستاذا وموجهاً لعلم النفس الاكلينيكى فى جامعة ولاية أوهايو، وخلال العشرين سنة التالية قدم كيلى أهم إسهاماته فى مجال علم النفس، ففى بعض السنوات الأولى منها ركز جهوده فى إعادة تنظيم وتطبيق البرنامج الصفى (التدريس) فى علم النفس الاكلينيكى ، وفى السنوات التالية سعى لتعميم برنامجه على كل الولايات الأمريكية . وخلال عامى ١٩٦٠، ١٩٦١ قام كيلى هو وزوجته بعدة رحلات علمية الى كل من مدريد ولندن ، وأوسلو وكوبنهاجن ووارسو وموسكو ومنطقة الكاريبى وأمريكا الجنوبية، وكان ذلك بمثابة منحة مقدمه من Human ecology، وشرح خلالها نظريته عن علم نفس التركيبات الشخصية .

وفى سنة ١٩٦٥ عمل كأستاذ كرسى ورئيس قسم العلوم السلوكية فى جامعة برانديز Brandeis, Un. ، لقد أصبح حلم الأستاذية بالنسبة له حقيقة واقعة مما أعطاه الأمل لكى يتحرر من الكثير من الضغوط غير أن القدر لم يمهله بعد ذلك طويلاً ومات فى السادس من مارس ١٩٦٦ عن عمر يناهز الثانية والستون، وعلاوة على عمله كأستاذ

وعالم ومُنظر . فقد احتل كيلى مراكز قيادية فى علم النفس الأمريكى . فقد عمل رئيساً للجمعية الأمريكية لفرعى علم النفس الاكلينيكى والإرشادى، كما لعب دوراً بارزاً فى صياغة اللائحة الأمريكية لاختيار المتخصصين فى علم النفس، ورأس اللجنة التى أعدت هذه اللائحة خلال الفتره من ١٩٥١-١٩٥٣ . كما دُعى لإلقاء محاضرات فى عدد من الجامعات العالمية خلال حياته. وقد نُشرت نظريته فى كتاب من جزئين بعنوان علم نفس تكوينات أو تركيبات الشخصية The psychology of personal Constructs ويتضمنا الأساس النظرى والإجراءات الإكلينيكية. كما قام مؤلفين آخرين بتقديم عرض تفصيلى لهذه النظرية مثل بانستر وفرانسيلا Bannister & Fransella فى كتابهما الإنسان : نظرية تكوينات الشخصية، وكتاب بعنوان علم نفس الاكلينيكى والشخصية : أوراق مختاره من جورج كيلى، أشرف ماهر Maher, 1969 على تحرير هذا الكتاب.

وتصنف نظرية كيلى فى كتب علم نفس الشخصية تحت أنواع كثيرة من مجالات الشخصية :

- البعض يصنفها ضمن النظريات الظواهرية Phenomenologist . فهؤلاء هم الذين يعتقدون بأن الخبرات الشعورية هى التى يجب أن تكون محور علم النفس وبؤرة اهتمامه، ولايلتفتون الى موضع تأصل هذه الخبرات ودون تقسيم لهذه الخبرات إلى أجزاء للتعرف على أصلها .

- البعض الآخر يصنفها كنظرية معرفية Cognitive فهؤلاء هم الذين يهتمون بالأحداث والخبرات العقلية، فمن الواضح أنها ليست نظرية سلوكية، ولاتهتم بالسلوك أو العلاقات السببية له مع البيئة ، كما أنها ليست نظرية فى التحليل النفسى، فهى لاتركز على اللاشعور وميكانزماته، أو على خبرات الطفولة المبكرة ودورها فى تحديد شخصية الراشدين، كما أنها ليست نظرية فى السمات، فهى لاتصنف الأفراد فى فئات بناءاً على مالديهم من سمات شخصية إنها نظرية معرفية لأنها تهتم وتركز على طريقة الأفراد فى رؤية الواقع والتفكير فيما يتصل به.

- فئة ثالثة تصنف نظرية كيلى كنظرية وجودية لأنها تركز على المستقبل بدلاً من الماضى، ولكونها تفترض أن البشر أحرار فى اختيار أقدارهم، فالوجوديون يهتمون بالمشاعر الذاتية ، والخبرات الشخصية ويعتقدون أنها فى غاية الأهمية، كما أنهم يهتمون بما يضفى على الحياة معنى ، كما يعتقد الوجوديين بأنه طالما أن الإنسان حر فهو مسئول

عن مصيره، وبشكل عام فهم يؤمنون بعبارة جون بول سارتر " الإنسان هو ما يرغب ان يكون "man is what he wills to be" . فهذه العبارة تلخص نظرية كيلى وموقف الوجوديين فى نفس الوقت .

- الفئة الأخيرة تصنف نظرية كيلى ضمن نظريات علم النفس الإنسانى humanistic لأنها تركز على الطاقة الإبداعية للناس وتؤكد على أهمية الوراثة والبيئة كمحددات للشخصية، فعلماء النظريات الإنسانية يتسمون بالتفاءل فيما يتصل بالطبيعة الإنسانية، ويركزون طاقاتهم فى حل المشكلات التى أحدثها الإنسان فى المقام الأول. فهناك بعض التشابه بين المدرستين الوجودية والإنسانية كما يوجد بعض التداخل بين الفلسفتين، فكلاهما على الأقل يعتقد أن دراسة الحيوان وسيلة غير ذات معنى فى تفسير سلوك الكائن البشرى .

وهكذا يمكن أن تكون نظرية كيلى نظرية ظواهرية، معرفية، وجودية، إنسانية فى الوقت نفسه .

الطبيعة الأساسية للنفس البشرية :

١- النشاط والتوقع Activity and Anticipation

فى حين غرق فرويد فى تحليل واختزال المظاهر النفسية للشخصية الى عمليات فسيولوجية، فإن كيلى يرى أن كلا النظامين (النفسى والفسيولوجى) إنما هم طريقين لفهم نفس الظاهرة. " فالبيانات لاتوحى بالانتماء لمنظومة واحدة، وأى حدث يمكن النظر اليه أما من جانب(أو زاوية) نفسى أو فسيولوجى" (Kelly, 1955) . لذلك شعر كيلى بأن له الحق فى استنباط نظرية نفسية خالصة للشخصية وله ما يبرره فى ذلك لأنه يجنبنا البحث فى موضوعات شائكه كالدافعية، والتركيبات الثابتة كالغزيزة والطاقة النفسية عن طريق تعريف الطبيعة البشرية بأنها نشطه بشكل طبيعى .

إذا افترضنا أن الحالة تتكون أساساً من وحدات إستاتيكية، فسيصبح من الضرورى وبشكل فورى أن نصل الى حقيقة مفادها أن ما تلاحظه ليس استاتيكى بشكل دائم لكنه نشاط فى أغلب الأحيان ، وبالنسبة لطريقة تفكيرى فأعتقد أن الحركه هى جوهر وأساس حياة الكائن البشرى، والشخص نفسه هو صورة من صور الحركة. لذلك فإن الجدل الدائر حول ما يجعل الجسم يميل لأن يظل ساكنا ثم يتحول الى الحركة أصبح بمثابة قضية منتهية (Kelly, 1970a) .

وعلى الرغم من أن كيلى يرفض بوضوح استخدام التركيبات الدافعية Motivational Constructs ، فإنه يفترض ضمناً أننا جميعاً نبحث عن الشعور بالنظام والقدرة على التنبؤ فى تعاملاتنا مع العالم الخارجى، فتحقيق التوقع أو عدم تحقيقه له قيمة سيكولوجية تفوق الثواب والعقاب أو إختزال الدافع، وهكذا فإن طبيعة الإنسان غائية (هادفه) Teleology بصفة أساسية وحركتنا الفطريه توجه فقط نحو الهدف الشامل المهيمن لتوقع المستقبل.

٢- الناس كالعلماء :

اتخذ كيلى العالم Scientist كنموذج لوصف البشر جميعاً ، فقد لاحظ أن العلماء دائماً يبحثون عن الوضوح وفهم حياتهم بتطوير النظريات التى تساعدهم على التنبؤ بالأحداث المستقبلية ، أو بمعنى آخر فإن الهدف الأساسى للعالم هو اختزال عدم الثقة أو عدم التأكد Uncertainty ، ويعتقد كيلى أن كل البشر مثل العلماء يحاولون استجلاء وتوضيح حياتهم بنفس الطريقة، ولذلك فلايوجد فرق حقيقى بين العالم واللاعالم فيقول " على الرغم من أن عالم النفس يقول لنفسه : باعتبارى سيكولوجى ، وعالم أيضاً فإننى أؤدى هذه الخبرة لتحسين القدرة على التنبؤ والضبط لظواهر إنسانية معينة، ولكن الحقيقة أن كل البشر مثلى فى كونهم يهتمون بالمستقبل ويستغلون الحاضر لاختبار قدراتهم النظرية على توقع الأحداث، إننا لانتوقع لمجرد التوقع، ولكن لتحسين المستقبل، فالمستقبل وليس الماضى هو الذى يحتفظ للإنسان بحلمه، وهكذا فنحن نصل للمستقبل من خلال نافذة الحاضر " .

والأداه الرئيسية التى يستخدمها الإنسان لتوقع الأحداث هى تكويناته أو تركيباته الشخصية Personal Construct . فالفرد يستخدم تركيبات الشخصية فى تركيب أو تفسير ، أو شرح أو إعطاء معنى أو توقع الخبرات ، فالتركيب إذن هو فكرة أو تفكير idea or thought يستخدمها الفرد عندما يحاول تفسير خبراته الشخصية، إنها تشبه نظرية العالم الصغير التى تجعله يتنبأ بالواقع ، فإذا ما تطابقت تنبؤاته مع الخبرة فهذا أمر جيد، أما إذا لم تتطابق مع الخبرة فهذا يعنى أنه يجب مراجعة التركيبات القائمة أو إلغاءها ، وسوف يتم شرح ذلك بمزيد من التفصيل لاحقاً فى تركيب الشخصية .

ولكن من المهم أن نلاحظ أن التركيبات الشخصية هذه عادة ما تكون مقاطع لفظية يطبقها الفرد على أحداث البيئة ويختبر الخبرة اللاحقه من خلالها. فمثلاً : إذا قابلنا شخص لأول مرة فربما نكون تركيب شخصى يصف هذا الفرد بالصداقة ، فإذا ما كان

سلوكه اللاحق يتصف بالصداقة أو الود، فإن ذلك سيكون مفيداً فى توقع سلوكيات الأشخاص ، أما إذا اتصف سلوكه بغير ذلك فإنه يعنى أنه فى حاجة لإعادة التركيب الراهن بأخر مختلف، المهم أن يصبح التركيب المستخدم فى التنبؤ بالمستقبل واضح وصحيح تماماً" وللوصول الى نظام تركيبى ينجح دوماً فى تحقيق هذا الهدف فلابد أن يمر الفرد بعدد من مرات المحاولة والخطأ .

ويؤكد كيلى على أن كل شخص هو الذى يُخلق تركيباته للتعامل مع العالم، ويعتقد أيضاً أن لدى كل البشر هدف هام وهو اختزال عدم التيقن أو التحقق من المستقبل ، إنهم أحرار فى تركيب الواقع بالطريقة التى يختارونها، ويطلق كيلى على هذا الاعتقاد بالتركيب البديلى Constructive Alternativism ويصفها بقوله " إننا نجد دائماً تركيبات بديله متاحة لكى نختار منها ما يناسبنا للتعامل مع هذا العالم ، فلا أحد يرضى أن يحصز نفسه فى نطاق محدود أو يحبس نفسه فى حدود ظروفه فحسب أو يجعل من نفسه ضحية" ، وعندما نقول أنه لاحد يرضى أن يحصر نفسه فى نطاق محدود، فليس معنى ذلك أن لا أحد يفعل ذلك ، فنحن دائماً فى حاجة الى التمييز بين الحرية والحتمية - وكما اعتقد كيلى أن الناس أحرار فى تخليق تركيباتهم الشخصية فإنه يعتقد أيضاً بأن حياتهم محكومة بهذه التركيبات التى خلقوها ، فحياة الإنسان تتأثر بشدة بخبراته ، كما أن بعض الطرق تكون تركيبات أفضل من غيرها ، وطبقاً لذلك فإن بعض الأفراد لديهم اعتقادات ثابته عن العالم ويصبحون عبيداً لها ، وتسير حياتهم وفقاً لأنماط روتينية وعادات ثابتة لاتتغير وآخرون لديهم آفاق أوسع وأرحب ويعيشون وفقاً لمبادئ مرنة ، مثل هؤلاء الأفراد يعيشون حياة أكثر ثراءً بسبب انفتاحهم على الخبرة .

ووفقاً لرأى كيلى فإن الإنسان أما أن يعيش بأفق وحياة أوسع وأرحب أو يعيش حياة ضيقة تتسم بالجمود والتصلب وهذا يتم تبعاً لاختياره ، وبنفس الطريقه فهناك أفراد ينظرون الى المواقف بإيجابية والآخرون ينظرون لنفس المواقف بسلبية ، والمسألة فى الحالتين تعتمد على اختيار الشخص ويمكننا أن نلخص فكرة كيلى هذه فى المقولة القديمة " لقد نظر رجلين من خلف قضبان زنزانتهما فى السجن ، فرأى أحدهما الوحل بينما رأى الأخر النجوم" وقد بنى كيلى على ذلك الحقيقة الأساسية الأولى عن تكوين الشخصية بأن عمليات الفرد يمكن تحديدها سيكولوجيا من خلال أساليبه فى توقع الأحداث. أو بمعنى أخر أن أنشطة الفرد السلوكية والفكرية يمكن توجيهها فى اتجاه معين من خلال تركيباته الشخصية التى يستخدمها فى توقع الأحداث المستقبلية . (B.R., Hergenhahn, 1980) .

تركيب (بناء الشخصية):

التكوينات أو التصورات الشخصية Personal Constructs :

لتحقيق طموحاتنا الغائية (الهادفة) فنحن نتصرف مثل العالم فى مجال البحث العلمى: نضع نظريات مختلفه لفهم وربط متغيرات البيئة ونختبر افتراضاتنا فى مقابل الواقع (كأن نفترض أننا أصحاء الى حدما) ونبقى على أو نراجع هذه الفروض تبعاً لدقتها التنبؤيه " إن الهدف النهائى للعالم هو التنبؤ والضبط، وهذه الجملة المختصرة توضح أن علماء النفس كثيراً ما يقتبسون من الغير عندما يصفون طموحاتهم الخاصة، ولكنهم نادراً ما يصدقون العناصر البشرية الأخرى فى تجاربهم بأن لديهم طموح مماثل، وأنا على النقيض من ذلك أفترض أن كل إنسان عالم على نحو ما، وبطريقته الخاصة (Kelly, 1970 b) .

فكل منا يحاول استنباط وقياس تركيباته الشخصية بغرض التفسير والتنبؤ، ومن ثم التحكم فى البيئة، نحن لانستجيب فقط للعالم الخارجى ولكننا نفسره (ونركب مكوناته) نسلك بمقتضى ذلك أيضاً ، وسواء فعلنا ذلك بدقة أو بغير دقة فإن هذاالتفسير المبتكر للواقع يضفى على الأحداث معنى ويحدد سلوكنا الناتج بعد ذلك. وقد قصد كيلى بعبارة التفسير الإبتكارى للواقع Creative interpretation of reality وجود عدد كبير من التركيبات التى يمكن أن نختار منها بالتناوب ، فلو أن ديموسينسDemosthenes قد فسر التأتأة والفأفأه التى أصابته فى طفولته على أنها عقبة لاتُقهر لكان بلا شك قد استسلم لليأس، ولكنه بدلاً من ذلك اعتبره تحدى يجب التغلب عليه بجهد وشجاعه وأصبح خطيباً مفوها ، وكذلك الدارس الذى يفسر نظرية كيلى بأنها تثير نوع جديد من الفكر فهو أكثر اقتراباً لفهمها من ذلك الذى يفسرها بأنها جعجعة(أى كلام مبهم موسوم بطابع التباهى عادة ويتميز بالإطناب والكلمات الطويلة) مشوشه وتثير اليأس فقط " إن الأحداث التى تواجهنا اليوم تشتمل على مكونات عظيمة التنوع والتباين وتزداد بقدر زيادة فطنتنا أو ذكاءنا على ايجاد الوسيلة لمواجهتها، حتى الأحداث الأكثر وضوحاً فى حياتنا اليومية يمكن أن تبدو متغيرة الشكل كلية لو أن لدينا قدرات ابتكارية أكثر تطوراً تساعدنا على تفسيرها بشكل أو بصورة مختلفة عن المألوف مثل هذه التبادلية البناءة Constructive alternativism ذات قيمة عظيمة لأنها تعنى أن الفرد فى حاجة ماسة لأن يحتاط تماماً للأحداث الراهنة أو أن يكون ضحية لسيرته أو حياته الشخصية كما أنه من الممكن أيضاً ان

يتبنى مجموعة من التركيبات البنائية المتصلبه حتى يكون قد حاصر نفسه بسجن من صُنعه كما سنرى فى الجزء التالى .

خصائص التركيبات الشخصية :

صنف كيلى التركيبات الشخصية فى اربعة مجموعات رئيسية للخصائص يندرج تحت كل منها عدد من الصفات الفرعية وهى :

أولا : المسلمات والنواتج الطبيعية Postulates and Corollaries

إن وصف كيلى لشخصياتنا العلمية تم تحديده بمصطلحات تكنيكية (فنية) فوضع مسلمه رئيسيه أو افتراض حاسم يقع تحته كل ما يتبعه من نتائج والتى حددها كيلى فى إحدى عشر نتيجة مختلفه صاغها بطريقة توضح وتفصل طبيعة التركيبات الشخصية .

الخاصية أو المسلمة الأساسية : Fundamental Postulate : العمليات الشخصية يتم التعبير عنها سيكولوجياً من خلال الطرق التى يتوقع بها الاحداث (Kelly, 1955) فالعمليات السيكولوجية النشطه بشكل طبيعى والتى كونت شخصياتنا قد تشكلت وتحولت الى أنماط تعبيرية Channdlized ليس بالدوافع أو الحاجات، ولاصراعات الطفولة ، ولا المثيرات الخارجية ولكن بالطرق التى نصل بها الى المستقبل من خلال نافذة الحاضر " إن المستقبل هو الذى يعذب الإنسان وليس الماضى " ويندرج تحت هذه الخاصية عدد من النتائج أو اللزمات.

١- النتيجة (اللازمة) البنائية Construction Corollary

" يتوقع الشخص الأحداث من خلال تفسيره لما يصدر عنها من صدى "(1955) فلكى نتنبأ بالمستقبل يجب ان نفسر الاحداث الماضيه فى حياتنا ونلخص ما بينها من أوجه اتفاق أو اختلاف أو بعباره كيلى لكى نفسر لابد ان ننصت لهمس الأفكار الحادثه التى ترد من حولنا" .

وكمثال : نفترض ان هناك شخص ما يجب عليه ان يتعامل مع زميلين له فى العمل. هذا الشخص سيبحث عما يكمن فى هذه العلاقة من تشوش محتمل عند توقعه لطبيعة هذه العلاقه . ويبنى مثل هذه التوقعات على الخبرات السابقة المرتبطه بهذه العلاقة (صداها أو تكرارها) . وحيث انه لايوجد حدثين متطابقين تمام التطابق فإن مجرد تذكر صدى الحدث لن يكفى فى حد ذاته ويجب ان نستنبط طريقه نشطه لعبور الفجوه بين الماضى والمستقبل، وهكذا فإن الفرد المعنى يمكن ان يفسر السلوكيات الماضية لزميليه فى إطار

الصداقة المجردة (وبطبيعة الحال فإن هذه الأحداث تختلف عن الأحداث التى يمكن تفسيرها فى إطار آخر غير الصداقة) . واستخدام التركيب أو البناء الشخصى " للصداقة فى مقابل عدم الصداقة" للتنبؤ بأنهما سيتصرفان معه بود فى المناسبات المستقبلية ومن ثم يصبح لديه القدرة على أن يناشدهم العون والمساندة ، والعكس ، إذا استنتج هذا الشخص من خلال التكرارات المختلفة أن المستقبل سيكون التنبؤ به أكثر دقه من خلال التركيب الشخصى بأنهما يتصفا بالقسوة، فبالطبع سيقرر الشخص رجلاً كان أو امرأه أن يخطو بحذر عند استشارة هاذين الزميلين وخاصة فى المناسبات النادرة (التى لاتتكرر كثيراً) .

٢- النتيجة (اللازمة) الفردية Individuality Corollary

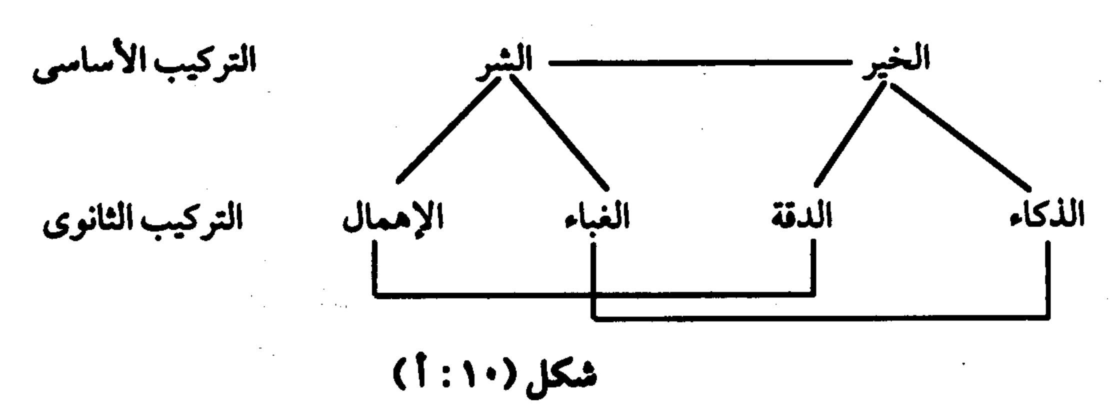
" يختلف الأفراد عن بعضهم البعض فى تفسيرهم للأحداث " فكما هو موضح سابقاً يختلف الأفراد عن بعضهم البعض فى تفسيرهم للأحداث بشكل واضح فقد ينظر فرد ما الى زميله بمنظور الصداقة ويصاحبه بينما يفهمه فرد آخر كمنتهز للفرص يتجنبه بشدة، ولايذهب كيلى مذهب أدلر وألبورت فى النظرة المتطرفة لكل شخص على أنه متفرد كلية عن الآخرين لأننا يمكن أن نكون تركيبات مثل " الصداقة مقابل عدم الصداقة" بطرق متشابهة (Kelly, 1970) . ولكن أى تركيبين لشخصين مختلفين لايتطابقان تماما، وغالباً ما توجد اختلافات واضحة ، مما يجعل من الضرورى التأكيد على أن هناك طرقاً معينة يفسر بها كل فرد العالم من حوله .

٣- النتيجة (اللازمة) التنظيمية : Organization Corollary

" كل شخص يطور خصائص تلائمه فى توقع الأحداث بحيث يمكن نظامه التركيبى من تقبل أو رفض العلاقة بين المكونات (Kelly, 1955) . ستكون توقعاتنا للمستقبل أسهل إذا رتبنا أو نظمنا تركيباتنا البنائية بطرق معينة ، وأن نعطى تركيبات معينه أهمية أكبر من غيرها ومن ثم يكون الناتج عباره عن نظام هرمى ربما يتكون من عدة مستويات ، وغالباً ما تكون مرنه لدرجة تكفى لأن تصبح التركيبات المختلفة ظاهرة فى أوقات مختلفه، وتقدم وصفاً لشخصية الفرد بدرجة أكبر من التركيبات الخاصه التى يستخدمها .

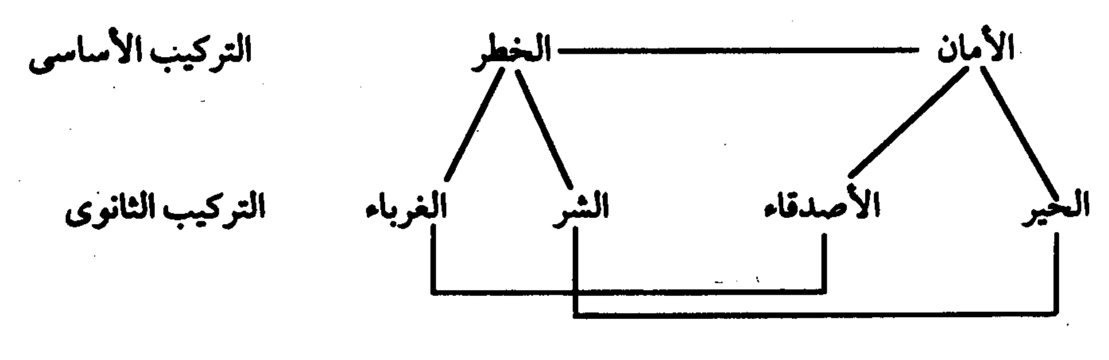
ولتوضيح ذلك : لنفرض أن شخص ما كون بناءاً شخصياً أساسياً من الخير مقابل الشر Good ver. bad على الإحداثى الرأسى (رئيسى) superordinate ويتضمن ذلك تركيبين تابعين أقل أهمية (ثانوى) Subordinate هما الذكاء مقابل الغباء intelligent ver. Stupid ، والدقه أو النظام مقابل الإهمال neat ver. sloppy بين

الأشياء التى تلخص عناصرها . وحيث أن التركيب أمر شخصى فإنه من الممكن للفرد أن يقرر أنه من الخير بالنسبه له أن يكون غبيا ومهملا شكل (١٠ : أ) ولكن دعنا نفترض أن التدرج الهرمى الفعلى يتبع نمطاً أكثر تقليدية :



شكل (١٠ : أ)

فبالنسبة لشخص أخر (أو نفسى الشخص فى موقف مختلف) قد يكون التركيب الأساسى هو الأمان مقابل الخطر Safe Ver. Dangerous وعلى المستوى الثانوى الخير مقابل الشر ، والأصدقاء مقابل الغرباء (شكل : (١٠ : ب) .



شكل (١٠ : ب)

كلا الشخصين سيستخدم تركيب الخير مقابل الشر ولكن بتنظيم هرمى مختلف ، وكذلك سلوكهم ، فالشخص الأول ستكون أحكامه قاطعة ولكنها غير دقيقة أما الثانى سيكافح كفاحاً متواصلاً من أجل الأمان والانتساب الى بيئة مألوفه له ، كما يمكن أن يصنف أحد التركيبين كلياً تحت الآخر ، فالفرد محل التقييم المذكور يمكن أن يتضمن الذكاء مقابل الغباء تحت الخير (لان الخير هنا يسهل من إصدار الحكم على الآخرين) ، والنور فى مقابل الظلام تحت الشر (لأنه لايسهل إصدار الحكم على الآخرين) .

ولأننا نُخلق كل تركيباتنا الشخصية فى مستويين رئيسى وثانوى(فرعى) فإننا نحدد الخطوط الرئيسية العامة لحياتنا ونلعب دوراً مخادعاً مع مادون ذلك ، فعلى سبيل المثال سيختار الفرد الأول استخدام التركيب : الخير مقابل الشر ، ويختار أن يجعله أيضاً أساسى ، ومن ثم سيتعرف وفقاً لذلك ، حتى لو كان الحكم بغيضاً بالنسبة للآخرين ، ولو أن الخير مقابل الشر ثانوياً بالنسبة لتركيبات أخرى فى التركيب الهرمى لهذا الشخص ، فقد يكون من السهل بالنسبة له تغيير تلك السلوكيات عن طريق إعادة بناء النظام ، فقد يقرر أنه من الأهمية بمكان أن يكون لديه اصدقاء ، ويقلل من قيمة مكون الخير مقابل الشر فى سبيل مُكون الصداقة مقابل الوحدة ، ولكن إذا كان مكون الخير مقابل الشر أساسى جداً لدرجة أنه يتحكم فى وجود هذا الشخص فُيكون جوهرى (Core Construct) فإنه لن يتغير أو تقل قيمته دون انهيار النظام برمته ، كما يبدو استحالة تغييره بدون مساعدة العلاج النفسى .

٤- النتيجة (اللازمة) ثنائية التفرع Dichotomy Corollary

" يحتوى النظام التكوينى للشخص على عدد محدد من التركيبات ثنائية التفرع " كما توضح الأمثله السابقة فإن كل تركيبة شخصية تكون ثنائية التفرع أو ثنائية القطب bipolar وكل قطبين فى هذه التركيبة الثنائية متضادين وغالباً ما يختلفان من شخص لأخر . فشخص ما قد يكون تركيبة شخصية من الوداعة مقابل العدوانية Gentle ver. aggressive بينما شخص اخر يفسر العالم من خلال الوداعه مقابل عدم اللباقة Gentle ver tactless ، والسلبية مقابل العدوانية ، والذكورة كمفهوم لامعنى لها بدون المفهوم المضاد وهو غالباً الأنوثة ولكن ربما يكون من الأفضل استخدام الضعف أو السلبية ، وكنتيجة : يكون من المستحيل أن نفهم مدلول أى مصطلح دون أن يعرف المستخدم له المصطلح المقابل له على وجه التحديد . (Kelly, 1955) .

علاوة على ما سبق ، يجب كذلك على التركيب الشخصى أن يحدد الطريقة التى يتشابه بها عنصران على الأقل ، إنه من الإسهاب عديم القيمة أن نصف مارى بأنها الشخص الوحيد المتصفة بالوداعة فى العالم ، فصفاتها المتفردة موجوده بالفعل ، ولكن يبقى من الأفضل أن تقول أن مارى وأليس ودعين فى حين أن جين Jane عدوانية لأن الوداعة (عكس العدوانية) وهو مايعد بمثابة تجريد يعطينا معلومات أكثر من تلك التى يدل عليها إسم الفرد ، ولو قلت أن مارى هى الوحيدة المتصفة بالوداعة أو أن مارى وأليس كلاهما

وديع ولاتذكر أنه فى مكان آخر فى العالم يوجد شخص غير وديع فإن ذلك غير منطقى فضلاً عن أنه مخالف لعلم النفس Unpsychological .(Kelly, 1955)

وحيث ان كل التركيبات الشخصية ثنائية التفرع أو ثنائية القطب ، فإنه يمكن استخدامها بطرق تسمح بإظهار الاختلافات النسبية وقياسها فى تدرج جيد. وكمثال على ذلك فإن التركيب الأساسى : الأسود مقابل الأبيض يصف تركيب فرعى أو ثانوى هو الرمادي الداكن مقابل الرمادى الفاتح more Grayness ver Less grayness . أو الأسود مقابل الأبيض ربما يطبق بنجاح مع عناصر عديدة مختلفه، فإذا قلنا ان "س" آسود من "ص" ، "ع" اسود من "س" فإن ذلك يعنى وجود مقياس نسبى ثابت يدل على ان "ع" أسود من "س ، ص" . وبالمثل يمكن تكوين تركيبات عديدة مرتبطه لقياس صفات إضافية ، فإذا تصورنا وصفاً تكاملياً يتكون من الاستقامه Honesty مقابل عدم الاستقامة، والصراحة Candor فى مقابل المراوغه ، والموضوعية فى مقابل الذاتية، فوصف الشخص بأنه مستقيم وصريح وموضوعى يعكس درجة مرتفعه من التكامل اكثر من دمغه بصفتى الاستقامة والموضوعية فقط وانه ليس صريح والتى تدل بدورها على تكامل افضل مما لو وصف بإنه مستقيم فقط. وتعد هذه فقط هى الادوات التى نستخدمها لتفسير الصفات التى يكون من الضرورى تقسيمها الى صنفين فرعيين ، ولكنها لاتمثل النتيجة النهائية . وفى الحقيقة فإن الشخص الذى صمم على وصف الاختلافات النسبية بمصطلحات مطلقه (فالناس لديه إما خيرين أو شريرين ولا توجد نقطه وسط) سوف يعانى مستقبلاً من وجود نظام تكوينى خاطئ يؤدى به الى توقعات خاطئه بشكل مستمر .

٥- نتيجة (لازمة) الاختيار Choice Corollary

" يختار الإنسان لنفسه أحد البدائل المتاحة له من التركيب ثنائى القطب والذى من خلالها يتوقع الإحتمالية الاكبر لمدى الاتساع والتعريف أوالتحديد لنظامه" (Kelley, 1970a) .

حيث ان تركيباتنا الشخصية بمثابة وسائلنا الروحية فى توقع المستقبل، فإننا نكافح بثبات من أجل تحسين فائدتها. وهناك طريقتين أساسيتين لتحقيق ذلك : فأما أن نستخدم منهجاً اكثر أماناً لتحقيق نقاءاً أكثر لتلك التركيبات التى نستخدمها بالفعل، ونحاول أن نكون أكثر تأكيداً على القليل، والقليل جداً من الأشياء، أو نستخدم مساراً أكثر مغامرة وجرأه لاستكشاف جوانب جديدة فى الحياة، مما يساعد على امتداد القابلية لتطبيق

مالدينا من نظم تركيبيه ، وفى محاولة منا لأن نصبح أكثر وعياً بالأشياء الغامضة والمشوشة فى الأفق لدينا ، وسواء اخترنا الآمان أو المخاطرة (وهو القرار الذى ربما يتغير تماماً من وقت لآخر) . فإننا نضع فى تقديرنا أى القطبين فى تكويننا الشخصى ثنائى القطب سيمكننا أكثر من تحقيق هذه النهاية .

وهكذا فإن الفرد الذى يعتبر العالم من حوله عدائى له ويقرر أن يعيش فى آمان، يمكن آن يفسر سلوكه على أنه شخص غريب غير ودود مع هذا العالم Unfriendly ، أما الشخص الساخر الذى يتصف بالميل للمغامرة فإنه سوف يختار مجموعة من التجارب الجديدة ويوصف بأنه ودود مع هذا العالم. مثل هذه القرارات قد تكون سهلة على الرغم من أن بعضها قد يحدث إضطرابات داخلية لها خطورتها. ولذلك فإن الالتصاق أو اللجوء الى الخيارات المألوفة يكون أكثر احتمالية لانتاج حقائق مباشرة، ولكن ذلك الاختيار المألوف أو السهل يترك الفرد بدون ملجأ أو ملاذ إذا ما جرت الأحداث خارج مدى النظام الملائم أو المناسب، وفى حين أن الفهم الواعى للعالم الذى نعيش فيه يمكن أن يتحقق فقط من خلال الإبحار فى المياه المجهولة لفترات من الوقت (استكشاف المجهول)، حيث يغامر الإنسان وهو يضع التوقعات غير المؤكدة وغير الصحيحة جانباً ، حتى نصبح أكثر توافقاً وأكثر مهارة فى توقع الأحداث التى نحن بصددها. ففى المثال السابق مثلاً فإن الفرد ذات الشعور الآمن Security Conscious والمتسم بالعدائية ربما يقوم بعمل دقيق يتعلق بتحديده لما يهدده ولكنه يكون غير قادر كلية على مجاراة شعوره بالغربة الذى يميل اليه بصورة رومانسية . أما الشخص المغامر فقد يضطر الى عمل أخطاء فاضحة وعديدة قبل أن يكون قادراً على التنبؤ بالسلوك الودود بشكل دقيق، " ولايوجد مثل هذا الشيىء، أى لا تجتمع المخاطره أو المغامره والأمان المضمون فى نفس الوقت" (Kelly, 1970a) .

٦- نتيجة (لازمة) المدى أو المجال Range Corollary

" يكون التركيب ملائم لتوقع مدى محدود فقط من الأحداث" (Kelly, 1955) .
وكمثل النظرية الجيدة فى الشخصية، فإن التركيب الشخصى ذو تركيز محدود ومدى ملائم، ويساعد على توقع بعض الأحداث ، ولكنه غير مقيد بالنسبة للآخرين، وعلى سبيل المثال فالأفراد والمبانى قد تكون قصيرة أو طويلة ، لكن الإنسان لايمكن أن يشير الى وجود طقس طويل Tall weather أو خوف قصير Short Fear ، فبالنسبة لهذين

العنصرين يقعان خارج النطاق المناسب لتركيب الشخصية ، ولذلك يدركهما على أنهما غير ذات صلة بالموضوع .

بعض التركيبات الشخصية تكون ذات نطاق ضيق ، فى حين أن البعض الآخر تتضمن مدى واسع التباين من العناصر ، فقد يطبق شخص ما تركيب مثل " أسود مقابل أبيض " ليصف أشياء مثل لون البشرة أو لون طلاء ، فى حين أن اشخاص آخرين قد يدخلون الحالة المزاجية ، والكذب ، والسحر فى مداه الملائم ، وربما يقبل أو يسلم إثنان من الأفراد بنفس العنصر فى إطار نفس التركيب ، ولكنهم يصنفوه بطرق مختلفه . ففى ثقافتنا يعبر الناس عن حزنهم لموت عزيز بثياب الحداد السوداء فى حين تستخدم بعض الشعوب الأخرى الثياب البيضاء للتعبير عن الحزن على نفس الأمر ، وكنتيجة لذلك فإن مدى الملائمة يعد مظهر فردى يتعلق بالتراكيب التى يستخدمها الأفراد فى تفسير العالم .

٧- نتيجة (لازمة) الخبره أو التجربة Experience Corollary

" يتنوع النظام التركيبى للشخص بقدر نجاحه فى تفسير وتحليل الأحداث المتكررة " (Kelly, 1955) . وكما هو الحال بالنسبة للتركيبات العلمية ، لم يستطع أى فرد حتى الأن أن يستنبط نظام التركيب الشخصى الذى سوف يتنبأ بكل شيئ يرتبط بأبسط الأشياء ولو كان رفرفة الأجنحة لطائر طنان ، وحتى أفضل نظام تركيبى يعد غير تام وغير مكتمل . ويجب أن يُراجع ويُعدل بصورة متكررة طالما أن علينا أن نتعامل مع واقع متغير ، وحتى نساير التغير الدائم للحقائق . وتستخدم التراكيب للتنبؤ بالأشياء التى يحتمل أن تحدث ، ويؤدى تغير العالم بشكل مستمر الى أن يكشف عما إذا كانت هذه التنبؤات صحيحة أو غير صحيحة . وهكذا فإن كل تفسيراتنا الراهنه للكون تكون خاضعه أما للمراجعة أو للإستبدال . ولذلك فهو يصف بأن علم نفس تركيبات الشخصية بأنها مجرد نظرية عابرة تُطرح فى ضوء التطورات الجديدة (1955) .

ليس من السهل أن نستفيد من الخبرة ، ولكن يمكننا تحقيق ذلك من خلال التفسير والتحليل النشط للأحداث التى نواجهها ، فالشخص الذى يستسلم للأحداث ولا يبحث عن تبرير لها أو تفسير لاسبابها لايضيف سوى القليل الى مخزون خبرته وتجاربه كلما مرت الأيام . " مثل مدير المدرسة الذى يمر بسنة واحدة من الخبرة يكررها ثلاث عشرة مرة " (1955) . مثل هؤلاء الأشخاص يخافون أن تأخذ المعلومات الجديدة بتراكيبهم الشخصية وتهبط بهم الى مستوى متدنى وأن يتعثر طريقهم فى الحياة ، ولذلك فهم

يفضلون التعلق بما هو أكيد وثابت لديهم ، ويأخذون شكلا يدل على العجز عن التصرف ، والسلبية ، ومثال ذلك الطالب الذى يرفض التحقق من أسباب حصوله على درجات منخفضة فى الامتحان ، والتصلب من قبل الوالدين الذين يصران على أن طفلهما نموذج يحتذى للأدب والطهارة على الرغم من وجود أدله حقيقيه تدل على ماهو عكس ذلك. ويعرف كيلى العدائية hostility بأنها ذلك الجهد المستمر لانتزاع دليل لصالح أو لحساب التنبؤات الإجتماعية التى ثبت بالفعل أنها فاشلة ؛ ويعطى مثال على ذلك بالأم التى تحاول أن تجعل سلوك طفلها مطابق لتوقعاتها غير الواقعية بدلاً من أن تُعيد توجيه هذا السلوك فى ضوء الخبرة والتجربة ، مثل هذا السلوك يُعد عدائية من قبل الأم بصرف النظر عن مقدار الانتباه أو الهدايا التى ربما تمده بها. علاوة على ذلك ، وكما فى أى علم أخر. فإنه من الممكن تصميم اختبارات تجريبية للتحقق من التركيبات الشخصية التى أعطت استنتاجات وهمية أو مشكوك فيها ، فالفرد الذى يحلل سلوك جاره على أنه سلوك عدائى ربما يختبر هذا الاعتقاد من خلال بناء سياج أو سور يتجاوز ملكيته ، وهو ما قد يثير غضب هذا الجار ، ويتأكد من تركيب الشخصية العدائى لديه ، وقد يقرر شخص ما أن جاره العدائى هذا تواق دائماً لأن يعرف كل شيء عنه (فضولى) ويسخر مما يصيبه من بلاء او مصائب ، ولذلك فقد يفسر عبارات الترحيب مثل أهلاً - كيف حالك كدليل على مثل هذا الميل المرضى نحوه . .

وعلى أية حال : فإن الفرد المتوافق جيداً يكون أكثر فعالية فى المشاركة والمساهمة فى أحداث الحياة ، ليستخلص المتشابهات والاختلافات من التجارب المتكررة ، ويختبر التركيبات الشخصية فى مقابل الواقع ، ويحصل على البراهين والأدلة (أو عكسها) فيما يتعلق بدقة توقع الأحداث ، وتعديلها أو تنقيحها بصورة ملائمة أكثر أو أقل حتى يفهم العالم من خلال سلسلة من التقديرات التقريبية الناجحة ، وغالباً ما يأخذ هذا التتابع شكل الدوره P.C. Cycle. : أى يعبر عن الموقف بأساليب مختلفة وعديدة بحذر أو حرص Circumspection ، محددا تركيباً وحيداً للتعامل مع القضية التى بصددها يكون لهذا التركيب الأولوية Preemption وينتقى أحد قطبى التركيب الذى يعدُه بتحسن وتطور فى توقعاته لأى ضبط أو اختيار Control or choice وعلى سبيل المثال فإن طالب الجامعة الذى أجاب بطريقه سيئه فى الامتحان ربما يقترب فى البداية من المشكلة بحرص وحذر وهو هنا ربما يكون كفؤ (أو غير كفؤ) ، وربما يكون أستاذ المادة التى أدى فيها بشكل سيئ عادل (أو غير عادل) ، كما أن استراتيجية الإجابة على الأسئلة

السهلة ربما تكون مناسبة (أو غير مناسبه) وهكذا . ينحصر التركيز ويضيق الى تركيب واحد حاسم يتفوق على كل التركيبات الأخرى ولنفترض أنه التركيب الأخير (إن إجابته على الأسئلة السهلة مناسبة أو غير مناسبة) وهنا سوف يختار الطالب أن يستشير الأستاذ فى أمثل طريقة يجب عليه الأخذ بها عند الإجابة على الأسئلة السهلة، وبناءاً عليه سيختار استراتيجية جديدة تكون أكثر ملائمة مثل كتابة مقالات طويلة وتتصف بالتجديد بدلاً من كتابة مقالات قصيرة وشكلية . إن توقع درجة مرتفعة فى الاختيار التالى والحصول عليها يدل على وجود دقه تنبؤية ذات درجة عاليه تم اكتسابها . ويعبر كيلى عن ذلك بقوله " يحاول العالم الجيد أن يستدعى تركيباته العقلية، وأن يختبرها بسرعة كلما أمكنه ذلك ، ويعد هذا الاختبار الممتد والدقيق للتركيبات العقلية هو أحد ملامح الطريقة التجريبية فى العالم الحديث، وهو ما يتميز به أى شخص يقظ " (kelly, 1970) .

٨- نتيجة (لازمة) التغيير Modulation Corollary :

" التباين فى نظام التركيب الشخصى محدود بنفاذية هذا التركيب خلال المدى الملائم الذى تقع فى إطاره هذه المتغيرات" (1955) . فبعض التراكيب الشخصية أقل إستعداداً للسماح لعناصر جديدة أن تتلائم مع مدادها أو نطاقها (أقل نفاذيه Less permeoble) من غيرها، لذلك تحدد الامتداد الذى يمكن عنده مراجعة النظام فى ضوء الخبره ، ولتوضيح ذلك : فإن الطبيعى مقابل الخارق للعادة سوف يكون تركيب قابل للنفاذية لأى معتقد يمكن ان يدرك على الاقل ان بعض احداثه خارقة للعادة، ولكنها لن تكون نفاذه لدى شخص آخر يعتقد أن عصر المعجزات قد انقضى . تركيب اخر مثل الحساسيه مقابل عدم الحساسيه سوف يكون أقل نفاذيه إذا طبق فقط على النساء ، ولكنه سيكون أكثر نفاذية إذا طُبق على كلا الجنسين ووافقوا على إحتمالية التركيب بهذه الطريقة

وعدم النفاذيه ليست دائماً غير مرغوبة ، فبالنسبة للتركيبات ضعيفة التصميم (كما فى حالة الضلالات الذهانية) ستكون فى الحقيقة مغلقة أمام أية غناصر جديدة، ولكن من المفضل عادة بالنسبة للتركيبات السامية أن تكون نفاذه الى حدما، ولذلك يمكنها بناء مداخل جديدة الى الحياة ربما تكون أكثر توافقاً . فمثلا إذا افترضا أن شخصا حديث السن صنف الناس مبدئياً الى مسيطرين أو خائفين، ولكنه يستنتج فى مرحلة متقدمه أنه من الأفضل أن يصنف الناس الى محترمين له أو مذدريين وقليلى الاحترام له . مثل هذا التغير الهام قد يكون ممكن أو محتمل لأن التركيب الأساسى هنا هو " النضج مقابل

الطفولة" وهذا التركيب نفاذ بصورة كافية مما يجعله يسمح بالنفاذيه للتركيب التابع أو الثانوى " الاحترام مقابل عدم الاحترام" كتركيب ناضج أو " السيطرة مقابل الخوف" كتركيب طفولى. " وهكذا يمكن ان تتغير الجوانب الثانويه أو التابعة من النظام التركيبى وتتنوع بشكل منطقى بدون أن يترتب على ذلك سقوط البناء السيكولوجى ككل على رؤسهم" (1955). وعلى العكس من ذلك : اذا كان التركيب " النضج مقابل الطفولة" غير منفذ الى حد ما أو غير مُنفذ نسبياً فإن التركيبات الأخرى مثل " الاحترام مقابل عدم الاحترام" ، " والسيطره مقابل الخوف" ربما تُستبعد لأنها غير مرتبطه او وثيقه الصله بالتركيب، والآن سوف يدرك الفرد انه لاتوجد علاقه بين النضج وتصنيف الناس الاخرين بطرق اخرى، ويعد اللجوء الى " التصرف بطريقة نامية" أمراً غير ذات معنى وسوف تستمر " السيطرة مقابل الخوف" هى التركيب الذى ينظر من خلاله للآخرين.

٩- نتيجة (لازمة) الإنشاطرية (التجزؤ) Fragmentation Corollary

" ربما يستطيع الشخص توظيف المكونات القانوية المختلفه للنظام البنائى والتى تكون غير متطابقه مع بعضها البعض" (Kelly, 1955) . فمن أجل السماح للجوانب اللامنطقيه من السلوك الإنسانى ، يفرض كيلى ان النظم الثانوية المتناقضة من البناء التركيبى ربما تُستخدم فى أوقات مختلفه من قبل الفرد، فالشخص الذى يصنف عادة فى فئة التسامح تحت الخير، ربما لايلجأ الى العنف كاستثناء ليقوم بعمل جبان لان الجبن يحدث متضمناً تحت الكراهية وفى الأغلب الاعم تكون توقعاتنا نمطاً متسقاً وثابتاً " فالشخص يستطيع أن يتسامح ولكن ليس على الدوام" .

١٠- نتيجة (لازمة) العمومية (الشيوع) Commonality Corollary

" بالقدر الذى يوظف فيه شخص ما بناؤه التركيبى من الخبره بشكل مماثل لتوظيفها من قبل شخص اخر بقدر ما تتماثل عملياته السيكولوجية مع هذا الشخص" (Kelly, 1970) . كما رأينا سابقاً فإن لازمة التفرد تستبعد احتمالية تشابه الناس أحيانا فى تفسيرها للأحداث بطرق متماثله، مثل هذه العمومية المطلقه تعد أمراً غير عادى، فالأشخاص الذين ينحدرون من ثقافة واحده تكون تنبؤاتهم اكثر اتفاقاً عما لو كانوا ينحدرون من ثقافات مختلفه، ولكن لأن هناك دائما طرق بديله لتفسير العالم من حولنا فإننا نعد سجناء لمجتمعنا اكثر من حياتنا الخاصة " فى حالة تماثل تفسيرات الاحداث نجد ان القاعده هى تماثل السلوك بصرف النظر عن نوع أو هوية الاحداث ذاتها، فقد

يستطيع الافراد ان يجدوا مصادر رزقهم لدى الآخرين المجاورين لهم ولكن فى عالم أو مجال مختلف تماماً" .

١١- نتيجة (لازمة) الاجتماعية Sociality Corollary

" بالقدر الذى يفسر به شخص ما العمليات التركيبيه لشخص آخر بقدر ما يلعب من دور فى العمليات الاجتماعية للشخص الآخر " (kelly, 1955) لكى نتوقع ونرتبط جيداً بالاخرين، فانه من الضرورى فهم الطرق التى يستخدمونها فى تفسير العالم " فالفرد الذى يلعب دوراً تركيبياً فى العمليات الإجتماعية مع شخص آخر لايحتاج فقط الى الإكثار من تفسير الأشياء التى يفعلها الشخص الآخر ولكن يحتاج ايضاً ان يترجم بفاعلية نظرات الشخص الآخر إليه" (1955)، ففى الطريق السريع المزدحم على سبيل المثال ننصح بتفسير الطريقة التى يفهم بها الآخرون مهمة القيادة ونتوقع الفعل الذى قد يسلكه الفرد المتهور، ولكن يجب الا نربط بنائياً بين الطريق السريع والقيادة المتهوره . إن التفاعل بين الزوج والزوجة ، وبين المسترشد والمعالج النفسى يتطلب تغيير وجهة نظر أحدهما تجاه الآخر ، ولكن فى إطار النموذج المتشابك Spiraliform model ، وهو نموذج معقد " ان يتوقع جيمس ما سوف يفعله جون، ويتوقع جيمس ما يفكر فيه جون ناحيته، بالاضافه لذلك يتوقع جيمس ما يعتقده جون عنه وما يتنبأ به من سلوك وما سوف يقوم به جيمس ذاته وهكذا. . . ولتسهيل هذه المهمة الضرورية والصعبه فى الوقت ذاته يوصى كيلى ان نلعب ما نفهمه من ادوار عن طيب خاطر :

" الدور role عملية سيكولوجية ترتكز على تفسيرات لاعبى الدور لجوانب فى التركيب البنائى لهؤلاء الذين يحاول الفرد الاقتران بهم فى مشروع اجتماعى ، عندما يلعب الفرد دوراً ما ، فإنه يسلك طبقاً لما يعتقده عن تفكير الشخص الاخر، وليس فقط وفقاً لما يظهره من موافقه أو عدم موافقه، ويضع نفسه بشكل مؤقت فى مكان الشخص الآخر (Kelly, 1970a) .

تلك الادوار بمثابة عمليات سيكولوجية ينتج عنها انماط محدده من السلوك ، وهى تتحدد بواسطة التراكيب البنائية للأشخاص الذين نقترن بهم اجتماعياً ، اكثر من كونها تتحدد فى ضوء القواعد الاجتماعية للسلوك . وهذه الادوار لاتحتاج بالضرورة ان نرد المجاملة بمثلها أو حتى بما هو قريب منها . كما يحدث مع شخص يطلب يد إمرأة للزواج فترفضه ثم يستمر فى تفسير حبه لها على انه نزعه مفضله لديه أو شيئ لاينساه ويسلك بناءاً

على ذلك ، ولكنهم لايتبادلون المنفعه مع بعضهما على الدوام لأن نمط السلوك ربما يكون قد أسس على التعاون مع شخص آخر ، وأيا كان فإن الشخص الذى يستطيع ان يلعب ادواراً مختلفه (زوج - ولد - صديق - قائد . . . . وغيرها) يكون اكثر فعالية فى تطوير علاقاته مع الآخرين .

ثانياً : الأولوية والمبادرة ، التجمع العنقودى ، والافتراضيه كتركيبات فى الشخصية :
Preemptive, Constellatory & Propositional Constructs

بالإضافة الى قضية القدرة على النفاذيه ، فان التباين فى اى نظام بنائى يتحدد بالعلاقة بين التراكيب المختلفه ، فبعض التركيبات تمنع عناصرها من الانتماء الى اى مجال ملائم آخر ، كما يحدث فى المجادلات النقديه - التى يعتبرها التحليل النفسى مجرد تفكير تخيلى ليس إلا - فهى ايضاً ليست ذات قيمه محتمله أو احياناً تسهم فى اكتشافات فعالة ولكنها فقط مجرد خرافه آو خوف لاعقلانى من المجهول ، وهنا يكون البناء التركيبى : " الخرافى مقابل العلمى " يمكن ان تكون له المبادره أو الاولوية Preemptively - مع الأخذ فى الاعتبار نظرة التحليل النفسى التى جعلت أية مراجعات فى هذا العنصر صعبه للغاية (Kelly, 1955) وبعضها كالتصلب يعد تركيب عنقودى حيث يحدد الأساليب التى من خلالها تستخدم التركيبات الأخرى عناصرها . فالأنماط الفرعية تعد توضيحاً شائعاً لذلك ، كما يحدث مع الأشخاص المتعصبين الذين يستنتجون أن كل الزنوج اغبياء وقذرين مثلاً . فقد صنف العنصر هنا طبقاً للتركيب العنقودى " زنجى مقابل قوقازى " وهو ما ينتمى بعضويته فى نطاق تركيبات أخرى (غبى مقابل ذكى) أو " قذر مقابل نظيف " وكلا التركيبين الاخيرين يتم تحديدها مباشرة .

ويوجد مدخل آخر يدل على وجهة نظر عقليه أكثر تفتحاً وتتمثل فى التركيب الافتراضى Propositional للشخصية ، وهو التركيب الذى لايُوجد أو يوفر سبيل أو وسيله محدده لدى التركيبات الأخرى لكى تستخدم عناصرها . فالشخص الذى يستخدم التركيب " يهودى مقابل غير يهودى " قد يترك احتمال مفتوح بأن العنصر الذى يعبر عنه كيهودى ربما يكون بخيل أو غير بخيل ، رحيم أو قاسى ودود أو غير ودود . . . وهكذا ، بدلاً من النظر لهذه القضايا على نحو اعتباطى يتحدد من خلال صفه واحد منسوبه لليهود . " ويمثل التركيب الافتراضى أحد نهايات خط متصل ، فى حين تمثل تركيبات الأولوية والتجمع العنقودى النهاية الثانية للخط " (1955) . وللأخيرين (الأولويه

والتجمع العنقودى) بعض الأهمية الايجابية على سبيل المثال ما يحدث فى مرحلة المبادأة فى دورة .C.P.C ، ولكن فى النهاية يجب ان يتم إنجاز الافتراضية فى النظام التركيبى للشخص لكى يكون مفتوحاً وقابلاً للتغيير .

ثالثاً: تركيب الذات ، ودور اللب أو الجزء المركزى .Self-Construct and Core Rele

فى رأى كيلى : يوجد فعلياً تركيب شخصى واحد فى كل نظام وهو " الذت مقابل الآخرين" ومن جهة أخرى فإن هذا التركيب الذاتى يكون تابعاً أو ثانوياً بطرق وبأساليب مختلفه، فشخص ما ربما يضع ذاته تحت صفات " الود" ، "الحذر" ، ويتصرف بناءاً على ذلك ، بينما يصنف أخر ذاته تحت صفه " الذكاء" ويصنف ثالث ذاته تحت صفه " الحماقه أو الغباء" او يتوقع أن يكون أكثر مهارة من معظم الناس (وحيث أنه ليس من الضرورى أن نعبر عن انفسنا كما يفعل الاخرون ذلك فقد يصف شخص اخر ذلك الشخص الأخير " الأحمق أو الغبى" بطريقة أخرى ويرى أن أفضل وصف له هو أنه مغرور Conceited) . ويستثنى تركيب الذات من مجالات الوسائل المناسبه ولذلك تبدو غير مرتبطه بالموضوع، وعلى الرغم من ان هذه التركيبات تبدو غير مترابطة بصورة واضحة إلا انه يجب أن تشتمل على بعض التضمينات الشخصية لانها تعتبر من خلق الفرد وإبداعه . " فلا أحد يستطيع ان يدعى أن شخص ما هو إبن غير شرعى لوالده بدون أن يقيم الدليل على ذلك، وبدون ان يزيف ابعاد حياته ايضاً ، ويرتب عالمه فى ضوء هذه الابعاد" (Kelly, 1955) .

وعندما تكون الذات تابعة أو فى مرتبه ثانوية للتركيبات العقلية التى تركز أساساً على التفاعل المتبادل مع الاخرين، هنا يشار للنظام الثانوى الناتج على أنه الدور المركزى أو المحورى Core role . وعلى سبيل المثال فإن الدور المركزى للأطفال يتضمن علاقتهم مع الوالدين وأعضاء أسرتهم، وبعض النساء يصنفن ذاتهن تحت وصف الأم المربيه أو الراعية ، ويكرسن أنفسهن لخدمة أطفالهن فى حين تفضل اخريات وضع عنصر الذات لديهن تحت وصف المهنية التى تسعى للحصول على مهنة أو وظيفة وتصبح منزعجه بصوره واضحة لأى تضمين يتوقعوه ليعبرن عن ادوارهن المركزية بمفهوم او مصطلح الأمومة . ولكن أياً كانت الصورة ، فان الدور المركزى يمد الفرد بفهم أعمق ويحافظ له على إحساسه بأنه كائن إجتماعى (1955) .

وسوف يؤدى أى تغير وشيك او متوقع فى الدور المركزى لتركيبات الذات الى وجود مؤشرات واضحة من الاختلال مثل الشعور بالذنب Guilt الذى يحدث عندما تدرك الذات انسحابها من الدور المركزى لها. فى حين أن التهديد Threat فقد تستثيره تلك التغيرات الظاهرة والواسعة التى تحدث فى التركيبات المحورية. ولتوضيح ذلك : فالأم التى كرست حياتها لخدمة اطفالها سوف تشعر بالذنب عندما يبدأ اولادها فى الاستعداد للزواج وترك منزل الأسرة لان ذلك يفقدها دورها المركزى ، كما أن الطفل الذى يستنتج أن ذاته لن تبقى طويلاً تابعة للوالدين وربما بسبب العقاب يعبر عن ذلك كشخص مرفوض وسوف يتساءل عن دوره المركزى ويمر بخبره الشعور بالذنب. فى حين أن طفل اخر يضع ذاته تحت صفه القسوه Cruel ويتصرف طبقاً لذلك ، مثل هذا الطفل لن يشعر بالذنب حتى لو اتهم بأنه انانى، لان هذا التقييم يتفق تماماًوتركيب الدور المركزى لديه . والعملاء الذين يلتحقون بالعلاج النفسى من المحتمل ان يكونوا مهددين لتوقعهم حدوث تعديل شامل فى تركيبة الدور المركزى لديهم، ومن ثم فقد يشعرون بالذنب كذلك. اما اكثر التهديدات خطورة على الإطلاق فهى تلك التغيرات العميقة جداً فى نظام تركيب الذات لدى الفرد المهدد بشبح الموت الوشيك. (Kelly, 1955) .

بينما يتنج الشعور بالذنب والتهديد من تغيرات مدركه فى التركيب المحورى للفرد، فإن القلق يمثل عجزاً عن التنبؤ بالأحداث الهامة وتوقع المستقبل " فالشخص الذى يعانى من قلق شديد ذو نظام تكوينى أو تركيبى فاشل وقاصر عن أداء دوره، قد فقد صفاءه وهدوءه الذى يحصل عليه من مواقف فلسفيه يتم ترجمتها بسهولة الى مواقف حياتيه يومية، أنه شخص قادر على التوافق مع تغيرات الاحداث، ولكن لايوجد لديه مرشد يحمله على عملية التحول أو التغير أى انه يتغير ولايغير فى الأحداث (Kelly, 1955) . فالفشل فى الامتحان يعد تهديداً يوضح الحاجة إلى إعادة بناء أو تركيب القدرات الأساسية أو الجوهرية للفرد الراسب، وكذلك أهدافه المهنية ، ولكنه سيثير القلق اذا وقع الفشل فى جزء كبير منه خارج المدى الملائم للتركيب الشخصى فى النظام ، تاركا الفرد اكثر إضطراباً وعجزاً عن تفسير هذا الحدث ، يتوقع حدوث فعل صحيح، وهذا ما يحدث عندما يهمل أحد المصححين فى تقدير الدرجة الصحيحة لطالب يستحق النجاح فعلا. ويرى كيلى أن الأحداث التى تقع خارج إطار النظام التركيبى تكون غير مُدركه على الإطلاق ويفتقد الفرد أى وسيله لفهمها، مثل هذه الأحداث لاتخلق لديه أى نوع من

القلق. كما يرى أنه لامفر من وجود كم معين من القلق لدى أى فرد ويرجع ذلك الى الطبيعة غير الكاملة لاى نظام تكوينى .

رابعاً : قبل اللغة ، الحجب ، التعليق المؤقت :

Preverbality, Submergence, and Suspension:

على الرغم من أن كيلى يرفض مفهوم اللاشعور ، إلا انه يعتقد ان بعض التركيبات لاتصل الى الوعى أو الشعور بسهولة. ويرى ان التركيبات قبل اللفظية يعد من الصعب الى حد ما تحديدها لأن معظمهانشأ قبل استخدام اللغة ، ويفتقد الى قاعدة لفظيه ملائمة للتعبير عنها. وعلى سبيل المثال اذا كان التركيب الشخصى يتضمن " المساندة والمؤازرة مقابل عدم المسانده " قد تكون فى الطفولة المبكرة فربما يكون مفهوم بصورة غير واضحه على انه ميل او رغبه فى وجود الأم بدلاً من التحديد الواضح بعبارات لفظيه عن هذا التركيب . . وقد يكون أحد قطبى التركيب الشخصى أقل قابلية لادراكه من خلال الوعى عن القطب الآخر ، ويعرف كيلى هذه العملية بالحجب او الإخفاء لأنها تحتوى تضمنيات لاتحتمل ولا تطاق كالشخص الذى ينظر الى العدائية على أنها ذات احتماليه عاليه (سواء من ذاته أو من الآخرين)، ولكن من يفضل ان يتوقع أو يتعامل مع هذه الاحتماليه ربما يحجب القطب السابق من التركيبه " العدوانى مقابل اللطيف أو الهادى " ، ويستنتج ان القطب الأخير هو الذى يكون حقيقى فى كل فرد، وهكذا يكون الحجب أسلوب فى متناول الفرد لحفظ البناء التركيبى له من أن يكون محل اختبار (Kelly, 1955) . أما الاحتمالية الثالثة ان تستثنى عناصر معينة من الظهور فى الوعى وهو ما يعرف بالتعليق المؤقت لأن المراجعات التى تتم فى النظام التكوينى للفرد تستثنى تلك التراكيب التى يستطيع أصلاً ترجمتها أو تفسيرها ، ويحمل التعليق المؤقت بعض أوجه الشبه مع الكبت. فقد يدرس الفرد مواطن فشله بشكل مترو ليستنبط التركيبات التى تمكنه من استرداد وتذكر خبرات معينه ، ولكنها ستحدد بأن نتذكر ما هو تكوينى وتنسى ما هو غير تكوينى ، وليس تذكر ما هو سعيد وسار ونسيان ما هو غير سار .

ربما تخلق بعض التكوينات الشخصية انطباع بالعمليات اللاشعورية لانها غامضة بعض الشيء وتؤدى الى توقعات مختلفه وهو ما يعرف Loose وهو ما يشبه عمل

مخطط غير واضح كخطوة تمهيديه لتصميم يُعد بعناية، وعندما تثبت مثل هذه التراكيب وذلك لتوليد توقعات غير متنوعه يمكن ان تختبر بسهوله مكونه ما يسمى Tight . وقد ينشأ المظهر الخارجى أو الهيئة من انجذاب المادة من اعماق الشخصية الى الشعور، وبالمثل نفترض ان شخص يتصف بالإخلاص أو الوفاء لكن سوء التوجيه يجعل التركيب " السيطره مقابل التساهل " غير نفاذ لعنصر الأب ، ويعد الفشل هنا فى التعبير عن الوالدين مثل الكبت، فى حين أن زيادة نفاذية هذا التكوين ستزيد من عملية الاستبصار، ويرجع كيلى العمليات اللاشعورية فعليا الى قصور فى النظام التكوينى للفرد، فيقول : " لو لم يعبر العميل عن الأشياء بالأسلوب الذى يقوم به واضع النظرية، فسوف نفترض أنه عبر عنها ببعض الأساليب الأخرى، وليس حقيقه أنه يجب أن يعبر عنها بالطريقه التى نفعل بها ذلك دون ان يكون على وعى بها، ولو جاء فى النهاية ليعبر عنها بنفس أسلوبنا فإن ذلك يعد بناءاً أو تركيباً جديداً بالنسبة له ، وليس إظهار للتركيبات تحت الشعورية التى قمنا بمساعدته على احضارها الى الوعى أو الشعور. فمثلاً اذا اصبح العميل اليوم قادر على ادراك ما فى سلوكه من عدائية فى حين كان بالأمس غير قادر على ذلك، فإن ذلك لايعنى بالضرورة انه عدائى لاشعورياً باستمرار ، ولكنه اتى ليعبر عن سلوكه بعدائية (Kelly, 1955) .

كما حاول كيلى شرح ميكانزمات الدفاع من خلال مصطلحات علم نفس تركيبات الشخصية ، فلو صنفنا الذات تحت صفه تمثل قطب واحد من التركيب مثل " اللطيف أو الوقور " فسوف ينتج عن ذلك تنبؤات غير صحيحة بصورة متسقه مع تصنيفنا، ويصبح من الصعب أن نبدلها للقطب الاخر (العدوانى) اكثر من استنباط تركيب جديد أو نعرف النظام الهرمى للذات ، أنه ليس بالامر النادر أو الفريد ان يتم استبدال أو إحلال سلوكيات وتفسيرات شخص ما عن العالم من خلال تفسيرات وسلوكيات معاكسه تماماً مما يعطى انطباع ان رد الفعل العكسى قد أخذ موضعه فى السلوك. كما يحدث التوحد ليكيف الطفل تركيب الشخصية لديه مع مثيلتها لدى الوالدين وهو ما يمثل عناصر أساسية الى حد ما فى جهوده للتعبير عن البيئة . أما الإسقاط فيعد جانب أساسى متضمن فى نظرية كيلى، حيث يعرفه بأنه كل هدف خارجى يتم تعريفه من خلال تركيبات الفرد بدلا من تعريفه من خلال ما يتضمنه من خواص وصفات (Kelly, 1955) .

نمو الشخصية :

يرى كيلى أن التوجيه الزمنى أمر جوهرى وأساسى فى دراسة الشخصية - مثله فى ذلك مثل موراى - ويقول يجب النظر الى الحياة من منظور زمنى إذا أردنا أن يكون لها معنى، ومع ذلك فإن مناقشته لنمو الشخصية سطحى نسبياً - فهو يرى أن كل طفل ينظر الى والديه كضرورة لبقاءه من خلال البناء الاعتمادى dependency constructs الذى يربطه بهذه الظروف ، وبسبب أهميتهم يستطيع الوالدين ان يفسدا أو يُضعفا قدرة الطفل على توقع المستقبل عن طريق جعله يتصرف بطريقه مَرضيه : فالتدليل الزائد يعلم الطفل توقع اشباع كل حاجاته بشكل دائم ، كما ان الضغط الزائد الناتج عن العقاب يجعل الطفل يتصرف بطريقه متصلبه فى مواجهة التركيبات القليله المتشابهة بدلاً من تبنى طرقاً جديده فى التعامل مع البيئة . كما ان السلوكيات الشاذه والمتناقضه من قبل الوالدين (اى التى تتسم بالتذبذب وعدم الاتساق فى المعامله) تجعل من المستحيل تماماً توقع الطفل لما يقدم عليه من سلوك بشكل دقيق، وربما يكون لدى الوالدين خصائص من قبيل الافتقار الى الحكمة والتعقل مما يكسب الطفل اساليباً سلبيه فى التعامل كأن يكون الوالدين أو أحدهما كذاب أو مخادع أو غشاش . وتكون النتيجة لذلك تكون تركيبات بنائيه مماثله لهما وكذلك بالنسبة للتركيبات البنائية الثانوية - ورغم وجود مثل هذه المؤثرات اللاتوافقيه فإن نمو الشخصيه يتضح ، ويستطيع الطفل النامى تدريجيا جعل البناء الاعتمادى اكثر نفاذيه ولكن ذلك يحوله ضمن فئه الاشخاص المختلفين ، كما ان هذا البناء التركيبى يجعله اقل مباداه واكثر افتراضيه . وتدريجياً يتخلى الطفل عن تصوره لوالديه بانهما الأمثل والأقوى ويعادلهما مع الناس المحيطين به كأن يكونوا فى رأيه أقوياء أو ضعفاء ، متعاونين أو مؤذيين، مُراعين لمشاعر الآخرين أو غير مراعين وهكذا. . .

تطبيقات نظرية كيلى :

١- تفسير الأحلام :

ينظر كيلى للأحلام على انها بمثابة أدله محتمله تمكن من فهم الجوانب الاقل وضوحاً فى الشخصية ، تتضمن التكوينات الخفية وغير اللفظيه ، علاوة على ذلك فقد ذهب الى ان تفسير الأحلام يعد اسلوباً فنيا لقطع صله المسترشد بتكويناته التى اصبحت متصلبه وجافه، فالحلم قد يصف الوالد او الصديق بطريقه متناقضه وغريبه كأن يكون

عطوف وغير عطوف، مريح ومتعب ، سعيد وحزين، وهذه الصوره المضطربه للتكوين الشخصى تسمح للحالم ان يكتشف الطرق المختلفه لتصنيف الشخص الذى نحن بصدده. وبالمثل فإن الشخص الذى يتعامل مع الآخرين بطريقه غير وديه ربما يستيقظ ذات صباح على ذكريات جميله لحلم رومانسى ، وباستعراض ذلك للمعالج فيقوم بدوره فى تفسير التكوين الشخصى : الود مقابل عدم الود، ويحضر المكبوتات الخفيه الى الوعى أو الادراك . وبعد ذلك يستطيع الحالم تنظيم افكاره الجديده ويختبر مدى صحة تنبؤاته عما اذا كان محبوب او غير محبوب من الآخرين ، كما أن المسترشد الذى يحتاج الى تفسير تكوينات شخصيه معينه ولكن الحالم يجد صعوبه فى تذكر أى حلم ربما يُطلب منه الاحتفاظ بنوته وقلم بجوار سريره وكتابه أحلامه فى الحال بمجرد استيقاظه .

ونظراً لأن فك رموز الحلم هو اكثر الأشياء موضوعية فى سياق عمليه تفسير الأحلام، فالأحلام التى يمكن عرضها بوضوح مطلق ويصعب تفسيرها بطريقه ما قد تكون قيمتها العلاجية محدوده . (ويستثنى من ذلك ما يسميه كيلى بحلم المَعلم الميلى* Milepost dream وهو يتضمن احداث حيويه وهامة تعطى إشارة لخطورة سلوك معين)، ولقد إنتاب كيلى نظره شك الى أحلام الهبه gift dreams التى صممت لادخال السرور على نفس المعالج بما يتناسب مع توجهاته النظرية (اوديبى أو مهتم بالنموذج الأولى archetypal أو غير ذلك) مثل هذه الأحلام توضح أن التكوينات الشخصيه للمعالج قد فرضت قسراً على المريض على الأقل الى حدما ، وانه قد تم تحقيق تقدم محدود تجاه فهم المسترشد لنظامه الخاص (Kelly, 1955) .

على الرغم من أن الأحلام تكون لها دائماً قيمة وظيفية متعلقه بالنظام التكوينى الراهن للفرد، فانها ربما تكشف التكوينات قبل اللفظيه التى تبقى كامنه. أحد المسترشدين حلم بأنه يرقد أو يقيم فى كوخ منعزل عن اثنين من اصدقاؤه المقربين، وانه مكبل بنوع ما من الشباك . لقد تم تفسير الحلم بأنه مرفوض من المرأه التى احبها، ونظراً لأنه فقد دور المحب لها انتابه شعور بالذنب ويعانى من صعوبة التعبير اللفظى عن ذلك والتوحد مع الحدث بسبب التركيب أو التكوين قبل اللفظى ، وان ذلك يلقى الضوء على أحد أساليبه الدفاعية وهو استخدام الرفض كأسلوب لتجنب الأذى من الأخرين (1955) .

---

* نسبة الى معالم ثابته تكون المسافة بينها ميل واحد (مسافة ثلنية) .

٢- الأمراض النفسية والعقلية :

على النقيض من الشخص السوى نفسياً الذى يختبر بسهوله دقه تنبؤاته فيما يتعلق بتكويناته الشخصية ويقوم بعمل مراجعات مناسبة عندما يستلزم الأمر ذلك، فإن الفرد المريض نفسياً يشبه العالم أو الباحث غير الكفؤ الذى يظل متشبثا بشده بفروض غير منطقيه. فهو يتوقع انه ربما لايستمتع بما يحققه من نجاح ، ولايكون من السهل عليه ان يكون صداقات او علاقات حب، وتتحول مثل هذه التوقعات غير الدقيقة الى عبئ يصعب عليه إطاقته على مدار حياته اليومية ومطلب شبه مستحيل. " من وجهة نظر علم نفس تكوينات الشخصية، ربما نعرف الاضطراب أو الاختلال بانه اى تكوينات شخصية من ذلك النوع الذى يُستخدم بشكل متكرر على الرغم من عدم صدقها أو موضوعيتها" .

اسباب المرض النفسى :

طبقاً لقاعدة التكوين الاختيارى ، طبق كيلى المدخل التاريخى على الاضطراب النفسى، حيث ادخل العصاب والذهان فى النظام التكوينى الذى اصبح الآن مختل او معيب بشكل ما. والذى كان فيما مضى ذو أهمية الى الحد الذى يساعدعلى شرح الطرق الحالية للمسترشد فى التعامل مع البيئة . انه من الممكن نظرياً فهم شخصية الراشد فى ضوء طفولته ، ولكن من غير المحتمل ان تسمح تركيبات الإحداثى الرأس (الرئيسية) غير المنفذه Impermeable بأية تغيرات غير مقبولة . (1955) .

بعض التكوينات الشخصية يتولد عنها بشكل ثابت توقعات غير صحيحة بسبب فشلها فى مواجهة الحد الأدنى من المتطلبات اللازمة لتحديد الطريقة التى بها تجعل عنصرين على الاقل يتشابهان مع بعضهما ويختلفان عن عنصر ثالث، وعلى سبيل المثال، فإن الشخص الذى ينسحب من مواقف عدائيه مهدده ويخفى عدوانيته بل ويغلف سلوكه بطابع غير عدوانى ويفرض ان كل شخص يكون وديع أو مهذب، من المؤكد انه سيكون لديه العديد من التوقعات الخاطئه . وبالتالى فإنه من المحتمل ان يكون تركيبات بنائيه شخصية ربما تفشل فى تحقيق التوقع الصحيح لأنها ايضا غير مُنفذه تماماً ، أو محكمة الإغلاق tight ، أو غير محكمة الربط Loose ، او لديها حق الشفعه. Preemptive وغيرها. . . وهكذا يكون الشخص تركيبات تتضمن كل من المرغوب فيه مقابل المرغوب عنه ، وعلى ذلك فعدم النفاذيه لاعضاء من الجنس الآخر لاتتضمن استعداد لتقبل عنصر جديد منهم تجعل كل توقع للوقوع فى الحب يكون مصيره الفشل، أو شخص آخر ربما

يتميز بناءه الذاتى Self-Construct بالنفاذية المطلقه مما يقوده الى الضلالات أو الهذاءات والتى تؤدى بدورها لجعل العديد من الاحداث غير المرغوبه لها دلالة شخصيه، ويستمد عصاب الوسواس القهرى المتسلط وجوده من بناء تركيبى محكم الانغلاق يؤدى الى توقعات جامدة وتافهه (كأن يعتقد شخص ما انه لكى يتحقق النجاح يجب ارتداء رابطه عنق حمراء كل يوم). اما الشخص الذهانى فقد اخترع تكوينات شخصيه غريبه وشاذه غير محكمه الربط فيما بينها على الاطلاق، ويبدو فعلياً وكأنه قادر على توقع أى شيئ . كل مثل هذه الحالات المرضيه تحدث لان التكوينات الشخصية تعجز تماماً عن اتمام توقعاتها إزاء المستقبل بموضوعية . وهذا العجز يثير اكثر الاعراض الاكلينيكية شيوعاً ألا وهو القلق (Kelly, 1955) .

ضروب أو صور الإضطرابات النفسية :

يتفق كيلى مع اريكسون فى رفضه للقوائم التشخيصيه محذراً من أن المسترشد قد يتقبل هذا التركيب أو التصنيف القانونى ويتبنى كل الاعراض المناظره ، وبدلاً من ذلك - ومع أى دور يتعين على الإخصائين الإكلينيكين ان يحاولوا بفعالية تفسير التكوينات الجزئيه التى يستخدمها كل مريض أو عميل، كما ينتقد كيلى التصنيف الشائع ثلاثى الاقسام : العادى ، العصابى ، الذهانى مفضلاً تحديدتصنيف ثنائى : (مثل العادى مقابل المرضى) نظراً لاحتمالية ان يسلك المريض بطرق مماثله لكل من العصابى والذهانى (1955) .

٣- العلاج النفسى :

أ - الأساس النظرى : هدف العلاج النفسى عند كيلى هو تزويد العميل أوالمسترشد بإطار يساعده على التصرف بحيويه وان يجرب تكوينات شخصيه جديده ، والهروب من دائرة الإهمال ، وإعادة بناء النظام بطرق تؤدى الى مزيد من التوقع الصحيح للمستقبل، مثل هذه التغيرات الفعاله تتطلب بذل جهوداً تم التخطيط لها جيداً والتعرض للحد الادنى من التهديد أثناء تنفيذها، ويفضل كيلى استخدام لفظ العميل " Client " بدلاً من لفظ المريض patient لكونه يتضمن معنى السلبية ، كما يرى ان قمة الموضوعية فى عملية العلاج النفسى هى " إعادة البناء السيكولوجى لحياة العميل " فالناس تغير الأشياء بعد أن تغير أنفسها أولاً . ويتمون أو ينجزون أغراضهم إذا دفعوا بداية ثمن تغيير انفسهم، بدلاً من الاستسلام المرضى والتنفيذ المطلق بلا مناقشة أو اعتراض لمناورات المعالج .

وكما رأينا فإن التكوينات الشخصية للافراد تتباين مع الأخذ فى الاعتبار التنظيم الهرمى لهذه التكوينات، الأقطاب Poles ، معدل الملائمة، النفاذيه ، الإحكام وعدم الإحكام . . . وغيرها. ولذلك يجب على المعالج ان يحتكم الى اسلوب أو طريقة العقل المفتوح، والتجريب مع وضع فروض عن وجهة نظر العميل وطريقته الخاصة فى النظر الى العالم. مستخدماً تكوينات افتراضيه لها خاصية النفاذيه تسمح بتطبيق الاحتمالات العلاجية المختلفه بدلاً من الاعتماد على اسلوب واحد (مثل القول ان هذا الاختلال يحدث فقط بسبب عقده اوديب وصراعات الطفوله). كما يتبنى كيلى ما يسمى بالاتجاه الساذج Credulous attitude عن طريق تقبل واكتشاف المعنى الذى يكمن خلف ما يفعله العميل، فالعلاج هو نوع من بناء خبرة العميل وليس تلاحم أو مصافحة بين يدى العميل والمعالج عبر المنضده" (1955) اى انه نشاط ذهنى من كل من المعالج والعميل وليس فقط مجرد تقبل وسلبية من قبل احدهما. فكل من المعالج والعميل ينخرطان فى اختبار مجموعة متنوعة من الفروض كما ان العلاج النفسى ينظر الى العميل كعالم وليس حالة مرضيه خاصة يقع عليها نوع معين من التطبيق .

ب - الإجراءات العلاجية : يجرى كيلى عملية العلاج النفسى فى جلسات تستغرق الواحده منها ٤٥ دقيقة مع عدد من المهام الأسبوعية التى تعتمد على طبيعة وشدة مشكلة العميل. ويشارك كيلى سوليفان رؤيته حول ضرورة جلوس العميل على مقعد مريح على يمين المعالج يسمح بملاحظة التنوع فى الأوضاع الجسمية بسهوله، كما يتيح امكانية الإلتقاء أو تجنب التقاء الوجهين، كما انه يتقبل وجهة نظر فرويد من انه يجب على العملاء تجنب التغيرات الحياتيه الأساسيه كالزواج أو الحصول على وظيفة حتى يتم العلاج. ولكنه يختلف عنهما فى موافقته على أخذ ملاحظات مكتوبه أو يفضل استخدام اشرطة كاسيت كعامل مساعد لذاكرة المعالج. وحيث ان العلاج يجب ان يتعامل مع تكوينات العميل، فإن على المعالج ان يكتشف هذه التكوينات أولاً .

وللحصول على بعض المؤشرات المبدئية عن التكوينات أو التصورات الشخصية للعميل ومشكلاته النفسية صمم كيلى مقياساً سمى اختبار Role Construct Repertory Test (Rep.test) . " وهذا الاختبار من الناحية المنهجية ما هو إلا اختبار على شاكله اختبارات تكوين المفاهيم الذى وضعه فيجوتسكى Vigotsky ، ولكنه بدلاً من أن يطلب من المفحوص تصنيف الاشكال يطلب منه تصنيف الناس.

والخطوه الأولى فى تطبيق المقياس ان يطلب المعالج من العميل ان يقوم بذكر أو سرد أسماء الأشخاص ذوى الأهمية فى حياته طبقا للقائمة التى يحتويها الجزء الأول، ثم يقوم بتجميع هذه الاسماء فى مجموعات ثلاثيه (اى تضم كل مجموعة ثلاثة أسماء) تحت ما يسمى بعناوين الدور role Titles فقد تضم مجموعة مثلاً الاب والأخ والزوج وثانيه تشمل المدرس المفضل، والخطيبه الحاليه والسابقه وأخرى تشمل الاب ورئيس العمل وزميل فى العمل وهكذا. ثم يطلب من العميل أن يوضح اى اثنين من كل مجموعة يتشابهان مع بعضهما ويختلفان عن الثالث وما هى أوجه التشابه بينهما وأوجه الاختلاف عن الشخص الثالث وعلى سبيل المثال قد يذكر العميل ان مدرسه الذى يُفضله ، وخطيبته الحاليه يتسمون بالود فى حين ان خطيبته السابقه ليست كذلك، ويستدل من ذلك على ان العميل ينظر الى " الود" كأحد الجوانب الهامه فى بناءه الشخصى الذى يستند اليه فى تفسير علاقته مع الآخرين (اى تصور الدور)، ولمعرفة المحاور الأخرى على نفس النسق يتم اعداد زقه إجابة تشتمل على ثلاث خانات الأولى يوضع فيها اسماء الاشخاص الثلاثه وصفاتهم وأوجه التشابه والاختلاف بينهما تحت عنوان " افكار العميل" والثانية توضع فيها الصفه أو الإحداثى الذى يحدد علاقة العميل بهذه المجموعة، تحت عنوان " التصور أو التركيب" والثالثة توضح فيها الصفه المقابله أو المخالفه للصفه السابقةتحت عنوان " المغاير "Contrast ، وفيما يلى عرض وصفى لهذا الاختبار :-

اختبار حصيلة تصورات الدور (Rep Test)

" الصورة الجماعية "

الجزء الأول : قائمة عنوان الدور :

يُطلب من العميل ان يعطى أسماء الأشخاص الذين توضحهم القائمة التالية على ألا يستخدم الأسم لأكثر من مره، فإذا لم يكن لدى العميل أخ أو اخت أو لايستطيع تذكر شخص بعينه، يمكنه تذكر الشخص الأكثر تماثلاً معه كبديل عنه (مع ملاحظة ان بعض النُسخ الأخرى من الاختبار تتضمن قوائم أطول،تتضمن أسماء الجيران، شركاء العمل. . . وغيرهم).

١- الأب .

٢- الأم .

٣- الأخ الأقرب الى العميل سناً .

٤- الأخت الأقرب الى العميل سناً .

٥- المدرس الذى يحبه العميل .

٦- المدرس الذى لايحبه العميل .

٧- خطيبتك السابقه (أو أخرهم اذا كانوا اكثر من واحدة).

٨- زوجتك (أو زوجك) أو خطيبتك الحالية .

٩- رئيسك فى العمل .

١٠- شخص لاتحبه لك ارتباط به .

١١- شخص قابلته خلال الشهور الستة الماضيه وتحب ان تعرفه اكثر .

١٢- شخص تشعر بالأسف نحوه وتحب أكثر أن تساعده .

١٣- اكثر الأشخاص ذكاءً يعرفه العميل.

١٤- اكثر الأشخاص نجاحا يعرفه العميل .

١٥- اكثر الأشخاص تنشغل به .

الجزء الثانى : فرز أو تصنيف التصور :

فى كل مما يلى خمسة عشر مجموعة ثلاثيه من الأسماء يصنفها العميل من الأسماء السابقه بحيث يضع فى كل مجموعة اثنان يتشابهان فى صفه بينما يختلف عنهما الثالث فيها .

التصنيف	عنوان الدور	التصنيف	عنوان الدور
١	١٠- ١١- ١٢	٩	١- ٤- ٧
٢	٦- ١٣- ١٤	١٠	٣- ٥- ١٣
٣	٦- ٩- ١٢	١١	٨- ١٢- ١٤
٤	٣- ١٤- ١٥	١٢	٤- ٥- ١٥
٥	٤- ١١- ١٣	١٣	١- ٢- ٨
٦	٢- ٩- ١٠	١٤	٢- ٣- ٧
٧	٥- ٧- ٨	١٥	١- ٦- ١٠
٨	٩- ١١- ١٥		

وعلى سبيل المثال اذا كان المدرس الذى يحبه العميل هو أحمد، وخطيبته السابقه " ساره " وخطيبته الحاليه " مها " فإن التصنيف رقم (٧) يكون

افكار العميل	التصور	التغاير
كل من احمد ومها ودودين بينما ساره ليست كذلك	ودود	كثرة النقد

مع ملاحظة ان التصنيف يمكن ان يستخدم هذه الأسماء الثلاثة فى تصورات أخرى أو يستخدم أسماء ثلاثة أخرى لنفس التصنيف .

ويطبق الاختبار فى الأصل بشكل فردى ، ويوضع كل عنوان للدور فى بطاقه مستقلة تصنف وتحدد بواسطة العميل، كما يمكن تطبيق الاختبار بشكل جماعى ولكن التحليل الكامل للنتائج يكون معقد .

وبالإضافه الى اختبار حصيله تصور الدور يفضل كيلى استخدام التقارير الذاتية الأكثر بساطه والتى تتصف بكونها مباشره فيقول " إن اكثر الوسائل الإكلينيكيه فائده للمعالج هى

السؤال المكون من أربعة كلمات والموجه مباشرة الى العميل مثل ما الذى تشعر به How do you Fell . كما ان هناك قاعدة ذهبية مماثله يقدمها كيلى للإحصائيين الاكلينيكين النفسيين وهى اذا لم تعرف ما الذى يشكو منه العميل، إسأله فربما يخبرك (1955) . كما يطلب كيلى من العميل ان يقدم وصفاً لخصائصه الشخصيه معبراً بكلمات ملائمة كما لو كان يكتبها صديق حميم ومتعاطف له . ويرى ان المعلومات المأخوذه بهذا الأسلوب ملائمه للاستخدام فى أسلوبه العلاجى والمعروف بالعلاج ذو الدور الثابت Fixed Role therapy ، حيث يكون من المهم ان يبتكر المعالج دوراً تكوينياً للمريض يساعده على الانخراط فى الحياة اليومية ، وعلى سبيل المثال قد يظهر أحد المرضى عند وصفه لخصائصه الذاتية عدم القدرة الواضحة على فهم أو تفسير سلوك الأخرين بدقه . وهنا يطلب المعالج من المريض ان يقضى أسبوعين يتصرف خلالهما ويفكر ويتحدث ويعيش على طريقة كينث نورتون Kenmeth Norton وهو شخصيه افتراضيه خياليه وصفت فى اربعة مقطوعات مكتوبه (براجرافات) بعنايه ويمتلك وسيلة فعاله لادراك وجهة نظر ومشاعر الأخرين .

ويسمح العلاج ذو الدور الثابت للمريض بأن يجرب سلوكيات وتكوينات جديده متطرفه (راديكالية) عن طريق التظاهر بكونه شخص آخر، وهذا الامر يشبه محاولة ارتداء بدلة جديدة يمكن خلعها اذا كانت غير ملائمة المقاس ولكنه عمل له أهمية بالنسبة لكل من المعالج والمريض وإن كانت مناسبة لحالة واحده فقط من كل حوالى خمسة عشر حالة . والأكثر شيوعاً من ذلك أن المعالجين المستخدمين لطريقة كيلى يساعدون على إعادة تركيب أو بناء نظام العميل بطريقة أخرى مثل تحرير المكونات الجامده من خلال التداعى الحر واسترجاع الأحلام ، ومثل تقييد الافكار الهائمة (كالافكار الوسواسيه والمخاوف المرضية) بأن يطلب من المريض ان يحددها بشكل اكثر وضوحاً وان يقدم أمثله تدعيمية لها .

وهذا الأسلوب يشبه التصحيح الزائد فى العلاج السلوكى . وان يلعب ادوار الأشخاص الذين يجد صعوبة فى الارتباط بهم لكى يجد الفرصة فى تكوين تركيبات نفسية اكثر فعالية أو سرد قصص تقدم للأطفال تكوينات جديدة . كما يوصى كيلى ان يدرس المعالج الطرق التى بمقتضاها تؤيد التأثيرات البيئية صدق تنبؤات العميل، ويقدم توجيهات تفصيليه لعمل فحوص مباشرة للمدارس وتقييم تأثيرها على النظام التركيبى للطفل. (Kelly, 1955) .

٤- المقاومة والتحول والتحول العكسى :

لما كان العميل يعتمد على تكويناته الراهنه فى توقع المستقبل، فإن محاولات اعادة

التركيب تولد الشعور بالقلق ومن ثم تخلق المقاومة، وربما يعيق اعادة البناء التكوينى، ويحتج بشدة ضد أى تغير يحدثه علاج الدور الثابت، ويعود ثانية الى التكوين الخاطئ لكى يتعرف ويسأل نفسه " ما هذا العبث الذى فعله بى والداى " كما أنه يوافق هورنى فى استنتاجها بأن المقاومة يمكن ان تحمى العميل من اللهفة الشديده للمعالج الذى يحاول احداث تغيرات بأسرع ما يكون .

وحيث ان كل عميل من المتوقع إن يكون قد سبق وكون بناءاً تكوينياً ، وهذه البناءات التكونيه اكتسبت من تفاعله مع الآخرين ، فإن التحول سمة مميزه لأى علاج نفسى ، والتحولات المرنه تسهل العملية العلاجية وذلك من خلال منح المريض التكوينات البنائيه الجديده (مثل صورة السلطة الوالديه الحاميه، والأقران السلبيين، والمدرس الذكى)، وجعل المعالج قادر على اكتساب المعلومات الجديده عن النظام البنائى للمريض واساليب استجابته، اما التحولات غير المرنه فتتجه لعرقلة العلاج النفسى، فعل سبيل : قد تكون وجهة نظر العميل نحو المعالج انه لاشيئ اكثر من خادم أو منفذ لأوامره، وينتظر أن يمده بالعلاج على طبق من فضه، وممن الممكن ان يصبح المريض مكتفيا بما يقدمه له المعالج من اتجاهات نظريه ويفشل فى الوصول الى تكوينات شخصية جديده ، ومن المحتمل ان يكون المعالج مشغولاً بصدد محاولات التحول العكسى لكى يفرض نفس النظام العلمى على كل عميل ، بما يشبه تعصب الأب الذى يحاول تعليم صغاره وهكذا فإن التحولات واعادة بناء الشخصية التى اشير اليها تمثل كل من الوسائل والمعوقات فى العملية العلاجية .

وهناك التحول العكسى الضار أو المؤذى ويتضمن الفشل فى مواجهة التكوينات الخاطئة (مثل كل الناس ودودين) لأن المعالج يخاف أيضاً من القطب المقابل (مثل كل الناس عدوانيين)، ويعتقد كيلى أن الأجر المرتفع يساعد المريض على التغير للأحسن وبشكل سريع ويجعله اكثر انتظاماً فى حضور الجلسات ، ولأن ذلك من ضروريات الحياة فى المجتمع الرأسمالى " أنه من الضرورى ان نعطى مكافأة عاليه لتحقيق رفاهية المعالج وليس العميل " . (Kelly, 1955) .

نظرية كيلى فى الميزان :

١- الانتقاد وأوجه الخلاف :.

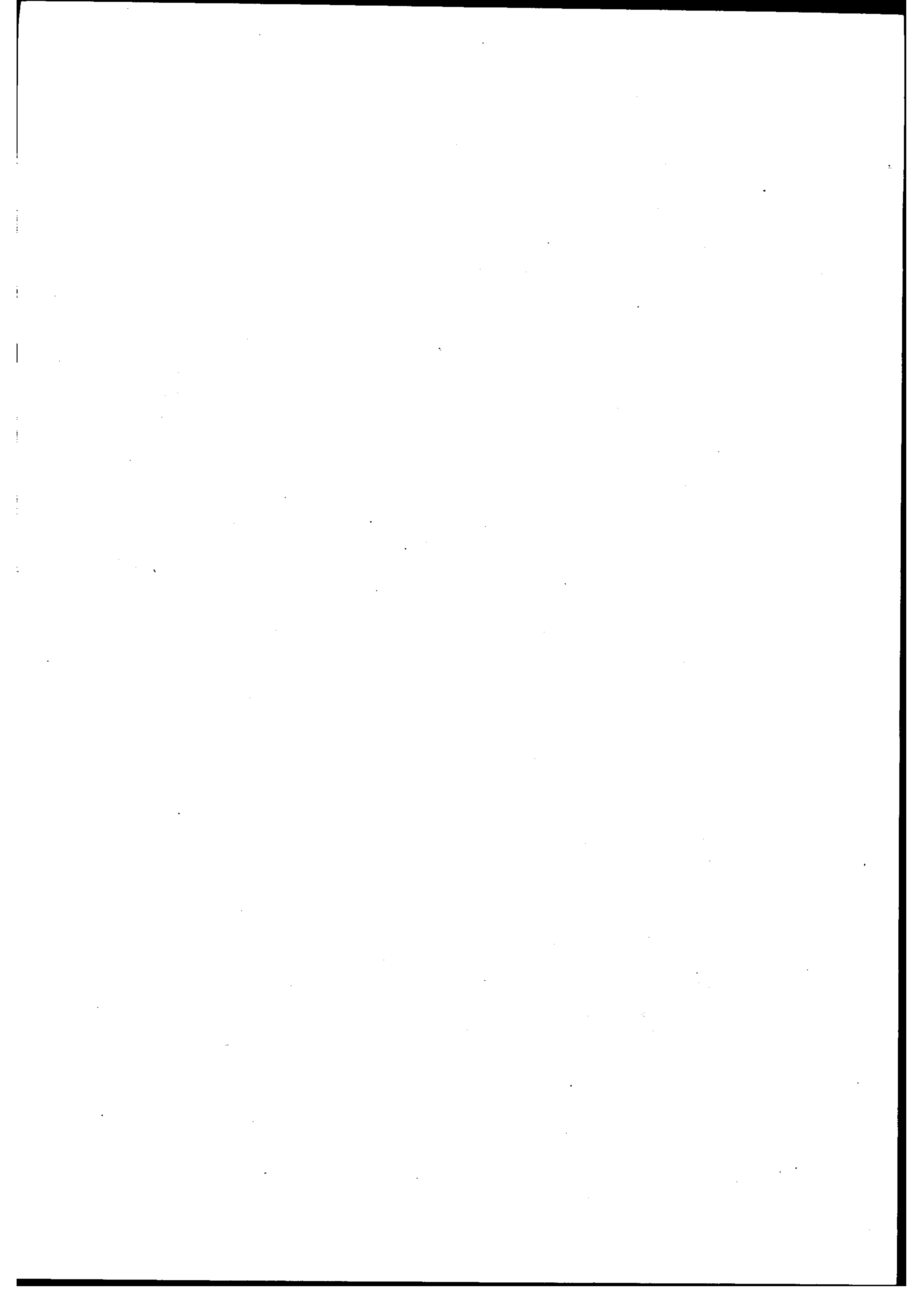
تعد دعوة كيلى دعوة للمجازفه أو المغامره وكأنها تمرين كئيب وممل بتعبير جديد، كما أن الخواء العلمى الواضح فى نظريته قد الغى معظم الخصائص التى تبدو حيويه

ومرتبطه بالكائن الحى مثل الحب والكراهيه ، العاطفه واليأس، النجاح والفشل، الوضاعة والطغيان، العدوانية والكبرياء الجنسى، وهكذا . . ، فلقد طابق كيلى بين الخبره وصداها. كما أن رفضه لقبول مكون التعلم جعلته يبدو فى الحقيقه متعسف وغير مقنع ، فبعض النقاد اعتبرو أن تأكيد كيلى عى الجانب المعرفى كان متجاوز للحد، ووجدوا أن من الصعب ان نربط افكاره بالسلوك الإنسانى الواقعى، فاصحاب التوجه التحليلى عموماً يتهمون كيلى بنظرتة غير الكافية لمرحلة المهد والطفولة ، وقد بنوا جدالهم على إفتراضه انه لايوجد شيئ دفين او عدوانية مكبوته (ولكن مجرد فشل فى تشكيل السلوك طبقاً للمرغوب) مما يعد تبسيط متناهى لتفسير السلوك البشرى، ولهذا السبب فقد فشلت نظرية كيلى فى تقديم صورة مقنعه للشخصية الإنسانية .

٢- الاسهامات :

تقدم نظرية كيلى بدائل ممكنه لمن يشاركونه التحفظ على التحليل النفسى، بالإضافة لذلك فإن علم نفس تكوين الشخصية يبين بوضوح ان النظرية الجيدة هى التى يستفاد منها وليست الصحيحة فقط ، حتى النظرية التى تتجاهل المُدخلات الأساسية للدافعية ممن الممكن الاستفادة منها فى مجال العلاج النفسى بشكل ناجح ، ومن وجهة نظره غير الأكيدة فمازالت نظريته محاولات فعاله لتحديد طبيعة الشخصية الإنسانية ، فى مقابل الادعاءات المتغطرسه لبعض المحللين النفسيين الذين يقدسون الأفكار التى لم تثبت صحتها تجريبياً ويرفضون أى محاولة لتعديلها، ويرجع ذلك الى مفهوم كيلى عن النظريه بأنها اداة محدودة القدرة والمدة، كما اعطى كيلى إهتماماً لأهمية المعرفة الموضوعية، وأهمية التعاطف مع التكوينات الشخصية للآخرين وأثر ذلك على العلاقات الشخصية .

وعلى النقيض من وجهات النظر المغاليه والمؤكده على تفرد الشخصية لكل من ألبورت وأدلر ، فإن كيلى يؤمن بالتفرد النسبى، وفى الوقت ذاته يمدنا بإرشادات منطقيه وعملية، ويمكن تطبيقها فى مجال دراسة الشخصية . كما يعد مدخل كيلى المفتاح لفهم كل شخصيات علماء النفس وواضعى نظريات الشخصية وتكويناتهم الشخصية . وقد عبر كيلى (١٩٥٥) ذات مرة بأن نظريته لم تعد اكثر من مجرد انفجار يوضح نظامه التكوينى الفريد، وانها ليست مستخدمه من قبل علماء النفس الاخرين، وليس غريبا ان يقول ذلك على الرغم من ان مدخله العام، وتأكيده على المعرفة الشخصية تعد اسهاماً غير عادياً وهام جداً فى مجال نظريات الشخصية .



الباب السادس

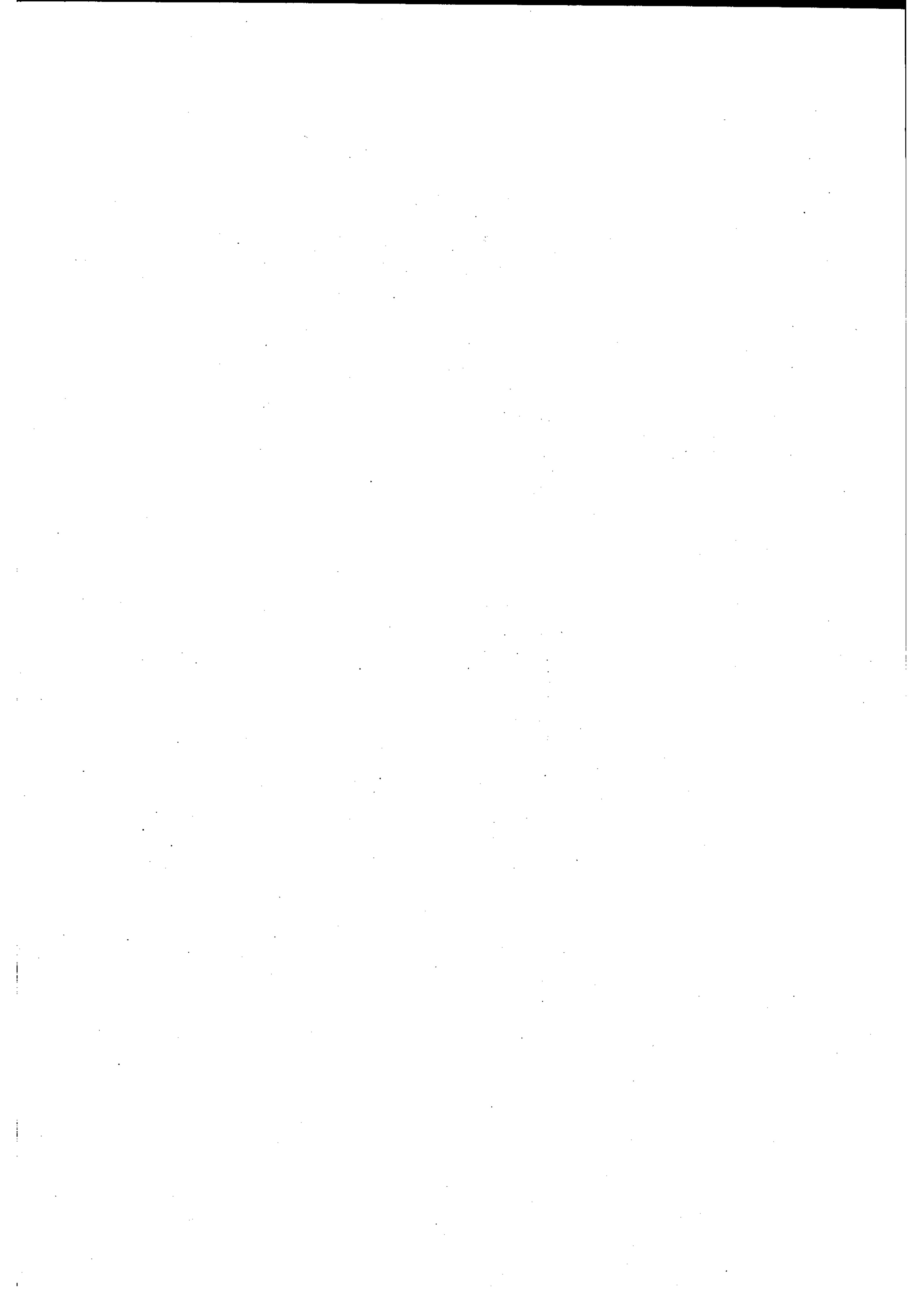
علم النفس الإنسانى (القوة الثالثة)

(نظريات تحقيق الذات)

الفصل الثانى عشر : نظرية الذات كارل روجرز

الفصل الثالث عشر : نظرية تحقيق الذات أبراهام ماسلو

يعد كل من روجرز وماسلو من اكؤ العلماء انتقاداً للنظرة التشاؤمية لفرويد ، فكلاهما يرى ان النفس البشرية بناءة وخيرة بطبيعتها الفطرية وقد وصلت كلا النظريتين الى هذه النظرة التفاؤلية عن الشخصية من اتجاهين مختلفين ، ففى الوقت الذى كان من المتوقع فيه ان يهتم ماسلو بالسلوك غير العادى أو المرضى فقد تحول الى دراسة الأشخاص الاسوياء الاكثر قدرة على تحقيق التوافق، اما روجرز فيعد واحداً من اشهر المعالجين النفسيين ، وتعد نظريته نتاج لجهده المتواصل فى مجال علم النفس الاكلينكى .



الفصل الثانى عشر

نظريـــةالـــذات

كارل روجرز (١٩٠٢-١٩٨٧)

يتشابه روجرز مع أدلر وبعض الفرويديين الجدد في اهتمامه بقضية التحقق العلمي، وفي سنة١٩٣٩ بعد عشر سنوات من حصوله على الدكتوراه في علم النفس أصبح روجرز معالج نفسى فى المقام الأول، وصاحب نظرية تعد جزءاً من الابداع الاكلينيكى والعلاجى فى علـم النفس المعاصر. إلا أنه رغم ذلك فقد تعرض كمدير لعيادة توجيه الطفل لتحديـات من جانب الأطباء النفسيين (السيكاتريين) لأنهـم كانوا يرون أنه لايستحـق أن يرأس عمـل يتعلق بالصحة النفسيـة مـادام لايحمل مؤهل طبى يؤهله لممارسة الإرشاد والعلاج النفسى، ولكنه فى النهاية انتصر عليهم وأسس مركز للإرشاد النفسى فى جامعة شيكاغـو وحاز على تقدير كبير واعتراف بعمله وجهده فى مجال علم النفس الاكلينيكى . ويصف هـذه العملية بقولـه " لقـد كانت معركة من جانب واحد - إنها كفاح من أحل الحياة والبقاء والهروب من الموت - لأن العمل فى الإرشاد والعـلاج هو الشئ الذى أجيـده تماماً وهو الشيئ الذى أتمنى من كل قلبى أن يدوم ولا يتوقف (Rogers, 1975) .

نشأته وحياته :

تكرر حياة روجرز الكثير من الأفكار التى رأيناها فى حياة العلماء الاخرين من أصحاب النظريات مثل حب الكتب، وتكريس الجهد العميق والمتأصل للعمل الشاق، والتمرد ضد الممارسات الدينية المتحفظة التى تترك فيه اثر واضح ، بالاضافة الى التغيير لمره أو اكثر فى الأهداف المستقبلية. تبدأ القصة مع ولادة كارل روجرز فى الثامن من يناير ١٩٠٢ فى ضاحية أواك بارك Oak Park بألينويز احدى مقاطعات ولاية شيكاغو، وكان ترتيبه الرابع بين اربعة اخوه وأخت واحده، كما كانت الأم جامعية متدينة جداً وحريصه على العادات الأصولية البرتوستانتية بالاضافة الى المحافظة على قيمة العمل وحبه، والاب مهندس معمارى ناجح اسس بنفسه شركة مقاولات ، وترعرع روجز بين هذه الاسرة حريصة على الصلوات وقراءة الانجيل وعدم التدخين وبعيده عن شرب الخمر ولعب الورق ، ويبدو ان روجرز كان حريصاً منذ صغره حيث تعلم القراءة قبل وقت طويل من ذهابه الى المدرسة ، وعندما دخل المدرسة نُقل مباشرة الى الصف الثانى ، وكان يحصل على تقديرات ممتازه فى اداءه المدرسى ولكنه كان دائم القول بأنه طفل غير منتبه ومُغرق فى الخيال وكان زملاءه ينادونه بتهكم وسخرية "الاستاذ مونى Professor Moony .

وعندما بلغ روجرز الثانيه عشر من عمره اشترى الاب مزرعة تقع غرب شيكاغو بحوالى ثلاثون ميلاً وانتقلت الأسرة للعيش بها وامتهن الأب الزراعة مما أحدث تغيرات كثيره فى حياة روجرز وأصبح لزاماً عليه أن يؤدى عملاً يومياً فى تلك المزرعة مما كان يرهقه بدنياً ، ولكنه علمه تحمل المسئولية والاعتماد على النفس، كما كان عليه قطع مسافات طويله بين المنزل والمدرسة كما انه من الضرورى ان يغادر المدرسة مباشرة عقب انتهاء اليوم الدراسى كل يوم، وهكذا لم تسنح له فرصة الاشتراك فى أى نشاط خارجى بالمدرسة او عمل صداقات مع زملاء الدراسة ، واصبحت بذلك عائلته هى المحيط الاجتماعى الوحيد له ، وكان هذا الانتقال ايضا سبباً فى ارتباطه بالطبيعة التى أحبها بعمق حتى أصبح خبيراً هاوياً للطبيعة، فهو لم يتعلم فقط كل شيئ عن الفراشات والسوس (الدود) التى يظهر فى النباتات ولكنه قام بجمع وتربية يرقاتها لدراسة دورة حياتها طوال العام.

ونظرا لأن والده كان مصمماً على استخدام أحدث الوسائل فى ادارة المزرعة فإن روجرز اكتسب قدرة على تفهم وتقدير الطرق التجريبية، فكان يقارن بين فاعلية المخصبات الزراعية المختلفه، وبين الأنواع المختلفه لاطعمة الحيوانات، كما تعلم كيفية تصميم التجارب وربط الفروض بالاختبارات الإحصائية لها .

وعندما حان وقت دخول الجامعة اختار ان يتخصص فى العلوم الزراعية والتحق فعلا بجامعة ويسكونسين Wisconsin عام ١٩١٩ مما أدى بوالده ووالدته واخوته الى الانتقال الى ويسكونسين، وفى الجامعة اصبح عضواً بارزاً فى جماعة دينية تسمى " جماعة صباح يوم الأحد الدينية " حيث اكتسب من هذه الجماعة إحساساً بالألفه والمودة ويعتبرها خبره لم يسبق أن مر بها بعيداً عن مجال العائله، حيث انتهجت هذه المجموعة اسلوب يمكن ان يطلق عليه الأسلوب غير الموجه non-directive أو اسلوب روجرز، ومن الواضح أن هذه التجربه كانت عنصراً فعالاً فى تشكيل شخصيته .

وفى العام الثانى من دراسته الجامعية استجاب روجرز الى النداء الذى سمعه خلال أجازه اعياد الميلاد فى مؤتمر طلابى عن الدين المسيحى ، حيث أوصل المتحدثون الحضور الى ذروة الإحساس الدينى وعندها قرر روجرز الحصول على وظيفة فى الكهنوت المسيحى، وقد كان، ولأن مهنة الزراعة اضحت غير ملائمة لوظيفته فى الكهنوت لذلك قام بتغيير تخصصه الى دراسة التاريخ، وفى العام الثالث بالجامعة اختير ضمن عشر طلاب امريكيين للذهاب الى مؤتمر الطلاب العالمى المسيحى الفيدرالى فى بكين بالصين، وكان لتلك التجربه اثر تحررى كبير وعميق فى فكر روجرز ، فقد توصل الى نتيجة مؤداها " ان المسيح ربما لم يكن إله بحق " وهذا التغير العميق ظهر بعد ستة شهور من السفر ليس الى بكين فقط ولكن فى كل ارجاء الصين والفلبين ، حيث قابل العديد من الناس وانواع متباينه من التراث الثقافى والدينى، فقد كان لمقابلة الطلاب الامريكان لغيرهم من الدول الاخرى تأثير متزايد حتى ان بعض المستشرقين الأمريكيين المتدينين تأثروا بالاتجاه التحررى فى هذه الرحلة .

واصبح روجرز متحرراً - وليس علمانياً - فلم يغير من رأيه فيما يختص بمهنته فى الكهنوت وظل يذهب الى الكنيسه، وفى عام ١٩٢٤م تخرج روجرز من الجامعة متأخراً عاماً بسبب أسفاره المكثفة ، وبسبب قرحة فى الإثنا عشر اصابته بعد عودته من الشرق الادنى، وأثناء علاجه من المرض قام بدراسة دوره عن طريق المراسله فى علم النفس،

ولم ترحب عائلة روجرز بأفكاره التحررية ، وعندما اراد الانتساب الى اتحاد المجلس الدينى فى نيويورك والذى كان أعضاؤه يتصفون بالتحرريه حاول والده اغراءه بشراء كل ما يريده ودفع التكاليف اذا غير وجهته ، وانتقل الى برنستون معقل الاصولية، لكنه اعلن استقلاله عن العائله فى اغسطس ١٩٢٤ وتزوج من هيلن إليوت Eliott, H في الثامن والعشرين من اغسطس ١٩٢٤ وانتقلا الى نيويورك رغم معارضة الاسرتين على الزواج والحياه فى نيويورك وانجبا طفلين (ولد ، وبنت) فى ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ على التوالى .

وفى اتحاد المجلس الدينى لم يتلقى روجرز العلوم الدينية العادية ويدرس الانجيل فحسب انما درس مقررات فى العمل مع الأفراد Working with Individuals ، وقام بالتدريس فيها علماء نفس وأطباء نفسيين استقدموا كضيوف محاضرين، وللمرة الأولى ادرك روجرز ان هذا الأسلوب فى مساعدة الناس يمكن ان يكون اختيار محتمل لمستقبله المهنى، وفى الاتحاد كان لديه الفرصه للمشاركة فى تجربة فريده، وهى المشاركة فى "سيمنار" حيث يقوم الطلاب بأنفسهم باختيار المقرر ويتبادلون الأسئلة فيما بينهم فلايوجد مدرس أو معلم . . ويقول روجرز لقد قرر الكثير من الطلاب اعتزال العمل الدينى وكنت واحداً منهم ومع ذلك كان هذا التحول سهل وغير مؤلم حيث أخذ بعض الدورات التدريبيه فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا والتحق ببرنامج الدكتوراه فى علم النفس التربوى والإكلينيكى وحصل عليها بالفعل فى (١٩٢٩م)، حيث اعد مقياساً للتوافق الشخصى عند الاطفال- كأحد مستلزمات رسالة الدكتوراه - مبنياً على استبصاره بالشخصية الذى اكتسبه من عمله فى المجال الإكلينيكى ، وفى الوقت ذاته بدأ ينمى فى ذاته الثقه بالنفس وفى مهاراته كمعالج حيث كان قد حصل على زمالة معهد مؤسس حديثا لارشاد الأطفال فى روشيستر بنيويورك يستخدم المفهوم الفرويدى والانتقائى فى الإرشاد ويتناقض مع الاتجاه الإحصائى للقياس العقلى الذى درسه فى جامعة كولومبيا .

وهنا أخذ روجرز ينمى مدخلاً خاصاً به فى العلاج النفسى، وتحت تأثير الضغوط المالية قبل روجرز فى ١٩٢٨ وظيفة بمنظمة اجتماعية لوقاية الأطفال من القسوه فى روشيستر بنيويورك ، وقضى إثنا عشر عاماً تالية فى خمول نسبى وقام بالتدريس فى دورات صيفيه فى كولومبيا وعمل نصف الوقت فى جامعة روشيستر واصدر أول كتاب له فى العلاج الاكلينيكى للطفل المشكل عام ١٩٣٩ مما لفت اليه انظار لجنة البحوث فى جامعة ولاية اوهايو حيث عين بها استاذاً عام (١٩٤٠م) وفى ١٩٤٥ انتقل الى جامعة شيكاغو

لتأسيس مركز للإرشاد النفسى وكانت السنوات الإثنا عشر التالية هى اكثر سنوات عمله إنتاجاً، وفى ١٩٥٧ تعرض لبعض الإغراءات من جامعة ويسكونسين ولكن الامور لم تسير على مايرام فانتقل الى كاليفورنيا فى ١٩٦٤ للعمل بمعهد العلوم السلوكيه الغربية فى لاجولا ثم الى مركز دراسات الشخص عام ١٩٦٨م. ومن مؤلفاته الارشاد والعلاج النفسى (١٩٤٢)، والعلاج المتمركز حول العميل (١٩٥١) ، الصيروره الى شخص (١٩٦١) حرية التعلم (١٩٦٩).

ويرتبط اسم روجرز بالاتجاه الإنسانى فى علم النفس أو ما يعرف بعلم النفس الأنسانى Humanistic Psychology مع ماسلو . وهو ما يعرف بالقوة الثالثة فى علم النفس حيث يعارض مدرسة التحليل النفسى بنظرتها التشاؤمية وتفسيرها كل سلوك البشر بالجنس والعدوان، كما يعارض المدرسة السلوكية بنظرتها للإنسان كآله . ولعل المناظرة الشهيره التى تمت بينه وبين سكنر فى ١٩٥٥ والتى شهدها الاجتماع السنوى للرابطه الأمريكية لعلماء النفس فى شيكاغو خير برهان على ذلك . وترتبط نظرية روجرز بالاتجاه الوجودى فى علم النفس لانها تعتمد على الجوانب الظاهراتية Phenomenological حيث يركز على خبرات الأفراد ومشاعرهم وقيمهم. نجح روجرز فى تكون طريقه العلاج غير المباشر وطورها من خلال عمله مع المرضى، ولاقت ترحيبا كبيراً من المرشدين والمعالجين وغير مسماها بعد ذلك لتصبح العلاج المتمركز حول الشخص. توفى روجرز فى الرابع من فبراير ١٩٨٧م مخلفا مدرسة علاجيه وجيلا من المعالجين المستخدمين لأسلوبه فى العمل مع الاشخاص .

طبيعة الشخصية :

يتفق روجرز مع كيلى فى ازدراءه ونفوره من مصطلح الاستعلاء لأدلر، وفى تصوره للمعالج النفسى ذو البصيره النافذة أو العالم بالغيب الذى يعتمد عليه المريض بصورة سلبيه فى التفسيرات الهامة، وبدلاً من ذلك فقد اكد بانه بإماكننا – وبأنفسنا فقط – ان نتعرف ونختار اتجاهاتنا الصحيحة فى الحياة ، وتمشياً مع إعتقاده هذا فقد قام روجرز بتسمية مدخله العلاجى فى البداية بالعلاح المتمركز حول العميل Client-Centered Therapy ولكن نظراً لاتساع افكاره بعد ذلك لتشمل الجوانب غير الإكلينيكية للمريض مثل الوالدية، والتربيه، والعلاقات الشخصية، والعرقية فتحول اتجاهه أخيراً الى ان يطلق عليه مُسمى أكثر اتساعاً وهو العلاج المتمركز حول الشخص Person-Sentered Therapy .

التحقيق Actualization

على حد تعبير روجرز فالإنسان يُستحث أو يندفع من خلال قوة إيجابية واحدة، وهى الميل الفطرى أو الطبيعى لتنمية قدراتنا البنائية، والنمو بطرق أو أساليب تحافظ على أو تعزز النظام الكلى له فيقول : " لدىّ القليل من التعاطف مع المفهوم السائد والقائل بأن الإنسان لاعقلانى بصورة أساسيه، وأن اندفاعاته سوف تؤدى به الى تدمير ذاته والآخرين إذا لم يتم التحكم فيها. فى الحقيقة ان السلوك الإنسانى عقلانى ومتقن ويتحرك بمهاره وتعقيد تجاه أهداف يسعى اليها الكائن العضوى ويحاول تحقيقها، فالاشخاص لديهم توجه إيجابى أصلاً" (Rogers, 1977) .

مثل هذه الاتجاهات والميول المتأصلة لدى الكائن العضوى لتحقيق actualize امكاناته الكامنه والداخليه تتضمن كل من :

١- خفض دوافع محدده كالجوع والعطش والجنس، ونقص الاكسجين .

٢- الرغبة فى زيادة المتعه والسيطره او التحكم فى البيئة . ويتضمن ذلك توجيه مظاهر النمو فى سبيل تحقيق الذت، والتمايز ونمو المكونات العضوية للكائن وزيادة كفاءتها الوظيفية والتكاثر ، والقدره على الإبداع ، والفضول او حب الاستطلاع ، والاستعداد لتحمل الألم لأن ذلك سيعلمنا أن نكون اكثر فعالية واستقلالية، وفى ذلك يقول روجرز " إن أول خطوة يتعلمها الطفل وهو فى سبيله لتعلم المشى تتضمن الكفاح وعادة بعض الألم فى سبيل ذلك، والمكافأة المباشرة التى تقدم له عندما يأخذ خطوات محدودة لاتتناسب وما يواجهه من آلام السقوط المتكرر والصدمات ا لشديدة، ورغم ذلك يبقى التوجه لتحقيق تقدم فى النمو اكثر قوة من الرغبة فى البقاء فى عداد الطفولة، فالطفل سيسعى لتحقيق ذاته علي الرغم من التجارب المؤلمه التى يمر بها" (1951) .

ورغم ذلك لم يمنع التفاؤل النظرى لروجرز من الاعتراف بوجود قدرة كبيره لدينا لممارسة سلوك مدمر ووحشي وقاسى، ولكنه يرجع ذلك الى قوة خارجية اكثر مما يرجعها الى قوى داخلية فطرية، فأغلب المستويات الأساسية فى الشخصية تكون ايجابية بشكل فطرى، وان الميل لتحقيق الذات سيؤدى فى الظروف الطبيعية فقط الى انتقاء وتطوير الجهود التكوينية ويعبر عن ذلك بقوله : " لايميل الكائن الحى لتنمية قدراته إزاء شيئ منفر أو يثير اشمئزازه، وعادة لايستغل امكاناته لتحطيم ذاته أو قدرته على إطاقة

الألم. وهكذا فمن الواضح ان الميول التى يرغب فى تحقيقها هى ميول مختاره وموجهة وبناءة (1977) . على الرغم من وجود مخاطر كثيره على طريق تحقيقها، وتحت ظروف غير مناسبه (وإن لم تكن شائعة) يمكن كثيراً ان نتصرف بأساليب تعطى فكرة خاطئة عن طبيعتنا الخيرة.

الحاجة للتقدير الايجابى :

توجد لدى كل البشر عامة حاجة ملحة للشعور بالدفء والحب والاحترام والتعاطف والتقبل من الآخرين ، وخاصة اؤلئك الذين يمثلون أهمية فى حياتنا كالوالدين، وتبقى هذه الحاجة للتقدير الايجابى Positive regard نشطه طوال حياة الفرد، ولكنها تستقل جزئياً عن إتصالات نوعية (أو محدده) بالاخرين. مؤدية الى حاجة ثانوية متعلمه هى التقدير الايجابى للذات Positive salf regard ومن الأهمية بمكان ان ندرك ان السعى الحثيث لاشباع الحاجة القوية للتقدير الايجابى يمثل العائق الوحيد والخطير فى سبيل التحقيق (تحقيق الذات) .

الغائية (الغرضية) :

فى حين يرى روجرز أن أحداث وخبرات الطفولة لها تأثير تكوينى قوى وفعال على الشخصية ، إلا أنه لايفضل تبنى مدخلاً تاريخياً بشكل اساسى، ففى رأيه أن السلوك لايحدث بسبب شيئ ما تم فى الماضى ولكن التوترات الحالية، والحاجات الراهنه هى الوحيدة التى يحاول الكائن الحى خفضها أو إشباعها . . . وهكذا فنظرية روجرز نظرية غائية أساساً تؤكد على حاجتنا النشطة وكفاحنا الهادف نحو الانجاز.

تركيب الشخصية :

طالما أن التحقيق (جعل الشيئ أمر واقعياً ومحققا) يشمل الكائن الحى بأكمله فإن روجرز يرى عدم وجود ضرورة ملحة فى وضع تركيبات بنائية محددة للشخصية، ومع ذلك فإن نظرته فى هذا الشأن غير مُقدسه ولم يلتزم بها تماماً ، فهو يشارك هورنى الاعتقاد بأننا جميعاً غالباً ما نتعرض لصراعات نفسيه داخلية مؤلمة فيقول " إن اللغز المحير الذى يواجه أى شخص على الإطلاق ويتطرق لديناميات السلوك البشرى هو ان الأشخاص كثيراً ما يكونوا فى حرب مع أنفسهم ومغتربين عن تكوينهم العضوى" . (Rogers, 1977)

الخبرة وعمليات التقييم العضوية :

يتفق روجرز مع ألبورت وكيلى أن الشخصية عملية متفرده نسبيا داخل الفرد، فكل منا يوجد داخل مركز عالمه الخاص المتغير دائما من الخبرة الداخلية والتى تتضمن كل من المجال التجريبى experiential field والمجال الظاهرى Phenomental Field. ، ولايستطيع أى شخص آخر ابداً ان يفهمه تماماً .

والخبرة ليست ذاتيه فقط ولكنها أيضا غير معرفية الى حد كبير، ولذلك يصعب وصفها أو فهمها من خلال الكلمات فقط ، وهى تشمل كل شيئ من المحتمل توفره للوعى عند لحظة معينة مثل الأفكار والإدراكات (بما فى ذلك الإدراكات المهمله مؤقتاً مثل ضغط المقعدة على الكرسى الذى نجلس عليه)، والحاجات (التى قد يتغاضى الفرد عن بعضها مؤقتاً مثلما يحدث عند انغماسه فى العمل أو اللعب) والمشاعر أو العواطف (الاحداث ذات الصبغة الانفعالية التى لها أيضاً معنى شخصى مثل " أنا أشعر بالرضا عن نفسى ") ومع ذلك فإن جزءاً صغيراً نسبياً من الخبرة فقط هو الذى يُعبر عنه فى الواقع برموز يمكن تحديدها شعورياً، أما الاغلبيه الباقية من الخبرة فتتكون من الظواهر التى ندركها على انها تحت مستوى الوعى، ونسمح لها أن تبقى غير ممثله برموز (" نقص ادراكات " وتماثل الادراكات اللاشعورية فى نظرية يونج) وتأخذ شكل معرفى أو إحساس بديهى عميق ويشبه هذا الأمر على النحو الآتى :-

" تشبه وظيفة الفرد نافورة كبيرة هرمية الشكل، رأس القمة فى هذه النافورة تومض بشكل متقطع بوميض الشعور، ولكن تيار الحياة المتدفق بشكل ثابت يستمر فى الظلام بأساليب شعوريه ولاشعورية على حد سواء (Rogers, 1977) .

وتتضمن الجوانب الأولية اللاشعورية للخبرة قدرة فطرية على التقييم الايجابى لماندركه على أنه محقق لذاتنا، والتقييم السلبى لكل ماندركه على انه ليس محققاً لذاتنا . وينتبه الرضيع لعملية تقييم ذاته ككائن عضوى مثلما يحدث على سبيل المثال اثناء سعيه للطعام عند شعوره بالجوع وعند تقززه منه وفور إحساسه بالشبع، وعند الاستمتاع بالاتصال الجسدى المدعم عند احتضانه وعند اختياره لنظام غذائى جيد ومتوازن إذا أعطى الحرية فى تناول ما يشاء . ولذلك فإن الجوانب اللاشعورية للخبرة عند روجرز تمثل إضافة قيمة وجديرة بالثقه لافكارنا وخططنا الشعورية ، ونحن فقط دون غيرنا - من مصادر خارجية كالوالدين والمعالجين النفسيين - القادرون على تعريف قيمنا العضوية

الحقيقية والإحساس بأفضل الطرق لتحقيق امكانياتنا الخاصة : فيقول " الخبرة فى رأىّ هى السلطة العليا بالنسبة لى . فعندما يبدو نشاط كما لو كان ذو قيمة أو يستحق القيام به فإنى أقوم به فعلا ، اننى على ثقه أن جميع خبراتى التى تعلمت ان اشك فيها هى اكثر حكمة من ذكائى . انا متأكد انها عرضة للخطأ ، ولكنى اعتقد انها اقل عرضة للخطأ من عقلى الواعى بمفرده (Rogers, 1977) .

ولاتنفصل خبراتنا كلية عن العالم الخارجى، لأننا (كما ذكر كيلى) ننشد تقييمها عن طريق تكوين واختبار فروض مناسبة ، فلو ادرك الفرد مسحوق ابيض فى طبق صغير على انه ملح وتحرى هذا الاحتمال بتذوقه فوجد أنه حلو المذاق تتحول هذه الخبره فوراً لإدراكه على أنه سكر، وكما فى النظريات الأخرى التى تم عرضها يرى روجرز ان الجوانب الذاتيه للخبرة أهم جداً من الواقع الفعلى أو الموضوعى . فالرضيع الذى يلتقطه شخص بالغ بطريقة ودوده ، ولكن الرضيع يدرك هذا الموقف على أنه غريب ومخيف سيستجيب بصرخات الحزن، أما الابنه أو الفتاة التى ادركت أباها فى البداية على انه مسيطر ومخيف ، ولكنها تعلمت من خلال العلاج النفسى اعتباره شخص عطوف نوعاً ما يحاول فى يأس الاحتفاظ بشيء من المكانة والهيبة سوف تخبره على أنه مختلف تماماً حتى لو تغير هو نفسه .

مفهوم الذات وتحقيق الذات :

فى تطابق مع الدافع الفطرى لتحقيق الذات يوسع الطفل من مجاله التجريبى بشكل نشط اثناء النمو ويتعلم ادراك ذاته كوحدة مستقلة ومنفصلة بشكل متميز. فمهوم الذات Self- Concept بهذا الشكل شعورى تماماً ، وهكذا تتمثل الخبرة الذاتيه جزءا من قمة النافورة المتدفقة باستمرار، وتصبح بعض الميول لتحقيق الذات الآن موجهة نحو محاولة إدراك اهداف وقدرات يمكن تمثيلها من خلال مفهوم الذات، وهذا الميل الهام يعرف بتحقيق الذات Self- actualization * (Evans, 1975) .

وطالما بقى المفهوم الشعورى المكتسب الذى نكونه عن أنفسنا متطابق أو منسجم Congruent مع خبراتنا العضوية الكلية فإن ميولنا لتحقيق الذت تعمل فى تناغم لإشباع قدراتنا الفطرية البناءة، ولسوء الحظ فالأمور نادراً ما تحدث بتلك البساطه، فمع نمو

---

* يعد كيرت جولدشتاين أول من أشار الى مصطلح تحقيق الذات عام ١٩٣٩م.

مفهوم الذات وتطوره، فانه يتطلب دعماً فى شكل تقدير ايجابى، ولذا يجب الاهتمام بالطفل اثناء نموه، ليس فقط عن طريق الخطوط الهادية guidlines الداخلية التى توفرها عمليات التقييم العضوية، ولكن أيضاً من خلال استجابات ومطالب الآخرين الذين يمثلون أهمية فى حياة الصغير (كالوالدين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة .

وعلى أية حال فمن الأفضل وبكل الإحتمالات الممكنه ان يحاول الآخرين المهمين دائماً التعامل مع الطفل بطريقة تنمى لديه مفهوم ايجابى عن ذاته وتقدير ايجابى غير مشروط Unconditional positive regard وان يقصرون انتقادتهم على سلوكيات غير مرغوبه بصورة محددة. فلو أن فتاة صغيرةتظهر عدائية تجاه أخوها فربما تستجيب الأم بمثالية لهذا الأمر قائلة " أعرف كيف تشعرين بالرضا عندما تضربين أخيك الرضيع، أننى أحبك وارغب تماماً فى ان تشعرين بذلك، ولكنى ارغب ايضاً فى ان تشعرين بى فأنا أيضاً أشعر بالاستياء عندما يتألم أخيك ، ولذلك فإننى لا أدعك تضربينه، كل من مشاعرى ومشاعرك مهمين، ويمكن ان يكون لكل واحد منا مشاعره الخاصة، وهكذا فربما تختار الفتاه الا تضرب اخاها رغبة منها فى ارضاء أمها بدلاً من أن تفعل ذلك لإحساسها بالخجل أو الذنب من دوافعها العدوانية ، ومهما كان قرارها، فإن احساسهاالمتزايد بتقدير ايجابى للذات لن يكون محل تهديد وغير مشروط كذلك، وستتقبل عدوانيتها بتلقائية كجانب من مفهومها عن ذاتها، الذى سيظل بذلك منسجما مع عمليات التقييم والخبرة (وهى ان ضرب أخيها الصغير أمر سار) وستظل متوافقة نفسياً بشكل جيد.

إن تتباع الأحداث الموصوفة سابقاً هى مجرد إحتمال مفترض، لأن الأشخاص الآخرين المهمين يستجيبون للطفل على نحو نموذجى وتقدير ايجابى مشروط، Conditiond positive regard ، اي انهم يمنحون الحب والاحترام فقط عندما تنال مشاعر الطفل ومفهومه عن ذاته قبولهم واستحسانهم. وهكذا فربما يعبروا بطرق مباشرة أو غير مباشرة على ان الرغبة فى ضرب الأخ الرضيع ستؤدى الى فقدان حبهم لها، أو أن هذه الطاقة ينبغى ان تولد مشاعر الذنب وعدم السعادة بدلاً من مشاعر الرضا، وكنتيجة لذلك يواجه الطفل اختيار صعب ومؤلم فإما أن يقبل خبرته الداخلية الحقيقية (وهى ان ضرب الأخ الرضيع يجلب السرور) والتى ربما تقابل الاحتمال الصادم فى أن يصبح غير محبوب أو مرغوب فيه، أو أن يخضع للإغراء ويتخلى عن مشاعره الحقيقية ويشوه خبرته بأساليب

ستسعد الاخرين (كما يحدث عندما يستنتج ان ضرب الأخ الرضيع امر بغيض ومرفوض) .

ونظراً لان الحاجة للتقدير الايجابى قوية جداً فسيختار الطفل فى النهاية ان يتخلى عن مشاعره الحقيقية الى حدما ، ويدمج معايير الوالدين فى مفهومه عن ذاته (وهى العملية التى استعار لها روجرز مفهوم فرويد الاحتواء أو الاستدماج introjection) ويصبح تقديره الايجابى لذاته مقترنا بتحقيق استدخال شروط القيمة Conditions of worth والتى ستحل محل عمليات التقيم العضوية كخطوط هادية ومرشدة للسلوك ، وهكذا يصبح مفهوم الذات غير متطابق incongruent مع عمومية الخبرة ، وينقسم تحقيق الذات ، وميول التحقيق الى فرعين يعملان على نحو متعارض ويجعل الفرد يعانى من حالة من الارتباك والقلق : -

سيكون التعبير الرمزى الدقيق لخبرة الطفله على النحو التالى : " انا ادرك ان والداى يخبران هذا السلوك على أنه سلوك غير مُرضى بالنسبة لهم " ، وهذا التمثيل الرمزى المشوه ، شوهته لتحافظ على مفهومها عن ذاتها كما هو بدون تهديدعندما تقول " انا ادرك ان هذا السلوك غير مرضى " . فبهذه الطريقة تصبح القيم التى تنسبها الطفلة للخبرة مستقله عن التوظيف التنظيمى ، وتقيم الخبرة على اساس اتجاهات الأشخاص الآخرين ذوى الأهمية ، كما تصبح هذه القيم مقبوله لكونها حقيقية مثلها فى ذلك مثل القيم المرتبطه بالخبرة مباشرة ، وعلى ما يبدو - يبدأ الفرد هنا طريقاً يصفه فى النهاية بقوله " انا لا أعرف نفسى حقا " . (Rogers, 1959) .

وفى عمر لاحق تأخذ جماعات وهيئات إجتماعية عديده دورها فى تشجيع الارتحال بعيداً عن معرفة الذات ، وعلى سبيل المثال تشير بعض الاديان ان كل رغبة جنسية إثم وخطيئه ، وتعلم بعض المدارس ان تصفح الكتب للمتعه فقط امر غير مرغوب فيه إطلاقاً فى حين ان التعلم الدقيق والصارم لحقائق علمية معينه هى الامر المرغوب فيه جداً ، كما يعتبر الكثيرون من أفراد مجتمعنا أن جمع المال هو أفضل الأمور وغاية المنى الى الحد الذى يصل بهم احياناً للغش ، وتمطرنا اعلانات الصحف والتلفزيون بادعاءات ان آلاف المنتجات مرغوبة ومهمة لصحتنا ، وهكذا يستدخل الكثير منا هذه المعايير الخارجية ويؤمن بها على أنها معاييرهم الخاصة ، حتى لو كانت تخالف حاجتنا وقيمنا الحقيقية (Rogers, 1977) .

الدفاع : Defence :

أى خبرة مهدده للفرد تذكره بعدم الانسجام بين مفهوم الذات والخبره من المحتمل ان تقاوم defended عن طريق التشويه أو (فى أحيان اقل) باخفاءها كليه عن الوعى. وعلى سبيل المثال عندما ترى الفتاة الصغيرة التى سبق الإشارة اليها أخيها فيما بعد ، ربما تقرر أنها لاتشعر بشيئ تجاهه سوى الحب، ولا تحلم حتى بمجرد إيذاءه، والطالب الجامعى الذى يتضمن مفهومه عن ذاته إعتقاد قوى بكفاءته الأكاديمية والذى رسب فى اختبار ما ربما يبرر منطقيا عدم الانسجام مع خبراته بارجاع فشله الى النظام الدراسى غير الملائم ، أو الطالب الذى يواجه باختبار مهدد ربما ينسى الوقت او التاريخ المحدد للاختبار، أو يظهر لديه صداع حاد قبيل الموعد المحدد للاختبار مباشرة، وربما يقاوم حتى هذه المشاعر الايجابية مثل الحب والنجاح اذا فشلت فى التطابق مع مفهومه عن ذاته، وهكذا ربما يعزو طالب ضعيف المستوى الدرجة المرتفعه التى حصل عليها فى اختبار الى الحظ أو الى خطأ ما من المعلم اثناء التصحيح أو رصد الدرجة ، وربما ترفض إمرأة لديها مفهوم سالب تماماً عن ذاتها تصديق الاخرين عندما يعتبرونها ذكية أو محل اعجابهم أو محبوبه(Rogers & Wood , 1974) .

وهناك على الارجح قدراً مُعيناً وحتمياً من عدم التطابق والدفاع ، ولايدل ذلك بالضرورة على أن هذا الفرد عصابى، ومع ذلك فإن أى تشويه أو انكار لخبرة ولعمليات التقييم المنظمه لخبرة الكائن العضوى (بما فيها ميكانزم نقص الادراك) يمثل تكيف نفسى اقل من المثالى، وهو انحراف عن ميولنا الأولية السوية :-

" وهكذا بسبب الادراكات المشوهه الناتجة عن شروط القيمه التى تحيد بالفرد عن التكامل الذى يميز حالته اثناء المهد، ومع انه لاينستطيع بعد ذلك ان يحيى كفرد متكامل، فان السلوك يصبح منظم احياناً بواسطة الذات، واحياناً أخرى بواسطة خبرات الكائن العضوى غير المتضمنه فى الذات ، والشخصية من هنا فصاعداً تصبح مقسمه ، والقيام بالعمل على نحو غير كاف وهو ما يصاحبه الافتقار الى الانسجام unity، وهذا كما أراه هو الاغتراب الاساسى فى الإنسان ، يجعله غير صادقاً مع ذاته عند تقييمه لخبراته، وذلك بقصد الحفاظ على النظره الايجابية من الاخرين اصبح الآن يُخطأ بعضاً من القيم التى خبرها (Rogers, 1961) .

نمو الشخصية :

لايفترض روجرز مراحل أو معايير محددة للنمو ، ويفضل بدلاً من ذلك التأكيد على أهمية الاستجابة للطفل باعتبار ايجابى غير مشروط ، هذا الاهتمام والانشغال به هو افضل بداية بمجرد خروجه من الرحم الى الحياة ، ويوصى روجرز باستخدام اسلوب ليبوير Leboyer techneque الأمن والهادئ فى ولادة الأطفال (الضوء الخافت ، السكون ، الملاطفه ، الغمر فى ماء دافء) وذلك كبديلاً مفضلاً عن الطريقة التى قد تلحق الضرر بالطفل (ضوضاء صاخبة ، اضواء مزعجة ، صفعات) .

" الدخول الى الحياة الجديده تدريجياً بلمسة حب وإهتمام هو أفضل كثيراً للنمو النفسى للطفل من تعريضه المفاجئ لكل انواع المثيرات المفزعة وارغامه على الدخول لحياة جديدة مخيفه ، فمن الافضل التخلص من كل صور الصراخ والرعب والتعامل الجاهل مع الطفل كما فى النمط التقليدى " (Rogers, 1977) .

كما ينصح روجرز بضرورة معاملة الطفل بطريقة ديمقراطيه ، وكشخص مستقل وجدير بالتقدير ، يحق له تقدير خبرته بطريقته الخاصة ، وان يقوم باختياراته من خلال عمليات التقييم لذاته ككائن عضوى (الوالدين ايضا مؤهلين للاحترام ، وللحصول على حقوقهم التى لايمكن تجاهلها من قبل الطفل) وعلى سبيل المثال ففى كل الأسر التى تشيع فيها السيطره يتخذ رب الاسرة كل القرارات ويصدر كل الاوامر المختلفة (مثل : يجب ان تكون مرتباً ، نظف حجرتك فى الحال) ، وبينما يلجأ الأطفال الى اساليب متباينه للحصول على بعض المكاسب الخاصة لهم ، كالعبوس ، والدفاع عن النفس واستمالة احد الوالدين الى جانبهم ضدالاخر والتذمر أو الشكوى ، وعلى العكس فإن الأسرة المتمركزه حول الشخص تظهر مشاركتها للمشاعر غير المحكومة (المنضبطه) فربما تقول الأم " اشعر باستياء عندما يكون المنزل غير مرتب وعندئذ اكون بحق فى حاجة الى من يساعدنى فى إعادة ترتيبه " ، كما تجدها ايضا فى حالة من الذهول لان حيل اطفالها بارعة حقيقة وان لديهم طرقاً فعاله لتحقيق الدقه والإحكام فيما يفعلون ، ويبدو واضحاً لها الآن وبأمانة ان مشكلتها اكثر تحديداً من مشكلتهم (1977) . إن البرهنة أو التأكيد على دور الاسرة المتمركزة حول الشخص ليس أمراً سهلاً ، ولكن روجرز يعتقد أنه أمراً يستحق الجهد ، حيث تتيح الفرصة للأطفال فى النمو فى مناخ يتوفر فيه الحد الادنى من ا لظروف المُرضيه والمشبعة ، مما يمكنهم من السعى بحرية فى طريق تحقيق الذات .

صفات الشخص القائم بوظائفه على أكمل وجه : The Fully Functioning Person

كما فعل البورت ، فقد صاغ رجرز قائمة من محكات الصحة النفسية ، تنطبق على الشخص القائم بوظائفه على اكمل وجه وهى :

١- غياب أى شروط للأهمية : ومن ثم فهو يستمتع بالاعتبار الايجابى غير المشروط .

٢- التطابق الكامل بين الخبرة ومفهوم الذات : وهو ما يحميه من التهديد والقلق، ويحول دون الحاجة للدفاع ويسمح لكل الخبرات بأن يتم التعبير عنها رمزياً فى الوعى .

٣- الانتفاح الكامل على الخبرة : فالشخص القائم بوظائفه على اكمل وجه مستعد للقيام بعمليات التقييم العضوية بدلاً من التسويف وابداء التبريرات للآخرين .

٤- يعيدون على الفور تصحيح أية اختيارات تقدم حلول هزيله لاخطاءهم متى تم فهم هذه الاخطاء، فالميل لتحقيق الذات، وتحقيق الواقع تعملان معاً فى انسجام لتحقيق قدرات الفرد الكامنه وامكاناته الفطريه، وعلى سبيل المثال فإن الاشخاص ذوى المستوى المرتفع من الابتكارية مثل الجريكو El-Greco* وهيمنجواى Hemingway** ، واينشتين Einstein*** علموا بدرجة كبيره ان اعمالهم وافكارهم لها درجة كبيره من الخصوصية .

٥- يقبلون ما هو غير موجه من المعايير ويخفون مشاعرهم الحقيقية خلف مظهر كاذب مقبول اجتماعياً ، كما تعد المهام الصعبة ضرورة لتحقيق الفهم الحقيقى المتعمق لانفسهم، وكما قال الجريكو " الفنانين العظماء لايرسمون مثل هذه ، ولكنى أرسمها" وليست هذه فقط حقيقة الفنانين او العباقرة فكل منا قادر على الحياة والانسجام مع قيمه الداخلية والتعبير عن ذاته بطرق منفرده ومرضية .

٦- يشعرون بالأهمية لأنهم محبوبين من الآخرين وقادرين على ان يحملون لهم الحب بعمق ويشبعون حاجاتهم من الاعتبار الايجابى من خلال تكوين علاقات شخصية ناجحه مع الاخرين .

---

* رسام اسبانى عاش خلال الفتره (١٥٤٨-١٦١٤م) فى اعماله نبرة صوفيه واتقاد روحى .

** هو ارنست ميلر هيمنجواى (١٨٩٩ - ١٩٦١م) روائى امريكى منح جائزة نوبل فى الأدب ١٩٥٤ ومات منتحراً

*** هو ألبرت إينشتين (١٨٧٩ - ١٩٥٥) فزيائى المانى المولد يهودى الديانه أمريكى الجنسية - صاحب نظرية النسبية - منح جائزة نوبل فى الفزياء عام ١٩٢١ .

٧- لديهم اعتبار ايجابى غير مشروط نحو الاخرين يماثل اعتبارهم الأيجابى غير المشروط نحو ذاتهم .

٨- يعيشون حياة الحرية والتكامل فى كل لحظة ، فهم يستجيبون بتلقائية لخبراتهم ويكيفون مفهومهم عن ذاتهم وشخصيتهم تبعاً لذلك فضلا عن توقعهم الجيد للمستقبل ومحاولة ضبطه والتحكم فيه .

٩- لايرون السعادة فى بعض المعايير والانظمة الثابته او فى مدينة فاضله ودنيا مثاليةutopia ولكن يرونها مثل الرحلة دائمة التغير . " الحياة الطيبه حياة عملية وليست حالة من الثبات، إنها تكليف وليست تشريف" (1977) .

تطبيقات نظرية روجرز :

١- علم النفس المرضى :

يعد وجود الشخص القائم بوظائفه على اكمل وجه امراً مثالياً ونادراً ما يتم تحقيقه بصورة فعلية، وفى الواقع يصادف كل طفل بعض الاعتبار الايجابى المشروط على الاقل، وهكذا فإنه لايوجد حد فاصل بين حالة السواء والمرض النفسى ولكن الاختلاف يكون فى الدرجة اكثر من كونه اختلاف فى النوع . فمفهوم الذات للشخص الاكثر إضطراباً يتضمن المزيد من شروط الأهمية التى تتصف بدرجة كبيره من القوة . وهو ما يؤدى الى عدم تطابق مع الخبرة الكليه وينتج عن ذلك الإضطراب والانقسام المؤلم، كما ان جهود المعاناة الشعورية لتحقيق اعتبار إيجابى عن طريق المعايير المستدخله تفشل فى تحقيق الحاجات الداخلية الحقيقية، فى حين ان القيم والحاجات العضوية تصبح مُقلقه بشكل مزعج وتهدد مفهوم الذات كنتيجة للتضارب وسرعة التأثر بالنقد والحساسية لضروب الاغراءات . ومن ثم فإن المعاناة تحاول حماية النفس من خلال الصور المذكورة سابقاً للدفاع، ولكن هذه الصور وحدها تزيد من درجة التشتت أو الارتباك الداخلى والاغتراب وتؤدى بدورها الى شكاوى مرضيه من قبيل: "أشعر حقيقة اننى لست كما يجب "، "لا أعرف ماذا اريد" ، "اتعجب من نفسى بحق" ، " لا أستطيع أن أقرر أى شيئ" (Rogers, 1959) ؛ وبمقارنة ذلك مع النظرة المماثلة لكارن هورنى ستجد ان عدم القدرة على معرفة الفرد لحاجاته الحقيقية تجعل من الصعب جداً على الآخرين مساعدته

على إشباعها . مما يؤدى الى تمزق العلاقات الشخصية للفرد المريض ويعبر روجرز عن ذلك بقوله :

" يمثل العصاب عقبه هامه أولاً لأن التواصل بين المريض وذاته قد تحطم، وثانياً ، كنتيجة لذلك فإن التواصل مع الاخرين قد تحطم ايضا ، وتصبح أجزاء من ذاته لاشعورية ، أو يتم كبتها أو إنكارها شعورياً . ويصبح منغلق على ذاته فلا يتواصل مع الشعور أو الجزء المتحكم من ذاته .

يتشابه الذهان مع العصاب ولكنه يتضمن اشكالاً دفاعية اكثر مبالغة أو إفراط مثل التفكك أو الانفصال (كما فى نظرية سوليفان) والضلالات أو الهذاءات ، وهكذا ، فالولد الذى يتضمن مفهوم عن ذاته درجة مرتفعه ومتزمته من شروط الأهمية والذى تم ضبطه يرفع الجزء السفلى لثوب طفلتين صغيرتين يقر أن أحداً لايستطيع أن يلومه لأنه لم يكن هو نفسه الذى فعل ذلك فى هذا الوقت (Rogers, 1977) . ويتماثل روجرز مع اريكسون وكيلى فى تجنبهما لاستخدام عناوين تشخيصية شكلية ، حتى لو كانت عامة مثل مفهوم العصاب والذهان، فهو يرى ان مثل هذه المسميات نظرية وغير علمية تؤدى الى تعظيم خبرة المعالج النفسى وتصور المريض (المسترشد) بأنه شخص تابع له ، فالمسترشد يجب ان يطابق أو يماثل طبيعة صراعاته الداخلية مع قيمه العضوية ، واذا أدرك المسترشد مركز أو بؤرة التحكم والمسئولية سيصبح اكثر وضوحاً مع المعالج وسيتقدم علاجياً عما اذا دخل مباشرة فى العلاج (Evans, 1975) . وحتى مانسميه ذهانياً هو شخص اصابه اذى شديد فى حياته وفى حاجاته ، وليس لعوامل أخرى، ولكن التأثير المصحح للفهم الحقيقى والإهتمام بالعلاقات الشخصية هو السمة المميزة للعلاج النفسى عند روجرز .

العلاج النفسى :

الأساس النظرى : - يتعلم المسترشد فى العلاج المتمركز حول الشخص فى البدايه ان يتنازل عن المظاهر الدفاعية الكاذبة التى تحمى مفهومة عن ذاته غير المتطابق من التهديد، وكذلك القاء الضوء على انواع التواصل الداخليه الهامة وإحضارها الى الوعى بدلاً من بقاءها محتجبه عن الشعور (مثل : الغضب، السخرية، النقد الذاتى، قبول الذات، الحب، الحاجة للاخرين، والحاجة لتحقيق جهود داخلية نوعية). مثل هذه المشاعر والحاجات حديثة الاكتشاف والتعرف عليها تصبح اكثر وضوحاً، وتبين مالديهم من تعارض مع تشرب شروط الأهمية، ويلجأ المسترشد عادة فى ذلك الوقت الى طرق

متبأينـه من التحريـف أو التشويه والانكار ، ولكن فى الموقف العلاجى الآمن سيصبح قادر علـى تقبل مظاهـر القلق المزعجة للخبرة ، ويدرك ان مفهومه عن ذاته يجب أن يتغير ، ويعيد تنظيمه على نحو ملائم ، أى يجعل مفهومه عن ذاته فى انسجام مع كامل الخبرة مُنهيا بذلك الاغتراب والتعارض بين ميول التحقق ، وتحقيق الذات ، ويصلح القدرة الفطرية لتقـود عمليات التقييم العضوى وباختصار أنه شخص قائم بوظائفه على أكمل وجه .

وعلى سبيل المثال فالمسترشد الذى لديه مطلب ثابت بأن يكون لديه شعور إيجابى نحو والديه ربما يقول " لدى اعتقاد بانه يجب ان اشعر بالحب فقط إزاء والداى ، ولكنى اجد نفسى ولدى شعور بكل من الحب والاستياء المرير نحوهم " . أو المسترشد الذى لديه مفهوم سالب عن ذاته منذ البداية ولديه مشاعر معوقه وبشده لتقبل الذات ، ربما يقول " اعتقدت بطريقه عميقه أننى شخص سيئ وهذا هو أكثر العناصر الأساسية المزعجه والقاهرة لى ، انا لم أجرب مثل هذا السوء ولكن لدى رغبة ايجابية لأن اعيش واترك الآخرون يعيشون ، ربما اكون الشخص الذى لديه قلب إيجابى " ، وحيث أنه قد ثبت بصورة حتمية ان أعمق مستويات الشخصية تكون ايجابية ، ولذلك يجد المسترشد ان المعرفة الحقيقية بالذات أكثر إرضاءاً من كونها مؤلمة ، كما أن الاتساق الداخلى يتم البرهنة عليه من خلال مشاعر مثل " لم اكن قريباً الى نفس بمثل هذه الدرجة من قبل " ، وبازدياد الاعتبار الإيجابى للذات يتم التعبير عنه من خلال المتعة الكاملة الناتجة عن إحساسه بذاته أو كينونته (Rogers, 1977) .

العلاج النفسى عند روجرز عملية دينامية لايمكن وصفها فى كلمات أو فى قوائم من الخطط- وقد ساعد استخدام المسجلات الصوتيه وأشرطة الكاسيت المستخدمه فى الدراسة والبحث على تقدم هذا الأسلوب الارشادى ويختلف العلاج المتمركز حول الشخص عن طرق العلاج السابقه فى استبعاده للإجراءات الشكليه (طريقة جلوس المريض ، وموضع المعالج وغيرها . . .) فهو لايتضمن استرخاء على أريكة ، ولايتضمن تفسيرات وتبريرات منطقية معقده يقوم بها المعالج ، ولايهتم بمعرفة ماضى المريض ، ولايقوم بتحليل أو تفسير لأحلامه . وبدلاً من ذلك فإن المعالج يشبه بدرجة كبيرة للقابله عند ولادة شخصية جديدة . إنه الشخص الذى يساعد فى اكساب المسترشد ما يخافه من شجاعه وفى كفاحه العميق ليكون محققاً لذاته . . . ويتحق ذلك ببطأ عن طريق إنشاء

علاقة شخصية بناءة مع المسترشد، وهذه العلاقة من النوع الذى يثير مشاعر واقعية (وليست من النوع الذى يسبب التحول) ومن ثم يكتشف المسترشد ما فى داخله من قدرة على استخدام هذه العلاقة فى التغير الإيجابى وأن يعيد اكتشاف ميوله نحو تحقيق الذات، ولكى يحدث ذلك يجب ان يدرك المسترشد وجود ثلاث خصائص يعتبرها روجرز أساسية فى اى علاقة إنسانية ناجحة وهى الأصاله (الخلو من الرياء والتكلف) والتعاطف، والاعتبار الإيجابى غير المشروط . .

الإجراءات العلاجية :

أ ـ شروط العلاقة العلاجية الناجحة:

تعتمد العلاقة العلاجية الناجحه من احد جوانبها على ادراك المسترشد للمعالج بانه يتصف بما يلى :

١- الأصاله (الصدق) Genuine : أى الخلو من الرياء والتكلف. أى ان يكون للمرشد علاقة بالخبرة الداخليه الخاصة للمسترشد وقادر على ان يشارك فيها عند اللزوم، وهذا لايعنى ان المعالجين النفسيين يجب ان يُحملوا مرضاهم عبء مشكلاتهم الشخصية، أو يندفع بالحديث عن كل مايجول بخاطره ولكن ذلك يتضمن أن على المعالج النفسى ان يرفض المظاهر الدفاعية الكاذبة واللهجات المهنية الغريبة Jargon ، وان يؤيد الانفتاح على الخبرة وتحقيق التطابق، وان يكون بالفعل هو ذاته/ ذاتها. مثل هذه الواقعية تشجع على الصدق والأصالة الواثقة من جانب المسترشد وتساعده على اختزال العوائق وينفتح على علاقات تواصلية أمينه :

" أن يحتفظ المرشد بذاته كشخص وأن يتعامل مع المسترشد كموضوع فان ذلك لايتضمن احتمالية مرتفعه للمساعدة، كما ان ذلك لايعين المرشد على التصرف بهدؤ واستمتاع عندما يكون المسترشد غاضب وناقد بالفعل، ولاتساعد على التصرف والتدبر فى إجابات المسترشد التى لا أعرفها، ولاتساعد على دعم أى محاولة للحفاظ على المظاهر، وللتصرف بطريقة واحدة ظاهرياً بينما هو يمر بخبرة داخلية مختلفة تماماً . وبدلاً من ذلك وجدت انه كلما كنت اكثر صدقاً وأصالة فى علاقتى مع المسترشد كلما كنت اكثر قدرة على المساعدة ، وهذا يعنى اننى فى حاجة لأن اكون على وعى كامل بمشاعرى الخاصة الى اقصى حد ممكن ولدى رغبة فى التعبير عنها (Rogers, 1977) .

٢- التعاطف **Empathy** : بالاضافة الى الصدق والأصالة يجب أن يدرك المرشد أنه شخص متعاطف مع العالم الداخلى للمسترشد بما فيه من مشاعر ومعانى شخصية، وبدلاً من اللجوء الى التفسيرات المتعمقة فإن على المعالج ان يظل منتبها للتعبيرات اللفظية وغير اللفظية الصادره عن المسترشد (بما فى ذلك نغمه الصوت وحركات الجسم) وأن يعكس ثانية المعانى المدركه لهذه التعبيرات، وعلى سبيل المثال إذا لاحظ المسترشد أنه لأول مرة منذ شهور يفكر فى مشكلاته ولايهتم بها بشكل فعلى، فان على المعالج ان يستجيب له قائلاً " لدى انطباع بأنك لست سيئاً واعتقد انك سوف تفكر فى مشكلاتى أنا شخصياً وليس هذا شعورك على الدوام (نحو ذاتك) " فإذا كانت نظرة المعالج صحيحة سيرد المسترشد قائلاً " ربما يكون هذا هو ماحاولت ذكره، ولم استطيع ذلك بالفعل، ولكن نعم، هذا ما أشعر به فعلاً" (Rogers, 1977) . وعلى العكس من ذلك فان عدم موافقة المسترشد تدل على خطأ فى فهم المعالج النفسى اكثر من كونها مظهر للمقاومة كما يدعى فرويد، ويفيد التعاطف الصحيح كعامل مساعد قوى فى النمو السوى لانه يزود المسترشد بإحساس عميق بأنه اصبح مفهوماً من اشخاص اخرين لهم أهميتهم ومكانتهم، هو ما يعطيه إنطباع بان أى مزيد من تعرية للذات Self-exposure ستكون آمنه ومفيده الى حد بعيد.

" كنتيجة للدفء العاطفى فى العلاقة مع المعالج النفسى، يبدأ المسترشد فى الشعور بالأمان، وكلما وجد أن ما يعبر عنه من اتجاهات أصبح مفهوماً بنفس الطريقه التى يعبر بها وأصبح مقبولاً فى نفس الوقت، اننى إحاول فهم المشاعر والإفكار التى تبدو مزعجه للغاية بالنسبة للمسترشد وكذلك ذات التأثير الضعيف، وكذلك المثيرة والمربكة ، وأتركه حراً تماماً ليعبر عما يوجد فى الاركان الخفيه والزوايا المظلمه من خبراته الداخلية الدفينة" (Rogers & Wood, 1974) .

٣- **الاعتبار الإيجابى غير المشروط** : يجب أن يُدرك المعالج أنه شخص غير متحكم وان يظهر ذلك بوضوح، كما يجب أن يظهر عدم نزعة الى التملك والاستحواذ وانه يحمل فى داخله تقديراً لمشاعر المسترشد وعواطفه وهو ما سبق الإشارة اليه بالاعتبار الإيجابى غير المشروط ويعبر روجرز عن ذلك بقوله " يجب ان توفر العناية الكافية للشخص الذى لاترغب فى التدخل فى نموه وتطوره، ولا فى استخدامه لاهداف تعظم أو تبجل بها ذاتك Self- aggrandizing ، إن إحساسك بالرضا سيأتى من تركه ينمو

بحرية طبقاً لطابعة الخاص" (1977) . مثل هذا التقبل الذى لايقدر بثمن يمكن المسترشد من اكتشاف مشاعره وقيمه التى كانت مهدده بالظهور فى الوعى، وتعطى الأمان للمعرفة التى لن تثير النقد أو أى شكل من اشكال التحكم أو السيطرة، أو حتى اى تقييم إيجابى يهدد على المدى البعيد كما لو كان سلبياً ، كأن تخبر شخصاً انه جيد يتضمن ان لك الحق فى إخباره انه ردئ . وكمثال اذا اخبرنا المسترشد ذات مرة ان حياته تعد ناجحة رغم بعض مشاعر الذنب الذى تنتابه تجاه اطفاله، فإن ذلك يوجد مبرراً جيداً للاستفسار عن حقيقه هذه الجملة، حيث يقبل روجرز القيمة الظاهرة لها (أو بطريقة كيلى ما يسمى بالاتجاه الساذج أو السطحى) وكنتيجة لذلك ، فإن المسترشد سريعاً ما يتوصل للوعى الكامل بمشاعره الواقعية والعميقه بالحزن والاستياء، والاعتبار الإيجابى غير المشروط يتضمن الجلوس هادئاً مع المسترشد الفصامى الصامت لفترة طويله من الوقت، مُظهراً للدعم والفهم خلال الحضور البدنى دون استخدام أية ضغوط للحديث :

" لنكتشف أنه ليس مدمراً أو مخرباً قبول المشاعر الايجابية من الآخرين لانه ليس بالضروره أن ينتهى بأذى ، انه بالفعل شعوراً طيباً ان يشترك معك شخص اخر فى كفاحك لمواجهة ضغوط الحياة. وربما يكون ذلك واحداً من أعمق التعليمات التى يقابلها الفرد بالمواجهة سواء فى العملية العلاجية أو خارجها "(Rogers & wood, 1974).

ولايعد تحقيق الاحترام الإيجابى غير الشروط والتعاطف والأصالة مهمة سهلة بأية حال من الأحوال ، ولايتوقع قيام المعالج النفس بكل ذلك على طول الوقت ، لكن المتابعة المستمرة المعقولة لهذه الصفات الثلاثة بحيث يدركها المريض أو المسترشد بدرجة كافية، يعد من وجهة نظر روجرز أمراً ضرورياً وكافياً لإحداث تقدم واضح فى العملية العلاجية .

ب - خطوات العلاج ومراحله :

بدراسة العديد من المقابلات الإرشادية ، أمكن تمييز سبع خطوات أو مراحل للإرشاد على النحو التالى (باترسون : ١٩٨٦) .

المرحلة الأولى : فى هذه المرحلة نجد عدم الرغبة من جانب المسترشد فى التعبير عن الذات. ويكون الحديث متصلا بالجوانب الخارجية فقط، أما المشاعر والمعانى الشخصية فلا يتعرف عليها بل أنها أيضا لاتكون منتمية إلى الذات، ويرى المسترشد

العلاقات القريبة وعلاقات التخاطب والاتصال على أنها تمثل خطراً ، وفى هذه المرحلة لاتحدد المشكلة ولاتدرك ، كما لاتوجد رغبة فى التغيير . كذلك فإنه فى هذه المرحلة نلاحظ أن المسترشدين قد لا يأتون للإرشاد بمحض ارادتهم .

المرحلة الثانية : إذا أمكن الوصول الى الفرد فى المرحلة الأولى من خلال تقديم أفضل ظروف لتيسير التغيير ، فإن تعبير الفرد يبدأ فى الانسياب فى الموضوعات التى لاتتصل بالذات ، وعلى أى حال فإن المسترشد يرى المشكلات على أنها تمثل شيئا خارجا عنه ، ولايوافق على أى مسئولية شخصية ، ويمكن إظهار المشاعر ولكنها لاتكون محددة أو مملوكة من جانب المسترشد ، وتكون المعايشة للماضى كما يكون هناك تمييز ضئيل للمعانى الشخصية واعتراف بسيط بوجود متناقضات ، وربما يأتى المسترشدون للإرشاد فى هذه المرحلة طائعين مختارين .

المرحلة الثالثة : فى هذه المرحلة نجد أن التفكك يستمر فى حرية أكثر فى التعبير عن الذات وعن الخبرات والموضوعات المتصلة بالذات ، وكذلك عن الذات كموضوع انعكاس يوجد أساساً فى الآخرين ، أما المشاعر الخاصة بالماضى وكذلك المعانى الشخصية (والتى تكون سالبة فى المعتاد) فإنه يعبر عنها مع قليل من التقبل لها ، ويكون تمييز المشاعر أقل شمولا ، كما يكون هناك اعتراف بالمتناقضات فى الخبرة ، ويبدأ كثير من المسترشدين العلاج فى هذه المرحلة .

المرحلة الرابعة : إن وجود التقبل والتفهم والمشاركة (من جانب المرشد) فى المرحلة الثالثة يساعد المسترشد على الانتقال للمرحلة الرابعة حيث تكون المشاعر أكثر تركيزا . ورغم أنها لا تكون متصلة بالحاضر فإنه يعبر عنها مع بعض المشاعر والخبرات الراهنة . ونجد أن هناك تفككا فى الطريقة التى يعبر بها عن الخبرة ، كما تحدث بعض الاكتشافات حول بنية الذات ويزداد تمايز المشاعر والاهتمام بالمتناقضات ، ويتكون الإحساس بالمسئولية الذاتية فى حدوث المشكلة ، وتبدأ الخطوات الأولى فى تكوين العلاقة مع المرشد على اساس من المشاعر ، وهذه الخصائص التى تلاحظ فى المرحلة الرابعة كثيرة الشيوع أيضا فى كثير من أنواع العلاج (وأيضا الخصائص الخاصة بالمرحلة الخامسة) .

المرحلة الخامسة : فى هذه المرحلة ينطلق تعبير المسترشد حول مشاعره الراهنة . ولكن هذا التعبير تشوبه الدهشة والخوف ، ويكون المسترشد قريبا من معايشة تامة لمشاعره (يخبرها) رغم أن الخوف وعدم الثقه ونقص الوضوح تكون لاتزال موجوده ، ويحدث

تمييز للمشاعر والمعانى الشخصية بدقة أكبر ، كما يشعر المسترشد بأن هذه المشاعر الشخصية تنتمى إليه بشكل أكبر ويزداد تقبله لها ، أما الخبرة فتكون مفككة ومتصلة بالحاضر . وتحدث مواجهة واضحة مع المتناقضات ، ويزداد تقبل المسترشد للمسئولية عن المشكلات ، ويكون فى هذه المرحلة قريبا من كيانه العضوى بالقدر الذى تنساب به مشاعره ، كما نلاحظ وجود تمايز فى الخبرة .

المرحلة السادسة : تميل هذه المرحلة إلى أن تكون مميزة وجادة . فالشعور الذى حبس من قبل يعاش الأن بشكل مباشر ، كما أن الشعور يعاش بوفرة أو ينساب ليبلغ مداه ويحدث تقبل للخبرة وما يصاحبها من شعور كشئ واقع وليس كشئ يخاف منه أوينكر أو يقاوم . فالخبرة تعاش ولاتستتشعر ، بمعنى أن الفرد يعايش الخبرة دون أن يكتفى بالتعبير عن المشاعر كما أن الذات باعتبارها شيئا خارجا بالنسبة للشخص تختفى ويتحول عدم التطابق الى تطابق ، ويكون التمايز فى عملية الخبرة (المعايشة) حاداً واساسياً، وفى هذه المرحلة تكون المشكلات سواء الداخلية أو الخارجية قد انتهت ، فالمسترشد يعيش - ذاتيا- مرحلة من مشكلته ، إنها لم تعد شيئا خارجا عنه ، وإنما اصبحت جزءا منه ، وتتكون بعض ردود الفعل الفسيولوجية ذات طبيعة تفككية واسترخائية مثل الدموع والتنفس العميق والاسترخاء العضلى ، وتعتبر هذه الاستجابات مفيدة للجهاز العصبى ، وتعتبر هذه المرحلة حرجة بدرجة كبيرة .

المرحلة السابعة : فى هذه المرحلة يبدو المسترشد مستمرا فى قوته الدافعة ، وقد تحدث هذه المرحلة خارج جلسة العلاج ، ثم يعبر عنها المسترشد فى الجلسة . إنه يعايش مشاعره الجديدة بفورية ووفرة ، ويستخدمها كمراجع لمعرفة من يكون وماذا يريد وما هى اتجاهاته الشخصية ، ويحدث تقبل للمشاعر المتغيرة ، كما يشعر الفرد بأنها تنتمى إليه ويكون هناك ثقة فى العملية العضوية كلها . كما تكون المعايشة تلقائية كما تصبح الذات بكل متزايد هى الوعى الذاتى الذى يعكس عملية معايشة الخبرة ، ويقل إلى درجة كبيرة إدارك الذات على انها شيئ خارج الشخص (كموضوع) بينما يزداد بدرجة كبيرة الشعور بها كعملية ، ولأن كل عناصر الخبرة تكون متاحة للوعى فإنه يكون هناك معايشة للاختيار الصادق والفعال ، وهذه المرحلة التى يصل اليها القليل من الأشخاص تتميز بالانفتاح على الخبرة والذى يؤدى بدوره إلى الحركة والتغير ، ويكون الاتصال الداخلى والخارجى طليقا .

مجموعات المواجهة Encounter groups :-

آن تصبح شخصاً يقوم بدوره على أكمل وجه فهذا أمر من الممكن ان يستغرق الحياة بأكملها، وحتى الأشخاص الطبيعيين الى حدما من المحتمل ان يبحثوا عن سبل تحقيق المزيد من النمو الشخصى، وهناك وسيله شهيره لمواجهة هذه الحاجة ألا وهى مجموعات المواجهة التى ابتكرها كورت ليفن Kurt Lewin وطورها روجرز وتسمى احيانا بالمجموعة ت T. group ، حيث يتواجه عشرات الاشخاص مع اخصائى مدرب أو اثنين لتحقيق هذه الحاجة خلال وقت قصير نسبياً (عادة فى نهاية الأسبوع ، وأحياناً لعدة اسابيع فقط). فالعوامل المساعدة التى تلى الطرق الارشادية المعتاده تسهم فى تكوين علاقات داخلية بناءة ، فمن خلال الأصالة ، والتعاطف، والاعتبار الإيجابى غير المشروط يتكون مناخ سيكولوجى يتسم بالدفء والثقه والأمان (ولكن بدون قواعد أو إجراءات مخططه ولذلك تسمى عوامل مساعدة وليست عوامل أساسية). وهكذا يبدأ اعضاء الجماعة فى خفض حيلهم الدفاعية وتشويه مفهوم الذات تدريجياً، وتظهر مشاعرهم الحقيقية تجاه بعضهم البعض وتجاه أنفسهم ، وينصتون الى بعضهم البعض بعناية واهتمام اكثر، ويتعرفون على اثارهم الحقيقية على الآخرين ويشاركون فى علاقات عاطفية عميقه مع بعضهم البعض، ويبتكرون اهدافاً جديدة ويوجهونها لمصلحتهم الخاصة كلما أمكن ذلك. ويرى روجرز ان مجموعات المواجهة تملأ فجوة أساسية فى مجتمعنا المعاصر الذى يغلب عليه الاهتمام بالتكنولوجيا والإعراض عن العلاقات الشخصية :

" الحاجة النفسية التى تدفع الناس لمجموعات المواجهة هى حاجة الشخص لأشياء لايستطيع ان يجدها فى عمله، وبيئته، وبالتأكيد لايستطيع ان يجدها فى مدرسته او كليته، ولاحتى فى حياته العائلية الحديثه، انه الجوع لعلاقات حقيقية ومتينه، يمكن التعبير من خلالها عن مشاعره وأحاسيسه بتلقائيه دون صياغتها فى قالب جامد ودون الخوف من المراقبه، وحتى يمكن ان يشتركوا فى الخبرات العميقة كالإحباطات والسعادة، وبطريقة تمكنهم من محاولة ممارسة اساليب مبتكره للتصرف والسلوك - انهم باختصار اصبحوا قريبين من حالة المعرفة بكل شيئ وتقبل كل شيئ ، وهكذا يصبح تحقيق المزيد من التقدم أمراً ممكناً (1977) .

وبينما وجد روجرز ان مجموعات المواجهة تعد ناجحة بصفة عامه فى دعم النمو الشخصى ، فإن هناك صيحة تحذير يجب الإصغاء لها ألا وهى عدم عقد هذه الجلسات مع اخصائيين مساعدين غير مهره أو غير مدربين جيداً ، وخاصة ان مثل هذه الجلسات العلاجية التى تستمر لفترات قصيرة نسبياً اثبتت أنه من الصعب على بعض الأعضاء التعامل معها بشكل جيد وبشكل خاص اذا سمح لأشخاص لديهم سوء توافق واضح من المشاركه فيها مما ينتج عن ذلك كوارث نفسيه متعددة الأنواع (yalom, 1970) .

العلاج النفسى والإصلاح الإجتماعى :

كما ذكر العديد من اصحاب النظريات ، يرى روجرز أن المجتمع العالمى مجتمع مريض للغاية ، ويعطى أمثله على ذلك من خلال فضائح من قبيل عدم الاعتراف الرسمى دائماً بحقوق الإنسان ، والتباين الطبقى الشائع بين الأغنياء والفقراء أو الأحرار والعبيد وهو ما زرع بذور الكراهية بين شعوب العالم وهو ما يتضح من خلال جماعات الإرهاب التى أسقطت غضبها على الأبرياء من بنى البشر ، وكذلك شبح الحرب النووية الذى ترك الإنسانية تحت سيطرة خطر مميت وقاتل تجعله يتأرجح على حافة حادة بين البقاء والفناء .

ويعترف روجرز ان البشرية أنجزت بعض التقدم الاجتماعى الهام خلال العقود القليله الماضيه مثل تحسين وتطوير الحقوق المدنية ، وزيادة الجهود تجاه تحديد النسل ، كما ناقش مدخل التمركز حول الشخص ودوره فى توفر السبل للعيش معاً فى توافق وانسجام بدلاً من محاولة الإمساك بالسلطه والنفوذ والاحتفاظ بهما وبمقدور شعوب العالم ان تتعامل مع بعضها البعض بأصالة ، وتعاطف ، واعتبار إيجابى غير مشروط ، كما يستطيعون ان يعملوا سوياً فى سبيل الهدف المنشود وهو التعاون فى سبيل تحقيق اقصى استفاده من الجهود البشرية (Rogers, 1982) .

التربية :

حيث يرى روجرز ان خصائص كالأصالة والتعاطف والاعتبار الإيجابى غير المشروط تعد أساسيه فى أى علاقة إنسانية ناجحه ، فإنه ينتقد بشده الأسلوب التسلطى والقهر الفلسفى المسيطر على نظامنا التربوى ، الذى يفترض تمتع المعلم بالقوةوتوجيه الأنشطه لدارسين ملاحظين وسلبيين . وتتم عملية التقييم من خلال الامتحانات التى

تتطلب طلاباً مثل الببغاوات يكررون ما يعتبره المدرس مهماً من معلومات، ويبرهن روجرز على عدم الثقه المؤكده بالمدرس الذى يقيم بشكل ثابت كل تقدم يحدث لطلابه ، وبالطلاب الذين يبقون فى وضع دفاعى ضد الأسئلة الخادعة وإجراءات التقيم غير العادلة . ومن خلال تأكيده الواضح على أن كل من التفكير ، والجوانب الانفعالية للخبره تكاد تعد أموراً غير مرتبطه بالنشاط المدرسى . والنتيجة المتوقعه لمثل ذلك ان العديد من الطلاب ذوى الجهود البارزه يتكون لديهم اتجاه سالب نحو الاستمرار فى التعليم لكونهم يرونه إطاراً غير سار بدلاً من أن يدركوه كفرصة ذهبية لصقل مواهبهم. " تعد مدارسنا مصدراً خطيراً لايقاع الضرر بدلاً من ان تكون مصدر مساعده لنمو الشخصية، وتعد ذات تأثير سلبى على التفكير الابتكارى ، إنها مجرد مؤسسات تبقى الصغار بعيدين عن عالم الراشدين" .

وعلى العكس من ذلك يرى روجرز ان المدرس المتمركز حول الشخص Person centered teacher على غرار المعالج المتمركز حول الشخص يسعى لخلق مناخ سيكولوجى يسهل اقصى استغلال من قبل الطالب لقدرته على التفكير والتعلم الذاتى. مثل هذا المدرس يوفر التعاطف والاعتبار الإيجابى غير المشروط لمشاعر واهتمامات الطالب، كما يوفر الأصالة المرتبطه بخبراته الداخلية. ان عملية اتخاذ القرار هى عملية مشتركه بين الطلاب والمدرس لمساعدتهم على ان يختاروا برنامجهم الخاص للتعلم وتحمل المسئولية الأساسية لتبعات هذا الاختيار، لاشك ان الحصص المدرسية غير النظامية التى تتيح فرصة للمناقشة الحره تمكن الطلاب من تشكيل أراءهم والتعبير عن مشاعرهم فى حين يقوم المدرس بدور المنظم يمرر الاختيارات ويصيغ الاقتراحات عندما يطلب منه ذلك. ويجب ان يكون التقيم متبادلاً، وان يمدهم بأى دليل يوضح نموهم الشخصى والتربوى يرجى تحقيقه اثناء تدريس المنهج. مثل هذا المدخل ذات التوجه الذاتى يمكن الدراسين من اكتشاف وتنمية اتجاهات تعد معززه بالنسبة لهم، وتجعل العملية التعليمية ممتعه لأنهم يتعلمون ما يرغبون فى معرفته بدلاً من إجبارهم على هضم تفاصيل غير شيقه وغير مفهومة وموصوفه بمنهج مفترض ومحدد (Rogers, 1969) .

لقد واجه مدخل التمركز حول الشخص فى مجال التربية فى البدايه مقاومة وعدائيه لانه مصدر تهديد لاؤلئك الذين يتبعون اسلوب الوجبات العلميه الجاهزه (أى يخبرون الطلاب بما يجب أن يفعلوه). فالطلاب الذين يطالبون فى تذمر بالحريه بالتأكيد سيتابهم

إحساس بالرعب عندما يدركون انها تعنى ايضاً المسئولية ، ولكنه استنتج ان ذلك يقود الى تعلم اكثر سرعه ودقه على كل المستويات التربوية . وبالنسبه للتقييم الإيجابى للدارسين الذى يحصل عليه من عدم إجباره على التعلم يعبر عنه بقوله " لقد فوجئت بما لدى من قدرة على الدراسة والتعلم حينما لم أجبر على فعل ذلك" ، " أشعر وكأننى مثل الكبار ، فلم أخضع للإشراف والتوجيه طول الوقت" ، " لم أقرأ كثيراً بهذا الشكل طوال حياتى (Rogers, 1977) .

نظرية روجرز والبحوث الامبريقيه :

يعد روجرز أحد المعالجين النفسيين القلائل الذين ناقشوا باهتمام واسع فى نظريتهم مفهوم البحوث الامبريقية ، لكونها تسهم فى الحاجة المتأصلة لخلق الإحساس بالظواهر السيكولوجية ، انه يشارك ألبورت تأكيده على ان علماء النفس يجب ان يبتعدوا تماماً عن كل ما يثير خوفهم ودفاعهم بأن يوصفوا بأنهم غير علميين ، وان يهتموا بالمحددات المنهجية للبحث وليس بالموضوعات البحثيه التافهة ، كما يوافق على ان الباحث العلمى الحق يجب أن يتعامل مع الخبرات الموضوعية ويتابع بكل أراده واهتمام الاتجاهات الإبداعية وخاصة تلك التى تتبع نظاماً معيناً مثل علم النفس ، كما يرى أن الملاحظة الدقيقه والتفكير الابتكارى اكثر ملائمة من القياسات الدقيقه فى العلوم الاكثر نضجاً ، ويحذر روجرز - مثل كيلى - من ان أى نظريه يجب ان تحترم أى توسع علمى يحدث فى ضوء الاكتشافات الجديدة فيقول " اذا كنا نرى أن هناك نظرية غير معصومة من الخطأ ، فإن البناء التركيبى لها يجب ان يتضمن إطار عملى يشتمل على خطوط متشابكه من الحقائق الثابته ، وهنا فقط سوف تفيد النظرية كما يجب فتصبح مثيراً لمزيد من التفكير الابتكارى" (Evans, 1975) .

نظرية روجرز فى الميزان :

١- أوجه القصور والخلاف :

مثل أدلر - أنتقد روجرز لمبالغته فى التفاؤل ، ووجهة نظره التى تتصف بالاختصار والتبسيط حول الطبيعة البشرية . كما أنه يرى ان مساعدة الطاقات الداخلية للوصول الى درجة تحقيق الذات تعد مرغوبة فقط اذا كانت المستويات العميقه فى الشخصية فى الواقع سوية وبناءة ، مما يجعل من المشكوك فيه وجود سلام وتعاون متأصل أو فطرى ، وان اشتراك الإنسان فى الحروب والجرائم والسلوكيات التدميرية يرجع الى تشرب المعايير

اللاسويه، والشروط المرضية للأهمية، بالإضافة لذلك ان الميل للتحقيق اصبح اكثر غموضاً اذا ما قورن ببعض التركيبات الدافعية مثل الغرائز عند فرويد والسمات عند البورت، والحاجات عند موراى، كما ان العديد من المعالجين النفسيين لايتفقون حول الاهمية المطلقه للأصالة، والتعاطف والاعتبار الإيجابى غير المشروط، كما يتضح وجود اوجه تشابه هامه بين نظرية روجرز وكل من هورنى، وسوليفان، ويونج . وبالرغم من تأكيد روجرز على ان نظريته قابله للتطوير فى ضوء الاكتشافات العلميه الحديثه إلا أنه لم يغير كثيراً فيها وعلى مدار العشرين سنة التى سبقت وفاته عام (١٩٨٧) فيما عدا قبوله للعمليات اللاشعوريه والذى عاد وشكك فيها بعدما وصف مفهوم الذات بأنه مفهوم شعورى وقام بقياسه من خلال مقاييس التقرير الذاتى للمسترشد .

٢- البحوث الامبريقية (شبه التجريبية).

توجد العديد من البحوث والدراسات حول نظرية روجرز تعاملت مع مفاهيم الاصالة والتعاطف، والاعتبار الإيجابى غير المشروط، مثل هذه الدراسات استخدمت ادوات مثل المقاييس التقريرية وتحليل محتوى الأحاديث المسجله على اشرطة كاسيت بواسطة معالجين نفسيين، (تم تسجيلها بعد موافقه المسترشد بالطبع)، وكما هو معروف وشائع فى اطار التحدى بين بحوث العلاج النفسى كانت النتيجة التعادل، فبعض الدراسات وجدت علاقة ارتباطيه دالة بين هذه المفاهيم والتغيرات البنائيه فى الشخصية، فى حين ان البعض الاخر لم تتوصل لمثل هذه العلاقة وعلى سبيل المثال اقترحت بعض الدراسات ان الاعتبار الإيجابى غير المشروط ليست كافية لكى يصبح الناس اكثر توافقاً، وان تدريبات محددة ونمذجة السلوك المرغوب تعد ضرورية كذلك لتحقيق التوافق والعديد من هذه الدراسات شارك فيها روجرز ذاته .

أبحاث ودراسات أخرى تناولت مفهوم الذات بالدراسة استخدمت اسلوب كيو Q. sort الذى وضع أسسه ستيفنسون Stephenson 1953 وذلك باستخدام كروت منفصله تتضمن كل واحدة منها عبارة تحتوى على جملة وصفيه للذات مثل : انا شخص مطيع، انا لا أثق فى عواطفى، اشعر بالهدوء ولاشيئ يضايقنى" . ويقوم المسترشد بتصنيف الكروت فى ضؤ مقياس تساعى يتبع التوزيع الاعتدالى تقريبا تتدرج من بنود تصفه تماماً فى الوقت الراهن الى اخرى لاتنطبق عليه . كما يمكن استخدام نفس طريقة التصنيف فى التعامل مع مفهوم الذات كما يتمناها الفرد أى الذات المثالية ideal Self حيث يوضح قيمة معامل الارتباط بين الذات المدركه والذات المثالية مقدار التوافق النفسى للفرد، ولكن استخدام هذا الأسلوب كان محفوفاً بالمصاعب المنهجية ، حيث

أن هناك عدداً كبيراً من التعبيرات يمكن ان تقوم على الانكار الدفاعى لاخطاء الفرد الحقيقيه ونقاط ضعفه. ولكن هناك اكتشاف واحد جدير بالاهتمام فى هذا المجال الا وهو ان التحسن اثناء العلاج النفسى يكون واضح فى زيادة تقبل المريض لذاته، وان تقبل الذات هذا يجعل من السهل على الفرد تقبل الاخرين.

٣- الإسهامات :

يعد روجرز على نطاق واسع معالج نفسى حساس وفعال، كما أن العلاج المتمركز حول الشخص قد حقق شعبيه وشهرة يعتد بها، كما يعد من اول المعالجين الذين استخدموا اشرطة الكاسيت، كما استثار كم هائل من البحوث التجريبية والامبريقية والتحليلات الإحصائية، كما كان لوجهة نظر روجرز حول ضرورة قيام المعالج النفسى باعداد مناخ سيكولوجى يساعد على التوجيه الذاتى نحو النمو الشخصى بدلاً من مجرد تقديم تفسيرات تمثل تحول مبتكر عن نظريات التحليليين الجدد، كما يعد روجرز من المؤكدين على مصطلح الذات وما ترتب على ذلك من دراسات، كما اكد روجرز نسبياً على السواء والعمليات النفسيه الداخلية مما جعله رائد الاتجاه الإنسانى فى علم النفس (او القوه الثالثة) بعد كل من التحليليه بتركيزها اللامحدود على اعماق الشخصية، والسلوكيه باهتمامها الشديد بالسلوك الفعلى.

كما اعتبر روجرز المبادئ الديمقراطية التى يقوم على أساسها الكثير من المجتمعات المعاصرة مجالاً للمناقشه والتنافس بدلاً من مجرد توجيهها بواسطة الاشخاص المهمين فى حياتنا كالمدرسين والوالدين والمعالجين النفسيين، فمن الأفضل فى رأيه ان ننصح بعلاج بعضنا البعض كأشخاص متساون وان نحصل على الرضا من خلال تحرير الاخرين كى يتجهوا فى طريقهم الخاص نحو تحقيق الذات. ومما يثير الدهشة ان هذا الاسلوب فى التعامل أثبت أنه أقل تهديداً لهؤلاء الذين تعودوا على الكفاح من اجل الحصول على مراكز اعلى فى السلم الاجتماعى، ويجيزون حكمهم على الاخرين، وذلك مثل المدرسين الذين يفرضون سيطرتهم على طلابهم من خلال الواجبات الشكليه والدرجات، والأباء الذين لايستطيعون العدل بين اولادهم سيكولوجيا على الاقل، ورجال الإدارة الذين تمت ترقيتهم حديثا ويشعرون بالفخر لانه قد حان الوقت لاعطاء الأوامر بدلاً من استقبالها، ان سلطة الخبير تعد فكرة متأصلة بشكل عميق داخل معظمنا، ولها مميزاتها وعيوبها، ومع ذلك فإن إعداد الاشخاص الذين يؤمنون بالديمقراطيه بمعناها الحقيقى وتأكيد نظرية التمركز حول الشخص على عملية التوجيه الذاتى وصحة ما لدى الفرد من مشاعر تعد أهم إسهامات روجرز وانجازاته.

الفصل الثالث عشر

نظرية تحقيق الذات

أبراهام ماسلو : (١٩٠٨-١٩٧٠)

اتفق ماسلو مع روجرز حول الطبيعة الخيرة والبناءة للنفس البشرية، واعترض على تأكيد الكثيرين من أصحاب نظريات الشخصية على دراسة السلوك الشاذ مثلما فعل فرويد، واهتم أساساً بدراسة الأفراد المتوافقين والمحققين لذاتهم، ولذلك فقد توصل إلى نظرية جديدة للشخصية لايمكن اشتقاقها من دراسة المرضى فقط على الرغم من أنه قضى بعض سنوات عمره كمعالج نفسى ، وعندما اقتنع بعدم جدوى الحرب العالمية الثانية فى حل مشاكل البشرية وجه إنذاراً ورجاءً معاً يؤكد فيهما أن الجنس البشرى قادر على أداء أشياء من خلال الحب والسلام تفوق كثيراً ما يحققه من خلال الكراهية والدمار، ولكى يبرهن على ذلك اهتم بدراسة الأفراد الأصحاء نفسياً .

نشأته وحياته :

ولد ماسلو فى الأول من ابريل عام ١٩٠٨م فى بروكلاين Brooklyn بنيويورك ، كان والديه من اليهود المهاجرين من روسيا، وغير متعلمين، يدعيان أنهما ضحيه لكل من التعصب وعدم الأمان الاقتصادى . اسس والده شركة لتصنيع البراميل، ورغم ذلك ظلت طفولة ماسلو تتميز بالحرمان ، وكبر وهو يشعر بالوحدة والتعاسة ونشأ محباً للكتب والمكتبات مفتقداً الى الاصدقاء وقد تعجب ماسلو بعد ذلك، كيف لم تجعله هذه المرحلة مريضاً ذهانياً؟ بل انه لم يشعر حتى بالمرارة منها وأفرز ذلك نظريته المتفائله عن الطبيعة البشرية ، كما ان حياة والده دعته ان يرتفع فوق هذا الوضع الاقتصادى المتدنى، مما دفعه الى العمل بجد وتفانى، وبعد أن انهى المرحلة الثانوية، التحق بمدرسة الحقوق بناءً على رغبة والده ومكث بها اسبوعاً واحداً ثم عاد ذات ليله ليخبر والده انه لايمكن ان يكون ابداً محامياً، وجلس والده يستمع الى وصف ابنه وكيف انه يريد أن يدرس كل شيئ يستطيع ان يجيب عن اسئلته حول الشخصيه الانسانية، وأسئلته عن ذاته. وادرج أسمه فى جامعة كورنيل وبعد فتره قصيرة انتقل الى جامعة ويسكونس وذلك لان الجامعة الأولى لم تكن تضع قائمة بالعلماء البارزين فيها والأساتذة، وشعر بالإحباط عندما علم ان الاساتذه والعلماء المرموقين كانوا فى الواقع اساتذه زائرين يمكثون فتره ثم يرحلون، والتحق ببرنامج للدراسات الحره للأدب، وفى السادسة عشر من عمره أحب ماسلو بيرثا جودمان Bertha, G.، وكانت قرة عينه داخل الجامعة وهو مازال طالباً دون العشرين وتزوجا، وكان زواجهما سعيداً وانجبا بنتين ولكن والده كان رافضاً هذا الزواج وحثه على الانتقال لجامعة كورنيل، ولكنه خيب أماله وتزوج منها قبل تخرجه عام ١٩٣٠م ، ومكثا فى ويسكونسن، وكان ماسلو قوى العاطفه ليس فى حبه لزوجته ولكن ايضا للنظرية السلوكية الجديده لواطسن، ولذلك التحق ببرنامج الدكتوراه فى جامعة ويسكونسن تحت اشراف استاذه هارى هارلو Harlow, H. ، وكان موضوعها عن السلوك الجنسى عند القردة، ولم يكن مكسبه من جامعة ويسكونسن هو فقط الحصول على البكالريوس والدكتوراه، ولكنه تلقى توجيهات شخصيه وإجتماعيه من اساتذته فى امور كان يهملها تماماً أبسطها اهتمامه باختيار بدله انيقة يرتديها، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٤م ، وبدأ يعمل بالتدريس فى جامعة ويسكونسن، وكان إهتمامه منصباً على دراسة الجنس، وقرأ لفرويد وعلماء الجشطلت، والسلوكيه التى انبهر بها فى البداية، وفى عام ١٩٣٥ انتقل الى نيويورك وقضى بها عامين فى جامعة كولومبيا واهتم بالتحليل النفسى وتأثر بكل

من أدلر وهورنى وفروم، وتأثر بأراء فرتيمر فى علم نفس الجشطلت، ومرجريت ميد فى علم الانتروبولوجى واعتبرهم اول من أثر فيه وعشقهم بالفعل لانهم كانوا على الجهة المعاكسه للسلوكيه واعتمد عليهم فى تطوير نظريته ، وفى سنة ١٩٣٧ قبل وظيفه فى جامعة بروكلاين التى بقى بها حتى عام ١٩٥١ ، وادى قيام الحرب العالميه الثانية الى تحوله الكامل عن السلوكية عندما لاحظ ان السلوكيين انفسهم اصبحوا يتحدثون عن الجانب الإنسانى فى الشخصية، وكان لهجوم اليابان على ميناء بيرل هاربر فى ١٩٤١م اثره القوى عليه مما دفعه بقوه لعمل كل مافى استطاعته لدفع العالم الى السلام وان يضع نهاية للقتل ، وركز كل إهتمامه على صياغة نظرية شخصية اذا خرجت الى حيز التنفيذ تجعل كل الناس يعيشن فى سلام- ووضع كل شيئ غير ذلك جانباً -، واعتبر ان هذه اللحظة هى اللحظه التى اكتشف فيها غايته وهدفه فى الحياة، وانتقل عام ١٩٥١ الى جامعة براندس .Brandeis U وكان كمن ألقى على عاتقه مسئوليه شرح نظرية الشخصية فى علم النفس الإنسانى وعمل رئيساً لقسم علم النفس بها، وفى ١٩٥٤ وضع كتابه " الدافعية والشخصيه" الذى صاغ فيه نظريته، وقضى اكثر من عشر سنوات يمارس العلاج النفسى، وشملت مؤلفاته ست كتب ومجموعه من المقالات السيكولوجية نشرت فى مجلات متخصصه، وكان دواعى فخره ان نال رئاسة الجمعية الامريكيه لعلم النفس عام ١٩٦٧ ، وفى ١٩٦٩ كان رئيسا لمؤسسة لافين فى ميلانوبارك بكاليفورنيا، وبعد معاناة طويله مع مرض القلب مات متأثراً بأزمة قلبية فى يونيو (١٩٧٠).

طبيعة الشخصية :

فى أغلب الأحوال كان ماسلو يشارك روجرز فى نظرته التفاؤليه للطبيعة البشرية، وهو يعتبر ان ميولنا الغريزيه صحيحه من الناحية البنائية ومعتدله ايضاً، كما أكد على قدرتنا المتأصله لتحقيق نمو بناء ، والاتصاف بالامانه والرحمة والكرم وكذلك الحب، ومع ذلك يوافق اريكسون الرأي بأن هذه القدرة الغريزيه تكون فى البدايه ضعيفه جداً ومن السهل سحقها من خلال القوى الثقافيه والتعلم. " حاجات البشر تكون ضعيفه وغير فعالة، انها تهمس ولاتصرخ، ومن السهل أن يُحجب الهمس " (Maslow, 1970 b) . نتيجة لذلك فإن البيئه المرضية يمكن أن تقضى على طاقتنا الايجابية بسرعة وتثير الكراهية والدمار بالإضافة الى سلوك قهر الذات، ويفضل ماسلو مدخلاً اكثر نقاءاً للشخصية، وينصح علماء النفس ان يحترسوا من النظريات التى تسرف فى التفاؤل أو التشاؤم إزاء

الطبيعة الإنسانية، ويقول " إن هدفى ان ادمج التركيبات الجزئيه النظريه للحقائق التى اراها فى نظريات فرويد وأدلر ويونج وهورنى وفروم وغيرهم ، كما ان كتابات فرويد مازالت مطلوبه لكى تُقرأ من قبل علم نفس المدرسة الإنسانية ، لانها زودتنا على مايدوربالنصف المريض من علم النفس وعلينا ان نملئ النصف السوى، وهكذا يمكننا ان نعترض بقوه على الاعتقاد اليائس القاضى بأن الطبيعة البشريه فاسدة وشريره بشكل أساسى، وان نستنتج ان الكفاح من أجل السواء يجب ان يُقبل الآن بلانقاش على انه ميل انسانى عالمى وواسع الانتشار" (Maslow, 1970 b) .

يتفق ماسلو مع البورت وروجرز، ويؤمن بالنظره المزدوجه حول الدوافع، فهو من ناحية يؤمن ان بعضاً من دوافعنا الغريزيه تهدف الى خفض دوافع كالجوع والعطش والأمان، والحصول على الحب والتقدير من الآخرين، واطلق عليها دوافع النقص أو القصور deficiency motives (D. motives) ، وهذه الدوافع تهتم بالنقص او القصور داخل الكائن الحى، وهذا النقص يجب أن يُكمل من خلال الموضوعات الخارجية والأشخاص المناسبين، وهذا النقص يعد شائعاً جداً لدى كل البشر، وفى المقابل لذلك فإن دوافع النمو growth motives (Being motives, B.motive) تكون مستقله بشكل نسبى عن البيئه، ومتصله بالفرد، وهذه الحاجات البشريه تشمل كل ما يزيد سعادة الاخرين كإعطاء الحب للغير بدون أنانيه، وتطوير وتحقيق القدرات والإمكانات الداخلية، وفى حين يحاول الفرد خفض دوافع النقص أو القصور، يحاول زيادة دوافع النمو . فيقول" النمو فى حد ذاته عملية مثيرة، ومجزية وتتضمن على سبيل المثال تحقيق الحنين والطموحات مثل الطموح لأن يكون الفرد طبيباً ممتازاً أو الطموح لاكتساب المهارات التى يُعجب بها الاخرون كاللعب على الالات الموسيقيه أو ان يكون حتى نجاراً ممتازاً. كما يتضمن الزيادة المضطرده لفهم الناس والكون وفهم الذات وتطور القدره الابداعية فى أى مجال، وأهم من ذلك كله ان يكون الفرد كائناً بشرياً ممتازاً. وليس من الدقه ان نتحدث ببساطه عن خفض التوتر ، والذى من خلال تطبيقه يمكن التخلص من أى حالة انزعاج لان هذه الحالات لاتكون مزعجه دوماً" (Maslow, 1968).

ورغم ان حاجات النقص تقدم أهداف أساسية مثل الحفاظ على الذات إلا أن دوافع النمو تميل الى إظهار مستوى اكثر سواءً واكثر إرضاءً للاداء، " إن اشباع دوافع النقص

يجنبا حدوث المرضى، ولكن إشباع دوافع النمو يؤدى الى الصحة الايجابية، وهذا يشبه الفرق بين اتقاء الخطر او الهجوم (صد العدوان)، وتحقيق نصر إيجابى (الانتصار) (Moslow, 1968) .

وتوجد بعض الاستثناءات لهذه القاعدة العامة، ولذلك فإن ماسلو يفضل أن يُعرف الدافعية الإنسانية بمصطلحات مختلفه نوعا ما وهو لم يحاول اعداد قائمة بالحاجات النوعية للإنسان كما فعل موراى ويقول ان دوافعنا معقده جدا ومتداخله فى حين ان سلوكنا محدد تماما، لذلك فإنه من المستحيل عادة شرح وتفسير الشخصية من خلال مفاهيم اصطلاحية عن الدوافع المستقلة والمتباعدة، ومثال على ذلك فإن ممارسة الجنس ربما يكون نتيجة الحاجة الفعليه للجنس أو لنثبت أو نؤكد لذاتنا ما نستمتع به من ذكورة (أو أنوثه)، والذراع المشلوله هستيرياً يمكن أن تكون كذلك بسبب صراعات بين رغبات متزامنه أو لإثارة الشفقه أو لإثارة الانتباه، والأكل قد لايكون بغرض اشباع دافع الجوع فقط ولكن قد يكون لمسايرة شخص نحبه، والأهم من ذلك يوافق ماسلو على ان حاجتنا المختلفه تتباين تماماً على حسب مستوياتها فى الأهمية، فبعضها يبقى غير مهم الى حد ما، ولاتمثل مصدر إثارة إلا بعد ان يتوفر للبعض الآخر الحد الأدنى من الإشباع، ولذلك فضل ماسلو اعداد نموذج هرمى للدوافع والحاجات الإنسانية (شكل : ١٣-أ) .

الترتيب الهرمى للحاجات الإنسانية :

١- الحاجات الفسيولوجية :

اذا لم يستطيع بعض الأفراد غير المحظوظين إشباع اى من الحاجات الأساسية، تبقى إهتماماتهم مقتصره على المستوى الأدنى من الترتيب الهرمى، وتشتمل الحاجات الفسيولوجية : الجوع، العطش، الجنس، الحاجة للاكسجين، والحاجة للنوم، والتخلص من فضلات الجسم، فالشخص الجائع قليلا ما يهتم بكتابه الشعر العاطفى أو شراء سيارة فخمه مثيرة للاهتمام، أو البحث عن فتاه يعشقها، أو الاهتمام بتجنب الأذى أو الظلم، أو أى شيئ آخر سوى تحقيق هدفه هو الحصول على الطعام ولحسن الحظ ان مثل هذا النوع من الجوع Life and death hunger أصبح نادراً فى كثيراً من المجتمعات المعاصرة، إن العديد من الحاجات الفسيولوجية تتصف بالنقص أو العجز ولكن ليس بشكل مطلق (اى لايمكن للفرد ان يشبع كل حاجاته الفسيولوجية ومن هذا الاستثناء الحاجة للجنس والنوم والإخراج (Maslow, 1970 b).

٢- حاجات الأمان :

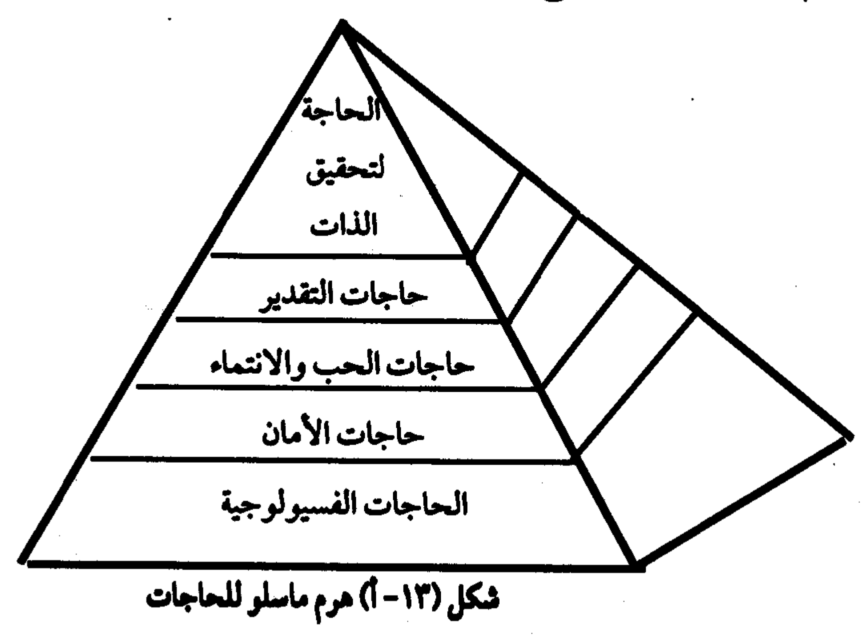
عندما يتم اشباع الحاجات الفسيولوجية للفرد بدرجة مناسبة، فإن المستوى الثانى من الترتيب الهرمى للحاجات ينبثق تدريجياً وهو ما يعرف بحاجات الأمان وتشتمل حاجات الامان على :

١- السعى بحثاً عن بيئة ثابته .

٢- القابلية للتنبأ بها Predictable

٣- التحرر من القلق والخلط أو التشويش .

مثلما يحدث عنما يسعي الطفل الصغير باحثاً عن الطمأنينه والحماية بعد انزعاجه من ضوضاء شديدة مفاجئه (أو إصابة أو مرض أو انتقاد من والديه)، أو أن يسعى شخص راشد لتحقيق حاجاته للأمان من خلال الحصول على درجة وظيفية أعلى (كالأستاذيه فى الجامعة)، أو زيادة قيمة حسابه فى البنك، او كسب صفقه ماليه واسعة يؤمن بها نفسه ضد كوارث المستقبل، كما يفضل ماهو مألوف وروتينى عندما يتعامل مع المجهول أو يحاول مواجهة الظواهر الكونية لكى يحقق فهمهاً لها من خلال نظرية علمية او فلسفه شخصية، وغالبا ما تكون المعرفة طريقة فعالة لإشباع هذه الحاجة ، مثل الطفل الذى يخاف بشده من البرق فيتعلم كيف يتجنبه أو يدافع عن نفسه .



شكل (١٣-أ) هرم ماسلو للحاجات

وتساعدنا حاجات الأمان على تجنب الآلام الموجعة والإصابة . ولكنها قد تصبح من القوة بحيث تعيق المزيد من النمو الشخصى ، كما يحدث عندما يخضع الناس بتلقائية للقوانين الديكتاتوريه خلال فترات الحرب (كالتجنيد الإجبارى اثناء الحرب الأمريكية الفيتنامية) ، أو ممارسة الجرائم العنيفه فى سبيل الحصول على قدر من الحرية والأمن (كالأعمال الفدائية ضد المحتل) ، وفى ذلك يقول ماسلو " إذا خُيرنا بين الأمان والنمو فإننا سوف نختار الأمان بالتأكيد " (Maslo, 1968) .

٣- حاجات الانتماء والحب :

بمجرد ان تشبع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان سواء بدرجة كبيرة أو صغيرة تأتى حاجات الانتماء والحب فى المقدمة كدوافع للسلوك ، ولهذا يصبح لدى الفرد رغبة قوية لتكوين علاقات ألفه مع الاخرين ، ويتتابه شعوراً مؤلماً بدرجة قويه من الإحساس بالوحدة ينتج من افتقاد الأصدقاء ، والحبيب (الرفيق) ، أو الزوجة أو الذرية .

ويتكون الحب فى رأى ماسلو من مشاعر عديده مثل : الحنو Tenderness والتعاطف والإبتهاج ، والشوق الى من نحب ، وغالبا ما يثير الدافع الجنسى وبشدة . . وتمثل حاجتنا لتلقى مثل هذا الحب من الاخرين دليل على الانانية النسبية ويطلق عليها ماسلو الحاجة الأنانيه للحب أو (D-Love) deficiency need ، فالفرد هنا غالباً يحتويه القلق ، ويبذل جهوداً واعيه وأحيانا خداعيه ليكسب عاطفه المحبوب واهتمامه ، ويعد اشباع هذا الحب مطلباً أساسياً لزيادة توجيه النمو نحو ما يسميه ماسلو Being love (B-Love) ويتميز هذا الحب بالخلو من نزعة التملك ، أو التحفظ ، وكثرة العطاء وهو أكثر امتاعاً من النوع السابق ، كما يتميز بالصدق والتلقائية ، ويتضمن كذلك التقبل طواعية أو عن طيب خاطر لمواطن الضعف كتقبله لمواطن القوه فى من يحب ، والتعاون والاحترام المتبادل أو الاهتمام بحاجات المحبوب وتفرده (Maslow, 1970 b) ويتفق ماسلو مع روجرز على ان العجز الشائع لعدم اشباع الحاجة للانتماء والحب فى أى مجتمع يعد مسئولا بدرجة كبيره عما يحدث من تصادم بين الجماعات فيه .

٤- حاجات التقدير (الاعتبار) :

فى اتفاق مع منظرين آخرين مثل أدلر ، وروجرز وفروم وإريكسون ، يعزو ماسلو الأهمية الجديره بالاعتبار لحاجتنا الى الاستعلاء والاحترام ، ويعمم ماتوصل اليه عملياً من ان كل فرد يكافح من أجل السياده والثقه بالنفس ، وللحصول على التقدير

والإهتمام من الأخرين ، ولكنه يرى ان حاجات التقدير تعمل كدافع فقط عندما تشبع الدوافع الثلاثة الأدنى الى حد مناسب، ويؤكد على أن الاعتبار الحقيقى للذت يعتمد على الكفاية والانجاز وليس السمعة الخارجية والتواضع غير المجزى الذى لامبرر له (كما اوضحها أين راند Ayn Rand فى روايته المنبع The Fountainhead) ، كما اعاد ماسلو تفسير التكرار القسرى لأى سلوك الذى فسره فرويد سابقاً بانه نتيجة جهود غير موفقه للحصول على السيادة والتقدير مثله فى ذلك مثل الملاكم الذى فقد الأمل فى كسب المباراه فينتصب واقفاً على أرضية الحلبة فى كل مره بعد سقوطه ليضرب بعنف ثم يسقط ثانيه (Maslow, 1970 b) .

٥- الحاجة لتحقيق الذات :

تمثل الحاجة لتحقيق الذات قمة الترتيب الهرمى للحاجات، وتتضمن كل من الاكتشاف، والاستغلال الأمثل لما يتمتع به الفرد من طاقات وإمكانات فطريه " لتحقيق الذات خصوصيتها، وحيث ان كل شخص مختلف عن غيره ، فإنه على الفرد ان يعمل مايناسبه وما يستطيع ان يحقق فيه النجاح فقط فالموسيقى يجب ان يُلحن ، والرسام يجب ان يرسم، والكاتب يجب ان يكتب، وعندما يكون الإنسان فى سلام مع نفسه فإنه يستطيع ان يكون كما يجب ان يكون أو كما يتمنى(Maslow, 1970 b) .

وينمو دافع تحقيق الذات بطريقة مماثله لما هو عليه فى نظرية روجرز فيما عدا انه لايصبح مهماً أو حتى جدير بالملاحظة مالم تشبع الحاجات الفسيولوجية والحاجة للأمان والحب والتقدير ولو بشكل جزئى ، وكما فى نظرية يونج عن التفرد Individuation فإن تحقيق الذات يكون واضحاً فقط فى كبار السن ، أما الأشخاص الأصغر سناً فإنهم يركزون اكثر على قضايا كالتربية ، الاستقلاليه، الهوية ، الحب، العمل، وهذه الأمور يعتبرها ماسلو بمثابة إعداد للحياة . وفى الحقيقه ، فإن الحاجات النوعية للاشخاص القلائل الذين ينحون فى انجاز هذا المستوى المرتفع تختلف نوعيتهابوضوح عن الحاجات الادنى ويبدو انه من المحتمل ان الواجب علينا ان نبنى وباهتمام علم نفس يهتم بدراسه دوافع الأشخاص المحققين لذاتهم ، ويشير ماسلو الى مثل هذه الحاجات بما يسمى ماوراء الحاجات Metaneeds او ماوراء الدوافع أو قيم الكينونة Metamotives, B. Volues التى تتمثل فى حب الجمال، الصدق، الخير، العدل، الاستقامة ، كما يكرس جزءاً كبيراً من اهتمامه بخصائص الأشخاص المحققين لذاتهم،

خصائص الحاجات العليا والدنيا : يرى ماسلو أن الحاجات العليا هى حاجات إنسانيه أو أدمية خالصة " اننا نشارك كل الكائنات الحيه فى الحاجة للطعام، وربما تشاركنا الفصيلة القرديه فى الحاجة للحب، بينما لايشاركنا اى من الكائنات الحيه فى الحاجة لتحقيق الذات (1970 b) ويعكس ظهور الحاجات العليا وجود درجة مرتفعه من الصحة النفسية، وهو ما يشبه الى حد ما الوصول الى مرحلة متقدمه للنمو فى نظرية اريكسون أو فرويد، كما ان اشباعها يكون ذات قيمه اعلى بالنسبة للفرد عن تحقيق الحاجات الدنيا، كما ان الحاجات العليا تكون ايضاً أقل إلحاحاً ، وذاتيه ، وواقعيه ، وليست ضرورية كحاجات البقاء (الحاجات الفسيولوجية) وأقل قدره على الصمود فى مواجهة البيئة المضطربه (المسببه للمرض)، ولذلك فإن مجرد معرفتنا بوجودها يمثل انجازاً سيكولوجياً له قيمته، وقد قدر ماسلو ان المواطن الأمريكى متوسط الدخل يشبع ٨٥٪ من حاجاته الفسيولوجية، ٧٠٪ من حاجات الأمان، ٥٠٪ فقط من حاجات الحب والانتماء، ٤٠٪ من حاجات التقدير، ١٠٪ فقط من الحاجة لتحقيق الذات (1970 b) . ولهذا فإن ماسلو شأنه فى ذلك مثل اصحاب نظريات الشخصية الأخرين يعتقد ان تحقيق معرفه حقيقيه بالذات يعد أمراً صعباً ، ولكنها فى الوقت ذاته أمراً اساسياً يجب أن نحمله على كاهلنا .

ويمكن التسليم بإمكانية تطبيق النموذج الهرمى على معظم الناس، ولكن تختلف طرق اشباع هذه الحاجات باختلاف الثقافات، فأعضاء القبائل البدائيه ربما يحققون التقدير عندما يصبحون صيادين جيدين، اما هؤلاء الذين يعيشون فى المجتمعات التكنولوجية اكثر سعياً لإشباع هذه الحاجات من خلال تحقيق مناصب إدارية متقدمه. كما يوافق ماسلو على وجود استثناءات متنوعه ؛ فبعض الناس ينظر الى التقدير على انه اكثر أهمية من الحب، بينما يرى البعض الأخر ان الابتكار أرفع مستوى من كل الحاجات الاخرى، وقد تنشأ حاجات القمه (الحاجات العليا) بعد تكرر الاحباط الحاد للحاجات الدنيا، فضلا عن إشباعها (مثال ذلك إزاحة الحاجات الجنسية الى نشاط فنى). ولكن أسهل طريق يحررنا من سيطرة الحاجات الدنيا الاكثر أنانيه، ويحقق لنا فى الوقت ذاته مزيد من الصحة النفسيه هو اشباع هذه الحاجات (Maslow, 1970 b) .

اللاشعور ، والغائية (القصديه) واعتبارات أخرى : حيث أنه من السهل جداً إخفاء حاجتنا الغريزية الضعيفه بفعل المؤثرات البيئية ، حيث نفترض بسرعة التأثير الفعال لوجود العمليات اللاشعورية " توجد أدله كبيره ودامغه على الأهمية الحاسمه للدوافع اللاشعورية ، فالحاجات الأساسيه غالبا ما تكون لاشعوريه الى حد كبير ، ونظريات الاعماق لاتقبل تجاهل الحياة اللاشعورية (1970b) ، كما يتضمن اللاشعور ما نتذكره من الافعال الفاضحة لنا (التى نستحى او نخجل ان يطلع عليها غيرنا) كما يتضمن جهود ايجابية وموجبة مثل الحب، الابتكار ، روح الدعابة ، ونوازع الخير والاستمتاع .

وعلى العكس من تأكيدات فرويد على السببية Causality ، فان ماسلو يؤكد على غائية الأهداف التى نناضل من أجلها " لاتوجد نظرية كاملة فى علم النفس اليوم أو غداً يمكن ان تقبل فكرة ان الإنسان يحمل مستقبله فى داخل ذاته ، وينشط ديناميآ فى اللحظة الراهنه " (Maslow, 1968) ، ويوافق أدلر وألبورت على ان بعض السلوكيات المهمة هى سلوكيات تعبيريه Expressive اكثر من كونها غرضيه أو دافعية (مثل الكتابه، ممارسة لعبة كالجولف ، وتصفح كتاب ، والمتعة عديمة الهدف ، ونمط تصرفات الفرد " أى لغة الجسم " كما يتفق مع يونج وفروم على وجود حاجة لدينا لتكوين اطار يوجه حياتنا ويعطيها معنى ، كما يؤمن برأى موراى فى تأكيده على أهمية البيئه كوسط لاشباع الحاجات وفكرة ألبورت عن الاستقلال المهنى الذى يعتبرها حاجة عليا تصبح مستقله بعد ان تنشأ من أصولها الطفوليه الدنيا (Maslow, 1970 a) .

تركيب الشخصية :

يختلف ماسلو بوضوح عن كل من فرويد وسوليفان وإريكسون فى رفضه لفكرة التركيبات النوعية ، والمناطق الشبقية ويعتبر ذلك مدخلاً غير ناضجاً او مريضاً نوعا ما فيقول " لاتوجد حاجة معديه أو فميه أو مرتبطه بالأعضاء التناسليه ، إنما توجد فقط حاجة للفرد ككل (Maslow,1970b) ، فالشخص الجائع يكون بشكل عام أو شمولى al over ، بكل من إدراكه ، وذاكرته وتفكيره ، وعواطفه وقدراته الأخرى موجهة نحو الطعام ، كما يقبل ماسلو فكرة وجود حيل الدفاع النفسى لفرويد كالكبت ، والأسقاط ، والتكوين العكسى والتبرير وغيرها .

" يعد أعظم اكتشاف لفرويد معرفته بأن السبب الأكبر لأغلب الأمراض النفسية هو خوف الفرد من معرفته لذاته ، عواطفه ، اندفاعاته ، ذاكرته ، قدراته ، جهوده ، قدره

(نصيبه فى الحياة) حتى لو لم يضيف التحليل النفسى غير ذلك، فقد علمنا ان الكبت ليس طريقة فعاله فى حل المشكلات (Maslow, 1970 a) .

ويحبذ ماسلو فكرة مماثله لفكرة فروم من أن خصائص الطبيعة الإنسانية من الخير والشر (الضمير) يتم تشربها شعورياً ، وأن لها أساس فطرى مثل زيادة تقييم الكائن الحى لذاته عندما يسلك بشكل متوافق او تربكه عندما يسلك بطريقة تخالف طبيعته الفطرية :

" الطريق الوحيد الذى نستطيع دائماً وابداً ان نعرف به ماهو صحيح بالنسبة لنا هو ان نتحسس ما هو موضوعى اكثر من غيره، فالرسام الموهوب الذى يبيع الجوارب ، والرجل الذكى الذى يعيش حياة طاحنه ، والرجل الذى يرى الحقيقه ويبقى صامتا عن قول الحق، والجبان الى يتخلى عن مبادئه ، كل هؤلاء هم اشخاص انزلقوا فى نفق مظلم يؤذيهم ويخيب أمالهم وأمانيهم فى أنفسهم (Maslow, 1968) .

والصورة الأخيرة للضمير تتمثل فى ما يتم تشربه من المعايير الوالدية ، فقد يصطدم الفرد بحاجاته وقيمه ككائن، وكما ذكر كل من هورنى، وروجرز يرى ماسلو ان كل طفل نامى يواجه اثناء نموه مفترق طرق (مواقف اختيار) والاختيار الصحيح هو الذى يتناسب مع معاييره الداخلية، اما البديل المريض هو التضحيه بجهوده الحقيقية من أجل التطابق مع معايير وظروف الإخرين ذوى الأهمية فى حياته، " وحيث ان الاخرين يمثلون أهمية ويلعبون دوراً حيوياً فى مساعدة الطفل الصغير فإن الخوف من فقدهم يكون مرعباً ومروعاً للغاية، ولذلك إذا واجه الطفل اختيار صعب بين ما يتناسب وخبراته الخاصه او مايرضى الاخرين فانه يجب عليه ان يختار الأمر الأخير (Maslow, 1968)

نمو الشخصية :

فى حين يؤكد فرويد على ضرورة دفع الطفل الى النضج رغماً عن ارادته ، فان ماسلو يرى ان الطفل السوى هو الذى يبحث بنشاط لكى يكتسب مهارات جديدة وأن يشبع حاجات النمو لديه، فكلما يتلقى إشباعا كافياً لحاجاته فإن ذلك سيحقق له مستوى مناسب من النمو، وسيصبح متململ مما كان يسعده فى السابق ويسعى بلهفه الى ماهو أعلى واكثر تعقيدا " إن منح الطفل الإرضاء الكافى، وحرية الاختيار، مع انعدام التهديد، يجعل الطفل ينمو الى ما بعد grows out المرحلة الفمية ويتخلى عنها تدريجيا، فهو لايملك ان ينمو فجاءه (1968) وعلى سبيل المثال : تهيئة الطفل لقضم ومضغ الطعام ،

يجعله يفضل الاطعمه الصلبه عن السائلة، كما أن تطور شخصيته ونموها سيتحقق بشكل طبيعى كلما منح الطفل الفرصة للانتباه لمحدداته وجهوده الداخليه بدلا من أن تتحدد أحكامه وثقته بنفسه بفعل الضبط والضغوط المفروضه عليه من الاخرين :

كل من رسم الخطط للطفل، تحديد توجهاته وطموحاته ، وإعداد الادوار المنوطه به، حتى الامال التى يجب ان يتمناها لنفسه نحددها له على أنها تمثل مطالب، فيقر بنفسه ان ماحدده الوالدين يجب ان يكون ، مثل هذا الطفل ولد فى ستره مُقيده له (1970 b) ، هذه السترة هى عاداتنا الخاطئة المتمثله فى تحقيق ذاتنا من خلال الطفل يصرف النظر عن امكاناته وقدراته .

كما يحذر ماسلو من النتائج غير المرغوبه للتسامح الزائد، فالطفل الساذج وعديم الخبره يمكنه بصعوبه توقع الاختيار الصحيح فى كل موقف مُلح، فالحرية الزائدة ربما تُفسر على انها إهمال أو نقص فى الحب، ولذلك فإن من الضرورى توفر قدر من التدريب وبعض القيود لمساعدة الطفل على تفادى الأخطاء القاسيه والملكفه فى حياته. ومن الضرورى ان يُمنح إحساساً بالآمان والمرغوبية فى عالم مترامى الأطراف إختلط فيه الحابل بالنابل، كما يجب ان نحد من نمو الأنانية لديه وبتعبير أدلر النمط المدلل للحياة، وعلى أية حال فإن قدر محدود من الإحباط يفيد فى تقوية الشخصية النامية "فالشخص الذى يحارب ويصمد ويتغلب على الشدائد، يستمر لديه إحساس بالشك فى انه يستطيع ذلك . . . فالاحزان والألام تصبح ضروريه أحيانا لنمو الشخص" (1970 b) ، ولكن يبقى ان نؤكد على ان اشباع حاجة الطفل للأمان النفسى، والحب والتقدير والاستقلالية تمثل الطريق الأمثل لتقوية النمو السوى للشخصية .

خصائص الأشخاص المحققين لذاتهم :

يشارك ماسلو كل من ألبورت وروجرز اهتمامهم فى تحديد التوافق النفسى ، لذلك ركز دراساته على الأشخاص القلائل الذين يعتبرهم قد حققوا المستوى الأعلى من اشباع حاجاتهم وحققوا ذاتهم أو ماسماهم مكتملى الإنسانية Full humanness مستخدما لذلك عينة صغيرة الى حد ما تضمنت بعض الأشخاص الأحياء ، وبعض الشخصيات التاريخيه مثل توماس جيفرسون، أينشتاين، روزفلت، جون أدمز، وليم جيمس ، البرت شفايتزر وباروخ سبينوزا، وعلى الرغم من أن الأشخاص المحققين لذاتهم متفردون بطرق مختلفه إلا أنهم يتقاسمون او يشتركون فى الصفات الآتية :

١- الدقه منقطعة النظير فى إدراك الواقع More Accurate Perception of Reality : فالأشخاص المحققين لذاتهم أكثر تحرراً من التفاؤل والتشاؤم والتشويهات الاخرى للواقع التى لاداعى لها، ولذلك فهم يتمتعون بمقدرة اكبر على التمييز بين الحقيقه والوهم ، ويحكمون على الناس، والأحداث والأفكار والاتجاهات المستقبليه بإتقان اكبر .

٢- إنهم أكثر تقبلاً للذات وللآخرين Greater Acceptace of self and Others : الأشخاص المحققين لذاتهم أكثر تحملاً لزلات البشر ، واقل ميلاً لاصدار الاحكام على ذاتهم وعلى الاخرين ، ولذلك فإنهم يفتقدون الى حدما الشعور بالخزى والقلق، كما انهم يشعرون بالذنب إزاء أى قصور شخصى كان يمكنهم التغلب عليه .

٣- إنهم أكثر تلقائية ومعرفة بالذات greater Spontaneity and Self -Knowledge : فالأفراد المحققين لذاتهم يتصرفون بشكل تلقائى وطبيعى ، ويدركون جيداً دوافعهم الحقيقيه وعواطفهم، وقدراتهم واختياراتهم ، لذلك فهم يسترشدون بداية بنواميسهم الأخلاقيه، وينتج عن ذلك إحساسهم بالغربه كما لو كان فى بلد أجنبى، ومن الصعب على الناس الاخرين ان يفهموه .

٤- إنهم أكثر تركيزاً على المشاكل Greater Problem Centering : يميل الأشخاص المحققين لذاتهم للاهتمام بالمشاكل الخارجية بدرجة كبيرة، ولكنهم لايهتمون الى حد ما بدراسة أفكارهم ودوافعهم ومشاعرهم . ويرون ان لديهم بعض المهام المحددة فى الحياة وهو ما يستنفذ المزيد من طاقاتهم ، وغالبا ما تتضمن قضايا فلسفيه وأخلاقيه واسعة ، كما ان تعبيرهم عن انخفاض قلقهم إزاء التفاصيل الصغيرة تجعل الحياة اسهل ليس فقط بالنسبة لهم ولكن أيضا لمن يرتبط بهم ، إنهم يكرسون جهدهم ووقتهم لتحقيق التميز، ويحاولون تحقيق اهدافهم الشخصية على قدر امكانتهم البشريه .

٥- أنهم أكثر حاجةً الى الخصوصية Greater need for Privacy : يميل الأشخاص المحققين لذاتهم الى الخصوصية والإنعزال بدرجة اكبر من الأشخاص العاديين، هذا النوع من الإنعزاليه الصحية (السويه) ترجع فى جزء كبير منها الى ميلهم للاعتماد على مشاعرهم وقيمهم الخاصة الناتجه عن قلة حاجتهم لتأكيد أراء الآخرين، هذه

الخصوصية مكروهه من هؤلاء الذين يسيئون فهمها على أنها تكبر أو جفاء للأصدقاء أو عدائيه للآخرين .

٦- إنهم أكثر استقلالية ومقاومة للغزو الثقافى Greater Autonomy & Resistance to Enculturation : حيث أن الأشخاص المحققين لذاتهم تدفعهم الحاجة لإنجاز اختياراتهم أكثر من مجرد الرغبة فى البحث عن مكافآت ومنح خارجية، فهم عادة مايظهرون استقلالاً واضحاً عن البيئه والآخرين من حولهم، ولأن لديهم مزيد من الاشباع والرضا السابق لكل من الحاجة للحب وتقدير الذات، فليس لديهم حاجة للسيطرة على الآخرين من أجل تحقيق أغراض أنانيه أو خوف من الاحباط بسبب ذلك، وهم أيضا أقل تأثراً بالنماذج السيئة الموجوده فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويتجنبون استخدام الاشياء الشعبية (أى التى يتعامل فيها ويستخدمها أغلب الناس) من ملابس وكتب وأفلام، والأفكار التى لاتتفق مع احكامهم الشخصية، ويعد ماسلو هذا التوجه من الخصائص الاساسية للشخصية السوية فيقول :-

" لقد علمنى هؤلاء الأفراد المحققين لذاتهم ان أرى ان ماكنت أعتقده قد منح لى كشخص عادى على أنه مرض أو شذوذ أو ضعف، وهو أن الكثير من الناس لايتخذون قراراتهم بأنفسهم ولكن يتخذها لهم مندوبى المبيعات ووكلاء الدعاية والوالدين والجرائد والتلفزيون وغير ذلك" (Maslow, 1970 b) .

٧- لديهم إقبال اكبر على تجديد إعجابهم وإثراءهم للاستجابات العاطفيه : Geater Freshness of Appreciation ad Richness of Emotional R.esponses

يعد اشباع الحاجة وتحقيق السعادة أمر عرضى لديهم غالباً، وأى هدف ربما نحققه نحن (مثل النجاح المهنى، والزواج ، وإنجاب الأطفال، وامتلاك سيارة جديدة) قد نعتبرها بمنتهى السهولة اشياء منحت لنا ، لأن لدينا إحساس باضمحلال الابداع، أما الأشخاص المحققين لذاتهم يعيشون حياة أكثر ثراءاً وعاطفة لانهم يستمتعون دائماً بما يحققونه، كما أنهم يعيدون تقييم مايثير اعجابنا فى هذا الوجود المرة بعد المرة .

" يوجد لدى الأشخاص العاديين ميل كبير للتقليل من قيمة ما حققوه من اشباعات لحاجاتهم، أو تقييمها بشكل مقبول ثم طرحها جانباً وكأنها لاتمثل أهمية بالنسبة لهم،

أما الأشخاص المحققين لذاتهم فرؤيتهم لغروب الشمس فى أى مره يكون لها نفس جمال الغروب فى اول مرة، ولأى زهرة عبير جميل محبوب، ورؤية الأطفال بجمالهم وبراءتهم ينبوع لاينتهى لديهم من الاستمتاع، ويبقى قانع بالزواج لو بعد ثلاثين عاماً منه ، ويظل منبهر بجمال زوجته وهى فى الستين مثلما كانت عليه فى العشرين من عمرها" (Maslow ,1970 b) .

٨- يتكرر لديهم أعظم مستوى من الخبرات Greater Frequency of peak Experiece ، معظم الافراد المحققين لذاتهم مروا بلحظات اسطورية من الشعور بالكمال المطلق، وخلالها تُفقد الذات أو تذوب فى مشاعر عظيمه من النشوة وإثارة الاعجاب، والرهبة (من الله) مثل الشخص الخارق للطبيعة numinosum فى نظرية يونج، وهذه الخبرات يصعب وصفها لمن لم يعيشها، تنشأ هذه الخبرات من الحب، والجنس، والتقدير الكبير لعمل موسيقى أو فنى عظيم، وقد تكون لحظات بزغ فيها إبداع متدفق، أو لحظة تأمل عميق أو أكتشاف علمى باهر، أو الوصول لاقصى استغلال لقدرات الإنسان وجهوده ، وأياً كانت هذه اللحظات فإن سعادتهم بما هو مقدس Heavenly هى السبب الرئيسى الذى من أجله كانت تستحق الحياة .

٩- لديهم دجة عظيمة من تكرار التعرف على الجوهر (الكينونه) Greater Frequecy of B. Cognition : غالبا ما ينشغل الأشخاص المحققين لذاتهم بنوع خاص من التفكير يمكن تعريفه بمعرفة الكينونة أو الجوهر being cognition(B,C.) ، والذى غالبا ما يصاحب الخبرات العظيمة وربما يحدث فى أوقات أخرى كذلك، فالمعرفة بالكينونة أو الجوهر شكل اساسى من أشكال التفكير الذى لايمكن وصفه بدقه، ولا الحكم علية ولايهدف لتحقيق أو اشباع بعض الدوافع ويؤكد على وحدة النفس والكون، وفى المقابل فإن قصور المعرفة deficiency cognition (D.C.) وهو الأكثر شيوعاً يمكن الحكم عليه، كما انه يهتم بالغرض الضرورى لإشباع الدوافع الناقصه ويؤكد على انفصال الشخص عن الأشياء المختلفة فى البيئة(Maslow, 1971) .

١٠- الاهتمام الاجتماعى المبالغ فيه Greater Social Interst : يؤكد ماسلو وجهة نظر آدلر عن الشخص الناضج بأنه شخص لديه اهتمام إجتماعى، ويرى ان الافراد المحققين لذاتهم هم اشخاص ناضجين، يتوحدون بقوه مع النوع البشرى عموماً،

ويتميزون بتعاطف حقيقى، ولديهم رغبة فعليه لمساندة الآخرين، واذا عبروا عن عداءهم وغضبهم ازاء أمر ما كانوا على حق فى واقع الأمر وغالبا ما يكون ذلك لصالح طرف ثالث.

١١- يكونون علاقات شخصية عميقة مع من يحبونهم Deeper, More Loving interpersonal Relationships : يفضل الناس المحققين لذاتهم تكوين علاقات حب حميمه مع عدد قليل من الأصدقاء المقربين أكثر من تفضيلهم لتكوين علاقات سطحية مع عدد كبير من الرفاق، كما ان لديهم قدرة كبيرة على انجاز هذا الهدف، وعلى تأكيدهم للحب غير التملكى B. Love لمن يحبون، كما ان لديهم قدرة نادرة على التفاخر والتباهى بانجازات الشخص المحبوب بدلاً من الإحساس بأن ذلك يمثل مصدر تهديد بالنسبة لهم. ويعدون اشباع الحاجة للجنس أمر لامعنى له بدون الحب وربما يميلون مؤقتاً للتعفف أكثر من ميلهم لقبول فرص الإشباع الجنسى التى تخلو من العاطفة الحقيقية، كما انهم أكثر انجذابا لصفات الخير والنزاهة والاحترام والادب فى الشخص المحبوب أكثر من ميلهم للصفات والخصائص الجسمية.

١٢- لديهم خصائص تكوينية أكثر ديمقراطية More Democratic character Structure : يمتلك الأشخاص المحققين لذاتهم قدرة فائقة على مصادقة الناس من كل الطبقات والشعوب والأجناس ولايهتمون بمثل هذه الفروق، وغالباً ما نجدهم يقاومون بشدة الظلم والقسوة والتفرقة واستغلال الآخرين.

١٣- أكثر تمييزاً بين الخير والشر، وبين الوسيلة والغاية Greater Discrimiation Betwean good and Evil, Means and Ends. : يتمتع الأفراد المحققين لذاتهم بمعايير أدبية وأخلاقية قوية، ونادراً مايترددون فى تحديد مسارهم لأى تصرف على انه خير أو شر، يتحملون مسئولية أفعالهم بدلاً من محاولة تبرير أخطائهم والقاء اللوم على الاخرين، كما انهم يحاولون التمييز بوضوح بين الوسائل والغايات، وغالباً ما يركزون على الآخيره (الغاية)، وهم قادرون فى الوقت ذاته على الاستمتاع بالأنشطة الفنية المسلية التى لاتكون مرتبطه بتحقيق الهدف مباشرة.

١٤- لديهم إحساس غير عادى بالدعابة More Unusual Sense of Humor: الغالبية العظمى من الأشخاص المحققين لذاتهم تكره الدعابة القائمة على العدائية والاستعلاء مثل نكات الإهانة أو التوبيخ وبدلاً منها يفضلون النكات الفلسفيه

والتثقيفية (مثل النوادر المعروفه عن إبراهام لنكولن *) التى تعطيهم مظهر المفكر الرشيد غير العادى.

١٥- أكثر ابتكاريه Greater Greativity يظهر كل شخص محقق لذاته مدخلاً ابتكاريا جديدا له فى الحياة، وهذه الصفه يتميز بها الفنانين والعباقرة ، وهكذا نرى ان المحققين لذاتهم ربما يبتكرون طرقاً جديدة فى اعداد وتقديم الوجبات الغذائية للأسرة، كما ان المعالج النفسى المُبدع ربما يطور طرق علاج غير تقليديه ولكنها فعالة مع المرضى بدلاً من محاولة تطبيقه لطرق موجوده بالفعل فى المراجع العلمية .

ويوضح ماسلو أن تحقيق الذات أمر نسبى وليس مطلق ، فى بعض الاوقات يُظهر الأشخاص المحققين لذاتهم بعض نقاط الضعف مثل قسوة القلب أو الفظاظة أو السخافه أو الانفجار غضباً أو المحاباة، وربما يكونوا ساخطين تماماً أو متململين أو ضعاف القلب وعلى حد تعبير ماسلو " لايوجد إنسان كامل الجوهر أو الكينونة " (1970 a) . وعلى العكس من ذلك نجد ان الأشخاص الأقل تمتعا بالصحة النفسية ربما ينتظرون الفرص النادرة لتحقيق خبرات متميزه . ولكن الفردالمحقق لذاته يتميز باستمرار لأظهاره للنضج والسلوك البناء والابداع والسعادة والحكمه بنفس مقدار ما يعطيه من الأمل الغريزى فى تحقيق الازدهار للجنس البشرى المكافح والممزق.

تطبيقات نظرية ماسلو :

١- علم الأمراض النفسية والعقليه :

أ - أسباب الامراض النفسيه والعقليه : طبقا لرأى ماسلو فإن السبب الأول للأمراض النفسية هو الفشل فى إشباع الحاجات الأساسية مثل الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان والحب والتقدير وتحقيق الذات فيقول " هذه الحاجات يجب ان تشبع وإلا أصابنا المرض (1970 b) ، وكلما تدنى المستوى الذى عنده تحبط الحاجة (كلما زادت حدة عدم الإشباع) كلما زادت خطورة المرض. وعلى سبيل المثال فإن الشخص الذى أشبع حاجاته الفسيولوجية ، ومازال يكافح بيأس فى سبيل إشباع حاجته للأمن (كما فى نظرية

* الرئيس السادس عشر لأمريكا (١٨٦١ - ١٨٦٥) عاش خلال الفترة من (١٨٠٩ - ١٨٦٥) ، شن الحرب على الولايات الجنوبية الثائرة ويعد محرر العبيد فى العصر الحالى .

هورنى)، يظل أكثر إضطراباً من شخص اشبع كل من حاجاته الفسيولوجية ، وحاجات الأمان والحب ولكنه لايستطيع إشباع حاجته للاعتبار أو تقدير الذات، وعلى نفس النسق فإن الشخص الذى اشبع جميع حاجاته ماعدا الحاجه لتحقيق الذات فإنه يتمتع بصحة نفسه أفضل من المنوذجين السابقين وإن لم يكن مثالياً ايضاً) وهكذا ، ويعد ماسلو مثل كل المنظرين الذين ناقشوا هذه القضيه يرى أن الفرق بين الأمراض النفسيه والعقلية فرق فى الدرجة أكثر من كونه فرق فى النوع .

وحيث ان تحقيق الذات لايمكن انجازه بدون إشباع للحاجات الادنى التى يشترك فيها كل الناس مثل الحاجة للأمان والانتماء والحب والتقدير فإن ماسلو يقدم تأكيدا له أهميته فى هذا الصدد وهو محددات العلاقة الشخصية للمرض النفسى فيقول :

" فلنجعل الناس يدركون وبوضوح انه فى كل مره نقوم فيها بتهديد شخص آخر، أو إهانته أو جرح مشاعره بدون ضروره لذلك، أو نسيطر عليه أو نشعره بالرفض فإننا بذلك سنصبح مصدر لخلق المرض النفسى لديه، حتى لو كانت هذه المصادر محدودة الأثر. ولنجعلهم أيضاً يدركون أن كل إنسان رحيم، مساند، خلوق (لطيف)، يتميز بالديمقراطيه السيكولوجية ، عطوف، وحنون يعد بمثابة قوة معالجة نفسياً ، أو مدعمة نفسياً ضد المرض حتى لو كانت قوة صغيرة (1970 b) .

ب - **خصائص المرض النفسى :** مثلما فعل كل من إريكسون وكيلى ، فإن ماسلو يعترض على استخدام عناوين تشخيصيه شكلية ويقول " اننى اكره كل هذه الكلمات، واكره النموذج الطبى الذى يتضمنها لانها تفترض ان الشخص الذى يأتى الى المرشد النفسى هو شخص مريض، يحاصره المرض والسقم من كل اتجاه ويبحث عن الشفاء، وإن كنا نأمل بالفعل ان يقوم المرشد بتعزيز تحقيق الذات لكل البشر، كما انه يعتبر ان كلمة العصاب كلمة مطلقه ويفضل استبدالها بمصطلح " النقصان الادمى " Human diminution اضف لذلك تأكيده على ان المرض النفسى بمثابة فشل لاقاه الفرد فى تحقيق أو إنجاز جهوده الحقيقية .

ويشارك ماسلو كارن هورنى الأعتقاد بأن وجود صراعات لدى الفرد ربما تكون دليل على السواء النفسى وليس المرضى، كما يحدث فى حالة الاضطرابات الداخلية التى يسببها العجز عن قبول المعايير المغايره لوالد مضطرب أو مجموعة رفاق جانحة، كما انه يوافق على ان الحاجات النفسيه لدى المرضى تختلف عنها لدى الآسوياء لانها لاتعكس

رغباتهم وجهودهم الحقيقيه ولذلك يصبح من الصعب إشباعها وإرضاءها. وعلى سبيل المثال، فإن الشخص الذى لديه رغبة شديدة لامتلاك القوه لايحتمل ان يشبع هذه الدوافع لديه لأنها بالفعل تمثل استبدال لاشعورى لحاجات اساسية أخرى مثل الحب والتقدير وتحقيق الذات، ويختلف ذلك عن الطفل السوى الذى يختار نظام غذائى متوازن ومعقول عندما يسمح له أن يأكل ما يرغب. أما إختيارات الافراد المرضى فإنها ضاره وقاهرة للذات تماماً ويعبر ماسلو عن ذلك بعبارة إريك فروم فيقول " لقد ذكر فروم عبارة حيرتنى كثيراً حين قال (ينشأ المرض من رغبتنا فيما لايحمل لنا من خير) فالأشخاص الأصحاء تكون اختياراتهم افضل من أختيارات المرضى " (1970 a) .

وهناك بعض الأعراض المرضيه الأخرى التى تشمل :

١- الشعور بالذنب والخجل و / أو القلق ، فعلى الأقل توجد واحده من هذه الأعراض فى كل حالة عصاب .

٢- جمود المشاعر وفقدان الأمل كما ذُكر فى نظرية هورنى .

٣- الادراك الخاطئ للنفس والبيئة كما ورد فى نظرية كيلى " فالعصابى ليس فقط مريضاً عاطفياً ولكنه أيضاً مُخطئ معرفياً" .

٤- الاعتماد الشديد على الأخرين من أجل اشباع حاجاته .

٥- الخوف من معرفة ذاته والأخرين وهو ما يبدو فى استخدامه المتكرر لميكانزمات الدفاع النفسى .

٦- الولاء الثابت لكل ما هو مألوف وعادى وخاصة فى عصاب الوساوس القهرية المتسلطه، فالتذوق السوى لما هو جديد وغير معروف يعد أمراً مفقودا أو فى ادنى درجاته لدى أغلب العصابيين . (1970 b) .

ويؤكد ماسلو أيضا ان الشخص الذى أشبع كل حاجاته ماعدا الحاجة لتحقيق الذات يعانى من اعراض تأخذ صوره مبالغ فيها وإن بقيت غير مؤلمه تماماً . فالميتاباثولوجى او ما وراء المرض النفسى Metapathology يتضمن كبت أو انكار لما وراء الدوافع الحقيقيه Metamotives، انه أمر غير محتمل فى مجتمع يعزز الالتزام بمعايير مثالية كالحق والجمال والعدل ومن ثم يظهر ذلك غالباً فى صورة مشاعر مثل الاغتراب ،

والضجر والاستخفاف والسخافه والعبوس والشك وعدم القدرة على الوصول الى نسق مُرضى للقيم الشخصية (1970 b).

٢- العلاج النفسى :

أ - الأساس النظرى للعلاج :- مثل روجرزر - يعد الهدف الاساسى للعلاج النفسى لدى ماسلو هو مساعدة المريض على وضع قدمه على الطريق الذى يوصله الى تحقيق الذات ، وارضاء إهتماماته الخاصة ، ونظراً لانه يرجع المرض النفسى للإحباط فى إشباع الحاجات الأساسية للفرد، فإنه يستنتج إن أهم وظيفه للمعالج النفسى هو المساعده على اشباع الحاجة (فيما عدا الحاجات الفسيولوجية، فليس من وظيفة المعالج النفسى إزالة مالدى المريض من الجوع والعطش). فبالنسبة للطفل الذى لم تشبع عنده الحاجة للحب بدرجة كافية فإنه يجب أن يعامل فى أول لقاء بمزيد من الحب، اما الحاجات الاخرى كالحاجة للأمان والانتماء والتقدير يمكن أن تُشبع فقط بواسطة الاخرين ، كما ان يتعلم المريض إقامه علاقات انسانية جيدة والمحافظة عليها، وان يكتشف ان الناس ممتعين حقاً وتدريجياً تستبدل طرق العلاج الرسميه بمصادر اشباع أخرى كالأصدقاء والزوج أو الزوجة ، ويرى ماسلو مثله فى ذلك مثل روجرز وكيلى ان العلاج النفسى الفعال هو ببساطه شكل أخر للعلاقة الشخصية الحميمة والناجحة التى تشبه علاقات الصداقه وليس مجرد عملية إكلينيكية.

لاينطبق النموذج السابق فى العلاج على المرضى الذين يفتقرون الى تحقيق الذات فقط لانهم أشبعوا حاجاتهم الشخصية وكل مايهتمون به هو النمو الداخلى والتوجه الذاتى Self-direction ، مثل هؤلاء الافراد يجب مساعدتهم ليتغلبوا على القوى الاجتماعية التى جعلتهم يكبتوا ماوراء الدوافع لديهم وان يكتشفوا تلك القيم التى يكافحون فى سبيل تحقيقها.

ب - الاجراءات العلاجية : على خلاف روجرز يتبنى ماسلو المدخل الانتقائى eclectic approach فى العلاج النفسى (أى انه لايتبع نظاماً واحداً بل ينتقى كل ما يعتبره الافضل فى جميع الانظمة)، كما انه يوافق على انه يجب ان يكون المعالج النفسى متقبلاً ، رحيماً، ويظهر الاهتمام بالمريض، لأن ذلك يساعد على إشباع حاجات المريض للأمان والانتماء ، كما انه يحذر من ان هناك الكثير جداً من المرضى الذين لم ينموا فى جو

يشيع فيه الود والألفه، لذلك يجب ان يصبح هذا الإجراء عاماً على كل المرضى، كما أن الشخصية المتسلطه التى تفسر الرحمة والعطف على انها ضعف، والأشخاص قليلى الثقة بالآخرين الذين يفسرون العاطفه على انها مصيدة خطيره توقعهم فى شباك الآخرين، مع مثل هؤلاء المرضى فمن المحتمل ان يفعل المحلل ماهو أفضل عن طريق التظاهر بأنه أكثر تسلطاً ويقوم بدور الخبير، ويقبل ماسلو كذلك التحليل النفسى الفرويدى كطريقه لها أهميتها وقيمتها مع المرضى المضطربين بدرجة خطيرة والأشخاص الذين يعانون من تشوس فى ادراكات الطفوله سواء عن ذاتهم أو عن الاخرين، ولكى يتقبلوا انفسهم والآخرين فهم فى حاجة للإشباع الذى ربما يمنح لهم، هؤلاء المرضى فى حاجة لإحضار محتوى اللاشعور الى حيز الشعور واكسابهم الاستبصار (العقلى والعاطفى) بطبيعة وأسباب مشكلاتهم، ويمكن انجاز هذه الطريقة على اكمل وجه عن طريق التداعى الحر وتفسير الأحلام والسلوكيات التى تتم أثناء اليقظة، وتحليل المقاومة والتحول، والعمل من خلالهم، وفى الواقع فإن أى علاقة انسانية صحيحة يجب ان تخدم غرض مماثل لما يحدث فى العلاج النفسى، ويعبر عن ذلك ماسلو بقوله " إن العلاقه الجيده حقيقه تحسن الاستبصار حتى فى رأى فرويد، فالشخص الذى يشعر بالحريه الكافيه مع صديقه أو مع زوجته / زوجها يقدم ما يعد تفسيراً تحليلاً لما يفكر فيه " (1970 b).

فى الحالات الأقل حدة، فان مجرد الإشباع المباشر للحاجة والأشكال البسيطه من العلاج النفسى قد تفيد بما فى ذلك العلاج بالمهدئات أو حتى العلاج السلوكى، وخاصة أن النوع الأخير لايستأصل الدفاعات والأعراض بسرعة كبيرة " فالتغير فى السلوك يمكن ان يؤدى الى تغير فى الشخصية " (1970 b)، كما يشارك ماسلو روجرز تقديره الكبير للعلاج الجماعى، ودور المواجهة التى تتم بين الفرد والجماعات المختلفه كعامل مساعد فى تحقيق مزيد من النمو للأشخاص الأسوياء. ولكن أياً كان الشكل فإن ماسلو يزكى العلاج النفسى عموماً كأحسن طريق لفهم وعلاج الأمراض النفسية (يُقصد أنه يفضله عن العلاج الدوائى) فيقول " العلاج هو أحسن أسلوب نمتلكه لكشف الطبيعه العميقه للإنسان كمقابل لما هو سطحى وظاهر فى الشخصية، لقد ترك المعالج النفسى المتخصص جيداً المساعدة التخمينية (الحدسية) intuitive helper خلفه - لأنه أصبح معتمداً على علمه (1970 b).

المقاومة ، والتحول ، والتحول العكسى :

يوافق ماسلو رأى فرويد ويونج على أنه يجب على المعالج النفسى ان يكون فى منتهى الوعى الذاتى حتى يتجنب التحول العكسى الذى يلحق به الأذى أو الضرر وحتى يحدث ذلك يجب ان يكون المعالج حنون ، متعاطف، آمن عاطفياً، واثق من نفسه، يتمتع بزواج سعيد، ناجح مهنياً ، قادرا على تكوين علاقات شخصية مُرضيه ، وقادر على تحقيق الإستمتاع بحياته (جعل حياته ممتعه) وان يتحقق كل ذلك الى درجة ممتازه، ويعترف ماسلو كذلك بوجود المقاومة والتحول ويوافق كل من هورنى وكيللى ان كل من المقاومة والتحول يمثلا اعتراضاً مُقنعاً وصحيحاً على الاخطاء العلاجية ، كالتحديد الإعتباطى لمسميات تشخيصية توسم بها الشخصية المتفرده للمريض وهويته (1970 b)

العلاج النفسى والإصلاح الاجتماعى :

يرى ماسلو أن المجتمع الجيد هو المجتمع القادر على إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية ، أما الثقافة غير المرغوبة فهى التى تعوق هذا الإشباع ومن ثم تدعم المرض النفسى للفرد " أو فى الواقع أن الشخص العصابى يمثل دليلاً على ان مجتمعه مريض الى درجة ما على الأقل". ومن بين شرور مجتمعنا المعاصر الأصرار على الاكاذيب الرماديه gray Lies (أو مانسميه فى مجتمعنا بالكذب الأبيض) للمعلنين فى الصحافة والتلفزيون الذين تجذب اصواتهم المرتفعه حاجتنا الغريزية الضعيفة ويبعدوننا عن تحقيق الذات ويقول " إن عالم التلفزيون وخاصة إعلانات التلفزيون تعد مصدر غنى لما وراء الاختلالات النفسية (الميتاباثولوجى) بكل انواعها. مثل إفساد أو تخريب كل القيم الأصلية (1971) ولكى نتغلب على مثل هذه الأمراض ولنتصدى للخطر الوشيك والمحتمل بفعل الأسلحة النوويه، فإن ماسلو يدعو ويحث السيكولوجين لأن يعملوا معاً لتطوير مجتمع يصل بسكانه الى قمة الهرم : الى تحقيق الذات .

العمل :

يعد ماسلو واحداً من اصحاب نظريات الشخصية القلائل الذين قطعوا شوطاً طويلاً من خلال إهتمامه النشيط بموضوع العمل ويقول " اذا كنت غير سعيداً فى عملك فإنك بذلك تكون قد فقدت واحداً من أهم وسائل تحقيق الذات (1971) .

فى العمل كما فى غيره - فإن أولئك الذين تشبع حاجاتهم الأولية فإنهم سوف يبحثون عن اشباعات اعلى مثل الانتماء، والود ، والتقدير ، الاستحسان، وتقدير الذات

ومن ثم، فإن نظام الإدارة فى أى منظمة أو مؤسسه يجب ان يصمم بحيث يمكن الموظف أو العامل من إشباع هذه الحاجات ويصل الى نهاية المنزلة السيكولوجية (يرجع ماسلو هذا المدخل الى أمورمثل حُسن الإدارة السيكولوجية **Eupsychian mangement**) بدلاً من التركيز فقط على القضايا المتدنية الأهمية مثل الأجور وظروف العمل كما ناقش ماسلو كذلك مامفاده أن قدرة اى مؤسسة على اشباع حاجات العاملين بها يجب ان تُؤكد من خلال دراسة الطبيعة النوعية لما يثير تذمر وشكوى العاملين بها، بدلاً من مجرد الحصر والجدوله لمدى تكرار هذه الشكاوى ، وعلى سبيل المثال، اذا اعترض العديد من العاملين على الظروف الطبيعية لعمل على انها غير آمنه كأن تكون رطبه وبارده (تذمرات خفيفه **Low Grumbles**)، فان ذلك تعنى ان الحاجات متدنية المستوى لم يتم اشباعها. ولو انه بدلاً من ذلك عبر العديد من العاملين عن عدم رضاهم عن الفرص السانحة لهم فى الانتماء والتقدير (تذمرات مرتفعة **high grumbles**) فإن الحاجات الدنيا بلاشك مُشبعه بدرجة معقوله ولكن الحاجات ذات المستوى المتوسط لم تشبع ، وأخيراً فإن غلبة الشكاوى والتذمر على عدم القدرة على تحقيق الذات (مابعد التذمرات **Metagrumbles**) تعكس حالة مختلفه تماماً للأمور القائمة، لأن ظهور هذه القضايا مرتفعة المستوى توضح ان الحاجات الأربعة الأدنى مستوى من تحقيق الذات (الفسيولوجية، الآمان ، الانتماء والحب ، والتقدير) قد أشبعت الى حد ما على الأقل، ولذلك لايجب أن يتوقع أى مدير مثقف لمؤسسة أو منظمة حدوث تحسن مؤكد فى بعض نواحى المؤسسة بإزالة كل شكاوى العاملين، لأن ظهور شكاوى وتذمرات ذات مستوى أعلى يوضح أن الجهود التى بذلت لإشباع الحاجات الأدنى للعاملين أتت ثمارها بالفعل وانه قد حان الوقت للإلتفات الى قضايا جديده وأعلى مستوى .

التربية :

يؤيد ماسلو وجهة نظر روجرز عن المدخل التربوى غير الموجه والمتمركز حول الشخص، كما انه يوافق على ان الصياغات الشكليه المتصلبه (الجامدة) والشائعة فى التعليم العالى تحبط الذات ، ووجهة اعتراضه فى ذلك أن المقررات تدرس على مدار عدد معين وثابت من الأسابيع بصرف النظر عن طبيعة المادة المدروسة ، والأقسام الاكاديمية مستقله وبصورة كامله عن بعضها البعض على الرغم من أن المعرفة الإنسانية يمكن ان تقسم بدقة الى فئات يتعاون أعضاء هيئة التدريس على أدائها دون أن يكون ذلك مقتصراً

على قسم أو شخص بعينه، كما ان الدرجات العلمية التى يحصل عليها الفرد لاتتم إلا بعد الحصول على عدد محدد من الساعات المعتمدة Credit hours فى جامعة بعينها، كما لو كان التعليم عملية محددة ويجب ان ينتهى فى عدد محدد من السنوات، كما أن التركيز أكثر على تحصيل آلى لحقائق ومعلومات محدده وليس على النمو الشخصى للطالب، وزيادة الدافعية من خلال التعزيز الخارجى وليس من خلال التعزيز الذاتى، مثل هذا النظام الصفى يجعل الطلاب يفعلون فقط ما يُطلب منهم من قبل المدرس ليس الا :

" للتعلم الصفى غالباً هدف غير معلن وهو تعزيز ما لدى المدرس من سعادة، فالأطفال فى الفصول العادية يتعلمون بسرعة كبيره جداً أنهم يعاقبون على الإبتكارية ويكافئون إذا كرروا الاستجابات المحفوظة ، ولذلك فهم يركزون على مايريد المعلم منهم ان يقولوه بدلاً من فهم المشكلة ، ويعد النظام المدرسى القائم وسيلة فى منتهى الفعالية فى القضاء على أو تدمير الخبرات البارزه والحد من احتمالية ظهورها " (Maslow, 1971) .

وبدلا من ذلك فإن الجامعة المثالية لايجب أن يكون بها ساعات معتمده، ومناهج مطلوبه أو شهادت . انها سوف تعمل كمكان تعليمى يرتادها الناس ليستطلعوا موضوعات مختلفه وأن يكتشفوا اهتماماتهم الحقيقية وهويتهم ويأنسوا متعة التعلم والقيمة العظيمة للحياه. كما يجب على المدرس ان يوضح للطالب كيف يقول او يستمع للجمال فى السيمفونيات العظمية ، بدلاً من جعلهم يرددون تاريخ ميلاد الموسيقار الذى وضعها فى الامتحان، يجب ان يكون المعلم شخصاً محققاً لذاته حتى يخدم كنموذج يحتذيه الطلاب ويتوحدون معه ، وأن يظهر تقدير واعتبار إيجابى غير مشروط لإهتمامتهم وميولهم الخاصة، مثل هذه التربية سوف تحق أهدافها الصحيحة، وتساعد الناس على النمو حتى يحققوا ذاتهم أو تكتمل أدميتهم ويحققون أقصى جهودهم ويصبحوا فى الواقع كما ينبغى أن يكونوا.

اللغة والقوالب النمطية : Language & Stereotype

لايذهب ماسلو الى اقصى ما وصله البورت فى اعتقاده المبالغ فيه باعتبار كل شخصية متفرده بشكل كامل، وهو يحذر من أخطار الاعتماد على nomothetic labels والتصنيفات rubricizing ، فكل شخص وكل حدث وكل خبرة تمر بها تعد الى حد ما مختلفه عن غيرها من البقية، وغالبا ما نعتبرها كذلك وبالمثل فإنه على العكس من

سوليفان فإن ماسلو يعتبر اللغة سلاح ذو حدين فهى تفيد كوسيلة ضروريه فى عملية التواصل وفى توفير الوقت والجهد فى هذه المناسبات عندما تثبت التشابه الكامل بين الأحداث. ولكنها ايضاً تثبت وجود الخصائص المتفرده للناس والأشياء من خلال تفسيرها فى مصطلحات على شكل عناوين معيارية ، فهى تعوق فهمنا (للأشخاص، والاشياء والأحداث) كما أنها تسهله.

ويشارك ماسلو البورت الاعتقاد بأن القوالب النمطيه يكون عادة من الصعب تصحيحها ، وحيث ان الاستثناءات من السهل رفضها على أنها غير مهمه، على سبيل المثال : اذا اعتبر شخص ما أنه شخص غير أمين وانه يجب مراقبته ولكن لم يتم ضبطه متلبساً فى حادث سرقه فعلى، فإن المراقب ربما يفترض ببساطه ان هذا الفرد خائف جداً من أن يسرق فى هذا الوقت بدلاً من تصحيح هذا الرأى أو الحكم المسبق، كما ان القوالب النمطية مرفوضه أيضاً لأن الناس يريدون أن يكون تفردهم محل تقدير وإعجاب من الآخرين، (وهذا ما يغضب معظم النساء من هؤلاء الرجال الذين ينظرون الى النساء عموما على انهم متماثلون فى دوافعهم الجنسية ، ويغضب معظم المراهقين من والديهم الذين يصورون صراعاتهم المؤلمه كمجرد إجتياز لمرحلة انتقالية) وكمثل روجرز يقترح ماسلو انه من الضرورى مقاومة الإغراء فى الحال لتسمية الأشياء لكى تبقى مفتوحة حقيقة على خبراتنا .

نظرية ماسلو والأبحاث الامبريقية :

يعتبر ماسلو – مثله فى ذلك مثل روجرز– ان الأبحاث الامبريقية هى المصدر الحيوى للمعرفة حول الشخصية الإنسانية، ولكنه يرى ان الكثير جداً من علماء النفس قد ضل السبيل عند تقليده لأحكام العلوم الطبيعية على علم النفس، مؤكدين بشده على أهمية القياس الكمى، ويكيفون ابحاثهم فى ضؤ الطرق المألوفة لهم، ويركزون على القضايا قليله الأهمية وبتطبيق تجريبى مبسط :

" الخطر المحدق بالاكاديميين فعلا أنهم يفضلون أن يعملوا ما يستطيعون عمله بسهولة بدلاً من أن يحاولون فيما يجب ، مثل مساعد الطباخ غير اللماح الذى يعلم كل من رغب فى فتح علبة فى المطبخ فى يوما ما لأنه كان جيد جداً فى فتح العلب. . . والمجلات العلمية مليئه بالفقرات التى توضح هذه النقطه " مالايستحق ان نعمله ، لايجب أن نعمله اطلاقاً" "What is worth doing , is not worth doing well"

على العكس من ذلك فإن العالم المبدع يتجنب التصلب فى تعامله مع مناهج بحث بعينها أو مجالات محددة، انه يحاول بشجاعة وتحدى ان يبحث عن الحقيقه بطرق جديده وغير مألوفه، ويهتم بالقضايا البحثيه الهامة والصعبه مثل البطالة، التحيز العنصرى، الوعى القومى، والعلاج النفسى " العالم ليس خبيراً ولافنياً ، إنه باحث عن الحقيقه ليس فيما يعرفه ولكن فيما يحيره" (1970 b) . وهو يشبه كيلى فى تحذيره من أن عالم النفس يجب ان ينظر لأى نظرية على أنها قابله للتطبيق على بعض الجوانب الإنسانية فقط .

نظرية ماسلو فى الميزان :

١- أوجه النقد والخلاف :

أنتقد ماسلو لإفراطه فى التفاؤل ازاء الطبيعة البشرية، على الرغم من تقبله اللامحدود لمبادئ فرويد مما يعطيه قدراً أقل من الاتهام عما تلقاه روجرز. ويبدو ان الأسلوب الانتقائى فى العلاج لماسلو لم يحظى باهتمام أو تفكير كبير، وعلى سبيل المثال: لقد فشل فى التوفيق بين قداسته الصريحة والمعلنه (المتمثله فى التفاؤل المفرط) وتقبله لعمليات من قبيل الكبت، ورد الفعل العكسى والتركيبات التى من الضرورى ان تحتويها الشخصية كأجزاء فرعية فيها لتصبح كمنزل مقسم، كما انه يقر بتصور كارن هورنى عن الصورة المثالية للشخصية دون ان يضع فى اعتباره التمييز بين نموذج الصراعات الداخلية عند هورنى ومدخله التفاؤلى هذا، كما ان الانتقائية تتطلب أكثر من مجرد تقبل كل هذه التركيبات النظرية لعلماء آخرين تحت مظله نظرية واحده لماسلو، فالأفكار المختلفه يجب ان تكون ايضاً متكاملة المعنى ككل وغير متناقضة .

على الرغم من أن دراسة ماسلو للاشخاص المحققين لذاتهم قد عرفت مثل هؤلاء الأشخاص بموضعية مستخدماً محكاتهم الشخصية، إلا انه اقترح ان سلوكهم يتميز بالمثالية (حتى التصنيف الهرمى للحاجات ذاته) وهذا لايطابق الحقيقه الفعليه، ويبدو أن وصفه لهؤلاء الأشخاص يعكس مفهومه الخاص عما ينبغى ان تكون عليه القيم الإنسانية، فالعينة صغيره جداً بدرجة لايمكن ان ترتكز عليها مثل هذه النتائج (أو تعمم بناءاً عليها)، كما ان تقرير ماسلو من الصعب شرحه بطريقة نقدية لانه يفتقد الى التحليلات الإحصائيه ولايتضمن البيانات المتعلقه بالسيره الذاتية biographical مثل الذكاء ، المستوى التعليمى ، المستوى الاقتصادى الاجتماعى، وأعمار العينة .

يشير ماسلو بشكل متكرر لأفكاره النظريه على انه يمكن اختبارها بطريقة عملية، إلا ان الكثير من علماء النفس المحدثين لايوافقون على ذلك، فهم ينتقدون التركيبات البنائيه للنموذج الهرمى على انها غير دقيقه ومبهمه، ويثيرون قضيه: كيف تقيس كميه الإشباع التى يجب ان يتحقق فى مستوى معين حتى تصبح الحاجة التى تقع فى المستوى الأعلى منها بارزه وتطلب الإشباع هى الأخرى، بالاضافة لما سبق تتضمن نظريه ماسلو استثناءات نظريه عديدة (مثل احتمالية ظهور حاجة أعلى عند إحباط اشباع الحاجات الادنى) مما يظهر بعض الغموض فى النظريه أو يعنى ان لها أكثر من وجه. وعلى العكس من نظريات فرويد وأدلر واريكسون فان مناقشة ماسلو لنمو الشخصية ورعاية الطفوله تبدو قاصره وغير محددة، كما ان أسلوبه التهكمى والساخر فى الكتابة يتسم بالشمولية وعدم الدقه عند استعراضه لاعمال غير مشروحه ومرتجله لعلماء آخرين مما يدل على انه أكثر ميلاً للأسلوب الفلسفى أكثر من الأسلوب العلمى والسيكولوجى.

٢- الدراسة الامبريقية :

فيما يتصل بالتطبيق العملى للنظرية، فإنه لم يتمخض عنها عدد كبير من الدراسات الامبريقيه أو التجريبية، ويرجع ذلك الى ان النموذج الهرمى للحاجات يؤكد على ان الحاجات العليا تنبثق بمرور الوقت كلما أشبعت الحاجات الأقل، ونظراً لأن الدراسات الطوليه تكون صعبة نسبياً ومكلفه وتحتاج الى وقت طويل لذلك يعزف الباحثون عنها. توجد بالفعل اداه صادقه يمكن ان تستخدم فى قياس درجة تحقيق الذات التى يمكن ان يحققها الفرد وهى مقياس التوجه الشخصى .Personal Orientation Inv الذى أعده شوستروم Shostrom 1965 ونقله الى العربيه كل من طلعت منصور وفيولا الببلاوى - كما توجد بعض مقاييس التصنيف الهرمى مثل مقياس جراهام بالون Graham & Ballon, 1973 ، ووهبه وبريدويل Wahba & Bridwell, 1976 ، ولكن على العموم يبقى هناك بعض الافتقار الى الدعم البحثى لنظرية ماسلو.

٣- الإسهامات :

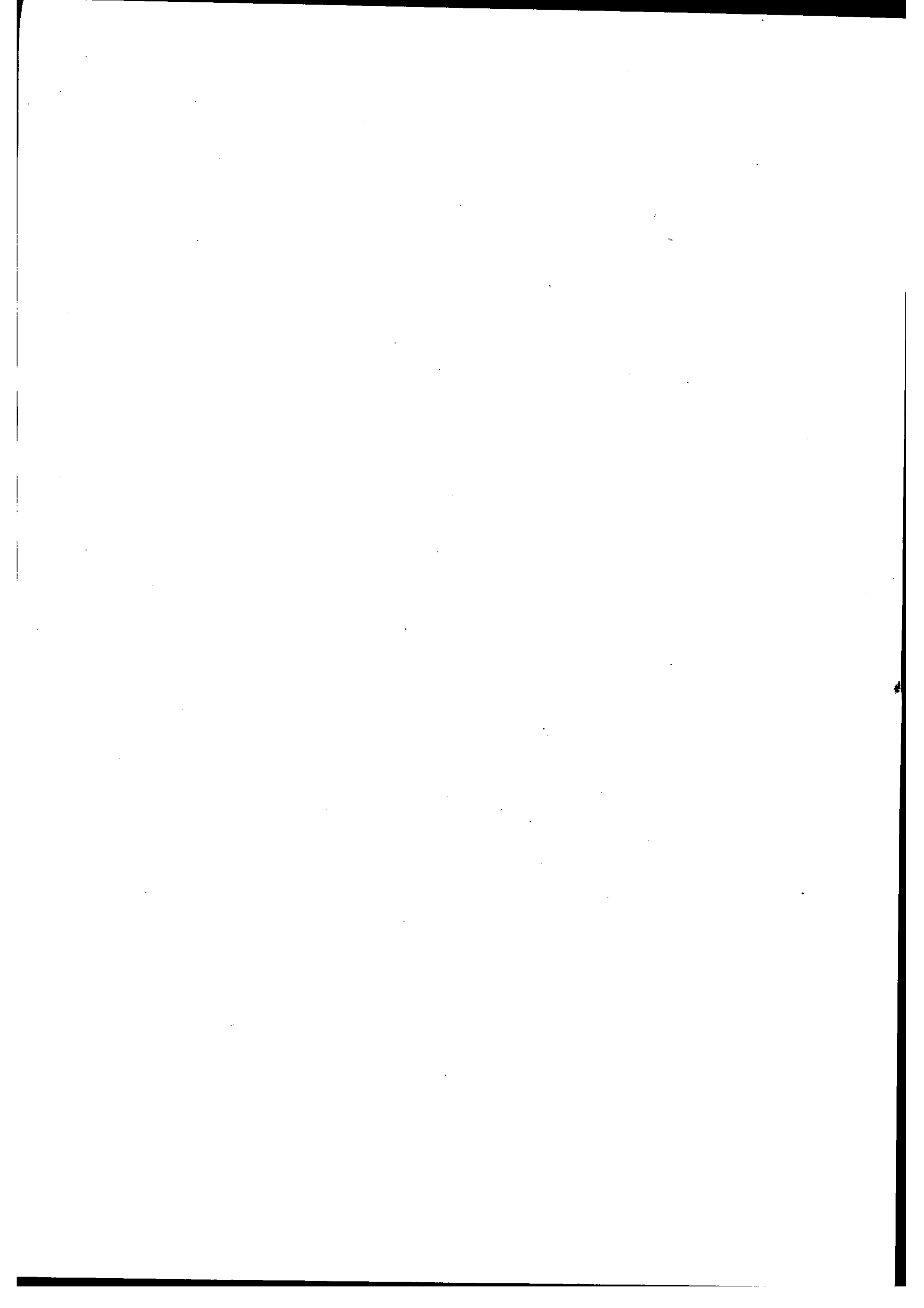
لقد لاقى تركيز ماسلو على دراسة الأسوياء ترحيباً لانه يقدم نقيضاً لأصحاب نظريات الشخصية التى بنوها على بيانات إكلينيكيه، كما ان نموذجه عن قصور ونمو الدوافع يعد نموذجاً مفضلاً من قبل الكثير من علماء النفس الذين لايتقبلون مفهوم

فرويد عن اختزال الدافع ، وعلى خلاف للعديد من المنظرين فإن أفكار ماسلو تنسجم مع أفكار علماء سابقين مثل فرويد وأدلر وهورني وفروم. كما أن افكاره عن الدين شيقه أو مثيره ومتقدمه كفكرته عن النموذج الهرمي للحاجات ، وقد نظر الى ماسلو بشكل واسع على انه احد اعمدة مدرسة علم النفس الإنساني أو ما تسمى بالقوة الثالثة ، وخاصة بين اؤلئك الذين لم ينحازو الى أى من التحليل النفسى أو السلوكية ، كما ان كتاباته لاقت قبولاً لدى عامة الناس (غير المتخصصين) كما انه يشارك روجرز في الهدف الذى أرسى دعائمه كاير كيجارد Kier Kegaard • لكى تساعد شخصاً ما فلنجعل ذاته صادقه "to help a person be that Self which one truly is" .

الباب السابع

علم النفس الوجودى

الفصل الرابع عشر : علم النفس الوجودى   رولو ماى



الفصل الرابع عشر

علم النفس الوجودى

رولــو مــاى

مع تقدم القرن العشرين الى نهايته أصبح يواجهه علماء النفس والمعالجين النفسيين ظاهرة محيرة حيث اصبح التمسك بالعادات والأعراف الاجتماعية اقل مما كانت عليه فى عصر فرويد- وخاصة ما يتعلق منها بالناحية الجنسية- ونظرياً فإن اطلاق الحريات بهذا الشكل يجب ان يساعد على تخفيف الاضطرابات الناتجة عن الصراع بين الهو والأنا الأعلى، ومن ثم خفض إحتمالية حدوث المرض النفسى، إلا انه من الملاحظ - فعليا - أن عدد الأشخاص الذين يسعون فى طلب العلاج النفسى الان فى تزايد مستمر، فهم يعانون من مشاكل جديده وغير مألوفه مثل العجز عن التمتع بحرية التعبير عن الذات، والشعور بالفراغ الروحى ، والاغتراب عن الذات، فضلاً عن اعراض أخرى واضحة. إن هؤلاء يحتاجون ويشده للاجابة على سؤال فلسفى لديهم وهو : كيف يمكن التخفف من مشكلة عدم وجود معنى واضح لحياتهم ؟

كما رأينا فإن بعض المنظرين حاولوا حل هذه القضية فى إطار عملى تحليلى مثل مفهوم أزمة الهوية عند إريكسون، ومفهوم اريك فروم عن الهروب من الحرية وعلى أية حال : فإنه من الملاحظ أن بعض علماء النفس على قناعة بأن أراء فرويد انطبقت على الوقت الذى ساد فيه جو من الاشمئزاز المحيط بموضوع الجنس، وعانى آخرون من اعتقاد غير صحيح مفاده أن الشخصية عقلانية وشعورية تماماً ، ولكنهم يوافقون على وجود افكار من قبيل التحديدات العقليه والنماذج التركيبيه التى ترسم صورة ميكانيكية مجزأه لشخصية المريض، وتحدد سلوكه بأسباب مسبقه وليست راهنه ، وهو ما دفع المعالجين النفسيين الى البحث عن فلسفة غائية وشاملة للطبيعة الإنسانية وهى ما تعرف بالوجوديه . Existentialism

وتهتم الوجوديه بعلم الكينونة أو علم الوجود ontology : ما الذى يعنيه وجودك ككائن بشرى غريزى فى فترة عشوائية سريعة بالنسبة للخلود الابدى وفى ركن عشوائى صغيره فى عالم شاسع بلانهاية، فالوجوديون يعتبرون الشخصية ككل موحد ولايمكن فصلها عن البيئة الطبيعية والاجتماعية لها، وهم يشاركون أدلر فى وجهة نظره التى تؤكد على ضرورة اختيارنا لمسارنا الخاص فى الحياة، كما يشاركون ماسلو وروجرز تأكيدهما على ضرورة اكتشاف قدراتنا الفطرية وانجازها، ويشاركون ألبورت وجهة نظره من أن الشخصية دينامية ومتغيرة باستمرار - ويؤكدون مثل فروم على تفردنا فى تحمل الألم، ولكى نبصر بوضوح حتمية الموت فنحن مضطرين لجمع شجاعتنا وتأكيد وجودنا بالرغم من الفناء الحتمى الذى ينتظرنا، وربما حتى فى الدقيقه التالية مباشرة .

ولقد بدأ المدخل الوجودى للعلاج النفسى على يد اثنين من الأطباء النفسيين السويسريين هما بينسوينجر وبوس .Binswanger, L. & Bass, M اللذان أوقفت كتاباتهما عن صعوبات القبر القارى الأمريكى المتأمل، وعدد كبير من علماء نفس الوجودية مثل فرانكل، وألينبرجر وماى الذى كان تعارض فكره مع التحليل النفسى نقطه تحول هامه فى حياته وخاصة فى نهاية الثلاثينات من عمره، وكان قد اصيب ماى فى ذلك الوقت بدرن رئوى وانتظر ماى ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم لقرار الأطباء فى مصحة بنيويورك فأما أن يسفر عن عوده للمصحة أو بقاء المعاناه من مرض مزمن أو الموت، وقضى الكثير من الوقت المقلق هذا فى القراءة ، وحقق اكتشافاً مدهشاً ، حيث كان لقلقه العميق الكثير ليفعله مع الفزع من العدم كما وصفه بعض الوجوديين مثل كيركجارد Kierkegaard اكثر من التعامل مع تركيبات ميكانيكية وميتافزيقيه مثل مفهوم اللبيدو، وشفى ماى من مرضه ولكن توجهه للتحليل النفسى انتهى ، وكرس حياته المهنية التالية للبحث عن الأسس الوجودية للشخصية .

نشأته وحياته :

ولد رولو ماى فى الحادى والعشرين من إبريل عام ١٩٠٩ فى ادا Ada بولاية اوهايو الأمريكية ، وقضى معظم طفولته فى مدينة مارين Marine بولايه ميتشجان وحصل على درجة البكالرويوس فى الادب من كلية أوبرلين oberlin عام ١٩٣٠ ، وحذا بعدها حذو إريكسون حيث جاب العديد من المدن الأوربية كمعلم وفنان متجول ، وخلال هذه الفتره التحق بالمدرسة الصيفية لألفرد أدلر ، وأعجب بعمله ولكنه إعتبره مبسط الى حد ما . ثم عاد ماى الى امريكا للحصول على درجة اللاهوت من اتحاد البحث اللاهوتى فى نيويورك عام ١٩٣٨ حيث عرف الفكر اللاهوتى لأول مرة، ثم خدم فى كنيسة بمونتكلير Montclair بولاية نيوجيرسى، غير ان اهتمامه بعلم النفس كان أقوى من اهتمامه بالدين، ومن ثم تقدم لدراسة التحليل النفسى بمؤسسة وليام ألنسون Alanson, W. حيث تقابل وتأثر بكل من فروم وسوليفان ، وفى عام ١٩٤٩ حصل على درجة الدكتوراه فى علم النفس الاكلينيكى، وخلال هذه الفتره عانى من مرض الدرن الذى كان له اكبر الأثر لدفعه الى الوجوديه ولو على حساب أمور أخرى . وتزوج ماى فى ١٩٣٨ من فلورنس دى فريز Florence de Frees وأنجبا ولداً وابنتين ، وتصل مؤلفاته المنشوره حوالى إثنتا عشر كتابا كان اكثرها رواجاً كتابه الحب والإراده Love and Will الذى نشره لأول مره عام ١٩٦٩ ، بالإضافة الى عدد كبير من المقالات، ولكن يعد الفصل الذى كتبه فى كتاب بعنوان الوجود Existense والذى حرره هو وانجل والينبرجر ١٩٥٨ ، وكتابه علم النفس الوجودى Existential Psychology الذى صدرت الطبعه الثانيه منه عام ١٩٦٩ هما المصدران الأساسيان عن علم النفس الوجودى فى نظرية ماى . وبالاضافه الى عمله كمعالج نفسى فقد القى ماى محاضرات فى جامعات هارفرد، ويل وبرينستون وكولومبيا ودارتمون وفاسر، واوبرلين ونيويورك والمدرسة الجديدة للدراسات الاجتماعية .

طبيعة الشخصية :

أ - وجودك فى العالم * Being-in-the-world (Dasein) :

لكل منا حاجته الفطريه التى تدفعنا جميعاً للعيش فى العالم الذى ولدنا فيه، ولتحقيق إحساسنا الواعى أو غير الواعى (اللاشعورى) بأنفسنا كوحده غريزيه مستقله،

* تتكون كلمة Dasein من مقطعين هما da = There ، Sein وتترجم الى الواحد أو الوجود أو الحضور الوجودى ، وسيستخدم المؤلف المفهوم الأخير.

وكلما قوى وجودنا فى هذا العالم كلما اصبحت شخصياتنا اكثر سوية- على اية حال فإن اثبات الشخص لوجوده وانجازه لجهوده الداخلية يتطلب جهداً مستمراً وشجاعة، كما ان اختياراتنا وتمتعنا بحياة لها معنى انما يتحقق من خلال إثبات وتأكيد وجودنا فى هذا العالم حتى فى مواجهة الاعراف الاجتماعية والتكيف مع الضغوط، والمعايير الوالديه غير الرشيده، وتهديد الموت نفسه.

إن السمة المميزه للشجاعة فى عصر الانسجام هى القدره على التعرف على مدى قناعة الشخص بنفسه، وليس بالعناد أو التحدى (فهذه تعبيرات دفاعية وليست شجاعة) وليست كإشارة للانتقام . ولكن لان ذلك ما يعتقده الفرد ببساطه " انها ذاتى ، انها كينونتى " وذلك خلال تأكيده لذاته فخبرات الفرد هى هويته، انا هو انا ، وما أستطيع "I" is the"I"of "I can" (May 1977) .

ولأن الحضور الوجودى Dasein موضوع شخصى جدا، فلايوجد شخص آخر يستطيع أن يخبر الفرد كيف أو ماذا يوجد فى هذا العالم، ويجب على كل واحد فينا ان يكتشف ويؤكد جهده وقيمه الخاصة. وهذا الأمر يمكن تحقيقه فقط اذا عايشنا الخبره فى كل لحظه بنشاط وتلقائيه وتقبلنا حريتنا ومسئوليتنا عن المسار الذى اخترناه لأنفسنا فى الحياة.

والحضور الوجودى (يشبه الخبره فى نظرية روجرز) من الصعب وصفها بكلمات فإحدى مريضات ماى قارنت اكتشافها الجديد المتمثل بوجودها فى هذا العالم بامتلاك سندريلا لحذاءها لعدة سنوات لتكتشف فى النهاية انه يناسبها هى فقط . فى الحقيقه فإنه حتى الدوافع الإنسانية الإساسية مثل الجنس والعدوان تعد ذات أهمية ثانوية بالنسبة للحضور الوجودى، فالدوافع ماهى إلا تجريد وادراك لانفسنا باننا نمتلكها وهى تجريد لأنفسنا من الصفات الإنسانية فنحن جوعنا وطمأنا وجنسنا ومشاعرنا وافكارنا وغيرها. ومعايشة مثل هذه الخبرات هو الوجود فى الواقع أو انسانيتنا المتميزه الحقيقية. (May 1969a) .

ب - صور أو نماذج وجودنا فى الكون: Modes of Being- in the- World.

يشمل وجودنا الدينامى فى الحياة ثلاثة نماذج متداخله العلاقة فى نفس الوقت (أو مناطق نشاط vegions).

١- العالم الخاص umwelt : عالم الموضوعات الداخلية والخارجية الذى يشكل بيئتنا النفسية والعضوية وتعنى فى الادب الوجودى (العالم من حولنا world around).

٢- عالم المجتمع Mitwelt : العالم الإجتماعى للآخرين ، وتعنى فى الادب الوجودى (مع العالم with-world).

٣- علاقة الإنسان بنفسه Eigenwelt : العالم السيكولوجى لعلاقة الفرد مع ذاته وجهوده وقيمه الخاصه وتعنى فى الادب الوجودى (العالم الخاص Own-world).

وفى حين يفضل بعض اصحاب نظريات الشخصيه التركيز على أحد هذه النماذج يرى علم النفس الوجودى ضرورة التركيز على النماذج الثلاثة بنفس الدرجة حتى يتحقق لدينا فهم حقيقى للشخصية الإنسانية (May, 1967) .

فالعالم الخاص هو النموذج الذى اهتم به فرويد بالإضافه الى البيئة الطبيعية المحيطه بنا ، انه يُضمن نظريته حالة الحاجة التى يوضع فيها كل شخص بمجرد مولده كالجوع والعطش والنوم وغيرها . (أى الظروف الواقعية التى نولد بها مثل وجود الحاجات الغريزيه التى قُدرت علينا سلفاً، وثقافة بتوقعات معينه ، والتى تمثل قليل من الاعتبارات لوجودنا التى لانستطيع التحكم فيها اثناء القيام باختياراتنا الشخصية ، ويشار لهذه الظروف احياناً بالطرح thrownness أو الإلقاء Facticity ، أما عالم المجتمع فتندرج تحته حاجتنا الفطريه لتكوين علاقات شخصيه بغرض تحقيق المصلحة الخاصة وليس لغرض التسامى ببعض دوافعنا ، ولايستطيع أى فرد تحقيق وجود ذات معنى وهو فى عُزلة ، وكما اكد على ذلك بعض المنظرين مثل ادلر ، وفروم ، وهورنى وسوليفان. أما علاقة الإنسان بنفسه فهى العالم المتفرد للإنسان المتضمن الوعى بالنفس Self-awareness كما فى نظرية روجرز ، أو معرفتنا بأننا مركز وجودنا وادراكنا لجهودنا الخاصة ، وهذا النموذج يتضح عندما نحكم بدقه على ما نفعله أو مالانحبه أو مانحتاجه أو نُقيم خبرة شخصيه ، وعلى العموم فإن الشعور بالفراغ والاغتراب الذاتى Self-estrangement تعكس بعض التشويه فى علاقة الإنسان بنفسه .

* فى اللغات الشرقية مثل اليابانية مثلاً تتضمن الصفات دائما كلمة من أجلى for-me-ness كأن نقول هذه الزهره جميلة تعنى من أجلى for me هذه الزهرة الجميلة ، ولكن فى اللغات الغربية التى تميز بين الفاعل والمفعول مما أدى بنا الى

الافتراض اننا قلنا اغلب مانريده اذا قررنا ان الزهرة جميلة سواء كان ذلك بعيداً عن انفسنا أو انها لنا، إن هذه العبارة كانت صادقه جداً فى جملتها وتظهر الضآلة التى نتعامل بها مع انفسنا، لإن ابعادنا لعالمنا الخاص أو علاقتنا بأنفسنا من الصورة لايساعد على استمرار ضحالة الفكر وفقد الجوهر أو القيمه فحسب لكن الملاحظ أيضاً ان هناك الكثير مما يجب ان نفعله مع الحقيقة القائله بأن الناس فى الوقت الراهن تميل الى فقد الإحساس بحقيقة خبراتهم. (May, 1981) .

وعلى العكس من مفهوم اريكسون عن الهوية Identity فإن علاقة الانسان بنفسه والحضور الوجودى لاتعتمد على الأداء والتوقعات التى تظهر من الآخرين ويعبر ماى عن ذلك بقوله " إذا كان اعتبارك أو تقديرك لذاتك يقوم فى مداه الطويل على التأثير الاجتماعى فلن يكون لك تقدير لذاتك، ولكن يصبح لديك صورة مبسطه من الانسجام الإجتماعى (May , 1967) ، كما ان الحضور الوجودى لايتساوى مع مفهوم فرويد عن الأنا، فمعرفة النفس على أنها الكينونه أو الوجود الذى يستطيع ان يتفاعل مع العالم شيئ جوهرى، وان هذا الوجود أسبق من أى تفاعل مع البيئة.

جـ - اللاوجود والقلق Nonbeing and Anxiety

على الرغم من تداخل المظاهر الشخصية الذاتية والموضوعية بشكل معقد، إلا ان هناك حقيقة مطلقه عن وجودنا فى هذا العالم وهى الموت death الذى لايستطيع أحد منا ان يهرب منه إطلاقاً، إن وجودنا القصير فى هذا العالم ربما ينتهى فى أى لحظه بسبب الاقدار التى يصعب التنبؤ بها كحادث سيارة أو رصاصة مجرم أو زلزال او حريق أو فيضان أو أزمه قلبيه، إن وعينا بالنهاية الحتمية لكينونتنا والتحطم السيكولوجى الوشيك القائم على الرفض والإهانه يثير شعوراً مؤلماً بالقلق .

فالقلق هو ادراك تهديد لبعض القيم التى يعتبرها الشخص جوهرية لوجوده كشخصية، انها حاله ذاتية يدرك الفرد فيها ان وجوده يمكن ان يتحطم وأنه يمكن ان يفقد نفسه وعالمه، وانه سوف يصبح عدم. "nothing" .(May, 1977) .

فعلى سبيل المثال افترض ان استاذك الذى تعرفه ويعرفك وتحترمه تماماً يمر عليك فى الشارع دون ان يحدثك ، ان هذا الصمت ربما يؤثر جداً على تقدير الفرد لذاته ويتساءل (ألا استحق الملاحظة ، هل أنا لست إنسان، هل انا لاشيئ) لهذا فهو يثير القلق

الذى قد يلازم الفرد فتره طويله بعد الحدث، واذا اعتقد شخص ما انه لايستطيع الحياة بدون حب شخص معين (أو وظيفة محددة أو رموز مثالية) فإن الخسارة المتوقعه لهذا الحب أو الوظيفة أو الرمز سوف تسبب الكثير من القلق، وبالعكس فإن الخوف الذى يشعر به الفرد عندما يجلس على مقعد طبيب الأسنان لن يهدد حضوره الوجودى ، ولهذا السبب فهو يُنسى سريعاً بمجرد ان ينتهى الحدث، فالقلق وجودى أم الخوف فلا . . . " والقلق يمكن أن يُفهم فقط على انه تهديد للحضور الوجودى للفرد (May, 1977) . وهكذا فإن ماى لايرجع القلق لبعض الصراعات النفسيه الداخلية أو لخطر خارجي ولكنه يرجعه الى التصادم الأساسى أو الجوهرى بين الوجود والتهديد بعدم الوجود (الفناء) ، ومن الطبيعى ان يكون هناك درجة محدوده من القلق فهذا شيء عادى لان ذلك من طبيعة البشر .

ويواجه القلق الوجودى كل منا بتحدى كبير، وهذا الشعور غير السار يشتد عندما نختار ان نؤكد حضورنا الوجودى ونكافح من أجل تحقيق جهودنا وحاجاتنا الفطريه ، لنؤكد بشدة اننا موجودين، ولنبقى نتذكر اننا سننتهى فى يوم ما، ولهذا السبب فكلنا يحاول التأكيد على فهم الموت، وانكار حضورنا الوجودى، ونختار الأمان الظاهر لنا من انسجام اجتماعى واللامبالاة آملين بذلك ان نتفادى لدغة العدم هذه من خلال التعامل مع وجودنا فى هذا العالم سواء شعورياً أو لاشعورياً بأنه شيء عديم المعنى، " فإدراك الموت والوعى به أمر نكبته فى حياتنا اليوميه، وفى الحقيقة ان الطرق التى نكبت بها الموت وما يرتبط به من رموز تشبه طرق كبت الفيكتوربين للجنس " (May, 1969a). ولكن السلوك الصحي هو ان نتقبل العدم كجزء لاينفصل من الوجود (وهى الفكرة التى حاول فرويد التعبير عنها من خلال مفهومه عن غريزة الموت). وأن نعترف بقلقنا الشعورى فى هذا الأمر، واستخدامه كقوة دافعة لان نعيش حياتنا بكل ماتعنيه الكلمة من معنى .

لكى نفهم ما نعنيه بالوجود ، فإننا فى حاجة لأن نفهم حقيقة أنه من المحتمل أن نختفى من هذا الوجود، فنحن نخطو فى كل لحظة على الحافة الحاده للهاويه التى لاهروب منها، ولايمكن ان نهرب من حقيقة ان الموت قادم مستقبلاً فى لحظة غير معروفه لنا، وبدون هذا الوعى باللاوجود (العدم) ، فإن الوجود سيكون عديم القيمة غير حقيقى أو زائف، لكن مع تحدى اللاوجود سيصبح الوجود اكثر حيوية واكثر وضوحاً بذاته دون الحاجة الى إثباته أما خبرات الفرد حول ذاته وعالمه والآخرين من حوله

ستكون شعوريه الى حد بعيد، و هكذا فإن تحدى الموت يعطى الحقيقة الاكثر إيجابية للحياة ذاتها (May, 1967) .

د ـ اللامعصومية والشعور بالذنب Falliability and Guilt

لايوجد منا أحد لم يتعامل بعناية مع النماذج الثلاثه للوجود فى هذه الحياة، نحاول وربما تفشل اختياراتنا بشكل محتوم يتعذر إجتنابه على الاقل فى بعض جهودنا الفطريه (انكار علاقة الإنسان بنفسه) . والتعاطف الكامل مع الآخرين أمر مستحيل حتى أصحاب النوايا الحسنة أحيانا يرتبطون بالاخرين بطرق متميزه وغير مُرضيه أو غير مُشبعة (إنكار عالم المجتمع) . كما انه من السهل أن نبالغ فى مشاركتنا للطبيعة والبيئه من حولنا ونسيئ ادراك ذاتنا كشيئ بارز ومنفصل عن العالم الخاص بنا عموماً .

مثل هذا الفشل الحتمى الذى لامفر منه يثير عندنا الشعور الوجودى بالذنب، وهو المظهر الطبيعى والضرورى الآخر (بعد القلق) للطبيعة البشرية، وكما يحدث مع القلق فإن المسار المثالى هــو أن نتقبله وان نستخدم شعورنا بالذنب لأغراض بناءه مثل تنمية شعور سوى بالتواضع والاعتراف بأن الخطأ أمر وارد والاستعداد للعفو عن الآخرين (May, 1967) .

هـ - القصد والدلاله Intentionality and Significance

على العكس من فرويد فإن ماى ينسب أهمية كبيره لكل من الوجود والجبرية *أو الحتمية السيكولوجية psychic determinism ، فنحن مدفوعين الى حدما بعض القوى التى لاسيطرة لنا عليها منذ المهد أو الطفولة، ولكن الآن لدينا ايضا الحرية والمسئولية لكى نكافح من أجل الأهداف التى نختارها لأنفسنا. " لقد كان فرويد على حق فى اعتبار ان هناك أسباب حتمية ثابته تؤدى الى العصاب والمرض العقلى، ولكنه كان مخطئا فى محاولته " تعميم هذا المفهوم على كل الخبرات الإنسانية، فهناك ايضاً الإحساس بوجود هدف، وهو ما يجعل الفرد ينفتح على احتمالات مستقبلية عديدة ويضيف عناصر المسئولية والحرية فى حياته، وفى الواقع فإننا نستطيع ان نفهم الطبيعة البشرية لشخص نعرفه فقط عندما نرى ونتعرف على اهدافه (ما الذى يتحرك نحوه)، وما الذى اصبح عليه (ما حققه بالفعل) . (May, 1969a) .

* الجبرية أو الحتمية تعدل الأيمان بالقضاء والقدر، وهى الاعتقاد بأن أفعال الفرد والتغيرات الاجتماعية هى ثمرة عوامل لاسلطة للمرء عليها

هكذا فالفرد السليم نفسياً يستطيع ان يتخيل بعض ماهو مرغوب فيه مستقبلاً، ، ثم ينظم نفسه للتحرك فى هذا الاتجاه، وهذه المقدرة يعرفها ماى بالإرادة أو القصد، فى الحقيقة ان الإحساس الواعى واللاواعى بالغرض يتخلل كل نواحى وجودنا مثل الادراك والتذكر وغيرها، على سبيل المثال نفترض ان شخصاً ما يعاين أو يشاهد منزلاً فى الجبال، المستأجر المتفحص سوف ينظر ليرى ما اذا كان المنزل ذو بناء جيد وتدخله الشمس بكمية كافية أم لا، أما المضارب على الشراء فسوف ينظر ما اذا كان هناك كسب محتمل أم خسارة، أما الشخص الذى لم يتلقى كلمة طيبه فى ضيافة صاحب هذا المنزل سيكون اكثر استعداد لملاحظة ما بالمنزل من عيوب. فى جميع الحالات المنزل هو ذات المنزل لكن الممارسة اختلفت تماماً بناءاً على قصد الملاحظ وهكذا، المستقبل يُشكل الحاضر، علاوة على ذلك كما فى نظرية أدلر ان ما نحاول ان نكون عليه بشكل ما نتذكره من طفولتنا فالذاكرة دالة للقصد Memory is a function of intentionality، وبهذا الإحساس فالمستقبل يحدد الماضى. (May, 1967).

ويعتبر ماى ان فقدان القصد أو الغاية من السلوك يمثل أهم مظاهر السيكوباثولوجى فى عصرنا الحالى، أو كما يقول ماى " إن جذور العصاب فى الإنسان المعاصر هو عدم إحساسه بالمسئولية وعدم قدرته على تشكيل ارادته واتخاذ قرار يخصه (May, 1969 b) يستنتج ماى كذلك ان الإنسان الذى يوتره الاحساس المؤلم بالعجز عن اتخاذ قرار والسعى لتحقيقه فى الغالب سوف يتصرف بعنف وقسوة مع الآخرين فى محاولة من جانبه لإثبات انه مازالت لديه القدرة على التأثير على الآخرين بشكل فعال، وفى حين يؤكد فرويد على وجود الحتمية السيكولوجية ليحطم سؤ الفهم الفيكتورى القائل بان الشخصية لاتتأثر مطلقا بأفكار الطفولة وأحداثها، إلا ان ماى يؤكد على وجود القصدية كوسيلة لعلاج الاغتراب عن الذات واللامبالاة ويقول " لدى كل انسان حاجة للشعور بأهميته، واذا لم نجعل ذلك ممكنا أو حتى محتملاً فى مجتمعنا فانه سوف يحققها من خلال ممارسات مدمرة، ان التحدى الأساسى بالنسبة لنا أن نجد طرقاً صحيحة يمكن من خلالها ان يحقق الناس شعورهم بالأهمية والتقدير، فلأن الإنسان لايستطيع تحمل إحساسه المتزايد بالعجز فلن يقف أمامه مكتوف الأيدى" (May, 1972).

و - الحب والرعاية : Love and Care

يعد الحب أحد الطرق البناءة نسبياً لإثبات أو تأكيد الحضور الوجودى، كما توجد خصائص وجوديه أخرى فالحب هو الإحساس بالسعادة فى وجود الشخص الآخر

والتأكيد على قيمته ونموه بنفس الدرجة التى يرغبها الإنسان لنفسه . (May, 1972) .

ويتضمن الحب دائماً اربعة مكونات قد تختلف نسبة كل منها ولكن لابد من وجودهم مجتمعين فى اى فرد وهم :

١ - الجنس Sex : كما فى نظرية فرويد فإن حاجتنا للجنس يتم اشباعها من خلال الإلتقاء الجنسى وخفض الدافع .

٢- الايروس eros : وهو المكون الثانى الذى يعد اقرب ما يكون للحب العذرى حيث يتميز بالرغبة بالإلتحام بالمحبوب ، والايروس على العكس من الجنس حيث يتضمن زيادة الإحساس بالسعادة بمجرد التفكير والشوق الى الحبيب ، ويشبه ذلك إحساس روميو الذى كان يعتبر جيوليت مثل المجوهرات النادره ونجوم السماء . وبالإحساس ان هناك شيئ ما يجب ان يقدم (الرعاية) هو ما يلاحظ فى إحساس الإم تجاه طفلها .

٣- الانجذاب الى والقرب من الاخرين Philia : وهو المكون الثالث للحب الذى لم يوليه ماى سوى القليل من الإهتمام ويتضمن الصداقة والجاذبية للغير ، وهو أقرب ما يكون لمفهوم رفيق الحجره chum عند سوليفان .

٤ - الإخلاص تجاه الشخص الآخر agape : ويشبه مفهوم فروم عن الحب ومفهوم ماسلو عن الحاجة للحب .

والحب تجربه غنيه تتضمن النماذج الثلاثة لوجودنا فى الحياة مثل الدوافع البيولوجية (فى العالم الخاص) ، والعلاقة بالغير (فى عالم المجتمع)، والتعبير عن الذات والقيم الشخصية (فى علاقة الإنسان بنفسه) .

ليس من الغريب ان يستثير الحب مزيد من القلق لكونه ينذز بنكبه أو بفرحه ، مثال ذلك الشخص الذى يفرح بأول طفل (فرحه) ثم يكتشف ان طفله معرض لكل ما فى العالم من مشاكل قد تفنيه (نكبة) وانه تحت رحمة القدر ولهذا السبب ، ولأن الحب يتضمن عناصر غرضية (كالأيروس) وكذلك حتمية (كالجنس)، ويحتاج التعبير عن الحب الى وجود قوى فى هذا العالم " إن نقص تقدير الذت ونقص توكيد الذات تستهلك طاقة الإنسان حتى لايبقى منها ما يكفى منحه للغير (May,1972) ، والأكثر من ذلك انه اذا افتقد الانسان للاراده والحضور الوجودى ادى ذلك الى عدم القدرة على الحب أساساً . كما ان إحساس الشخص بالعجز واللامبالاة يحول دون وجود الحب العذرى (الايروس) والتواصل العاطفى .

كما ان كبت هذا المكون الجوهرى من مكونات الحب يحول العلاقة بينهما الى علاقة جنسية حسية بحته تشبه العلاقة بين الأشخاص فى مجلات الصور العاريه، وعندئذ يحاول الانسان قياس مدى حبه بقدرته على الإشباع الجنسى للقرين الآخر، وتوصيله لحالة النشوة (May, 1969 b) كما تسهم بعض النظريات غير الهاديه (المضلله) فى زيادة المشكله بإنكارها للفروق الجوهرية والقدرة على الإمتاع بين الرحل والمرأه، وتقوى فى كل منهما صفات عامه غير طبيعيه (مصطنعه) وكابحه لحضورهم الوجودى.

لنكن على قناعة بأن معلوماتنا عن الجنس والقضايا المرتبطه به مثل منع الحمل معلومات مطلوبه ومفيدة، ولكن استخدام هذه المعلومات بغرض الوصول الى التقاء جنسى يتميز بالكفاية فحسب مع تجنب الألفه وكبت العاطفة والأيروس لن يؤدى إلا الى عدم الإشباع الكامل، ويعبر ماى عن ذلك بقوله : لاشيئ أقل إثارة للجنس من مشاركة العراة، فالتواجد لفترة قصيره فى اى ناد للعراه سوف يثبت ذلك وسيؤدى لاختفاء الرغبة الجنسية، انه أمر سيؤدى لتشتت الخيال الذى يعد أمراً قصدياً لتحويل الطاقة الفسيولوجية الى الطاقة العاطفية والايروس، واليوم، اصبحت الكتب الكثيره فى المكتبات التى تتولى شرح الكثير من التفاصيل فى العلاقة الجنسية مثل : كيف تقوم بعلاقة جنسية، هل تعطينى الكم الكافى من الإهتمام اثناء الليل؟. هل المداعبه السابقة للجنس كافيه أم لا؟ وحيث ان ذلك فى الحقبه الفيكتوريه كان ممنوعاً تماماً نظراً لما ساده من تحفظ جنسى حيث كان الرجل والمرأه يشعران بالذنب عند المباشرة الجنسية فى حين اننا اليوم نشعر بالذنب اذا لم نفعل ذلك (May, 1969 b) . وهكذا يعتقد ماى أن الحل لعجزنا عن تقديم الحب هو اعادة اكتشاف حضورنا الوجودى وارادتنا وأن نعيد ربط الجنس بالعاطفه والايروس .

ز - صراع الخير والشر The Daimonic

فى حين يرجع الميل الى التخريب والتحطيم فى جزء كبير منه الى الإحساس بالعجز الذى ينتج من فقد الحضور الوجودى، فإن ماى شأنه فى ذلك شأن يونج وموراى يستنتج ان الإنسان تدفعه دوافع فطريه قد تكون خيرة او شريرة، ومن مظاهر الدوافع الخيره الجنس، والعاطفه والايروس، والتكاثر، فى حين تتضمن الدوافع الشريرة العدائيه، والحدة أو الغضب، والقسوه والسيطره وسؤ استخدام القوة والنفوذ، واى من هذه الصفات قد يكون لها الغلبه وتسيطر على نوازع الشخصية فتحيلها اما الى شخصية خيرة أو شخصية شريرة واطلق ماى على هذا الامر مصطلح "الديمونك" او

صراع الخير والشر Daimonic وهي كلمة يونانية قديمة تشير الى صراع بين الكاهن Divine والشيطان Diabolical(May , 1969 c) .

وكما أوضح يونج فانه يجب تقبل صراع الخير والشر والتعامل معه كجزء أساسى فى الشعور أو الوعى حتى يتحقق للإنسان الصحة النفسية والوصول لذلك أمر صعب لانه من السهل على الإنسان ان يتعامل مع مابه من مزايا ومن ثم يحاول اخفاء الجانب المظلم من شخصيته (أى كبت الرغبات العدوانية والشريرة) ، أما رفض هذا الصراع سيكون من السذاجة التى قد تؤدى الى عواقب وخيمة مثل الفشل فى فهم واختبار شخصية هتلر إلا متأخراً بعد ان تفحلت واضرت بالمجتمع ، أو الاعتقاد الخاطئ بأن الشخص يمكن ان يسير أمناً وسط جيوش متحاربه مثل حالة Kent state (وهى لوحه ابدعها رسام امريكى) ، فعدم الوعى بالشر يجعل الإنسان عرضة للإنزلاق الى هاويته بالإضافة لذلك فإن صراع الخير والشر يبقى دائماً لاشعورياً ولكنه يظهر بطرق تدميريه قوية كالحروب بين الدول ، والاعتداء على الأقليات فى نفس الدولة ، مما يجعل تحقيق السلام فى هذا الوجود أمراً مستحيلاً .

تركيب الشخصية :

تتبنى السيكولوجية الوجودية النظرة التكامليه للشخصيه بحيث تعتبر ان الشخصية هى مجموع ماتحتويه من حضور وجودى ، وقلق ، وشعور بالذنب ، وحب ، وغير ذلك ، فهى غير متوجهة أو مهتمة بإبراز إسهامات الخصائص الوجودية فى تلخيص التركيب البنائى للشخصية لأنها كما ذكرنا تهتم بالمدخل التكاملى ، ويوافق ماى على أهمية العمليات اللاشعورية وحيل الدفاع النفسى كالكبت والتبرير والإسقاط ، والعزل (فصل المشاعر عن الاحداث) ، ورد الفعل العكسى . ولذلك فهو يرى ان أفضل نتاج فكرى لفرويد هو نقله فلسفة سقراط إعرف نفسك "Know thysalf" الى أعماق وأفاق جديده شملت مجال اللاشعور ، ولكنه لم يغطى بتفسيره هذه المساحة الواسعة من الدوافع والسلوك ولذلك اضطر الى تفسير سلوكيات مثل انجاب الأطفال ، وممارسة الجنس ، وعقد الصفقات ، والتخطيط للحروب كلها كنتيجة للرغبات اللاشعورية والقلق (May, 1969 b) .

وعلى الرغم من ذلك فإنه عندما نكبت القلق ، والايروس ، وصراع الخير والشر (وهذه أمور تحدث لكل البشر غالباً) فإن ذلك لايكون بسبب صراع بين مكونات

الشخصية (اى ان جزء منها فى حرب مع جزء آخر مثل صراع الهو والأنا الأعلى عند فرويد) ، ولكن ماى يرى ان ذلك يرجع لأن الفرد ككل تنقصه الشجاعه ويختار ان يتجاهل هذه الخصائص الإنسانية المهددة - او كما يقول فروم- انه يهرب من حريته بدلاً من أن يعرف ذاته ، وهو قرار خاطئ ويؤدى به الى فقدانه لحضوره الوجودى .

نمو الشخصية :

يرى ماى أن النمو السوى لشخصية الطفل يمكن أن يعاق نتيجة التصرفات الخاطئه من الوالدين، فإحساس الطفل برفض والديه له يجعله يتجاهل عالم المجتمع وينسحب خجلاً من الآخرين، وخاصة اذا كانت مشاعر الأباء بالرفض مغلفه كذباً بالحب والإهتمام، كما ان منع الطفل من التعبير التلقائى عن مشاعره وارادته تؤدى الى رغبة عصابية للبحث عن الامان ويضحى بحضوره الوجودى فى سبيل الظهور بشخصية مطيعة وملائكية السلوك والمظهر. إن الأباء الذين يسيطرون على أبناءهم ولايعطون إلا قليلاً من الحب الحقيقى ثم يحاولون تخفيف إحساسهم بالذنب ازاء اولادهم عن طريق اغراق الطفل بالهدايا الثمينة يؤدى بالطفل الى تكوين رغبة للثأر من العالم بأكمله، اما الاباء الذين يستجيبون لجميع طلبات ابناءهم انما يمنعون ابناءهم من تكوين شخصية سوية لانهم يفقدونهم التفاعل الطبيعى مع سلطان الأب أو الام، وفى حالة الطفل الوحيد تكون اجراءات الحماية كما فى نظرية أدلر ويعبر ماى عن ذلك بقوله :-

فى حالة الطفل الوحيد يكون هناك ميل من الأبوين لحمايته بشكل غير طبيعى فيشتجيبون لكل رغباته بمنتهى السرعة عندما ينادى يسرعون اليه، وعندما يأتى او يشكو يرتبكون وينزعجون، ويشعرون بالذنب عندما يمرض ويشعرون بالتوتر والقلق الشديد اذا لم ينام، ويبدون مع ذلك وكأن لديهم انهيار عصابى ، ويتحول الطفل الى ديكتاتور صغير بسبب الوضع الذي يعيش فيه، ولكن فى الواقع فإن كل هذا الإهتمام والتركيز على الطفل يحول دون تمتع الطفل بحريته، ويجب عليه مثل الأمراء الذين يولدون فى اسرة ملكية أن يحمل عبئا لم يؤهل له مثل هؤلاء الأطفال (May, 1975) .

وفى اغلب الاحيان فإن المدرسة الوجودية فى علم النفس لاتعطى سوى اهتمام قليل بمراحل نمو الشخصية .

تطبيقات علم النفس الوجودى :

أ - تفسير الأحلام :

بما أن كل من القصدية والحضور الوجودى يتضمن كل من الجوانب الشعورية واللاشعورية معاً ، فإن ماى يلجأ عادة الى الاحلام للحصول على معلومات عن وجود الفرد فى هذا العالم. فمريض العنه (البرود الجنسى) يحلم بأن المعالج قد وضع فى رأسه انبوبة معدنية وفى نهايتها يوجد قضيب منتصب ، هذا الحلم يعكس لجؤ المريض الى الحلول السلبية والتى تدل على فقدانه لحضوره الوجودى، والإعتماديه المرضيه على الاخرين (كالمعالج هنا)، علاوة على رؤيته لذاته وكأنه جهاز جنسى ليس لديه أية مشاعر. مثل آخر : طالب الجامعة الذى يحلم بأنه يشارك فى مظاهرات طلابية عنيفه، فان ذلك مجرد تعبير عن إحساسه اللاشعورى بالعجز، هذا الإحساس كان يظهر على شكل كوابيس ليلية محتواها انه فقد هويته وان والديه واقاربه لم يتعرفوا عليه وأنكرو صلة القربى له ثم اختفى فى المحيط غير مأسوف عليه . ومثال ثالث لشاب كان يخفى رغبه لاشعوريه من تملك القوه خلف ستار من البراءة ، ولكنه عندما أخذ يكتشف ويتقبل قوته وحضوره الوجودى عن طريق العلاج النفسى بدا يظهر تحسن فى احلامه المختلفه، ففى احد الاحلام كان يرى انه أرنب يجرى خلفه ذئبان متوحشان ولكنه فى النهاية استطاع ان يحمى نفسه ويهاجم الذئبين، وفى حلم آخر رأى وكأنه يصعد على سلم عال ولكنه ضعيف الدرج ، فكان يتسلقه عن طريق الإمساك بجوانب السلم بقوة ويصعد عليه، وعادة لايظهر مثل هذا الحلم إلا عندما يستطيع الإنسان ان يتخذ قراراً مناسباً فى حياته الواقعية بنفسه كما يحدث عندما يتخذ موظف قراراً مناسباً بترك وظيفة يرأسه فيها رئيس مستبد او يترك المنزل الذى يوجد فيه أب مسيطر وقاسى، إن مثل هذه الأحلام مثلها مثل الادراك والتذكر هى وظائف للقصديه أو دالة لها (May, 1972) .

وفى اتساق مع مفهومه عن الشخصية بأنها كل لايتجزاء، يرفض ماى فكرة فرويد عن رقابة اللاشعور على الأحلام، فالحالم يستخدم رموزاً شخصية مختلفه ليعبر بها عن افكاره الخاصة، وقد نحتاج الى التداعى الحر لفهم لغة معنى تلك الرموز ، فاحدى مريضات ماى حلمت بأنها تبحث عن رضيع سواء كان طفلها أم لا وعندما تجده حياً تشعر بمنتهى السعادة تم ينتابها شعوراً غريبا بالرغبه فى قتله ، ومع التداعى الحر اتضح ان الرضيع يمثل احساسها الجديد ولكنه غير الأكيد بوجودها فى هذا العالم اثناء العلاج وهو الأحساس

بأنها كانت سعيده بوجوده وترغب فى المحافظة عليه وتأكيده وفى الوقت نفسه مستعده للتضحيه به، ومريضه اخرى كان شعرها رمز لحضورها الوجودى وأمالها، مع خوفها من ان تتغير ذاتها اثناء العلاج النفسى (May, 1969 b) .

ب -علم النفس المرضى :

يرى ماى - مثاله فى ذلك مثل اريكسون وماسلو - انه لايمكن اكتشاف نظرية كامله عن الشخصية الإنسانية من مجرد دراسة الاضطرابات النفسيه، لكن المعلومات الاكلينيكية التى تأتى من دراسة المرضى ذات أهمية بالغة لانها تكشف لنا دفاعات حياتنا اليومية، وجوانب حيوية وهامه فى طبيعتنا الانسانية ويقول : ان هناك اختلافات واضحه بين مناقشة فرض ان العدوان ينتج من الاحباط، وبين رؤية مريض يتألم ويشعر بمشاعر العدوانية وعينية تتوهج غضبا، ويتلوى فى جلسته كالمشلول ويتحدث عن آلام الماضى عندما ضربه أبوه على شيئ لاذنب له فيه سوى ان دراجته قد سُرقت منه، إن مثل هذه المعلومات تعد مهمة جداً لكونها تجريبية ولعمق معناها (May, 1969 b) .

١- المرض النفسى كإعاقه أو تقلص للحضور الوجدانى :

Psychopathology as constricted Dasein

فى حين يستمتع الأشخاص الاسوياء بحضور وجودى قوى ويحيون فى نشاط ولغرض محدد سواء فى مجال : العالم الخاص، أو عالم المجتمع، أو فى علاقة الفرد بنفسه، فان الاضطراب النفسى يتضمن كل من فقد الإراده، وخضوع أحد نماذج الوجود فى العالم الى احد النموذجين الآخرين، وعلى سبيل المثال فإن من يعانى مرضاً ما ربما يرفض العلاقات بين الاشخاص (عالم المجتمع) حيث انها غير منسجمه مع حاجاته وقيمه (علاقة الإنسان بنفسه) وربما يضحى بعلاقته مع ذاته فى سبيل عالم المجتمع، ويصبح الفرد فى هذه الحالة إجتماعى متقلب بحيث يحاول دائماً ان يتوافق مع رغبات الآخرين (ويمكن مقارنة ذلك بالتحرك بعيداً عن الناس، والتحرك مع الناس فى نظرية كارن هورنى). وبالمثل فقد يتجاهل الفرد كل من عالم المجتمع وعلاقته بنفسه فى سبيل حاجاته البيولوجية (عالمه الخاص)، وقد ينكر المريض عالمه الخاص ودوافع هامه مثل الدافع الجنسى فى سبيل ارضاء والديه، ولكن مثل هذا التقلص او الفقدان للحضور الوجودى ايا كانت صورته يؤدى عادة الى النفور الذاتى واللامبالاة وعجز الفرد عن التعبير

عن وجوده بشكل حقيقى، " ان العمليات العصابية الاساسية فى حياتنا الراهنة هى كبت الحس الوجودى، وفقدان الفرد إحساسه بالوجود أو كينونته) (May, 1969 b) .

٢- أسباب الأمراض النفسية :

يعتقد ماى - كما كان فرويد من قبل - ان الأمراض النفسية ربما تنتج من صدمه حدثت للفرد فى فترة مبكرة من حياته، فعلى سبيل المثال : إن حُب الطفل وثقته بذاته وارادته ربما تتحطم بسبب تصرفات ابويه مضطربه كالحماية والتسامح الزائد والسيطره، والرفض، والتظاهر الكاذب بالفضيله امام الإبن، وحيث ان هدف ماى هو تحرير نظريته فى الشخصية من قيود الحتمية النفسية المتصلبة فإنه يفضل التركيز على الإعتبارات الوجودية للمرض النفسى، والى حدما فإن المعاناة تسبب عدم القدره على تقبل القلق الوجودى والشعور بالذنب وهو ما يؤدى الى صعوبة الاختيار بدرجة كبيرة، كما تؤدى إلى تحييد الخوف من اللاوجود (الفناء) والى التضحيه بالحضور الوجودى ، ولسؤ الحظ فإن محاولة الفرد التنازل أو التخلى عن جهوده الفطرية محاولاً ان يكون كما يريده الآخرين عن طريق انكاره لعالم المجتمع ويعيش منفرداً كراهب فى صومعته، او برفضه لدوافعه البيولوجية ويبقى دائما يعانى من مشاعر الرفض والوحده أو الإحباط، وعلى النقيض الظاهرى من ذلك فإن المُعانى من مرض نفسى دائما يسعى الى نتائج آمنه لوجوده ولو كانت محدوده وإلا دُمر بسهولة وأخذ يعانى من قلق عصابى شديد وشعور بالذنب، (وبالعكس فإن الشخص السوى هو الذى يؤكد حضوره الوجودى ويتقبل بالفعل النماذج الثلاثة لوجوده فى العالم وبعيداً عن ان يكون عرضه لتهديدات أى منها) ومن ثم فإن ماى شأنه فى ذلك مثل معظم المنظرين النفسيين ناقشوا الى ابعد حد ما يعتقدونه من ان الفرق بين المرض النفسى والعقلى فرق فى الدرجة اكثر من كونه فرق فى النوع أو العرض . (May, 1969 b) .

٣- ضروب الامراض النفسية : Varieties of psychopathology

ينظر علماء النفس الوجوديين بشيئ من عدم الرضا الى المسميات المعياريه للامراض العقليه والنفسية لانهم يعتبرونها تعبيرات تجريديه أخرى تتصف بالانسلاخ وفقد الهوية الشخصية، حتى المرض النفسى ليس مرضاً حقيقياً، ولكنه بمثابة الحياة خارج نطاق الحقائق الشخصية " انا غير موجود "I dont exist" جسمى عبارة عن محارة فارغة "My body is an empty shall " بدون شخصية داخله. كما أن الفقدان

الخطير للحضور الوجودى يظهر بوضوح فى السلوك الذى يتميز بالذاتية المطلقه وغير المنتظم (المرتبك)، ولكن له معنى محدد، لكن علماء آخرين يعتبرون ان هذه الرؤية مبسطه للغاية.

ولم يعارض ماى كلية استخدام المصطلحات التشخيصية طالما ان ذلك لم يصبح مبدأ dogma وفى الوقت ذاته تساعد على مزيد من الفهم الحقيقى للمريض، وهو يصف اغلب المرضى النفسيين لهذا العصر بأنهم يعانون من عصاب الوساوس القهرية المتسلطه وانه يعد ذلك بمثابة جهود غير موجهة لتحديد الأهمية الشخصية من قبل المريض، ويعطى مثال على ذلك بشاب عانى خلال طفولته من اختلالات مرضية حادة حيث كانت الأم مُغرية Seductive ولكنها تبالغ فى رعايته، والأب رافض يحمل احقاده على طفله لمدة اسابيع طويله ولو على حدث تافه، ويقلل من قيمته من خلال مقارنته بأقرانه، مما جعله فى حيره فى هذا المناخ العاطفى المضطرب واختار ان ينكر قوته واصبح خاضع كلية، وكنتيجة لذلك فإن جهوده وطاقته التوكيديه اصبحت تتخذ صوراً معذبه له وغير مباشرة من السلوك القسرى : يتمثل فى رفع أغطية السرير لمسافة معينه قبل النهوض منه، ويضع ملابسه فى ترتيب صحيح لايخالفه، وتناول طعام الإفطار بطريقة ثابته وشكل لايتغير من يوم لآخر وهكذا. . . كما تنتابه وساوس ترتبط بالخوف من حدوث شيئ مخيف لأحد أفراد أسرته ويقول ماى فى ذلك إن مايربكنا فى هذا النظام المعقد هو تلك القوة الجبارة التى أعطيت له (اى النظام)، فلديه القدرة على ان يقرر فى اى فرصه ما اذا كان شخص ما سيبقى حياً أو يموت (May, 1972) .

جـ - العلاج النفسى :

١- الأساس النظرى للعلاج النفسى عند الوجوديين :

يهدف علم النفس الوجودى الى مساعدة المرضى على استعادة حضورهم الوجودى المكبوت، وتكامل صراع الخير والشر لديهم فى الشعور، واستعادة الإرادة المفقودة، وتحمل المسئولية كاملة عن حياتهم الخاصة، وان يؤكد على الخيارات التى تقوده لانجاز وتحقيق طاقاته الفطرية، ان الهدف من العلاج هو ان يعيش المريض خبرة وجوده بشكل حقيقى والذي يتضمن أنه أصبح واع بقدراته أو طاقاته، ويصبح قادر على التصرف على اساسها، ويبقى ماى على المصطلح الفرويدى "مريض Patient" إلا انه يشارك كيلى الاعتقاد بأنه مفهوم سلبى ومضلل، لأن تغيير شخصية الفرد يتطلب مجهود وشجاعة،

ويوافق ماى كذلك على ان المعالج النفسى يجب ان يكون مرن بدرجة كافية لكى يفهم ويستفيد من بناء ولغة كل مريض بدلاً من السعى الى فرض إطار نظرى وحيد على كل البشر، لان ماى يرى ان حركة التحليل الوجودية هى اعتراض على الميل لرؤية المريض فى صور مفصله بناء على المفاهيم الخاصة للمعالج النفسى. (May, 1969 a) .

وعلى خلاف لرأى أريكسون فإن ماى يحذر من ان يصبح المعالج النفسى وكيل للمجتمع (أى كل هدفه تحقيق الانسجام الاجتماعى) لأن المريض الذى يتوافق مع الأعراف السائدة يكتسب بعض من السعادة المؤقته وينخفض لديه القلق ولكنه فى المقابل لذلك فقد تنازل وبسعر رخيص - عن حضوره الوجودى واختياراته الشخصية، ولذلك فإن نتائج الرعاية المزيفه هذه ستؤدى الى مزيد من العجز والاغتراب الزائد اللذان يظهران فى شكل نزعة تدميرية ضد الذات والآخرين (May, 1969a) .

٢- الاجراءات العلاجية :

يتماثل دور المعالج النفسى الوجودى مع دوره فى نظرية روجرز والذى شبهه بالدايه أو القابله Midwife ودوره فى نظرية سوليفان الذى وصفه بالملاحظ المشارك، ويتضمن اقامة علاقة صادقه ومتعاطفه مع المريض، كما يمكن استخدام ضروباً متباينه من الإجراءات العلاجية، فهناك المقابله وجهاً لوجه، والتقدير الايجابى غير المشروط (كما وصف فى نظرية روجرز)، واستخلاص معلومات هامة عن الحركات الجسمية للمريض (كما وصفت فى نظرية أدلر)، أو / والتداعى الحر أو المقيد كما استخدمه فرويد، وبصرف النظر عن الطرق المحددة فإن الهدف الأساسى للمعالج هو أن يشغل ارادة المريض أو يحتوى ارادته وقدرته على الاختيار، واذا لم نصل الى القصدية أو الغائيه لدى المريض فلن يتعهد ذاته تماماً ولن يشارك فى التحليل بصورة كاملة (May, 1969 b) ويزعم ماى فى الواقع أن الغرض الرئيسى للتداعى الحر هو كشف المقاصد الشعورية واللاشعوريه لدى المريض (أى المدركه وغير المدركه). وهناك طرق أخرى لمعرفة القصد لدى المريض مثل السؤال المباشر : ما الذى تريده منى اليوم ؟ أو لماذا جئت اليوم؟، واى تعبيرات تدل على قلة الخبرة وضعف الارادة من المريض مثل : ربما أستطيع أن أعمل هذا أو ذاك. . . مثل هذه الأمور يجب ان تكون دائماً محل اهتمام المعالج . .

المقاومة والتحول العكسى :

بالنسبة للشخص الذى تنازل عن حضوره الوجودى والقصديه من السلوك لديه فإن توقع تحمله للمسئولية واختيار مسار له فى الحياة أمر مهدد للغاية، ومن ثم فإن هذه المخاوف تكون اكثر تفضيلاً على بعض الغرائز المحرمه مما يُظهر المقاومة كما وصفها فرويد، ويقبل ماى رأى فرويد المثير للجدل القاضى بأن تحمل المريض لتكاليف العلاج يساعد على التغلب على مثل هذه الصعوبات فيقول " المعنى الكامل للمقاومة والكبت انها بمثابة أدله ثابته على القلق والتعب المصاحب لكشف الفرد عن ذاته (التعريه النفسية). وهو ما يوجد سبب مامن أجله يجب ان يدفع المريض أجر جلساته العلاجية ومن ثم فلن يستغرق وقتا طويلاً فى المقاومة، لكنه سوف يأخذ بصعوبة ما يُعطى له مجانا!! " (May , 1969 b) .

لم يولى علماء النفس الوجوديين اهتماماً كبيراً بقضية التحول العكسى ويعتبرون ان تعاطف المريض أمر ضرورى ومرغوب فى العلاج ، ويرى ماى ان التحول هو أحد الإسهامات المهمة فى نظرية فرويد، ويوافق على ان المريض غالباً ما يزيح لاشعورياً مشاعره وسلوكياته من الاخرين ذوى الأهمية بالنسبة له كالوالدين الى المعالج ، ولكنه يحذر ثانية من ان التركيز الزائد على الماضى يؤدى فقط الى اضمحلال إحساس المريض بالمسئولية، فالتحول يتضمن مقاومة الحاضر ايضاً، وحيث ان المريض غير ناضج انفعالياً بحيث يبحث عمن يحب وعن السلطة المطلقه المنقذه له، فإن المعالج يصبح هدف بديل لهذه الرغبات والمشاعر المتدفقه (May , 1969 a) .

العلاج النفسى والإصلاح الاجتماعى :

مثلما يعتقد فروم فإن ماى يوافق على ان المجتمع الأمريكى هو مجتمع مريض من عدة جوانب، فهو يؤكد على ان التكنولوجيا والتخطيط الحديث قد طغى على الجوانب النفسية كالايروس والعاطفه، فقد اصبحنا اكثر إهتماماً بالآلات عن إهتمامنا بالحب والرعاية، وينتقد بشده ما يعد سلوكيات غير إنسانية كحرب فيتنام (لعله فعل ذلك مع حرب الخليج) ، والتفرقة العنصرية، والالحان الموسيقية الصاخبة غير منسجمه الايقاع، والملثمين والجمعيات الاتحاديه التى لاتهتم بالناس، والجامعات ، والاساتذه الذين

يؤلفون كتب لاتحتوى سوى عناوين لمجرد زيادة قوائم مؤلفاتهم ، واعلانات التلفزيون التى تستخدم الاكاذيب لترويج منتجات المصانع ، وموظفى الحكومه الذين يظهرون احتقارهم لنا وهم يشرحون السياسة القومية بإسلوب مراوغ وكلام مزدوج المعنى ، وأخيراً ذلك السيف المسلط على رقابنا المتمثل فى الاتجاه الخطير للحرب النووية " لقد خلق الله النظام من فوضى ونحن نحول هذا النظام الى فوضى مرة أخرى ، ويندر ان تجد إنسان لايفعل ذلك ، ولدى قلوب البعض مكان سرى يقدسون الموت لدرجة اننا لن نكون قادرين يوماً ما على تحويل الفوضى إلى نظام مرة ثانية قبل أن يفوت الآوان (May , 1972) . ولايتفق ماى مع فروم فى اقتراحه المتحرر (الراديكالى) الذى يدعو فيه لإعادة نمذجه الجمتمع او تنسيقه من جديد ولكنه يؤكد على ضرورة إيجاد توزيع عادل للسلطة والمسئولية .

الأدب والفن :

إن أعداداً قليلة نسبياً من الناس الذين يدخلون للعلاج النفسى يكونوا فى اغلب الأحيان حساسين وموهوبين ، انهم يعانون من الصراعات التى يمكن للشخص العادى ان يكبتها أو يتعامل معها بعقلانية ، ويصبحون اصحاب قضايا اجتماعية فى السنوات التالية ، ويمثل الادب والفن محورين للإتصال بين اللاشعور لدى الكائن البشرى والحدود النفسية للمجتمع ، ويوضحان الصراعات الإنسانية الحيوية التى لم تكتسب بعد ادراكاً واسع النطاق ، فالروايات مثل رواية كاميوس Camus بعنوان الغريب The Stranger وراوية كفكا Kafka بعنوان القلعة The Castle قدمت صورة مقززه لاغتراب الإنسان عن مجتمعه وعن هؤلاء الذين يحبهم ، كما ان كتاب المسرح مثل باكت Beckett ، بنتر Pinter ، جانيه Genet ، وإيونيسكو Ionesco قد صاغو بطريقة درامية اغترابنا وعجزنا عن الاتصال مع بعضنا البعض على مستوى أدمى راق ، كما اظهر ميلفيلى Melville فى روايته Billy Budd أخطار السذاجه التى ادت بصاحبها لان يُدمر تماماً بسببه قصور ادراكه عن الطبيعة الشريرة لرفيقه فى الباخرة ، كما كانت السذاجه موضوع إحدى الأفلام السينمائيه بعنوان " الصورة الاخيرة The last Pecture " يعالج قضية حرمان المرأه من أية قوة اقتصادية أو سياسية وتركن الى ارتداء ثوب الطهارة وتمارس مكايد وحيل جنسيه منحرفه فى سبيل تحقيق بعض الأهمية الشخصية . كما يتضح الصراع بين الخير والشر فى قصة "من الذى يخاف من ذئب فرجينيا who is Afraid of Virgina woolf" كما

عبر العـديد من الرسامين مثل سيزانا Cezanne وبيـكاسو ، فـان جوخ عن تـشوش شخصياتنا depersonalization بشكل واسع .

علم النفس الوجودى والأبحاث التجريبية :

تمشيا مع اعتقاده القاضى بعدم فصل الهدف عن الموضوع ، أتخذ ماى وجهة نظر متشائمة لما يسمى بالموضوعية والتجرد العلمى ، ويرى أن إتجاهه النظرى سيساعده بشكل اكثر نجاحاً على اكتشاف الحقيقة التى لم يكن مهتما بها ولو بخطى بطيئة ، ويفضل استخدام مدخل مماثل لسوليفان المسمى بالملاحظ المشارك ، ويركز على الحاجة الى الاستغراق الشخصى والتواصل من جانب الباحث .

نظرية ماى فى الميزان :

أ - لإنتقادت وأوجه الخلاف :

يمكن حصر أهم الإنتقادت التى وجهت لنظرية ماى فى علم النفس الوجودى فى النقاط الآتية :

١- التداخل والتناقض :

لقد فشل ماى فى التعريف ببعض مفاهيم نظريته أو توضيح الارتباط بينها بشكل فعال ، فعلى سبيل المثال استخدم مفهوم القصديه بأربعة طرق مختلفه ، كما أن المفهوم المناقض للامبالاة احيانا كان هو الحب ، واحيانا كان الرعاية ، كما ساوى بين العصاب وكبت الحس الوجودى ، وأوجد صراعاً بين طريقتين مختلفتين كل منهما تؤدى لعدم تحقيق الفرد لذاته ، كما تختفى بعض التركيبات البنائية الهامة فى نظريته من كتاب لآخر مما يؤدى الى بعض الشك حول قيمة هذا المفهوم فى نظريته ، حتى بالنسبة لبعض المفاهيم الجوهرية مثل الحضور الوجودى فقد أهمله تماماً فى كتابية الحب والأرادة Love and will ، والقوه والسذاجة Power and innocence كما كانت تفسيراته لأسباب وديناميات العصاب غامضة كثيراً إذا قورنت بالنظريات الاخرى مثل هورنى وروجرز ، كما حذا حذو ماسلو فى عدم نجاحه فى التوفيق بين مفهوم فرويد عن الكبت ومفهوم الشخصية لديه .

٢- الإفتقار الى الأصالة :

أُنتقد ماى لاعتقاده ان مصطلح القصديه هو إضافة راديكاليه جديده للفكر السيكولوجى رغم انه قدمه عام ١٩٦٩ بعد ما يزيد على عشرات السنوات من التوجه الوجودى لاصحاب نظريات أخرى مثل أدلر ويونج وألبورت ، كما عالج ماى مفهومه عن القوة والسذاجه بطريقة مماثله لمفهومى أدلر عن التعالى وعقدة النقص .

بعض علماء النفس الوجوديين يزعمون ان اتجاههم يختلف بوضوح عن اتجاه نظرية التمركز حول الشخص لروجرز ، بداية لان روجرز يوافق على ان التوكيدية تنمو بتلقائية وبساطه فى البيئة المثالية ، وفى الوقت ذاته يقرر انه لاتوجد بيئه مثالية بالفعل، لأننا جميعاً نواجه إشراط ايجابى موجب، ونتلقى بعض المعايير الوالديه وهو ما يجعل تحقيق المعرفه الحقيقيه بالذات وتأكيدها مطلباً يحتاج الى جهد وشجاعه مما تؤكد عليه النظريه الوجودية فى علم النفس. وفى الحقيقه فإن إشارات ماى الى التأثيرات الباثولوجية الواضحه خلال الطفوله جعلته يقترح انه ربما يكون اكثر انسجاماً مع البناءات التركيبيه مثل عمليات التقييم العضويه Organismic (وهو المبدأ القائل بأن العمليات الحيوية تنشأ من نشاط اعضاء الكائن الحى كلها بوصفها نظاماً متكاملاً). والإقترانات الشرطيه التى تحدث مع ذوى القيمه والمكانة .

٣- الافتقار الى الدقه العلمية :

على خلاف ماى ، فإن العديد من علماء النفس المحدثين ينظرون الى الإندماج العميق لأى شخص فى مجال البحث العلمى لذاته يعد مصدر خطير لانحراف الجهد أو الطاقة. لان الفرد ربما يؤثر على النتائج فى صالح المجرب، ويميل المدخل الوجودى للعلم لأن يحول دون استخدام التحليل الكمى أو الأحصائى وهى وجهة النظر التى يرفضها اغلب المنظرين المعاصرين الآن. كما يميل ماى لأن يعطى تعميمات قد تكون غير مقبوله كأن يقول " إن معظم الامريكيين يفتقرون الى الرحمة أو الشفقة " بدون ان يدعم ذلك بيانات مؤكده، كما تتميز كتاباته بالميل للوعظ كطابع مميز له وهى نفس نغمة فروم .

ب - إسهاماته :

تقدم بعض المفاهيم من قبيل "الوجود فى العالم" لبعض علماء النفس طريق جديد وصادق لصياغة مفهومهم عن الشخصية الإنسانية، وقد قادت اعمال ماى وغيره بعض الإكلينيكيين الى إضافة نوع جديد من الاضطراب الى قائمة التشخيص وهو العصاب الوجودى الذى يرجع الى شعور مزمن بالاغتراب واللامعنى، كما يعد تركيز علماء النفس الوجوديين على خوفنا المكبوت من الموت إسهاماً له دلالته، كما ان عملهم مع الذهانيين ساعد على مزيد من الفهم للإختلالات السيكوباثولوجية الشاذه أو الغريبة ، وقد ركز كتاب ماى عن الحب والإراده على قضايا هامه كالقصديه والمسئولية الشخصية واصبح من اكثر الكتب مبيعاً وتمثل كتابات ماى افكاراً هامه للمعالج النفسى المتصف بالرحمة وسعة الافق والنظرة الثاقبة.

تحتوى كتب ماى على نقاط هامه تستدعى الدراسة ، ولكن كنظرية للشخصية فإن مدخله غير مكتمل بدرجة تجعل نظريته غير صلبة العود بعد وخاصة اذا قارنا ما فيها من قصور وتناقضات بالمدخل الرئيسى لكل من العالمين السويسريين بينسوينجر وبوس، وعلى العموم فان علم النفس الوجودى يشغل مكاناً أو موضعاً ثانوياً بالنسبة للنظريات الإنسانية الاخرى .

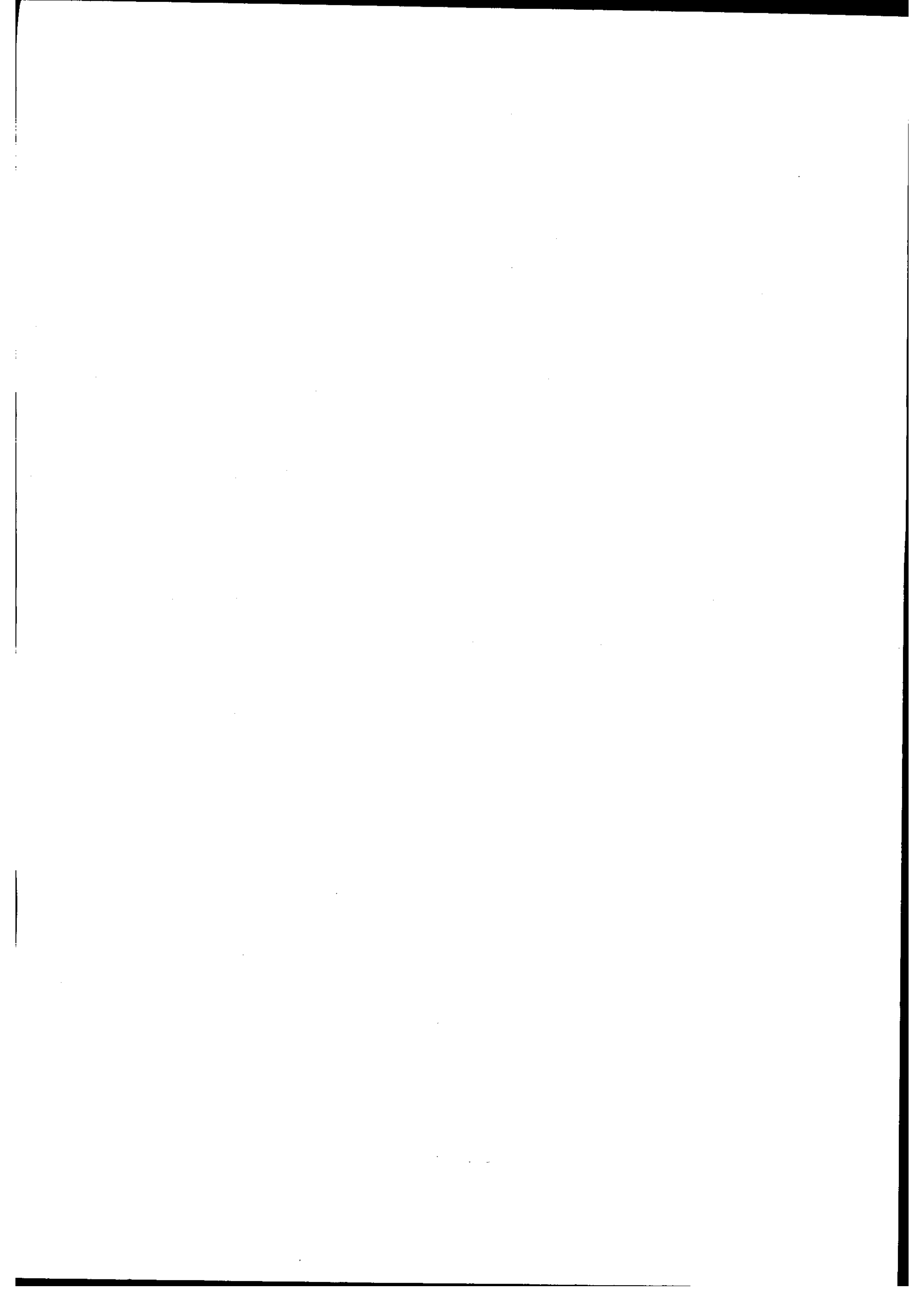
اسهامات علم النفس الوجودى فى مجال قياس الشخصية : اختار بعض علماء النفس الوجوديين ابتكار وبناء مقاييس موضوعية للشخصيه ويوجد العديد من المقاييس المصممه لمثل هذه المفاهيم مثل اللامعنى أو الفراغ الوجودى "Existential Vacuun" لكرومباخ Crumbaugh, 1968 ، ومقياس الأخلاق الوجودية والهويه existentical moral and Identity لثورن وبيشكن Thorne & Pishkin, 1973 وعلى العموم فإن علم النفس الوجودى لم يتوالد عنه الكثير من البحوث التجريبية والأمبريقية.

الباب الثامن

نظرية عوامل الشخصية

الفصل الرابع عشر : نظرية عوامل الشخصية ريموند كاتل

تعد طريقة كاتل فى دراسة الشخصية طريقة متعمقه ولكن يشوبها شيئ من الغموض، فمؤلفاته العديده يصعب فهمها حتى لو دُرست من أغلب علماء النفس، ويؤكد كاتل على انه لاينبغى لعلم النفس ان يبتعد عن الموضوعية الإحصائيه إن أراد ان يكون علماً ناضجاً ، ولذلك فقد اسس ابحاثه العديده عن أبعاد وسمات الشخصية على التقنيه الاحصائية المعقدة والمعروفة بالتحليل العاملى والتى حملت نظريته مسماها.



الفصل الخامس عشر
نظرية عوامل الشخصية

ريموند كاتل

نشأته وحياته :

ولد كاتل فى ستافورد شاير بانجلترا عام ١٩٠٥ ، ويتذكر أن طفولته كانت سعيدة ومليئة بالأنشطة السارة كالسباحة وركوب المراكب الشراعية واكتشاف المغارات ، وكون مع أخيه الأصغر منه بثلاث سنوات علاقة رفقة قوية ، ودخلت انجلترا الحرب العالمية الأولي وعمره تسع سنوات مما كان له أكبر الأثر في حياته ، حيث شاهد المئات من الجنود الجرحى يعالجون في منزل مجاور أعد كمستشفى مؤقت مما علمه أن الحياة قصيرة وأن على الإنسان أن يسعى لإنجاز مايستطيع إنجازه بقدر المستطاع ، وقد تميزت حياة كاتل العلمية فعلاً بهذه الصفة (الإنجاز) . والتحق بالجامعة وهو فى السادسة عشر من عمره وتخرج فى التاسعة عشر حيث حصل على بكالريوس العلوم (تخصص فيزياء وكيمياء) من جامعة لندن فى ١٩٢٤م ثم تغير اهتمامه الى النواحى الاجتماعية . فقد فاجأ أصدقاؤه وناصحيه بتحوله الى دراسة علم النفس " وكان فى ذلك الوقت مجال يساوره الشك الى حدما " ، وحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم النفس من نفس الجامعة عام ١٩٢٩ تحت اشراف سبيرمان عالم النفس المشهور . وعمل محاضراً فى كلية ساوث ويست بانجلترا خلال الفترة من ١٩٢٨-١٩٣١ ومديراً للعيادة النفسيه فى ليسستر من عام ١٩٣٢ حتى ١٩٣٧م ، وقد كان للارتباط بين التعليم الاكاديمى والخبره الإكلينيكية دوراً فى اتساع اهتمام كاتل، وتزوج من مونيكا روجرز .Monica, R فى ١٩٣٠م، وانتهى هذا الزواج بسبب اكتئاب أصابه وانشغاله فى عمله، ثم تزوج البرتا سيكوتلر .Alberta, Sعام ١٩٤٦ ولديه ولد واحد من زواجه الاول ، وثلاث بنات وولد من زواجه الثانى، وفى سنة ١٩٣٧ حصل على درجة دكتوراه العلم D.Sc من جامعة لندن لإسهاماته فى بحوث الشخصية، وعمل باحثاً مساعداً لتورنديك فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا خلال الفترة من ١٩٣٧-١٩٣٨ ثم باحثاً مساعداً لستانلى هول استاذ علم النفس فى جامعة كلارك حتى انتقل الى جامعة هارفرد كأستاذ مساعد بها فى ١٩٤١ ، وفى ١٩٤٢ قبل وظيفة فى جامعة الينويز حيث بقى بها كأستاذ باحث فى علم النفس ومدير معمل الشخصيه ودراسات سلوك الجماعة حتى تقاعده فى ١٩٧٣م ومنذ هذا التاريخ عمل كأستاذ زائر بجامعة هاواى، ومن

الجوائز التى حصل عليها جائزة الوينرجرين من اكاديمية نيويورك للعلوم عام ١٩٥٣م ، ومن اسهاماته تأسيس جمعية علم النفس التجريبى التى كان اول رئيس لها عام ١٩٦٠م، ومعهد قياس الشخصية والقدرة IPAT بإلينويز .

ومثل كل أصحاب النظريات الأخرى الذين يؤكدون على طريقه التحليل العاملى فإن كاتل مدين للأعمال الرائدة لكل من سبيرمان وسارثون، كما أن صياغته النظريه ترتبط بوليم ماكدوجل الذى كان له اهتمام اكيد باستكشاف الابعاد الأساسية للسلوك، وتأكيده على عاطفه تقدير أو احترام الذات. كما ان الكثير من تفاصيل نظريته وخاصة تلك التى ترتبط بنمو الشخصية ترتبط بصياغة فرويد والتحليليين التابعين .

وخلال أربعون سنه ألف كاتل عدد كبيراً من الكتب حوالى (٣٠) كتاب، (٣٥٠) مقالة علمية لاتقتصر فقط على بحوث ودراسات الشخصيه ولكن أيضا تتطرق الى مجال علم النفس الاجتماعى، والتجريبى ، وذلك بالاضافة الى مايزيد عن ١٢ اختبار للشخصيه والذكاء . وكان أول هذه المؤلفات " وصف وقياس الشخصية (١٩٤٦)، والثانى هو ، الشخصية : دراسة واقعية نظرية ١٩٥٠ ، ومن كتاباته الهامة : الشخصية وقياس وبناء الدافعية (١٩٥٧)، التحليل العلمى للشخصية (١٩٦٦)، الشخصية والمزاج من خلال القياس (١٩٧٣)، الدافعية والتركيب الدينامى (١٩٧٥)، نظرية الشخصية والتعليم وغير ذلك . وقد ترجم المؤلف مع صالح ابو عباة مقياس التحليل الاكلينيكى الذى يعد إضافة علمية جيدة يقيس الابعاد الموجود فى كل من.MMPI ,16 P.F بعدد اقل من البنود ويتميز بمستوى جيد من الصدق والثبات .

المنطق العام للتحليل العاملى :-

يذهب كاتل الى أن دراسة الشخصية مرت بمراحل انتقالية هامه بدأت بالأفكار الفلسفية والادبية التى وردت فى كتابات الفلاسفة قبل ان يتبلور علم النفس بصورته الراهنه، ثم جاءت المرحلة التجريبيه على يد فونت فى القرن التاسع عشر الميلادى، ثم المرحلة الاكلينيكيه التى اعتمدت على الطرق الاسقاطيه وافتقدت الى التجريب والقياس الاحصائى ومن روادها فرويد وأدلر ويونج ثم تأتى المرحلة الأخيرة فى رأيه ا التى يُعد من روادها كاتل وأيزنك وألبورت والتى لجأ الباحثين فيها الى الاتجاه العلمى القائم على القياس والتحليل الإحصائى للشخصية، حيث يعتمد كاتل على التحليل العاملى لفئة كبيره من سمات الشخصية بعد القياس الموضوعى والمتعمق لهذه السمات .

ويقوم المنطق العام للتحليل العاملى على قانون الايجاز العلمى فى البحث عن الوحدات الأساسية فى الشخصية التى يجمعها عوامل مشتركة بحيث تعطى هذه العوامل تفسيراً أفضل للسلوك .

مثال توضيحى :

لنفرض أن لدينا جدول بدرجات المقررات الفرعية الاتية : المفردات اللفظية ، الهجاء ، التشابه اللفظى، الجمع ، الطرح، الضرب، لعينة قوامها (١٠٠) طالب وتريد ان تعرف أى هذه المتغيرات يندرج تحت عامل واحد.

الخطوه الأولى : هى حساب معاملات الارتباط بين كل زوج من هذه المتغيرات ومن ثم يتكون لدينا مصفوفه على الشكل الآتى مثلا :

	١	٢	٣	٤	٥	٦
١- مفردات لفظية	-	٥٢ر	٤٦ر	١٦ر	١٨ر	١٢ر
٢- الهجاء		-	٤٤ر	١٥ر	١١ر	١٣ر
٣- التشابه اللفظى			-	١٠ر	١٩ر	١٥ر
٤- الجمع				-	٦٢ر	٥٧ر
٥- الطرح					-	٥٩ر
٦- الضرب						-

والجدول يوضح أن العلاقة الارتباطيه بين المفردات اللفظية والهجاء (٥٢ر)، وبين المفردات اللغوية والتشابه اللفظى ٤٦ر٠ وهكذا. حيث يتضح أن هذا الجدول لايعطى ببساطه أو وضوح أى هذه المفردات تندرج مع بعضها تحت عامل واحد من عوامل القدرة العقلية.

الخطوه الثانية : هى التحليل العاملى للمصفوفه الارتباطيه وهناك طرق كثيره فى هذا الامر يمكن دراستها فى كتب الإحصاء مع ملاحظة صغر حجم العينة المفترضه، كما ان المتغيرات المقترحه محدوده حيث يمكن تحليل مئات بل آلاف المتغيرات باستخدام الحاسبات الآليه الدقيقه والسريعة الآن ولنفرض أن النتيجة كانت على الوضع الآتى :

المتيغرات	العامل الأول	العامل الثانى
المفردات اللفظية	١٤ر	٦٧ر
الهجاء	١٦ر	٥٨ر
التشابه اللفظى	١١ر	٦١ر
الجمع	٧٣ر	١٢ر
الطرح	٦٨ر	٠٩ر
الضرب	٦١ر	١٥ر

حيث توضح هذه الارقام تشبعات المتغيرات على كل من العامل الأول والثانى حيث اوضحت نتيجة التحليل وجود عاملين اساسيين فقط يتشبع الاول بكل من الجمع والطرح والضرب وهى قدرات عدديه بينما يتشبع الثانى بالمفردات اللفظية والهجاء والتشابه اللفظى وهى قدرات لفظية أو لغوية، أى اننا استطعنا ان نبسط فهمنا لعدد كبير من القدرات العقلية فى عاملين فقط بدلاً من سته متغيرات، كما يمكن اجراء تحليل عاملى لنتائج التحليل العاملى، وتحديد مايسمى بعوامل الرتبه الثانية Second order وإذا أجرينا ذلك فى مثالنا الحالى فربما يعطينا عامل واحد يمكن تسميته بالذكاء العام والذى يتكون من القدرة العدديه (الحسابيه)، والقدرة اللفظيه .

جدل منهجى :

يعطى التحليل العاملى قيمة كميه فى دراسة الشخصية وليس مجرد قيمة وصفية فقط نظراً لأن الوصف الظاهرى مضلل ومثير للجدل واقل موضوعية. ورغم ذلك يثير التحليل العاملى بعض مظاهر الجدل المنهجى منها :

١- المتغيرات أو القضايا المُدخله imput problems

تعتمد نتائج التحليل العاملى على المتغيرات التى يختارها الباحث ويدخلها فى مصفوفة الارتباطات ، فمثالنا السابق مثلاً لايتضمن العلاقات المكانيه على الرغم من اعتبارها ضمن مكونات القدرة العقليه وذلك لعدم وجود اداه قياس مناسبه لتطبيقها على

الطلاب، وكذلك اذا استخدمنا متغيرات الجمع والطرح والضرب فقط فلن يظهر العامل اللفظى وهكذا، فالتحليل العاملى ليس طريقاً للوصول الى بعض الحقائق المفضله، ولكنه تصميم رياضى لتنقيه العلاقات الارتباطيه بين المتغيرات فى مصفوفه جزئيه.

٢- قضايا رياضيه :

توجد اكثر من طريقه للتحليل العاملى لمصفوفة الارتباطات، توضح بالضرورة عدد العوامل المستخلصه من أى دراسة معطاه. فأكبر عدد محتمل من العوامل يساوى عدد المتغيرات، وهى نتيجة غير مرغوبه ألا نختزل المتغيرات تحت عدد أقل من العوامل، وعلى العموم تكون العوامل المستخلصه مُنظمة وواضحه كلما كان هناك تجانس فى العينة، وقد قام اوفيرال ١٩٦٤ بالتحليل العاملى لنتائج مبنيه على حجم انواع مختلفه من الكتب، وفى هذا المثال يجب ان نحصل على ثلاثة عوامل إحداها للطول، والاخر للعرض، والثالث للعمق (السُمك) ولكن ذلك لم يتحقق، حيث اوضح التحليل ان الكتب تقع تحت مايسمى بالحجم العام والذى يتضمن الابعاد الفزيقيه الثلاثة.

٣- تسمية العوامل :

على الرغم من اننا لم نجد سوى صعوبة محدوده فى تعريف وتسمية العاملين، إلا انه فى بعض الحالات نجد صعوبة واضحة نتيجة التداخل بين المتغيرات فى العامل الواحد. فمثلاً لو تشبع أحد العوامل بكل من الهجاء والضرب فى هذه الحالة يفضل استخدام أسلوب اخر غير التحليل العاملى. إن مثل هذا الغموض يحدث فى الابحاث والدراسات التى تتم على شخصيات غير سوية، ويكون تسمية العوامل فى هذه الحاله إجتهادى ويخضع للذاتية .

٤- الأخطاء الإجرائية :

مع ظهور الحاسبات الاليه البالغة السرعة والبرامج المتنوعة سابقة الاعداد، اصبح من السهل نسبياً حتى للباحث غير المتعمق فى الرياضيات ان يحصل على التحليل العاملى، ولكن ذلك لايعنى تطبيقه فى الدراسات التى تحتمل أخطاء إجرائية مثل وجود عدد كبير من معاملات الارتباط على عينة محدوده العدد، ويترتب على ذلك صعوبة تعميم النتائج.

ولنعود الآن الى صميم نظرية كاتل :

الطبيعة الأساسية للنفس البشرية :

يعرف كاتل (١٩٥٠) الشخصيه بأنها " هى تلك التى تتيح لنا التنبؤ بما سوف يفعله الشخص فى موقف ما" ويشارك كاتل ألبورت الرأى فى وصف الخصائص التى لها القدرة على التنبؤ وتتميز بالثبات النسبى فى مصطلح" السمات Traits" ولكنه يختلف عنه فى أربعة اعتبارات هامه هى :

١- ان العناصر الأساسية فى الشخصية وهى سمات المصدر Source traits يمكن استنتاجها فقط من خلال التحليل العاملى .

٢- اعتبر أن بعض السمات الفريدة ، مع كثير من السمات الاصيله العامه يشتركان فى تحديد الاختلافات بين الأفراد .

٣- انه أكثر ايجابيه فى ميله تجاه نظرية التحليل النفسى .

٤- كان اكثر تمييزاً بوضوح بين الدوافع والاعتبارات التركيبيه للشخصية .

السمات الدينامية Dynamic traits

الدفعات الفطريه Ergs ، والعواطف ، والاتجاهات :

مثل كل من ألبورت وموراى ينظر كاتل الى الدوافع على انها ضرورية لدراسة الشخصية ، فالسلوك الانسانى ينشط ويوجه نحو أهداف معينه بواسطة السمات الدينامية ، وبعض هذه السمات فطرية والبعض الاخر مكتسب نتيجة التفاعل مع البيئة ، ولكنها تسهم فى تحديد لماذا نفعل ما نفعله ?Why we do what we do .

ونظراً لأن مصطلح الغريزه يستخدم بطرق مختلفه من الباحثين السابقين ، فإن كاتل يرجع دوافعنا الفطريه الى الدفعات الفطريه Ergs (وهى مشتقه من الكلمة اليونانية Ergon أى العمل أو الطاقه). وتتضمن السمات الدينامية المكتسبه من البيئه أنماط عامه من السلوك مثل العواطف وسلوكيات وميول اكثر تحديداً مثل الاتجاهات ، والهدف الأساسى لهم هو اختزال حدة التوتر الناتج من الدفعات الفطرية .

وقد حاول كاتل تحديد عدد وطبيعة الدفعات الفطريه الإنسانية بقياس عدد من الإتجاهات ، والوحدات الأساسية للدافعية ، وإخطاع ذلك كله للتحليل العاملى ، فالاتجاهات يمكن قياسها بدراسة وتقدير سلوك الأفراد فى الحياة اليومية (L.Data) ، أو

باستخدام اختبارات مكتوبه أو من الاخرين (T.Data) ، أو الحصول على تقديرات ذاتيه باختبارات مكتوبه (Q.Data) . ويتجاهل الفروق المنهجية - حدد كاتل عشر دفعات فطريه محدده الاسم والصفه تماماً، وسته دفعات فطريه مؤقته الأسم (أى يمكن تعديل مسماها بعد ذلك)، لها صفه الدوام النسبى ولكن تختلف فى قوتها من شخص لأخر، فعلى سبيل المثال فإن الدفعة الفطرية " مناشده الأمان أو السعى للأمان Security-Seeking " تتميز بوجود الاتجاهات الاتية : اريد لوطنى حماية اكبر ضد رعب القنبله الذرية، أريد أن ارى كل قوة عسكريه تهددنا قد اهلكت ودُمرت، اريد ان يحدث قهراً فعلياً لخطر الموت وللحوادث والأمراض ، أريد الحصول على تأمين اكبر ضد الأمراض.
وبالمثل فإن اتجاهات من قبيل: اريد ان اقع فى حب امرأه جميلة، واريد أن اشبع حاجاتى الجنسية، احب الجاذبية الجنسية فى المرأه، أحب الاستمتاع بالتدخين والشراب، اريد الاستمتاع الى الموسيقى تندرج كلها تحت الجنس كدفعة فطرية ، حيث يلاحظ ان الدفعات الفطرية السته عشر يتميز كل منها بانفعال عام ويمكن توضيحها فيما يلى :

الدفعات الفطريه المُعرفة جيداً	الدفعات الفطريه المؤقته
الطعام (الجوع)	الاستغاثه (يأس / قنوط)
الجماع (الجنس)	الراحة (قلة النوم)
الإجتماعية (الشعر بالوحدة)	الاستدلال (الإبداعية)
الحماية الوالديه (الشفقه)	اذلال الذات (التواضع)
الاستكشاف (حب الاستطلاع)	الإشمئزاز (الاشمئزاز)
الأمان (الخوف)	الضحك (التسليه)
توكيد الذات (الغرور)	
النرجسية الجنسية (المتعه الحسيه)	
المشاكسة (الغضب)	
الولع بالكسب (الجشع)	

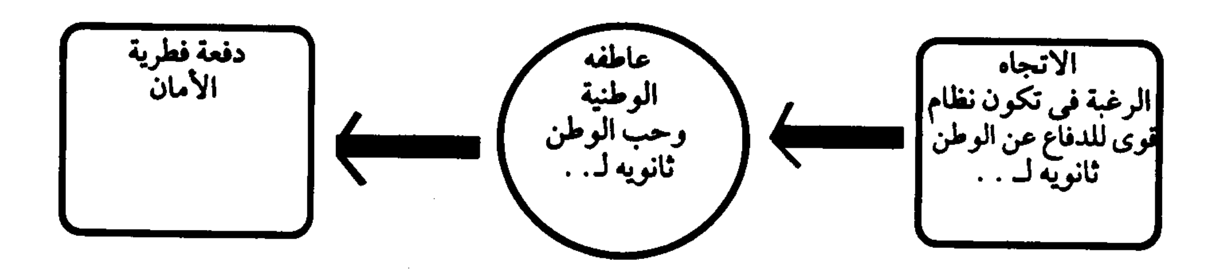
كما حدد كاتل العواطف بالتحليل العاملى لعدد من الاتجاهات. فعلى سبيل المثال فإن عاطفة التدين يمكن تعريفها باتجاهات مثل : أريد أن أشعر اننى على اتصال مع الله ،

بعض المبادى فى الكون تعطى معنى وتساعدنى فى كفاحى ، اريد أن ارى القواعد الدينيه المنظمه تزداد وتنمو على مدار حياتنا. وعاطفه الرياضه واللعب تتحدد بخصائص وصفات من قبيل الاتجاهات : أنا افضل المشاهدة والحديث عن الاحداث الرياضية، كما توجد عواطف أخرى تتضمن : مهنة الشخص، الزوج أو الزوجه، البلد، المدرسة، الإهتمامات (الميكانيكيه، العلمية، الإقتصادية ، الدينية، الرياضية، النظرية، الفلسفية، . . .) والعواطف شأنها فى ذلك شأن الدفعات الفطرية تختلف قوتها من شخص لاخر، لكن العواطف ليست فطرية، ولاهى دائمة ومستمرة، فمن الممكن التنازل عن المهنة، والزوجة، والرياضة أو استبدال مسار أختيارى بآخر لتحقيق الاشباع المناسب للدفعات الفطرية .

السلاسل المتتابعة (سلاسل التبعية) والتشابك الدينامى :

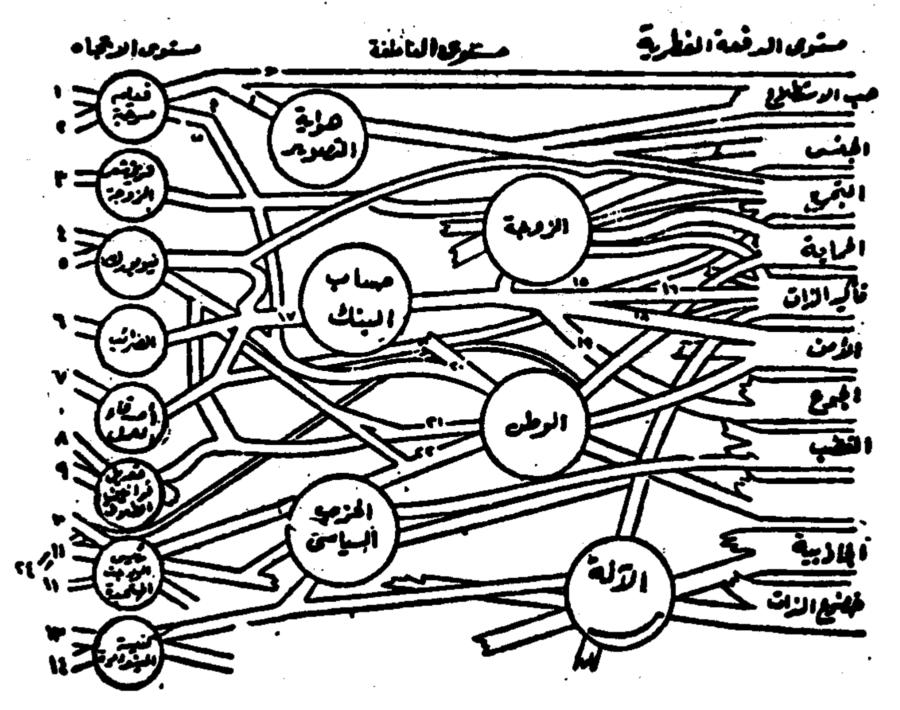
Subsidation chains and the Dunamic Lattice

أرجع كاتل العلاقه بين الاتجاه والعاطفه والدفعات الفطرية الى ما يسمى بسلاسل التبعية حيث استعار هذا المصطلح من نظرية موراى، فعلى سبيل المثال فإن الاتجاه نحو رغبة كامنه او علنيه لنظام قوى من الدفاع عن الوطن ربما تكون ثانويه لعاطفه الوطنيه وحب الوطن والتى تكون هى الأخرى ثانويه للأمان كدافع فطرى، ويمكن توضيح ذلك على النحو الاتى :



فى حين أن التركيبات الدافعية لكل فرد تكون تشابك دينامى يتكون هو الأخر من شبكة متداخله Criss-Cross من السلاسل المتتابعة، والتى يذهب بعضها الى الخلفيه go under graund فى بعض النقاط ويحتوى على اشكال لاشعوريه .

والشكل الأتى يوضح التشابك والتداخل بين العديد من سلاسل التبعية والتى تشمل الاتجاهات التى تقع فى أقصى اليسار خلال مسارات تؤدى الى موضوعات تمثل مصادر العاطفه فى الوسط التى تؤدى هى الأخرى الى دفعات فطرية فى أقصى اليمين .



عن هول ولندزى (١٩٧٥)

ويذكر هول ولبندزى (١٩٧٥) " ان الطريق الذى يتبعه الفرد فى محاولات للوصول الى هدف فطرى ergic لايكون دائماً مباشر على الاطلاق ويطلق كاتل على العملية التى يتم بها هجر طريق مباشر يوصل الى الهدف الى طريق آخر أقل مباشرة إسم الدوران الطويل Long- Cricuting وتعد أغلب الأشكال المشتقة من الدافعية بمثابة دورانات طويلة ناجمة عن عوائق الاحباطات التى تعترض سبيل الوسائل المباشرة الموصله للهدف والمفضله فطريا . إن القابلية المستمرة للتعديل بالنسبة للسمات كافة قد تأكدت فى كتابات كاتل ولكنه أوضح أن هناك رغم ذلك نزعة مستمره لدى الكائن لمقاومة التغير ولأن يكون محافظاً وقد سمى هذه النزعة بجمود الاستعداد dispostion rigidity ويفترض انها تختلف من سمه لأخرى كما تختلف من فرد لأخر ، وعموماً فإن تلك الأشكال من السلوك التى تم اكتسابها أولاً تكون أكثر مقاومة للتغير (أى أنها تبدى استعداداً للجمود) بحيث أن الدفعات الفطرية عادة ما تكون أكثر دواماً وثباتاً من السمات الدينامية المشتقة والتالية لها " .

ويمكن توضيح العلاقة بين المكونات الثلاثة بالمثال الآتى : يعد تحصيل الضرائب من المواطنين أمراً غير مرغوب (اتجاه) لانه يجعل من الصعب زيادة قيمة حساب الفرد فى البنك واشباع دفعاته الفطرية للطعام والأمان، ولكنها أيضا مرغوبة لانها تقوى العاطفه ازاء الوطن والحماية أو الامان الذى يوفره لمواطنيه . ولذلك فإن كاتل يتفق مع فرويد فى تعقد الدوافع وتشابكها وصعوبة تحديد اسباب السلوك تماماً .

السمات المزاجية وسمات القدرة Temperament and Ability Traits

فى حين تلعب السمات الدينامية دوراً فى تفسير سلوكنا - لماذا نفعل مانفعله - فإن السمات المزاجيه وسمات القدرة تهتم بالأسلوب ومدى النجاح الذى نحققه . how we do what wedo and how well?

وقد أخضع كاتل قائمة ألبورت للسمات والتى تضم مابين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ سمة للتحليل العاملى، وقام بتحديد عدد اقل من السمات مصدرية التركيب والتى تم ترتيبها طبقاً لأهميتها حيث تتضمن سمة قدرة واحدة هى العامل الثانى B وهو الذكاء ، فى حين أن العوامل الأخرى هى سمات مزاجية وكل عامل أو سمة يتدرج على خط متصل، فأى فرد ربما يحصل على درجة تتراوح بين المنخفض والمتوسط والمرتفع ، كما أن العوامل التى تحمل الرمز Q والتى تشمل (الراديكاليه) Q1 ، (كفاية الذات) Q2 ، (التنظيم الذاتى) Q3 ، (التوتر) Q4 هى العوامل التى تظهر من التحليل العاملى للنتائج التى تم الحصول عليها من خلال التقريرات الذتية على اختبارات مكتوبه Q. Data فى حين ان العوامل الأخرى أخذت من كل من L & Q. Data .

وقد قام كاتل باعداد مقياس للشخصية يقيس هذه السمات المصدريه يُعرف باسم اختبار عوامل الشخصية الستة عشر Sixteen Personality Factor Questionnair وتختصر 16 P.F. وقام بتطبيقه على اشخاص يعملون فى مهن مختلفه ومجموعات تشخيصيه متباينه وقدم من هذا المقياس عدة صور أخرى تحمل الرموز B, C, D . كما يتضمن هذا المقياس فى الصورة الاخيرة التى اعدها كروج وكاتل واعضاء معهد قياس الشخصية والقدرة Kruge S.E, Catell, R.B & Ipat Stalf, 1980 والذى سمى بمقياس التحليل الإكلينيكى Clinical analysis questionnaire. (C.A.Q) ، والذى قام المؤلف ، وصالح أبو عباة بترجمته وتقنين الجزء الأول منه عام ١٩٩٤ ، والثانى عام ١٩٩٧ .

ويتكون المقياس المذكور من ٢٧٢ بنداً تنقسم الى جزئين يتكون الجزء الاول من ١٢٨ بنداً تغطى السمات السويه للشخصيه الموجوده فى .16. P.F أما الجزء الثانى فيتكون من ١٤٤ بنداً تغطى السمات المرضيه الموجوده فى MMPI بالاضافه الى وصف اكبر للسمات الاكتئابية .

وفيما يلى وصف للعوامل الستة عشر :

١- العامل A التعاطف / الجفاء *(التألف) **.

يعد هذا العامل اكثر السمات المزاجيه وسمات القدره ارتباطاً بمفهوم يونج عن الانبساط والانطواء الذى ظهر فى عوامل الرتبه الثانية فى تحليلات كاتل العاملية، كما يتضمن العوامل (الاندفاعية) F ، (المغامرة أو الجرأة) H، (وكفاية الذات) Q2، الافراد الذين يحصلون على درجة مرتفعه فى هذا البعد (المتعاطفون) عادة مايتسمون بدفء القلب ، قادرين على تكوين علاقات شخصيه والتعامل مع الاخرين، يحبون ان يمنحو الهدايا ويوافقون على ذلك إذا سنحت لهم الفرصة، كما انهم يفضلون التكيف مع برامج المواعيد المحدده للاخرين اكثر مما يطلبون من الاخرين التكيف مع جدول مواعيدهم، وهم اكثر نجاحاً ورضا بالوظائف التى تتميز بالالتحام والتفاعل الشخصى مثل التجاره والعمل الاجتماعى والتدريس. والمعالجين النفسيين الناجحين، وشخصيات من قبيل شكسبير، وروزفيلت. . . أما الأشخاص الذين يحصلون على درجة منخفضه فى هذا البعد (المجافون Siza) فلديهم توجه نحو الأشياء والأفكار اكثر من توجههم نحو الاخرين مثل المديرين والموسيقيين والفنانين والباحثين والكتاب والمبدعين عموماً، والدرجة المنخفضه جداً قد تؤدى بصاحبها الى محاولات الانتخار والجريمة والميل البارنويدى خاصة بارانويا الاضطهاد.

٢- العامل B الذكاء :

سمة القدرة الوحيده فى المقياس ، ويرتبط الذكاء بالقدرة على التفكير المختصر، وتوليد إهتمامات عقليه، وقد تم وضعه كثانى عامل نظراً لأهميته حيث اعطى علماء النفس إهتماماً كبيراً لهذه الصفه الإنسانية، الاشخاص الذين يحصلون على درجات منخفضه قد يكونوا اقل ذكاءاً من المتوسط ، وقد يكون لهذا البعد دلالة إكلينيكيه فمرضى الاكتئاب

* أسم البعد فى إختبار عوامل الخصية .16 P.F .
** أسم البعد فى اختبار التحليل الأكلينيكى .C.A.Q .

لايعطون إهتماماً كاف بالبنود، كما ان الافراد الذين يعانون من تكرار نوبات القلق الحاد يفقدون قدرتهم على التركيز والتفكير الايجابى ومن ثم تنخفض درجاتهم .

٣- العامل C قوة الأنا (الثبات الإنفعالى) :

هذا العامل يرتبط بقدرة الفرد على التحكم فى دوافعهه ، وان يظل هادى الطباع وثابت انفعالياً ويتعامل بواقعية مع مشكلاته، حيث يستطيع الأفراد الذين يحقون درجات مرتفعه فى هذا البعد الوصول الى اهدافهم الشخصية بدون صعوبات واضحة، ولايقعون فريسة للحيرة عند الاختيار، ويقررون شعوراً عاماً بالرضا عن الطريقة التى يتبعونها فى حياتهم ولديهم قدرة على مواجهة الضغوط والإحباطات اليومية فى حين يتصف ذوى الدرجة المنخفضه كما جاء فى نظرية فرويد باحتمالية الوقوع فريسة للمرض النفسى وخاصة القلق، كما انهم اشخاص تقهرهم ضغوط الحياة ، كما يرتبط بعامل التوتر (Q4)، وقد لاحظ كاتل وآخرون ١٩٧٠ ، وكارسون واوديل ١٩٧٦ ان نتائج العلاج النفسى تكون محدوده فى حالة انخفاض درجة هذه السمة، ومهنياً يحصل الطيارين ، والباحثين والإداريين والممرضات وسياسيين مثل جورج واشنطن على درجات مرتفعه . فى حين يحصل المحاسبين والفنانين والباعة والكتاب، وشخصية هاملت فى رواية شكسبير على درجات منخفضه .

٤- العامل E السيطرة / الخضوع (السيطرة) .

ذوى الدرجة المرتفعه يتصفون بأنهم مسيطرون، عدوانيون، منافسون وعنيدون، اكثر توكيداً لذواتهم، يصفون انفسهم بأنهم اقوياء وفعالين او مؤثرين جداً فى علاقاتهم بالآخرين، ويخبرون الاخرين بالضبط ما يعتقدونه عنهم ينفذون ما يفكرون فيه ويستمتعون بالحصول على الأشياء بطريقتهم الخاصة، والدرجة المرتفعة جداً ترتبط بمظاهر العدون والعناد الذى يغطى شعوراً خفياً بالنقص، والقدرة على تصريف مشاعر الغضب، أما ذوى الدرجة المنخفضه (الخاضعين) فيتميزون بالوداعة وسهولة الانقياد وحب المجاملة، ويميل اصحابها للاختلاء بأنفسهم (العزلة)، ويصبون مشاعرهم الغاضبه على الذات بدلاً من الاخرين، يحقق الرجال درجة اكبر من النساء فى هذه السمه، وهى مرتفعه بين المصارعين والمهندسين والعلماء والقضاه والكتاب والباحثين مثل ريتشارد وجنر Wagner, H.، وسياسين مثل هتلر فى حين يحصل الراهبات والفلاحين والموظفين والطباخين والبوابين وشخصيات سياسية مثل غاندى وبوذا **Buddha** على

درجات منخفضه . ويحصل السيكوباتيين على درجات مرتفعه (مسيطرين) فى حين يحصل الذهانيين ومعظم العصابيين على درجات منخفضه (خاضعين) .

٥- ألعامل F الاندفاع/ التروى (الاندفاعية / الحماس)

يحمل هذا العامل بعض التشابه مع العامل A ويلعب دوراً مؤثراً فى السلوك الإنسانى، حيث يتميز الإندفاعيين بكونهم معتمدين على الحظ الطيب Hapy-go-Lucky مفعمينَ بالحيويه والنشاط متحمسين، اكثر اصدقاءً من غيرهم، يستمتعون بمشاهدة الحفلات والمعارض واداء الاعمال التى تتصف بالتنوع والتغير والسفر، وينسون العقاب بسهولة، اما ذوى الدرجة المنخفضه (المترويين) فيتصفون بالتريث والهدوء والميل للصمت والسلوك الجاد، والاندفاعية شائعة بين العسكريين والطيارين والرياضيين والبائعين، والسيكوباتيين والجانحين وشخصيات مثل فولتير، وويلز H.G. wells أما التروى فهو شائع بين المحاسبين والإداريين والفنانين والعلماء ، والباحثين فى مجال الذرة، واساتذة الجامعات ، والذهانيين ومدمى الخمر وشخصيات مثل جوب Job وتشارلز دارون. وقد ذكر كارسون وأوديل (١٩٧٦) ان هذه السمة تحدد مع سمات الامتثال (G) ، والشعور بالذنب / عدم الأمان (O) ، والالتزام القهرى / التنظيم الذاتى (Q3) ما اذا كان الفرد سيكون من النوع الذى يظهر صراعاته الداخليه Externalize ويعبر عنه بالرمز (+F) ، أو انه سيقمعها داخليا interanlize ويرمز له (-F) .

٦- العامل G . قوة الأنا الأعلى (الامتثال أو الانسجام) .

تعكس هذه السمه وصف فرويد للأنا الأعلى حيث يميل الأشخاص الذين يحققون درجات مرتفعه من قوة الأنا الأعلى لأن يكونوا اكثر مثابرة واكثر احتراماً للسلطة، واكثر امتثالاً لمعايير الجماعة، ويصفون انفسهم بأنهم يشمئزون من الاشخاص القذرين والحجرات غير المرتبه، يفضلون حل مشاكلهم قبل تفاقمها، ويتبعون القواعد لاقصى درجة، ويحصل طلاب الكليات العسكرية والطيارين ورجال المراقبه الارضيه فى المطارات وعلماء الدين على درجات مرتفعه فى هذا العامل، وشخصيات مثل ابراهام لنكولن الدرجة المرتفعة جدا ترتبط بالتصلب حيث يتصف اصحابها بانهم غير مرنين ويضعون لأنفسهم مستويات مرتفعه من المعايير، وكنتيجة لذلك ينتابهم شعوراً بالذنب وعدم الكفاية عندما يعجزون عن الالتزام بهذه المعايير ، فى حين يحصل السيكوباتيين والمجرمين على درجات منخفضه .

٧- العامل H . الجرأه / الحياء (الجرأه)

ذوى الدرجة المرتفعة فى هذا البعد يتصفون بالجرأه وهم نشطين وفعالين ويستمتعون بكونهم فى مركز اهتمام الآخرين ، لايوجد لديهم مشاكل من قبيل الخوف ويصفون انفسهم بأنهم سريعى اتخاذ القرار (وليس بالضروره ان يكون القرار صحيحاً)، ولديهم قدرة على الصمود بفاعليه فى مواجهة الضغوط الخارجية بدون بذل مجهود كبير. أما ذوى الدرجة المنخفضه فيتصفون بالحياء، ولديهم درجة ما من العزلة، وتزعجهم الضغوط الخارجية بسهولة ولكى يستعيدو توازنهم عليهم بذل مزيد من الجهد، وهم اكثر عُرضه للاصابة بالأمراض السيكوسوماتيه. . ويحصل الموسيقين والعلماء والبائعين وممارسى الرياضه التنافسية على درجة مرتفعه فى سمة الجرأة، كما انها مرتفعه جداً لدى السيكوباتيين فى حين ان صفة الخجل أو الحياء المفرط شائعه لدى علماء الدين والفلاحين. ومرضى عصاب الوساوس القهرية المتسلط، واغلب الاشخاص الذين حاولوا الانتحار .

٨- العامل I الطراوه مقابل الصلابة (الحساسية)

وصف هذا العامل منذ اكثر من مائة سنه بواسطة وليم جيمس عند وصفه للوقايه من الحساسيه الإنفعالية، حيث يتصف ذوى الدرجة المرتفعة فى الاعتمادية وفرط الحساسية، فرط السعى للحصول على الحماية والتململ (صعب إرضاءه)، ضيق الأفق ونقص الشعور بالأمان. ويقرر الاشخاص الحساسيين انهم يستمتعون بسماع الموسيقى، ويفضلون استخدام الأسباب أو الإقناع بدلاً من القوة فى الحصول على مايريدون ، كما يفتقرون الى الإحساس بالتوجيه ويفضلون دراسة الانجليزيه أو الزياضيات فى المدرسة. هذه السمة مرتفعه لدى الفنانين والمرشدين والمهنيين واساتذة الجامعات والاداريين، العاملين فى مجال الاعمال الاجتماعية والذهانيين ومن حاولو الانتحار، والمجرمين وشخصيات سياسية مثل الينور روزفلت، فى حين يتصف ذوى الدرجة المنخفضه بالعقلانيه والاعتماد على الذات (الإستقلاليه)، ويحصل علماء الفزياء والعاملون فى مجال الصناعة ورجال البوليس والمهندسون على درجة منخفضه من الحساسية. كما وجد فى مجال الابحاث الطبيه ارتباط الدرجة المرتفعه من العامل (I) بامراض القلب المزمنه وارتفاع ضغط الدم، وحدوث الامراض المزمنه والميل الى المبالغة فى وصف الأعراض، وكذلك بالاستهداف لحوادث السيارات، فى حين يحقق مرضى الربو الشعبى

درجة منخفضه ويميل اصحابها للتأنى والصبر فى التصريح بوجود الاعراض المرضيه أو يصورونها باقل مما تقتضيه الحقيقه ولايحاولون التصريح بها طالما أن الألم أو الأذى يمكن تحمله .

٩- العامل L الارتياب أو الشك مقابل التقبل (الارتياب)

تتشابه سمة الشك والارتياب مع مفهوم فرويد عن الغضب الإسقاطى والإنطوائيه، وبرانويا الاضطهاد حيث يتميز ذوى الدرجة المرتفعه فيها بالتشكك والغيرة ، والتصلب والميل الى انتقاد الآخرين ، وسرعة الغضب والقابلية للاثارة، ويصف الأشخاص مرتفعى الشك بأنهم لاينسون الاخطاء بسهولة ويصفون والديهم بأنهم قاسيين وهم منزعجون بخصوص ما يقوله الآخرون عنهم، وهم كثيرى الانتقاد لاعمال الاخرين فى حين يتصف منخفضى الشك بالثقه فى النفس والتقرب المقبول من الاخرين. ويحقق المحاسبين والفنانين والفلاحين والمجرمين، وممارسى الجنسية المثليه والذين لهم محاولات سابقه للانتحار وشخصيات سياسية مثل شارلز ديجول درجة مرتفعه فى هذا البعد فى حين يحقق المرشدين الطلابين والاداريين والطيارين ورجال المراقبه الارضيه فى المطارات، والموسيقيين، والاشخاص الذين ترتبط اعمالهم بالناس، وشخصيات سياسية مثل ايزنهاور درجة منخفضه فى هذا البعد. كما وجد ان الدرجة المرتفعة جداً ترتبط بشكل ثابت مع التعرض للإصابة بأمراض القلب المزمنه والاستهداف للأمراض العامة وكثرة التردد على الطبيب فى حين تحمل الدرجة المنخفضه دلالة صحية .

١٠ العامل M رومانتيكى / واقعى (التخيل)(Autia-Praxernia(Imagination

استقت كلمة Autia من Autistic بمعنى الافراط فى الخيال هروباً من الواقع، ذوى الدرجة المرتفعه فى التخيل غير تقليديين، غير مهتمين بالاحوال اليومية، وينسون الأشياء التافهة ، ليست لديهم اهتمام بالأشياء الميكانيكيه، لايستمتعون بسماع تفاصيل الحوادث، يحصل الفنانين البوهيمين او الفنانين الهيبز hippies Artists (وهم الفنانين من الكتاب أو الرسامين أو غيرهم الذين لايقيمون وزناً للاعراف والقواعد الاجتماعية)، ومدمنى المخدرات والمجرمين، وممارسى الجنسية المثليه وشخصيات مثل لويس كارول Carroll ، والجريكو El Greco وبيكاسو Picasso على درجات مرتفعه فى هذا البعد . وترتبط الدرجة المرتفعه كذلك بالاستهداف لحوادث السيارات

والمستوى المرتفع من الإبتكارية، كما وجد باثرون وكاتل (١٩٧٢) فى دراسة تتبعيه ان الافراد الذين يحققون درجة مرتفعه يغيرون مهنهم باستمرار ويتلقون عدداً اقل من ترشيحات العمل، كما ان المرضى من السيدات ينسون تعاطى الادويه التى يتم شربها أو ابتلاعها فى حين يحصل الميكانيكيين، ورجال البوليس والطيارين ومساعديهم وشخصيات مثل هربرت هوفر Hoover, H.[A]، وكالفن كوليدج Coolidge, C[B] على درجات منخفضه فى التخيل.

١١- العامل N الدهاء مقال السذاجة (الدهاء / الحنكه)

الدهاء والحنكه والحذر الإجتماعى، حيث يقرر ذوى الدرجة المرتفعه انهم يفضلون ان يكونوا مع الاشخاص المؤدبين والمحنكين الذين يزيدونهم خبرة بشئون الحياة، وليس من السهل ان تتغير مشاعرهم، وانهم مؤدبين ودبلوماسيين ويفضلون الاحتفاظ بمشكلاتهم لانفسهم.كما يعد هذا العامل من عوامل عدم نجاح العلاقة الزواجيه فمرتفعى الدهاء ربما يكونوا مستقلين ولا يستطيعون الاستجابه بشكل مناسب للحاجات الإنفعالية لشريك الحياة. اما ذوى الدرجة المنخفضه فإنهم سذج واقل تقيداً بالقواعد والاعراف. ويحقق رجال الأعمال والطيارين وعلماء النفس والبائعين وشخصيات عالميه مثل كازانوفا Casanova[C] وديزرائيلى Disraeli[D]، وفولتير Voltaire[E] فى حين يشيع السلوك الأهوج Clumsy behavior بين الفنانين والكهنه والمشتغلين بالتعدين أو العسكرين من زراعى الألغام، ومرض الهوس والاكتئاب وشخصيات مثل دايوجنيس Diogenes[F] والقديسه جان دارك Joan of Arc[G].

A - الرئيس الحادى والثلاثون لأمريكا (١٩٢٩-١٩٣٣) عاش خلال (١٨٧٤ - ١٩٦٤).

B - الرئيس الثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٢٣-١٩٢٩) عاش خلال الفرة (١٨٧٢-١٩٣٣)

C - مغامر وكاتب وزير نساء إيطالى (١٧٢٥ - ١٧٩٨)

D - سياسى بريطانى اشترى حصة مصر فى قناة السويس ١٨٧٥.

E - فيلسوف فرنسى يعد أحد اكبر رجال الفكر فى القرن الثامن عشر (١٦٩٤-١٧٧٨)

F - فيلسوف يونانى ٤٣٠-٣٦٧ ق. م دعا الى التقشف وعاش فى برميل.

G - قديسه فرنسية (١٤١٢ - ١٤١٣) وبطلة قومية حاربت الانجليز فى حرب المائة سنه وماتت حرقاً.

١٢- العامل O الاستهداف للذنب مقابل الثقه بالنفس (عدم الأمان / الاطمئنان)

مرتفعى الدرجة لديهم ميل دائم لتقريع الذات والترقب والقلق والشعور بالذنب، متقلبى المزاج واحياناً مكتئبين تماماً . ويصفون انفسهم بانهم يصيبهم الغم والاكتئاب عندما ينتقدون امام الاخرين ويشعرون بان الاصدقاء لايحتاجون لهم بالقدر الذى يحتاجون فيه هم الى الاصدقاء وان الانتقادات تعجزهم اكثر مما تساعدهم . والدرجة المرتفعه تعنى الاستهداف للحوادث، ، والقلق، والنزعه للتأمل، والبكاء بسهولة والاكتئاب والحزن والخوف، والشعور بالوحده وانتقاص قيمة الذات والانهزامية والانزعاج . فى حين يتصف ذوى الدرجة المنخفضه بالثقه فى النفس، وبأنهم لايحبون الارتباط فى معاهدات أو اتفاقيات أو الارتباط بمعايير الاخرين. والدرجة المرتفعه من عدم الامان شائعة بين من يمرون باضطراب نفسى والفنانين والفلاحين وشخصيات سياسية مثل تشرشل أما الدرجة المنخفضه من عدم الامان فتوجد بين ممارسى الرياضه التنافسيه والمديرين وعلماء الفزياء ولمراقبين الارضين بالمطارات وعلماء النفس وبعض القاده مثل ستالين * .

١٣- العامل Q1 . الراديكاليه / المحافظة (الراديكاليه)

أول العوامل الاربعة التى تحمل الرمز Q التى تظهر فقط بتحليل النتائج المشتقه من Q.Data، والراديكاليين هم اشخاص متحررين عقلياً، تحليليين، مجددين يثقون فى المنطق اكثر مما يثقون فى المشاعر، يشعرون ان المجتمع يجب ان يتحرر من تقاليده ويشعرون بالاسترخاء عندما يتحررون من القوانين ولايتبعون طرقاً ثابته فى عمل الأشياء، وهم اكثر فاعلية فى حل المشكلات ولكنهم غير مفضلين كقاده، ويشيع ذلك بين الفنانين، واساتذة الجامعات والكتاب، وشخصيات عالميه مثل ماركس ، برنارد شو ، وليونارد دافينشى، ونابليون ، أما السلوك التقليدى المحافظ فإنه شائع بين الرياضيين، وعلماء الدين والفلاحين ورجال الشرطه، والمقهورين فى أى مجتمع وشخصيات سياسية مثل تشرشل ** .

---

* رئيس وزراء روسيا خلال الحرب العالمية الثانية الذى قادها للنصر على الألمان فى هذه الحرب - عاش بين ١٨٧٩ - ١٩٥٣ .

** رئيس وزراء بريطانيا خلال الفترتين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ ، ١٩٥١-١٩٥٥ عاش بين ١٨٧٤-١٩٦٤ وقاد بريطانيا الى النصر فى الحرب العالمية الثانية .

١٤- العامل Q2 كفاية الذات / الافتقار الى التصرف (كفاية الذات)

الاكتفاء الذاتى والسلوك الكفء الدال على الولاء والاخلاص، أهم ما يميز ذوى الدرجة المرتفعه من كفاية الذات ، وان كانوا يفضلون ان يكونوا وحدهم ولايحتاجون الى المسانده من الجماعة، ويصفون انفسهم انهم يفضلون العمل بمفردهم، ويحلون مشاكلهم بمفردهم، كما ترتبط الدرجة المرتفعه بالنجاح الدراسى وخاصة فى المستويات التعليمية المرتفعة ولكنها ترتبط سلبياً بعدد المهن المتاحة. كما توجد بعض الارتباطات بين الدرجة المرتفعه وحدوث امراض الشريان التاجي وارتفاع ضغط الدم واعراض جسميه محدوده كالدرن وقرحة المعدة . ويحصل الباحثين فى المجال العلمى،وخبراء التأمينات والمستكشفين والكتاب المبدعين واساتذة الجامعات والفنانين ومرضى الهستريا التحولية على درجة مرتفعه . بينما يحصل كل من لاعبى كرة القدم والراهبات والعاملين فى مجال الخدمة الإجتماعية ومساعدى الطيارين، والخدم والمرضى بأمراض سيكوسوماتيه على درجة منخفضه وجميعهم يفضلون الارتباط واتباع معايير بعض الجماعات .

١٥- العامل Q3 قوة اعتبار الذات / ضعف اعتبار الذات (التنظيم الذاتى) :

يعمل اعتبار الذات كوظيفة تنظيمية، ويرتكز مبدئيا على تكامل الشخصية ومن ثم يبقى على الإحساس بالهوية ، وهو جانب قوى فى الشخصية وبشكل كل العواطف التى سبق عرضها فى الشكل (ص ٤٨١) ويسهم هذا العامل فى التحكم فى القلق، فالاشخاص الذين يحققون درجة مرتفعة من التنظيم الذاتى لديهم ضبط قوى على سلوكهم وحياتهم الإنفعالية ولكنهم صعبى المراس، ويقررون انهم يفضلون ترتيب حديثهم قبل ان يخاطبوا الآخرين به وانهم يحتفظون بحجراتهم نظيفه مرتبه ، ولايتركون الامور لمحض الصدفه فى حين تدل الدرجة المنخفضه على عجز الفرد عن المحافظة على انفعالاته ومن ثم التعرض للقلق. ومن حسن حظ المسافرين جواً ان الطيارين أعلى المجموعات المهنية فى بعد التنظيم الذاتى، وكذلك مديرى الجامعات، والعلماء ، ومرضى البارانويا الذين يميلون لان يكونوا منضبطين ومندفعين، فى حين ان ذوى الدرجة المنخفضه من قوة اعتبار الذات فانهم يتصفون باللين والاندفاعية وهى شائعة بين الفنانين والكهنه والجانحين، ومرضى الذهان ومن مارسوا محاولات انتحاريه.

وهذا العامل ذو أهمية منخفضة نسبياً ضمن عوامل المخاطره الطبية فيما عدا بعض الأدلة المتفرقه على العلاقة بين الدرجة المرتفعه بين هذا العامل وامراض القلب التاجية. كما ان الدرجة المرتفعه اذا اقترنت بدرجة منخفضه من سمات التوتر وعدم الأمان فإن ذلك يوجد ميل الى زيادة القسر (الإجبار) مما ينتج عن ذلك النمط الاستحواذى من السلوك.

١٦- العامل Q4 التوتر / الاسترخاء (التوتر)*

تظهر هذه السمة بعض الارتباط مع مفهوم فرويد عن الطاقة الغريزيه غير المروضة الموجوده فى الهو ID ويعد أهم العوامل ذات الأساس فى حدوث القلق، وعامل أساسى من عوامل المخاطرة الطبية، وترتبط الدرجة المرتفعة فيه بإحباط الدافعية. ويصف الاشخاص الذين يحققون درجة مرتفعة من التوتر انهم يستغرقون وقتاً طويلاً لكى يعودو لهدوءهم بعد اى توتر، وتوترهم الأشياء الصغيرة، ولديهم صعوبات فى النوم ويغضبون من الناس بمنتهى السرعة. اما ذوى الدرجة المنخفضة فانهم يتميزون بالاسترخاء، والهدوء ورباطة الجأش. الدرجة المرتفعة للتوتر شائعة لدى المزارعين والكتاب وشخصية ماكبث Macbeth فى روايات شكسبير، والذهانيين، وممارسى الجنسية المثلية، ومدمنى الكحول، أما الدرجة المنخفضة للتوتر فشائعة لدى الطيارين ومساعديهم وعلماء الفزياء والعاملين فى مجال الخدمة الاجتماعية.

سمات مزاجية أخرى :

يقرر كاتل (١٩٧٣) وجود سبعة سمات مزاجية أخرى اكثر حداثه فى اكتشافها ولكنها غير معرفة بشكل جيد مثل السمات المزاجية السابقة. وهذه العوامل هى :

١- العامل D. التهيج غير الأمن Insecure excitability : وهو مرتفع فى حالات الاخفاق المدرسى أو الفشل الدراسى ولكنه منخفض فى الحالات الذهانية.

٢- العامل J الكواسينيا، Coasthenia : ويتكون من الولع بالتفكير الذى يتصف بالكبت والانطواء فى مصطلح واحد (الكواسثينيا) كما فى شخصية هاملت (لشكسبير)، والإجتماعيـة المتصفه بالاستمتـاع والانبساطيـه، فـى شخصيـة زيبيا Zeppia.

* لمزيد من المعلومات عن هذه السمات والدلالة المهنية والاكلينيكية لها، راجع الجزء الأول من مقياس التحليل الاكلينيكى - الانجلو المصرية ١٩٩٤.

٣- العامل K (التنشئة الاجتماعية الناضجة) مقابل الضحالة(mature Socialization/ boorishness : وهو يعكس التمييز بين الشخص المثالى والشخص غير المثقف البهيمى (الجلف).

٤- العامل P التفاؤل الطارئ Sanguine Casulaness : ويتضمن الثقة بالنفس، التى يعوزها الطموح والتنظيم ، والتواضع والتفاؤل .

٥- العامل Q5 التفانى للمجموعة مع شعور غير ملائم

group dedication with sensed inadequacy

٦- العامل Q6 الزينه الاجتماعية Social panache والبارانويا .

٧- العامل Q7 صراحة التعبير عن الذات Explicit Self-Expression فى صورة محادثة درامية .

كما عرف كاتل مبدئياً (٢١) سمة تركيبية مختلفه توصل اليها من تحليل T.Data ويتضح من خلال دراساته الممتده انه لم يصل الى تصور نهائى لتركيب الشخصية .

معادلة التخصيص The Specification Equation

نظر لتعريفه الشخصيه من خلال سمات فقد حاول كاتل التنبؤ بالسلوك الانسانى من خلال معادلات تخصصيه أو تنبؤيه يمكن صياغتها على النحو الآتى :

$$P_j = b_1 T_1 + b_2 T_2 + \dots\dots\dots + b_n T_n$$

حيث pj هو السلوك المفضل للمستجيب الذى نتوقعه فى موقف ما .

T_1, T_2, T_n هى سمات الشخصية التى تكون التنبؤ من خلالها (بما فى ذلك السمات الدينامية والمزاجية وسمات القدرة) ، b_1, b_2, bn هى الأوزان المحدده من خلال التحليل العاملى وتعكس الوزن النسبى لكل سمة فى الاستجابة التى يتم التنبؤ بها .

فعلى سبيل المثال إذا سأل شاب تغريه أكثر الجاذبية الجنسية فى الفتاه التى يرغب الزواج منها عن كونها مرغوبة أو غيرمرغوبة من الوالدين (الاجتماعية) أو لديها دافع قوى للأمومة (عاطفة الوالدية) ولنفرض أن السمات المؤثره فى هذا السلوك كانت الجاذبية الجنسية (T_1)، الاجتماعية (T_2) وعاطفة الوالديه (T_3) .

فتكون معادلة التنبؤ المتخصصه

$$Pi = 0.5T_1 - 0.4 T_2 - 0.1 T_3$$

وتدل الأشارة السالبه لكل من T_2, T_3 على ان كل من متغير عدم الموافقه الوالديه، وجـب الفتـاه للانجاب يؤثران سلبيا فى سلوك الشاب نحو اختيارها. فى حين يؤثر المتغير الأول (الجاذبية الجنسيه T_1) فى صالح القرار. كما ان الوزن الاكبر لسمة الجاذبية الجنسيه وهو ما يدل على ان السمة الأولى هى أهم السمات ولذلك من المتوقع ان يقبل الشاب هذه الفتاه، ولكن لو كانت هذه السمة ضعيفه نسبياً فى حين كانت سمتى الإجتماعية وعاطفة الوالديه اقوى منها فإن هذا الشاب سوف يبحث عن فتاه أخرى، وبقياس قوة كل سمة بواسطة اختبار مناسب للشخصية ثم دمجها فى معادلة التخصيص، ولنفرض ان هذا الشاب حصل على ٨٠ درجة فى السمة T_1 (درجة مرتفعة)، (١٠) درجات فى السمة T_2 (ضعيفة)، ٢٠ درجة فى السمه T_3 (ضعيفه) وبالتعويض فى المعادلة السابقة.

إذن

$$P i= 0 .5 \times 80 - 004 \times 10 - 0.1 \times 20$$

$$Pi = 40 - 4 - - 2 = 34$$

ولكن اذا حصل هذا الشاب على درجة ٤٠ فى السمة T_1 (درجة متوسطه)، ١٠ فى السمة T_2 (ضعيفة)، ٨٠ فى السمة T_3 (درجة مرتفعة) فانه بالتعويض فى المعادلة تكون الدرجة.

$$Pi = 0.5 \times 40 - 0.4 \times 10 - 0.1 \times 80 = 20 - 4 - 8 = 8$$

فالدرجة الكلية المرتفعة فى المعادلة الأولى توضح ان الشاب سيكون اكثر ميلاً للبحث عن فتاه تتشابه سماتها مع السمات المسجلة فى المعادلة الأولى.

قياس التعارض أو الصراع measures of conflict

الإجراءات الموضحه سابقا اتاحت لكاتل حساب درجة التعارض داخل النفس التى يخبرها الفرد عند اتخاذ القرار وذلك من خلال معادلة مؤشر التعارض conflict Index الاتية:

$$\text{مؤشر التعارض} = \sqrt{\frac{\text{مجموع مربعات القيم الوزنية السالبه}}{\text{مجموع مربعات القيم الوزنية الموجبه}}}$$

وبالتعويض فى المعادلة السابقة

$$C.\,I = \sqrt{\frac{(-0.4)^2 + (-0.1)^2}{(0.5)^2}} = 0.8$$

واقتراب درجة مؤشر التعارض من الواحد الصحيح يدل على وجود درجة مرتفعة من الصراع الداخلى، فى حالة التساوى بين التأثيرات السلبية والايجابية على القرار، ولكن اذا اقتربت الدرجة من الصفر أو كانت تساوى صفر فإن ذلك يعنى وجود صراع ضعيف او عدم وجود صراع إطلاقاً . وهكذا لم يكتفى كاتل بصياغة معادلات تنبؤية ولكنه ايضا قام بصياغة معادلة لتوضيح مؤشر الصراع الداخلى الذى يعد أمراً غامضاً كما تم صياغته علمياً فى نظريتى فرويد وهورنى او غيرهما (Cattell & Kline, 1976) .

تطور الشخصية :

على العكس من بعض اصحاب نظريات الشخصيه الذين توصلوا الى استنتاجاتهم عن الطفولة من خلال استعراض الخبرات الماضيه للراشدين المرضى، فإن كاتل قام بتحليل كميات كبيره من النتائج التى تم الحصول عليها مباشرة من الاطفال والمراهقين، وقام بقياس نفس السمات لفئات عمرية مختلفه رغم ما واجهه فى ذلك من صعوبات منهجية ، حيث ان السلوك الظاهر ربما يكون مختلف تماماً ، ولكنه قام بتصميم اساليب إحصائية مختلفه لحل مثل هذه المشكلات ووصل الى استنتاجات متنوعة تتعلق بنمو الشخصية .

العوامل المؤثرة على نمو الشخصية :

١- الوراثة مقابل البيئة :

لقد حاول كاتل قياس الى اى مدى تتحدد السمات مصدرية التركيب المختلفه بعامل الوراثة مقابل العامل البيئى ، وتحتوى هذه الدراسات على تحليل النتائج التى تم الحصول عليها من ازواج من التوائم والأخوة الأشقاء ، بعضهم تم تربيتهم معاً فى نفس المنزل، والبعض الاخر تم تربيتهم فى بيئات مختلفه (فعلى سبيل المثال اذا تربى توأمين فى بيئتين

مختلفتين ثم وجد بينهما تشابها كبيراً فى سمة معينة فإن ذلك يوحى بوجود تأثير شديد للوراثة فى هذه السمة) ويتضح تأثير العامل الوراثى بمؤشر عددى من خلال قسمة كمية التغير فى نتائج سمة ترجع للعامل الوراثى على كمية التغير فى النتائج التى تحتوى تأثير كل من الوراثة والبيئه .

ولم تكن مفاجأة ان يجد كاتل ان الذكاء هو السمة التركيبية الاكثر تأثراً بالوراثه . كما استنتج ان بعض جوانب الشخصية مثل طباع الحماس والابتهاج فى عامل الاندفاع التروى، والولع بالتفكير المتصف بالميل للانطواء فى بعد (الكوسثينيا) وحب الناس فى بعد التعاطف، والارتياب فى بعد الشك والارتياب تتحدد بعامل الوراثة الى حد كبير . فى حين ترجع سمات أخرى لعامل البيئه اكثر من عامل الوراثة مثل الراديكالية والمحافظة والتوتر ، ويرى كاتل إن عاملى الوراثة والبيئه يعملان معاً على تقوية أو إضعاف بعض السمات ، فالأباء الاكثر ذكاءاً من المحتمل ان يكون لهم ذرية اكثر ذكاء منهما اذا كانت البيئة التى يوفرونها لهم اكثر اثارة عقلية . وفى نفس الوقت قد يتعارض دور البيئة مع دور الوراثة فى التأثير على بعض السمات الأخرى مثلما يحدث عندما يحاول المجتمع الحد من الافراد الذين يتسمون بمستوى مرتفع من السيطرة والتسلط . وحرى بنا العودة الى القول بأن العلاقة بين الوراثه والبيئة علاقة مثيرة للجدل وليس من المعقول ان تصبح النتائج الاحصائية لكاتل كافيه لحل مشكلة قديمة قدم الدهر مثل مشكلة الوراثة مقابل البئية .

٢- التعليم : Learning :

فى حين يؤكد كاتل على ان بعض السمات تتأثر بعامل الوراثة أكثر من غيرها، فأنه كذلك لم يغفل أهمية التأثيرات البيئية والتعلم على نمو الشخصية - ويستنتج ان الاستجابات الانفعالية (مثل الإرتباط بالاخرين والمخاوف المرضية) ترتبط بمثيراتها البيئيه عن طريق عمليات معروفه من الإشراط الكلاسيكى، بينما يقيم الإشراط الإجرائى الطرق التى يتم فيها تكوين التفرعات وتحقيق الأهداف (راجع نظرية سكنر بالفصل السادس عشر) . وهكذا فإن الإطار الدينامى المتشابك ينتج أساساً من الإشراط الاجرائى . وعن طريق التعلم المقترن بالمكافأة نكتشف أنماط السلوك التى تشبع طاقتنا الفطرية ، والاطار المتشابك lattice هذا معقد لان السلوك قد يؤثر فى نفس الوقت على اكثر من هدف ففى الشكل (١٥-٣) مثلا قد يؤثر دفع الضرائب فى اشباع اثنين من

الطاقات هما الجوع والأمن على الأقل، كما يؤثر على عاطفتين هما الوطنية، والحساب البنكي للفرد.

ويستطيع البشر تحقيق أقصى درجة من الإشباع لطاقاتهم الفطرية عن طريق اظهار أو كبت بعض الدفعات الفطرية فى أى لحظة، والتعبير عن البعض الآخر، ويحمل هذا التعلم التكاملى integration learning بعض أوجه الشبه مع ما تسمى بالعملية الثانوية فى نظرية فرويد، ولكن كاتل ينظر اليها على انها تتضمن الأنا الأعلى والأنا معاً . (Cattell, 1965) .

٣- أنماط السلوك الوالدى parental Behavions

يوافق كاتل على قيام الوالدين بتأثير فعال على شخصية الابناء ، ولكنه يفضل مناقشة ذلك من خلال مصطلح السمات مصدرية التركيب (سمات المصدر Source traits). فهو يربط بين سمة التعاطف والخلفية الأسرية المتسمه بالدفء والحنان، حيث يتسم الأب بالمرح بينما تتسم الأم بالهدؤ ، ويستخدم الوالدين العقل والمنطق فى ضبط سلوك الطفل بدلاً من العقاب. كما أن قوة الأنا تكون مرتفعة بين الأطفال الذين يفضل والديهم المناقشة على العقاب، بينما تكون قوة الأنا منخفضة فى اطفال العائلات التى تسيطر عليها الأم. وتشيع سمة السيطرة فى الاطفال الذين يتصف والديهم بالتسلطيه ويفرضون نظاماً صارماً وينتقدون السلوك الجنسى لابنائهم ، فى حين ان سمة التردد والقلق Desurgency ترتبط بالأطفال الذين يظهر والديهم درجة مرتفعة من ضبط سلوك الابناء ، كما ان قوة الانا اكبر عند الاطفال الذين لاينتقد والديهم اختيارهم لأصدقاءهم ورفاقهم من الجنس الاخر، ولكنهم يظهرون لهم دفئا اكبر ويفضلون المناقشة على العقاب، وترتبط سمة الجرأة (المخاطرة والإقدام) لدى الأبناء بالوالدين الذين يظهرون تعاطفهم ويرفضون فرض النظام الصارم، ويتجنبون تعويد ابناءهم الاعتماد الزائد عليهم او الاهتمام الزائد بهم . . كما ترتبط سمة الجرأه كذلك بالوالدين قليلى الإهتمام بالنظام والإنضباط، ويسمحون بحرية الطفل فى التعبير عن عدوانه، ويستخدمون المنطق بدلاً من العقاب، ويفضلون الأطفال الأصغر سناً فى الأسرة عن غيرهم. أما أباء الأطفال الذين لديهم درجة مرتفعة من الارتياب والشك لديهم ميل للنشاط وهم شغوفين بالمناقشة والمجادلة . والأطفال المتصفين بالافراط فى الخيال هروباً من الواقع من المحتمل ان يكون لديهم أباء لايوافقونهم على حياتهم الجنسيه أو على أصدقاءهم، أما

الاستهداف للشعور بالذنب فيشيع في الاطفال الذين يتم ضبط سلوكهم بواسطة العقاب البدني والذين ينحدرون من أسر تغلب عليها سيطرة الأب ، والدرجة المرتفعة من كفاية الذات شائعة لدى الاطفال الذين ينحدرون من أسر تتسم بالسعادة الزواجية، وترتبط الدرجة المرتفعه من اعتبار الذات بالوالدين الذين يظهرون حبهم للطفل باستمرار ويستخدمون التفاهم اكثر من العقاب، وعلى العكس من ذلك فإن التوتر المرتفع يرتبط بالاستخدام المتكرر للعقاب ويظهرون درجة ضعيفة نسبياً من الدفئ والعطف (Cattell, 1973) .

وقد حاول كاتل الربط بين اساليب المعاملة الوالديه التي يستخدمها الأب والأم وسمات شخصياتهم، حيث وجد ان الأباء الذين يستخدمون الإهمال والإيذاء الجسدى فى المعاملة مع اطفالهم لديهم درجة مرتفعة فى كل من الارتياب (الشك)، عدم الامان، كفاية الذات ، التوتر ، ودرجة منخفضة من الثبات الانفعالى ، فى حين ان الامهات اللاتى يستخدمن نفس الاسلوبين يتسمن بدرجة منخفضة من الامتثال والثبات الانفعالى، ودرجة مرتفعة من الارتياب، وعدم الامان، والتوتر.

٤- الترتيب الميلادى Birth order

لقد فحص كاتل التأثيرات المحتملة لعوامل أخرى على نمو الشخصية مثل الترتيب الميلادى للطفل بين رفاقه فوجد أن الطفل الاكبر (الأول) يغلب ان يكون لديه درجة مرتفعة من قوة الأنا والسيطرة، وسمة المحافظة (كما توقعها ادلر) ، كما ان لديهم درجة منخفضة من قوة اعتبار الذات، فى حين يتصف الطفل الوحيد بدرجة مرتفعة من سمة المحافظة وقوة اعتبار الذات ، فى حين ان الاسره التى يوجد فيها اطفال عديدين فإن هؤلاء الأطفال يميلون لأن يكونوا اندفاعيين . كما توجد علاقة ارتباطيه موجبه بين حجم الأسرة ودرجة التوتر لدى الأبناء .

٥- الجنس Sex .

حيث توجد فروق عديده فى سمات الشخصية بين الجنسين فقد حققت الاناث درجة اعلى بدلالة إحصائية فى كل من التعاطف ، الامتثال، والحساسية، والتخيل، والدهاء ، وعدم الأمان، والتوتر، فى حين حقق الذكور درجة اعلى فى الثبات الانفعالى، السيطرة، الاندفاعية، الجرأة ، التنظيم الذاتى بينما لم توجد فروق بينهما فى كل من الذكاء ، والارتياب، والراديكالية، وكفاية الذات .

درس كاتل كذلك الطرق التى تنمو بها السمات مصدرية التركيب عبر الزمن، ومما يثير الدهشه ان العديد من هذه الانماط يبدو ان لها تفسيرات منطقية وصحيحة الى حد كبير. فعلى سبيل المثال يصبح الناس اكثر حنكه كلما تقدم بهم السن، ويعد ذلك انعكاساً لما اكتسبوه من ميراث كبير فى الممارسات والمهارات المرتبطه بالعلاقات الإنسانية. كما يظهر انخفاضاً واضحاً فى قوة الأنا لدى الذكور خلال مرحلة المراهقة، وهى الفترة التى يظهر خلالها عادة درجة كبيره من الإضطراب الداخلى (كما اوضح ذلك كل من اريكسون وسوليفان). وبعد ذلك تحدث زيادة فى قوة الأنا كلما اكتشف الإنسان منافذ اكثر نجاحاً للتعبير عن طاقاته. ويرجع انخفاض قوة الأنا لدى الذكور عن الإناث خلال هذه المرحلة لانهم يثورون بدرجة اكبر ضد السلطة فى هذه المرحلة عن الاناث كما يصبح الذكور والإناث اكثر سيطرة حتى حوالى العشرين من العمر، ويبرر ذلك بأن الأطفال غالباً ما يسمح لهم بدرجة اكبر من التوكيديه كلما كبرو فى السن. ويصبح الأطفال أقل عاطفه واندفاعية عند سن الذهاب للمدرسة، ويرجع كاتل ذلك الى الصعوبات المرتبطه بترك البيئة المنزليه المتسمة بالدفئ والأمان والحاجة الى مسايرة مناخ الفصل المدرسى بما يتصف به من تنافس وذاتيه، وتزداد قوة هذه السمات بعد ذلك مما يدل على العودة الى السلوك الاجتماعى المرغوب واستعادة الطفل قدرته على التكيف مع المواقف الجديده. ولنفس السبب يُظهر التوتر زيادة حادة عند سن الالتحاق بالمدرسة ثم ينخفض بعد ذلك، ويزداد الذكاء تدريجياً حتى حوالى الخامسة والعشرين من العمر ثم يبدأ انخفاضاً تدريجياً، أما سمة الراديكاية - المحافظة فهى السمة الوحيدة التى لايظهر تغير فى حدتها من الطفولة حتى الرشد وما بعدها. . عموماً يختلف ارتباط بعض السمات بالسن لدى الجنسين فعامل الامتثال يرتبط بالسن ايجابياً لدى كلا الجنسين فى حين يرتبط عامل الحساسية سلبياً، وارتبط عامل الذكاء بالسن ايجابياً لدى الذكور اكثر من الإناث، فى حين كان العكس بالنسبة لعامل التنظيم الذاتى، وارتبط عاملى الاندفاعية والراديكالية سلبياً بالسن لدى الاناث فقط .

تطبيقات نظرية كاتل :

١- علم النفس المرضى والعلاج النفسى :

يعد تفسير كاتل للإضطراب النفسى بمثابة الأمر الثانى الذى يختلف فيه كاتل عن اغلب علماء نظريات الشخصية، فهو يرفض اى أساس نظرى يتصف بالذاتيه المفرطه وينادى بدلاً من ذلك انه لكى تحدد معنى الاضطراب العصابى مثلاً بضرورة مقارنة النتائج الفعلية للسمات لدى الأفراد العصابيين بنتائج السمات ذاتها لدى الافراد الأسوياء . ومن ثم فهو يعرف العصابيين ببساطه بأنهم هؤلاء الاشخاص الذين يبحثون عن (أو يرسلون الى) العلاج لأن مشاعرهم وأنماط سلوكهم تلقى على كاهلهم وكاهل الأخرين حملاً ثقيلاً، وهؤلاء الذين يشخصون تبعاً لذلك ويمكن الحصول على نتائج أكثر تفصيلاً من بحثه عن تدنى قوة الأنا Low ego strength حيث كانت النتائج كما توقعها فرويد من قبل مثل الخضوع والتروى وانخفاض قوة الأنا الاعلى، والحساسية المفرطه، والشعور بالذنب، ووجود درجة مرتفعة من التوتر والقلق (الانواع المختلفه من العصاب تختلف عن بعضها البعض فى بعض السمات ولكن ليس بدرجة كبيرة) .

ومن خلال الملاحظة المبدئية للبيانات المتوفره فى ايدينا يمكن تحديد بعض اسباب المرض النفسى، فعلى سبيل المثال ترجع الدرجة المرتفعة من الحساسية الى اساليب معاملة والديه لأباء يسرفون فى تقديم الحماية والتهاون أو التسيب فى المعاملة ، كما وافق كاتل على أن الفشل المستمر فى اشباع دفعة فطرية واحده أو اكثر يمكن ان ينتج عنه سلوكا دفاعياً وصراعاً نفسياً وإضطراباً عصابياً ما ، على الرغم من أن هذا قد يرتبط باحدى السمات التى تجعل اشباع الدفعة الفطرية أقل احتمالاً .

ولا يوافق كاتل تماماً على رأى فرويد بأن الاختلاف بين العصابيين والذهانيين فرق فى الدرجة اكثر منه فرق فى النوع، ولكنه يعتقد أن ذلك ينطبق على الأسوياء والعصابيين، فالأسوياء والعصابيين يختلفان أولاً فى الدرجة ، ويمكن وصفهما تماماً من خلال سمات المصدر فى حين ان الذهانيين ذات نمط مختلف تماماً فى النوع وليس مجرد اختلاف فى الدرجة كما يتضح ذلك من الاعراض الحادة ونقص الاتصال بالواقع . ونظراً لأن كاتل يفضل دائماً التعريف الإجرائى فقد رأى انه من الضرورى توسيع نطاق قائمة السمات من خلال معلومات مستمدة من التحليل العاملى للبيانات المتوفره عن الأشخاص المترددين

على العباوات النفسية من المرضى العصابيين أو الذهانيين أو مدمنى المخدرات أو السيكوباتيين ، حيث كشف التحليل عن وجود اثنتا عشر سمة أولية باثولوجية جديده يختلف فيها المرضى النفسيين عن الأسوياء وهذه السمات هى :-

١- العامل D1 توهم المرضى Hypochondriasis

حيث تدل الدرجة المرتفعة فى هذا العامل بانشغال الفرد بالاختلالات الوظيفية الجسدية ، والشكوى المستمرة وغير المحددة من اعراض جسمية مرضية ويعتقدون ان صحتهم أسوأ من صحة الآخرين وانهم يشعرون بالكسل وان صحتهم تنحدر للأسوأ دائماً ، ويظهر هذا العامل بدرجة كبيرة لدى مرضى الاكتئاب وخاصة النساء .

٢- العامل D2الاكتئاب الانتحاري Suicidal depression

ذوى الدرجة المرتفعة فى هذا العامل يقررون انهم مشمئزون من الحياة ويضمرون التفكير فى الموت كخيار قابل للتطبيق - ويحصل مرضى الاكتئاب والفصام والسيكوباتيين على درجات مرتفعة فى هذا البعد .

٣- العامل D3 التهيج Agitation .

ذوى الدرجة المرتفعة فى هذا البعد يحبون اعمال المغامرة والمهن التى تتيح لهم فرص محادثة الآخرين وهم تواقين للمخاطره والمغامرة . ويحصل بعض فئات المدمنين ، والشخصيات المضادة للمجتمع على درجة مرتفعة فيه ، فى حين يحصل العصابيين والفصاميين ومدمنى الكحول على درجة منخفضة .

٤- العامل D4 القلق الاكتئابى Anxious Depression .

ذوى الدرجة المرتفعة فى هذا البعد يصفون انفسهم بأنهم غير بارعين عند تعاملهم مع الأشياء ، ويحلمون باستمرار باحداث مفزعة ، ويفتقدون الثقه بالنفس ، ويرتبكون ويصبحون غير قادرين على مواجهة الاحداث المفاجئه . ويحصل مرضى العصاب والفصام غير البارانويدى ومدمنى الكحول على درجة مرتفعة فى هذا البعد .

٥- العامل D5 الاكتئاب منخفض الطاقة Low energy Depresion .

ذوى الدرجة المرتفعة يقررون دوام شعورهم بالحزن والكآبة وعدم القدرة على النوم

بسهولة اذا رغبوا فى ذلك، ولديهم القليل من المتعة بالحياة ومُرهقين ويستيقظون ولديهم شعوراً بعدم النشاط والحيوية. ويوجد ذلك لدى الذكور المتعاطين للكحول والإناث المتعاطيات للمخدرات عموماً والإناث المكتئبات والفصاميات.

٦- العامل D6 الشعور بالذنب والاستياء Guilt & Resentment .

ذوى الدرجة المرتفعة لديهم استهداف للشعور بالذنب، حيث يؤرقهم فى الليل كل خطأ فعلوه فى النهار، وينتقدون ذاتهم، وهم ميالون الى تأنيب انفسهم عند حدوث أى خطأ، وتنتابهم كوابيس يتكرر فيها الخوف من ان يهجرهم الآخرين. ويحصل مدمنى الكحول والمخدرات وذوى الاضطرابات السلوكيه على درجة مرتفعة فيه.

٧- العامل D7 الملل والانسحابBordom & Withdrawal .

يقترن بهذا البعد شعوراً بان الحياة عديمة القيمة ومن السخافة الاهتمام بها، والميل الى تجنب الآخرين. ذوى الدرجة المرتفعة يشعرون بالاكتئاب وتسعدهم الوحده والعزلة. ويحصل الفصاميين ومدمنى المخدرات على درجة مرتفعة جداً فيه.

٨- العامل P a البارانويا Paranoia .

حيث يتوفر لذوى الدرجة المرتفعه شعوراً بالشك واحساس بالظلم والإضطهاد والغيرة من الاخرين والخوف من دس السم فى طعامه، الدرجة المتوسطه فى هذا البعد توجد لدى العصابيين ومدمنى الكحول، ومرتفعة قليلاً لدى مستعملى المخدرات، ومرتفعة جداً فى مرضى الفصام وخاصة فصام البارانويا وذوى الاضطرابات السلوكية.

٩- العامل Pp الانحراف السيكوباتى Psychopathic Deviation .

ذوى الدرجة المرتفعة أقل كبحا أو كفاً لسلوكهم عن ذوى الدرجة المتوسطه حتى لو تعرضوا للخطر أو الألم الجسدى أو للانتقاد من الاخرين، وهم يسعون لان يكونوا محل اهتمام من الاخرين أو هدفاً لنكاتهم ويمكنهم الاستمرار فى العمل بدون نوم دون ان يشعروا بالتعب وهم يستمتعون بالطوارئ والنزاع. يحصل العصابيون والفصاميون ومدمنى الكحول على درجة منخفضة فيه، بينما يحصل الذكور مدمنى المخدرات والسيكوباتيين على درجة مرتفعة.

١٠- العامل Scالفصام Schizophrenia.

بناءاً على التقريرات الذاتيه ، فإن الأفراد ذى الدرجة المرتفعة لديهم إضطراب فى التعبير اللفظى عن افكارهم ولديهم اندفاعات شاذه، ويشعرون ان العالم غير متعاطف وانهم مرفوضون ومدفوعين بواسطة الآخرين ، وانهم ذات أهمية قليلة بالنسبة للغير، ولديهم تشوش فى الذاكرة وشعور بعدم الواقعية ووجود خبرات بالهلوسة، ويحصل الفصاميون على درجة مرتفعة جداً بينما يحصل العصابيون ومدمنو المخدرات على درجة مرتفعة نسبياً.

١١- العامل As السيكاثينيا (الوهن النفسى)psychosthenia .

يتميز ذوى الدرجة المرتفعة بنمط استحواذى من السلوك ، حيث يقرر الفرد انه غير قادر على ضبط الذات، ويتضمن ذلك عد الأشياء غير الهامة ودوران الأفكار فى الذهن لأيام بدون سبب، وغالباً ما يكون قلق حول أشياء غير هامة ومن المتوقع وجود بعض أعراض الفوبيا. ويحصل مرضى الوساوس القهرية ومدمنى المخدرات على درجة مرتفعة فيه.

١٢- العامل Ps عدم الكفاية النفسية Psychological Inadequacy* .

يصف ذوى الدرجة المرتفعة انفسهم بأنه غير كفء لأى شيئ ، ويحدث لديهم تحريف فى الواقع المرتبط باحترام الذات، ويعتقدون انهم محكوم عليهم بالفشل أوأنهم غير صالحين لأى شيئ. يحصل مرضى العصاب والذهان عموماً على درجة مرتفعة فى هذا البعد .

وبالتحليل العاملى للسمات السوية الستة عشر، والسمات المرضية الإثنا عشر حصل كاتل (١٩٧٣) ، كروج ولوفلين Krug & Laughlin على نتائج مماثلة تقريباً لعشرة عوامل ثانوية هى الإنبساطيه ، والقلق، ومتانة التوازن Tough Poise ، والاستقلالية، والذكاء ، قوة الأنا الأعلى، التحفظ (الحذر) Discreetness ، الاكتئاب، الذهانية ، العصابية .

---

* لمزيد من المعلومات عن هذه السمات ودلالتها التشخيصية راجع الجزء الثانى من مقياس التحليل الاكلينيكى - الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧ .

وقد عرض كاتل ورفاقه عدد من نتائج الدراسات التى استخدم فيها مقياسى 16 P.F ، C.A.Q والتى طبقا فيها على عينات من الأسوياء والعصابيين والذهانيين والسيكوباتيين ومدمنى الخمر والمخدرات سواء اشترك فيها كاتل أم لم يشترك. ويمكن اختصارها على النحو الآتى :

- يسجل مرضى الفصام عموماً درجة منخفضة فى كل من الثبات الانفعالى، السيطرة، والإندفاعية، والجُرأة ، ودرجة مرتفعة فى كل من الحساسية والتخيل.

- كل من الذكر والإناث مرتفعى القلق لديهم درجة منخفضة فى كل من التعاطف، والسيطرة ، والاندفاعية ، ودرجة مرتفعة فى الدهاء ، ويسجل الذكور مرتفعى القلق درجة مرتفعة جداً فى التخيل فى حين يسجل الإناث درجة منخفضة فى نفس البعد، ويحصل الإناث مرتفعى القلق على درجة مرتفعة فى بعد الامتثال، فى حين يسجل الذكور درجة منخفضة فيه .

- حالات إضطراب الشخصية الذين يسلكون بشكل غير متوافق دون أن يصلوا بعد الى مستوى القلق العصابى يحققون درجة منخفضة فى الثبات الانفعالى ، والسيطرة ، والإندفاعية والتنظيم الذاتى، ودرجة مرتفعة فى كل من عدم الأمان والتوتر .

- حالات تعاطى المخدرات من الذكور لديهم درجة مرتفعة عن مدمنى الكحوليات فى كل من الراديكالية، الحساسية، وكفاية الذات. كما وجدت فروق بين الإناث المدمنات للمخدرات ومدمنات الكحوليات فى بعدى الحساسية وكفاية الذات. كما وجد أن السمات : الذكاء ، الثبات الانفعالى ، الإندفاعية ، الراديكالية ترتبط سلبياً بإدمان الكحول باستخدام التحليل التمييزى متعدد الخطوات. وترتبط سمات : التعاطف، الاندفاعية ، وعدم الأمان، وكفاية الذات ايجابياً بإدمان المخدرات . فى حين ترتبط سمات : الذكاء ، الامتثال، الجرأه سلبياً بها، وذلك بالإضافة الى الابعاد الإكلينيكيه السابق عرضها.

وفيما يتعلق بالعلاج النفسى فإن كاتل يتميز بكونه اجرائى وانتقائى معاً . ولذلك فهو يعتقد أن البحوث والدراسات سوف تصل ببراعة الى أن بعض اشكال العلاج ستكون فعالة لإضطرابات بعينها، وطرقاً أخرى تكون مفضله لاضطرابات أخرى . وعن خصائص

المعالج الجيد فقد وجد من خلال معطيات استمدها من دراساته ان المعالج النفسى الأكثر فعالية لديه درجة مرتفعة من التعاطف وقوة الأنا الأعلى والجرأة والحنكة، ومن المحتمل ان يكون المريض الذى لديه نسق معين من السمات سوف يستجيب افضل لمعالج لديه نفس النسق من السمات أو نسق مخالف له تماماً، وكذلك يوصى كاتل ان تقاس سمات المرضى باستمرار اثناء العلاج للتعرف على التغير الكمى والوصفى فى الشخصية والتى نتجت من التدخلات المختلفة للإخصائى القائم بالعلاج . ولكنه عاد ليعترف ان هذا الاقتراح قد لايلقى التأييد الكافى، وبرر ذلك بأن قلة من المعالجين هم الذين لديهم الوقت الكافى المطلوب لتطبيق وتفسير الاختبارات المكتوبة .

العمل : Work .

افترضنا فى جزء سابق وجود علاقة بين السمات المصدرية وتحقيق النجاح فى بعض المهن، ومن النتائج المثيره للاهتمام ما توصل اليه كاتل من ان انخفاض قوة الانا تميز الأشخاص العاطلين عن العمل دائماً ، وان رؤساء المؤسسات لديهم درجة منخفضة من قوة الأنا الاعلى (مما يدعم ذلك النوع من شاغلى الإدارة العليا الذين ليس لديهم رأفه ومنعة للضمير) .

ويوصى كاتل كذلك باستخدام المقاييس المختلفه للسمات فى مجال الارشاد والاختيار المهنى ، لان تحديد البروفيل الدقيق للشخصية سيجعل من السهل ان نطابق بين السمات والقدرات والخصائص المزاجيه لدى الفرد ومدى مناسبتها مع مطالب المهنه ، ويلفت الانتباه الى ان الاحتكام الى T.Data أفضل من الاحتكام الى Q.Data فى اغراض الانتقاء المهنى لان المتقدمين للوظائف قد يزيفوا التقارير الذاتية لكى تكون لديهم فرصة اكبر للاختيار من قبل الشركة أو المؤسسة المعلنه عن الوظيفه، ولكن فى حالة الإرشاد المهنى حيث يكون الهدف الاوحد والأساسى هو مساعدة طالبى العمل، فمن المتوقع ان يقدم العامل وصفاً ذاتياً أميناً ويفضل بالتالى الاحتكام الى Q.Data .

التربية : Education

يعد الذكاء اكثر سمات المصدر ارتباطا بالنجاح الاكاديمى فى المدرسة ، ويليه فى الأهمية قوة الأنا الأعلى - بعض سمات الشخصية تكون اكثر عوناً من غيرها فى مجالات معينه من مجالات التخصص الاكاديمى، فالحساسية ترتبط ايجابياً بتفضيل

اللغة، ولكنها ترتبط سلبياً بالدرجات المتحصله فى الرياضيات . ويميز انخفاض قوة الأنا الطلاب الذين يهملون أداء واجبهم والمتغيبين دائماً بغير اذن مسبق أو مبرر مقبول . اما انخفاض اعتبار الذت فيميز طلاب الجامعة الراسبين، فى حين يتميز المدرسين الأكثر كفاءة بسمات مثل : التعاطف ، الجرأه ، التخيل، والدرجة المرتفعة من اعتبار الذات، والواقعية، وكمثل الحال فى العلاج النفسى، يوصى كاتل بالإستخدام المتكرر لاختبارات الشخصية للأطفال الذين يمرون بخبرة الإرشاد التربوى لمشكلاتهم المدرسية (مثل الحصول على درجات ضعيفه على الرغم من وجود قدرات عقلية مناسبة) . للتعرف على الاجراءات الارشاديه والمنهجية التى تناسب هؤلاء الاطفال الذين لديهم نسق معين من السمات (Ewin, R.B.1984) .

علم النفس الإجتماعى :

خصص كاتل بعضاً من ابحاثه لمجال علم النفس الاجتماعى، والذى ناقشه كذلك من زاوية السمات المصدرية :

- **القيادة Leadership** : الاشخاص الذين يتم اختيارهم وظيفياً لقيادة مجموعة تغلب عليهم سمات مثل : التعاطف، الاندفاعية ، الجرأة ، درجة مرتفعة من قوة الأنا الاعلى، ودرجة مرتفعة من اعتبار الذات، والدافعية ، ودرجة منخفضة من التوتر، وعلى العكس فإن الاشخاص المسيطرين والذين يتسمون بمشاعر الذنب لايفضل اختيارهم كقادة، اؤلئك الذين يؤدون أعمالاً غير رسمية ولكنهم فعالين فى قيادتهم للمجموعة يتسمون بسمات من قبل : درجة مرتفعة من قوة الأنا ، واعتبار الذات ، والجرأة ، ودرجة منخفضة من الشعور بالذنب والتوتر .

- **الزواج marriage** : الأشخاص الذين يتصفون بكونهم عاطفيين، مندفعين، حساسين يميلون للزواج مبكراً (حول العشرين من العمر)، فى حين ان من لديهم درجة مرتفعة من التوتر فنادراً ما يفعلون ذلك، والزواج الذى يتصف بدرجة اكبر من الثبات والتوافق يغلب عليه ان يتصف كلا الزوجين بدرجة مرتفعة من قوة الأنا، الجرأة، وكفاية الذات، ودرجة معتدله من السيطرة، كما ان الشخص الذى يعانى من درجة مرتفعة من الشعور بالذنب اقل استمتاعاً وقدرة على تحقيق الرضا الجنسى فى العلاقة الزواجية .

- سلوك الجماعة Group behavior : الاشخاص الذين يتصفون بالتعاطف والسيطرة، والاندفاعية والجرأه غالبا ما ينجحون فى تكوين علاقات اجتماعية بشكل أسرع ، وعلى العكس من ذلك فإن اؤلئك الذين لديهم درجة اكبر من التوتر والشك من المحتمل ان يكونوا غير مرغوبين إجتماعياً ، واقل فعالية فى تأثيرهم على الجماعة .

- السلوك الدينى Religious behavior: الأشخاص الذين لديهم نشاط مستمر فى الجانب الدينى يتصفون بسمات من قبيل التعاطف والكفاية الذاتية ، ولكن ذلك غير شائع لدى المسيطرين والراديكاليين .

- شخصية الجماعات Syntality : لقد اجرى كاتل دراساته عن شخصية الجماعات ومنطقة فى ذلك " انه طالما ان سلوك الأفراد يتحدد بانتمائهم الي الجماعات المختلفه فانه من الأهمية بمكان أن تعرف أقصى ماتستطيع معرفته عن الجماعات التى ينتمى اليها الناس، وإذا كان لفظ شخصية يلخص سمات الفرد فإن لفظ Syntility يمثل سمات الجماعة. ولقد اتضح له ان هناك ثلاثة طرق يمكن للمؤسسات الإجتماعية والجماعات ان تؤثر بها فى سلوك الفرد. . الطريقة الأولى غرس القيم الاجتماعية غرساً عقيدياً على نحو قصدى، والطريقة الثانية هى تأثير العوامل الموقفية والايكولوجية على نحو غير مقصود من خلال ممارسات المجتمع ومؤسساته ، والطريقة الثالثة تنتج عن الانماط السلوكية التى تحدد نتيجة تأثير الطريقة الأولى والثانية" وتوصل الى نتائج هامه عن الفروق بين الثقافات المختلفه (لمزيد من المعلومات إرجع الى جابر عبد الحميد ١٩٨٦). كما قام بصياغة معادلات تخصصيه يمكن من خلالها التنبؤ بسلوك الفرد فى الجماعة (Cattell , 1964) .

نظرية كاتل فى الميزان :

اوجه النقد والخلاف :

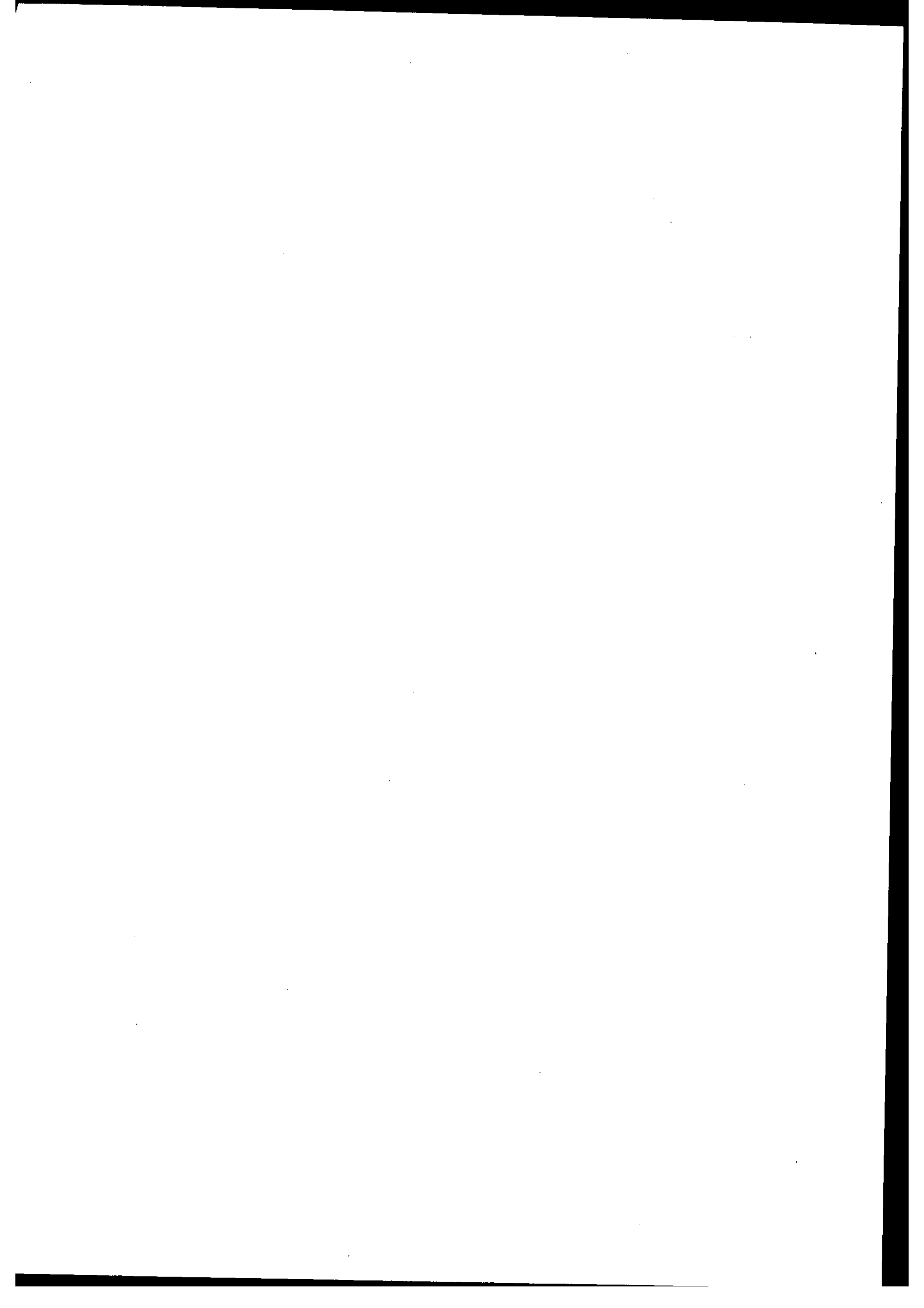
مع ان التحليل العاملى أداة جيده لتبسيط المصفوفات الكبيره للعلاقات الارتباطيه ، إلا ان قدرتها على اختبار الفروض والوصول الى حقائق جوهريه مازال محل جدل حتى من وجهة نظر أفضل المستخدمين لهذه التقنيه الإحصائية، كما يعترض البعض على اعتقاد كاتل بأنه اكتشف العناصر الأساسية للشخصيه، وعدم قبوله بان اكتشافاته لاتزيد عن كونها اكتشافات تجريبيه مؤقته، منظرين اخرين مثل روجرز واوبنهايمر Oppenheimer, R.

يحذرون من أن تحديد الشيء امر غير كاف علمياً ، وان على علماء النفس ان يبتكروا طرقاً اكثر ملائمة لمادتهم العلمية الفريده (النفس) بدلاً من محاكاة التحديد العددى كما فى الفزياء والكيمياء . ولسؤ الحظ ان من يقرأ مؤلفات كاتل سيجد صعوبة فى البداية فى فهمها بسبب طبيعتها الرياضية واستخدام ألفاظ جديدة .

كما ان نموذج كاتل عن الدافعيه يتماثل مع نموذج خفض الدافع أو الغريزه الفرويدى او لغيره من العلماء ، ويمكن ان توجه له نفس الانتقادات ، وكما رأينا فإن العديد من المنظرين يفضلون شرح الامراض العصابية والذهانية فى ضؤ خلفيه نظريه وليست إجرائيه، ومن المشكوك فيه ان يتعرف العديد من علماء النفس على مفاهيم مثل الكواشينيا وغيرها من المفاهيم الغامضه .

إسهاماته :

لقد امتدح كاتل لتأسيسه نظريته على البحث التجريبى وليس على مجرد التأمل الذاتى، كما شملت أبحاثه تنوعاً كبيراً فى أساليب القياس ، وطرقاً كثيراً للتفسير السيكولوجى، وعدداً كبيراً من الثقافات والجنسيات، وتعد جهوده المضنية انجازاً جيداً فى مجال علم النفس ، وخاصة جهوده فى إضفاء الصفة العلمية على اعماله، وعوامل الشخصية السويه والمرضيه التى تقدم وصفاً جيداً للشخصية الإنسانية فى السواء والمرض، مما يجعل من الصعب علنيا حقاً ان نتجاهل الاسهامات العلميه لكاتل فى مجال الشخصيه على الرغم من ان افكاره ومناهجه تبدو وكأنها خارج المسار الأساسى للفكر السيكلولوجى .



الباب التاسع

المدرسة السلوكية

الفصل السادس عشر : السلوكية الراديكالية

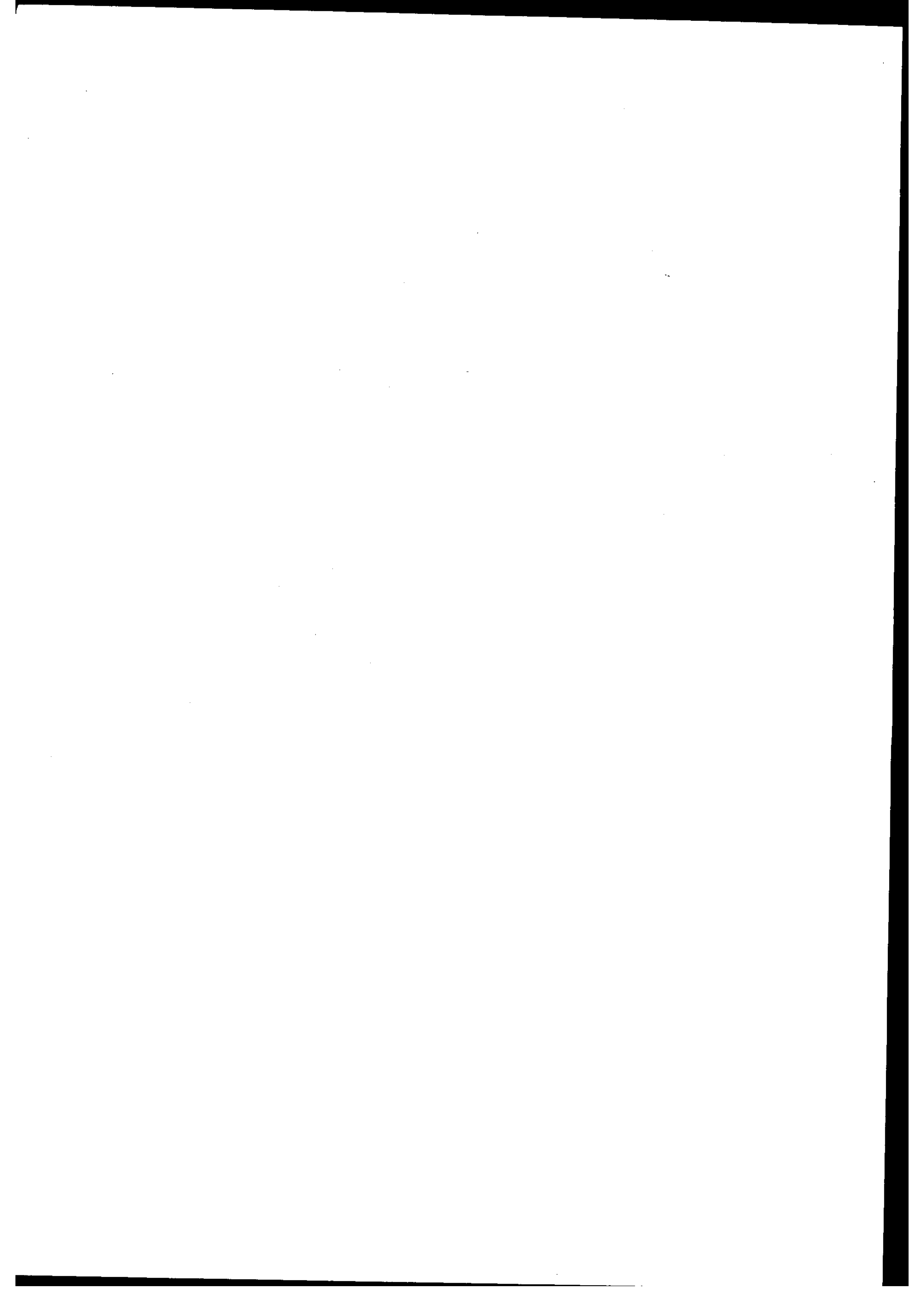
(الإشراط الإجرائى) ب . ف . سكنر

الفصل السابع عشر : السلوكية البديلة

(المدخل الانتقائى للسلوكية المعرفية) دولارد وميلر

الفصل الثامن عشر : التعلم الاجتماعى

(التعلم بالملاحظة) ألبرت بندورا



الفصل السادس عشر

السلوكيه الراديكالية

بوريس فريدريك سكنر

يسعى العديد من اصحاب نظريات الشخصية الى تفسير السلوك البشرى فى ضوء اسباب داخلية مفترضة مثل الغرائز ، الأنماط الأولية ، مشاعر النقص، السمات الحاجات، شروط القيمه ، والصراع بين المكونات المختلفه للشخصية ، ولاقت هذه التكوينا ت الداخلية نوعاً من القبول والصدق، ولكن منذ قدم فرويد غريزة الموت والنموذج التكويني لنظريته (الهو - الأنا - الأنا الاعلى) سعى عالم النفس الأمريكي الشهير واطسن الى انتقاد هذه النظريه، وبرهن على ان الفوبيا يمكن احداثها من خلال قوى خارجية ، والذى تأثر هو الآخر بأعمال النابغة الروسى إيفان بافلوف الذى يعد أول من اشار الى الإشراط ا لكلاسيكى والتى توصل اليها من خلال تجاربه الشهيره على الكلاب . بعد ذلك استطاع واطسن إجراء تجربه على طفل صغير عمره ١١ شهر يُدعى (ألبرت) لاتخيفه إلا الأصوات المرتفعه والمفاجئه ، فكان يقدم الفأر الأبيض مقترنا بالصوت المرتفع حتى حدث اقتران بين الخوف من الصوت المرتفع والفأر واصبح الطفل يخاف من الفأر الأبيض بعد أن كان لايخاف منه ، بل وعمم خوفه الى اية حيوانات تشبه الفأر الأبيض مثل الارانب ذات الفراء الابيض . وهنا اعلن واطسن أنه من الحماقه ان نرجع المرض النفسى الى عوامل داخلية كعقدة أوديب غير المحلولة ، أو صراعات الهو والأنا كما يدعى فرويد ، وتوصل الى أن علم النفس ينبغى ان يصب اهتمامه على دراسة السلوك فحسب، وقد كان سكنر من المؤمنين بفكر واطسن وبافلوف إلا انه كان يتميز بوجهة نظر مختلفه بعض الشيء . فبينما كانا يؤمنان (واطسن وبافلوف) بأن الاحداث التى تسبق السلوك هى التى تحدد درجة إحتماليه حدوثه (اقتران كلاسيكى) كان سكنر يؤمن بأن ما يحدد درجة حدوث السلوك هو الأحداث التى تعقب هذا السلوك (اقتران إجرائى) وهو ما سوف نعرضه بالتفصيل فى هذا الفصل .

نشأته وحياته :

ولد سكنر فى العشرين من مارس عام ١٩٠٤ فى مدينة صغيرة تسمى سوسكوهانا Susquehanna بولاية بنسلفانيا لأب يعمل بالمحاماه يتصف بالغرور والولع الشديد للمدح وأم جذابه وإجتماعية لكنها صارمه فيما يتعلق بالمسائل الجنسية ، واشتملت العائله على أخ أصغر كذلك . لكن العائله بشكل عام تعيش حياه مستقر وهادئه . ويصف طفولته بأنه عاش فى بيئه عظيمه مستمتعا بأنواع الفاكهة التى تنمو فى الفناء الخلفى لمنزلهم المتداعى للسقوط منطلقا الى الريف لجمع البندق من شجره ولكى يمسك بالسلاحف والفئران والسنجاب ، وقد بنى العديد من الالعاب والادوات إحداها كانت مرتبطه بخطاف فى حجرة نومه يعلق عليه ملابسه وتقابلها لافته مكتوب عليها علق ملابسك على الخطاف فإذا فعل ذلك هبط الخطاف وارتفعت اللاقته.ويصف قدرته على الابتكار فى طفولته مما ينبأ بالمخترع القادم لصندوق سكنر أو الصندوق الصغير وآلات التعليم المختلفه فيقول "لقد كنت دائماً اخترع أشياء ، فقد صنعت هراسة على شكل اسطوانى ، دراجه بخارية ، وعجل صغير لعربات نقل البضائع ، ومراكب الجليد، وعوامات تطفو على سطح البحيرات الصغيرة ، كما صنعت مناشير ، أحذية الانزلاق على الجليد، وصنعت من اعواد الخيرزان مسدسات وأقواس وسهام ، وصنعت مرجل لدفع البخار ، كما صنعت نماذج لطيور كالبلابل ، وطائرات تقاد بواسطة احزمه مطاطية ملفوفه، وصناديق للامتعه ،ومحركات مطليه بالقصدير يمكن قذفها لأعلى فى الجو بواسطه بكره وخيط من الغزل، كما حاولت عده مرات عمل طائره بلا محرك يمكن ان اطير بها بنفسى، كما اخترعت اشياء بعضها على شكل بدع مثل Rube Goldberg نشر عنها فى مجلة Philadelphia inguirer التى كان والدى يحررها ، كما تكسب سكنر من عمله حيث اعتاد هو وصديق له جمع الثمار وبيعها من باب الى باب واعد جهاز لفصل الثمار الناضجه عن غير الناضجة (Skinner, 1967) .

وعندما كان طالباً بالمدرسة اعتنى بالفنون المدرسية الحره ، وكان متفوقا فى اللغة الانجليزيه مما جعل هدفه المهنى الاول ان يصبح كاتباً وارسل العديد من قصصه القصيره التى كتبها الى الشاعر المعروف روبرت فورست Forst, R . وقضى عامين فى محاولات ادبيه يائسه ثم اكتشف أنه ليس لديه ما يقدمه رغم تشجيع فوستر له ، وشعر انه كان يبدد وقته بلا فائده وقضى فتره طويلة فى قرية جرينويتش Greenwich وسافر الى أوربا ويشبه

هذه الفترة التجريبية بالفترة التى عانى فيها إريكسون من أزمة الهوية ، وأخيراً عاد الى كلية هاملتون بنيويورك Hamilton college واتبع جدولا ثابتاً لحياته فينهض فى السادسة صباحاً ذاهباً للدراسة حتى التاسعة مساءاً ثم يعود الى فراشة ، لاوقت للراحة أو السينما أو مقابلة الجنس الآخر وحصل على ليسانس الاداب فى ١٩٢٦ فى الادب الانجليزى، وكان لاعجابه الشديد بافكار بافلوف وواطسن وموراى اكبر الأثر فى التحاقه بدراسة علم النفس فى جامعة هارفرد حيث حصل منها على درجة الدكتوراه عام ١٩٣١ ثم قضى خمس سنوات للعمل فى معمل عالم الاحياء المتميز جرويزر Groizer, W.J. الذى أثر كثيراً فى فكر سكنر بالإضافة الى آخرين مثل جاكوب لويب Loeb, j ، وشيرنجتون Sherrington من المتخصصين فى دراسات الجهاز العصبى، وفى ١٩٣٦ كانت أول مكانه اكاديمية له فى جامعة مينسوتا حيث حقق شهرة واسعة كأحد أشهر علماء النفس التجريبيين فى هذا الوقت ، وفى الأول من نوفمبر ١٩٣٦ تزوج من يافون بلو Blue, Y. وانجبا ابنتين وبقى فى مينسوتا تسع سنوات ثم قضى فترة قصيره فى جامعة انديانا وأخيراً عاد الى هارفرد وخلال هذه الفتره حصل على جائزه العالم المتميز من الجمعية الامريكية لعلم النفس ، وعضويه الاكاديميه الدوليه للعلوم، وهو أحد علماء السلوكية الثلاثة الذين تلقوا ما يسمى بالوسام العلمى للرئيس President's Medal of science وهو وسام يمنحه الرئيس الأمريكى لأفضل العلماء .

ويعد كتابه الأول سلوك الكائنات العضوية The behavior of organisms الذى صدر فى ١٩٣٨ بمثابة أهم عمل علمى له لكونه يتضمن المصادر الأساسية للتأثيرات العقليه وهو ما أدى الى ظهور نوع من التكنولوجيا ، واعيد طبع هذا الكتاب فى ١٩٥٣ بعد تعديله تحت عنوان العلم والسلوك الإنسانى Science and human behavior ويحتل كتابه السلوك اللفظى Verbal behavior (1977) المرتبة الثانية لكونه يكمل الحلقه الناقصه فى نشاط الإنسان ، اذ يفسر ما يقوم به علماء النفس المعرفيون عندما يسألون شخصاً ما بدلا من ان يقيسوا سلوكه . كما عرض أسس نظريته فى كتب كثيره مثل تكنولوجيا التدريس ١٩٦٨ ، واحتمالات التعزيز ١٩٦٩ ، وفيما وراء الحرية والكرامة ١٩٧١ حيث يعتبر فيه ان الحرية والكرامة من المفاهيم المعرقله لتطوير المجتمعات ، وقد اشار الى ذلك ايضاً فى روايته " ولدن - ٢ " (Wolden-2) التى نشرها بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة والتى استخدم فيها المبادئ السلوكيه لهندسة سلوك مجموعة كبيرة من الناس وتنظيمهم، حيث يصف فيها مجتمعاً من حوالى الف شخص يديرون حياتهم

وفقاً لعلم السلوك وبيع منها ما يزيد عن ٢ مليون نسخه، ومنذ صدورها تكونت جماعات اتخذت من ولدن (٢) نموذجاً لها ، مثل جماعة توين أوكس Twin oaks فى ولاية فريجينيا وهى جماعة تتبع المنهج التجريبى ولاتقبل طريقة الحياة المفروضه عليها" ومن كتبه التى يعتز بها حول السلوكية Abaut behavionism ، وحياتى الخاصه ١٩٧٦ ويعرض فيه السيرة الذاتية لحياته .

طبيعة الشخصية :

١- الحتمية / الحرية : Freedom - Determinism

يتحدد سلوك الإنسان من وجهة نظر سكنر من خلال تاريخه الإشراطى * حيث ينتج سلوك الفرد بداية نتيجة تدعيم مُسبق ، فالانسان يفعل ما يعزز عليه من سلوك ، ويختلف الناس باختلاف تاريخهم التدعيمى على ما يصدر عنهم من سلوك ايضاً ، ونظراً لأن الحرية غير معروفه فى التحليل التجريبى للسلوك لذلك فإن سكنر يعد من انصار مبدأ الحتمية المطلقه ويقول " اذا استخدمنا الطرق العلمية فى دراسة الإنسان فانه يجب ان نفترض ان السلوك محدد بقوانين وحتميات ثابته، كما يجب ان تتوقع ان ما سنكتشفه يدل على ان سلوك الإنسان هو نتيجة تعكس ما تعرض له من تشريط إجرائى، ومن ثم يمكن ان نتوقع والى حدما ما يحدد تصرفاته " (1953) .

وفى رأى سكنر فإن لدى الطفل عدد غير محدد من الاحتمالات السلوكية والوالدين هما الذان يدعمان أساساً ويشكلان تطوره ونموه فى اتجاه محدد. من ثم فإنه سيسلك فى ضوء ما يعزز عليه من تصرفات والسلوك غير المتبوع بتعزيز لن يقوى ، وتدريجياً فإن سلوك الطفل سيتم تشكيله فى نمط يحدد اتجاه الخبرات التشريطيه أو بمفهوم السلوكية غير التقليديه وعلماء النفس الاخرين ان شخصية الطفل تبزغ أو تبدأ تتضح وتظهر للعيان، وحيث ان العالم الاجتماعى للطفل يأخذ فى التمدد والاتساع فإن مصادر التعزيز تصبح اكثر مركزية فى تأثيرها على سلوك الطفل. فالمدرسة وجماعة الرفاق تصبح مصادر قوية للتعزيز ، ولكن قاعدة تحديد السلوك من خلال ما يقدم بعده من تعزيز تبقى ثابته ، ويتغير فقط نوع ومصدر التعزيز ، كما تظهر المعززات الجنسية والوظيفيه أو المهنيه أخيراً .

---

* الإشراط Conditioning : هو عملية ربط منبه باستجابة أو سلوك لم يكن بينه وبين ذلك المنبه صله فى الأصل وذلك عن طريق التداعى .

وبوصول الإنسان الى سن الرشد يصبح سلوك الإنسان متفرد بسبب تاريخه الإشراطى المتفرد كذلك .

٢- العقلانية / اللاعقلانية : Rationality- irrationality

ينظر سكنر للكائن العضوى على انه صندوق مغلق "Unopened box" وهذا الصندوق ربما يحتوى كل من العمليات العقلانية و/ أو العمليات اللاعقلانية ، ولكن لاتوجد احتمالية لأن يكون لها تأثير على السلوك البشرى ، حيث يرى سكنر أن السلوك داله فقط لقانون العلاقة بين المثير والاستجابة أو هو محكوم بهذه العلاقة ، ما هو فى الصندوق ، وما يخرج منه وما يتبع ذلك هى متغيرات مترابطه نحتاجها فى تحليل السلوك فقط ، وليس فى تحديد ما يحدث وما لايحدث بداخله . وقواعد السلوك غير معنيه بهذا المدخل الوظيفى ويطبق ذلك بالتساوى على الفئران والحمام والإنسان على الرغم من أن الأخير اكثر تطويراً لعمليات عقلانية إلا أنها لاتعنى أنصار السلوكية كثيراً لأن أبعاد كل من العقلانية واللاعقلانية ترجع الى عمليات افتراضيه داخلية تقع خارج إطار السلوك الملاحظ ولا تلعب هذه الافتراضات دوراً أساسياً فى افكار سكنر . .

٣- النظرة الكلية/الجزئية Holism-Elementalism

ما يرجعه الآخرون بشكل تقليدى الى الشخصية قام سكنر بترجمته بأنه لايعنى شيئ اكثر من مجرد تجميع لأنماط سلوكية تميز الشخص الممارس لها . مثل هذه الانماط السلوكية يمكن اختزالها الى استجابات محددة كل منها يتم اكتسابها من خلال الإشراط فشخصية الفرد إذن تتكون من استجابات معقده نسبياً ومستقله ، ولكى نفهم السلوك نصبح فى حاجة لأن نفهم فقط التاريخ التشريطى للفرد ، وبوضوح اكثر يتكون السلوك فى نظام سكنر من عناصر محدده (استجابات) .

ولمزيد من التوضيح حول اهتمام سكنر أساساً بالعناصر الأولية حيث يتضح ذلك فى مدخله الى دراسة السلوك ، وحيث اختبر عملية الإشراط بشكل شامل من خلال استجابات فردية تم اكتسابها وتعديلها ، فالفأر يضغط على القضيب ، والحمامه تنقر الصندوق ، ومن ثم فإن الوحدات التحليليه فى اعمال سكنر التجريبية تركزت على استجابات فردية وتحديد العناصر الأولية للسلوك لان ذلك يقوم على افتراض انه لايمكن فهم السلوك إلا من خلال تحليل تفصيلى لاجزاءه الأساسية .

ومن وجهة نظر سكنر فإن اختلاف الشخصية الفرديه لاتُعد اكثر مما يمكن مشاهدته بالعين من اختلاف الأفراد فى سلوكهم ، فشخصية (س) تختلف عن شخصية (ص) فقط بقدر ما يختلف سلوك (س) عن سلوك (ص). ولقد تكونت الشخصية عبر الزمن عنصر بعد عنصر ، ويختلف الناس فقط لأن تاريخهم الإشراطى الفردى يختلف. ان مثل هذا التحليل الفردى لعناصره الأولية تتعارض مع المفاهيم الكلية التى تميل لوصف التفرد من خلال مصطلحات توحى ببعض الفردية ، والتوحيد ، واظهار العوامل الخاصة فى سلوك الفرد كما يتضح فى نظرية موارى ، ولاتتفق وجهة نظرسكنر هنا مع وجهة نظر علماء الجشطلت الذين يرون أن الكل يساوى مجموع أجزاءه .

٤- البُنيوية (التركيبية) / البيئية : Constitutionalism- Environmentalism

لقد قضى سكنر الجزء الاكبر من حياته المهنية فى دراسة كيف يتم تعديل السلوك بواسطة العوامل البيئية مؤكداً على دور هذه العوامل فى تحديد وتعديل السلوك ومتجاهلاً دور العوامل التركيبية أو البنيوية (أى ما يتعلق بالبنية الجسمية والعقليه والصحية للفرد) كعوامل محدده للشخصية وللسلوك البشرى. ويعطى للبيئه دور الرياده فهى التى تحدد الطرق التى يسلك بها الفرد (أى تحدد شخصيته) من خلال مواقف التعزيز (والإشراط) فالإنسان فى رأى سكنر إبن البيئه .

ولتوضيح كيف يختلف الناس عن بعضهم البعض، لم يضع سكنر اعتباراً كبيراً للإختلافات البُنيويه وسار فى نفس فلك السلوكيين الأوائل مثل واطسن ، وذكر ان الاختلافات البيئية هى السبب الأساسى فى الاختلافات الفرديه ، والأكثر من ذلك فقد اكد على المتغيرات التى يسلك الإنسان فى ضوءها هى داله للبيئة (Skinner, 1977) . ولذلك فالاختلافات بين س ، ص لاترجع الى تفردهم التركيبى أو البنائى ولكن الى الاختلافات البيئية التى ينحدرون منها . واذا تبدلت بيئتهم عند الولاده فإن شخصياتهم عندالعشرين ستكون مختلفه كذلك .

٥- القابلية للتغير / عدم القابلية للتغير Changeability- Unchangeability

لايوجد أدنى غموض فى موقف سكنر من هذه ا لقضية، انه يقف فى الجانب المؤيد وبشده لقابلية السلوك الإنسانى للتغير عبر الزمن، ولم يتفق مع اغلب علماء الشخصية حول الظروف والعوامل المؤديه لتغير السلوك ، ويؤكد على ان النمو السيكولوجى ليس

مجرد عمليات تتم بشكل طبيعى من الفرد ويرى ان التغير الذى يحدث فى سلوك الناس على مدار حياتهم يرجع الى التغيرات البيئيه وما تقدمه من تعزيزات محتمله . كما ان سلوك الفرد يكون تحت سيطرته . وعلى خلاف بعض علماء الشخصية الذين وضعوا مراحل نمائيه للشخصية مثل إريكسون، فقد شرح سكنر أزمات الحياة من خلال مفاهيم التغير فى البيئه تاركه الفرد خلفها حاملاً معه ذخيره من السلوكيات التوافقيه التى تساعده فى الحصول على التعزيز فى المواقف المستقبلية ، ومن وجهة النظر هذه ، فإن التغيرات النمائية تعكس أساساً فرص التعزيز التى تمت خلال دورة الحياة .

وعلى خلاف النظريات التى حددت مراحل نمائية، لم يحدد سكنر مراحل عامه لتغير السلوك فهو يرى ان تغير السلوك يتحدد كنتيجة لتغير البيئة ، ولذلك فإن سلوك س هو نتاج البيئة وان سلوكه سوف يتغير تتبعاً لدرجة التغيرات التى تأخذ مكانها فى بيئته عبر حياته، والمحور المركزى أو الأساسى فى نظرية التعلم السلوكى هو دراسة هذه القوى التى تؤدى الى تغير السلوك ، ولذلك يرتبط سكنر أكثر بالقطب المؤيد لقابلية السلوك للتغير وتدور اعماله العملية فى هذا الفلك .

٦- الذاتية / الموضوعية Subjectivity- Objectivity

يقترح سكنر فى مدخله عن الكائن العضوى كصندوق مغلق ما يدل على اقتناعه ورضاه التام بالموضوعية فى دراسة السلوك البشرى ، فالفرد ليس فى حاجة دائماً للنظر داخل الصندوق ليشرح سلوكه ، وفى اتساق مع السلوكيين عموماً يوافق سكنر على أنه من الممكن شرح النشاط الانسانى بموضوعية من خلال العلاقة بين المثير والاستجابة، تحدث المدخلات فتنتج المُخرجات يتبع ذلك عملية التعزيز التى تحدد التشابه مع المدخلات فى المستقبل - ما الذى يُحتمل أن يفكر فيه الفرد أو يشعر به عندما يستثار أو يستجيب، ان ما يذكره يعد شرحاً أو وصفاً لسلوكه .

لاتعد الخبره الذاتية وحدها غير مرتبطه كلية بالموضوع فى نظام سكنر ولكن يعد ايضاً الرجوع اليها ملازماً للمصدر الأساسى للتداخل والتشوس فى علم النفس المعاصر، ففى حين ركز علماء النفس الاخرين على تركيبات تحدد الخبرات الداخليه فى الشخصيه (مثل الأنا عند فرويد، والكفاح من أجل الاستعلاء عند أدلر، وأزمة الهوية عند إريكسون، والحاجات عند موراى . . . وهكذا) لم يحدد سكنر اكثر من مجرد الأسباب الخارجية الحقيقية للسلوك . ومن ثم تعد الموضوعية بمثابة الفرض الهام الذى يقع تحت هذا النظام ويتفق ذلك مع رفض واطسن للعقل mind فى تعميماته المنطقيه المبكرة .

٧- المبادرة الذاتية بالتفاعل/ التفاعل المتبادل Proactivity - Reactivity

يعد وصف سكنر للسلوك الإنسانى على انه سلسله من المثير - الاستجابة - التدعيم بمثابة وصف يدل على التفاعلية المتبادلة ، فسلوك الفرد فى نظام سكنر هو داله وظيفية لضبط المثيرات الخارجية . مثل هذه التفاعلية تتضح اكثر فى الإشراط الكلاسيكى، حيث تستثار الاستجابة آليا بواسطة المثير غير الطبيعى الذى يقترن بالمثير الطبيعى، فكلاب بافلوف مثلاً تتفاعل مع صوت الجرس ، وبنفس الطريقه يستجيب الإنسان بالإبتسامة لمن يسانده أو لعبارات الشكر والمجامله من الاخرين - كما يوجد فى الإشراط الإجرائى دليل واضح على التفاعليه المتبادله، حيث ان الكائن العضوى يستجيب بحرية فلايمكن ان نفترض ان ذلك يتم بناء على نشاط سابق ولذلك تعد نظريه الإشراط الإجرائى من النظريات المؤكده على التفاعليه المتبادله،وتصرفات الإنسان تحركه وتقدحها بعض الأحداث ، وكل الناس فى نظرية سكنر ذات تفاعل تبادلى مع البيئة .

٨- التوازن الداخلى / الخارجى Homeostasis- Hetreostasis

يرجع بعض علماء النفس سلوك الإنسان الى حالة الدافعية الداخليه بصوره مبالغ فيها متجاهلين العوامل الخارجية . فتصرفات الفرد تكون أما لاختزال دافع أو خفض توتر داخلى أو سعياً نحو مزيد من النمو أو لتحقيق الذات ، ولكن سكنر لايرى ضرورة لهذه العوامل الداخلية، ولايستخدمها فى وصف وتفسير السلوك ، ويرى بدلاً من ذلك ان المكاسب الخارجية هى المحدد الفعلى والمسبب للسلوك. ويشبه الدوافع بنوع من الأشباح مرت على شجره فجعلت فرروعها لاتستجيب لتأثير الرياح عليها ، ولذلك لا يأخذ كلاً من التوازن الداخلى او الخارجى حيزاً كبيراً فى فكر سكنر . . ولكن ما الذى يحرك السلوك فى رأيه ، وما الذى يجعل الكائن العضوى يسلك بينما تبقى البيئة ثابته تقريباً ؟ وللاجابة على هذا السؤال علينا ان نختبر سلوك الفأر فى صندوق سكنر، نفترض أن الفأر الذى تعلم ضغط القضيب للحصول على طعامه قد تم تجويعه لمدة يومين سيلاحظ انه سيزيد من الضغط على القضيب بالطبع ، و سوف يفسر العقلانيين ذلك بأنه يرجع الى دافع الجوع. ولكن سكنر يرى ان مصطلح دافع الجوع ليس ذات معنى، وان ذلك يرجع الى مجموعة من المثيرات الخارجية والاستجابات الملاحظة ، فالجوع ببساطه كلمة لاتستطيع ان تصف العلاقه بين اجراءات موضوعية معينة (حرمان الحيوان من الطعام) ، وتكرار إتيان سلوكيات معينة (دوام الضغط على القضيب). فالجوع كحاله من

الدافعية الداخلية لاتسبب السلوك ولكن الإشراطات البيئيه هى التى تحدث السلوك فعلياً، ولم يستخدم سكنر الدوافع الداخلية لتفسير السلوك ، ولم يفترض احتمالاً معيناً عن دور التوازن الداخلى أو الخارجى كدافع للسلوك البشرى .

٩- القابلية للتعريف به (المعرفه) / عدم القابلية للتعريف به (اللامعرفة) Knowability- Unkmowability

يقف سكنر بقوه في جانب فروضى الحتمية والموضوعية وهو ما يتطلب بشكل منطقى الاتصال القوى بفرض القابليه للمعرفة ، فهو يؤمن أن السلوك يتحدد بواسطة عوامل خارجية وموضوعية ، هذه العوامل يمكن توضيحها بواسطة أساليب علمية دقيقه الى أبعد درجة ، كما ان كل أنواع السلوك يمكن تعريفها من خلال مصطلحات علمية .

ولايقبل سكنر فى عرضه لإمكانية التعريف بالسلوك الانسانى من خلال أسلوب علمى أى خطأ فى هذا الشأن ، حيث ضمن ذلك فى كتابه العلم والسلوك البشرى الذى تميزت خطوطه العريضه بالوضوح، والمنطقية والتفاصيل الشاملة التى تتفق كلية مع تطبيقات العلوم الطبيعية فى السلوك البشرى ويقول " تعد دراسة السلوك الإنسانى موضوعاً صعباً، ليس فقط لتعذر تحديده ولكن لانه معقد جداً ، حيث انه يعد عده عمليات اكثر من كونه اى شيئ اخر، وليس من السهل اخضاعه للملاحظه ، انه متغير ، ينساب بسهولة ويختفى بسهوله، ولهذا السبب يحتاج الى مطالب فنيه كبيره وجهداً كبيراً من العالم الذى يدرسه ولكن لايوجد شيئ لايمكن تفسيره فيما يتعلق بالمشكلات التى تظهر من خلال هذه الحقيقة . (1953) .

ورغم أن دراسة السلوك أمراً صعباً ، فقد بذل العلم كل الجهد لحل مثل هذه المشكلات ، ويوافق سكنر على أنه يمكن ان يفعل ذلك فقط عندما يتخلى الممارسين أنفسهم عن المفهوم الخرافى أو الوهمى عن الانسان ككائن حر ، وبأن هناك عوامل داخلية تستدعى تصرفاته ، كما يفترض ان الأساس العلمى لدراسة السلوك البشرى هو تطبيق المنهج العلمى بحذافيره على السلوك الإنسانى ، إنه من الضرورى النظر للناس من محددات موضوعية، أو بمعى اخر، يعتقد سكنر ان العلم الحقيقى عن السلوك سوف يتطور عندما يتبنى علماء النفس الاخرين افتراضه الاساسى عن الطبيعة البشرية .

	قوى	معتدل	ضعيف	محايد	ضعيف	معتدل	قوى	
الحرية							×	الحتمية
العقلانية	ليس لها تطبيقات							اللاعقلانية
الكلية							×	الجزئية
البنائية							×	البيئية
القابلية للتغير	×							عدم القابليه للتغير
الذاتية							×	الموضوعية
المبادأه بالتفاعل							×	التفاعل المتبادل
التوازن الداخلى	ليس لها تطبيقات							التوازن الخارجى
المعرفة	×							اللامعرفة

شكل (١٦-١) المحددات التسع الاساسيه للطبيعة الإنسانية لدى سكنر

نقلا عن هيجل وزيجلر (Hjelle, A:L & Ziegler, D.J., 1981) .

الإشراط الكلاسيكى (الاستجابى) مقابل الإشراط الإجرائى (الفعال) :

السببية والعلم :

يؤكد سكنر على ان هناك هدف أساسى لعلم النفس وهو التنبؤ والسيطره على السلوك المستقبلى ، ويؤيد فى ذلك وجهة نظر واطسن بان هذا الهدف لايمكن انجازه بواسطة اى نظرية تفسر سلوكنا بواسطة ميكانزمات داخلية كالمدرسة التحليلية مثلاً. ويشبه هذه التفسيرات بالاتجاهات غير العلمية لعلماء الفزياء القدامى الذين أمنوا أن احتراق المواد إنما يرجع لوجود مادة داخلية تسمى الفلوجستون Phlogiston ، أو أن الجسم الساقط الى الأرض يسرع لانه أصبح اكثر ابتهاجا لاقترابه من موطنه، وهو بذلك ينفى الصبغة العلمية عن النظريات التحليليه ويشبهها بالفكر الخرافى القديم، ويعتقد أن تفسير السلوك طبقاً لأسباب داخلية لاتزيد عن كونها اكثر من مجرد إسهاب أو ثراء لفظى

فى صياغة بديهيات، فالقول بأن الكائن الحى يأكل لانه جائع، ويهاجم لانه خائف أو لكونه يشعر بالغضب ، أو ينظر فى المرآه لانه نرجسى لايقدم شرحاً جديداً لدوافع السلوك، لأننا مازلنا مطالبين باكتشاف سبب شعور الكائن العضوى بالجوع أو الغضب أو النرجسية، حتى الوراثة لم تؤدى الى اختلافات كامله فى السلوك بين أفراد الجنس البشرى، ولكنها وضعت حدوداً معينة على السلوكيات التى يستطيع الانسان ممارستها فالاعتقاد بأن الشخص مجبول على سلوك ما تعنى اننا لانستطيع سوى تقديم القليل لتعديل ماجبل عليه، وهذا على خلاف الملاحظ، ولذلك يطالب سكنر علم النفس أن ينأى بنفسه عن عصور الظلام ويخلص نفسه من التركيبات غير العلمية التى تنطوى عليها نظريات الشخصية، ودراسة السلوك الفعلى للكائن الحى كداله للبيئة الخارجية التى يعيش فيها. تتكون السلسلة السببيه فى تفسير السلوك من ثلاث حلقات هى :

١- **المقدمات** : وهى عملية إجرائيه تحدث للكائن العضوى مثل الحرمان من الماء.

٢- **الاستجابه**: تشريط داخلى مثل الظمأ العضوى أو السيكولوجى.

٣- **النتائج** : نوع من السلوك مثل الشرب . وقد نتجنب الكثير من الاستطرادات المتبعه بفحص الحلقه الثالثة كوظيفه للحلقه الأولى ، لكن المعلومات الصحيحة عن الحلقة الثانية يمكن ان تلقى الضوء على هذه العلاقة ، ولكننا لانستطيع تغييرها بأى طريقة. ولذلك فإن اعتراضى ليس معناه انه لاتوجد تغيرات داخلية، ولكن اعتراضى ينصب على ان هذه التغيرات الداخلية لاتفيد كثيراً فى تفسير السلوك . (Skinner, 1972).

أنواع الإشراط :

يتفق سكنر مع كل من بافلوف وواطسن على أن بعض السلوكيات يتم تعلمها من خلال الإشراط الكلاسيكى أو الإشراط الاستجابى respondent ، وعلى سبيل المثال يصبح كرسى طبيب الأسنان مصدر للقلق بتكرار زيارته، وخاصة اذا كانت هذه الزيارات مصحوبه بآلام . فالمثيرات الشرطية عند بافلوف تسبق وتستدعى الاستجابة المشروطه. ولكن سكنر يعتقد أن القليل من السلوكيات يتم تعلمها بطريقة الإشراط الكلاسيكى، وان اغلب ما نتعلمه ناتج عما يعقب سلوكنا من تدعيم أو عقاب فيقول " من الواضح الآن أنه يجب ان نأخذ فى اعتبارنا ما تحدثه البيئه على الكائن العضوى ، ليس فقط قبل صدور الاستجابة ولكن بعد صدورها ، حيث يتشكل السلوك ويتحدد بواسطة نتائجه " (1972).

ولم يضع سكنر أية افتراضات على الإطلاق حول الإشباعات الداخلية الخاصة بحاجات الكائن العضوى ، أو خفض الدافع ، ولكنه ركز فى افترضاته على سلوك الكائن العضوى اثناء تفاعله مع البيئة وما ينتج من تأثيرات يتم تدعيمهاreinforced ، وهو ما يزيد من احتمالية تكرار حدوثها مستقبلاً ، ويعرف هذا السلوك بالسلوك الاجرائى أو الفعال Operants " فالسلوك الإجرائى هو السلوك الذى يؤثر فى البيئه فيحدث تغيرات فيها ويتأثر فى الوقت نفسه بتلك التغيرات ولذلك فهو داله لتوابعه، ونستطيع القول ان السلوك الإجرائى أقرب ما يكون الى السلوك الارادى ، إذ أنه يحدث تلقائياً، أى ان حدوثه ليس نتيجة مثيرات سابقه معينه ولهذا تقول ان السلوك يصدر عن الفرد. فالانسان يقرأ ويفكر ويغنى ويصفق ويضحك ، وهذه سلوكيات إجرائية تضبطها توابعها، فالمطرب يعيد بعض المقاطع من الأغنيه عندما يصفق له الجمهور، والطفل يقول الكلمة عدة مرات اذا ضحكنا له وعبرنا عن فرحنا، وهكذا . وقولنا ان السلوك الإجرائى يحدث تغيراً فى البيئه لايعنى بالطبع انه لاتسبقه مثيرات بيئية أو انه لايتأثر بتلك المثيرات، ولكن هذه المثيرات السابقه لاتضبط السلوك الإجرائى كما هو الحال بالنسبه للسلوك الاستجابى، فالمثيرات السابقه تكسب القدره على ضبط السلوك الإجرائى من خلال ارتباطها بنتائج السلوك" (جمال الخطيب ، ١٩٨٧) ،ويسمى هذه العملية التى يتم التعليم من خلالها بالإشراط الإجرائى operant conditioning (أو التشريط الفعال). حيث تقدم مثيرات تابعه Consequnt stimuli قد تزيد من احتمالية حدوث السلوك الإجرائى تعرف بالمعززات الايجابية Positive reinforcer ، أو تضعف وتحد من احتمالية حدوثه تعرف بالمعززات السلبية Negative Reinforcer اعتماداً على طبيعتها .

وعلى سبيل المثال : الشخص العطشان الذى لم يتناول أية سوائل لعدد من الساعات ربما يكون من التدعيم الايجابى له ان يذهب الى المطبخ، ويتناول كوب من الماء البارد، وهو ما يزيد من احتمالية تكرار نفس الاستجابه فى الظروف المماثله، وقد تصدر استجابات مختلفه كتناول كوب من العصير أو المياه الغازية ولايستطيع أحد أن يفترض أن شرب الماء ليس معززاً فى هذه الحالة ، ولكى نتأكد من ذلك علينا بدراسة تأثيره على الكائن العضوى، وبالمثل سيصبح خلع الحذاء الضيق لتقليل الألم الموجع على القدم بمثابة تدعيماً سلبياً لأنه يزيد من احتمالية تكرار نفس السلوك عند ارتداء الشخص حذاءً ضيقاً والإحساس بآلام موجعه فى القدم. (Skinner, 1976) .

ويختلف الإشراط الكلاسيكى عن الإشراط الإجرائى فى :-

١- **موعد حدوث التعزيز** : يحدث التعزيز فى الإشراط الكلاسيكى قبل حدوث الاستجابه الشرطية ، فى حين يأتى فى الإشراط الإجرائى بعد حدوث الاستجابة. ففى تجارب بافلوف كان صوت الجرس والطعام (المعزز) يأتيان أولاً قبل الاستجابة (سيلان اللعاب). وبعبارة أخرى . فإن الاستجابه فى الإشراط الكلاسيكى تعتمد على ما يسبقها من حوادث ، فى حين تعتمد الاستجابه فى الإشراط الإجرائى على ما يعقبها ، فلو تأملنا فى بكاء الطفل لوجدنا أن الألم أو عدم الارتياح قد يكون كافياً لإحداثه ، وفى أحيان أخرى يحدث البكاء لأن الطفل قد تعلم أن البكاء قد يجلب انتباه والديه ، فالبكاء فى الحالة الأولى هو استجابه كلاسيكية، أما فى الحالة الثانية فهو استجابه إجرائية .

٢- **دور المثيرات** : المثير الشرطى فى الإشراط الكلاسيكى لايستدعى الاستجابه إلا إذا اقترن بمثير طبيعى لفتره من الوقت أو لعدد من المرات ، أما فى الإشراط الإجرائى فإن المثير الذى يستدعى الاستجابه هو مثير طبيعى تم تعزيزه ولو بمحض الصدفه. فقد لاحظ سكنر ان الاستجابه التى يعقبها تعزيز ولو بمحض الصدفه قد تزداد ، وقد درس هذه الظاهره عن طريق تقديم طعام لايعتمد على الاستجابه الى الحمام الذى حرم من الطعام وذلك كل (١٥ث) ، فوجد ان الاستجابات التى كانت تحدث قبل تقديم الطعام مثل حركة الرأس وسرعة المشى كان من المحتمل أن تتكرر ، ومن المحتمل ان تعقب تقديم وجبات الطعام التالية . والقاعده البسيطة التى يمكن وضعها للتفريق بين النوعين فى هذا الشأن. انه فى الإشراط الإجرائى تُنتج الاستجابه مثيراً ، أما فى الإشراط الكلاسيكى فإن المثير يعقبه مثير (غازدا وكورسينى ١٩٨٣).

٣- **طبيعة التغيرات التى تحدث** : يتغير أثر المثيرات الحياديه التى لاتستدعى الاستجابة أصلاً الى مثيرات استجابية فى الإشراط الكلاسيكى ، حيث يتحول صوت الجرس أو الضوء الأحمر الى مثيرات تستدعى الاستجابة (سيلان اللعاب). أما فى الإشراط الإجرائى فقد تتغير سرعة أو شدة أو معدل حدوث السلوك .

٤- **صفة السلوك والجهاز العصبى المرتبط به** : الاستجابة فى الإشراط الكلاسيكى لا إرادية تمثل نوعاً من الفعل المنعكس الشرطى البيولوجى أو السيكولوجى مثل سيلان اللعاب لسماع صوت الجرس نتيجة اقترانه بمثير طبيعى (الطعام)، ولذلك فإن الجهاز العصبى المسئول هو الجهاز العصبى المستقل (اللاإرادى)، أما الاستجابة فى الإشراط

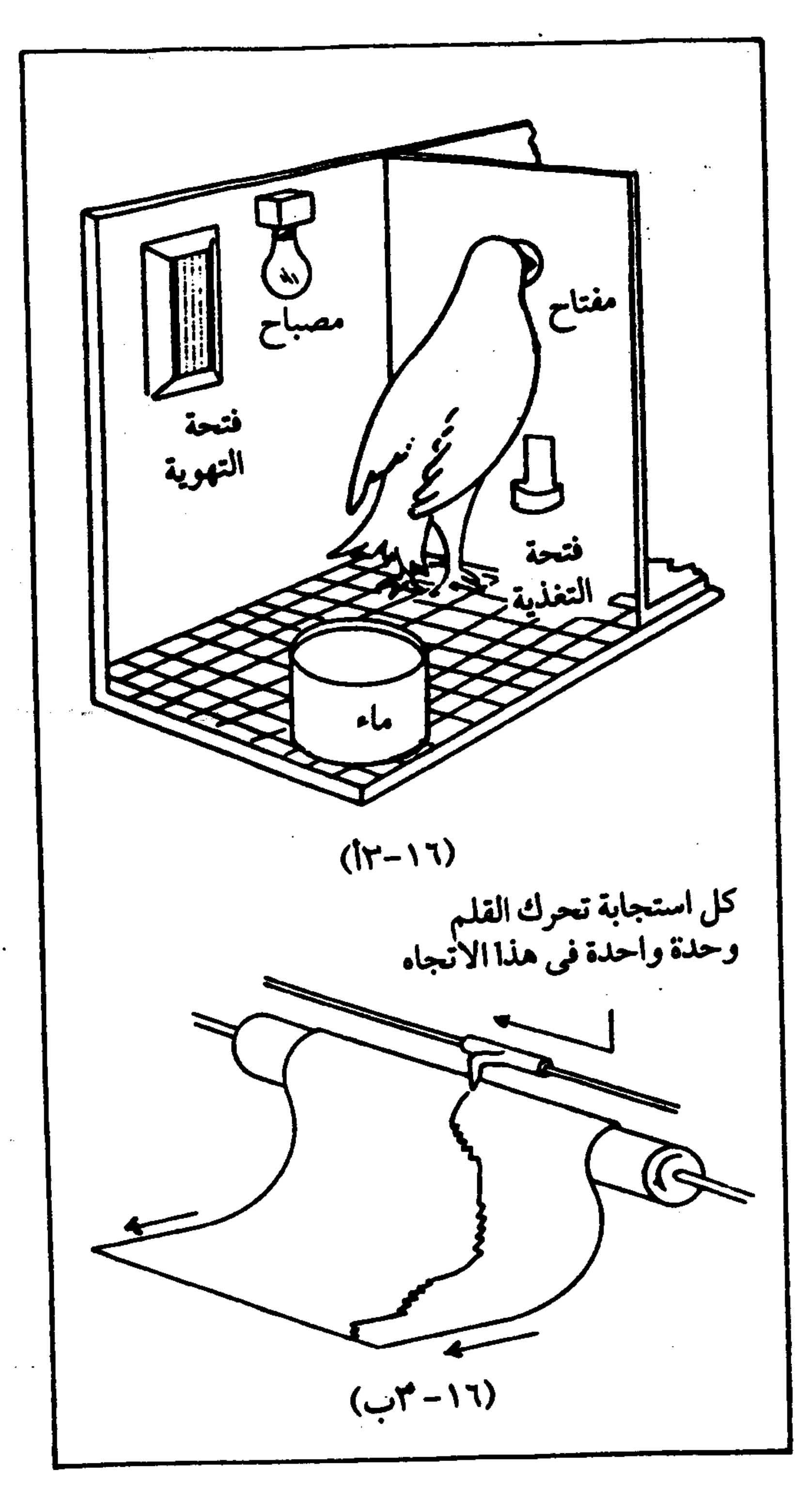
الإجرائى فإنها تحدث بفعل تأثير المعززات أو العقاب الذى يلى سلوك مماثل فى السابق ولذلك فالسلوك إرادى ويخضع لسيطرة الجهاز العصبى الارادى .

٥- ما يتعلمه الكائن العضوى : غالباً ما يكسب الإشراط الكلاسيكى للكائن العضوى سلوكيات انفعالية مختلفه كالمخاوف والمشاعر والاتجاهات فى حين يكسبه الإشراط الإجرائى سلوكيات هادفه ولذلك فهو اكثر فعالية فى مجال العلاج النفسى .

أسس الإشراط الإجرائى :

إهتم سكنر بالتنبؤ والتحكم فى السلوك البشرى فإجرى معظم أبحاثه على الطيور والحيوانات كالحمام والفئران كمادة تجارب لكونها اكثر سهولة فى البحث تحت الظروف المعملية ، حيث ادت عوامل عديده كالطعام الذى تتناوله ، وإعداد مساكنها ، وضعف قابليتها للإصابة بالأمراض المختلفه ، وصغر حجمها وتكلفتها البسيطه وحياتها الطويلة تسبباً الى جعلها كائنات مناسبة لإجراء التجارب عليها (غازدا وكورسينى ١٩٨٣)، ومن الناحية المنهجية ستجد ان سلوكها بسيط ويسهل تحديد خطواته ، ولأن عوامل التعزيز بدورها وإجراءاته يمكن تحديدها واستخدامها فى ظروف أفضل من تلك التى تيسرها ظروف التجريب على الإنسان ، فضلاً عن إمكانيات الضبط التجريبى من دقة الملاحظة والقياس وتسجيل النتائج عن طريق اجهزة مصممة خصيصاً لاغراض التجريب على الحيوانات ، مما يقلل من اثر متغيرات أخرى لم تكن فى الحسبان (ابراهيم وجيه ب . ت). وقد تمت دراسة عملية الإشراط الإجرائى باستخدام عدد بسيط من الأجهزة ابتكرها سكنر ، ومازالت تستخدم حتى الآن من قبل الآخرين وأطلق عليها صندوق سكنر Skinner box أو جهاز الإشراط الإجرائى كما كان يفضل هو تسميته . حيث يمكن للكائن داخله ان يصدر استجابات متكرره يسهل تحديدها ، ويطلق على هذه الاستجابه ، الاستجابة الإجرائية الحره .Free operont Response

وأحد اشكال هذه الصناديق عباره عن مكعب خشى أجوف احدى جوانبه من السلك المعدنى طول ضلعه من الداخل قدم واحد (٤ر٣١سم) ومزود بمفتاح إضاءه من البلاستيك (أو قرص) وفى نهايته فتحه تسمح بنزول الطعام عند نقر الحمامة على المفتاح أو القرص . (شكل١٦- ٢ أ) ويمكن برمجة هذه الاجهزه لتسمح بالتعزيز المتصل أى بعد كل نقرةعلى القرص أو بالتعزيز المتقطع على فترات . ويتصل المفتاح بنظام تسجيل الكترونى يعطى رسماً لمعدل استجابة الحمامة بصورة آليه (شكل١٦- ٢ب).



يوضح هذا الشكل رسماً مختصراً لصندوق سكنر المستخدم مع الحمام وفى الجزء الأسفل منه يتضح الرسم التخطيطى الناتج عن نقر الحمامة على القرص

كما ابتكر سكنر ايضا اشكالاً متعدده ومختلفه للصندوق لاستخدامها مع الحيوانات غير القادره على نقر القرص كالفئران ، حيث يمكن تعزيزها ايجابياً بتقديم الطعام لها بعد أن تصدر استجابتها وهى الضغط على قضيب معدنى يؤدى نفس غرض القرص البلاستيكى ، كما يسمح الجهاز بدراسة تأثير التعزيز السلبى بعد النقر على القرص أو الضغط على القضيب، وذلك بإبطال أو وقف صدمة كهربية يتعرض لها الطائر أو الحيوان. كما يستخدم لدراسة نتائج معقدة للسلوك ربما تكون مشروطة مثل تعزيز سلوك الحمامة عند نقرها تتابعياً على الأقراص (كما فى حالة إصدار الكائن استجابه تعتمد على مكانها أو لون الإضاءه داخل الصندوق)، كما يسمح الجهاز كذلك بدراسة احتماليات التعزيز Contingencies of Reinforcement التى تتحكم من خلالها فى السلوك الكلى الذى يشمل العلاقات الداخلية بين كل من المثير البيئى (القرص أو القضيب) ، والاستجابة نفسها (نقر القرص أو جذب القضيب)، والتعزيز اللاحق (الطعام).

مفاهيم أساسية فى نظرية سكنر:

أولا : التعزيز : Reinforcement

كل حدث يمكن أن يعقب استجابة ما ويزيد من احتمال (أو معدل) حدوثها سمى معززاً Reinforcer . وتنقسم المعززات الى نوعين أساسيين هما :

١ - المعززات الموجبة Positive Reinforcers

وهى المعززت التى تمد الفرد بما يبعث فى نفسه السرور بعد كل سلوك أو استجابة، وتنقسم الى :

أ - معززت أولية موجبة Primary positive- Reinforcers وهى المعززات التى ترتبط ببقاء الفرد واكتسبت قيمتها التعزيزيه بدون تدريب كالطعام والشراب ومزيلات الألم .

ب - معززت ثانويه موجبة Secondary positive Reinforcers هى معززات تتبع الاستجابة وتزيد من معدلها ولكنها اكتسبت قيمتها التعزيزيه أما بالتدريب كالمدح والاهتمام والتلاحم الجسدى (كالرتب على كتف الطفل)، والتعبيرات الوجهية كالابتسام. أو قد تكتسب قيمتها التعزيزيه كنتيجة اقترانها بمثيرات بيولوجية طبيعية كالمال الذى نشترى به الطعام والعلاج وغير ذلك . . .

٢- المعززات السالبة Negative Reinforcers

فى حين يقدم للكائن الحى فى حالة التعزيز الايجابى شيئ ما يرغبه ، إلا أنه فى حالة التعزيز السلبى يتم استبعاد شيئ ما لايرغبه وتنقسم المعززات السلبية الى نوعين أيضاً :

أ - معززات أوليه سلبية Primary negative Reinforcers وتتضمن أى استجابة تزيل أو تخفض المثيرات غير المرغوبه التى توقع أى نوع من الأذى أو الضرر بالكائن العضوى ويترتب على ذلك زيادة السلوك كالأصوات المرتفعة أو الضوء الساطع أو الصدمات الكهربية . ويسمى هذا النوع من التعزيز أحياناً بالهروب العارض escape contingency حيث ان استجابة الكائن العضوى تسمح له بالهرب من الموقف المنفر أو المكروه .

ب - معززات ثانويه سلبية Secondary negative reinforcers : كل مثير طبيعى يقترن بشكل ثابت مع معزز أولى سلبى يتحول الى معزز ثانوى سالب سوف يجعل العضو يكافح من أجل الهرب منه كما يفعل فى حالة التعزيز الأولى السالب. ومن أمثلة المعززات الثانويه السلبية ممارسة سلوك اللعب اثناء الوقت الحر الذى يمنحه المدرس لطالب أحسن الإجابة على سؤاله اثناء الحصه. أو الخروج المبكر من المدرسة نتيجة الالتزام بالنظام طوال اليوم الدراسى ويجب أن نلاحظ أن كل من التعزيز السلبى الأولى أو الثانوى يتضمنا الهروب من مواقف مكروهه، وان كل من التعزيز الموجب أو السالب يؤديان الى زيادة احتمال حدوث الاستجابة أو معدل حدوثها اذا كانت تحدث بدرجة قليله، وتدل نتائجهما عن شيئ ما يريده الكائن (Hergenhahn, B.R. 1980) .

ثانياً : العقاب : Punishment

أما أن يتضمن العقاب إزالة معزز موجب أو اضافة معزز سالب. أو بعبارة أخرى . فالعقاب يتضمن استبعاد شيئ يرغبه الكائن العضوى أو إضافة شيئ يكرهه الكائن العضوى. وقد اكد سكنر على اعتقاده ان السلوك يمكن ضبطه باستخدام الإشراط الايجابى أولاً وهو يشعر بقوة أن كل من التعزيز والعقاب غير متضادين فى نتائجهما ففى حين يقوى التعزيز الايجابى السلوك، ليس بالضروره أن يضعفه العقاب فيقول " صمم العقاب لإزالة السلوك العنيف والخطر وغير المرغوب فيه ، ولكن ليس بالضروره ان نفترض ان الشخص الذى يعاقب يقل ميله لكى يتصرف بنفس الطريقه مرة أخرى ، ولسؤ

الحظ فان الموضوع ليس بسيطاً ، فكل من التعزيز والعقاب لايختلفان فقط فى اتجاههم لتغيير السلوك، ولكن الطفل الذى يعاقب مرات عديده بسبب اللعب الجنسى ليس بالضرورة أن يميل بعض الشيئ لتجنبه، والرجل الذى سجن بسبب ميوله الإجرامية ليس بالضرورة أن يتجنب العنف مستقبلاً وقد يعاود ظهور السلوك المُعاقب عليه(1971) .

كما يجدر الإشارة هنا الى الربط بين العقاب والسلوك الذى يأتى به الكائن الحى وليس الكائن الحى ذاته ولذلك يجب القول بانه تم عقاب رفع الفأر للرافعه وليس عقاب الفأر . وعلى العموم يمكن تقسيم العقاب الى نوعين هما :

١- العقاب الايجابى :

وهو كل إضافة لشيئ غير مرغوب أو مؤلم يتعرض له الكائن العضوى بعد إتيانه استجابه ما على أمل أن يترتب على ذلك إضعاف هذه الاستجابة أو توقفها كلية وينقسم الى :

أ - العقاب الايجابى الاولى Primary Positive Punishment وهو كل ما يعرض حياة الكائن العضوى لخطر كالضرب أو الصدمات الكهربية والعمل الشاق المتواصل كما فى اعمال السخرة وأحكام الأشغال الشاقة التى تصدر على السجين أو غيرها .

ب - العقاب الايجابى الثانوى Secondary positive Punishment وهو العقاب الذى يرتبط عادة بالعقاب الإيجابى الأولى فى الصغر عاده كالسب واللوم والتوبيخ .

٢- العقاب السلبى :

وهو كل استبعاد لشيئ سار أو مرغوب يتعرض له الكائن العضوى بعد اتيانه استجابة ما على أمل ان يترتب على هذا العقاب إضعاف الاستجابة أو توقفها وينقسم الى :

أ - العقاب السلبى الأولى : Primary negative punishment كالجوع والعطش أو الحرمان الجنسى أو الحرمان من النوم أو الحرمان من التعبير عن الرغبات والإحباطات .

ب - العقاب السلبى الثانوى : Secondary negative Punishment كالحرمان من مشاهدة التلفزيون أو برنامج محبب فيه كعقاب له على الانخراط

فى اللعب بالشارع وإهمال المذاكره مثلاً، أو الحرمان من رحلة نهاية الأسبوع لزيارة الأقارب أو المصروف اليومى (وكلها من صور العقاب السلبى الثانوى المادى) ، أما الحرمان من المدح والتشجيع والابتسام فهى عقاب سلبى ثانوى معنوى أو غير مادى وإن كان يصعب الفصل بينهما عادة .

ورغم ما للعقاب من تطبيقاته العلاجية التى سيرد ذكرها فى نهاية هذا الفصل إلا أنه اجراء مرغوب عنه للأسباب الآتية :

١- لايقمع الاستجابة إلا بصورة مؤقته ، حيث لاحظ سكنر من خلال تجاربه أن استمرار قيام الفأر بالضغط على الرافعه بفعل التعزيز المتمثل فى الطعام كان يقل عندما كان الضغط على الرافعة يصاحبه أيضاً صدمه كهربية، ولكن الضغط على الرافعة كان يعود لسابق مستواه بمجرد توقف الصدمات الكهربائية .

٢- يكسب الشخص المعاقب سلوكيات غير مرغوبه قد تكون أسوأ مما يعاقب عليها، حيث يجعل الشخص خائف (أو يُعلمه الجُبن) لانه يدله على ما يجب ألا يفعله بدلاً من ان يدله على ما يجب أن يفعله ، كما يجعله يستمتع بآلام الآخرين أو يكسبه العدوانية والقسوه ويعلمه الفاظ غير مرغوبه، ويؤدى الى نقص المهاره واللياقه الإجتماعية .

٣- يحل استجابة غير مرغوبه محل استجابة أخرى غير مرغوبه أيضاً وتمتد تأثيراته الى الجوانب اللاشعورية فى الشخصية ، ويكاد يتفق سكنر هنا مع فرويد فيما يترتب على العقاب الشديد من تداخل مع السلوكيات الصحيحة، ويعطى مثال على ذلك بالمراهق الذى يعاقب بقسوه نتيجة فعل جنسى خاطىء ربما يلاقى صعوبه بالغة فيما بعد عند ممارسة العلاقة الجنسيه الزواجية لأن الأفعال التمهيديه لهذه العلاقة اصبحت تجلب مشاهد وأحاسيس بغيضه أكتسبت بطريقة مشروطة .

٤- أنه قد يفقد سيطرتنا على من نرغب فى تعليمهم السلوك المرغوب ، فتكرار عقاب الطفل من قبل والده أو والدته أو مُدرسه قد يؤدى الى نفور الطفل منهما ومن المنزل أو المدرسة ككل الى الحد الذى يؤدى الى الهرب من المنزل أو الغياب المتكرر عن المدرسة والبحث عن بديل يقدم التعزيز كرفاق السوء مثلا .

ونظراً لهذه العيوب فقد اكد سكنر على التعزيز الايجابى للسلوك المرغوب فيه وتجاهل السلوك المرغوب عنه. وهو ما يعرف بالتعزيز الفارق فالوالدان اللذين لايعيران

أى اهتماما لنوبات الغضب عندالطفل فى حين يستجيبان فقط للسلوك المنظم والأكثر هدوءاً سوف يحدان من ثورات غضبه وهذا ما يجب أن يفعله أصحاب العمل ورجال التربية والقيادات السياسية حين يرفضون المتطلبات والتهديدات القاسية للعمال والطلاب، والقوى السياسية المعارضه، ويستجيبون اذا ما قُدمت هذه الطلبات بطريقه مقبوله، ويعد ذلك أفضل من اللجوء الى عصا التأديب والسياسات الديكتاتورية .

ويمكن توضيح أنواع التعزيز والعقاب من خلال الشكل الآتى :

	إضافة شئ	أستبعاد شئ
مرغوب فيه	تعزيز ايجابى	عقاب سلبى
مرغوب عنه	عقاب ايجابى	تعزيز سلبى

شكل رقم (١٦-٣)

ثالثا: التشكيل : Shaping

لا الحمامه ولا الفأر التى تم وضعهما فى صندوق سكنر كانا مدركين بدرجة كافية ان الصعود لأعلى ونقر القرص أو الضغط على القضيب يؤدى الى امداده بالطعام ومن ثم فقد حدثت المحاولة والخطأ وانتظر بعضها فترة طويلة من الوقت حتى صدرت الاستجابة الصحيحة الأولى التى يتم تعزيزها، ونظراً لأنه فى بعض الحالات لاتبدأ الحمامة بنقر القرص إلا بعد نفاذ صبر المجرب، وحيث ان التعزيز لايمكن أن يستدعى الاستجابة ما لم تحدث الاستجابة الأولى فعلا أو استجابة قريبة منها ،وبدلاً من طول الانتظار حتى ينقر الحمام المفتاح فقد اتبع سكنر اجراءً يساعد على حدوث الاستجابة المرغوبة بسرعة واسماه التشكيل (أى تشكيل سلوك الحيوان بالصورة المطلوبة) . فى البداية يجب تعويد الحيوان على الصندوق ومكان فتحه الطعام، ولانشغل قرص التغذية إلا اذا قامت الحمامة بحركة ما صوب المفتاح أو القرص كأن تلف تجاهه أو تتجة برأسها صوبه، وبعد تعزيز حركتين أو أكثر سنلاحظ ان الحمامة أصبحت تمضى أغلب وقتها داخل الصندوق أمام القرص، ومن ثم يجب الاهتمام بتعزيز توجيه الحمامة لمنقارها صوب القرص حتى نتأكد ان التعزيز سيجعل الحمــامة تستمر فى حركة منقارها نحو القرص حتى تنقر القرص فى إحدى الحركات وفى هذه الحالة يمكن للمجرب ان ينسحب لأن الجهاز معد تلقائياً بحيث يترتب على نقر الحمامة للقرص نزول الغذاء من فتحة التغذيه آلياً ومن ثم تستمر

الاستجابة فالتشكيل اذن هو إجراء يشتمل على الانتقال خطوه خطوه من مستوى الاداء الحالى الى مستوى الأداء المطلوب وذلك من خلال التعزيز التفاضلى للتقاربات التدريجية من السلوك المستهدف. مثل هذا التشكيل لايستغرق اكثر من بضع دقائق، وبهذه الطريقه نستطيع ان نبنى إجراءات معقدة لايمكن ان تظهر فى ذخيرة الكائنات العضوية الأخرى .

ولايقتصر استخدام التشكيل علي الابحاث المعملية فقط ، ولكنه يلعب دوراً هاماً فى التعليم الإجرائى فى الحياة الواقعية ، فالطفل خلال نموه يتعلم الكلام والمشى من خلال نسق متوالى ومتتابع يتم تعزيزه ، كما يحدث عندما يصبح اكثر قدره على المشى أو الكلام ، ثم الحصول على موافقة الآخرين على ذلك . كما يستخدم التشكيل فى تعليم الحيوانات بعض المهارات الحركية كالقفر من الأطواق المشتعله بالنار ، والرقص وتعلم الافراد بعض المهارات الرياضية والكتابة وتعلم لغة أجنبية ، وتعليم الأطفال للكثير من المهارات ، كما ان له تطبيقاته العلاجية كما سيرد فيما بعد .

رابعاً : جداول التعزيز :

يمكن برمجة صندوق سكنر ليمدنا بالتعزيز بعد كل استجابة صحيحة وهو ما يعرف بالتعزيز المتصل Continous reinforcement ، ولا يشيع هذا النوع من التعزيز فى مواقف التعلم ، . فلاعب الجولف لايكسب فى كل ضربة ، ولاعب القمار كثيرا ما يفشل فى جمع النقود بل يخسر نقوده ورغم ذلك يستمر فى اللعب ، ولذلك فقد واصل سكنر دراساته المكثفه لمعرفة الطرق التى يتأثر بها السلوك من خلال التعزيز المتقطع أو الجزئى .intermittent (Partial) reinforcement ، أى تعزيز السلوك احيانا وليس دائما أما بعد فترات زمنية ثابته أو متغيرة ويعرف ذلك بجداول تعزيز الفترة الزمنية أو بعد عدد معين ثابت أو متغير من الاستجابات يجب ان يقوم بها الكائن العضوى ويعرف ذلك بجداول تعزيز النسبة .

١ - جداول تعزيز الفترة الزمنية interval schedules reinf وتنقسم الى نوعين :

أ - جداول الفتره الزمنية الثابته Fixed-interval sch. (FI) فى هذا النوع يتحدد التعزيز بناءً على فترة زمنية محددة أو ثابتة ويقدم المعزز لأول استجابة تحدث بعد مرور تلك الفترة ، وبعد ذلك تبدأ فترة زمنية جديده وهكذا ، فإذا حددنا فترة زمنية ولتكن دقيقة

واحده فإنه يتم برمجة الجهاز بحيث يقدم تعزيزاً للنقر على القرص بعد مرور دقيقة من التعزيز السابق وقد وجد ان الحمامات التى دربت على ذلك كانت تسرع بالنقر عند الوقت الحرج ثم تأخذ فترة من الاستراحه قبل ان تعاود السلوك وتعرف هذه الظاهرة بخمود الفترة الثابته .Fixed- Interval Scallop ، ويشبه هذا النوع من التعزيز تفقد الفرد لصندوق بريده فى وقت معين كل يوم ، او متابعة الحسابات (مراجعة الخزانة) لصرف المرتب فى يوم معين من الشهر .

ب - جداول الفترة الزمنية المتغيره (Variable-Interval sch. (VI ، حيث يتم التعزيز فى فترات زمنيه متغيره تتراوح حول مدى زمنى معين أقل أو اكثر منه ، (اقل أو اكثر من دقيقه بثوانى مثلاً) ويتميز هذا النوع من التعزيز بمثابرة الكائن العضوى على السلوك المرغوب لأنه لايعرف متى يحدث التعزيز ومن ثم تحدث اقصى درجة من التعلم، كماانه يدوم لفترات طويلة ويكون اكثر ثباتا ولاتحدث فيه ظاهرة الخمود كما فى الفترة الثابته، حيث وصلت الاستجابات الى عشرة آلاف مره قام بها الحمام فى بعض تجارب سكنر، واوضح مثال على ذلك ما تحدثه الامتحانات الفجائيه من جعل الطالب مستعد دائماً من خلال المذاكره والتحصيل .

٢- جداول تعزيز النسبه Ratio Sch.rein : بدلاً من إعطاء التعزيز بعد فترات زمنية ثابتة أو متغيره يتم اعطاءه بعد عدد من الاستجابات بصرف النظر عن المدة التى تمر بين كل تعزيزين . وتنقسم جداول تعزيز النسبه الى نوعين :

أ - جداول النسبه الثابتة (Fixed-ratio sch. (FR حيث يقدم التعزيز بعد عدد معين من الاستجابات كتعزيز سلوك الحمامة بعد ٥٠ نقرة على القرص، وهو ما يتبعه بعض اصحاب المصانع لزيادة الجهد المبذول من قبل العاملين بمنحهم مبلغ ثابت عن كل قطعه ينتجها بعد عدد محدد ومتفق عليه . أو منح الطالب مكافأة ماديه اذا أجاب عن اسئلة الامتحان كاملة وغير منقوصه أو نسبه منه يتفق عليها، وغالباً ما تحدث فترة خمود بعد التعزيز .

ب - جداول النسبة المتغيرة (Variable-Ratio sch (VR حيث يدعم الكائن العضوى بعد عدد غير ثابت من الاستجابات أقل أو اكثر من النسبة المطلوبة كتعزيز سلوك الحمامة بعد ٤٠ أو ٦٠ نقرة على القرص . فعدد الاستجابات المطلوبه للتعزيز هنا متغيرة وغير ثابتة ولكنها تتراوح حول متوسط محدد، وكما هو الحال فى تعزيز الفترة الزمنية

المتغيرة تكون المثابرة على السلوك أكثر ، ولاتحدث فترة خمود بعد التعزيز حيث اعطت بعض الحمامات فى تجارب سكنر معدلات مرتفعه وصلت الى (٥٠٠٠) نقره قبل حدوث التعزيز ، حيث اعطى التعزيز فى البداية بعد ٥ ثم ١٠ ، ثم ١٥ وهكذا .

ولقد ابتكر سكنر ودرس العديد من جداول التعزيز المعقده، فالتعزيز قد يعُطى بناءً على كل من جداول النسبة الثابتة أو جداول الفترة الزمنية الثابتة ويتوقف ذلك على ايهما يكون مشبع أولاً . وربما يكون كل من تعزيز النسبه الثابتة ، وتعزيز الفترة الزمنية الثابتة معاً مشبعاً لكى يحدث اكبر قدر من التعزيز، وربما يعتمد على جدولين أو اكثر بشكل متناوب، وعلى اية حال فإن أشكال جداول التعزيز كما أوضحها سكنر تعد محددات هامة للسلوك اكثر من كميته أو نمطه. (Skinner, 1978) .

خامسا : التعزيز الشرطى والإشراط التجنبى Avoidance contingency :

إذا أقترن مثير طبيعى بالتعزيز بشكل متكرر ، فإنه سيكسبه القوه ليقوم بعمل التعزيز تماماً . مثل هذه المعززات المشروطه conditioned (Secondary) reinforcers أو الثانوية تختلف عن نموذج بافلوف فى أنها تحدث بعد الاستجابة وتفيد فى تقوية الاستجابة وليس إستثارتها أو ظهورها . . ولتوضيح ذلك اذا اقترن وصول الحمامة الى طعامها مع ومضه خفيفه من الضوء . فإنها سوف تتعلم نقر المفتاح حتى تنتج الضوء وحده (والذى اصبح بمثابة مدعم ايجابى مشروط) .

فإذا ما تعود الإنسان فى الماضى ان وجود سحابه سوداء ستتبعها باستمرار عواصف رعديه، فإن ظهورها بعد ذلك سيجعله يهرع الى مأوى يحميه من هذه العواصف (1978) . وتعرف هذه العملية بالأشراط التجنبى أى الاقتران فى سلوك يحول دون وقوع حدث منفرد أو مكروه، ففتح الشمسيه يحول دون حدوث البلل شتاءً أو ضربات الشمس صيفاً (وكلاهما شيئ مكروه) . وبالمثل ، إذا اعد صندوق سكنر بحيث يصدر الضوء قبل الصدمه الكهربيه مباشرة فإن الحيوان سوف يستجيب للضوء بطريقة تجنبه حدوث الصدمة ولذلك يعد الإشراط التجنبى احد المعززات السلبية ولكن الفرق بينه وبين التعزيزات الأوليه والثانويه السلبية الأخرى ، انه فى حالة الإشراط التجنبى يسلك الكائن سلوكاً تجنبياً يسبق وقوع الحدث المؤلم اما فى حالة التعزيز السالب الاولى والثانوى فإن الكائن يسلك سلوكاً هروبياً لكى يتفادى اثار الحدث المؤلم الذى وقع بالفعل، ومن امثلة الإشراط التجنبى عدم الخروج فى الأيام الممطره والبارده جداً أو الحاره جداً وتجنب

مرافقة ذوى الأمراض المُعدية أو مسايرة رفاق السوء ، وكل مظاهر اتخاذ الحيطه فى تفاعلات الحياة اليومية .

بعض المعززات الشرطية يشيع اقترانها بمعززات أولية متنوعة ، ومن ثم تكتسب تأثيرها بشكل جزئى . وعلى سبيل المثال : فالمال (يعد غير ذات قيمه فى حد ذاته) يمكن ابداله بالطعام والشراب والمأوى ، وغير ذلك فإنه سيفيد فى تعزيز سلوك الشخص غير الجائع والذى لايعمل من أجل الطعام . ومن الأمثله الأخرى : المعززات المعممه Generalized Reinforcers وهى معززات شرطية تستمد فعاليتها من ارتباطها بمعززات أوليه أو ثانويه مختلفه مثل الانتباه أو الموافقه والاستحسان من الآخرين والتى غالبا ما تكون قد اكتسبت تأثيرها من اقترانها بمدعمات أولية فى السابق .

سادساً : الحرمان (التجويع) والإشباع :

لم يكن التعزيز هو العامل الوحيد المؤثر على احتمالية ظهور السلوك الإجرائى ، فالحمامة التى تم تجويعها أو حرمانها deprivation من الطعام لبعض الوقت زاد معدل نقرها للقرص عن الطائر الذى كان فى حاله من الشبع ، وبالمثل فإن الطفل الذى يمتنع عن شرب اللبن ربما تقل إحتمالية هذا السلوك لديه عند منعه لفترة من الوقت عن شرب الماء . وكما يقول سكنر " إنك حتما تستطيع ان تقود الحصان الى النهر ، ولكنك لاتستطيع ارغامه على الشرب ، ولكن بتنظيم مدة وشدة الحرمان (من الماء) فإننا سنكون متأكدين قطعا بأن عملية الشرب سوف تتم " .

ونظراً لرفض سكنر للأسباب الداخلية ، فقد عرف دوافع مثل الجوع والعطش والجنس والنوم من خلال مصطلحات يمكن قياسها بدقه إجرائية مثل كمية الوقت التى مرت بدون حدوث عملية التعزيز (أو ساعات الحرمان) ، أو مقدار انخفاض أو نقص الوزن الذى حدث نتيجة الحرمان (وتقاس بالنسبه المئويه لزيادة الوزن الذى تحقق عند السماح للطائر للأكل بحريه) . " النتيجة النهائية للتعزيز ليست هينة فى تقويتها للسلوك ، ولكن يمكن زيادة فعاليتها من خلال الحرمان . فالتعزيز فى هذه الحالة (تحت ظروف الحرمان أو التجويع) - يجعل السلوك تحت السيطرة والتحكم المناسب . فنحن نستخدم الحمامة الجائعة فى تجاربنا ولانستطيع ان نبرهن على التشريط الإجرائى بطريقه أخرى "

وفى حين يزيد الحرمان من احتمالية التشريط الإجرائى فإن الإشباع Satiation ربما يستخدم لانقاصه. فأصحاب المطاعم الذين يحددون أسعاراً ثابتة لوجبات الغذاء ويأملون الحصول على عائد مادى نظير ذلك ربما يزيدون من كمية الخبز الجيد فى بداية الوجبه، أو يقدمون شرائح خبز وبرنامج ترفيهى مما يساعد على خفض ما يشبه السلوك العدوانى لأعضاء الطبقات الفقيره من المجتمع .

سابعاً : التعميم : (حث المثيرات والاستجابة) .

يميل السلوك الإجرائى الى تعميم المثير الذى يماثل المثير الشرطى بدون أى تشريط إضافى ، فعلى سبيل المثال حينما يتم تعزيز سلوك الحمامة عند نقر مفتاح احمر اللون، فإنها ستكرر نفس الإستجابة عندما يظهر بلون مختلف كالأصفر أو البرتقالى ويطلق على هذه العملية حث المثيرات Ss. inducfion أو تعميم المثيرات S.generalization وهذا الأمر شائع أيضا فى الإنسان . فالشخص الذى ينتظر مكالمه تليفونيه هامه قد يندفع نحو التليفون عند سماع جرس الباب . ويعد تعميم المثيرات شرط ضرورى ولابد منه فى عملية التعلم حيث انه لايتطابق موقفين تمام التطابق فى كل جوانبهما ، ومن ثم فبدون التعمم ستكون فى حاجه لان نتعلم كيف نستجيب فى كل موقف جديد يواجهنا . كما يلعب التعميم دوراً فى توليد بعض المخاوف المرضيه، والقلق وغيرها . فالطفل الذى تعرض للعض من كلب أسود مثلاً سوف يخاف من كل الكلاب ، بل ومن نباحها أيضاً .

كما يقوى الإشراط الإجرائى الاستجابات الأخرى المماثله للسلوك الإجرائى ، وتعرف هذه العملية بحث الاستجابات Rs. Induction أو تعميم الاستجابات Rs. generalization ، فالتدريب على أحد المهارات السلوكية ربما يحسن الأداء فى مهارة أخرى. فتعلم لغة أجنبية قد يسهل من تعلم لغة أخرى، والشخص الذى يقود السيارة يكون من السهل عليه ان يقود أى نوع اخر من المركبات . "فتعزيز الاستجابة يزيد من احتمالية ظهور كل الاستجابات التى تحتوى نفس عناصرها" .

ثامنا : التمييز :

لو استطاع الكائن الحى ادراك الاختلاف بين مثيرين أو ادراك العلاقة بين حضور مثير وغياب مثير آخر، فإن ذلك يعلمه ان يستجيب لكل منهما بطرق مختلفه ويعرف هذا السلوك الاستجابى بالتمييز discrimination مثال ذلك فإن الفأر سوف يضغط على القضيب عندما يُعطى إضاءه ويتم تدعيمها ولكنه لن يضغط على القضيب فى الاحوال

المخالفه، والحمامة التى تعلمت ان نقر القرص الآحمر يتم تدعيمه دون القرص الأخضر فستقوم بنقر القرص الأحمر فقط. ويطلق على هذا النوع من التعزيز بالتعزيزي الفارق differential reinforcement وهو تعزيز أحد اشكال السلوك دون غيرها، أو تعزيزه فى موقف ما أو وقت ما دون غيرهما. وهنا يتعلم الكائن العضوى ان السلوك الذى تم تعزيزه هو السلوك الصحيح أما السوك غير المعزز فهو سلوك خاطئ. والضوء الأحمر يحث قائد السيارة للضغط على الفرامل (الكوابح) لان تجاوز الإشاره الحمراء قد يعرضه لحادث تصادم مع سياره أخرى لها احقيه المرور او يعرضه لغرامة أو حبس من رجل الشرطه الذى يراقبه بينما لايفعل ذلك مع الضوء الاخضر. وللتمييز دور هام فى كثير من مواقف التعلم الأخرى مثل تعلم المهارات الإجتماعية فنحن نداعب الاشخاص الذين يتسمون لما نلقيه من نكات بينما لانفعل ذلك مع من يعبسون فى وجوهنا. وفى تعلّم المهارات السلوكية، " فعازف البيانو أو لاعب الجولف الماهر يصبح قادر على معرفة الحركات الجسميه الصحيحه، ويصحح أوضاعه الجسميه الخاطئه فى حين ان المبتدء لايستطيع ان يفعل ذلك، وهو ما يعزز وضعه لتحقيق افضل أداء". (1976). كما أن له بعض التطبيقات العلاجية (مثل علاج مشكلة مص الإبهام من خلال إطفاء التلفزيون اذا ما وضع الطفل أصبعه فى فمه وهو يشاهد برنامج محبب له).

تاسعا : الإنطفاء :

لو أن الحمامة تعلمت النقر على القرص، ولم يقدم لها لاحقاً التعزيز على استجابتها هذه، وتكرر عدم التعزيز لمرات عديده بعد ذلك فإن معدل الاستجابة (نقر القرص) يضعف حتى يتوقف تماما فى النهاية، وتعرف هذه العملية بالانطفاء Extinetion. ونظراً لمقاومة الكائن العضوى لتوقف التعزيز فى البدايه فانه قد يزيد من معدل السلوك، فالحمامة قد تزيد من معدل النقر على القرص، وقد يكون ذلك مقترنا باستجابات انفعالية كالغضب والعدوان وتعتمد سرعة اختفاء السلوك عند إخضاعه للانطفاء على عوامل مثل :

أ - كمية التعزيز السابق : كلما كانت كمية التعزيز فى السابق اقل كلما كان انطفاء السلوك أكثر بطأ. فقد يعتمد السلوك هنا على التعزيز الذاتى اكثر من الخارجى.

ب - جدول التعزيز الذى يخضع له السلوك : يكون الانطفاء أكثر بطأ اذا حدث التعلم فى فترة زمنية أطول وتحت تأثير التعزيز المتقطع. وعلى سبيل المثال فإن الكاتب المحنك الذى له مؤلفات عديده يكون أكثر مثابره، ولن يثنيه عن الكتابة فشل أحد اعماله،

ولكن المؤلف المبتدئ حديث الخبره قد يقلع عن الكتابه ما لم يتم تعزيزه حتى يصل للأفضل ويحقق ذلك .

جـ - درجة الحرمان من المعزز ، فالشخص الذى مضى عليه وقت طويل نسبياً دون الحصول على المعزز سيبدى مقاومة اكثر للانطفاء من الشخص الذى توفر له المعزز مده طويلة قبل خضوعة لانطفاء استجابته .

د - مقدار الجهد الذى يتطلبه السلوك من الفرد ، فكلما كان الجهد اكبر كانت مقاومة السلوك للانطفاء اقل . (جمال الخطيب ١٩٨٧) .

ولايهتم الإشراط الإجرائى بتعلم السلوك فقط بل أيضا بالإبقاء عليه ، فأى اجراء سوف يخمد فى آخر الأمر اذا لم يعد متبوعاً بتعزيز . " فالشخص الذى يستعد للاشتراك فى نشاط ما لايظهر اهتمام به ولكنه يهتم بما يتبعه من تعزيزات، والعكس سيصبح مثبط الهمه ببساطه اذا فشل فى الاستجابة لأن التعزيز لم يكن لاحقاً لها . " (1965) والاستجابة التى تجتار الانطفاء تزداد درجة تكرارها أحياناً فى بداية المواقف التجريبية الجديدة وتعرف هذه الظاهره بالاستعادة التلقائية Spontaneous recovery أو الشفاء التلقائى ، ولقد نسبها سكنر الى حقيقة مؤداها ان الإنطفاء لم يكتمل بعد .

عاشراً : سلاسل السلوك المعقده :

طبقاً لرأى سكنر ، فإنه حتى سلاسل السلوك الأكثر تعقيداً مثل قيادة السيارة، وبناء منزل ، والتحدث وغيرها يمكن تفسيرها بمفاهيم الإشراط ، وقد استطاع سكنر فى دراسة تجريبية ان يعلم الفأر ان يقوم بسحب حبل أو خيط فى نهايته بليه صغيره من على رف وان يلتقط هذه البليه بأطرافه الأمامية ثم يحملها الى انبوبه ويلقيها بداخلها ، وقد تم انجاز مثل هذا التعلم عن طريق البدء بآخر استجابة (وهى اسقاط البليه داخل الانبوبه) ويتم تعزيزها بالطعام ، وعندما يتم تعلم هذه الاستجابة جيداً فإن الاستجابة التاليه (حمل البليه) يتم تشريطها عن طريق استخدام الانبوبه كمعزز ثانوى ، وهكذا . كما استخدم سكنر هذه الطريقه فى تعليم الحمام عزف نغمات قليله على البيانو ، توجيه المقذوفات (وهو إجراء ثبت فعاليته ولكنه لم يوضع فى الاعتبار من قبل الحكومات الأمريكية) وان يلعب نوعاً من البنج بونج ، وقد تسببت التجربه الأخيره هذه فى الإساءة الى سمعته العلمية اكثر مما ينبغى .

التفسير الإجرائى للانفعال والتفكير وبعض مفاهيم نظريات الشخصية

تقوم نظريات علم النفس (ماعدا السلوكية طبعاً) على افتراض ان سلوك الإنسان وظيفه لقائمة لاحصر لها تقريبا من العوامل النفسية الداخلية (كحيل الدفاع، والحاجات، ومفهوم الذات، والاتجاهات، والأنا والأرادة والشعور والتفكير، والعواطف والرغبات والنزعة الى تحقيق الذات . . الخ). وتسمى هذه العوامل فى علم النفس بالعوامل الفرضية أو الوسيطة، وذلك لانه لايمكن مراقبتها بشكل مباشر، ولانه يفترض أنها حلقه وصل بين الحوادث السابقة والسلوك الحالى، ولقد دفع تركيز السلوكيه على السلوكيات الظاهرة overt behavior الى اتهامها بأنها تنكر وجود العمليات النفسية والعقليه أو السلوكيات الخفيه Covert hehavior ، ويبدى السلوكيين تحفظا شديداً على الدور الذى تسنده نظريات علم النفس لهذه العوامل فى تشكيل السلوك ولكنهم لايشكون فى وجودها إطلاقاً، ويرون أن التفسيرات المعتمده عليها تدور فى حلقه مفرغه، وانها ليست أكثر من مجرد تلاعب بالألفاظ فى أكثر الأحيان ولاتشتمل على أكثر من تعريف للظاهره، ونحن مثلاً قد نقول ان فلاناً يقضم أظافره لأنه متوتر، واذا سألنا أحد كيف عرفت انه متوتر يقول لأنه يقضم أظافره، وقد تقول ان فلان يتشاجر لأنه عدوانى، أو قد نحكم عليه بأنه عدوانى لأنه يتشاجر، وما تشتمل عليه هذه التفسيرات هو مجرد وصف أو اعطاء اسم للسلوك، وهناك فرق شاسع طبعاً بين الوصف والتفسير (تحديد الأسباب) . ان هذه التفسيرات غير منطقية ولاتفسر شيئاً بل انها فى حاجة الى تفسير، بل انها تشكل حاجزاً فى وجه التفسيرات الحقيقية للسلوك ، ،وكما اكد سكنر ان اى نظام لتحليل السلوك يهمل هذه الحقائق هو نظام ناقص حقاً ، إلا أنه يعتقد فى الوقت نفسه أن الانهماك فى البحث عن اسباب نفسيه وعقليه داخليه للسلوك لايمكن مراقبتها أو ضبطها بشكل مباشر (وهو ما تفعله بعض النظريات الأخرى لعلم النفس) قد ادى الى القفز عن دور المتغيرات التى يمكن ضبطها بشكل مباشر (المتغيرات البيئية) وبالتالى ضبط السلوك (جمال الخطيب ، ١٩٨٧). **وفيما يلى التفسير الإجرائى لبعض هذه المفاهيم :**

١- الإنفعالات والمشاعر :

على الرغم من أن سكنر يوافق على وجود سلوكيات ضمنيه كالانفعالات والمشاعر إلا أنه يرفض الوظيفه السببية لها، فالكثير من علماء النفس يعتقد أن الانفعالات والمشاعر سببا للسلوك، بينما يرى سكنر ان الانفعالات والمشاعر ليست سبباً فى السلوك وإنما

نتيجة من نتائجه، فقد ينزل احدنا فى الصباح ليدير محرك سيارته وينصرف الى عمله، فيفاجئ بأن أحد إطارات السياره فارغ من الهواء ، وعند محاولة تبديله بالإطار الاحتياطى وجده أيضاً غير صالح، هنا قد يدفع الإطار بقدمه وهو غاضب واذا سألنا شخص ما لماذا فعل ذلك سيقول لأنه شعر بالإحباط او الغضب ورغم ان البعض يكتفى بهذا التفسير إلا أن السلوكيين لايكتفون بذلك لانهم مازالو بحاجة إلى الإجابه على السؤال ولماذا شعر هذا الشخص بالإحباط أو الغضب فتكون الإجابه الصحيحه انه شعر بالإحباط أو الغضب لأن سلوكه (ادارة محرك السياره) لم يعزز (أى لم يستطع الذهاب الى عمله) اى انه احبط وغضب نتيجة لعدم تعزيز سلوكه . ولذلك فإن سكنر يعرف الانفعال بأنه تقويه أو إضعاف جزئى لواحد أو أكثر من الاستجابات ، أو القابليه للتصرف أو السلوك بطريقه معينه فى ضوء بعض الأحداث الخارجيه . (1976) .

ويفسر سكنر الكثير من الانفعالات بنفس الطريقه وعلى سبيل المثال ، فالشخص الغاضب يصبح أكثر عرضه لأن يحمر وجهه ويتصرف بعدوانية وقد يرجع ذلك لحدث بسيط كأن يجد صعوبه فى فتح درج مكتبه، والشخص الخائف من المحتمل بدرجة كبيره ان يضطر للهرب بسبب مثير عدائى مثل شخص يحمل سكيناً، والشخص القلق أكثر عرضه لأن يتصرف بطريقه متوتره وغير فعاله بسبب مثيرات شرطيه مثل تعبيرات الوجه غير المرغوبه من قبل أحد الوالدين (كالتكشير مثلاً) والذى قد يكون قد اقترن سابقاً بتوبيخ أو عقاب بدنى. ويحذر سكنر من وصف مشاعرنا عندما نشعر أو نحس فعلاً بمثير داخلى ، حيث تصبح لغة الانفعال بعيده كل البعد عن الدقه العلميه، لأننا تعلمنا وصف مشاعرنا عن طريق استخدام الكلمات التى تعلمناها من الآخرين، ومن ثم لايستطيع أحد على الإطلاق معرفة العالم الداخلى لفرد ما على وجه الدقه. ولذلك فهو يشكك فى قياس الانفعالات بطريقة التقرير الذاتى فيقول " ربما نسأل الناس عما يشعرون به لأننا لم نكن متواجدين حين ذاك كى نلاحظ الاحداث السالفه، ولكن ذلك لن يكون تحليلاً سببياً علمياً بأى حال من الأحوال " وهذا يعنى ان دراسة سكنر للانفعالات دراسة سلوكيه أى تعتمد على ملاحظة السلوك بالدرجة الأولى، فالناس لايعملون لتحقيق أفضل مستوى من اللذه وخفض الألم الى ادنى حد كما يؤمن اصحاب مبدأ اللذه hedonists الذين يؤمنون بأن اللذه أو السعادة هى الهدف الأسمى للحياة (1976) .

٢- التفكير والعمليات العقلية :

صنع القرار ، واستدعاء شيئاً ما تم نسيانه، وحل المشكلات : تلك هى بعض السلوكيات الخاصة التى شرحها سكنر فى مصطلحات سلوكية، فالتفكير سلوك، ومن الخطأ قصر هذا السلوك على العقل وحده" (1976) .

أ- صنع القرار :

يحدث التردد عندما تعجز استجابه ما عن الانطلاق بسبب تداخلها أو تعارضها مع استجابة (أو استجابات) أخرى لها نفس القوة. والتردد أمر غير مرغوب لأنه يحول دون اكتساب التعزيز، وعلى العكس فإن اتخاذ القرار Decision-Making يتم عندما تزداد قوه احدى الاستجابات بدرجة تتيح لها أن تسيد على غيرها. وبعد اتخاذ القرار بمثابة تعزيز سلبى فى هذه الحالة لانه يخرج الفرد من حيز التردد البغيض، فالشخص الذى يستعد لقضاء إجازه ربما يجد ان الاستجابات التى تؤيد ذهابه الى شاطئ البحر أو الى الجبال لها نفس القوه، وان ذلك يستهلك وقته بالفعل ، وهنا سوف يستغرق فى قراءه المجلات المتخصصة فى الدعاية عن شركات لتنظيم الرحلات الى ان تصل استجابه واحده الى درجة من القوة تتفوق على غيرها، وهنا ينهض قائلا " سوف اذهب لقضاء الاجازه على شاطئ البحر" . ويرى سكنر ان اتخاذ القرار هو أحد الاشكال المحدده والواضحه من السلوك التى يتم تعزيزها من قبل الاخرين بشيئ من سوء التوجيه (كقولهم : انظر قبل ان تخطوا، أو كقولهم عقلك فى رأسك تعرف خلاصك). فالتشريط الذى ينتج استجابه مباشره وفوريه سوف يثمر تعزيزاً بشكل أسرع .

ب - الاستدعاء :

البعض من سلوكياتنا تفيد فى التأثير على سلوكيات أخرى، حتى تلك التى لانستطيع تحديدها إلى أن يتم إصدارها أو ممارستها. وعلى سبيل المثال : عند قراءة مصطلح غريب تم نسيانه، فربما نبحث فى القاموس أو نسأل أنفسنا ما إذا كان هذا المصطلح غير معتاد بالنسبه لنا أم لا ، فإذا ما قمنا باقران الإسم أو المصطلح بالحرف الأول من إسم آخر أو بخاصية مميزه له، فإن ذلك يساعد على استدعاؤه Recall دون عناء ، وقد يعود شخص ما نفسه على نوع من الاقتران بين فتح باب المنزل عند الخروج فى الصباح وتذكر الأشياء التى يريد اصطحابها معه الى العمل، وقد يفيد الطالب الذى أوشك على دخول الاختبار استخدام مدونات للتذكر كى توقظ استدعاء الحقائق الهامة اثناء الاختبار .

جـ - حل المشكلة :

تحدث المشكلة عندما تعجز إستجابه ذات إحتمالية عاليه من أن تنبثق بسبب بعض المعوقات الخارجية ومن ثم جعل التعزيز مستحيلاً ، وعلى النقيض من ذلك فإن حل المشكله Problem-Salving هو سلوك يغير الموقف الخارجي الذى يعوق ظهور الاستجابه ومن ثم تحقيق التعزيز ، فالشخص الذى يرغب فى قيادة سيارته والعوده للمنزل بعد نهاية العمل ، ثم يفاجئ بأن المحرك لايدور ، وبعد البحث عن اسباب المشكله يكتشف ان خزان الوقود فارغ ، الحل الوحيد هنا تزويد السيارة بكمية من الوقود ، ومن ثم ادارتها والعوده للمنزل وحل المشكله ، مثل هذا المدخل الإجرائى فى التفكير وحل المشكله له مزايا هامه فى رأى سكنر : " عندما تتوحد الجدة مع التلقائية أو مع غياب المشروعية القانونيه للسلوك يصبح من الواضح أنها مهمة ميئوس منها أن تعلم شخص ما أن يكون أو أن يؤثر على عملية التفكير لديه بأى طريقه فعالة ، ولكن اذا كان تقديرى للتفكير صحيح تماماً ، فلن يكون هناك أدنى سبب لعجزنا عن تعليم شخص ما كيف يفكر " . (Skinner, 1968) .

٣- المفاهيم الفرويدية :

لقد نسب سكنر السلوك الإنسانى إلى إشراط مسبق ، أى أرجعه الى سبب سابق ، ولذلك فإن طريقته هذه تتفق مع طريقة فرويد فى تفسير السلوك ، ولقد كان ذلك من أهم انجازات مدرسة التحليل النفسى فى تفسير السلوك وهو تطبيق مبدأ السبب والنتيجة عملياً على السلوك البشرى. فلقد ارجع فرويد بعض مظاهر السلوك التى تشاهد حتى اليوم على انها غريبة الأطوار أو عرضية أو بلاهدف (مثل خلع ولبس خاتم الخطوبه مثلاً) الى متغيرات وثيقه الصلة بالموضوع. واذا كان سكنر قد وجد ان تأثيرات الاشراط يمكن ان تدوم بقدر نصف عمر الحمامة ، فإن هذه الرؤية تدعم وجهة نظر فرويد فى أن احداث الطفولة بإمكانها أن تؤثر فى السلوك بطرق تستمر حتى سن البلوغ وما بعدها ، فإذا ما تزوج رجل من امرأه تشبه أمه ، فإن فرويد يرجعها الى خبرات الطفولة المبكرة والتى بقيت فى اللاشعور وعادت لتؤثر من جديد بينما يرجعها سكنر الى التأثير الايجابى للتعزيز الذى حصل عليه هذا الرجل فى طفولته والتى بقيت آثارها لزمن طويل.

ويشارك سكنر فرويد الرأى فى أن الشعور بالذنب الناجم عن الخطأ يمكن أن يكون أكثر بُغضاً من العقاب الذى يصاحب هذا الخطأ ، ومن ثم فقد يقود الى آلام تعذيب

الذات أو تدميرها، كما يشاركه أيضاً رأيه فى أن الأحلام تمنح الحالم فرصه للتعبير الرمزى عن السلوكيات التى قد تجلب له العقاب وقت اليقظة، أو تحرمه من التعزيز، وهذا السلوك غالباً ما يكون محدد ولو بأسباب خارجية . كما يوافقه على تفسيره لبعض السلوكيات القسريه مثل فلتات اللسان، فعندما طلب من سيدة شابة ان تتحدث ذات مره لصالح قانون يطالب بتحريم تصنيع وبيع المُسكرات، فتملكها ارتباك وقلق مرضى بسبب ظهورها أمام حشد كبير من الجمهور، وبحثت عن وسيله تكسب بها عطف المستمعين غير أنها اخطأت فقالت " تلك هى المرة الأولى التى أواجه فيها مرتادى خماره أو حانه Speakeasy بدلاً من أن تقول easy speak أى حديث سهل، وقد أيد سكنر تفسير فرويد لفلته اللسان هذه المرتبط بموضوع حديثها الذى يدور حول شرور الخمارات والحانات، ووجود ميكرفون أمامها كأداه تساعدها على التحدث بسهوله، وافكارها عما اذا كان بإمكانها التحدث بسهولة أم لا، وكلها ذادت وبصورة بالغة من إحتمالية انبثاق كلمة Speakeasy .

ومع ذلك ينظر سكنر لنظرية فرويد على انها مجرد مجموعة معقدة من التفسيرات الخياليه للسلوك فيقول " تفتقر العمليات اللاشعورية الى التمييز الفعلى ، فلسنا فى حاجة لان نكون قادرين على وصف وتسمية سلوكنا للآخرين لكى تحدث، ولن نميز بين هذه السلوكيات ما لم نعزز على أداء ذلك ، فالإنسان ربما لايعرف انه فعل شيئ ما ، أو يفعل شيئ ما أو فى سبيلة لأن يفعل شيئ ما، وليس هناك سبباً يجعلنا نتوقع سلوكاً مميزاً من نوع معين ما لم تولده تعزيزات مناسبة (Skinner, 1976) . ولم تأخذ العمليات اللاشعوريه كالإزاحة والكبت مكانها فى حياتنا إلا لأنها تعزز سلوكنا فى تجنب أو تجاهل مثيرات بغيضه مثل الأفكار المرتبطة بسلوك أدى بنا فى الماضى الى الوقوع تحت طائلة العقاب، أو من أجل استبدال بعض الاستجابات المتعارضه ، كما أن التسامى قد يجلب لنا سلوكيات ربما نعزز عليها " لاتؤمن السلوكية بأى فعل خاص للكبت، ولكنها تؤمن بأن السلوك الكفئ هو الذى أصبح من القوة بحيث يجنبنا المثيرات البغيضة، فلايوجد فى داخل الكائن العضوى جهاز يقوم بكبت السلوك ووسيلة الكبت الوحيدة ترجع الى تعارض الاستجابات (1976) .

إن الشخص الذى يقع تحت سيطرة أحد الدوافع الغريزيه للهى، لابد وأنه قد تم تعزيز سلوكياته البغيضة والمكروهة من قبل الآخرين هذه فى وقت ما ، فالتعزيز يشبه غنائم المنتصر فى الحرب قد تدفعه لمزيد من العدوانية لكسب مزيد من الغنائم ، أو

الطفل الذى انتزع لعبه ولم يعاقب على تصرفه هذا. وطالما ان هذا الفرد قد تم تعزيز سلوكه عند قيامه بتصرفات نافعه للآخرين فإن أى احتمالات يمكن ان تنتج هذا السلوك التعاونى النافع تعطى صوره بأن الأنا الأعلى اتخذ موقفاً متحكما فى الهو. " لسنا فى حاجة لأن نقول بأن الهو والأنا والأنا الأعلى هى الأجزاء الفاعلة لما ينطوى عليه مسرح حياتنا من تضارب عنيف أو ممتع بين هذه القوى، ولكن الفاعل هو الكائن العضوى الذى أصبح شخصاً ذو امكانات سلوكيه متصارعه ومتباينه كنتيجة لامكانات تعزيزيه متصارعه ومتباينه كذلك (Skinner, 1976).

٤- السمات :

يوافق سكنر على أن سمات من قبيل : المتعلم، الجاهل، المتحمس، الجبان، الذكى، النرجسى تمدنا بمعلومات هامه عن الشخص، ولكنه يرى أن مثل هذه المفاهيم لاتفسر أو تشرح بأى حال من الأحوال السلوك الذى تصفه. " يبدأ واضع نظرية السمات فى ملاحظة ما يشغل باله، فاستغراقه فى النظر فى المرأه تستدعى اسطورة النرجسية Narcissuse (وهى أسطوره يونانية تحكى عن شاب جميل أفتتن بجمال صورته فى الماء فذوى جسده وتحول الى زهرة النرجس)، وجعلته يختر صفة النرجسية أو عشق الذات (الانانية المفرطه) narcissistic والمصدر منها نرجسى أو العاشق لذاته narccissism. ويؤكد أخيراً على أن ما يشار اليه بواسطة المصدر هو سبب هذا السلوك. ولكنه لم يوضح عند أى نقطه من نقاط تلك السلسلة يحدث اتصال بأى حدث خارج السلوك ذاته يبرر الاعتقاد بوجود هذه العلاقة السببيه. وبدلاً من ذلك فقد اكد سكنر كعادته على ان التحليل السببى يجب ان يكون مبنياً على امكانات التعزيز. " فالشخص المتعلم قد تم تعزيزه لاكتساب معرفة ولم يتحقق ذلك للشخص الجاهل، والشخص الشجاع قد تم تعزيز سلوكه بفعاليه أكثر من الشخص الجبان، والفرد الذكى اصبح مشروطاً بسرعة اكبر من غير الذكى وهكذا".

٥- التكوينات الوجودية :

ينسب سكنر ما يسمى بالاغتراب الوجودى الى حقيقه مؤداها أن القليل من السلوكيات الحديثة نسبياً يتم تعزيزها ايجابياً بينما يعاقب على الكم الأكبر من هذه السلوكيات، وطبقاً لتأكيده على مبدأ الحتمية، فهو يرى ان القصدية بمثابة استجابات لمثير داخلى. وعلى سبيل المثال: فإن قولنا أن شخص ما يخطط للعوده للبيت" مرادف لقولنا

" انى الاحظ ان ما يدور بداخلى من احداث تتماثل مع ما يسبق أو يصاحب ذهابى الى البيت" وبطريقه مماثله عندما تقول " اشعر وكأنى العب الكوتشينه cards " يمكن ترجمتها الى "اشعر بما أحسه غالباً عندما أبدأ فى لعب الكوتشينه" ، وهكذا فإن الإرادة لاتلعب دوراً فى تحديد السلوك ، وانما ترجع الزيادة فى احتمالية اى اجراء أو سلوك الى التعزيز ، والتعزيز فقط ليس إلا " الشخص الذى يقرر التصرف بطريقه ما لانه تم تعزيزه على هذا التصرف من قبل ، ربما يستشعر حالة جسديه فى مثل هذا الوقت ويسميها " رغبة أو غاية محسوسة" ولكن السلوكية ترفض الفعالية السببية لهذا الشعور" (1978) .

٦- ضبط الذات :

شرح سكنر ضبط الذات Self-control بلغه الإشراط والتعزيز ، بدلاً من كونه شعوراً أو وعياً داخلياً، فعلى سبيل المثال فإن الشخص الذى عانى فى الماضى من الآثار البغيضه التى يخلفها فى المرء إسرافه فى شرب الخمر (أو العقاب على ذلك بالجلد مثلا كما فى الشريعة الإسلامية) ربما يرفض المشروبات الكحولية فى الحفلات التاليه لأن منظر وطعم الشراب أصبحا مثيران شرطيان كريهين . ونفس الأمر بالنسبه لمن لايتعاطى المسكرات اطلاقا (أو لايدخن السجاير أو غيرها) ثم تشريطه بحيث ينظر للكحول كشيئ بغيض عن طريق النقد الاجتماعى أو اللوم من قبل الوالدين . " من خلال عقاب شارب المسكر ، وربما بمجرد الاستنكار فقط ، فإننا بذلك قد نحدث تعزيزا لسلوك الضبط المرغوب فى عدم تناوله لهذا المسكر ، لأن هذا السلوك (عدم الشرب) سيخفض من المثيرات الشرطيه البغيضه ، وفيما يبدو ان المجتمع مسئول عن جزء كبير من سلوكيات ضبط الذات" (1968) .

ويتضمن عملية ضبط الذات أساليب من قبيل :

١- استبعاد أية مثيرات خارجية ، مثلما يحدث عندما يتجنب الشَخص السمين الذى يعانى من زيادة الوزن أكل الحلوى عن طريق رفضه الاحتفاظ بها فى منزله .

٢- استخدام مثيرات إيجابيه أو منفرة (بغيضه) : مثل وضع دفتر لتدوين المواعيد فى مدخل المنزل ، أو استخدام ساعة تنبيه .

٣- الحرمان : مثلما يحدث عندما يخطط شخص ما للعشاء فى مطعم فاخر وغالى والتخلى عن وجبة الغداء .

٤- الإشباع : مثل استخدام التمرينات الرياضية لخفض احتمالية السلوك الجنسى.

٥- معالجة الميول الانفعالية : مثلما يحدث عندما يعد الفرد من واحد الى عشره قبل أى تصرف غاضب .

ولكن أيا كانت الصيغه ، فإن مثل هذه السلوكيات لم تبدأ من الداخل أو من الذات Self ولكنها ترجع الى الإشراط ، وان ما نسميها " الذات " ماهى إلا مجرد مجموعة ثابته من السلوكيات تم نقلها بواسطة مجموعة منظمه من إمكانات التعزيز " يالها من مساعدة محدوده ان نخبر شخص ما ان يستخدم قوة إرادته will power أو يضبط ذاته لأن مثل هذا النصح لايمكن ان يساعد أى شخص على فهم العمليات الفعلية التى يجب ان يقوم بها. ولكن اجراء تحليلاً اختيارياً لسلوك الضبط يجعل من السهل له تعلم اساليب مناسبة (Skinner, 1976) .

نمو الشخصية :

لم يقدم سكنر مراحل محدده لعملية النمو مثل فرويد وإريكسون ، ولكن يمكن ان يستفاد من نظريته فى تحقيق مستوى أفضل من النمو فى مرحلة الطفولة، حيث ان الدرس الأساسى فى نظرية سكنر واضح تماماً وهو التحكم فى المعززات البديليه بغرض التحكم فى السلوك ، ولهذه الخطوه أهمية خاصة فى مجال رعاية الطفولة، نظراً لما للوالدين من قدرة على التحكم فى المعززات المحتمله أو البديله ومن ثم يتحكمون فى سلوك أطفالهم، وقد قام هيرجنهاهن Hergenhahn, 1981 بتلخيص كيف يمكن استخدام نظرية التعزيز فى مجال رعاية الطفل على النحو الآتى :

١- حدد خصائص الشخصيه التى ترغب ان يتمتع بها طفلك فى مرحلة الرشد، ولنفرض أنك ترغب أن يشب طفلك كشخص مبتكر أو مبدع.

٢- عرف هذا الهدف فى مصطلح سلوكى ، وفى هذه الحاله سوف تسأل نفسك. ما الذى يفعله الطفل حتى يكون كائن مبدع ؟ .

٣- عزز السلوك الذى ينسجم مع هذا الهدف ، وفى هذه الحاله ستكافئ الطفل على كل سلوك إبداعى يسلكه .

٤- حقق الانسجام والثبات من خلال تنظيم النواحى الهامه فى بيئة الطفل بحيث تكافئ السلوك الذى تعتبره هاماً من وجهة نظرك (1972) .

وعلى الرغم من أن هذه الخطه تبسط الموقف الى درجة كبيره، إلا أن أى شخص يحاول اتباعها سوف يواجه بالعقبات الآتيه على الأقل رغم كثرتها :

١- عادة ما يكون السلوك الذى تريده من الطفل غير واضح تماماً .

٢- ربما تتركز افكارك على مايمكن أن يغير السلوك المرغوب فيه بشكل ثابت (خروج عن المألوف) .

٣- ربما تريد أشياء مختلفه فى أوقات مختلفه .

٤- ليس معنى أنك تريد شيئاً ما من طفلك أن الآخرين يريدون نفس الشيئ من أطفالهم .

٥- ليس من السهل دائماً أن تعرف كيف تكافئ الطفل، وما هو الشيئ المناسب للمكافأة .

٦- عادة يعتمد نوع المكافأه على الحالة المزاجية للمكافئ (الأب أو الأم) .

٧- أحياناً تحصل على السلوك المرغوب من الطفل فى مكان أو زمان غير مناسب .

٨- إنه من الصعب أن تكافئ الآخرين وأنت غير قادر (أو غير صالح) على مكافأة ذاتك (ففاقد الشيئ لايعطيه) (Herngenhahn, 1981) .

كما أن الموقف قد يتعقد أكثر من خلال ما يتعلمه الأطفال من وسائل الإعلام حيث يشاهد فى التلفزيون أو يقرأ فى الصحف والكتب، والألعاب التى يلعبونها، ويبدو أن التأثير الرئيسى من التلفزيون يأتى من عملية النمذجة modeling ، فالأطفال سوف يقلدون ما يتم تعزيزه من سلوكيات يشاهدونها من قبل أى شخص آخر، كما أنهم سوف يتلقون ما يعرف بالتعزيز البديلى فإذا ما شاهد الطفل مسدس أو بندقية تطلق قذائفها فى التلفزيون وان ذلك يتم تعزيزه مصحوباً بالقوه أو المال أو المعرفه، فإنه من المحتمل أن يقلد هذا السلوك ويمارس هذه التصرفات، وهكذا فإن الأباء الذين يرغبون فى توجيه خصائص شخصية اطفالهم سوف يكونوا فى حاجة لأن يأخذوا فى اعتبارهم كل الخبرات الأساسية للطفل وهى مهمة لايستهان بها .

إن انصار نظرية سكنر لاينظرون الى التحكم فى حياة الطفل من عدمه على أنها قضيه خطيره لان التحكم فى الأطفال أمر قائم بالفعل وليس وهماً، ولكن المشكلة التى تشغلهم: من الذى يتحكم ، وما الذى يجب عليه أن يفعله .

تطبيقات نظرية سكنر :

الأمراض النفسية والعقلية :

يرفض سكنر أى تفسير خيالى للعُصاب ، ويرى أن وجود أسباب داخليه مجرد خرافة ، وبدلاً من ذلك فهو يعرف الاختلال النفسى أو العقلى على أنه سلوك غير ملائم أو خطر يهدد الفرد أو الاخرين ويرجع الى التعزيز أو فى أغلب الحالات يرجع الى العقاب . فالشخص الذى يتم عقابه بقسوه على سلوك جنسى أثناء فترة الطفولة أو المراهقة ربما ينمى لديه مخاوف مرضية تحول دون تحقيق التعزيز على مثل هذا السلوك فى الرشد، وكما رأينا فالعقاب المتكرر والمتنوع يميل لإحداث العديد من السلوكيات المحتمله التى يتولد عنها مثيرات شرطيه منفره أو بغيضة ، وينتج عن ذلك فرد يعانى كبح سلوكه الى أقصى درجة ، وربما ينخرط الطفل فى نوبات غضب شديدة وجادة لأن والديه قد عززا لديه هذا السلوك بالانتباه له والإهتمام به، كما فى مفهوم فرويد عن المكاسب الثانوية ، وقد يفشل الاب المشغول فى الاستجابه للمطالب التى تُطلب من قبل طفله فى هدوء ، ويستجيب فقط للنداءات الصاخبه وبصوت مرتفع، ومن ثم فإن ذلك يشكل الطفل فى أن يصبح مثيراً للضوضاء بصوره واضحة " مثل هذا التعزيز التفاضلى الذى يمد به الأب المشغول أو المهمل أحد اطفاله يرتبط تماماً بالإجراءات التى يجب علينا ان نتبناها اذا ما كلفنا بمهمة جعل هذا الطفل مثيراً للضجيج والضوضاء بطريقة إشراطيه" (1972) .

وغالباً ما يكون السلوك القسرى أحد اشكال السلوك الخرافى أو الخوف اللاعقلانى من المجهول Superstitious الذى لايجلب أى تعزيز فى اى حال من الأحوال، ولكن تم تدعيمه بجداول تعزيز غير ملائمه، فإذا أُعطيت الحمامه الجائعه مقدار قليلاً من الطعام كل خمسين ثانية فهى تعزز بصرف النظر عما تفعله فى تلك اللحظه (حتى لو كان الوقوف فى نفس المكان)، حتى بعض السلوكيات تصبح مشروطه مثل تناوب الوقوف على أحد القدمين ثم الأخرى ثم والعودة للخلف والانحناء ، أو حك الأرض بادى القدمين أو حك منقارها فى القضبان، وكلها سلوكيات لاتسهم فى إسقاط الطعام كما فى حالة النقر على القرص، مثل هذا التعزيز غير المشروط يكون ضار عموماً مثلما يحدث عندما يمنح شخص ما مكافأة غير مشروطه فإن ذلك سيخفض احتمالية التحاقه بعمل بناء او وظيفه تدر عليه عائد مادى" (1978) .

العلاج النفسى :

الاساس المنطقى والإجراءات العلاجية :

نظر لأن سكنر يعرف المرض النفسى بمصطلحات ومفاهيم السلوكيه، وحيث ان هذه السلوكيات محكومة بأسباب وعوامل خارجية ، لذلك فهو يرفض المفاهيم العلاجية مثل : اكتشاف محتوى اللاشعور ، وتحقيق الاستبصار. وينصب هدف سكنر العلاجى على تعديل السلوك* behavior modification (أو العلاج السلوكى (behavior therapy وهو ازالة أو إحلال السلوكيات المضطربه لدى المسترشد بإمكانات تعزيز أكثر فعالية يمكنها ان تخمد أو تبطل السلوكيات غير الملائمة ، أو تعزيز بدائل أكثر ملائمه، "فى برنامج فرويد العلاجى يكون السلوك مجرد عرض من أعراض العصاب، ولكن فى صياغتنا الحالية فالسلوك هو الهدف المباشر للبحث والعلاج ولذلك لاينبغى أن ينصب التغيير على الأسباب الداخلية للسلوك ولكن على السلوك ذاته، كما ان السلوك يتغير بتغير الظروف التى كون منها وظيفته" (1972) .

ويبدأ العلاج السلوكى بمقابله مبدئية تمكن المعالج من معرفة مشكلات المسترشد وتساعده على تحديد الاجراءات العلاجية المحتمل استخدامها لحل هذه المشكلات، ويعد الدفء العاطفى والاهتمام من الخصائص الهامه التى يجب توافرها فى المعالج السلوكى لانهما يشجعان المسترشد على المضى فى العلاج ومناقشة القضايا المؤلمه والمحرجة ، ولكن التغيرات السلوكية تتحقق مبدئياً من خلال طرق واساليب يختارها المعالج ويفرضها وربما يستخدم العديد منها بصورة فعاله مع مسترشد واحد .

أولا : الإجراءات العلاجية عند سكنر:

لم يكتب سكنر بتوسع عن التطبيقات العلاجية ، وربما يرجع ذلك فى البداية لانه يرى وجود اختلافات محدوده فى المفاهيم بين العلاج النفسى والمجالات الأخرى لتعديل السلوك، وكنتيجة لذلك فإن الإجراءاتالفعاله المستخدمة بواسطة المعالجين السلوكيين هى نفسها تماماً ما سبق شرحه فى هذا الفصل، وعلى سبيل المثال فإن التعزيز الايجابى والتشكيل ربما يستخدما لمساعدة طفل aukistic أو راشد ذهانى على سرد

---

* استخدم سكنر مصطلح تعديل السلوك لكى يشير إلى تغيير السلوك من خلال تغيرات فى إمكانية التعزيز المناسبة وخاصة التعزيز الايجابى، وعلى الأرجح فإن أغلب علماء النفس استخدموا هذا المصطلح كمرادف للعلاج السلوكى الذى يشمل كل من الفنيات الإجرائية وغير الإجرائية .

جملة مترابطه، حيث يتم تعزيز الأصوات التى تقارب الكلمه الحقيقيه فى البداية ، ثم تعزيز الكلمات البسيطه، ثم تعزيز الجمل البسيطه وهكذا حتى تتم الجمله المتكامله المرغوبة. وفى الوقت نفسه عدم تعزيز الكلمات الشاذه أو الصمت أو غير ذلك ممالايوصل الى الجمله المرغوبة (والمعززات المستخدمه مثل الحلوى، المدح، الابتسام، أو منحه فرصة اللعب بحرية وهكذا) ويلعب التعزيز الايجابى المشروط دوراً هاما فى عدد من الاجراءات العلاجية مثل :

١- الاقتصاد الرمزى **Token economy** : وهو الفنيات العلاجية الفعاله واسعة الاستخدام مع المرضى النفسيين المودعين بالمستشفيات ، والاحداث الجانحين، والمعوقين عقلياً، والاطفال العاديين بالمدارس. وقد تم تطبيقه بواسطة العديد من السلوكيين وتمر خطوات تنفيذه فى عدة خطوات :-

أ - تحديد السلوك المستهدف (المراد تعليمه أو تغييره أو ازالته) وتعريفه بدقة . وليكن مثلاً تعلم تهجى كلمة بصورة صحيحة أو الاحتفاظ بملابسه أو حجرته نظيفه ، والحضور بزى نظيف ومنسق الى صالة الطعام وقت العشاء.

ب - توضيح القواعد العامه للسلوك وخطوات تنفيذ البرنامج ويجب التحقق من فهم المسترشد لنظام التعزيز الرمزى .

جـ - اختيار المعززات الرمزية المستخدمه كالبطاقات والنجوم الورقية وهو ما يعرف ببونات التعزيز ويفضل ان تكون مقبولة الشكل غير قابله للتلف بسهوله، كما يجب اقتران تقديمها بالتعزيز الاجتماعى .

د - اختيار المعززات الداعمه التى تستبدل بها المعززت الرمزية كالطعام واللعب والنقود وغيرها .

هـ - التدريب على السلوك المرغوب وتعزيز خطوات النجاح التى يحققها المسترشد ويفضل ان يكون التعزيز فى البداية متواصل، واستبدال كل مجموعة من البونات بالمعزز الداعم ويفضل ان يتكرر ذلك يوميا فى البداية ثم يقل بعد ذلك .

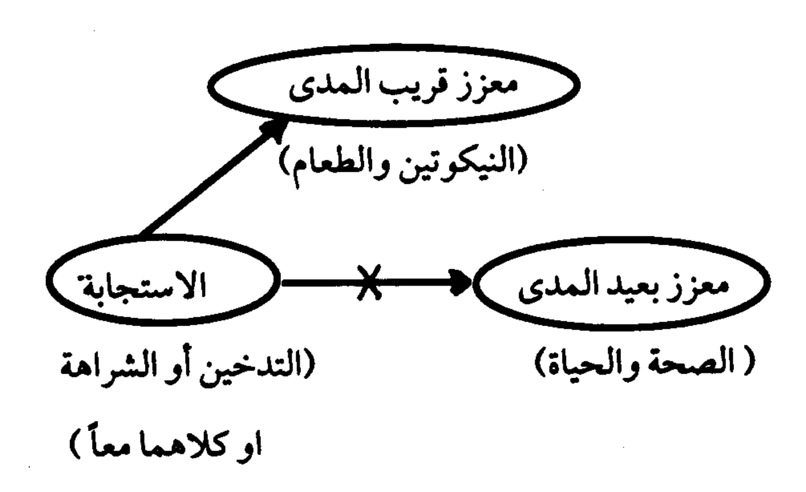
و - متابعة تنفيذ البرنامج والتحول من التعزيز المتواصل الى التعزيز المتقطع حتى يتم استبدال المعززات الرمزيه والداعمه بالمعززات الاجتماعية ويتحسن السلوك.

٢- إنطفاء السلوكيات غير المرغوبه : عن طريق التعزيز التمايزى للسلوكيات المرغوبه ، فالحدث الجانح الذى يقاوم تعديل سلوك يمكن وضعه فى حجره خاويه من أية ألعاب الى ان يمارس سلوكا يتصف بالهدوء يعزز فيما بعد بالسماح له بمغادرة الحجرة ومداومة الأنشطه الأخرى .

٣- ضبط الذات : من خلال الحرمان والعلاج بالتنفير ربما يستخدم المعالج الفنيات العلاجية السلوكية الموضحه سابقاً فى ضبط الذات ، فالشخص البدين يجب الا يحتفظ فى ثلاجته أو دولاب مطبخه بأطعمه تسبب المزيد من السمنه (حرمان) ، ومتعاطى الكحولات يمكن إضافه مواد الى ما يتعاطاه من كحول تسبب الغثيان والقيئ، وحالات الشذوذ الجنسى تعرض عليهم صور متبوعه بصدمه كهربية ومن ثم يتجنب المدمن تناول المخدر ، ويتجنب المنحرف جنسيا هذه الممارسات الشاذه ويعرف ذلك بالضبط التنفيرى aversive control أو العلاج بالتنفير ، وقد اثار هذا النوع من العلاج قضايا اخلاقيه ، فالآلام المصاحبه لعملية العلاج غير مرغوبه حتى لو تمت لمصلحة المسترشد ذاته ، وقد اختلفت وجهات نظر علماء النفس حول هذا النوع من العلاج ، فالبعض يرى ان تأثيراته مؤقته فى العاده فى حين يراها البعض الآخر أكثر ايجابيه وفعالية .

٤- التعاقدات المشروطه Contingency contacting

أ- استخدام التعاقد المشروط فى علاج التدخين والسمنه . إن المشكله الأساسية التى تواجه الإنسان أحيانا هى أن سلوكه يمكن أن يتأثر بسهولة بمعزز بسيط ولكن له صفتى الذاتيه والثبات معاً فى مقابل معزز اكبر وأهم ولكنه بعيد المنال وغير مضمون تماماً. وهو ما يدفع الناس الى سلوكيات تضمن لهم المعزز البسيط مثل تدخين السيجاره أو الشراهة فى الأكل على حساب المعزز البعيد وهو الاستمتاع بالصحة والعمر معاً. فالكثير من الناس يدخنون السيجاره وهم يعرفون بأنهم يجب الا يفعلوا ذلك ، ويفرطون فى تناول الاطعمه وهم يعلمون أن هذا الأمر سيجلب لهم الأمراض على المدى البعيد وهكذا اهملت الصحة من أجل كميه قليله من النيكوتين أو الاستمتاع بمذاق الطعام ولذته . ويمكن توضيح ذلك فى الشكل التالى :



شكل (١٦-٤) يوضح أن استجابة التدخين والشراهه تكون تحت سيطرة المعززات قريبة المدى على حساب المعززات بعيدة المدى

ولعلاج مثل هذه المشاكل يمكن أن تستخدم طريقة التعاقد المشروط Contingency Contracting . فلنفرض أن لدينا شخصاً ما يريد أن يتخلص من التدخين (أو الشراهه) ولكن لايستطيع أن يفعل ذلك بنفسه ، ودعنا نفترض أن مبلغ مائة جنيه مثلاً هى مبلغ مهم لهذا الشخص المدخن (أو الشره) . شيىء واحد لهذا الفرد أن يفعله هو أن يعقد اتفاقاً مع شخص آخر يعطيه المائة جنيه هذه ، وأن يذهب اليه كل أسبوع لم يدخن فيه فيسترد عشر جنيهات منها، وألا يذهب له اذا دخن سيجاره واحده خلال هذا الاسبوع . أو اذا التزم الشخص الذى يرغب فى خفض وزنه بنظام الرچيم (الحميه) الذى وضع له من قبل الطبيب . وليس بالضرورة ان يكون الدفع أسبوعياً بل قد يكون يومياً، كما يمكن استبدال النقود بأشياء أخرى كالملابس وأشرطه الفيديو أو الكاسيت . والأهم من ذلك أن يكون الشخص صادق فيما تم الاتفاق عليه . وأهم ما فى هذا الأسلوب أنه من خلال عملية الاتفاق هذه تتم إعادة ترتيب المعززات الموجوده فى البيئه مما يشجع حدوث السلوك المرغوب ، وإضعا ف السلوك غير المرغوب لأن السلوك يكون تحت سيطرة المعززات القريبة جداً بدلاً من المعززات البعيده نسبياً .

ولكن ماذا يحدث عندما يُنقض الاتفاق ؟ . ربما يكون من الضرورى اللجوء الى معززات مشروطه أخرى لتدعيم السلوك المرغوب، المهم أن يقترن عدم التدخين بعملية التعزيز. فلما كان كل من التدخين وعدم التدخين يقترنا بعملية التعزيز ، فإن المشكلة

هنا هى الانتقال من مصدر للتعزيز الى آخر بديل . وعلى سبيل المثال فإن سلوك التدخين يعززه مادة النيكوتين التى يشتهيها المدخن بالإضافه الى القبول الإجتماعى التى يلقاها من المدخنين الآخرين ، فإن المعززات المرتبطه بعدم التدخين تتضمن ؛ توفير المال ، الشعور بتحسن فى الحالة الصحية ، عدم المعاناه من الخوف المصاحب لعملية التدخين وخاصة مخاوف الإصابه بأمراض سرطان الرئه ، القبول والاستحسان الاجتماعى من قبل غير المدخنين والزوجة والأبناء.وعلى المعالج أن يساعد المدخن على أن يغلب النوع الثانى من المعززات على النوع الأول وهو ما يقوم به التعاقد المشروط .

ب - استخدام المدخل البينشخصى الإجرائى Operant Interpersonal approach لعلاج المشكلات الزواجية : وضع ستيوارت Stuart 1969 أسس هذا المدخل لعلاج المشكلات السلوكية فى إطار العلاقات الزواجية ، فهو يفترض وجود نمط من التفاعل القائم بين الزوجين يعتمد على التعزيز المتبادل والمتكافئ بينهما . أما الزوج الذى يقضى ساعات طويلة يشاهد مباريات كرة القدم فى التليفزيون أو مع الصغار ، انما يفعل ذلك لأن هذه الأنشطة أكثر تعزيزاً له من تلك التى يحصل عليها اذا قضى نفس الوقت مع زوجته ، وعلى اساس هذا التوقع فإن الزواج الناجح هو الزواج الذى يسعى فيه كلا الزوجين إلى العمل معاً لتحقيق اكبر درجة من التعزيز المتبادل وأقل درجة من الخسارة الفردية . أما الزواج غير الناجح - فهو على العكس - ذلك الزواج الذى يعزز كل قرين القرين الآخر بمعدل منخفض ومن ثم يصبح كل منهما غير جذاب الى حدما وغير مدعم للآخر . ويستتبع ذلك تأرجح العلاقة الزواجية بين البقاء والانتهاء (الطلاق) .

ويعتمد المدخل البينشخصى فى علاج المشكلات الزواجية على الإبقاء على المواقف التى يتكرر فيها التدعيم المتبادل وتدعيم هذه المواقف ، وأحد هذه الأنواع المنظمة للعلاقة بين الازواج ما تعرف باتفاقية حسن النيه Cood Faith Contract . حيث يتخذ كل قرين عهداً على نفسه / نفسها الى زيادة السلوكيات البديلة المعززة للطرف الآخر ، على ألا يكون هذا التغير معتمداً على تصرفات الطرف الآخر إنما بمبادرة شخصية بالدرجة الأولى . وعلى سبيل المثال ، ربما توافق الزوجه على تحقيق تنظيم وتوازن بين

الدخل والإنفاق مما يجعلها تراجع تصرفاتها، أو تقوم بطبع قبله الوداع على جبين زوجها فى الصباح أو المساء مع تنظيم حفله واحدة صغيرة أسبوعياً، وفى الوقت ذاته يوافق الزوج أن يخفض من ساعات عمله، وان يصطحب زوجته فى رحله أو يتسلى معاً فى لعب الورق وإلقاء النكات المضحكه مره واحدة أسبوعياً . . وقد نجحت إتفاقيه حسن النيه فى مساعدة أربعة أزواج لتحسين مستوى رضاهم الزواجى فى دراسة قام بها ستيوارت (١٩٦٩) ، حيث تغيرت السلوكيات غير المرغوبه الى سلوكيات مرغوبة، وذادت عدد مرات الاتصال الجنسى بعد بداية البرنامج واستمر ذلك فى القياسات التتبعيه بعد ٦ شهور، ١٢ شهر من انتهاء البرنامج ونظراً لأن دراسة ستيوارت لم تتضمن عينه ضابطه للمقارنه فقد أجرى جاكوبسون (1977) Jacobson دراسة قارن فيها بين أسلوب ستيوارت والفنيات العلاجية الاخرى دعمت نتائجها النتائج الايجابية لفنية اتفاق حسن النيه (Hjelle & Ziegler, 1981) .

ولقد توصل المعالجين السلوكيين المعاصرين الى فنيات علاجيه متنوعه بعضها يقوم على تأكيدات معينه لسكنر مثل استبدال الاستجابات غير المرغوبه بأخرى مرغوبه، والتشكيل، أو توليد سلوكيات من خلال التعزيز. ونظراً لأن الفروق بين طرق العلاج التى استخدمها سكنر والتى استخدمها غيره فى إطار المدرسه السلوكية غير واضحه تماماً، ولتسهيل المقارنه بين طرق العلاج السلوكى وغيرها من طرق العلاج الأخرى التى تم عرضها فى نظريات الشخصية، فسوف يتم عرض أكثر هذه الفنيات السلوكية شيوعاً وباختصار ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع للكتب المتخصصه (راجع : محمد محروس الشناوى، محمد السيد عبد الرحمن ١٩٩٧).

ثانيا: الطرق القائمه على أساس الإشراط الكلاسيكى :

١- الكف المتبادل : Reciprocal Inhibition ، يعد الكف المتبادل أحد المداخل العلاجية المستنبطة من أفكار بافلوف قامت مارى كوفر جونز Mary Cover Jones (1924), ، وجوزيف ولبه (1958) Joseph wolpe بتطويرها. حيث استخدم مثيرات ايجابيه لإظهار استجابات تكف أو تقمع القلق، ففى حالة ألبرت الصغير (وهى حالة فوبيا الحيوان الذى عالجته كوفر جونز) كان من المعروف أنه مولع

بمضغ اللبان وبعض انواع مـن الحلوى . وتـم علاجـه من خلال اتباع خطوات منظمه حيث يظهر الفأر على مسافة مناسبه وفى الوقت نفسه تقدم له قطعه من هذه الحلوى، وطالمـا أن الفأر بعـيداً فإن القلـق الذى يظهره يكون ضعيف جداً ، نظراً لأنه يتـم اشغالـه عـن طريق المثيـرات الإيجابيـة الأكثر إثارة (الحلوى). وعندئذ تكرر العملية بإحضار الفأر كى يكون أكثر قرباً ، ويؤدى الأكل ثانية الى قمع القلق، وبتقليل المسافة بين ألبرت والفأر تدريجياً أصبح قادراً على تناول الحلوى بيد واحدة ويربت على الفأر باليد الأخرى. وبناء عليه ذهب قلقه وعولج من حالة الفوبيا التى كان يعانى منها .

٢- التخلص المنظم من الحساسية : Systematic desensitization طوره جوزيف ولبه فى جنوب افريقيا على ملاحظة مؤداها أنه طالما أن القلق يزيد من توتر العضلات فإن استرخاء العضلات قد يحد من درجة القلق تبعا لذلك، ويختلف عن الكف المتبادل فى أمرين :

الأول : يتخيل المسترشد مصدر القلق (المثير المخيف) كالامتحان أو ركوب طائرة وليس بالضرورة أن يتعرض له فعلا .

والثانى : أنه يحاول قمع القلق الناتج عن طريق الاسترخاء وليس الأكل . فطالب الجامعه الذى يعانى درجه مرتفعه من قلق الاختبار سيصبح غير قادر على اجتياز الامتحانات بسبب قلقه هذا، ويمكن علاجه من قلقه باستخدام التخلص المنظم من الحساسية وتتم هذه العمليه فى ثلاث خطوات هى :

أ - التدريب على الاسترخاء : أى التدريب على الاسترخاء العميق للعضلات فى خطوات يتم خلالها شد وإرخاء العضلات المختلفه بالجسم فى تتابع يحدده المعالج .

ب -إعداد مدرج القلق Anxiety hierarchy : أى إعداد قائمة متدرجة بالمثيرات المخيفة على قدر كمية القلق التى تولدها هذه المثيرات، فقد يحدد طالب الجامعة مثيرات القلق على النحو الآتى :

١- الذهاب الى الجامعة يوم الامتحان . (أعلى درجة)

٢- الإجابه الفعلية على أسئلة الامتحان .

٣- اللحظه التى تسبق فتح باب غرفه الامتحان .

٤- عندما يكون فى الفصل ينتظر توزيع الاختبارات وأوراق الاجابه .

وهكذا قد تشمل القائمة عدداً كبيراً من المثيرات المولدة للقلق التى يستطيع الطالب حصرها فى ضوء آخر اختبار مر به (ذكر ولبه فى هذا المثال ١٤ مثير مقلق)، ويؤكد ولبه على انه من الضرورى اعداد مدرج القلق فى البدايه بواسطه المسترشد لأنها أمر فردى يخصه هو بالدرجة الأولى . فبعض الطلاب قد يضع المثير (٢) محل المثير (١) أو (٣) أو (٤).

جـ- تخيل أقل مثيرات القلق اثناء الأسترخاء (أى المزاوجة بين الخطوتين السابقتين) وبعد ان يتم تعلم التغلب على القلق فى وجود هذا المثير يتم الانتقال الى المثير الذى يليه صعوداً الى قمة الهرم حتى يتخلص من هذه المثيرات بدرجة مقبولة . وتتطلب هذه الخطوات حوالى ٣٠ جلسة تقريباً .

وقد يكون استخدام التخلص المنظم من الحساسيه فى المواقف الواقعية (الحية) in vivo ضرورياً لهؤلاء الذين لايستطيعون تخيل انفسهم فى المواقف المثيره للقلق بدرجة كافيه تشعرهم بالقلق فعلاً، كما توجد طرق بديله للمرضى الذين لايستطيعون تعلم الاسترخاء على الإطلاق .

وقد استخدمت طريقة التخلص المنظم من الحساسية فى علاج الكثير من أنواع الفوبيا ، كفوبيا قيادة السيارات وركوب الطائرات وفوبيا الحيوانات والحشرات والمدرسة والزحام . كما أستخدمت مع اضطرابات مثل اضطرابات الكلام وازمات الربو ، والأرق، وتعاطى الخمور والغضب والتجوال الليلى والأفكار والوساوس القهريه .

وقد ابتدعت هذه الطريقه لتفادى عيوب طريقة أخرى يتم خلالها تعريض المسترشد للمثير المولد للقلق (المثير الشرطى) بشكل مباشر وكامل مع تعزيز ما يحققه من نجاح فى التغلب على خوفه وقلقه وتعرف بطريقة الغمر Flooding حيث لوحظ ان بعض الحالات زادت لديها الاستجابة الشرطيه بدلاً من أن تنطفئ .

٣- التدريب على السلوك التوكيدى : assertive training : يرجع الفضل فى تطوير هذه الطريقه الى كل من ولبه وأندريو سالتر Andrew Salter ، ويمكن من خلالها مساعدة المسترشد على أن يصبح أقل قلقاً وأن يكتسب التعزيزات عن طريق التعبير عن مشاعره بأمانه، وبطريقه مقنعه له شخصياً، ومناسبة إجتماعياً فى الوقت ذاته، حيث يتحقق المعالج أولاً من المجالات التى كُبحت فيها السلوكيات بقوه مثل طلب زيارة أو موعد لقاء مع شخص آخر، أو التعبير عما يُغضبه، أو انتقاد من يحبهم، أو تصحيح خطأ الجارسون أو العامل فى بوفيه أو مطعم لأن بقيه النقود ناقصه أو لانه قدم شراباً أو طعاماً غير مطلوب. حيث يرى السلوكيين ان الافتقار الى السلوك التوكيدى غالبا ما يرتبط بمواقف معينه وليس سمة عامة، ويتم تطبيق هذه الطريقه العلاجية من خلال عدة فنيات مثل :

أ- أسلوب لعب الدور Role-Plays : أى لعب دوراً سلوكياً نموذجياً فى المواقف التى لايجيدها، مع تعزيز اى تحسن يظهر على اداء المسترشد.

ب - فنية إعادة أو تكرار السلوك behavior rehearsal : وهى أحد أنواع التشكيل المقترن بالتعزيز لتعليم المسترشد التعبير عن عواطفه إزاء شخص آخر دون هجوم أو ازدراء كأن يقول للبائع المخطئ: هناك ثمة خطأ فى هذه الفاتورة، ألا يمكنك فحصها ثانية، وقد يلعب المسترشد هنا دور البائع .

جـ - الاستجابه البسيطه الفعالة : وتستخدم للتعبير عن المشاعر الغاضبة فى هدوء وبشكل فعال يستحث الآخرين على إزالة سبب الغضب ويمكن تطبيقها فى أمثله من قبيل فاتورة خاطئه فى مطعم، جلوس أحد الأفراد على مقعدك فى أتوبيس أو حافلة، المعاكسات المرورية من سائق لأخر، الزيارات المفاجئه دون موعد مسبق فى وقت غير مناسب. وغيرها .

د - فنية التصعيد Escalation : وتستخدم فى حالة فشل الاستجابه البسيطه الفعاله، وتتضمن الإصرار على الحصول على الحق المسلوب طالما أن هناك حق بالفعل .

هـ - استخدام مدرجات السلوك : التدريب التوكيدى على المواقف الاقل إثاره للقلق ثم الانتقال الى المواقف الأخرى الأكثر إثاره .

و - التدزينب التوكيدى الجمعى : التدريب على السلوك التوكيدى فى إطار من العلاج الجماعى حيث يلعب اداء الدور والتعزيز من الاخرين والنمذجة دوراً فى تغيير السلوك ويمكن استخدامه فى حالات الخجل ونقص المهارات الإجتماعيه (اللفظيه وغير اللفظيه)، ومواقف الدفاع عن الحقوق، أو مواجهة زملاء الفصل اثناء الإجابه على تساؤلات المدرسين .

وعلى أية حال فإن التدريب التوكيدى يصلح لمن يعانون من التهور وسرعة الغضب والعدوانيين والقلقين والجبناء المتخاذلين عن حقوقهم .

ثالثا : العلاج بطريقة التفجير الضمنى Implosive therapy

وهو على النقيض من التخلص المنظم من الحساسية، إن بعض السلوكيين يؤكدون أن القلق يتم اخماده على افضل وجه عن طريق غمر Flooding المسترشد بجرعات مكثفه منه فى جلسة آمنه. والهدف من هذا العلاج هو منع المسترشد من تجنب مثيرات الخوف أو الفوبيا، وبالتالى تعلم أنها لاتمثل خطر فى الواقع ومن ثم ينطفىء القلق الناتج ويسمى هذا العلاج أحيانا بالعلاج بالغمر ابتكره توماس ستامبفل .Stampfl, T . ومن الأمثله التى استخدم فيها هذا العلاج سيده كانت تخاف بشده من الغرق إذا نزلت حمام السباحه دون استخدام أطواق النجاة، وجهها المعالج ان تتخيل بشكل تفصيلى أنها تأخذ حمام بدون طوق النجاه وبدون قلق ثم نزلت بعد ذلك الى المسبح وبدأت تتعلم السباحه والغوص. " ويعرض نيسبت Nesbitt, 1973 حالة سيده عمرها ٢٤ سنه كانت تعانى من خوف شديد ونفور من المصاعد الكهربية استمر معها لمدة سبع سنوات حيث اصطحبها المرشد مرة واحدة ثم تركها بعد ذلك بمفردها، وبعد نصف ساعه تناقصت مخاوفهابشكل كبير " (محمد محروس الشناوى ١٩٩٥)، ويؤيد هذا العلاج بالعلاج الانفجارى الحى أو الواقعى in vivo كما يحدث فى علاج فوبيا الثعابين والزواحف. ويؤكد بعض علماء النفس العلاج الانفجارى تأييداً شديداً، فى حين يحذر البعض الآخر من أنه ربما يزيد قلق ومخاوف المسترشد بدلاً من أنطفاء الاستجابة .

رابعاً : النمـذجة : Modiling :

الشخص الـذى يعانى من قلق شديـد أو يفتقـر الـى القـدرة على التصرف بطريقة مرغوبة فى المواقف الاجتماعيـة ، ربمـا يشاهـد شخصاً أو أكثر يمارسون أو يشرحون طرق التصرف الـمرغوبه فى مواقف طبيعيه أو من خلال أفلام مسـجله، ويعززون لمحاكاتهم لهؤلاء الاشخاص، وتعرف هذه التقنيه العلاجية بالنمذجة الصريحه overt modiling ، كما يمكن استخدام التخيل فى مواقف النمذجة وهو ما يعرف بالنموذجة الضمنيه .covert Modiling، وقد يشترك الـملاحظ والنموذج فى أداء المهارة الـمراد تعلمها وهو ما يعرف بالنمذجة بالمشاركه Participant ، وقد يضطر الـمعالج الى اتباع خطوات تدريجية اثناء عملية النمذجة وخاصة فى النمذجة الصريحة والنمذجة بالمشاركة، وعندما يكون الـمثير الـمولد للخوف من الصعب التعامل معه من قبل الـملاحظ مباشرة، ويقترن كل ذلك بنوع من التعزيز الايجابى ، مثلما يحدث عندما نحاول علاج طفل يخاف من الكـلاب، فيشاهد أحد نـظرائه يقترب تـدريجياً من الكـلـب ويحاكيه الـملاحظ (الـمسترشد) ويعزز فى كل مرة يحقق تقدم فيها، ويظل يقترب حتى يربت على ظهر الكلب، وتعرف هذه العمليه بالنمذجة المتدرجة أو التدريجية graduated Modiling

وتعد النمـذجه مفيدة أيضاً فى تغيير السلوكيات غير المرغوبة مثلما يحدث عندما يشاهد الأطفال الـجانحين وغير الـمتعـاونـين فيلـماً لأطفال يلعبون معاً فى سعادة وبلاعدوانيه، وتعزيز سلوكهم إذا تصرفوا بنفس الشكل. وتعد عملية النمذجة وإجرآ تها العلاجية من الإسهامات الجيدة لكل من دولارد وميلر، وبندورا وسوف يرد مزيد من التفصيل عن ذلك فى الفصلين الآخيرين من هذا الكتاب .

خامساً : إعادة البناء المعرفى Cognitive Restructuring

يهتم بعض السلوكيين بأسلوب إعاده البناء المعرفى للمسترشد، أو تعديل أفكاره وطريقة تفسيره للأحداث ضمن الطرق المختلفه للعلاج السلوكى ومن رواد هذا المجال :

١- ألبرت إليس Albart Ellis وتعرف طريقته بالعلاج العقلانى الانفعالى rational Emotive therapy ، وتبـنى طـريـقـته أسـاسـاً عـلـى افـتـراض ان الـسـلـوكـيـات والانفعالات المرضية تنبع من تشرب الفرد لأفكار لاعقلانية وخاطئة، فالعصابى ربما يستجيب للأحداث الـخارجية بأفكار من قبيل " يجب أن أؤدى عملى على أكمل وجه

(أو يجب ان احصل على هذا العمل لامحاله) أو يجب ان أكون محبوب من الجميع، ومن المزعج على الإطلاق ألا اكون كذلك، وسأكون شخص غير جدير بالاحترام إذا لم يحدث ذلك" في حين أن الشخص السوى يفكر بشكل مختلف إذا واجه نفس الأحداث فيقول مثلاً " لقد خاب رجائى لأننى لم أحصل على هذا العمل أو لم أنجح فيه لأننى اقترفت خطأ ما، ولكنها ليست بكارثة، وسوف أؤدى أفضل فى المرات القادمة). فما يجلب القلق والاكتئاب هو : كيف يفكر المسترشد وليس مجرد المثيرات الخارجية ذاتها. ولذلك فإن الهدف من العلاج العقلانى الإنفعالى هو مساعدة المسترشد فى استبدال أفكاره ومعتقداته اللاعقلانيه المرضيه بأخرى عقلانيه، وهى مهمة تتطلب جهداً مضنياً من المسترشد، ومواجهة أو هجوم لفظى قوى على الأفكار اللاعقلانية من قبل المعالج .

٢- هربرت ميكنبوم Meichenbaum, H. وتعرف طريقته بالتعديل السلوكى المعرفى Cognitive-behavior Modification ، حيث ركز على الأحاديث الخاصه للمرضى واهتم بالتخيل فى تغيير سلوك وتفكير المريض وذلك جنباً الى جنب مع الطرق السلوكية الأخرى .

٣- أرون بيك Aron Beck وتعرف طريقته بالعلاج المعرفى ويهتم بالتحليل المعرفى لأفكار مرضاه واعادة تركيبها بشكل صحيح كتحليل المثيرات وردود الأفعال وأساليب حل المشكلات، وقد برع بشكل خاص فى علاج الاكتئاب .

وتمثل الطرق المختلفه لإعادة البناء المعرفى إنحرافاً راديكالياً عن التأكيد الصارم لسكنر عن دور البيئة فى السلوك، ويتشابه فى ذلك مع مفهوم كارن هورنى عن طغيان الواجب Tyranny of the should ، والتناوب (التبادل) التكوينى لكيلى، والخلاف الذى يتجدد أحيانا يدور حول ما اذا كانت مثل هذه الطرق المعرفيه تندرج بالفعل تحت مظله أو عباءة العلاج السلوكى ؟.

سادسا: التغذية البيولوجية المرتدة : Biofeedback

وهى عملية تعلم تتم بواسطة أجهزة الكترونية معقدة لإمداد المريض بمعلومات وافيه عن حالته الفسيولوجية التى لايعى درجة ارتخاءها أو توترها حتى يصبح نشطاً فى العملية العلاجية ويتم ذلك أثناء تدريب المسترشد على الاسترخاء ، وتعد الأجهزة

المستخدمه بمثابه المرشد أو المعزز فى البدايه ومن خلال التدريب والتعزيز يتعلم كيف يتحكم فى حالته الداخليه بدون تلك الاجهزه. وتستخدم هذه الطريقة كعلاج لبعض الاضطرابات العضوية كالصداع وارتفاع ضغط الدم واضطراب وظائف القلب والمعده والامعاء والتبول اللاإرادى ، والتأهيل العصبى العضلى لحالات الشلل النصفى والتدريب الحركى الحسى لنوبات الصرع ، والإضطرابات النفسيه كالقلق والفوبيا والاكتئاب والتوتر العام والتحكم فى الغضب وما يصاحب كل ذلك من تغيرات فسيولوجية (محمدمحروس الشناوى، محمد السيد عبدالرحمن ، ١٩٩٧).

مما سبق يتضح ان العلاج السلوكى يختلف عن الأشكال والطرق العلاجية كتطبيقات فى نظريات الشخصية الأخرى فى الجوانب الآتية :

١- الهدف : يهدف الى تغيير السلوكيات المضطربه أو الأعراض المرضيه ، فضلاً عن تغير الحاله الداخليه غير الملحوظه (كما فى العلاج السلوكى المعرفى).

٢- دور المعالج : المعالج هو الذى يمارس التحكم والرقابة الفعاله، وهو الذى يختار التغيرات المرغوب إحداثها فى السلوك ، ومن الضرورى ان يكون هناك بعض التعاون من قبل المسترشد.

٣- التأكيد على الحاضر : يؤكد العلاج السلوكى على الطبيعة الراهنه لمشكلات المريض، وينجح كثيراً حتى لو كانت الأسباب الأصلية مجهولة تماماً .

٤- تنوع الأساليب المستخدمة : يتميز العلاج السلوكى بتنوع أساليبه بتنوع المشاكل التى يواجهها بالعلاج، فيستخدم التخلص المنظم من الحساسية لعلاج الخوف من الامتحانات، والتدريب التوكيدى لمن يعانون صعوبات فى التعامل مع الآخرين، بدلاً من تطبيق طريقه واحده فعلياً على كل المسترشدين كما فى التحليل النفسى لفرويد والعلاج المتمركز حول المريض لروجرز.

٥- الفعالية : يستغرق العلاج السلوكى وقتاً أقل وقد ينتهى فى شهور قليله ولم يثبت علمياً ان فعاليته أقل من غيره بل قد يكون الأفضل .

٦- القابلية للتجريب والتحقق من نتائجه : ربما يكون أهم ما يميز العلاج السلوكى ان فنياته يمكن إخضاعها للتجريب الذى يدعم تأثيراته الظاهريه ويساعد المعالج على تعديل برنامجه حتى يحقق افضل النتائج بدلاً من الأقتصار على التأملات الظاهريه والأحكام الذاتيه للمعالج .

تعديل السلوك والإصلاح الإجتماعى :

من أهم نقاط الالتقاء القليله بين السلوكية ونظريات الشخصيه الأخرى هو تأكيد سكنر وتحذيره من أن وجودنا الحالى أصبح محفوف بالعديد من المخاطر، فهو يعتقد أن الثقافة لاتحتاج الى القصص الخيالى بقدر ما تحتاج إلى تكنولوجيا السلوك، إنه بامكاننا أن نحل مشاكلنا بسرعة كافية إذا استطعنا أن نحكم النمو السكانى فى العالم بإحكام مثلما نتحكم فى مسار سفينة الفضاء لخفض شبح المجاعات الدولية، وان نحسن الزراعة والصناعة بثقة كبيرة، والحد من ارتفاع الأجور الذى سوف يؤدى الى تضخم لولبى يهدد بفوضى اقتصادية، والحد من انتشار السيارات الخاصة التى تلوث البيئة وقد تحدث أزمة طاقة وزحام لايُحتمل - وأن نتحرك نحو عالم مليئ بالسلام مثلما نتحرك فى تقدم ثابت نحو امتلاك ماديات الحياة، وينادى سكنر بمزيد من الضبط على البيئة وخاصة فى عصر الطاقة الذرية التى يجب أن تُستخدم فى المجال السلمى وليس فى مال التدمير والخراب وإلا سوف يوجد فى هذا العالم أفراد يستنفذون موارده ويلوثون هواءه وأرضه ومائه حتى يطلق أحد المجانين المخزون الاحتياطى من القذائف الصاروخية النووية فى إحدى الجولات الأخيرة للصراع القاسى والمرير فى سبيل امتلاك ما بقى على وجه الأرض، ويقول " مالم يحدث شيئ ما فى الحال، فإن العديد من الناس فى هذا العالم سوف يفقدون وفى غاية السرعة مصادر غذائهم ونقاء الأرض والماء والهواء - إننا يجب ان نتخلص من مخزوننا من القنابل الذرية. إن الأغلبية العظمى من الناس على الأرض لايعرفون أن هناك مشكلة حقيقية وأن أغلبية من يعرفون ذلك لايتخذون اى اجراء أو تصرف على الاطلاق " ويؤكد على أنه من الممكن التحكم فى ذلك باستخدام جداول التعزيز المناسبة كجداول التعزيز المتقطع التى تحل السلوك المناسب محل السلوك غير المناسب حتى لو تطلب ذلك أن نقاسى بعض صور الحرمان، فأن جداول التعزيز تعد محدد هام جداً للسلوك اكثر من كمية التعزيز ذاتها، لأنها إذا ما أعدت بطريقة بارعة فسوف تجعلنا سعداء حتى اذا ما تلقينا مقداراً أقل من هذا التعزيز.

العمل :

استفاد مجال العمل وعلم النفس الصناعى من العديد من قواعد وتوجيهات سكنر مثل التطبيقات الفعاله لتعديل السلوك، أو الممارسات التى تحتاج الى تغيير " فقد اتبعت

مجموعه من الموظفين سلوكاً يتضمن بعض المجازفه بالإسراع الى النزول من خلال دهليز ضيق فى نهاية كل يوم للخروج من العمل، مثل هذا السلوك تم تغييره بقناعه وسعاده معاً باستجابات اكثر اماناً وتوافقاً مثل الوقوف لتنظيم وتسوية ملابسهم بوسيلة بسيطة وهى تركيب مرايا على الحوائط (1965) .

وكما نشاهد فإن الراتب الشهرى يعد معزز ايجابى مشروط، وان أجر العمل بالقطعة الذى يحصل فيه الموظف على مقابل معين نظير انتاج او بيع عدد معين من المنتجات هو أيضاً شكل فعال من أشكال التعزيز طبقاً لجداول النسبة الثابته. (ويتطلب ذلك دائما ألا تكون النسبه عالية ، فمن المعلوم ان العمال دائما يعترضون على انتاج عدد كبير من الوحدات أو القطع بالحد الأدنى من الأجر). كما أن شيك الراتب الأسبوعى أو الشهرى يعد معزز ناجح الى حدما فى تقويه سلوك العمل ، ولكنه لايعد من قبيل الجداول الحقيقيه لتعزيز الفتره الثابته لأن ظهور المعزز ليس من الضرورة أن يكون متوقفاً على الاستجابات السابقه له مباشرة والموجه بالعمل Work-oriented (فى الغرب : قد يحصل الموظف على شيك بمرتبه يوم العطله، فقد يجده موضوعاً فى صندوق بريده يوم السبت مساءاً أو الأحد صباحاً بعد مشاهدة برنامج تلفزيونى معين مثلا). فلكى نمنع التراخى فى الفتره التى تسبق يوم دفع المرتب، فإنه يجب أن نوجد خلالها أشكالا غير مرغوبه من صور ضبط السلوك مثل المشرف اليقظ الذى يستخدم المثيرات العقابية كالتهديد بالتوقف عن الدفع أو الفصل الكلى أو الجزئى، ويثنى سكنر على نظام الأجور المتغيره أو العمل بالقطعه فى هذا الامر ويعد من عوامل التخلى عن التراخى، حيث يبقى العامل يؤدى بنفس الهمه حتى أخر لحظه فى يوم العمل. " ان الدفع المتغير للأجر هو تقدم واضح يساعد على استبعاد التراخى، ولكن استخدام نظام الأجر الثابت لايجعل الموظف يعمل بشكل محدد وثابت، ولايسهم فى تطور نظام العمل" ، وهناك بديل أفضل يعد اكثر إنصافاً للعامل وهو استخدام المكافأت التشجيعية، حيث يجمع بين برامج تعزيز الفاصل الزمنى الثابت وتعزيز النسبة الثابته (كما هو الحال مع مندوبى المبيعات الذى يأخذ جزء على شكل مرتب والآخر على شكل عموله)، كما يمكن استخدام الاشكال غير النقديه من التعزيز، كالتعزيز اللفظيى وشهادات التقدير وغير ذلك .

كما يعد دفع الأجور منفر لأصحاب العمل لانه يقلل إمدادهم بالمعززات الايجابية المشروطه، ولكن هذا السلوك لاينطفىء أو يخمد لانه يعزز ايجابياً بتحقيق نفع (دخول

اضافية من الارباح)، أو يعزز سلبياً بتجنب السلوكيات البغيضه للموظفين مثل التباطؤ والإضراب ، وهكذا تمارس كل من العماله والأدارة السيطرة المتبادله لكل منهما على الآخر. ويعزز كل منهما على نتائج مختلفه وأحياناً متناقضه، ولذلك يساوم كلا الجانبين لتحقيق ظروف عمل مقبوله بشكل تبادلى (مثل الأجر المعقول للعامل مقابل الأداء الجيد فى النوع والحجم) ولكن سكنر يرى ان معظم إحتمالات التعزيز التى تم توضيحها ضعيفه التصميم ويقول " إن اتفاقيات صاحب العمل والموظفين لاتغرى الكثير من الناس ليعمل بعزم واهتمام، أو يستمتعوا بما يعملوه، ولايأخذوا فى إعتبارهم تأثير نتائج عملهم على المجتمع ككل، مثل فائدة وأهمية المنتج، وفى الحقيقة فإن القليل من الناس هم الذين يعملون بجد، وهذا لايعنى انهم اصبحوا كسالى، ولكنه يعنى أن المثيرات الاقتصادية (أو الماديه وحدها) لم تعد فعاله، فالغنىً أو الثراء يجعل المال اقل قيمة كمعزز (1978) .

التربية :

تسعى التربية لتأسيس وترسيخ سلوكيات معينه سوف تنفع الدارس وإناس آخرين فى وقت لاحق باستخدام المعززات الشرطية كالدرجات والترقيات، وشهادات التقدير المدرسية، ويرى سكنر ان معظم احتمالات التعزيز هنا تعد رديئه ومتدنية. وعلى سبيل المثال فقد يعفى بعض المدرسين طلابه من اداء الواجب المنزلى الإضافى كشكل من اشكال المكافأة، وقد يأتى ذلك بنتيجة عكسية لأنه يناقض تماماً إجراءات تعديل السلوك التى هى من قبيل ان التكليف بمزيد من العمل المدرسى يعد تعزيزاً ايجابياً بينما عدم القدرة على الدراسة نوعاً من العقاب (وهذا ربما ينطبق اكثر على الطالب المتفوق الذى يتم تعزيزه دوماً) ، كما أن الفصول المزدحمة ، والتلاميذ ذوى القدرات المتنوعة والمتباينة تجعل من المستحيل حتى على المدرس التربوى المتخصص أن يلبى حاجات كل تلميذ. فالوقت المتاح للتوجيه الشخصى، وتشكيل الاستجابه محدود، كما أن المحاضرات والطرق الجماعية الأخرى للتدريس يمكن متابعتها بشكل سريع من قبل بعض الطلاب بينما يتعذر على البعض الآخر ذلك. وعلى الرغم من أن العصا والعقاب البدنى لم يعد يستخدم فى المدارس إلا ان المدرسين لايزالون يستخدمون الأشكال الأخرى من العقاب الايجابى والسلبى كالنقد اللاذع والتوبيخ، والدرجات المنخفضة، واحتجاز التلاميذ بعد نهاية اليوم المدرسى، وارسالهم الى مدير المدرسة لعقابهم أو تهديدهم بالفصل، كما يستخدمون التعزيزات الإيجابية والسلبية كذلك وينصح سكنر بتقديمها بعد السلوك المعزز

مباشره بدقائق أو حتى ساعات بدلاً من الانتظار طويلاً كنهاية الشهر أو الفصل الدراسى مما يحطم الكثير من فعاليتها وتأثيرها، مما يجعل الكثير من الصغار يفشلون فى التعلم، ويظهرون قلقاً شديداً عند رؤية أعمده من الارقام يجب التعامل معها، ويلجأون الى التخريب للمتلكات العامة والخاصة أو ينقطعوا عن المدرسة ، انهم لم يفقدوا حبهم للتعلم، ولكنهم خدعوا على اصح تعبير واصبحو ضحايا لنظم تربويه لاتستخدم التعزيز بشكل فعال (1978) .

الحل الذى أيده سكنر لهذه المشاكل هو استخدام التدريس أو التعليم المبرمج Programrmed instruction ، وهى طريقة يتم فيها التعزيز الفورى للاستجابات الصحيحة على اسئلة تقدم فى تتابع تم اعداده بعنايه وتم تصميمه ليعطى التعليم الأمثل ويتم ذلك باستخدام ألة التدريس teaching machine (وهى فى الأصل فكرة سيدنى بريسى Sidney Pressey) . وهى فى ابسط صورتها تعمل على النحو الآتى :-

أ - تظهر بعض المعلومات مصحوبه بسؤال عن تلك المعلومات فى البداية .

ب - يكتب الطالب الإجابه فى فراغ منفصل (أى بعيداً عن السؤال) .

جـ - يتقدم الدارس (الطالب) خطوه للأمام، فيعرف ما اذا كانت إجابته صحيحه أم لا ، وإذا أخطأ تظهر له الإجابة الصحيحة ثم يتبعها السؤال التالى . (وفى بعض الحالات لايظهر السؤال التالى حتى يجيب الطالب الإجابة الصحيحة ويعد ذلك نوعاً من العقاب السلبى) .

ويمكن تقديم التعليم المبرمج كبديل عن الصفحات المطبوعة أو بواسطة الكمبيوتر ، فالكمبيوتر يسهل الانتقال الى الأسئلة الجديدة ، ويعطى تلميحات أو إشارات مساعده بعد الاستجابات الخاطئه ، أو حتى التوصيل آلياً ببرامج تعلم علاجى بعد عدد معين من الأخطاء تم تحديده مسبقاً . ومن أمثلة ذلك هذا الجزء الصغير من برنامج فى مادة الفزياء :

جمل يتم إكمالها	كلمه يتم إمداد الدارس بها
١- الأجزاء الهامة فى الكشاف هى البطارية والمصباح الكهربى ، فعندما نضغط على مفتاح الكشاف فإننا نغلق الدائره التى تصل البطارية بـ	المصباح الكهربى
٢- عندما نضغط على مفتاح الكشاف يتدفق التيار الكهربى خلال السلك الرفيع فى الـ. . . . . . ويجعله ساخناً.	المصباح الكهربى
٣- عندما يتوهج السلك الساخن نقول أنه بعث حراره و	ضوء
٤- يسمى السلك الرفيع الموجود فى المصباح شعيره، ويضيئ المصباح عندما تسخن الشعيره عن طريق مرور تيار	كهربى
٥- عندما تعطى البطارية تيار قليل فإن السلك الرفيع والمسمى بـ . . . . لايسخن بدرجة كبيره.	الشعيرة
٦- الشعيره قليله الحرارة تصدر ضوءً	قليلاً أو ضعيفاً
٧- كلمة تبعث تعنى تُصدر ، وكمية الضوء المنبعث من الشعيره تعتمد على درجة . . . . الشعيرة .	حرارة
٨- كلما ارتفعت درجة حرارة الشعيره يزداد . . . . . ومن تم يزداد الضوء المنبعث منها .	توهجها

وتعد هذه الأسئلة الثمانية الأولى من ٣٥ سؤال فى مادة الفزياء لطلاب المرحلة الثانويه، حيث يقدم الجهاز جمله واحده كل مره ويكمل الطالب الجملة ثم يكشف الغطاء عن الكلمة الصحيحة الموضحه على اليسار، وقد يتم طباعة هذا البرنامج فى كتاب ويتم التنبيه على الطلاب ان يخفوا الإجابات بورقه، ولايرفعها إلا للتحقق من صحة إجابته .

ان كتابه برنامج فعال ليست مهمة سهلة ، ولكن من السهل ومن الخطأ جداً فى نفس الوقت ابتكار جمل مبهمة أو غامضه أو فى تتابع يسير بسرعة كبيرة جداً أو بعدم انتظام . ويرى سكنر ان التعليم المبرمج الذى يتم تنفيذه بشكل مناسب تكون له مميزات عده هى :

أ - يحصل الطلاب على تعزيزات فورية وقوية للإجابات الصحيحة .

ب- يمكن أن يسير الطلاب بنفس سرعتهم فى عملية التعلم وفى نفس الوقت تقديم المادة العلمية بنظام ذا فعاليه كبيرة فى عملية التعلم .

جـ - يتحرر المعلم من الكثير من العمل الروتينى الممل كتصنيف عدد ضخم من الاستجابات ومن ثم يكون لديه وقت اكثر ليقوم بالمساعده الفرديه لمن يحتاجها .

وحيث ان السلوكيات التى نحن بصددها ستكون ذات فائدة فى آخر الأمر ، فإن المعززات الطبيعيه ستصبح هى السائده وتجعل آله التدريس غير ضرورية ومن ثم يمكن التخلى عنها فى النهاية (وقد استخدمت هذه الفكرة أيضاً فى التغذية البيولوجية المرتده كفنية للعلاج السلوكى للأمراض النفسية والسيكوسوماتيه كما سبق الإشارة لذلك) .

وكأحد التوضيحات المثيره لإمكانات التعليم المبرمج يذكر سكنر كيف تم تطبيقه على حالة تخلف عقلى متوسط (معتوه) بسبب صغر حجم الجمجمه يبلغ من العمر أربعين سنة لم يكن يستطيع أن يفعل أى شيئ اكثر من ارتداء ملابسه بدون مساعدة، وبالبرمجة المناسبه تعلم ان يضغط على مفتاح ما فيحصل على قطعه من الحلوى كمكافأه ، ثم تعلم أن يضغط على مفتاح فتظهر دائرة ، ثم تعلم ان يميز صورة الدائرة من صورة القطع الناقص الذى هو شكل يشبه الدائره ، ثم تعلم ان يلتقط قلما ويرسم حرفاً تم كتابته بخط باهت (أو بالتنقيط) على ورقة . " إن الانجازات العقليه التى صنعها هذا المعتوه وهو فى الحادية والأربعين من عمره قد فاقت كل ماصنعه فى الأربعين سنه الماضية، ولم يمكنه من تحقيق هذه الانجازات إلا لأنه عاش عدة ساعات كل اسبوع من اسابيع هذه السنة فى بيئة مُبرمجة بشكل جيد، ولاينتظر مثل هذا الرجل مستقبل لامع أو باهر ، ولكن المستقبل اللا مع يخص الاطفال العاديين والأطفال غير العاديين فى قدراتهم الذين سيكونوا محظوظين اذا عاشوا فى بيئات صممت لتطوير نموهم الى أقصى درجة ، واللذين لانعرف عن إمكاناتهم المحتمله إلا القليل جداً (Skinner, 1968) .

الأدب :

يعد سكنر أحد علماء النفس القلائل الذين كتبوا رواية تصور مجتمعاً صمم لأسس فعالة ، وعلى عكس ما قد يتوقعه بعض المشككين (التابعين لمذهب الشك الذى يقول أن المعرفة الحقيقية أو المعرفة فى حقل معين غير مُحققه) فإن والدن(٢) Walden tow التى ألفها سكنر فى ١٩٤٨ لاتتكون من مجموعة من الناس الذين يدفعون فى هياج مجموعة من القضبان فى صناديق صممت بطريقة سكنر ، ولكنها جماعة راضيه ومكتفيه ذاتياً بشكل كبير ، وتتميز بالتجديدات والإبتكارات النفسيه والتنظيمية والحركية الآتية :

- بيئة ريفية سعيده خالية من التطورات الحديثه مثل خطوط المواصلات الحديثه وزحام المرور ساعة الزروة .

- جداول عمل منظمه بمهارة وتسمح لكل المقيمين باختيار وظائفهم وتتطلب منهم اربع ساعات من العمل اليومى لكل شخص ، مما يؤدى لتجنب الأمراض الناتجه عن العمل الزائد ، وتمنح متسع من الوقت لممارسة الهوايات .

- نظام تعليمى يستخدم التعزيزات الايجابيه بدلاً من العقاب ، ويسمح للتلاميذ بالسير فى سرعة ملائمة لقدراتهم ، وان يكون مصدر للمتعه وليس القلق .

- التدريب على ضبط النفس ومقاومة أثار المحن والشدائد أو الضغوط التى تبدأ فى سن مبكره ، وهو ما يمنع بكفاءه من ظهور الانفعالات الهدامة كالحسد والاستياء ، والاستمتاع المرضى بالسيطره على الناس وهزيمتهم وإحباطهم (الديكتاتوريه) .

- حجرات سفره (حجرات طعام) صغيره وجماعية وطعام جيد ، ومواعيد اكل منتظمه ، مما يقضى على التزاحم غير الصحى ، وأنظمة لغسل الاطباق كثيره العدد بشكل يجعل معظم الناس يتحررون من الروتين اليومى الشاق .

- ادوات واجراءات عديدة ذات كفاءة اكثر مثل اكواب الشاى التى يمكن حملها فى جيوب الجاكت (فتكون سهلة النقل بدون سقوط ، وعشب يتم المحافظة عليه لرعى الأغنام (التى يستفاد منها كمصدر غذائى) بدلا من استخدام جزازة للعشب .

- ملابس مريحه تبرز الصفات الجسميه الجذابه لكل فرد بدلاً من الخضوع لنمط عالمى من الملابس مفروض ظاهريا ومبتدع بشكل زائف .

- تعزيز الرعاية الطبيه والعنايه بالصحة العامة .

إن أقل افراد والدن (٢) هو مصممها الذى وجد ان هدفه فى خلق المجتمع المثالى يمكن ان يتحقق فقط باقناع الناس من خلال التعزيز الايجابى ، وهو وسيلة فعاله وايثاريه لضبط السلوك ، وهذا الشخص هو الذى ليس له سلطه عليهم ولا يسعى الى ذلك وليس له مقام او منزله متميزه، وبرغم ذلك فقد اثارت فكرة المجتمع المخطط مثل والدن-٢ نقداً ملحوظاً من هؤلاء الذين يرونها كالقبر تهدد الحريه الأساسية والضروريه لبنى الأنسان (1972b) .

علم النفس الاجتماعى :

فى رأى سكنر ، إن قواعد الإشراط الإجرائى التى تم شرحها على استجابات الأفراد يمكن تطبيقها على سلوك الجماعه والجماعات . وكما رأينا فإن الحمام يمكن تدريبه باستخدام التشريط الإجرائى لممارسة لعبة جماعية مثل البنج بونج، كما يمكن استخدام التشريط الإجرائى فى تسهيل عملية التعاون، فقد امكن تدريب حمامتين جائعتين على نقر قرصين مختلفين بالتتابع حتى يتلقى الطعام ، واذا كان التفاعل البشرى اكثر تعقيداً من ذلك حيث يحتاج بالإضافة الى التعزيز الى سلوكيات اخرى ، كالالتفات ، والموافقه، الابتسام أو العناق (وهى معززات تحتاج لوجود الأشخاص الآخرين)، وتحتاج لأن تأخذ صور رسمية من قبل الحكومة والقانون والدين. ومن ثم يتم اكتسابها بشكل تشريطى فى بطء . فعلى سبيل المثال اذا ظل شخص ثرثار يتحدث الى ان يصاب بالغثيان فقد يحدث ذلك لأن مستمعيه يمدونه بمزيد من التعزيز كالالتفات والتلاحم البصرى ، والابتسام، ولذلك فإن إزالة هذا التعزيز سوف يؤدى لانطفاء هذا السلوك غير المرغوب" (1972 a) .

السلوك اللفظى :

أعطى سكنر إهتماماً كبيراً للتفسير الإجرائى لعملية الكلام، ويعتبرها تشبه فى أساسيتها الكثير من الاشكال الاخرى للسلوك فهو يعرف الأمر أو المطلب mand *على أنه بمثابة نوع من التشريط اللفظى يفرض بعض المطالب على المستمع ، ويتم تعزيزها بواسطة توابع لاحقه . عندما تقول مثلا " توقف عن هذا" ، فإنها تخضع

* صنف سكنر تحت هذا الأسم كل طلب أو التماس أو أمر يستجيب لحوجة أو احتياج ومنه mand وهو نمط فاعل أو اشراطى وهو منطوق كلام يلقى بطلبات على السامع ويأتى بالثواب function للمتكلم عندما يذعن السامع مثال ذلك لفظة الرضيع (أمبوه) التى معناها أريد أن اشرب ويتلقى الثواب عندما تحضر الأم الماء وتقدمه (كمال دسوقى ١٩٩٠).

للكثير من ردود الأفعال الخارجية وتقوى بانقطاعه . اللباقه اللفظية Tacts ترجع الى تميز وتسمية مثيرات مختلفه كما يتضح عندما يشير طفل الى شيئ ما على ان لونه أحمر ثم يلقى تعزيزا من والديه عن طريق الموافقه والاستحسان . كما ان اللازمات السلوكية autoclitic behavior فإنها تتضمن السلوكيات اللفظية، التى تظل تميز السلوك اللفظى لفرد ما من قبل الآخرين مثل قوله " أنا لا أعتقد ذلك " ويختلف سكنر عن بعض علماء النفس الاخرين فى اهتمامه بهذا الجانب الذى يراه البعض على انه اسهام متميز أما البعض الآخر (وهم الأغلبية) يعتقدون انه مجرد نوع من الخداع .

علم الأدوية (الفارماكولوجى) :

استخدم الإشراط الإجرائى على نطاق واسع فى اختبار مدى فعالية وأضرار العقاقير العلاجية، فاستجابة الفئران والحيوانات المختلفه فى صندوق سكنر قد تثبت حساسيتها لتأثير عقار معين مما يجعل من الممكن اختبار الآثار الجانبية غير المرغوبة لأى عقار قبل طرحه للبيع فى الصيدليات.

نظرية سكنر فى الميزان :

أوجه النقد والخلاف :

لقد أثارت كتابات سكنر العديد من الانتقادات من قبل المحللين النفسيين من انصار فرويد، وبعض هذه الانتقادات يعكس التجاهل الواضح للنقاط التى سيلى شرحها فيما بعد، حيث اقتنع معارضوه أنه أنكر تماماً وجود المعارف ، والعواطف والمعرفه بالذات أو أى نوع من السلوكيات اللاشعورية ، ،البعض رفض ماسبق ذكره عن فنيات العلاج السلوكى، معللين ذلك بأن أى محاوله لإزالة الاعراض المرضيه بدون البحث فى الاسباب اللاشعورية للعرض يؤدى الى صورة أخرى من الأعراض المرضية وهو ما يعرف بإزاحة العرض Symptom Substitution كما واجهت نظرية سكنر انتقادات أخرى أهمها :-

١- الفاشية فى صورة علمية :

يرى بعض النقاد ان السلوكية هى المثير الحقيقى لفكرة الفاشية *، وتقبلها المجتمع

* الفاشية Fascism : نظام أو حركة أو فلسفة سياسية تمجد الدولة والعرق وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطى (مستبد) مركزى على رأسه زعيم ديكتاتورى وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومى (المورد ١٩٨٠).

بشكل كبير لأنها قُدمت لهم فى شكل مساعى علمية ، هؤلاء النقاد يتهمون سكنر بأنه يفتقد الى الحساسية التى تجعله يفرق بين المتحكم فى السلوك (السجان) والشخص المتحكم فيه (السجين). كما اطلقوا عليه النكات التى تعكس اللامنطق فى السلوكية : حيث قال أحد الفئران فى تجارب سكنر للفأر الآخر الذى معه فى القفص "لقد قمت بالتشريط الإجرائى لهذا المجرب فكلما ضغطت على هذا القضيب قدم لى طبقاً من الطعام " هذه هى الإجراءات السلوكيه التى أحبها رجال الاقتصاد، والسياسين الفاشيين لانها توافق فلسفة موسيلينى ذلك الطاغيه الإيطالى الذى هُزم فى الحرب العالميه الثانية فى العلمين بمصر والذى ترجع اليه فكرة أن الغاية تبرر الوسيلة .

وقد رد سكنر على هذا الانتقاد بقوله : إن أى تغيير فى السلوك يمكن تفسيره بشكل بناء وأيضاً بشكل هدام كما هو الحال فى مسألة استخدام العقاب، ولكن الاشكال المستبده من السيطره السلوكية بعيده عن ذلك كل البعد، وهذا يمكن ادراكه إذا راعينا طرق تقوية السلوك التى تنظم أفعالنا وتعطيها شكل اكثر فعالية، وترتبها بطريقة مضاده لسيطرة هؤلاء الفاشيين (1978) ، ولقد اكد سكنر ان اكثر اشكال التحكم فى السلوك فعالية هى التعزيز الايجابى ، ولكن هذا الإجراء لن يكون فعال إلا إذا اقترن فى تشريط اجرائى بنوع من الحرمان، وهى حالة يعتبرها الكثيرون أمراً منفراً . وعلى سبيل المثال فلكى تتحكم فى سلوك طفل باستخدام الحلوى فلابد من جعل الطفل جوعان وأن تحرمه من الحصول على هذا المعزز لأوقات كثيرة (1965) ، وهكذا اصبحت المقارنة بين الفاشية وتعديل السلوك أمراً مرفوضاً فى نظر الكثيرين من هؤلاء الذين تم مساعدتهم من خلال نظرية سكنر، وان تعديل السلوك بطريقة سكنر أمر جيد إذا ما قورن بغيره من الطرق وخاصة التحليلية بمالايدع مجالاً لادنى شك ، وهذا من وجهة نظرى على الأقل .

٢- الناس والحمام والفئران :

لقد أتهم سكنر باعتماده فى نتائج دراساته على الحمام والفئران ، وإنكاره للصفات والخصائص المميزه للجنس البشرى ، ويدافع سكنر عن نفسه قائلاً إن سلوك الإنسان من أصعب الموضوعات التى يمكن دراستها بينما يمكن البدء بما هو أبسط واسهل أولاً (وقد اتبعت هذه القاعدة فى كل العلوم الأخرى) . واعتماداً على ذلك فإن سكنر يعتقد أن البشر لم يُظهروا حتى الأن أنهم يختلفون بشكل واضح عن الكائنات الأخرى ، ولذلك فهو يرى انه ليس هناك أى سبب فى عدم استخدامه للحيوانات التى تعد أسهل استخداماً فى دراستها، ويمكن اجراء الدراسة عليها فى شروط تجريبيه لايمكن تطبيقها على

الإنسان، وقد سهل صندوق سكنر الأمر لعلماء النفس الذين يفضلون المدخل التصورى ، ومدهم بالبيانات الهامة عن الفروق والتى يشعر انها ستنفقد قيمتها باستخدام المجموعات والمتوسطات وأية تحليلات إحصائية أخرى (1972b) . وحتى لو كان البشر لديهم بعض السمات الفريدة فإن الفهم الكامل لمثل هذه الصفات ليس ضرورياً لتحقيق نتائج عملية هامه - كما هو موضح فى العديد من التطبيقات الإجرائية السابقة ونتائج الدراسات حول طبيعة الحياة البشرية - وحتى الآن لايحتاج علماء النفس الى فهم جميع الصفات الإنسانية التى لاتوجد فى الكثير من الكائنات العضوية الأقل ،وعلى سبيل المثال اذا كانت للمعرفه جوانب سببيه للإنسان فإنها ايضاً (الأسباب) قد تكون وراء قدرة الفئران والحمام على تعلم سلوك ما ولو بسيط .

٣- الناس كالدمُى والعرائس :

حيث ان مفهوم سكنر عن السلوك يخضع لمبدأ الحتمية تماماً مثل مفهوم فرويد، ولذلك فقد تعرض لنفس الانتقادات التى تعرض لها فرويد وخاصة من اصحاب مبدأ القصديه مثل كيلى وروجرز .

ولقد دافع سكنر عن ذلك بقوله : ان نموذج بافلوف هو الذى صور الناس كالدمى والعرائس المتحركه عندما اكد ان الاستجابات تستدعيها elicited مثيرات خارجية، أما التشريط الإجرائى يحرر أو يبعث Emil السلوكيات التى يتم تقويتها تبعاً للظروف . ورغم ذلك فإن بعض نظريات التعلم الحديثه تعتقد إن الفروق بين الإشراط الكلاسيكى والإجرائى اقل ما يعتقد سكنر .

٤- انتقادات أخرى :

لم يهتم سكنر بشكل كبير بقضيه : لماذا يقوم المعزز بعملية التعزيز Why a reinforcer is reinforcing? حيث يعرفه بأنه كل ما من شأنه أن يقوى الاستجابة . وهو تعريف دائرى يشبه تعريف الذكاء بأنه الدرجة التى يحصل عليها الفرد فى اختبارات الذكاء ، فعرف المعزز بأنه كل ما يقوى الاستجابة ويزيد من احتمالية تكرارها دون أن يحاول بالتجربة الإجابة على السؤال السابق فهو يفترض ان المعززات تعمل على بقاء السلوك ولاتظهره من العدم ، كما ينظر للعقاب على أنه اسلوب مناسب يجب استخدامه أحياناً كما يحدث عند تطبيق العقاب بعد استجابة غير مرغوبة حتى لو كان حاداً الى حد ما وهو ما يرفضه بعض السيكولوجين المعاصرين ، كما يتساءل بعض المنظرين عن تفسير

سكنر لتلك الإجراءات البسيطة التى يمكن أن تؤدى الى سلوكيات معقده مثل كتابة فصل فى كتاب أو الحديث مع الآخرين من خلال الإشراط الإجرائى .

إسهاماته :

كما رأينا من قبل فإن تعديل السلوك قد أثبت أن له قيمه عاليه فى مجالات عديدة منها :

- مجال طرق التدريس : تعد إسهامات سكنر وغيره من علماء النفس فى تطوير طرق التدريس - وخاصة التعليم المبرمج - ذات قيمه عظيمه ، وقد لقيت قبولاً كبيراً خلال العقود الخمس الأخيره ، حيث استخدمت الكثير من المؤسسات التعليميه التعليم المبرمج وثبتت فعاليته فى التعلم والتى تأكدت من خلال الدراسات والبحوث التجريبيه التى قارنته مع غيره من طرق التدريس .
- لايحتاج أى فرد لأن يكون عالم نفسى سلوكى ليقدر أفكار سكنر وإسهاماته فى مجال العلاج النفسى والإصلاح الاجتماعى ، وتدريب الحيوان فى مجال خدمة البشرية .
- يعد صندوق سكنر أحد الأجهزة الهامة الشائعة الاستخدام من قبل علماء النفس عند دراستهم لسلوك الحيوان ، كما أسهم عمله فى مجال جدولة التعزيز الى لفت الانتباه لأهمية التعزيز كأحد محددات السلوك .
- لا أحد يستطيع أن ينكر اسهاماته العظيمه فى مجال التشريط الفعال، ودراساته فى تنمية الابتكار، والاتجاهات العلمية الحديثه فى العلاج التى بُنيت على طريقته كالتغذية البيولوجية المرتدة ، أضف لذلك ما يتميز به أسلوبه من بساطه ودقه علميه تولد الرغبه فى اكتساب المعرفه من جميع كتابات سكنر .

الفصل السابع عشر
السلوكية البديلة
(المدخل الانتقائى للسلوكية المعرفية)

جون دولارد . ونيل ميلر

العديد من علماء النفس والكتاب السيكولوجين الحاليين يعتقدون ان ما تم مناقشته فى النظريات السابقة لايمكن استبداله بنظرية سكنر . ولكن بسبب الانتقادات الموجهة للعلاج السلوكى فإن أعداداً متزايدة من السلوكيين انفسهم يقبلون الآن فكرة احداث تغيرات مباشرة فى الناحية المعرفية للعميل كما ان البعض الآخر ينتقدها من زاوية ان التخلص التدريجى والمنظم من الحساسية ليس أسلوباً سلوكياً بحتاً، يتطلب الاستبطان (فحص المرء لأفكاره ودوافعه ومشاعره) وتحكم المسترشد فى افكاره وصوره العقليه. كما ان رأى سكنر فى هذا الأمر ليس صامداً للمقاومة. ان معظم الإهتمامات السيكولوجية المستقبلية تتضمن نوعا من التقريب بين النظرية السلوكية وغيرها من نظريات الشخصية.

ولعل أهم الجهود الراهنة فى هذا الإطار ما قام به كل من دولارد وميلر، حيث تعد جهودهما بمثابة تقريب بين السلوكية من ناحية ونظريتى التحليل النفسى والمجال من ناحية أخرى. فهما من ناحية يرون ان الإطار الاكلينيكى يعد مصدراً خصباً للنتائج بطريقه غير عادية، كما انهما يوافقان على المعتقد الشائع بأن الفروق بين الأمراض النفسيه فروق فى الدرجة اكثر من كونها فروق فى النوع. كما ان السلوكيات الأكثر وضوحاً لدى العصابيين تساعد على استنتاج القواعد العامة التى يصعب ملاحظتها فى الاشخاص العاديين نسبياً، كما اوضحا أن شدة البؤس لدى العصابى ربما تكون الدافع الوحيد الذى يجعل الشخص يخضع للدراسة المطوله من قبل عالم النفس وان يكشف عن بعض القضايا الهامة والمتعمقة :

" بعيداً عن العلاج النفسى، كم حالة دُرست لمدة ساعة يومياً لمدة خمسة أيام أسبوعياً لمدد تتراوح بين عام وثلاثة اعوام، وفى المواقف الحياتيه الحيوية هل يمكن ان تمر على الإنسان سنوات من البؤس أو سنوات من الأمان والنجاح (Dollard & Miller, 1950) .

بالإضافة لذلك فإن دولارد وميلر عالمين تجريبيين من النوع الذى يقدر قيمة البحث العلمى المعملى ، فهم يتشابها ن مع سكنر فى دراساته التى أجراها على الحيوانات لاكتشاف أسس العمليات السلوكية ، وأيضا فى استخدامهما للمصطلحات السلوكية فى إزالة غموض بعض التركيبات النفسية، وتقديم فروض قابله للتجريب، لقد كانا من أوائل من اقترحوا أن العصاب مُتعلم، ويمكن علاجه من خلال تطبيقات نظرية التعلم وهو ما يعرف الآن بالعلاج السلوكى . ولكنهما يختلفان بوضوح عن سكنر فى أن توليفهما لنظريات متناقضة يعد إسهاماً عظيما فى مجال علم النفس. ويرجع اتفاقهما فى كثير من النواحى الى تزاملهما معاً فى معهد العلاقات الإنسانية، كما انهما يدينون لكل من فرويد وهل بالكثير من افكارهما .

نشأتهما وحياتهما :

ولد جون دولارد John Dollard فى ميناشا Menasha بويسكونسن فى التاسع والعشرين من اغسطس (١٩٠٠م) حيث كانت والدته تعمل مُدرسة ، ويعمل والده كمهندس للسكك الحديدية وقُتل فى صدام بين قطارين أثناء طفولة دولارد. ولقد كان دولارد تلميذاً متفوقاً حصل على الليسانس من جامعة وسكونسن عام ١٩٢٢م ثم على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم الاجتماع عام ١٩٣١ من جامعة شيكاغو، وخلال الفترة من ١٩٢٣-١٩٢٩ عمل كمساعد لرئيس جامعة شيكاغو ، وفى سنة ١٩٣٢ قبل وظيفة استاذ مساعد لعلم الإنثروبولوجى فى جامعة يل yale وفى السنة التالية اصبح استاذاً مساعداً لعلم الإجتماع فى معهد العلاقات الإنسانية المُنشأ حديثاً بنفس الجامعة، وفى عام ١٩٣٧ اجرى دراسة مهمة وشجاعة فى ذلك الوقت عن استغلال الزنوج فى الجنوب الأمريكى ، وفى سنة ١٩٤٨ نال درجة الأستاذية فى نفس المعهد . وتقاعد عن العمل فى ١٩٦٩م . ولقد تدرب دولارد على التحليل النفسى فى معهد برلين ونال عضوية جمعية غرب انجلترا للتحليل النفسيى. ولايقتصر سعيه فى توحيد العلوم الاجتماعية على نداءه بذلك فقط ولكن فى اهتماماته بعلم الاجتماع والانثروبولوجى وعلم النفس ومؤلفاته فى هذه العلوم ، ومن مؤلفاته كتابه" أطفال الرقيق" childern of bondage (١٩٤٠) الذى شاركه فيه أليسون ديفز، كما نشر كتاب فى جزئين عن التحليل النفسى للخوف،الأول يتناول التغلب على الخوف (١٩٤٢) والثانى يتناول الخوف من الحرب (١٩٤٣)، كما اشترك مع كل من فرانك أولد، وأليس وايت فى كتاب خطوات فى العلاج

النفسى (١٩٥٣) ويتضمن طريقة العلاج النفسى ووصف مفصل لدور الفرد فى العلاج . كما نشر عام ١٩٥٩ مع أولد كتابهما تسجيل دوافع الانسان Scoring human Motives . ورغم ذلك دفع دولارد ثمن اهتماماته المتداخلة لأن الاقسام الاكاديمية تنظر عادة بعدم ارتياح لهؤلاء الذين يخرجون عن القوالب الأكاديمية لهم وكذلك لم يرقى الى درجة أستاذ فى علم النفس إلا وهو فى الثانية والخمسين من عمره. ومات دولارد فى الثامن من اكتوبر (١٩٨٠).

اما نيل ميلر Neal E, Miller فقد ولد فى ميلووك Milwaukee بويسكونسن أيضاً فى الثالث من أغسطس عام ١٩٠٩م . وحصل على درجة الليسانس من جامعة واشنطن فى ١٩٣١ ، درجة الماجستير من جامعة ستانفورد عام ١٩٣٢ ، ودرجة الدكتوراه من جامعة يل فى علم النفس سنة ١٩٣٥م. وخلال الفتره من ١٩٣٢-١٩٣٥ عمل كباحث مساعد فى قسم علم النفس بمعهد الدراسات الانسانية، ومن ١٩٣٥-١٩٣٦ كان باحثاً بمركز دراسات العلوم الاجتماعية وبعد ذلك سافر الى فينا فتلقى تدريباً فى التحليل النفسى من معهد فينا. وخلال الفتره من ١٩٣٦ - ١٩٤٠ عمل مدرساً ثم استاذا مساعداً بمعهد العلاقات الإنسانيه ثم حصل على الأستاذية فى ١٩٤١م ، وخلال الفترة من ١٩٤٢-١٩٤٦ اشرف على خطة للدراسات النفسيه بسلاح الطيران الامريكى، وفى عام ١٩٤٦ عاد الى جامعة يل وحصل بها على درجة أستاذ لعلم النفس وظل بها حتى ١٩٦٦م عندما رأس معمل علم النفس الفسيولوجى فى جامعة روكفيلر ، ويعد تعاونه مع دولارد من عوامل شهرته فى علم النفس بسبب دراستهما التجريبية المتقنه وكتابتهما النظرية عن الدوافع والتدعيم ودراسة الصراعات. ولقد ركزت بحوثه المبكره على دراسة السلوك فى البيئة الطبيعية، ولكن فى منتصف الخمسينات تحول إهتمامه الى دراسة الميكانزمات السيكولوجية ودور الدافع والتعزيز فى ظهورها. وتم نشر هذه الدراسات فى مجلات علميه، ونال ميلر عضويه الأكاديمية القوميه للعلوم، ورشح لرئاسة الجمعية الأمريكية لعلم النفس (١٩٥٩) وحصل على وسام وارن Warren من جمعية علماء النفس التجريبيين (١٩٥٧)، ونال وسام الرئيس الأمريكى فى العلوم (١٩٦٥) على مساهماته فى مجال العلوم السلوكية .

وفى سنة ١٩٣٩ نشر مع دولارد وعدداً من أعضاء معهد العلاقات الإنسانية مقالاً بعنوان الإحباط والعدوان، حيث حاولوا فيه تحليل الأحباط ونتائجه من خلال

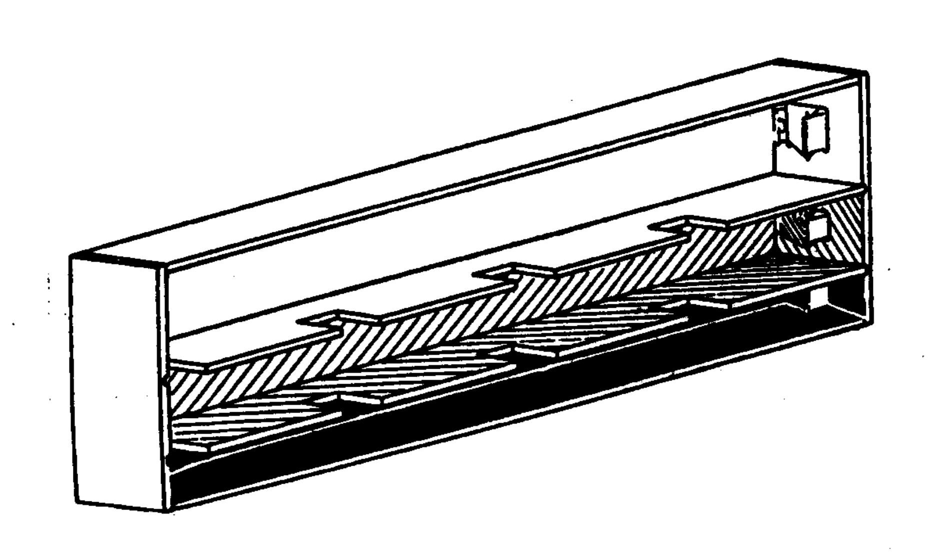
مفهومى المثير والاستجابة وبشكل يحقق التكامل بين مفاهيم السلوكية والتحليل النفسى ويحقق الاستفاده من هذا التكامل، وقدم دولارد وميلر كتابين حاولا فيهما اظهار التطبيقات المختلفه لنظريه هل Hull فى مجال علم النفس الاجتماعى هما : التعلم الإجتماعى والمحاكاة (١٩٤١)، والثانى يتناول مشاكل علم النفس الاكلينكى بعنوان الشخصية والعلاج النفسى (١٩٥٠)، وكانت آخر اهتماماته هى دراسة الظروف التى يمكن للفرد تحتها ان يتحكم فى النواحى الداخليه له، ولقد اسفر ذلك عن مجال جديد للعلاج النفسى قطع فيه شوطاً جيداً وكان لميلر اسهاماً فعالاً فيه هو التغذيه البيولوجية المرتده "biofeedbacke".

نموذج لتجارب دولارد وميلر فى دراسة الشخصية :

كان لدراسات دولارد وميلر التجريبية على الحيوانات هدفين :

١- إثبات أن الخوف والقلق وغيرهما من مظاهر العصاب متعلمه، وانها تكبت فى اللاشعور فقط اذا اكتسبت قبل تعلم اللغة.

٢- إضفاء الصفة التجريبية على بعض المفاهيم التحليليه كالصراع والتعميم والإزاحة او مفاهيم سلوكيه كالإنطفاء فى موقف مماثل لعملية العلاج النفسى واستخدما لذلك جهاز موراى وبيركون Murry & Barkun ويتكون من صندوق خشبى مقسم الى ثلاث اجزاء طولية تم طلاءها من الداخل باللون الأسود والرمادى والأبيض. وفى احد اطراف الصندوق يوجد ممر يوصل الأجزاء الثلاثه معاً بحيث يتيح للحيوان المستخدم حرية التنقل بينها بينما يوجد فى الطرف الاخر فتحات مواجهة لكل جزء تسمح للحيوان بالخروج منها (شكل١٧ أ) . وحيث انهما لايعتقدان بوجود خطأ فى استخدام الحيوانات فى التجارب بغرض دراسة السلوك فقد استخدما الفئران، فى البداية أحدثا صراع الاقدام- الإحجام فى الفأر عن طريق تغذيته فى البدايه فى جزء معين من الصندوق سمى (بالصندوق الهدف) Goal box ، وتم إحداث الصدمه الكهربائيه عليه فى نفس الصندوق، حيث تكون لدى الفأر ميل اقدامى قوى نحو الصندوق لانه يأكل فيه ثم ميل احجامى قوى نحو نفس الصندوق لانه يتلقى منه الصدمه الكهربائية . حيث تلقت بعض الحيوانات تدريبها فى الجزء الأبيض، والبعض الآخر فى الجزء الرمادى. وبعد انتهاء التدريب توقف إحداث الصدمات الكهربائية.



شكل (١٧-أ)

وطبقا لقواعد نظرية الصراع فإنه من المتوقع ان يكون لدى الحيوان الذى دُرب على صراع اقدام / إحجام : إقدام نحو الهدف الى ان يصل الى النقطه التى يصبح الإحجام عندها أقوى من الإقدام وفى هذه الحالة ستحدث عمليه إزاحة أو إبدال الى هدف مماثل ولكنه أقل تهديداً. وفى هذه الحالة يتوقع ان يهرب الحيوان من الممر الذى تلقى فيه الصدمة (ولنفرض أنه الممر الأبيض) ويدخل ممراً اخر لونه مخالف للممر الذى تلقى فيه الصدمة، فقد يذهب الى الممر الرمادى أو الاسود، ومع توقف الصدمات فإن الخوف من الممر الأبيض سينطفئ، وهو ما يثبت أن الخوف والقلق والصراعات عمليات مكتسبة. وسيتم عرض نماذج أخرى لتجاربها فى حينه .

الطبيعة الأساسية للنفس البشرية :

١- الدوافع الأوليه الثانوية :

يشارك دولارد وميلر فرويد فى اعتقاده بأن دوافعنا الأساسية يمكن ان تختزل الى عدد محدد من الدوافع هما :-

أ- الدوافع الأوليه أو الفطرية Primary or innate drives وهى الدوافع التى يرجع إليها جزء كبير من سلوكنا وتتضمن دوافع مثل الجوع والعطش والجنس، وتجنب الألم، وهذه الدوافع يمكن أن تشبع ولكنها لايمكن ان تستبعد أو تستأصل فمن السهل أن تعود مرة أخرى للظهور بعد فتره من إشباعها، (ومن الممكن ان يبقى الشخص جائعاً

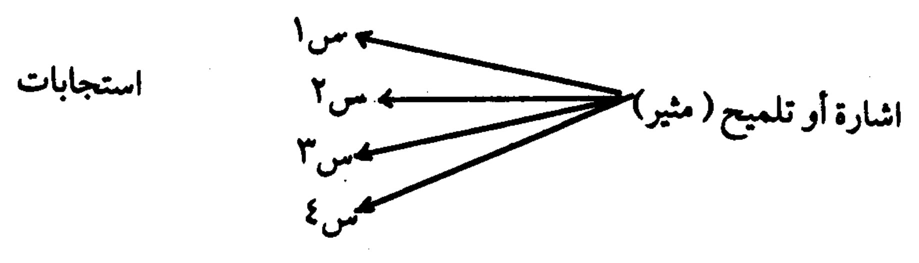
ولكن من المستحيل الغاء حاجته للطعام). وفى اتفاق مع رأى سكنر يعرف دولارد وميلر شده الدوافع - مثل دافع الجوع والعطش - بمصطلحات موضوعية مثل ساعات الحرمان.

ب - الدوافع الثانوية أو المتعلمة secondary or learned drives : كما أعطى دولارد وميلر اهتماما خاصا بالدوافع المتعلمه مثل : الغضب ، الذنب، التفضيل الجنسى لصفات جسمية معينة، الحاجة للمال أو القوة، الإمتثال ، وعدم الامتثال، وغيرها . . . ولكنهما يعتبران ان اكثر هذه الدوافع اهمية هى الخوف أو القلق الذى سبق وأثارته مثيرات طبيعية (وهما يتفقان على ان الخوف يرجع الى مثيرات معروفه أما القلق فيرجع الى مثيرات مكبوتة). ففى إحدى تجاربهما المعروفه وجدا ان الفأر الذى اصبح يرتكن الى الجانب الابيض من الصندوق ذات القسمين الملونين بالابيض والأسود لوجود الغذاء به تعلم أن يبعد عن هذا الجزء عندما تعرض فيه للصدمات الكهربية واصبح يهرب الى الجزء الآمن منه (ذى اللون الأسود) تجنباً لمثيرات الخوف وهى الصدمه الكهربية. كما يمكن تعليمه سلوكيات جديدة مثل إدارة العجلة او الضغط على قضيب لكى يفتح الباب المؤدى للجانب الأسود من الصندوق، مما يوضح ان خوفه من الجزء الأبيض ليس مجرد استجابه اكتسبت بالإقتران الشرطى ، ولكنها ايضاً دافع متعلم قادر على توليد سلوك جديد، ويلعب التعارض بين هذه المخاوف المتعلمة والدوافع الهامة الأخرى الدور الحاسم فى نشأة العصاب كما سنرى بعد ذلك .

كيف تُختزل الدوافع :

١- تعديل تسلسل الاستجابات :

أى تلميح أو إشاره قد يثير عدد من الاستجابات المتزامنه ، تتباين إحتمالية حدوثها من فرد لآخر. وهذه الاستجابات سماها هل Hall بالنسق الهرمى المألوف للعادات habit family hierarchy ويمكن توضيحها على النحو الآتى :



الاستجابة س١ هى أقوى هذه الاستجابات وستظهر أولاً ثم س٢ وهكذا، فإذا مُنعت س١ من الظهور ستصبح س٢ هى الأقوى، واذا مُنعت س١، س٢ فإن س٣ ستكون هى الأقرب للظهور وهكذا. فالطفل الجائع قد يُظهر عدم الارتياح ثم البكاء، ثم الانخراط فى ثورة غضب، مع ملاحظة ان هذه الاستجابات تظهر لفترة قصيرة فإذا دُعم إحداها ستكون إحتماليه ظهورها مستقبلا أقوى وتعرف بالاستجابة المسيطرة لانها اكثر الاستجابات فعالية فى تخفيض الدافع .

ويلعب التعلم دوراً اساسياً فى تعديل تسلسل الاستجابات ويعرف تسلسل الاستجابات فى البداية (قبل التعليم) بالتسلسل المبدئى ويسمى بعد ان يتم التعلم وتعديل الاستجابة بالتسلسل الناتج . ويجب ان نلاحظ انه اذا كانت الاستجابة المسيطرة هى التى تخفض الدافع المستثار دائما فلن يُجدى التعلم، وحيث ان الاستجابة الفطرية لحركة جفون العين ستزيل الاجزاء المتناثرة بها مثل شعر الجفون مثلاً فلن يكون هناك داعى لفحصها أو غسلها، وطبقا لدولارد وميلر فإن كل انواع التعلم التى تسعى لإعادة تنظيم الاستجابات يعتمد على الفشل وهو ما يسمى بمأزق او معضلة التعلم Learning dilemma وقد استخدم هذا المفهوم على نطاق واسع فى مجال التربيه ورعاية الأطفال.

٢- تقوية الارتباط بين المثير والاستجابة من خلال التدعيم :

يفضل دولارد وميلر استبدال المفهوم التحليلى الغامض المعروف بمبدأ اللذه بالمفهوم السلوكى الأكثر وضوحاً وإحكاماً وهو التعزيز، ويعرفان التعزيز بأنه اى حدث يقوى الميل لتكرار الاستجابة، ويعد اختزال الدافع أكثر أشكال التدعيم فعالية، على الرغم من انهما يعتقدا باحتمالية وجود اشكال اخرى للتدعيم. ويقولا : " نحن نفترض ان الاختزال المفاجئ لدافع قوى يكون بمثابة تعزيز جيد، ولسنا فى حاجة الى الافتراضات المثيره للجدل القائل بأن كل التعزيزات تنتج بنفس الطريقه. (1950) ، وتؤثر المعززات بدورها تلقائيا بدون الحاجة الى المعرفه الشعوريه للفرد ، ويجب ان تتبع الاستجابة حتى تكون اكثر فعالية كما ذكر سكنر من قبل .

ويتضمن الاختزال المعزز للدوافع نوعين من المثيرات الأول دافعى أوحاث Motivational مثل آلام الجوع الشديد أو صوت المذياع الصاخب المنبعث من عند الجيران، و الثانى يكون عادة اقل ضعفاً ويفيد فى تحديد الإشارات التمييزية وهى التلميحات Cues . ولنفرض ان هناك فتاة صغيره جائعة أُخبرت أن الحلوى موجودة فى

مكان ما فى الحجرة. فإنها سوف تتجه الى تليمحات معينه تستثير استجابات معينه من ذخيرتها السلوكيه، كأن تتجه ببصرها نحو طبق الحلوى او تسأل المجرب عن مكانها، وأية استجابة تؤدى الى اختزال دافع الجوع تميل لان تحدث ثانيه نفس التلميحات، مثلاً عندما تزيل كتاباً من على رف للكتب وتكتشف الحلوى وتأكلها بسعادة، فإنها سوف تعود للبحث خلف نفس الكتاب فى المحاولات التالية، وان كان ذلك ليس أمراً حتمياً، لأنها ربما تتوقع ان المجرب قد غير مكان الحلوى الآن، ولكن اذا تكرر وجود الحلوى خلف الكتاب، فإن الاقتران بين رؤية الكتاب وازاحته ستقوى بسبب مايتبعه من تعزيز. فى حين ان السلوكيات الاكثر احتمالية للخطأ (مثل النظر الى مكان ما لفترة طويلة دون الوصول للحلوى) تكون اكثر عرضة لأن تضعف وتميل البنت لعدم اتيانها مرة اخرى لأنها جعلت السلوك اقل فعالية، وهكذا بالنسبة للدوافع الأخرى، فنحن نستجيب للتلميحات أو الاشارات بناءً على الطريقة التى عزز بها اختزال الدافع فيما مضى، وينظردولا وميلر الى ان جوهر التعلم هو الذى يقوى الارتباط بين المثيرات الجزئيه او التلميحات (الكتاب الصحيح) واستجابات معينه تحدثها (ازالته من على الرف) اثناء التعزيز (ايجاد الحلوى وأكلها) ويعرف هذا المدخل على نطاق واسع بنظرية المثير - الاستجابة Stimulus-Response theory.

وحيث ان الأستجابات الصادرة من اى شخص ربما تختلف درجة استثارتها بواسطة التلميحات الجزئيه ولذلك فإن دولارد وميلر يعرفا التعلم بأنه اما نقص فى احتمالية ظهور استجابة غير مرغوبه، أو زياردة فى احتمالية ظهور استجابة مرغوبه. فالبنت الصغيره المذكورة سابقاً لن تذهب منذ البداية وتزيح الكتاب الذى توجد خلفه الحلوى لان هناك استجابات أخرى تكون احتمالية ظهورها أقوى مثل الاستدارة فى مكانها والنظر فى اماكن مختلفه وتوجيه اسئلة للمجرب، ولكن وضع هذه الاستجابة فى التسلسل الهرمى المرتبط بهذه المثيرات سيزداد بوضوح من خلال التدعيم. مما يدل على ان التعلم قد حدث بالفعل، كما ان احتمالية زيادة هذه الاستجابة يزداد اذا اخبرنا الفتاة ان الحلوى فى مكان ما على رف الكتب، وهى خطوه قد يلجأ اليها المجرب للإسراع بعملية التعلم. اما اذا كانت الفتاه صغيره لدرجة لاتمكنها من ازاحة الكتب من على الرف (اى ان احتمالية ظهور الاستجابة يكون صفراً، أو غير موجود فى التسلسل الهرمى للاستجابات) فإنه يمكن مساعدتها لكى تسلك بهذا الأسلوب من خلال مشاهدتها لطفل آخر يزيح الكتاب ويحصل على الحلوى من خلفه وهو ما يعرف بعملية النمذجة أو التعلم الإجتماعى Social

learning ويعد دولارد وميلر أول من أوصى به عام (١٩٤١م). وإذا لمس طفل غير منتبه موقداً ساخناً فإن تعزيز اختزال الألم يكون عن طريق سحب يده بعيداً بما يكفى لخفض قوة الاقتران بينها وبين لمس الموقد وهو ما يؤكد نقص استجابه اللمس فى التسلسل الهرمى المتضمن لهذه التلميحات .

وربما يعتمد حدوث الاستجابة على نوعية وشدة مثير فردى (كما يحدث عند الاستجابة بالتوقف عن السير عند رؤية اشارة المرور الحمراء)، أو قد تعتمد على نمط من التلميحات(مثل السائق الذى يخفض من سرعته عندما يشاهد رادار مراقبة السرعة أو يرى سيارة الشرطة فى المرآه العاكسه من خلفه (دافع الخوف) ، بالاضافه لذلك فإن السلوك يمكن ان يحدث باكثر من دافع واحد (كما فى مفهوم فرويد عن التحديد الزائد) ففى المثال السابق قد لاتسعى البنت الصغيره للوصول الى الحلوى لتأكلها (دافع أولى) ولكن لإرضاء المجرب (دافع ثانوى) ، الدافع أو الدوافع الأقوى هو الذى / هى التى تدعم بشكل اكبر الاقتران بين المثير والاستجابة، اذا لم يكن الدافع نشط فإنه من المستحيل ان يحدث التعزيز ومن ثم التعلم " فالاشخاص الذين يعتمدون على التعزيز الذاتى فقط هم اشخاص فقيرى التعلم" (1950) .

٣- الانطفاء والمفاهيم السلوكية الأخرى :-

يتفق دولارد وميلر مع كل من بافلوف وسكنر بأن اغلب الاستجابات المتعلمه والدوافع المكتسبة التى تتكرر دون ان يتبعها تعزيز سوف تتلاشى عادة (تنطفأ)، فالتعزيز ليس ضرورياً فقط لاكتساب السلوك ولكن أيضاً للإبقاء عليه ، أما الانطفاء فيستطيع اسقاط الاستجابات غير المرغوبه وغير التوافقيه واستبدالها بواحدة من مختزلات الدافع، ولسؤ حظ المرضى فإنه فى مجال العلاج النفسى يكتسب الخوف والقلق بالتعلم بشكل سريع جداً ولكنهما يقاومان عملية الانطفاء بدرجة عالية. ويتفق دولارد وميلر مع سكنر فى أن التعزيز الجزئى يوجد مقاومة كبيرة للانطفاء، ولكنهما لايتفقان معه فى ان كمية التدعيم لمحاولات التعلم لها نفس درجة الأهمية .

ويستخدم دولار وميلر المفاهيم السلوكية الأخرى التى تم تعريفها فى الفصل السابق، فهما يريان ان تقديم النقود والوعود تمثل نوعاً من التعزيز الاقترانى (المتعلم)، ولكن الأخيرة (الوعود) تفقد قيمتها اذا لم تتحقق، كما يوافقان على ان التعميم ضرورى لحدوث التعلم لأنه لايتفق موقفين تمام الاتفاق، ويشرحون ذلك فى مصطلح درجات أو

قوة الميل gradients فى تشابه او تماثل الاحداث المُدعمة ، وهو ما يعرف بتعميم المثيرات ، فإذا كان هناك ارتباط بين مثير ما واستجابه فليس معنى ذلك ان المثير سيظهر الاستجابة فحسب ولكن يعنى أيضاً ان المستويات المتباينة من المثيرات سيتبعها ظهور الاستجابة كذلك ، ففى تجارب ميلر على الخوف سوف نتوقع ان الجزء الأبيض من الصندوق ليس وحده هو الذى سيثير الخوف لدى الفأر ، ولكن الظلال المختلفه رماديه اللون ستثير الخوف أيضاً . وهكذا تعمم الاستجابة على المثيرات المتشابهة الاخرى . مثلما يحدث عندما يعض الطفل من كلب ما فيخاف من أى كلب اخر ، واذا تعلم الخوف من الثعبان فسيخاف من الحبل ولو فى البداية ، واذا خاف المراهق من والده سيخاف من أى رجل يشبهه ، والمرأه التى تغتصب ستكره كل الرجال ، والمثل يقول (اللى تلدغه الحية يخاف من جرة الحبل) .

ويميز دولارد وميلر بين نوعين من التعميم هما :

١- التعميم الأولى : ويعتمد على التماثل أو التشابه الفزيقى بين المثيرات وهذا النوع فطرى ومحكوم بالجانب الحسى للشخص .

٢- التعميم الثانوى : وهو مكتسب ، ويعتمد على المواصفات اللفظية للمثير ، فالفرد يستجيب لكل الأشخاص الودودين (العطوفين) بطريقة متشابهه ، ولكل العدائيين بطريقة متماثله كذلك .

اما التمييز فهو عكس التعميم ، حيث يتعلم الطفل أن بعض الثعابين مخيفه ولكن الحبال ليست كذلك ، أو يتعلم ان والده يكون مخيف فى ظروف معينه ولكن هذا الرجل الذى يشبه ليس كذلك ، والمرأة المغتصبه قد تدرك ان الرجل الذى اغتصبها يختلف تماماً عن الرجال الآخرين ، وهكذا يصحح التمييز التعميمات اللاتوافقيه ويمكن تسهيله جداً باستخدام اللغة مثل"القول الولد مقابل البنت"، "٢٠ دولار مقابل ١٩ دولار"، كما انه يتأثر جداً بالعوامل الثقافية ويشبها دولارد وميلر هذه العملية بقولهما : إن الطباخين فى جزيرة بولينزيا يميزون بين (١٢) مرحلة لإعدادجوز الهند لان ذلك أمراً إقتصادياً مهماً لهم بينما نحن نميز فقط بين الأخضر والناضج " ، كما أنهما يفسران إعادة الاكتشاف الذاتى أو العفوى بأنه دليل على أن أى عادة أو دافع لايتحطم كلية لكنه فقط يكبح . ويميل الاشخاص العصابيين لأن يفقدوا قدرتهم علي التمييز ، ولذلك يميلون لأن يعمموا قلقهم وخوفهم .

٤- العمليات العقليا العليا :

السلوك الإنسانى ليس دائماً نوعاً من الاستجابة التلقائيه للمثيرات الخارجية، انه غالباً ما يتضمن ظواهر داخلية مثل تسلسل الافكار، فاكتشاف الفتاة الصغيرة للحلوى لايعزز فقط الاقتران بين رؤية الكتاب وسلوك ما ظاهر (وهو ازاحته)، ولكن يدعم أيضاً الافكار غير الواضحة مثل : ربما تكون الحلوى تحت هذا الكتاب. ويسمى دولارد ميلر هذه العملية بالاستجابة الناتجة من التلميح أو الإشارة Cue-Producing response وهى استجابه لاتستطيع بمفردها ان تحدث تغيراً فى العالم الخارجى، ولكنها تساعد كرمز فى إثارة الاستجابات الأخرى (أى انها استجابة وسيلية instrumental Response) مثل ازاحة الكتاب من على الرف. ومن امثله ذلك ايضا عد النقود بعد استلامها من الصراف وهو سلوك يعمل كرمز لسلوك آخر وهو أما وضع النقود فى الحافظة أو سؤال الصراف عن النقود المتبقية، وكذلك ما يحدث عند كتابة الأرقام أثناء القسمة المطولة. (1950).

والاستجابة الناتجة من التلميح قد تكون ظاهرة وقد تكون خفيه، وقد تكون لفظيه أو غير لفظيه (كما فى الصور العقليه)، كما انها تلعب دوراً فعالاً فى حل المشكلات بكل انواعها. وليس فقط فى القضايا العلمية ولكن ايضا فى القضايا الشخصيه والإنفعالية، وعلى خلاف واضح مع سيكولوجية سكنر فإن هذه المعارف يمكن ان تكون ذات دوراً سببياً، فالتسميه غير الموجهة أو الوصف Labeling لشخص ما بأنه مريض بالسرطان سوف تثير فيه دافع متعلم وقوى وهو الخوف، فى حين أن يقرر له الطبيب ان ذلك مجرد نوبة برد يعد تدعيماً يختزل خوفه، والطالب الذى يفتقر الى الحيوية والعزيمة ربما يستثار خوفه اذا اعتقد بأن الامتحان الذى سيعقد باكر سيكون صعب جداً، فى حين سوف يتلاشى جزئياً توتره العصبى عندما يتذكر انه قد ادى جيداً فى امتحان مماثل فيما مضى. واستاذ الجامعة الذى لم يُدعى الى حفلة منذ فتره طويلة ويدعى الى مثلها فى مكان آخر فربما تثير لديه الغضب كدافع متعلم عندما يعمم ذلك بقوله " لقد أهاننى ذلك" ولكن قد يخفف من وقع الأمر اذا لاحظ أن كل الضيوف من مجال غير مجاله ويفسر الحدث بأنه حفله جزئية. أو الموظف الذى يعتقد ان فقده لترقيته سيثير فيه غيرة شديدة ربما يخفف من وجهة نظره المؤلمه هذه باعتقاده بأن منافسه على حق فى أن يسعى اليها ايضاً - والعمليات العقلية العليا تمكننا من التصرف بفاعلية اكثر وذلك من خلال التفكير المنطقى والتخطيط الفعال مستقبلاً. كأن نخطط جيداً للمستقبل الدراسى لأبناءنا أو لتحقيق الترقيه فى المرة

القادمة . كمـا يختلف دولارد وميلر عن سكنر فى نظرتهما لمميزات عملية صنع القرار أو ما يسمى " قف وفكر Stop and think" بالنسبة للفرد ، كما ينتقدون بشدة تلك النظم التربويه لافتقارها إلى الإهتمام بتعليم الأطفال طرق التعامل مع المشكلات الانفعالية ، كما يؤكدان على أن أى إفساد أو إتلاف حاد فى صلاحيات عملياتنا العقلية العليا سيكون له الآثار السلبية الخطيرة مثلما يحدث فى عملية الكبت ، وهو أمر واضح بالفعل فى مرضى العصاب .

تكوين ونمو الشخصية :

فى اتساق مع اهتمامهم باستخدام المصطلحات السلوكية ، يرفض دولارد وميلر أستخدام المكونات التركيبية المختصرة للشخصية ، فهما لاينسبان الانزعاج والشعور بالذنب الى الأنا الأعلى ولكن الى استجابات الخوف غير المصنفه التى ترتبط بالمثيرات أثناء مرحلة الطفولة كما أنهما مثل كارن هورنى يصيغان مناقشتهما عن تطور الشخصية مبدئياً بمصطلحات توضح أسباب وديناميات الأمراض النفسية .

تطبيقات نظرية دولارد وميلر

الأمراض النفسيه والعقلية :

كيف نتعلم الخوف : تتفق وجهة نظر دولارد وميلر مع فرويد فى أن العصاب يرجع عادة الى صراعات لاشعوريه قوية تنشأ أثناء فترة الطفولة (دون أن يركزا على أويهتما بالطاقه النفسية أو المكونات المختلفه للنفس البشرية) وهم يرون أن مثل هذه الصراعات العصابية عُلمت (لقنت) taught بواسطة الوالدين وتعلمها Learned الطفل . فالطفل الصغير سريع التأثير لمثل هذا التعلم المرضى بسبب عجزه من ناحية ولكونه واقع تحت رحمة والديه من ناحية أخرى، ومثل هؤلاء الأباء يتصرفون أحيانا أو كثيراً بطرق مؤذية، ولأنه لايستطيع بعد أن يفهم العالم، وكل ما يسعى اليه هو إشباع حاجاته . . ويرى دولارد وميلر أن مرحلة الطفوله فتره عصاب مؤقتة، وافتقار الى العمليات العقليه العليا، وهكذا فإن مهمة الوالدين هى التطبيع الاجتماعى لأطفالهما . وإعدادهم لكى يأخذوا مكانهم المناسب فى مجتمعهم " الطفولة المثالية أو أسطورة أو خرافة الطفل السعيد" حالت دون النقاش الصريح والنزيه لتوترات الحياه الأسرية والبؤس والصراع المتكرر الذى يعيشه الأطفال . وبفضل أعمال فرويد نبدو الآن مستعدين لأن نقول الحقيقه ونعترف بأن النمو فى إطار الأسرة أمر عسير وشاق (1950) .

يؤكد دولارد وميلر على أربعة مواقف طفولية مجهده لكل من الوالدين والطفل، ومن ثم يحتمل ان تحدث صراعات انفعالية حادة فى المراحل التالية من العمر وهى : التغذية، وتدريبات الإخراج، والتدريب الجنسى، وإظهار الطفل للغضب.

أولاً : التغذية : يتفق دولارد وميلر مع أدلر فى اعتقاده أن الأم التى تمثل المرحلة الأولى والمبكرة فى علاقات الطفل الإنسانية تلعب دوراً حيوياً فى عملية التنشئة الاجتماعية، وعلى سبيل المثال لنفرض ان رضيعاً لايُطعم باستمرار بسبب إهمال أمه حتى يصبح أو يبكى بصوت عال من شدة الجوع، لمثل هذا الطفل تعد عملية الرضاعة تدعيم لثورته الهائله خاصة أنها تحدث قبل الرضاعة مباشرة، وسوف يعمم خوفه من الجوع المؤلم والحاد على ما سبق الجوع العادى، والنتيجة السيئة لهذا كله ان يتعلم الطفل المبالغة فى ردود أفعاله ليزيد من الدافع، كما يخاف من أن يبقى وحيداً (وهو تلميح مرتبط بوخز الجوع المؤلم القوى)، ويصبح فاتر المشاعر وغير مبالى (لأن وسيلته الوحيده للتأثير فى البيئة وهى البكاء ضعيفة التأثير)، وعلى العكس من ذلك فإن التغذية فى أوقات منتظمة، والرعاية الحانية التى تمنحها أم محبه لطفلها تساعد على أن تحول دون التعلم الباثولوجى وأن تجعل ظهورها اللاحق بمثابة تدعيم ثانوى إيجابى .

ثانيا : تدريبات الإخراج : من الممكن أن تصبح عملية التدريب على الإخراج أحد مصادر الخوف والصراع لأن الارتباط القوى بين مثير الأمعاء واستجابة الإخراج يجب أن تضعف وتستبدل بسلسله معقدة من الأفعال التمهيديه التى يصعب على الطفل تعلمها فى سن مبكره (مثل الذهاب للحمام، وفك الأزرار وخلع الملابس) وبالتالى يرتبط بعض القلق بالعقاب فى حالة عجز الطفل عن التحكم ، ولكن إذا تصرف الأباء بغضب زائد واشمئزاز وهو أمر غير مرغوب فى مثل هذه الأمور ، فإن المخاوف القوية تصبح مرتبطة بعملية الإخراج وربما بالوالدين أنفسهما .

ثالثا : التدريبات الجنسية : على النقيض من فرويد يرى دولارد وميلر أن الجوع أو العطش الحاد أو حتى الطموح ربما يصبح دافع أكثر قوة من الرغبة الجنسية وعلى أية حال فهما يوافقان على أن الجنس يصبح مربك ومؤلم لأنه من السهل كفه أو منعه (بواسطة الخوف مثلا)، أكثر من أى من الدوافع الأولية، فنحن نستطيع أن نحيا بدون الجنس، لكن لانستطيع أن نحيا بدون الطعام والماء . كما يقبل دولارد وميلر رأى

فرويد حول وجود النشاط الجنسى فى مرحلة الطفولة فيشيران الى ان " انتصاب القضيب يمكن ان يلاحظ فى الأطفال الذكور" . ويتفقان مع فرويد فى وجود عقدة اوديب، ولذلك فإنهما يحذران الأب الذى يعامل ابنه على انه ند أو منافس، والأم التى تبحث عن الإشباع العاطفى عند ابنها لتعوض صعاب أو إحباطات جنسية مع زوجها، مما يثير استجابة الخوف من قبل الطفل على اعضاءه التناسليه (قلق الخصاء) " فقد يفترض الطفل ان البنت كان لديها أيضا أعضاء تناسليه بارزه ولكنها بُترت ، ربما كعقاب على خطأ ما، ولاشك ان مثل هذا الاستنتاج يحدث عادة" (1950) . وربما يعمم هذا الخوف على العلاقات الجنسية فى مرحلة البلوغ ، ويبقى يعانى العجز أو الضعف الجنسى، ويظل غير قادر على تكوين علاقات جنسية غيرية فى مرحلة الرشد، أو إذا تعلم أن يستجيب لأمه أو لأخته بميول تشبه القلق الجنسى فقد يصبح غير قادر على إظهار أى عاطفه لزوجته اثناء المباشرة الجنسية، كما أن المخاوف الجنسية عادة ما تنتج بسبب غضب الوالدان واشمئزازهما من لعب الطفل بأعضاءه التناسلية، بالإضافة الى أنه إذا كان الدور الذكرى أو الانثوى قد غُرس وطُبع فى الذهن بواسطة الوالدين فسوف تنتج صراعات حادة إذا كانا يريدان طفلاً من الجنس الآخر.

" اذا كان الوالدان يرغبان بشدة فى طفل ذكر فربما يفشلان فى فرض التطبيع الجنسى الأنثوى على الفتاه التى جاءت بالفعل، أو العكس، فالأم التى تفضل أن يبقى أبنها طفلا صغيراً baby ربما تجعله مخنث فى الوقت الذى يجب فيه التأكيد على صفاته الذكريه وهو ما سوف يربك الطفل حول ماهية الأهداف الجنسية المتوقعه منه اجتماعياً " (1950).

رابعا : المصدر الأخير والشائع للخوف والصراع يرتبط باستجابات الطفل الغاضبه والعدوانيه التى تنتج بسبب الإحباطات الحتمية التى يواجهها . وهذا السلوك يعتبره دولارد وميلر السبب الأكثر تكراراً للعقاب الحاد، والقلق الناتج ربما يعمم generalize الى السلوكيات السويه لتوكيد الذات ، ويصبح الفرد كاظم لغيظه وحليم لأنه غير قادر على التعبير عن غضبه إلا بالطرق غير المباشرة كالخداع أو الوقيعة بمصدر الغضب. . "ربما تصبح عملية نزع الفرد من غضبه أو تخليصه منه عملية خطيرة لان الشخصية الإيجابيه تحتاج الى بعض القدره على إظهار الغضب " (1950) .

وهكذا يرى دولارد وميلر ان الخوف والصراعات تتعلم وتكتسب فى المهد والطفولة المبكرة وبشكل تلقائى تصبح لاشعورية ويكون من الصعب جداً حلها. بسبب عدم قدرة الطفل على استخدام اللغة للتعبير عن مخاوفه وصراعاته. " الصراعات المبكرة تكون غير متمايزة وبالتالى تكون لاشعورية ، فما لايستطيع الفرد ان يتلفظ به الأن لايمكن ان يحكى جيدا عنه فيما بعد" (1950).

أثار الخوف :

يترتب على الخوف المكتسب بسبب أحداث الطفولة الأربعة المذكورة سابقاً ثلاثة اثار بعد ذلك فى مقتبل العمر وهى :-

أولا - الصراعات اللاشعورية والدوافع غير المختزله :

يتشابه دولارد وميلر مع كارن هورنى فى انهما وضعا حداً فاصلاً بين الصراعات الشعورية واللاشعورية، وكلاهما ينشأ من دافعين أو أكثر يفرضان بالإكراه استجابات متنافره ولكن الدافع الأول منهما (الشعورى) يشبع جانب حيوى فى الحياة وليس له اى صفه مرضيه، والآخر (اللاشعورى) يلعب دوراً أولياً فى العصاب، ويعد مفهوم الصراع من المفاهيم الفرويديه التي درسها ليفين (١٩٣٥) واستعارها دولارد وميلر وقاما بدراستها تجريبياً، حيث تحدث فرويد عن الصراع المستمر بين رغبات الليبدو ومتطلبات الأنا الأعلى حيث يكون الفرد متلهف بشيىء ما، وخائف منه فى نفس الوقت ، وهو ما أطلق عليه دولارد وميلر بعد ذلك بصراع اقدام إحجام. وهو أحد أربعة صراعات تمت دراستها وهى :-

١- **صراع اقدام - اقدام .** هذا الصراع يكون بين هدفين موجبين أو بديلين موغوبين لهما نفس الجاذبية وفى نفس الوقت ويمكن توضيحها بالشكل التالى :

الهدف الأول   الشخصى   الهدف الثانى

(+) ⟵ o ⟶ (+)

بعض هذه الصراعات تكون سهلة الحل وغير مربكة مثل الرغبه فى مشاهدة فيلم ومباراة على قناتى التلفزيون ، أو عندما يكون الفرد جائع ولديه رغبة للنوم ، وتمتلئ حياتنا بالكثير من هذه الصراعات ونلجأ إلى حلها بسرعة فقد نقلب قناتى التلفزيون لنتابع

الفيلم والمباراة معاً أو نأكل ثم نذهب للنوم . ولكن هناك بعض من هذه الصراعات التى ترتبط بأمور حياتيه هامه مثل اختيار تخصصين دراسين كلاهما مرغوب ، أو الاختيار بين وظيفة فى مكان بعيد بمرتب مرتفع وأخرى فى مكان قريب بمرتب اقل من الأخرى، أو الاختيار بين فتاتين للزواج لكلاهما نفس الصفات تقريبا .

٢- صراع إحجام - إحجام . هذا الصراع يكون بين هدفين سالبين أو بين خيارين أحلاهما مر (بين نارين). كصراع الطفل بين أن يأكل طعاماً لايحبه أو ان يتحمل التوبيخ، وصراع طالب الجامعة بين المذاكرة والرسوب فى الامتحان ، وصراع الموظف بين الذهاب لعمل لايحتمله وفقد الدخل الذى يحصل عليه من هذا العمل، فهو مدان اذا فعل ومدان اذا لم يفعل ، وكالمستغيث من الرمضاء بالنار .

الهدف الأول — الشخصى — الهدف الثانى

(-) ⟵ O ⟶ (-)

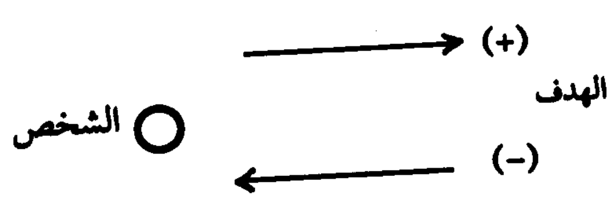
ويأخذ سلوك الكائن العضوى لمواجهة صراع إحجام - إحجام أمرين هما :-

أ - التردد أو الحيرة . اذا كان لكلا الهدفين نفس الجاذبية أو تفضيل أحدهما على الآخر لمجرد الخروج من حالة الحيره هذه وليس لانه الأهم، وكأنه يطبق المبدأ القائل " وقوع البلا ولا انتظاره" .

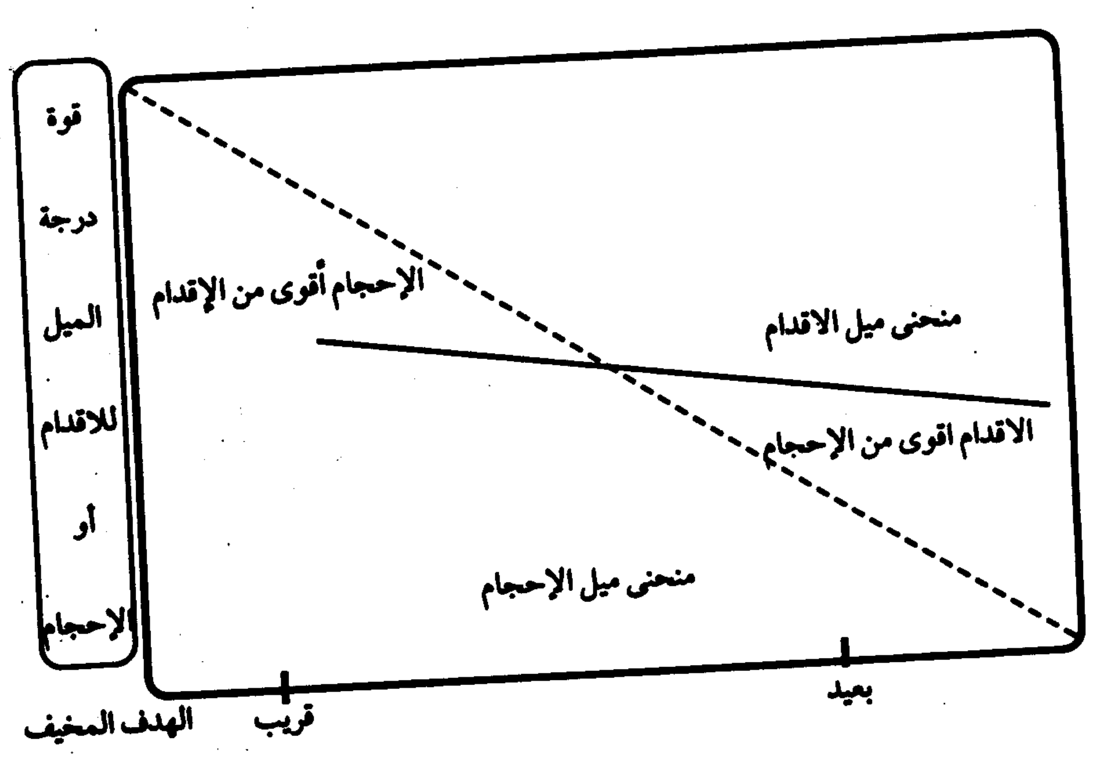
ب - الهروب . اى ترك موقف الصراع دون حل اما على شكل هروب سلوكى مثل تأجيل الامتحان او بعض المقررات، او هروب فكرى مثل الإفراط فى أحلام اليقظه، أو الاستغراق العقلى الكامل فى أفكار أخرى. أو الوقوع فريسه لمرض عصابى مثل الهستريا التحوليه (كالعمى الهستيرى او الشلل الهستيرى) ، ولايترتب على ذلك الوقوع فى براثن المرض العقلى كالفصام بما يتضمنه من هروب من الواقع .

٣- صراع إقدام إحجام : حيث يكون الشخص هنا منجذب الى ونافر من هدف واحد. كالشاب الذى يرغب فى خطبة فتاه لجمالها وينفر منها لسوء اخلاقها، كما أن العمل قد يكون جذاب بسبب مايدره من عائد مالى ، وفى نفس الوقت غير جذاب لانه يحول دون ممارسة الفرد لأشياء ممتعه. وقد ترغب فتاه فى الزواج لانه يوفر لها فرصة

لتحقيق الأمان، ولكنها قلقه من عجزها على تحمل تبعاته ومسئولياته ويمكن توضيح ذلك بما يلى :-



فاذا كانت درجة الجاذبية للهدف اكبر من درجة النفور منه كانت النتيجة السعى نحو الهدف، أما اذا كانت درجة النفور اقوى من درجة الجاذبية ستكون النتيجة تجنب الهدف والسعى الى هدف بديل أو الاضطراب النفسى . أما اذا كانت درجة الجاذبية مساويه لدرجة النفور تحدث الحيرة، وقد يلعب التدعيم الخارجى هنا دوراً فى ترجيح كفه أحد الخيارين فى هذه الحالة ويوضح ميلر ذلك من خلال الرسم الآتى :



شكل (١٧- ب) صراع إقدام إحجام

٤- صراع إقدام إحجام مزدوج Dauble Approach-Avoidance Conflict

حيث يكون لدى الفرد مشاعر متكافئه نحو هدفين فى وقت واحد (وليس هدف

واحد كما فى النوع السابق) ويمكن توضيحها بالرسم الآتى :-

الهدف الاول (+) ← → (+) الهدف الثانى

الشخص

الهدف الاول (-) → ← (-) الهدف الثانى

وأوضح صور هذا الصراع هو الصراع الأوديبى فى نظرية فرويد وخاصة لدى البنت والهدفين هنا هما الوالدين حيث تكون البنت منجذبه نحو الأم لانها مصدر إشباع حاجاتها البيولوجية ونافرة منها بسبب اعتقادها الخاطئ عن مسئوليتها إزاء بتر القضيب ، كما انها منجذبه لأبوها ونافرة منه فى الوقت ذاته خوفاً من أمها !!

وإذا بقيت هذه الصراعات شعورية فى هذه الحاله يستطيع الفرد تطبيق العمليات العقليه العليا على المشكله ومن ثم يستطيع تحقيق بعض الحلول المنطقية والفعالة . وعلى العكس فإن الصراعات اللاشعورية تحدث بسبب الخوف الشديد (أو الأقل تكراراً بواسطة دوافع أخرى متعلمه كالشعور بالذنب) ويكون من الصعب التخلص منها بدون مساعدة العلاج النفسى :-

" الصراعات فى حد ذاتها ليست بدعه أو شيئ جديد أو غير مألوف على الإنسان ، والصراعات الانفعالية أو العاطفيه هى الأكثر تلازماً مع حياتنا فى كل سن أو مستوى إجتماعى، ولكن عندما تكون الصراعات قويه ولاشعوريه فإن الفرد سيبقى يفعل نفس الأخطاء القديمة ويعاقب بنفس الطريقه القديمة أيضاً" (1950) .

ولتوضيح ذلك نفرض ان الخوف أصبح استجابة متعلمه للمثير الجنسى وهو ما حدث بالفعل لامرأة جذابه وذكيه من مريضات دولارد وميلر رمزا لها بالسيده (أ) كانت تعانى من صدمة طفولية متمثله فى التعرض لإغراء من قبل أخيها الأصغر، وأم تصف لها الجنس بأنه شيئ قذر وخطأ جسيم لايغُتفر، وحيث ان الدافع الجنسى دافع فطرى ولامفر منه، فإن النتيجة السيئه فى هذه الحالة تتمثل فى وجود صراع إقدام - إحجام لاشعورى، فلديها دافع قوى للاستمتاع الجنسى (إقدام) وحاجة قوية لاختزال المخاوف المرتبطه به عن طريق الهروب من المواقف المثيره للجنس(إحجام)، وفى رأى دولارد وميلر ان شدة التجنب تميل للزيادة بشكل اسرع من الإقدام (شكل : ١٧- ب) ومن ثم يصبح الجنس جذاب من بعيد أوعلى بعد فقط، وسوف تتيحه المريضه لإشباعه على هذا الأساس (كأن تقوم بالذهاب للحفلات الانفرادية) ، ولكن الخوف يسيطر عندما تقترب من الهدف، ولذلك فإن الفرد سوف يختزل هذا الدافع بالتحرك بعيداً (كالخجل المبالغ فيه من اعضاء

الجنس الأخر أو ترك الحفله مبكراً). ويتم التضيحة بعدم اشباع الدافع الجنسى فى سبيل اختزال دافع الخوف، ويبقى الدافع الجنسى غير مُشبع وغير مختزل وتبقى الشكوى قائمة مما أسمياه بالبؤس العصابى neurotic misery

وربما يعيق الخوف اختزال بعض الدوافع الهامه الأخرى التى يصبح مرتبطاً بها مثل الغضب، ولكن المشكلة أن المريض لايستطيع أن يفهم ويهاجم المشكلة بفاعلية لان العمليات العقليه العليا لم تساعده على تحقيق ذلك. اما بعدم القدره على تصنيف او وصف هذه المخاوف والصراعات على أنها مكتسبة فى سنوات ما قبل تعلم اللغة فى مرحلة الطفولة ومن ثم اصحبت مكبوته فى اللاشعور بصورة تلقائية. او باستخدام حيل الدفاع النفسى كالكبت وغيره.

ثانياً : الإزاحة والكبت والحيل الدفاعية الأخرى :

تعد الازاحة أحد المفاهيم الفرويديه التى ألقى الضوء عليها من قبل دولارد وميلر حيث يرى فرويد ان الدافع المُحبط لايختفى ولكنه يعاود الظهور فى شكل مختلف وبتعبير آخر اذا لم نستطيع اشباع حاجاتنا بشكل مباشر فسنحاول اشباعها بشكل غير مباشر. وكما اوضح فرويد فى الفصل الثانى فإنه يتم إزاحة الدافع الجنسى ليشبع بطرق مقبوله اجتماعياً مثل العمل المتواصل أو الابتكارية.

ولكى يدرس دولارد وميلر هذه الظاهرة تجريبياً وضعا فأرين فى جهاز وأخذا فى إحداث صدمات كهربية عليهما حتى بدأ فى الشجار معاً، وعند ذلك توقف إحداث الصدمات، اى أن السلوك العدوانى تم تعزيزه بايقاف الصدمات، وأستمرا فى التدريب على هذا النسق الى ان اصبح الفأرين يبدأن العدوان بمجرد تلقى أول صدمة كهربية، وفى هذه الحاله يتم وضع دمية فى الجهاز، ويتم أحداث الصدمه على الفأرين ثانيه حيث تشاجرا معاً وتجاهلا الدمية، ولكن عندما تم وضع فأر واحد فى الجهاز وإحداث الصدمة عليه بدأ فى مهاجمة الدميه، لقد أزاح عدوانه الى شيئ بديل وهو ما يعرف بالعدوان المزاح displaced aggression . ويحدد ميلر الأمور الآتية على أنها ترتبط بعملية الإزاحة.

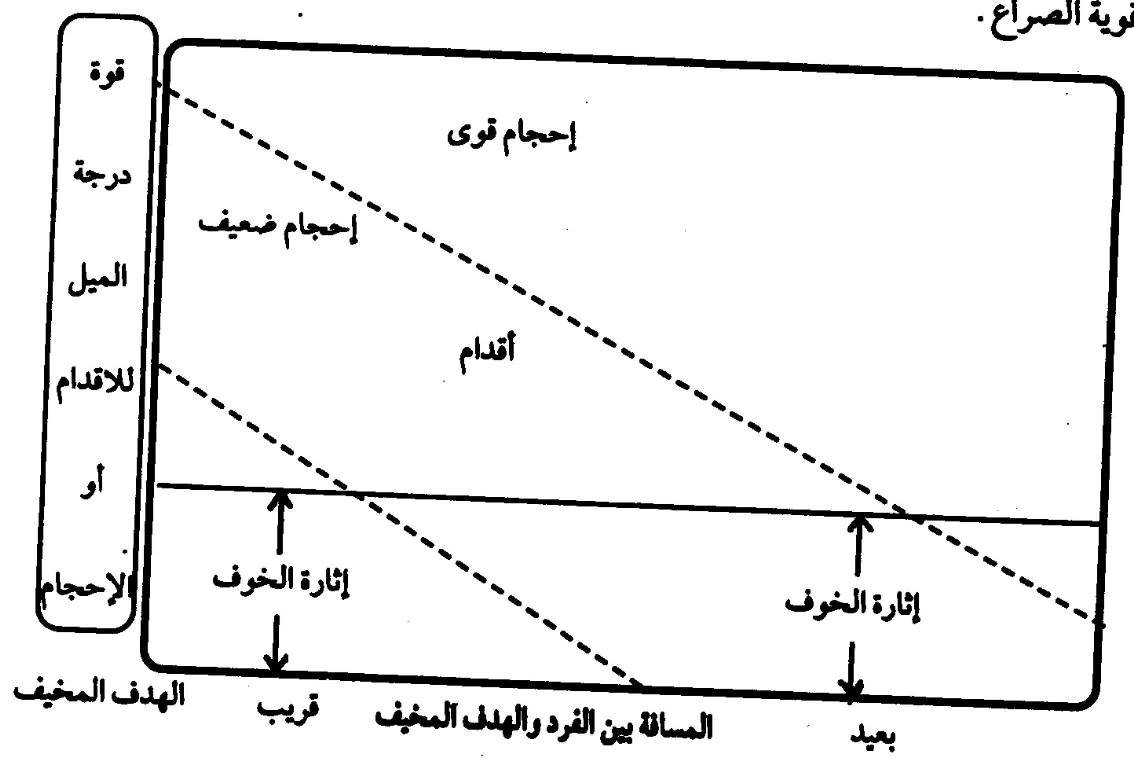
١- عندما يكون من المستحيل للكائن العضوى أن يستجيب لمثير مرغوب فإنه سوف يستجيب للمثيرات الاكثر شبهاً أو تماثلا مع المثير المرغوب، فإذا حُرمت

إمرأة من الزواج بالرجل الذى أحبته بسبب موته فإنها سوف تميل الى الزواج يوما ما من رجل يشبهه تماماً.

٢- اذا حيل دون الاستجابة للمثير الأصلى بسبب الصراع، فإن الإزاحة سوف تحدث الى مثيرات بديله، وعلى سبيل المثال اذا هجرت فتاه خطيبها بسبب نزعته لانتقادها، فانها ستحرص على أن يكون خطيبها المقبل مماثل للسابق فى جوانب عديدة (الجوانب الحسنة) ولكن لايوجد فيه الميل للنقد.

٣- اذا كان هناك ميول إحجامية قويه عن المثير الأصلى فان الإزاحة ستحدث إلى مثيرات مختلفه تماماً. فاذا وجدت فتاه ان خطيبها السابق كان سلبياً وبارد عاطفياً فانها سوف تحرص على ان تقترن بشاب مختلف كلية عنه.

إذا حدثت الإزاحة بسبب الصراع، فإن قوة الاستجابات المتصارعة هو الذى يحدد موضوع الإزاحة. ويوضح الشكل التالى طبيعة الإزاحة عند حدوث استجابة ضعيفة او قوية الصراع.



شكل (١٧ - جـ) صراع إحجام إحجام

ويتضح من هذا الشكل أنه اذا كان هناك رغبه فى الإعتداء على هدف ما مع خوف ضعيف من العقاب ، فسيكون هناك ميل لإزاحة العدوان على هدف مماثل للهدف الأصلى، أما اذا كان هناك رغبة فى العدوان على هدف ما وخوف قوى من العقاب فإنه من المحتمل ان يتم ازاحة العدوان الى هدف مخالف تماماً للهدف الأصلى. أو بمعنى اخر فإن زيادة مخاوف الفرد سوف تقلل من ميله لإزاحة الاستجابه على هدف مماثل. اما ضعف خوف الفرد يزيد ميله لإزاحة الاستجابه الى هدف مماثل. فاذا كان الموظف لايخاف من رئيسه فى العمل الذى أصابه بإحباط فإنه سوف يعتدى مباشرة عليه، اما اذا كان الموظف لديه درجة متوسطه من الخوف من رئيسه فلن يعتدى عليه ولكن سوف يعتدى على شخص اقرب ما يكون له ، ولكن اذا كان لدى الموظف خوف شديد من رئيسه فإنه سوف يعتدى على أشياء أو أشخاص تختلف كلية عن رئيسه فى العمل مثل العدوان على السيارات وهو في طريقة للعوده الى المنزل أو العدوان على زوجته أو أولاده

كما يمكن توقع قيام الطلاب ذوى المستوى التحصيلى المنخفض الذين يخافون من المدرسين والسلطة الادارية فى المدرسة بالقيام بتخريب متعمد ضد أثاث مدرستهم ومبانيها. وهذا العدوان إنما يرجع الى الإحباط بسبب درجاتهم المنخفضه وتم إزاحته من مصدر الإحباط (المدرسين والإدارة) الى هدف بديل أقل تهديداً هو الاثاث والمبانى المدرسية.

وهكذا قام دولارد وميلر بوصف الإزاحة بمفهوم سلوكى فهما يرونها بذلك نوع من التعميم يحدث بسبب مثيرات جزئيه أو الخوف من هذه المثيرات ، كما يحدث عندما ينجذب الشخص الى شخص آخر يتشابه في خصائصه الجسمية مع حبيبه المفقود او مع أحد والديه المخالف له فى الجنس .

أما الكبت فهو ايضاً من حيل الدفاع النفسى التى تناولاها باهتمام ، وهما يريا ان الحاجة لخفض دافع الخوف المتعلم تؤدى الى كبت كل من السلوكيات والأفكار على حد سواء. وعلى سبيل المثال فإن الخوف المرتبط بالسلوك المعاقب (مثل الاستمناء ، أو الغضب) يتم تعميمها على الأفكار المرتبطة بهذا السلوك، كما ان تجنب مثل هذه الأفكار يتم تعزيزه، وقد ميز دولارد وميلر بين مفهومى القمع والكبت، فالقرار المتعمد والواع لوقف التفكير فى الأمور المثيره للقلق وهو ما يعرف بالقمع Suppression ربما يكون

نافع ويتم تعزيزه كما انه يبقى تحت تحكم وسيطرة الفرد. وعلى سبيل المثال اذا حاول أحد الطلاب خفض قلقه من الامتحان ، واعتقد انه سوف يؤدى بشكل جيد فى امتحان اليوم التالى واصبح مسرف فى الثقه ربما يتوقف عن المذاكرة فى الحال، ولذلك فإن استرجاع الخوف من الفشل سيحل المشكله بدون شك . ولكن الكبت repression الذى يُعد أيضاً بمثابة استجابه لاشعوريه لايقاف التفكير يتم تعزيزه من خلال خفض دافع الخوف يكون عادة ضار لانه لايمكن التحكم فيه من قبل الفرد لانه يتم لاشعورياً، كما انه يضعف أو يحد من العمليات العقلية العليا والأكثر أهمية، ويمنع الفرد من استخدام التعبيرات اللفظية المناسبة، أو التمييز والتفكير والتخطيط لحل القضايا العاطفيه الهامه والمؤلمة. والنتيجة السيئة لتوقف التفكير الفعال هذا هو الوقوع فريسة لسلوك عصابى، ويعتمد نوع السلوك على طبيعة المجال الذى حدث فيه الكبت. ولايستطيع المرضى هنا مجرد التقدير الصحيح او حتى وصف مشاكلهم. ويعبرا عن ذلك بقولهما " لايستطيع الشخص العصابى حل صراعاته حتى مع مرور الوقت، فتفكيره يتسم بالذكاء الواضح فى بعض القضايا، ولكنه يكون غبى الى حد ما أو أحمق اذا ارتبط الأمر بمصدر صراعاته العصابيه، ولكن هذه الحماقة لاتعد مسألة عامة بالنسبة له، وفى الواقع ان هناك منطقه غباء Stupid area فى عقل ذلك الشخص الذى يتمتع بمنتهى الذكاء فى قضايا أخرى".

إن ما ذكرته السيده (أ) سابقاً هو بمثابة تعميم مُضلل يوضح أحد أمرين : أما انها لم يكن لديها أى اهتمام بالجنس، أو انها كانت ضحية لمرض عضوى، فهى لم تستطع التمييز والتعرف على العلاقة بين التعليمات المشوهه والمحرفه لأمها وبين صعوباتها الحالية، ولم تكن على وعى بأى عداء تجاه أمها. وكانت غير قادرة على التمييز بين الاشكال غير المشروعه للسلوك الجنسى وحقها فى التمتع مع زوجها فى علاقة مشروعة. كانت كذلك غير قادره على تكوين أى خطط مترابطة منطقياً للتخلص من بؤسها العصابى الذى حدث بسبب دوافعها الجنسية غير المُشبعة أو غير المختزله (1950) .

وقد عرض دولارد وميلر بعض التفسيرات السلوكية لحيل دفاعية أخرى كالتكوين العكسى التى تسهم بدورها كحيلة دفاعية فى خفض القلق من خلال إحلال الأفكار المهدده بما هو عكسها تماماً ، وتسهيل تقبل ذلك من خلال التدريب المتكرر فى مواقف متماثلة او مطابقة، كما يحدث الانحدار أو النكوص عندما يتم كبح استجابة قوية بفعل الخوف واستبدالها باستجابة متعلمة أخرى ضعيفة .

ثالثا : الأعراض المرضية Pathological Symptoms

يرى دولارد وميلر أن الأعراض الباثولوجية تعد بمثابة الاثر الثالث للخوف، ويعتقد ان بعض الأعراض المرضيه لاترجع الى صراع الدوافع المتنافسة، وأوضح مثال يقدمانه على ذلك الخوف المرضى (الفوبيا) التى تعد بمثابة استجابة قلق تتكون بفعل الإشراط البسيط، فالخبرات المؤلمة التى يمر بها أحد الطيارين الذين يلقون قنابلهم أثناء الحرب تؤدى الى خوف زملاءه الاخرين عن طريق التعميم الى كل الطيارين الآخرين وتمنعهم من الطيران فى العديد من المهام ومن ناحية أخرى فإن الأعراض المرضية قد تساعد على خفض كل من الصراعات والمخاوف، وعلى سبيل المثال ، فإن الجندى قد يقع من حيرة بين الخوف من القتال، والشعور بالأثم والذنب بسبب ترك رفيقه ملقى على الأرض، وهنا ينتابه شلل هستيرى فى ذراعه، وبهذه الوسيله يتخفف من مشكلته دون ان يواجهها شعورياً. ولقد كان انشغال السيدة (أ) فى عد ضربات قلبها بشكل لايقاوم، بمثابة طريقه لاشعوريه لتجنب التفكير فى صراعاتها الجنسية وخفض مخاوفها (Dollord & Miller, 1950)، ولسؤ الحظ فإنه بمثل هذه الأعراض يتم التملص او تجنب المشكله بدلاً من مواجهتها ، كما أن مريض العصاب يظل يعانى آلام عدم خفض الدافع، وعدم القدرة على الاستمتاع بما توفره الحياة من فرص هامه لإشباع وإرضاء دوافعه .

العلاقة بين الإحباط والعدوان :

فى عام ١٩٣٩ نشر دولارد وميلر (ويعد ذلك مع كل من دوب Doob ، ماورر Mowrer ، وسيرز Sears) أول كتاب لهما معاً بعنوان الإحباط والعدوان وفيه قاما بتحليل رأى فرويد القاضى بأن الإحباط يقود الى العدوان. فعرفا الإحباط بأنه تلك الحالة التى تحدث عندما يعاق إشباع الهدف" أو هو الأثر النفسى المؤلم المترتب على عدم الوصول للهدف أو تكرار الفشل. وعرفا العدوان بأنه أى تصرف يترتب عليه ضرراً أو أذى للذت أو للآخرين أو الوسط المحيط. وهما يفترضا ان عدم تحقيق الهدف يسبب الإحباط، وان الإحباط فعلا بدوره يؤدى الى السلوك العدوانى ازاء الأشخاص أو الأشياء التى حالت دون تحقيق الهدف. ويحدد دولارد وميلر ثلاث عوامل تحد كمية العدوان الناتجة من الإحباط .

١- شدة الدافع المرتبط بالاستجابه المُحبطة : كلما ذادت شدة الدافع الذى يرغب الفرد فى إشباعه وتم إعاقة الاشباع كلما زادت شدة الإحباطات ومن ثم زيادة حده السلوك العدوانى .

٢- وصول الإحباط الى حد الاكتمال : فالاشباع الجزئى للدافع يؤدى الى مستوى منخفضى من الإحباط وعدوانية اقل. أما وصول الإحباط الى حد النهاية فسيؤدى الى عدوان شديد.

٣- الآثار التراكمية للإحباطات الثانوية : حيث يؤدى تراكم الإحباطات الثانوية أو الضعيفة الى درجة كبيرة من الإحباط ومن ثم سلوك عدوانى عنيف. فانغلاق اشارات المرور أمام الفرد الجائع المتوجه بسيارته الى مطعم ما لتناول الغذاء ثم يجد المطعم مغلقاً تجعل إحساسه بالإحباط أشد مما لو وجد المطعم مغلقا فقط دون أن تعوقه إشارات المرور عن الوصول إليه .

كما يرى ميلر أن العدوان يعد إحدى نتائج عملية الإحباط ، ومن المحتمل أن تظهر نتائج أخرى مثل الانسحاب، فتور المشاعر apathy ، النكوص أو التثبيت على انماط سلوكيه معينة .

العلاج النفسى :

الأساس النظرى :

على خلاف واضح مع كل السلوكيين يرى دولارد وميلر ان إزالة الأعراض المرضيه بدون علاج للأسباب التحتيه لن يؤدى الى أى تحسن، وبدلاً من ذلك فإنهما يؤكدا على ضرورة أن يمكن العلاج النفسى المريض من اختزال مخاوفه اللاعقلانية بطريقة تدريجية، وأن يبدأ التحرر من الاستجابه المؤدية للكبت، وأن يبدأ فى تطبيق عملياته العقليه العليا على مشكلاته الانفعالية . ويقوده ذلك الى مكاسب أخرى مثل الوصول الى الخبرات المكبوته ، وزيادة قدرته على التميز بين المواقف الآمنة وغير الآمنه، وأن يفكر ويخطط بفعالية وتزيد قدرته على خفض دوافعه التى ارتبطت فيما مضى بمخاوفه المرضية. وبسبب تأكيد دولارد وميلر على ضرورة إحضار محتوى اللاشعور الى الشعور فإن أسلوبهما يعد ذات طبيعة فرويدية واضحة .

الإجراءات العلاجية :

على حد رأى دولارد وميلر ، فإن التداعى الحر يُمكن المريض من الكشف عن عوامل خوفه فى جو تسوده الألفه والتحرر من النقد، ومن المشكلات المؤلمه انفعاليا لدى المسترشد هو القلق المرتبط بالخوف الذى ينطفئ كنتيجة لتقبل المعالج

واتجاهاته، وهو ما يتم تعميمه على اغلب القضايا التاليه المهددة للمريض، كل ذلك يمكن استحضاره الى الوعى وإطفاء القلق المرتبط به بنفس الطريقه. مثل هذا التقدم العلاجى يتم ببطء وبطريقه غير منتظمة، إذ ليس من السهل بالنسبة للمريض أن يتعامل مع القلق ويواجهه. ولهذا السبب يجب على المعالج أن يركز على خفض الخوف (تقليل عنصر التجنب) لحث المريض على الاقتراب من الهدف المسبب للخوف (زيادة عنصر الاقتراب)، وذلك لان العنصر الأخير يؤدى الى إثارة القلق الحاد وهروب المريض من العلاج، "فالمريض يحب المعالج الذى يعرف الوقت المناسب لما يفعله" (Dollard & Miller, 1950).

وبسبب الميول القوية لدى المريض لكبت المادة المخيفه، فإنه قد يقع فى أشكال وصور من المقاومة مثل تجنب مقاطعته أثناء الحديث، والبت فى أمور معينه أو التركيز على تفصيلات بغرض المراوغه، والخلط (اللاشعورى) بين القضايا، والاستغراق فى الصمت "فالمريض الذى حُرِم لسنوات عديده من فرصة التحدث، والذى ترك حياته بطولها خلفه - ثم أتيحت له فرصة التحدث فجأه - لن يجد شيئاً ليقوله من فوره، وحيث ان المعالج يدرك ان ذلك مستحيلاً بالنسبة للعقل الحر (أى الذى لايقع تحت تأثيرات خارجية كالتنويم المغناطيسى)، فإن المعالج يدرى كذلك أن الكبت يأخذ مجراه، وان لدى المريض الكثير ليقوله، لكنه لايستطيع لاشعورياً ان يُفضى به (1950). وقد يقترح المعالج استخدام طريقة التداعى الحر وتطبيقها على بعض جوانب الموقف العلاجى ذاته، فربما يتم استبعاد المقاومة المزعجة، ومواجهة عدم الانسجام والغضب من قبل المريض على المعالج. وقد يلجأ المعالج إلى إيقاف وتخفيف تجنب المريض لعمليات مواجهة الخوف عن طريق توعيته بطبيعة المادة المكبوته، والتمييز بين الحاضر والماضى، كأن يقترح على المريضه (أ) أو ينبهها الى غضبها اللاشعورى نحو أمها، وأن يرشدها الى التمييز بين الرضا غير المحسوب والطاعة العمياء لتعاليم أمها الأخلاقية، وبين رغبتها المشروعة فى الاستمتاع الجنسى مع زوجها. وهكذا نرى أن التفسيرات العلاجية تستدعى مناقشة موضوعات حدثت فى الطفولة كما فى نظرية فرويد "إذ بدون فهم الماضى لن يتغير المستقبل" (1950).

ويحدث التحول عندما يعمم المريض الاستجابات التى سبق إكتسابها فى علاقته بوالديه الى المعالج، لأن المعالج بمثابة مثير مشابه لهما من عدة جوانب مثل كونه مصدر

للسلطه . وهكذا يتضح أن العملية العلاجية تسهُل إذا رغب المريض فى جذب إعجاب المعالج كما يحدث بين الفرد ووالديه . بينما تُبطأ اذا تم تحويل السلوك الاعتمادى والرغبات نحو ما يعتقده المريض أنه بمثابة السند الحقيقى له ، إنه من المهم الى حد ما فى حالة المخاوف اللاعقلانية ان تتحول الى موقف علاجى بحيث يمكن إطفاءها من خلاله " كما يجب على المريض ان يتلفظ بالجمله المحرمه أثناء خوفه " (1950) ، وهكذا يلتقى رأى دولارد وميلر مع رأى فرويد وهورنى فى أن الاستبصار يجب أن يكون على المستوى العقلى والانفعالى فى نفس الوقت حتى يكون مؤثراً ، لان التفكير المجرد القائم على العقل دون العاطفه intellectualization وحده امر مغاير للتقدم العلاجى . كما اتفقا ايضاً على ضرورة أن يمارس المريض فى حياته الواقعية ما اكتسبه من استبصار أثناء الاجراءات العلاجية ، وما تعلمه من تفسيرات للاحلام ، وتعطى هاتين العمليتين المتوازيتين معلومات قيمة عن الحياة اللاشعورية للمريض (1950) .

وقد اوصى دولارد وميلر بفنية سلوكية أولية يمكن تطبيقها أثناء وخارج العلاج النفسى ، واقتنعا بأن القمع الشعورى المؤقت للأفكار المضايقه والمزعجة يمكن ان يساعد الفرد فى تركيز اهتمامه فى موضوعات أو قضايا أكثر أهمية ، وأن يكون سلوكه أكثر فعالية ، وهى عملية مشابهه الى حد ما للمنهج العلاجى الحديث والمعروف بوقف الأفكار thought stoping (Rimm & Masters, 1979) .

نظرية دولارد وميلر فى الميزان :

أوجه النقد والخلاف :

وجهت لنظرية دولارد وميلر عدة انتقادات بسبب أوجه قصور فنية معينة مثل : ما إذا كان الاقتران البسيط بين المثير والإستجابه كافياً لتفسير السلوكيات المعقدة ، كما انتقد تأكيدهم المبالغ فيه على مسألة تخفيف الدافع ، وما إذا كانت دراساتهم القطعية على الحيوان تكون دقيقه إذا عممنا نتائجها وطبقناها على الإنسان . ورغم ذلك يبرز اعتباران فى غاية الأهمية عن غيرهما :

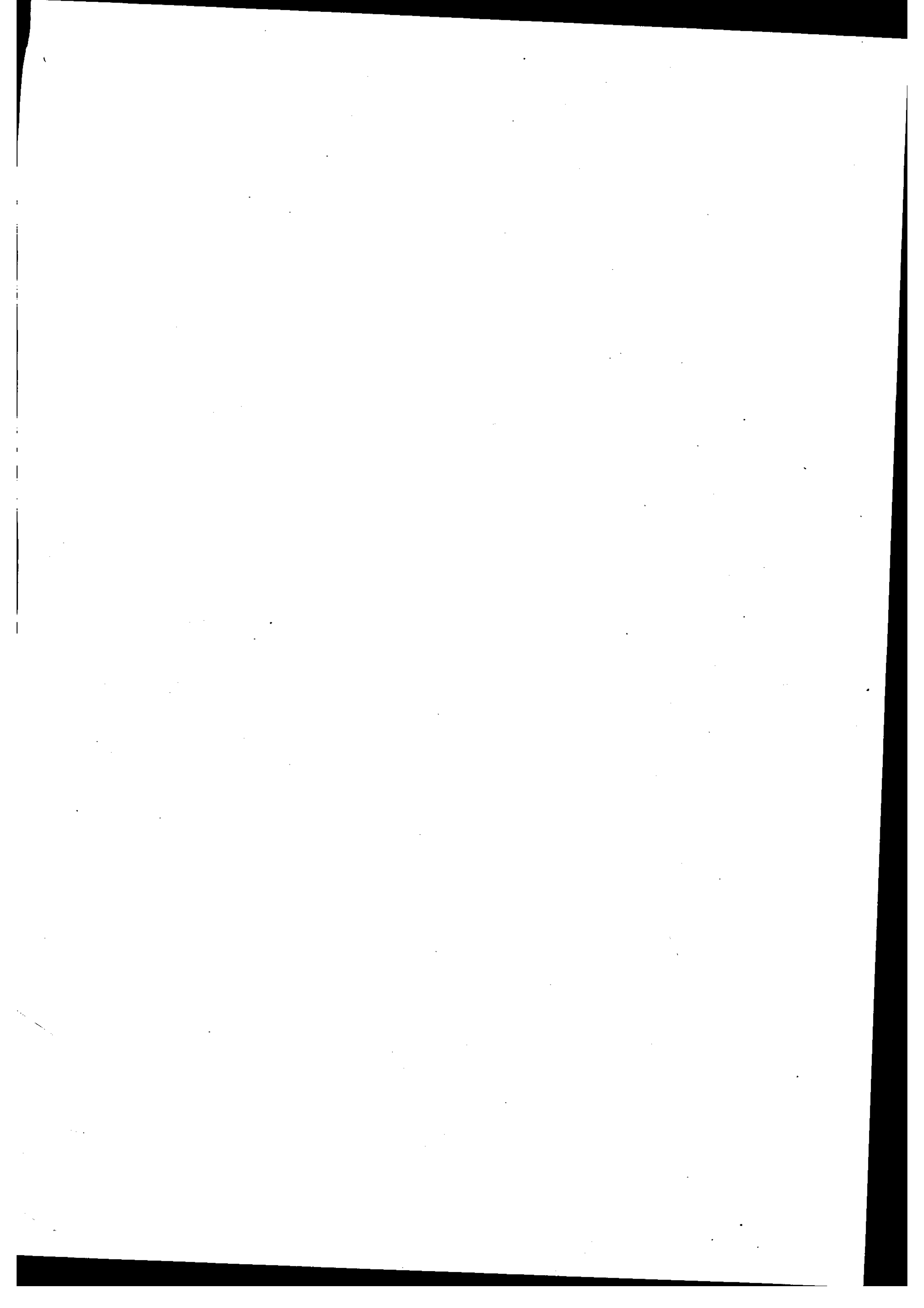
الاعتبار الأول : انهما فشلا فى تتبع تطبيقاتهما العلاجية القائمة على نظرية التعلم بما يوصلهما الى نتائج منطقية ، قانعين وراضين بالفنيات العلاجية التى استخدمها

فرويد، ومهملين للانطلاقات المنهجية التالية التى حققها ولبه وسكنر وغيرهما ممن عرضوا أراءهم كاقتراحات للتجريب والمحاولة ولم ينشروا شيئاً فى هذا المجال .

الاعتبار الثانى : من الصعب الوصول لأفضل طريقة للتوفيق أو التوليف بين نظريتين بينهما الكثير من الاختلاف والتباين مثل النظرية السلوكية والتحليل النفسى دون الخروج عن المنطق العام لأى منهما، ولذلك يمكن اعتبار نظريتهما بمثابة اسهام تاريخى أكثر من أن يكون إسهام علمى، كما وصفت بأنها قد تعوق تقدم العلاج السلوكى الحقيقى .

الاسهامات :

تعد نظرية دولارد وميلر نظرية جديره بالاهتمام من قبل بعض علماء النفس، لانهما حاولا التقريب بين مدرستين متباعدتين هما السلوكية والتحليل النفسى، كما يذكر لهما بكل فخر تأكيدهما على تفسير مفهومين ذو أهمية خاصة فى مجال علم النفس المرضى وهما الصراع والخوف أو القلق، بالإضافة الى تعريفهما للكبت تعريفاً بعيداً عن الميتافزيقا الفرويديه، كما توجد بعض المؤشرات على انهما كانا بالفعل من افضل علماء عصرهم، حيث ساعدت افكارهم على إلهام البعض بالقيام بمحاولات عصرية فى هذا المجال، حتى أن البعض يعتبر أن العلاج المعرفى، والسلوكى/ المعرفى ما هو إلا أحد الآثار الهامة لهذه النظرية .



الفصل الثامن عشر

التعلم الاجتماعي (التعلم بالملاحظة)

ألبرت بندورا

تناول بعض أنصار المدرسة السلوكية المحدثين إحدى القضايا التى تناولها كل من دولارد وميلر فى نظريتهما وتوسعوا فيها خاصة ما يتعلق بكتاباتهما المبكره عن التعلم الاجتماعى (١٩٤١) ، ويعد بندورا واحداً من أهم مؤسسى هذا الاتجاه ، الذى يشارك كيلى الرأى فى أن التحليل النفسى نوع من الخرافة والشعوذة ظهر فى مرحلة ما قبل التفكير العلمى، ويشارك سكنر الرأى فى أن النظرية الجيدة يجب ان تُسهل التنبؤ والتحكم فى السلوك المستقبلى، لكنه رفض بشدة النظرية السلوكية الراديكالية لسكنر واختار بدلاً من ذلك وضع نظرية تؤكد على أهمية الترابط الداخلى المتبادل للسلوك ، وتهتم بإبراز الاسباب الداخلية والعوامل البيئية المرتبطة به .

نشأته وحياته :-

ولد بندورا فى الرابع من ديسمبر ١٩٢٥م فى موندارا Mundara وهى قرية صغيرة ونائية يقطنها ٦٠٠ ساكن فى شمال مقاطعة ألبرتا بكندا. وكان والداه فلاحين يزرعون القمح وينحدرون من أصل أسبانى. وكان بتلك القرية مدرسة ثانوية واحدة، يلتحق بها عشرون طالباً واثنين من المدرسين فقط، وكان بندورا بالطبع أحد هؤلاء الطلاب، ويذكر بندورا أن هؤلاء العشرين طالباً التحقوا جميعاً بالجامعة وعملوا فى وظائف مهنية بنجاح، وأرجع ذلك فى الأغلب إلى اعتمادهم على انفسهم فى عملية التعلم الذاتى، وفى الحقيقة لاتتوفر معلومات كثيرة عن طفولته، وبعد تخرجه من المرحلة الثانوية التحق بعمل صيفى فى أشغال الطرق السريعة، وترقيع المطبات فى الطرق السريعة بألاسكا، وهو عمل متدنى لم يكن يشتغل فيه إلا الهاربين من أحكام مدنية كالمختبئين من محصلى الفواتير والهاربين من سداد الضرائب، هذا الأمر بالإضافة الى عوامل اخرى دفعته لدراسة علم النفس.

التحق بندورا بجامعة كولومبيا البريطانية Uni.of British columbia فى مدينة فانكوفر Vancouver وحصل منها على درجة البكالريوس عام ١٩٤٩ بعد ثلاث سنوات دراسية، ونظراً لذلك فاز بجائزة بولوكان Bolocan وهى جائزه تمنح للمتفوقين فى علم النفس ولمن يقدمون اسهامات جيده فيه قبل التخرج، ويبدو ان بندورا وجد الطريق الصحيح والمباشر الذى يوصله الى هدفه الوظيفى النهائى اكثر من أى باحث آخر.

والتحق بندورا بجامعة أيوا Iowa لمزيد من الدراسة المتخصصه فى علم النفس ويرجع ذلك الى وجود كينث سبينس Kenneth spence الذى يعده أعظم من يشرح نظرية هل Hall فى المثير والاستجابة، وفى جامعة أيوا درس نظرية التعلم واختبرها بحماس وتثقف بشكل جاد وواضح. وتعلم الطرق التجريبية وركز على التعلم بالملاحظة عندما لفت انتباهه الأعمال الكلاسيكية لنيل ميلر عن التقليد وهو ماساعده لأن يكون نموذج للتفوق والامتياز وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٥١، وعلى الدكتوراه فى ١٩٥٢ ثم قضى السنة التالية للعمل كأخصائى اكلينيكى فى مركز ويشتا كانساس Wichita kansas للإرشاد. ثم تقبل وظيفة باحث فى قسم علم النفس بجامعة ستانفورد، وفى سنة ١٩٥٣ تزوج من فرجينيا فرنز Virginia Varns وأنجبا طفلين. وقد تتلمذ على يديه علماء بارزين مثل ديفيدجوردون David Starr Jordon فى ستانفورد، كما تأثر هو بأفكار روبرت سيرز Sears, R. الذى عمل كزميل له والذى أهتم بدراسة أثر التوحد أو التقمص

فى عملية التعلم وفى السلوك العدوانى ، وكانوا جميعاً (سبنز ، وميلر ، وسيرز قد درسوا فى جامعة يل على يد هل) . ولقد بدأ بندورا برنامجاً للبحث التجريبى يستهدف دراسة أثر التعلم الاجتماعى بالملاحظة والتقليد على السلوك العدوانى للأطفال ، وانتهى هذا البحث فى ١٩٧٠ بنتيجة هامة مؤداها ان هناك تأثيراً للعنف فى التلفزيون على سلوك الأطفال الصغار . وفى الوقت الذى كان يطبق بحثه كان يتحقق بالتجربة من المفاهيم الرئيسية لنظرية التعلم الاجتماعى .

وفى المجال العلاجي طور بندورا واختبر اتجاهه الفريد فى تعديل السلوك الذى يقوم على فنية النمذجة Modeling ، ثم وجه اهتمامه الى دراسة أثر فعالية الذات المدركه على إثاره الخوف وعلى القدرة على مواجهة المواقف المهدة ، وخلال سنوات بحثه وبناءه للنظرية اكد بندورا على دور العوامل المعرفية فى تنظيم السلوك ولذلك اصبح اتجاهه السلوكى اكثر عقلانية ومنطقية بالمقارنه بأحد روادها مثل سكنر .

وهكذا استمر بندورا فى تطوير مدخله عن التعلم الاجتماعى بكفاءة وفعالية بغرض دراسة وفهم الشخصية ، واسفر ذلك عن نشر عدة كتب فى هذا المجال ، وكتب عدة مقالات فى الدوريات العلمية ، كان أول مؤلفاته عدوان المراهقين Adolescent Aggression فى (١٩٥٩) ، وكتابة الثانى التعلم الاجتماعى ونمو الشخصية الذى نشره فى ١٩٦٣ وكلا الكتابين كانا تأليفا مشتركا مع أول طلابه الذين اشرف عليهم فى الدكتوراه ريتشارد ولترز Richard, H. Walters ، ثم نشر اسس تعديل السلوك فى (١٩٦٩) وفى نفس السنه عمل رئيساً لمركز الدراسات العليا فى العلوم السلوكية فى جامعة ستانفورد وأخذ يعد لكتابة مؤلفه عن "العدوان : تحليل فى ضؤ التعلم الإجتماعى " الذى صدر عام ١٩٧٣ ، كما نشر كتاب له بعنوان نظرية التعلم الاجتماعى فى (١٩٧١) ثم قدم طبعه اخرى منه فى (١٩٧٧) ضمنها كل ما توصل اليه من ابحاث خلال هذه الفترة .

ونظراً لإسهامات بندورا فى مجال علم النفس فقد تلقى العديد من الجوائز منها جائزة العالم المتميز فى (١٩٧٢) من الجمعية الأمريكية لعلم النفس وجائزة انجاز عالم النفس المتميز فى (١٩٧٣) من رابطه علم النفس فى كاليفورنيا ، وفى نفس السنه تقلد منصب رئيس الجمعية الأمريكية لعلم النفس .

ورغم مرور أكثر من خمس وعشرين سنه فى جامعة ستانفورد فقد ظل بندور يُدرس مقررين فى مرحلة الليسانس هما : قاعة البحث فى تغيير الشخصية والثانى عن

سيكولوجية العدوان . وعاش بندورا مع زوجته فرجينيا وولديه بالقرب من معسكر ستانفورد وكأعضاء فى نادى سيرا Sierra يستمتعون بقضاء عطله نهاية الأسبوع فى متجمع بوسميت وزيارة الأوبر وسماع السيموفونيات الشهيرة وكانوا منتظمين على زيارة أحد المطاعم الفاخرة فى سان فرانسيسكو . ورغم ذلك وصف بأنه ذات اهتمام متجدد ، كما يعده البعض من مؤسسى علم النفس المعرفى .

طبيعة الشخصية :

١- الحتمية التبادلية - مقابل الحرية Reciprocal Determinism :

انتقد بندورا بشده تأكيد سكنر على الضبط الكامل للبيئة ، وأكد على التفاعل المستمر والمتبادل بين الفرد والبيئه فيقول " إن الإصرار على القول بأن الناس يخضعون تماماً للقوى الخارجية ، ثم العوده للقول بأنهم يعيدون تخطيط مجتمعهم بتطبيق التكنولوجيا النفسيه يعد أمراً يقوض الحقيقه الأساسية المسلم بها فى النقاش ، فلو كان الناس عاجزين عن التأثير على الأحداث الخاصة بهم فإنه من المحتمل وجود قدرة على وصفها والتنبؤ بها دون القدرة على ممارسة أى ضبط عليها ، ورغم ذلك فإن اتباع سكنر يدافعون بحماس عن قدرة الناس على تغيير بيئاتهم بحثا عن حياة افضل " (Bandura, 1978) .

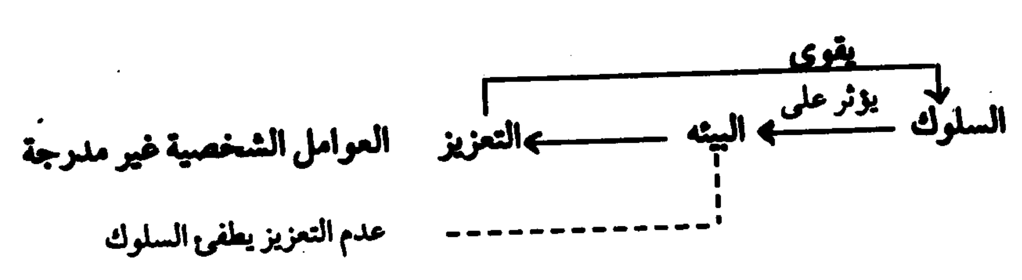
وبدلاً من ذلك رأى بندورا ان كل من السلوك والعوامل الشخصيه الداخلية (بما فى ذلك المعتقدات والأفكار ، والتفضيلات ، والتوقعات ، والإدراكات الذاتية) والمؤثرات البيئيه كلها تعمل بشكل متداخل فكل منها يؤثر على الآخر ويتأثر به فعلى سبيل المثال : إن مشاهدة برنامج تلفزيونى يتحدد نسبياً بالتفضيلات الشخصية للفرد ، وهذه التفضيلات لها تأثيرها على البيئه حيث يلغى المنتجين العروض التى لاتجذب المشاهدين بدرجة كافية ، كما أن القوى الخارجية تساعد على تشكيل تفضيلات الفرد وإنماط سلوكه لأن الشخص لايستطيع ان يحب أو يختار برنامجاً لم يعرض تلفزيونياً .

من وجهة نظر التعلم الاجتماعى ، فإن الناس لايندفعون ذاتيا بفعل تأثير القوى الداخلية ، ولايُدفعون قهراً بفعل المثيرات البيئية ، فالوظائف النفسية يمكن شرحها أفضل فى شكل تفاعل تبادلى مستمر بين الشخص والمحددات البيئية ، لذلك يرفض بندور المبدأ الذى أطلقه سكنر القائل " غير مايمكن ان يتغير فإن سلوكك سيتغير تبعاً له " ويرى انه يصح ما هو عكس ذلك " غير سلوكك وسيتغير ما يمكن تغييره تبعا لذلك " ويعبر عن رأيه

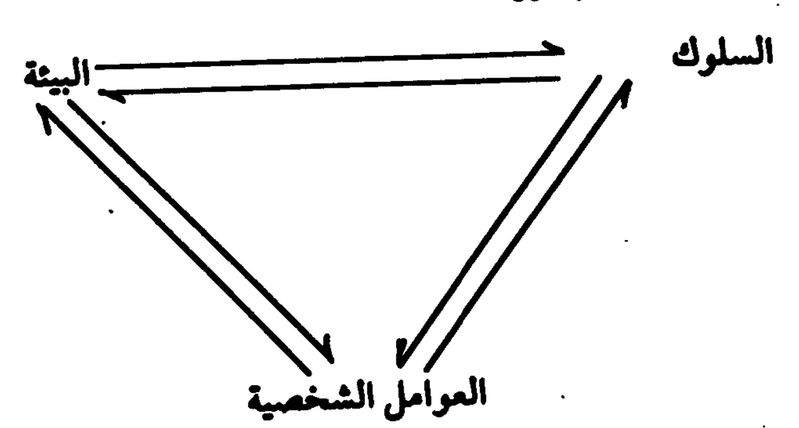
عن التكامل بين انصار البيئة وانصار التعلم الإجتماعى فيقول ان كل كتكوت يكتشفه أحد علماء البيئه وحيد الاتجاه unidirectional فإن عالم التعلم الاجتماعى يستطيع أن يحدد البيضة التى أنتجته (Bandura, 1978) .

هكذا يتضح ان الحتمية التبادلية تتضمن أننا نستمتع ببعض الحرية فى التصرف رغم قلة عدد الخيارات المتاحة لنا أما بسبب القيود الخارجية أو لضعف قدرتنا او لعدم رغبتنا فى التصرف بطرق معينه، وفيما يلى عرض لوصف مقارن بين مبدأ الإشراط الإجرائى لسكنر ومبدأ الحتمية التبادلية لبندورا .

* الإشراط الإجرائى لسكنر



* الحتميه التبادلية لبندورا



العوامل الشخصية

(التوقعات ، المعتقدات ، الادراكات الذاتية، الافكار ، التفضيلات)

شكل (١٨ - أ) وصف مقارن بين الإشراط الإجرائى لسكنر، والحتمية التبادلية لبندورا

هكذا يعد موقع بندورا فى هذا البعد موقعاً وسطاً بين الأفراط فى الحرية والحتمية ويمكن فهم موقعه هذا من خلال مفهومه عن الحتمية التبادلية أى التفاعل المستمر للسلوك

بين الفرد والبيئه فى كل الانشطة الانسانية وحيث ان مفاهيم الناس وسلوكهم وبيئتهم بينهم نوع من الحتمية التبادلية كل مع الآخر، فالأفراد ليسوا مقصورين على ما تفرضه عليهم البيئه، ولاهم احرار تماماً فى عمل ما يرغبون أو يختارون .

ومن وجهة نظر التعلم الاجتماعى يعدالناس أحرار الى حدما، بنفس ا لقدر فهم يستطيعون التأثير فى ظروفهم البيئية المستقبليه من خلال تنظيمهم لسلوكهم ويتم ذلك من خلال كل من العمليات المعرفيه والتدعيم الذاتى، كما ان البيئه تؤثر فى الناس بقدر ما يؤثر فيها الناس . ولتوضيح ذلك . فإن النمو المعرفى للفرد ومعايير التدعيم الذاتى تتحدد على الأقل من خلال المؤثرات البيئية ، ومن خلال نظرية التعلم الاجتماعى، فالعلاقة بين الفرد والبيئه علاقة تفاعل متبادل bidirectional حقيقة . فالناس تشكل البيئه فى حين أن البيئة تحدد المثيرات الدافعة لسلوك الناس .

٢- العقلانية مقابل اللاعقلانية :

يختلف بندورا عن السلوكية التقليدية بشكل عام وعن سكنر الى حدما. حيث يتميز بتأكيده على الافتراضات العقلانية وينعكس ذلك بوضوح فى تأكيده على الجانب المعرفى فى نظريته. " فمما لاشك فيه أن القدره الفائقه لدى الإنسان لاستخدام الرموز قد مكنته من الاقتران فى افكار انعكاسية وان يخلق ويبدع وان يخطط ويسلك فى ضوء ما يخطط له وليس مجرد تحديد اختيارات محتملة والتصرف بناء عليها، فالحديث مثلاً يعد عمليه معرفيه وضعها علماء الاتجاه العقلانى كأساس لتركيباتهم النظرية . وتقع العقلانية فى مركز المفاهيم النفسيه لدى بندورا . ففى النمذجة والتعلم بالملاحظه مثلاً فبدون القدره على تشكيل وتخزين التخيلات المعرفية وسلوك الملاحظ فى الذاكرة يصبح من الصعب تحقيق النمذجة ، كما عالج بندورا مفهوم التعزيز على أن له وظائف باعثة وتثقيفية ، وهو لا يوافق على اعتبار المعزز الخارجى فقط هو المحدد الآلى للسلوك مثلما يعتقد سكنر ، ولكنه يرى ان التعزيز سواء كان مباشر او ضمنى يعطى الفرد الفرصة للتفكير فى توليد سلوكيات مستقبليه، وهكذا فالمفاهيم العقلانية التى تعد غريبه فى نظرية سكنر تأخذ موضعاً مركزياً فى نظرية التعلم الاجتماعى لبندورا .

ولم يسلم بندورا برأى سكنر بأن الأسباب الداخلية للسلوك ليست سوى إسهاب بلا معنى، ولكنه يقبل القول بوجود اسباب معرفية حيث يتضح من خلال نظرية دولارد وميلر

ان الفرد نفسه قد يولد ويزيد درجة القلق لديه بسبب افكاره الخاصة ، والناس قد يمرضون اذا تخيلوا مواقف مثيره للاشمئزاز ، ويغضبون إذا أطالوا التفكير فى نتائجها، كما يثارون جنسياً اذا استحضروا خيالات شبقيه . والكثير من المجددين والمؤلفين غير المشهورين يعتقدون بشده انهم على صواب ويكافحون لسنوات طويلة لتحقيق غاياتهم معتمدين فقط على دافعيتهم الذاتيه مستعيضين بها عن نقص التعزيز الناتج عن تقدير ما أنتجوه .

" فالمنظرين يستوعبون تماماً وجود بعض الأسباب الداخلية للسلوك، ويرون أن تجاهل هذه الأسباب لسنوات طويلة لاتبرر الآن استبعادها من البحث العلمى، ويتزايد يوما بعد يوم الدليل والبرهان على أن للمعرفة تأثير فى إحداث السلوك، وأن أى نظرية تنفى أو تجحد قدرة الأفكار فى تنظيم وتوجيه الأحداث، فإن هذه النظرية غير جديره بذاتها فى وصف أو شرح السلوك الإنسانى المعقد" (Bandura, 1977) .

كما أن العماليات المعرفية تلعب دوراً حاسماً فى تعريف بندورا للتعزيز كما سنرى فيما بعد.

٣- النظره الكلية / الجزئيه Holism- Elementalism

سيراً فى نفس خط السلوكيه التقليدية ركز بندورا على الافتراضات التركيبية فلا يوجد موضع فى نظرية بندورا يحدد مفهوما تركيبيا له القدره المطلقه على تحديد السلوك مثل الذات أو مفهوم الذات فى نظرية روجرز مثلاً أو الحاجة فى نظرية موراى أو ماسلو وعندما يتناول مفهوم مثل تقييم الذات فإنه يستخدمه كمدخل عام لمفاهيمه، كما أن مصطلح النمذجة لايفهم إلا من خلال مكوناته الوظيفية "أن نفهم كيف يتعلم الناس عملية التقليد هو نوع من الفهم لتطور الوظائف الفرعية اللازمة والإجراءات" فالوظائف الفرعية اللازمة هى : التمييز ، الملاحظه، التخزين فى الذاكرة، مطابقة الانظمه الحس حركية بما هو متعلم، الحكم على مدى مطابقة السلوك الصادر بما هو ملاحظ، ويعد كل ذلك بمثابة مفاهيم معقده، وفى حين يرى بندورا ان السلوك لايفهم إلا من خلال مكوناته الجزئيه إلا أنه لم يعطى وزناً جزئياً لكل مكون ولذلك يعد أكثر ميلاً وبصوره معتدله الى الجزئية .

٤- البنيوية (التركيبية) البيئية Constitutionalism/ Environmentalism

يدل اسم النظرية (التعلم الإجتماعى) على تركز اعمال بندورا على البيئه الاجتماعية

وعمليات التعلم التى من خلالها تمد البيئة الفرد وتؤثر على سلوكه وعندما نضع النظرية على خط متدرج مابين البنيوية - والبيئية فإنها تميل نحو المكون البيئى، حيث تفتقد البيئه الضبط المروع والألى للسلوك كمافى نظرية سكنر وطبقاً لمفهوم بندورا عن الحتمية التبادلية فإن الناس تؤثر فى البيئه وبنفس القدر تؤثر البيئة فيهم . وطبقاً لعملية التنظيم الذاتى والمعرفى فإن التأثير المباشر للبيئه يعد معتدل، ومن ثم فإن هناك تفاعل ثابت بين العوامل السلوكية والمعرفية والبيئية . ورغم أن بندورا يعتقد أن للبيئة قدرة معتدله على اظهار وتعديل السلوك البشرى إلا انه لم يعتبرها السبب الالى والمباشر للسلوك كما يعتقد سكنر، وفى المقابل لذلك يتضح غياب العامل التركيبى فى فكر بندورا ، ويمثل العامل البيئى العامل الأكثر سيطرة فى نظرية التعلم الإجتماعى. . ولذلك يعد تركيز بندورا على العقلانية والبيئية هو العامل المسئول أساساً عن تفرد بندورا بالتوجه المعرفى المتفرد مقارنة بالخلفيه التاريخية للسلوكية التقليدية .

٥- القابلية للتغير / عدم القابلية للتغير Changeability- Unchamge ability

علماء النفس الذين تركز مفاهيمهم الأساسية عن التعليم بالملاحظة من الضرورى أن تقوم فروضهم على القابليه للتغير، حيث يتعاملون من خلال عملية النمذجة مع : كيف يتعلم الناس، وكيف يغيرون سلوكهم، وفى نظام بندورا الذى يرى أنه مع نمو ونضج الناس فإنهم يكتسبون قدرة أكبر على الضبط وتوجيه السلوك بمساعدة التدعيم الذاتى وفى ضوء التنظيم البيئى ، وينظمون الدوافع الخارجية فى سبيل سلوك مرغوب ويقيمون تفضيلاتهم بما يخدم ويدعم مكاسبهم .

وبدلاً من تركيز اهتمامه النظرى على المتغيرات الداخلية التى تنظم سلوك الفرد عبر الزمن، فقد اهتم أكثر بالعوامل المحددة لتغير السلوك، ولذلك يعد مثل غيره من علماء السلوكية الذين اهتموا بقابلية السلوك للتغير لدى الكائن البشرى .

٦- الذاتية/ الموضوعية :

يعكس التفاعل المستمر بين الفرد والبيئه فى نظرية التعلم الاجتماعى وخاصة فى ضوء تأكيد بندورا على الحتميه التبادليه - يعكس - افتراض الذاتية والموضوعية معا. ففى جانب الذاتية لا يستطيع الناس التمييز بين ما يتشربونه من مؤثرات يتعرضون لها أو ترتطم بهم ، فضلا عن أن هذه المؤثرات تتعامل من خلال مؤثرات ذاتية محتمله أو

مفترضة ولها صفة الخصوصية كالعوامل الداخلية (كالتركيبات المعرفية) قبل أن تؤثر فى السلوك، بالاضافة لذلك فإن إقتراح الذاتية يظهر بوضوح فى مصطلح بندورا عن معايير تقييم الذات، نظراً للاختلافات فى هذه المعايير بين الناس وبعضهم البعض، كما أن المواقف الموضوعية المتطابقة ربما تدرك بشكل مخالف ويتم الاستجابه لها بطرق متباينة من أى فردين، وهكذا فإن بندورا يولى أهمية واضحة لدور الخبرة الخاصة فى النشاط الإنسانى .

وهكذا فقد تجرأ بندورا وغامر بخوضه فى العالم الذاتى للفرد الذى تنازل عنه وأهمله الظاهريين (من أمثال روجرز) ولقد داس تحذيرات السلوكيين بعدم الخوض فى دراسة الأعماق وعدم السعى نحو استكشافها لانها قد تكون غير مقبولة علمياً فى ضوء الخبرة الذاتية للفرد. كما حاول فى الوقت ذاته بذل جهوداً كبيرة فى التشبث بالتركيبات الداخلية للموضوعية، والعوامل الملحوظه. ففى حين يؤثر الناس فى البيئة، فلا يمكن أن ننسى أن البيئة (بعواملها الموضوعية) تؤثر هى الأخرى فى سلوك البشر- وهكذا يقف بندورا موقفاً محايداً بين الذاتية والموضوعية فى هذا الإطار.

٧- المبادرة الذاتية بالتفاعل - التفاعل المتبادل :

يستجيب الفرد بشكل مستمر للمؤثرات الخارجية فى نظرية التعلم الاجتماعى ، ولكنه يؤثر أيضاً بنوع من المبادرة الذاتية Proactivety ، ولكى نفهم هذه التعارض الظاهر نوجه الاهتمام إلى تأكيد بندورا على أن " ينظم السلوك من خلال التفاعل الذاتى والمصادر الخارجية للمؤثرات" (Bandura, 1977) . وتعكس هذه العباره تماماً مبدأه عن الحتمية التبادلية، وهو ما يعنى وجود جزئين متساويين لكل من التأثير المسبق للتفاعل، والتفاعل المتبادل. . وفى نظام بندورا ، يستجيب الناس للمؤثرات الخارجية من خلال ملاحظتها ويعالجون هذه المؤثرات من خلال تركيباتهم العقلية. فالناس تلاحظ، تفكر، تخطط ، وتتوقع ردود الأفعال الخارجية على سلوكياتهم وتصرفاتهم. ومن المنطقى أن تقول أن سلوك الناس محكوم بواسطة ردود أفعالهم للأحداث المتوقعة بدلاً من ردود افعالهم نحو الماضى أو الأحداث الخارجية الراهنه (1974) فسلوك الفرد يتولد طبقاً لنمط توجهاته المستقبلية (تفاعل مسبق)، ومبدئياً كرد فعل للأحداث المتوقعة عن سلوكه أو تصوفه (تفاعل متبادل) ولذلك فإن كل من التفاعل المسبق والمتبادل متعادلان فى نظرية التعلم الاجتماعى .

٨- التوازن الداخلى - والخارجى :

القاعدة الأساسية المتضمنه فى هذا الافتراض هو أن طبيعة وخصائص الدوافع تقف خلف أى سلوك . هل الناس يتصرفون لخفض توتراتهم وإعادة التوازن المفقود ، أو أن السلوك البشرى موجه أساساً نحو تحقيق النمو الشخصى وتحقيق الذات؟ فى الحقيقة لاتوجد إجابات قاطعة على هذه التساؤلات فى نظرية بندورا ، ولايوجد فى أى حالة ترتبط بهذه القضية الأساسية ما يمكن ادراكه حول طبيعة هذه التركيبات النظرية ، ولم يستطيع أى نموذج سلوكى أن يحدد طبيعة الدوافع المحتمله التى تقف خلف سلوك الفرد . إن ذلك لايعنى ان بندورا يرفض مفهوم السلوك المدفوع ولكنه فقط صاغ الدافعية ببساطه فى نمط لايضعه ضمن المؤيدين للتوازن الداخلى أو التوازن الخارجى ، وبتحديد اكثر ، فقد شرح بندورا الدافعية فى مصطلحات : الأحداث السابقة ، المثيرات ، الإغراءات المعرفية ، وكل ذلك يمكن التحقق منه تجريبياً ، ولكى نفهم هذا الوضع جيداً ، على القارئ الرجوع الى الجزء الخاص بالتعلم بالملاحظة والعوامل المؤثره فيه ، فالدافعية موجوده بلاشك فى نظرية التعلم الاجتماعى ولكنها متضمنه فى التركيبات المعرفية والأنواع المختلفه من التدعيم (كالتدعيم الخارجى ، والتدعيم البديلى Vicarious ، والتدعيم الذاتى) : وهكذا ما لم يخوننى التعبير فإن فرض الاتزان الداخلى ، الاتزان الخارجى غير مطبق مباشرة فى نظرية بندورا .

٩- القابلية للتعريف (المعرفة) - عدم القابلية للتعريف (اللامعرفة) .

يفترض بندورا بوضوح أن الطبيعة الإنسانية قابله للتعريف ، حيث تتضح القابليه للتعريف فى كل أعماله بدء من تجاربه الأوليه مروراً بمرحلة إنشاء مفاهيم نظرية واختبارها تجريبياً حتى ما تم التوصل اليه من بحوث علمية ، ففى حين وظف بندورا التركيب المعرفى الداخلى فى شرح السلوك ، إلا انه اعتقد بوضوح ان هذه العمليات الداخلية يجب أن ترتبط بالتصرفات الظاهرة فى أى وصف كامل للسلوك الإنسانى . كما يجب ان تضع هذه الروابط كل المتغيرات الداخلية المفترضة فى إطار المعرفة العلمية سواء كان من خلال الملاحظة أو القياس الفعلى ، وهكذا يتفق رأى بندورا مع السلوكيين التقليديين من انه يمكن التعرف على طبيعة النفس البشريه من خلال العلم .

	قوى	معتدل	ضعيف	محايد	ضعيف	معتدل	قوى	
الحرية				×				الحتمية
العقلانية	×							اللاعقلانية
الكلية						×		الجزئية
البنيوية							×	البيئية
القابلية للتغير	×							عدم القابليه للتغير
الذاتية				×				الموضوعية
المبادأه بالتفاعل				×				التفاعل المتبادل
التوازن الداخلى	ليس لها تطبيقات							التوازن الخارجى
المعرفة	×							اللامعرفة

الافتراضات التسع الأساسية عن الطبيعة البشرية عند بندورا

نقلا عن هيجل وزيجلر (Hjelle, L.A. & Ziegler, D.J., 1981)

تركيب الشخصية :

يتفق رأى بندورا مع رأى دولارد وميلر فى قله جدوى التركيبات التكوينية المجردة للشخصية، ولكنه أعطى اهتماماً جوهرياً للطرق التى ينظم الناس سلوكهم من خلالها، والتعزيز وكذلك تأثير الفعالية المدركه للذات على سلوك الفرد وتفضيلاته .

أولاً - سلوك تنظيم الذات Self-Regulation behavior

طبقاً لرأى بندورا فإن سلوكنا يتأثر بالمعايير المتعلمه التى حددناها لأنفسنا، فيقول " لو أن تصرفاتنا تحددت بناءاً على التدعيم أو العقاب الخارجى فقط فإن الناس سيتصرفون مثل دوارات الرياح أو طواحين الهواء Wether vanes ويتنقلون دائماً فى اتجاهات متضاربه حتى يتوافقون مع التأثيرات الواقعه عليهم فى التو والحال، ولكن ما يحدث فعلياً أن الناس يضعون مستويات معينة لسلوكهم ويستجيبون لأفعالهم بطرق تتضمن تعزيز أو

عقاب الذات (Bandura, 1977) . من أمثلة ذلك فإن المؤلفين الذين لايرغبون ان يلتقط أحد أخطاءً لهم وزلاتهم فإنهم يمدحون ويعززون ذاتهم فى كل جمله جميله كتبوها بل ويداهنون انفسهم ، وهم يدفعون فى ذلك بمعيار داخلى يحدد لهم العمل المقبول وخصائصه، ويعيدون كتابة كل جمله مرات عديدة حتى يحققوا هذا المعيار، حينئذ يكافئون أنفسهم بالرضا عن الذات والاعتزاز بالنفس ، وكلما كان المعيار واضحاً ودقيقاً كلما زادت مراجعة الفرد لنفسه واجتهد فى ذلك لدرجة قد تمتد الى تحرير وطباعة العمل بدرجة مبالغ فيها، ويصبح اكثر نقداً لذاته أو قد يصبح غير قادر على إكمال عمله، وتتحدد المعايير الذاتية للشخص بعوامل من قبيل:

١- الانجازات السابقة وخاصة عند الوصول الى مستوى من الاداء يفوق مستوى التحدى الراهن .

٢- الدرجة التى بها ينسب الفرد نجاحه الى مجهوده الشخصى لا إلى الحظ والصدفه.

٣- الأهمية التى نوليها للنشاط الذى نقوم به .

٤- المدح والنقد الذى تلقيناه من الوالدين اثناء الطفولة والمراهقة .

٥- ما نتخذهم من نماذج نحتذ يها بالمقارنة مع الاشخاص الاكثر قدره والأكثر تأثيراً فى حياتنا الذاتية .

فالطفل الذى يتلقى مدحاً متكرراً من ابوين متساهلين يكون اكثر ميلاً لأن يمدح ذاته فى حين ان تكرار مسايرة او موافقة الذات Self- Approral ربما يكتسب من خلال مشاهدة نموذج يعزز المهام السهلة .

وفيما عدا بعض الأشخاص غير العادين مثل توماس مور وجاليليو الذين اعدما لانهما رفضا التخلى عن مبادئهما، فإن المعايير الذاتية تترابط وتتعانق بشدة مع المعايير الخارجية والدليل على ذلك انه نادراً ما يمدح الفرد ذاته على سلوك غير لائق إجتماعياً لأن ذلك سيثير نقداً لاذعاً من الآخرين ، كما أن الأفراد الذين يعتبرون سلوكهم سامياً لدرجة ان رد الفعل عليهم من الآخرين لايكون لها أى تأثير عليهم هم فى الواقع فئة نادرة ، وبالرغم من ذلك فإن المعايير الذاتية والتدعيم الذاتى يبقيان أمرين أساسيين لفهم السلوك الإنسانى ، ويؤكد بندورا على أهمية التدعيم أو التعزيز الذاتى ويصفها بأنها تلك العملية التى يقوم الناس من خلالها بتحسين سلوكهم والمحافظه عليه من خلال منح أنفسهم ذلك

التدعيم الذى يساعدهم على ضبط ما يرغبون فى انجازه من معايير يفرضونها على ذاتهم، وحيث أن كل من رد الفعل الذاتى الايجابى أو السلبى ذات إحتمالية قائمة فقد استخدم بندورا مصطلح تنظيم الذات للدلاله على أثار زيادة أو خفض التأثيرات المختلفة للتقييم الذاتى.

ومن وجهة نظر بندورا فإن حافز التنظيم الذاتى يزيد الأداء أساساً من خلال وظائف الدافعية التى يتضمنها مثل المتعة الذاتية والتدعيم اللفظى على ما قام الفرد بإنجازه، ومن ثم يدفع الأفراد انفسهم لبذل الجهد المطلوب لأى أداء مرغوب، كما أن مستوى الأفراد من دافعية الحث الذاتى تزداد من خلال هذه الوسائل عادة، وتتنوع طبقاً لنوع وكمية الحافز وطبيعة معايير الاداء. وفى نظرية التعلم الإجتماعى توجد ثلاث عمليات يتضمنها سلوك تنظيم الذات وهى :

أ- أبعاد الملاحظه الذاتية Self- observation :

حيث يتنوع سلوك الكائن البشرى بتنوع أبعادالملاحظة الذاتية مثل معدل أو كم استجابة الفرد، وتعتمد الدلالة الوظيفية لهذه الابعاد على نوع النشاط، وعلى سبيل المثال، فإن الاداء فى مجال مثل ألعاب القوى مثلا يكون محكوم بالزمن والمسافة، أما الاعمال الفنية فيتم تقييمها بناءاً على معايير الجدة والأصاله، فى حين أن السلوك الإجتماعى يكون محكوم بأبعاد مثل الاختلال والانحراف، ومدى التزامه بالأخلاق وغيرها من معايير التقويم.

ب - عمليات الحكم أو التقييم Judgment processes :

وهى تلك العمليات التى ينظر من خلالها للأداء على أنه جدير بالتقدير والثناء، وجدير بالتدعيم، أو أنه غير مُرضى ومن ثم يستحق العقاب، ويعتمد ذلك على المعايير الشخصية المستخدمه فى عملية التقييم، وعموماً فإن التصرفات التى تقاس بناءاً على معايير داخلية يكون الحكم عليها ايجابياً، ولكن تلك التى لاتتصل بهذه المعايير يتم الحكم عليها بشكل سلبى، وبالطبع فإن القياس المطلق لاداء الشخص يكون مفتقد الى الدقه الكامله، فالزمن المستخدم فى قياس ١٠٠ متر سباحة أو عدد الدرجات المستخدمه فى تقييم امتحان لعلم النفس، أو كمية التبرع الذى يقدمه فرد للجنة تنظيم التبرعات ربما لاتعطى معلومات كافية عن درجة القبول الذاتى حتى لو قورنت بما لدى الفرد بمعايير داخلية. وبناءاً على ذلك فإنه يجب تعريف كفاية الأداء بعقلانيه أو بشكل منطقى- كأن يتم

مقارنة الفرد بالآخرين . ولتوضيح ذلك نفترض أن الطالب الذى حصل على (٨٥) درجة فى مقرر علم النفس وهو يكافح ليكون ضمن أعلى ٥٪ من طلاب فصله، ولذلك فإن درجته لاتحدد فى حد ذاتها تقدير ذاتى موجب أو سالب ما لم يعرف درجة زملاءه الاخرين ، وفى حالة بقاء المطالب والأنشطة الأخرى، فإن كفاية اداء الفرد ربما يتم تحديدها من خلال مفاهيم معياريه أو من خلال المقارنه بمجموعة معيارية .

ولا شك أن السلوك السابق للفرد يشترط أيضاً وجود معيار يتم من خلاله الحكم على الاداء ، فالمقارنة الذاتية Self-comparison قد تمد الفرد بإحساسه بالكفاية أو عدم الكفاية ويقترح بندورا أن الاداء السابق يؤثر فى عملية القبول الذاتى أساسا من خلال تأثيرها على الأهداف المحددة. " بعد تحقيق مستوى محدد من الأداء، لايستغرق الأمر كفاح طويل فى تحقيق ارضاء ذاتى جديد من خلال أى تحسن يرقى به لهذا المستوى، فالناس يميلون لرفع معايير الاداء بعد كل نجاح، ويخفضون هذه المعايير بعد أى فشل " (1977) .

ويتضمن تقييم النشاط عامل هام آخر ضمن المكونات التقيميه لسلوك تنظيم الذات، فمن المعروف ان الناس لايبذلون إلا الجهد المحدود وقد لايبذلونه إطلاقاً فى الانشطة التى لاتربطهم بها علاقة شخصية . والأهم من ذلك فإن هذه المجالات من الحياة التى تؤثر فى سعادة الفرد وتقديره لذاته حيث تؤدى الأنشطة التى تلقى القبول الذاتى إلى الجهد المتواصل المستمر . بالإضافة لذلك فإن الطريقة التى يدرك الناس بها أسباب سلوكهم تؤثر بشده فى درجة القبول الذاتى، معظم الناس يشعرون بالسعادة والاعتداد بالذات على ما انجزوه بقدراتهم وجهدهم الخالص، ولكن القليلين هم الذين يدفعهم مزيد من الرضا عندما يرجعون نجاحهم الى عوامل خارجية مثل الحظ أو الفرصة، ونفس الأمر يكون حقيقى فى الحكم على أسباب الفشل، فإن الناس يميلون للإستجابة بنوع ما من النقد الذاتى لأى اداء أو انجاز ضعيف يعتقدون فيه بمسئوليتهم عن هذا الضعف، ولكنهم لايلومون أنفسهم كثيراً اذا كان الفشل راجع الى عوامل خارجة عن إراداتهم أى كنتيجة لظروف ما أو لقصور الإمكانات، والقدرات . أما اشكال الاداء التى يعتقد الفرد أنها لاترتبط به شخصياً فلن تثير إطلاقا أى نوع من ردود الأفعال، وعلى سبيل المثال اذا كان على فرد ما أن يحقق المكانه الأولى أو المركز الأول فى العزف الموسيقى ويصبح قائد لفرقة موسيقية ، إنه يجب أن يعتقد أو يؤمن أن ممارسته وقدراته الحقيقية تحقق له ذلك،

ونفس الفرد سوف يحصل على القليل من الاعتداد بالنفس اذا حصل على هذه المكانه بناءاً على اعتبارات غير القدرة الفنية كالمجاملة (أو بالواسطة).

جـ - عمليات الاستجابة الذاتية Self-Response

يؤكد بندورا على وجود تنوع واسع المدى من السلوك الإنسانى الذى يتم تقييمه من خلال تتابعات تقييم الذات ، كما يتم التعبير عنها من خلال الرضا الذاتى والاعتزاز بالذات، أو من خلال عدم الرضا الذاتى وتأنيب الذات، أما المكون الثالث والأخير من سلوك تنظيم الذات فإنه يتركز على عمليات الاستجابة الذاتية وردود أفعال تقييم الذات، فبعض الأشياء الاخرى تكون متعادله أو متساوية ، كما أن القبول الذاتى الايجابى عن الاداء سيزيد التدعيم عن التفاعلات الذاتية، ولكن التقبل السلبى يثير العقاب عن استجابات الذات، والأهم من ذلك أن تفاعلات تقييم الذات تكسب أو تحرز قيمة الثواب والعقاب من خلال الارتباط بالاحداث اللفظية. وعادة ما ينخرط الناس فى حالة من الرضا الذاتى بعد انجازهم درجة من الاعتزاز بالذات، ولكنهم يتعاملون مع انفسهم بطريقة سيئة اذا ما حكموا على انفسهم بنوع من النقد أو اللوم الذاتى. (1977)

كما توجد ثلاث اعتبارات إضافية عن سلوك تنظيم الذات يجب ان تعيرها مزيد من الاهتمام وهى :

- كيف يدعم التوجيه الذاتى اكتساب عملية التنظيم ؟
- كيف تؤثر الفعالية فى تنظيم السلوك ؟
- ما الذى يساندهم أو يؤازرهم ؟ .

تعلم تنظيم الذات Learning of Self-Regulation

يتم اكتساب المعايير التى يدعم الناس ذاتهم أو يعاقبون أنفسهم فى ضوءها بطرق مختلفة، واحده من هذه الطرق تتم من خلال عملية التعزيز المتمايز أو المختار differential or selective Reinforcement ، حيث يتعلم الناس عادة كيف يقيمون سلوكهم بناء على الطريقه التى يستجيب بها الآخرون لهذا السلوك ، فالوالدين والأخرين من ذوى المكانة الاجتماعية فى حياة الفرد يحددون ما يعد مقبولاً من القواعد والمعايير لنا منذ الصغر ومن ثم يتعلم الأطفال أنهم إذا إتبعوا هذه المعايير فأنهم سوف يكافاؤن أو يعززون واذا اهملوها فإنهم سوف يعاقبون، ولذلك فإن الأباء سيكونوا سعداء

عادة ويستجيبون بنوع من الموافقه والاستحسان عند تصرف اطفالهم فى ضوء المعايير المرغوبة ويعبرون عن استياءهم إذا كان أداء اطفالهم أقل من المستوى المرغوب. فالطفله التى ويبخت من قبل أمها لضربها أختها الأصغر على رأسها سوف تشعر بسحب الأم لحبها لها فى كل تصرف عدوانى من قبلها فإنها سوف تستدخل معايير الأم (العدوان أمر سيىء) وانها تستحق العقاب (سحب الحب)، ولذلك فإنها اذا ما تصرفت بعدوانية فى المستقبل أو حاولت عمل ذلك سوف تسحب إحساسها بالحب من ذاتها أو من نفسها وباختصار سوف تشعر بالذنب Self-guilt ، ونتيجة لمثل هذه المعامله المتمايزة أو المختاره سوف يسلك الطفل بطريقه تدل على الاستحسان الذاتى Self-approving أو الإدانة الذاتية Self-condemning معتمداً فى ذلك على ما يلاقيه من قبول أو رفض لمعاييرها من قبل الآخرين .

وتعد النمذجة وسيلة مؤثرة أخرى يمكن من خلالها تعلم معايير التقييم الذاتى، وقد استخدمت هذه الطريقة بواسطة بندورا لدراسة هذه العمليات مما تتطلب ان يكون لديه مجموعة من الأطفال يلاحظون النماذج وهم يؤدون مطالب يحصلون بمقتضاها على تعزيز ذاتى مرتفع أو منخفض . فعندما يحقق النموذج المعايير التى فرضها على ذاته Self-imposed فإنه يعزز ذاته لفظياً أو يكافىء ذاته بصوت مسموع. ولكن عندما يعجز عن الوصول الى تحقيق معاييره الذاتيه فإنه يميل الى نقد ذاته، وأخذ الأطفال فى ممارسة نفس المطلب بمفردهم. وتم تسجيل مستوى الأداء الذى يعززون أو يعاقبون انفسهم عليه، حيث توصلت هذه الدراسة الى ثلاث نتائج حول تأثير النموذج فى نظم تعزيز الذات هى :

١- يميل الأطفال لاختيار المعايير التقييمية التى تتضح من قبل النموذج .

٢- أنهم يحكمون على أداءهم الخاص فى ضؤ هذه المعايير .

٣- ان هذه المعايير تفيد كعامل تعزيزى .

ففى إحدى الدراسات التى اجراها بندورا وكوبرس Bandura & Kupers, 1967 على سبيل المثال اشترك الاطفال فى لعبة البولنج مع نماذج من الراشدين ، حيث لاحظ الأطفال النموذج وهو يعزز نفسه بتناول الحلوى اذا أدى اداءً ممتازاً فقط (معايير مرتفعه) فى احدى المجموعات ، أما فى المجموعة الثانية كان المنوذج يعزز ذاته إذا أدى اداءً متوسطاً (معايير منخفضه) ثم ترك الأطفال يلعبون بمفردهم فى غياب النموذج

وأوضحت النتائج أن اطفال المجموعة الأولى لم يكونوا يعززون سلوكهم إلا اذا ادى اداء ممتازا يناظر أو يقارب اداء النموذج . اما المجموعة الثانية فكانوا يعززون انفسهم على أى مستوى من الاداء مقارب لأداء نموذج المعيار المنخفض . فى حين أن الاطفال الذين لم يشاهدوا نموذج لم يعززوا أنفسهم على أى مستوى من الاداء .

٢- تنظيم السلوك من خلال الإنتاج الذاتى Self- Produced :

فى رأى بندورا لايستجيب الناس لسلوكهم الخاص بأساليب تعزيز آو عقاب الذات . إنهم ينظمون سلوكهم من خلال نتاج الإنتاج الذاتى . فالافتراض الأساسى فى نظرية التعلم الإجتماعى أنه بدون تأثير التوليد الذاتى Self- genarated فإن جهود الناس المبذولة فى مطالب موجهة يكون من الصعب دوامها أو استمرارها . ولتوضيح ذلك فقد أجرى بندورا وبيرلوف Bandura & perloff (1967) تجربه لهما درس فيها دور الفعالية النسبية فى توجيه الذات مقابل التدعيم الخارجى . فى هذه التجربه كلف اربعة مجموعات من الأطفال لأداء عمل يدوى يتمثل فى ادارة عجله باستخدام ذراع الكرنك ، وتعتمد الدرجة المسجله على عدد اللفات التى يحققها الطفل ، ويم تحديد الجهد المتوقع وأكبر درجة يتوقع تحقيقها حيث حددت مستويات معينة للدرجة فإذا ادار العجله ثمان لفات يحصل على خمس درجات وإذا ادارها (١٦) دوره يحصل على (١٠) درجات ، وإذا أدارها ٢٤ دورة يحصل على ١٥ درجة فى حين يحصل على اقصى درجة (٢٠درجة) إذا ادارها ٣٢ دورة . وطلب من أطفال المجموعة الأولى ان يحددوا معياراً يتوقعون تحقيقه ويكافأون ذاتهم اذا ما حققوا هدفهم (مجموعة التدعيم الذاتى) ، أما المجموعة الثانية فقد اعطيت نفس المعايير التى حددتها المجموعة الأولى ولكن تحقيق الهدف سيترتب عليه تعزيز خارجى (مجموعة التعزيز الخارجى) ، أما المجموعة الثالثة فانهم يقومون بنفس المطالب ولكن يتم منحهم التعزيز مقدماً (التعزيز قبل الاداء) أما المجموعة الرابعة فلم تتلقى أية تعزيزات على الاطلاق ، ثم ترك الاطفال يقومون بالمهام المطلوبه بمفردهم . وتم تسجيل عدد اللفات التى حققها كل طفل حتى يصل الى حد الرغبة فى عدم الاستمرار فى النشاط ، أوضحت النتائج ان عدد اللفات التى حققها اطفال المجموعة الأولى والثانية (التعزيز الذاتى والخارجى) يعادل ضعف اداء المجموعتين الاخريتين (تعزيز مسبق ، عدم تعزيز) . كما تميزت المجموعة الأولى انها أخذت على عاتقها المطالب التى وضعتها لنفسها على الرغم من انها تعمل بمفردها ولديها الحريه فى اختيار أية أهداف تريدها ، ويستطيع أى طفل بمفرده تحديد معيار لايتطلب سوى أقل كمية من

الجهد. ورغم ذلك فقد اختار العديد من هؤلاء الاطفال المستوى المرتفع من الانجاز كحد ادنى يستحق عليه التعزيز الذاتى . كما وجد بندورا وبيرلوف ان ما يقرب من ثلث الأطفال رفعوا معاييرهم الأوليه الى مستوى أعلى دون أن يصاحب ذلك زيادة فى كمية التعزيز الذاتى، وهو ما يتطلب مزيد من الجهد مقابل نفس المكافأة .

ولكن ما الذى دفع اطفال المجموعة الأولى لأن يحددوا لانفسهم مستوى مرتفع من الاداء دون أن يدفعهم أحد لذلك، على الرغم من أن التجربة لم تصمم للإجابة على هذا السؤال إلا أن بندورا (١٩٧٧) قدم الشرح التالى : بداية فإننا نعلم أن معظم الأطفال يستدخلون او يتشربون معايير الإنجاز من النموذج ورد الفعل التقويمى من الآخرين ويرغبون فى ان تكون لديهم درجة من الرضا الذاتى واداء يحوز رضا الأخرين كذلك . وتحت ظروف معينة اذا ما وجد الاطفال الفرصة المواتية لمضاعفة مكاسبهم من خلال القيام بسلوك له قيمة منخفضه بناءً على تقديرهم الذاتى فيحاولون رفعها، وفى هذه الحالة اقترح بندورا أن الأطفال ينزعون الى جعل مكافأتهم على الحدالأدنى من الجهد من خلال تخفيض معايرهم الانجازيه، وفى نفس الوقت فإن المكافأة على أداء معتدل أو منخفض تثير عدم القبول الذاتى Self- disapproval فإذا ما كان قوياً فإنه ربما يكف احساسه بعدم أحقيته فى التعويض الذاتى Self- Compenstion (ويقصد بالتعويض هنا هو تلك العملية السيكولوجية التى يخفى بها المرء عجزاً معينا أو شعورا بالضعه وذلك عن طريق التفوق فى مجال أو حقل معين). وهنا يلجأ الأطفال انكار تعزيزهم لذاتهم، ومن ثم يُغلب تقريع أو تأنيب الذات Self- reproof على مكافأة الذات غير المستحقه. ويشبه ذلك بالتعليق النكد والكئيب لماركس " أى نادى إجتماعى سوف يقبلنى، لا أرغب فى اللحاق به" ويتفق هذا الشرح مع حقيقة أن العديد من الأطفال فى الدراسة يحددون طموحهم من الأهداف بما يتطلب الحد الادنى من الجهد ولكنهم عندما يأخذون فى ممارسة النشاط فإنهم يسعون الى بذل المزيد من الجهد لتحقيق اكبر مستوى من التدعيم .

٣- المساندة أو الإبقاء على أنظمة تدعيم الذات : Sustaining Self- reward systeems

طبقا لرأى بندورا فإن هناك اربعة عوامل متداخلة تسهم فى المحافظة على تنظيم السلوك وهى :-

أ- الموافقة السلبية : Negative Sanctions أو مشكلة التعزيزات غير المستحقة : يخضع الالتزام بمعايير الاداء فى سبيل تدعيم الذات للعديد من

المؤثرات الإجتماعية ، فتدعيم شخص ما لعدم أهليته أو لعدم استحقاقه على ما أداه غالباً ما يؤدى الى ردود أفعال سلبيه من الآخرين .

ب - محددات موقفية متوقعة Predictive Situational determinants تجنبا للمشاكل . معظم الناس لديهم القدره على توقع النتائج المتعلقه بالتعزيز الذاتى غير المتسحق، كما أنهم قادرون على تفادى عملية التعزيز الذاتى حتى يواجهون معايير الأداء الخاصه بهم .

جـ - الاستفاده الشخصية Personal benefits : أحصل على ما تستحق : إن الرغبه فى خفض أو إقصاء السلوك البغيض سيبقى بمثابة طريقة أخرى يتم من خلالها تقوية تعزيز الادعاء الذاتى Self-Prescribed فعلى سبيل المثال فإن الطالب الذى دُفع لتحسين عاداته فى المذاكرة لتجنب الفشل بالمثل فإن حياته الاكاديمية سوف تزداد تعزيزاً من الجانب الشخصى ، وكذلك المدخن الذى أقلع عن أوخفف من كثافة التدخين لتجنب سرطان الرئه . وتنتج الاستفاده الشخصيه من تغيرات توجيه الذات ويتضح كذلك فى الأنشطة القيميه - فالناس عادة يكافحون من خلال اسلوب تدعيم الذات لتحسين مهاراتهم فى المطالب التى يرغبون التفوق فيها ولينجحون فى اداء مهام حياتهم اليومية . ويتضح نظام الترتيب الذاتى هذا خاصة فى الاشخاص الذين يعملون فى أنشطة ابداعيه أو ابتكارية ، فهم يحددون مطالب معينه يرغبون فى استكمالها ، ويضعون أهداف بعيدة المدى . فالمؤلف الذى يقرر كتابه ٣٠ صفحة فى الأسبوع سوف يمتع نفسه فى نهاية الاسبوع (تعزيز ذاتى) برحلة خلويه مثلاً اذا انهى هذه المهمة بنجاح .

د - تدعيمات النمذجة Modeling Supports وإزدهار النجاح . إن العامل الأخير الذى يفيد فى استمرار سلوك تدعيم الذات يتضمن النماذج المدعمه ، وحيث ان سلوكنا محكوم جزئياً بمثيرات النمذجة فإن ذلك يستتبع ان رؤية ما يحققه الآخرين من نجاح وهم يعززون ذاتهم يدفعنا الى تعزيز الذات فالشخص الذى يلتحق ببرنامج للرجيم (الحمية) بغرض خفض وزنه هو مثال على ذلك عندما يرى الآخرين يفقدون أوزانهم الزائدة بمساعدة المساندة الذاتيه أثناء بذل المزيد من الجهدللحد من كميه الطعام التى يتناولها .

ثانياً : التعزيز : أنواعه ووظائفه :

أنواع التعزيز :

فى حين يرى سكنر أن التعزيز الذى يُمنح للفرد غالباً ما يكون خارجى ، وهو ما لم يكتفى به بندورا ولذلك أضاف نوعين آخرين من التعزيز هما التعزيز الذاتى والتعزيز البديلى ، كما ان تصوره عن التعزيز الخارجى يختلف عن مفهوم سكنر .

١ - **التعزيز الخارجى** : وهو التعزيز الذى يصدر عن الآخرين ، ولكن على العكس من بافلوف وسكنر ودولارد وميلر الذين يعتقدون أن التعزيز الخارجى يتضمن إمداد الفرد بمعلومات تزيد دافعيته وإلا لن يكون مؤثراً وفعالاً أو يصبح الناس مثل طواحين الهواء يتحركون بإرادة الآخرين وليست بإرادتهم الخاصة ، وحيث ان التعزيز يتضمن إحداث تغير فى توقعاتنا الشعورية فإننا نميل لأن نسلك بالطريقة التى تجلب لنا المكافأه ونتجنب ما يجلب لنا العقاب . فسلوكنا يتحدد فى الواقع بدرجة كبيره على أساس نتائجه أما العوامل المعرفية فتزيده قوه وشده . وهكذا يؤكد بندورا عدم إقتناعه بأهمية التعزيز الخارجى وحده بقوله " إن أفضل ماتوصف به فكرة تقوية الاستجابه response strenghening أنها خيال ، فالنتائج تحدث تغييراً شديداً فى السلوك الإنسانى عن طريق تأثيرها الضاغط من الأفكار ، ومن الضرورى أن يكون التغير المعرفى من الفرد ذاته وليس مملى عليه لأنه لو تم تعزيز ايجابى لبعض الاستجابات المعقده فإن إحتمالية حدوثها لن تزيد حتى لو تأكد الافراد من مصادر معلوماتيه أخرى أن نفس السلوكيات سوف تنال التعزيز فى المستقبل (1977) .

وبالمثل فقد وافق بندورا على فكرة المقاومة المتناميه ضد الانطفاء التى تنتج عن التعزيز الجزئى أو عن التوقع بأن جهود الفرد سوف تحقق النجاح فى النهاية . واعاد تعريف المعززات الثانوية مثل الموافقه والمدح والنقود بأنها مثيرات محايده قبل ان تكتسب قيمتها التنبؤية ، كما أنها تمكننا من البحث عن الخبرات السارة وتجنب الخبرات غير السارة " فالكائن البشرى لايستجيب ببساطه للمثيرات ، ولكنه يفسرها أولاً . كما أن التهديدات المكتسبه تنشط السلوك الدفاعى بسبب ما تتضمنه من أخبار مستقبليه اكثر من كونها أشياء منفرة أوكريهه (Bandura, 1977) .

لذلك فإنه من الصعوبة بمكان استبعاد السلوك الدفاعى حتى لو لم يبقى أى خطر واقعى ، لأن استجابات التجنب تبعد الفرد عن الاتصال بالواقع ، وتؤكد على الاستعداد

لتجنب الألم ، وهكذا فإن التوقعات المخيفه المترابطه يجب ان تستبعد عن طريق الخبرات القوية ، كما يحدث عند مواجهة مواقف التهديد فى العلاج السلوكى .

خلاصة القول ان اهم ما فى هذا النوع من التعزيز هو عملية التغذية المرتده التى تلى السلوك، فالناس لايتأثرون بما ينتج عن تصرفاتهم من خبرات فقط، ولكنهم ينظمون سلوكهم بناءاً على نتائج الملاحظة كذلك .

٢- التعزيز الذاتى Self- Reinforcement : لايكتفى بندورا بدور التعزيز الذاتى فى سلوك تنظيم الذات كما أوضحنا سابقاً بل أنه يرى أنه أكثر أهمية من التعزيز الخارجى كدافع للسلوك فيقول " يعد سلوك تعزيز الذت اكثر فعالية من التعزيز الخارجى ، فعمليات تعزيز الذات فى نظريات.التعلم تزيد من قوة ومصداقيه مبادئ التعزيز أذا طبقت فى مجال المهن الإنسانية ، وتمكن طريقة التعلم الإجتماعى من تحقيق زياده فعلية فى طاقة الناس وقدرتهم على تنظيم مشاعرهم وافكارهم (1977) . ويرجع ذلك الى أن الناس لاينظمون سلوكهم وانجازاتهم بناءً على معايير خارجية فقط ، ولكن ينظمونها ايضاً بناءً على معاييرهم الذاتية الداخلية . ولذلك فإن سلوكنا مرهون كذلك بقدرتنا على تحقيق هذه المعايير أو ما يسمى بالحكم الذاتى Self- governed ولذلك فنحن قد نكافئ أو نعاقب ذاتنا على مقدار ما حققناه من نجاح ، ولذلك فإنه يرى اننا أقل اعتماداً على التعزيز الخارجى - إلا فى مرحلة الطفوله - وكلما تقدم بنا السن تظهر الحاجة اكثر للاعتماد على التعزيز الداخلى، ونحن بنى البشر نختلف عن الحيوانات التى تحركها التعزيزات الخارجية بشكل أساسى .

٣- التعزيز البديلى Vicarious Reinforcement : يستطيع الناس الاستفاده مباشره من خلال ملاحظاتهم لنجاح أو فشل الآخرين مثلما يستفيدون من خبراتهم الذاتيه . وغالباً ما يميلون الى تكرار الاقتران فى اعمال ومواقف حصل الاخرين منها على مكافأة أو تعزيز ، ونتجنب الافعال التى تم عقابهم عليها فالطفل الذى يلاحظ ان صديقه قد عوقب لمضايقته لمدرسته سيقلع عن هذا العمل إذا كان يمارسه (راجع اثار التعلم بالملاحظة) . وكما تقول فى المثل العربى " العاقل من استفاد من أخطاء غيره والشقى من استفاد غيره من اخطاءه" ويعرف العقاب الذى اقلع الطفل بمقتضاه فى عن مضايقه المدرس فى المثال السابق بالعقاب البديلى Vicarious punichment والذى يلعب مع التعزيز البديلى دوراً هاماً فى تنظيم السلوك . ففى حين يؤدى العقاب الى كف السلوك المعاقب أو

الخاطئ فإن التعزيز البديلي يلعب دوراً فى تكرار السلوك المعزز أو الصحيح، ويتم التعزيز البديلي ذوره فى عملية التعلم بالملاحظه من خلال ستة وظائف هى :

١ - الوظيفه المعلوماتيه informative Function ، فالمتعلم سوف يسترشد فى سلوكه الخاص بما تعرض له النموذج فى بعض انواع السلوك او ما وقع فيه من خطأ .

٢ - الوظيفة الدافعية motivational Function حيث تستثار توقعات الملاحظ بما حصل عليه النموذج من تعزيز (أو عقاب) .

٣ - وظيفة التعلم الانفعالى emotional - Learning Function ، وترجع إلى الاستثاره الانفعالية أو الوصول الى قمة الاستجابة عموماً التى تأخذ مكانها فى مواقف التعلم بالملاحظة .

٤ - وظيفة القابلية للتأثر influenceability Function : تزداد قابلية المتعلم للتأثر بالتعزيز المباشر من خلال ملاحظة استجابة النموذج للتعزيز المماثل، فالتلميذ الذى لاحظ أن زميله سعيد جداً بحصوله على تقدير ممتاز فى مقرر صعب، سيصبح أكثر تأثراً باحتمالية التعزيز هذه فى حالة حصوله على تقدير ممتاز فى نفس المقرر .

٥ - وظيفه تعديل مكانة النموذج modification of model status Function وتعنى ان المكانه الإجتماعية للنموذج سوف ترتفع أو تهبط تبعاً لما يتلقاه من ثواب أو عقاب ، فالمكاسب الرياضيه لاى فريق رياضى سوف ترفع مكانة الفريق، ومن ثم سيدفع ذلك اعضاء الفرق الأخرى لتحقيق مكاسب مماثله .

٦ - الوظيفة القيمية Valuation Function ، وتشير الى المواقف التى يطبق فيها التعزيز على النموذج ، مما يدفع الملاحظ الى اكتساب القيم التى تم التعزيز عليها، وقد يستحث شخص ما على خرق القانون عندما يشاهد نموذج لايعاقب على خرقه للقانون . (Hjelle, L. A. & Ziegler, D.J., 1981) .

ثالثاً - فعالية الذات المدركة Perceived Self-Efficacy

تتأثر سلوكياتنا وتفضيلاتنا بالطريقة التى تدرك بها فعاليتنا المحتملة فى مواجهة ضغوط ومتطلبات البيئة وهو ما أطلق عليه بندورا الفعالية المدركه للذات . فالناس يميلون لأن يأخذوا على عاتقهم أداء المهام التى يستطيعون انجازها بالفعل، بينما يتجنبون الانشطه التى ينظرون اليها على انها تفوق قدراتهم، فالاشخاص الذين يعتقدون ان لديهم

فعالية ذات مرتفعه اكثر إصراراً على مواجهة المعوقات والخبرات المنفره ، فى حين ان الاشخاص الذين يعتقدون ان لديهم فعالية ذات منخفضه يميلون لأن يرو مشاكلهم على انها مخيفه ومفزعه على خلاف ماهى عليه فى الواقع ومن ثم يتراخون ويتجنبون مواجهة هذه المشكلات ، وبدرجة معقوله من الاعداد يمكن التغلب على نقص الثقه ، اضف الى ذلك ان هؤلاء الذين يثقون فى فاعليتهم بدرجة معتدله يتوصلون الى أنه بالعمل الجماعى والتعاون ينجح فى احداث التغيرات المطلوبة فى المجتمع وتعبئة جهودهم ومواردهم لتحقيق ذلك (Bandura, 1981) .

وعلى الرغم من أن نظرية التعلم الإجتماعى تعرف مفهوم الذات الموجب بأنه ميل لدى الفرد للحكم على ذاته بصوره طيبه ، ومفهوم الذات السلبى بأنه ميل الفرد لنقد ذاته والتقليل من شأنها وقيمتها ، إلا ان بندورا يختلف عن روجرز فى أنه يرى أن صورة الذات Self-image وحدها غير كافية لتفسير السلوكيات المختلفة للأفراد فى المواقف المختلفة ، ولقد توصل بندورا الى أن مفهوم الذات لدى الفرد تختلف درجته من مجال لآخر (مثل المجال الدراسى ، الرياضى ، المواقف الاجتماعية ، الجهود الإبتكارية ، ويرى ضرورة دراسة هذه الجوانب بصورة منفصله كل على حدة .

وأريد أن اوضح هنا أن مفهوم فعالية الذات ليس هو بعينه مفهوم الذات الذى حدد روجرز ملامحه لأن البعض يخلط بينهما ، حيث يعرف بندورا فعالية الذات بأنها قدرة الفرد على التخطيط وممارسة السلوك الفعال الذى يحقق النتائج المرغوبه فى موقف ما . والتحكم فى الأحداث والمواقف المؤثرة على حياته وإصدار التوقعات الذاتية الصحيحة عن قدرة الفرد على القيام بمهام وأنشطه معينه والتنبؤ بمدى الجهد ومدى المثابره المطلوبه لتحقيق ذلك العمل أو النشاط . وفعالية الذات تكوين نظرى وضعه بندورا كميكانزم معرفى يسهم فى تغيير السلوك ، وطبقاً لذلك فإن درجة الفعالية تحدد السلوك المتوقع الذى يقوم به الفرد فى مواجهة المشكلات كما تحدد كمية الطاقه المبذولة للتغلب على تلك المشكلات ، وهى بذلك لاتحدد نمط السلوك فحسب ولكنها تحدد أيضاً أى أنماط السلوك اكثر فعالية ، وهى بذلك تختلف عن التكوينات الفرضية الأخرى التى تنبأ بالسلوك فقط مثل مفهوم روتر عن مركز التحكم (Bandura, 1977) . حيث يشير بندورا الى معتقدات الأفراد حول قدرتهم على كبح أو تنظيم تصرفاتهم الهامة فى حياتهم باعتبارها إدراك هؤلاء الافراد لفعالية الذات لديهم . فكل فرد لديه نمط فريد من فعالية الذات المدركة والتى تؤثر وتحدد الانشطه التى يقوم بها أو يتحاشها ، إن سلوك الفرد طبقاً لنظرية

التعلم الاجتماعى لاتحكم فقط قدرة الفرد المدركة على انجاز السلوك بل يحكمه أيضاً الأثر المتوقع من انجاز أو تحقيق هذا السلوك .

ويرى بندورا أن مفهوم فعالية الذات من المفاهيم التى تحتل مركزاً رئيسياً فى تحديد وتفسير القوه الإنسانية . ففعالية الذات المدركة تؤثر فى انماط التفكير والتصرفات والإثارة العاطفية ، فكلما ارتفعت فعالية الذات ارتفع بالتالى الانجاز وانخفضت الإستثارة الانفعالية ، ولقد أشارت العديد من الدراسات الى أن ألية فعالية الذات يمكن ان يكون لها قيمة كبيره فى تفسير تصرفات الأفراد لأنها تساعد فى تفسير الاختلاف بين بعض أنماط سلوك المسايره الذى ينتج عن أسباب مختلفة ، وردود الفعل الفسيولوجية ، والتنظيم الذاتى لسلوك العناد ، والخوف واليأس والتخلى عن خبرات الفشل ، والصراع من أجل الانجاز ونمو الميول الحقيقية . وتهتم فعالية الذات المدركة بأحكام الفرد حول مدى قدرته على إنجاز تصرفات مطلوبه للتعامل مع المواقف المستقبليه ، إن أحكام فعالية الذات Self-efficacy judgments سواء كانت احكام صواب أو خطأ تؤثر فى اختيار الفرد للأنشطه والمواقف البيئية .

ويشير كازدن Kazdin, A.E الى ان ادراك الناس لفعاليتهم يؤثر على الخطط التى يعدونها مسبقاً او يكررونها ، فهؤلاء الذين لديهم إحساس مرتفع بفعالية الذات يرسمون خططاً ناجحة توضح الخطوط الايجابية المؤديه للنجاح ، بينما يميل الآخرون الذين يحكمون على انفسهم بعدم الفعالية الى رسم خطط فاشلة .

وتعتبر فعالية الذات المدركه والتى تشير الى معتقدات الناس حول مقدرتهم على التحكم فى الأحداث التى تؤثر فى حياتهم من أهم الميكانزمات أو القوى الشخصية ، وتعمل كفئه هامة من محددات الدافعية وراء السلوك الإنسانى ، إنها تؤثر فى الحدث من خلال عمليات دافعية معرفية وجدانية وتعتبر بعض هذه العمليات مثل الأثارة العاطفية وأنماط التفكير ذات أهمية خاصة فى حد ذاتها وليس فقط كمؤثرات عارضة فى الأحداث .

وقد أشار سيرفون وبيك Cervone, D. & Peak, P.K. (1986) فى هذا الصدد الى أن معتقدات الناس حول فعالية الذات تحدد مستوى دافعيتهم ، كما تنعكس من خلال المجهودات التى يبذلونها فى اعمالهم والمدة التى يصمدون فيها فى مواجهة العوائق ، كلما زادت ثقه الافراد فى كفاءة أو فعالية الذات ذادت مجهوداتهم وزاد إصرارهم على

تخطى ما يقابلهم من عقبات وعوائق، وعندما يواجه الأفراد الذين لديهم شكوك فى مقدرتهم الذاتية فإنهم يقللون من مجهوداتهم ويحاولون حل هذه المشكلات بطريقة غير ناضحه بينما يبدى ذوى الدرجة المرتفعه من الفعالية مجهوداً عظيماً فى السيطره على مواقف الصراع ، وفى دراستين قام بهما تبتون وورثنجتون & Tipton, R.M. (Worthingt on , El. 1984 للتحقق من صدق مقياسهما عن الفعالية العامة للذات كانت الأولى تهدف الى دراسة العلاقة بين الفعالية العامة للذات ودرجة المثابره . حيث توقعا أن الطلاب ذوى الفعالية المرتفعة ستكون درجة مثابرتهم اكبر من الطلاب ذوى الفعالية المنخفضه وطُبق الاختيار على ٢٤ طالباً وبعد مده تتراوح بين ٤-٦ أسابيع طلب من كل واحد منهم أن يتناول كتاباً من على أحد الأرفف وهو معصوب العينين على أن يستخدم يده غير المسيطرة (اليسرى لمن يستخدم اليمنى أصلا والعكس) وان يبذل أقصى مجهود ممكن للوصول للكتاب فوجد ان متوسط زمن المثابرة للمجموعة ذات المستوى المرتفع من الفعالية اطول من زمن المثابرة للمجموعة منخفضه الفعالية (٨ر١٨٩ ثانيه مقابل ٧ر١٤٠ ث) والفروق دالة إحصائياً اما الدراسة الثانية فكانت تهدف الى دراسة العلاقة بين فعالية الذات والقدرة على تغيير بعض العادات كالتدخين وتمت على ٤٣ طالباً حيث طبق عليهم المقياس وبعد أربعة أسابيع طُلب منهم ان يقوموا بتصميم وتنفيذ طريقة سلوكيه لضبط الذات وتعديل بعض مظاهر الاضطرابات السلوكية لديهم مثل خفض معدل التدخين، فقد الوزن ، زيادة سرعة الاداء، تقليل كمية الكحول لمن يتناوله واستغرقت الفترة اربعة أسابيع أخرى وبتقسيم العينة الى مرتفعى ومنخفضى فعالية الذات وتطبيق مقياس تحقيق الأهداف وجد فروقا ذات دلالة إحصائيه لصالح مرتفعى الفعالية . كما وجد المؤلف فى دراسة له وجود فروق ذات دلاله إحصائية بين المدخنين وغير المدخنين فى فعاليـة الذات لصالح غيـر المدخنين وان فعاليـة الـذات ترتبط سلبيـاً بكل من كثافة التدخين وسن الانخراط فيه وأن مرتفعى الفعالية ينخرطون متأخراً فيه ويمتنعون عدد أكبر من المرات فى محاولة للإقلاع نهائيا وتكون فترات الإقلاع لديهم أطول من منخفضى الفاعلية (محمد السيد عبدالرحمن، ١٩٩٠).

كما وجد للمؤلف مع سامى هاشم (١٩٩١) وجود فروق داله إحصائيا بين الجانحين والأسوياء فى فعالية الذات المدركه لكبح العدوان والمسايره الاجتماعية والفروق فى صالح الأسوياء وكذلك فروق بين المشردين ومرتكبى جريمة السرقه من الأحداث فى فعالية الذات المدركة للعدوان وكبح العدوان والاقناع اللفظى والمسايره

الإجتماعية الفروق فى صالح المشردين كما وجدت عواطف حسين (١٩٩٣) علاقة ارتباطيه سالبة بين فعالية الذات وكل من الضغوط الصحية والانفعالية وضغوط العمل والزواج .

وقد ترجع مثل هذه النتائج الى تأثير فعالية الذات فى أنماط التفكير بحيث يمكن ان تكون معينات ذاتية Self- aiding او معوقات ذاتية Self-hindering وتأخذ هذه التأثيرات المعرفية اشكالاً متعددة فكثيراً من السلوك الإنسانى ينظم من خلال الأهداف التى يتم تجسيدها مسبقاً بطريقة معرفية ، وتتأثر مواقف الأهداف الذاتية بالتقويم الذاتى للقدرات ، فكلما زادت فعالية الذات المدركه لدى الفرد ارتفعت الاهداف التى يضعها الفرد لنفسه وزاد اصراره على تحقيق تلك الأهداف . (Bandura, 1989)

ويشير بندورا وود (1989) Bandura & wood, R.E إلى أن إحدى الوظائف الرئيسية للتفكير هى مساعدة الأفراد على التنبؤ بوقوع الأحداث وابتكار طرق السيطرة عليها ، إن الكثير من الأنشطة تتضمن أحكاماً استدلاليه حول العلاقات الشرطية بين الأحداث فى البيئه الاجتماعية ، إن حسن التمييز بين القواعد متعددة الأبعاد التى تحتوى على كثير من الغموض وعدم التحديد يتطلب إحساساً قوياً بفعالية الذات ليظل الفرد موجهاً نحو الهدف فى مواجهة فشل الأحكام التى يصدرها . إن الناس الذين يثقون بقوة فى قدرتهم على حل المشكلات يكونوا على كفاءة عاليه فى تفكيرهم التحليلى فى المواقف المعقده لصناعة القرارات بينما يكون على النقيض من ذلك هؤلاء الذين يعانون من شكوك ذاتيه فى فعاليتهم، ويشير كازدن (١٩٧٩) إلى ان فعالية الذات المدركه والصورة المعرفية الزائفه يؤثر كل منها على الآخر بطريقة غير مباشرة فالإحساس المرتفع بفعالية الذات ينشئ بناءات معرفية ذات اثر فعال وتكرارات معرفيه ذات أثر فعال فى تقوية الإدراك الذاتى للفعالية . وتؤثر على فعالية الذات لدى الأفراد أربعة مصادر رئيسية للمعلومات يمكن ان يتناولها المعالج النفسى لتغيير فعالية المريض الذاتية هى :

١ - إنجازات الأداء التى تكون معلومات التوقع فيها مبنيه على أداء المريض الفعلى .

٢ - التجارب البديله أو التعلم بالملاحظه التى تكون معلومات التوقع فيها مبنيه على التجربه المباشره للأداء .

٣ - الإقناع الكلامى الذى يعطى معلومات التوقع فيه الى المريض وتكون مبنيه على خبرة المعالج .

٤- الإثاره الانفعالية التى تكون معلومات التوقع فيها مبنية على إدراك المريض لحالته الانفعالية . . (چورج غازدا وآخرون ١٩٨٦) .

نمو الشخصية :

لم يقدم بندورا شأنه فى ذلك شأن كاتل تصوراً توضيحياً لمراحل النمو ولكنه قدم ما يعد اضافة جيدة حول واحداً من أهم العوامل المؤثرة فى النمو وخاصة النمو العقلى والمعرفى والاجتماعى والحركى وغيرها ألا وهو تصوره عن التعلم بالملاحظة أو النمذجة

التعلم بالملاحظه (النمذجه) Observational Learming (Modeling):

على النقيض من سكنر ، يرى بندورا أن السلوك ليس فى حاجة الى تعزيز ولايلزم ممارسته لكى يحدث تعلمه ، فأسلوب النمذجة (أو التعلم الاجتماعى) ليس مجرد إجراءً علاجياً ، فأغلب ما يتعلمه الإنسان يتم بالملاحظة ، حتى لدى الأطفال ، حيث تؤدى الملاحظه الدقيقه لسلوك الاخرين وما يترتب على هذا السلوك لهم الى تعلم مثل هذا السلوك . فالسائق لايتعلم قيادة السيارة ، ولايتعلم جراح المخ ذلك من خلال ممارسةسلوكيات عشوائية مختلفة ، ويتم تعزيز السلوكيات الخاطئه منها سلبياً ، ولكن يتم ذلك من خلال ملاحظة اداء الآخرين وهم يؤدون بنجاح ما يجب ان يتعلمه من مهام ، وبالمثل اذا واجه الحمام والفئران فى تجارب التعلم الإجرائى أخطاراً حقيقية مثل الغرق أو الصعق الكهربائى اثناء التجربه فإن الأثار المحدوده لهذا النوع من التعلم سوف تتبين وتتضح ، " يعد التعلم بالملاحظة أمراً حيوياً لكل من النمو والبقاء لأن الأخطاء ربما تكون عواقبها وخيمة ومهلكة ومكلفة فى نفس الوقت ، وهنا تقل بالطبع فرص البقاء والحياة إذا لم يستطيع الفرد الاستفادة من نتائج المحاولة والخطأ " .

أثار التعلم بالملاحظة :

كشفت الدراسات المختلفه التى قام بها بندورا وغيره من المهتمين بمجال التعلم بالملاحظة عن وجود ثلاث أثار فعلية لعملية التعلم بالملاحظة هى :

١- تعلم استجابات جديدة :

يستطيع الملاحظ تعلم أنماط سلوكية جديدةإذا لاحظ أداء الآخرين ، وخاصة إذا

اقترن اداءه للسلوك الجديد بأى نوع من التعزيز سواء التعزيز الذاتى أو التعزيز الخارجى ، فالطفل الذى يلاحظ والدته تقف على كرسى لتناول شيئا ما من على رف مرتفع يتعلم استخدام المقعد فى إطالة قامته والوصول الى الأشياء التى تقع بعيداً عن متناول يده ، ولاتقتصر عملية التعلم هنا على المشاهده الفعلية وذلك نظراً لقدرة الإنسان على الاستفاده من التواصل اللفظى فإنه يمكن تقليد سلوك الآخرين دون ملاحظة انسان آخر يؤدى سلوكاً فعلياً فهناك بعض الأنشطة وخاصة السهلة منها يمكن اكتسابها من خلال الوصف اللفظى مثل وصف طريق لشخص لم يسبق له السير فيه .

٢- الكف والتحرير :

قد تؤدى عملية الملاحظة لسلوك الآخرين الى كف بعض الاستجابات وبخاصة إذا واجه النموذج أثاراً سلبية على سلوكه ، فالأب الذى يعاقب أحد أولاده على إثارة الفوضى أو اهماله لدروسه على مرأى من اخوته انما ينقل أثر العقاب الى الاخرين ومن ثم يكفون عن ممارسة مثل هذا السلوك لو كان لديهم الرغبه فى ممارسته ، ويعرف هذا النوع من العقاب بالعقاب البديلى Vicarious Runishment فى حين تؤدى مكافأة النموذج الى إمكانية تكرار السلوك فيما بعد فى المواقف المماثله ويعرف هذا التعزيز بالتعزيز البديلى كما ذكر من قبل ، ففى إحدى التجارب تعلم المفحوصين الخوف من طنين جهاز يشبه الجرس الكهربى من خلال ملاحظة نموذج تعرض لصدمات كهربية مؤلمة بعد سماع نفس الصوت، وفى دراسات أخرى أصبح الأطفال عدوانيين (أو مُؤدب لذاته -Self punitive) بعد مشاهدتهم نموذجا عدوانى (أو ناقداً لذاته) كما تزداد إمكانية ارتكاب سلوكيات محرمة أو اجرامية عندما يرى الفرد أناس أخرين يقومون بمثل هذه السلوكيات دون التعرض لأى عقاب ، وما أسهل التعرف على مضمون الفيلم السينمائى باحدى دور العرض السينمائية بعد المراقبه القصيره للمراهقين الذين خرجوا للتو من دور العرض . ويكتسب السلوك المقبول اجتماعياً بمشاهدة نماذج تمارسه ويقول المثل المأثور فى ذلك " عندما تكون فى روما إفعل كما يفعل الرومان" وهكذا يتفق رأى بندورا مع كل من أريك فروم وروجرز على ان سلوكيات الهدم والتدمير التى يقوم بها بنو البشر تعزو الى التعلم ، وخاصة التعلم بالملاحظه وليس الى غريزة فطرية كما يعتقد فرويد.

ويرى بندورا ان التعلم بالملاحظة يتم أولاً من خلال معارفنا ومعلوماتنا حيث نتخيل انفسنا فى نفس الموقف وأننا نتعرض لنفس العواقب، وهو يرى كذلك ان هذا النوع من التعلم يؤدى الى الإبداع والابتكار ، حيث يقوم المتعلم بدمج جوانب متعدده لنماذج مختلفه وصياغتها فى أشكال سلوكية جديده ومبتكرة ، واكد ان التعلم بالملاحظة يمكن ان يؤثر على طبيعة التعزيز كما يحدث عندما يؤدى قدر بسيط من المدح أو المال الى تغيير طفيف فى السلوك لأن المتعلم قد رأى الأشخاص الآخرين وقد حصلوا على المزيد من المدح أو المال عند قيامهم بنفس السلوك .

٣- التسهيل :

حيث تؤدى عملية ملاحظة سلوك النموذج الى تسهيل ظهور استجابات تقع فى حصيله الملاحظ السلوكية وتعلمها سلفا - أى أنها ليست جديده عليه بالمره - ولكنه لايستخدمها، اى ان سلوك النموذج قد ساعد المتعلم على تذكر الاستجابات المشابهه ومن ثم تصبح احتمالية استخدامها أكثر. فقد أظهر الأطفال فى تجربه بندورا وروس انماط سلوكية عدوانيه لم تظهر فى سلوك النموذج وألفاظ لم تصدر عنه .

وربما يكون من المهم توضح أوجه الاختلاف بين تحرير وتسهيل السلوك ، فتحرير السلوك يتناول الاستجابات التى تم كفها أو الإقلاع عنها لان البيئة الاجتماعية كالكبار والمدرسين يأخذون منها موقفاً سلبياً وقد يعاقب الطفل أو المراهق عليها ، فيعمل الى تحريرها بسبب ملاحظه نموذج يؤدى مثل هذه الاستجابات دون ان يصيبه سوء، فى حين ان التسهيل يتناول الاستجابة المتعلمه غير المكفوفه التى يقل استخدامها غالبا فيصيبها النسيان ، فيعمل على زيادة تواترها بسبب ملاحظة نموذج يؤديها . وظهور التعلم بالملاحظه بدون تدعيم للنموذج أو المشاهد أمر غير محتمل الحدوث، فالتغير فى السلوك لايحدث اذا فشل المتعلم فى انجاز الانشطه المطلوبة ربما لانها مملة او مؤلمه ولاتتيح الفرصه لتذكر المعلومات سواء بصور مرئيه او علاقات لفظيه مناسبة ومن ثم لايستطيع الفرد القيام بالاستجابة ، فالتعـزيز يزيد احتمالية التذكر ، ويزيد من جذب الانتباه .

العوامل المؤثرة فى التعلم بالملاحظة :

تعتمد عملية التعلم بالملاحظه على اربعة مكونات مرتبطه أو اربعة عمليات هى : الانتباه، الاحتفاظ ، إعادة (استرجاع) السلوك ، الدافعية : ويلاحظ كذلك انها عملية تركيبية منظمة ومنضبطة وليست مجرد عملية ميكانيكية او عملية نسخ للسلوك وتقليد أعمى كتقليد القرده ويمكن تقديم وصف مختصر لهذه العمليات الاربعة على النحو الآتى :

١- عمليات الانتباه (إدراك النموذج)

:Attentional Processes :(perceiving the model)

لاحظ بندور أن اى الشخص لايستطيع ان يتعلم بفاعلية اكبر ما لم ينتبه ويستقبل بدقه ما يصدر عن النموذج من انماط سلوكيه بما فى ذلك تلميحاته وإيماءاته أو بمعنى آخر انه لايكفى الفرد ان يرى النموذج وما يفعله ، بل ان عليه ان ينتبه للنموذج ويتابعه بمنتهى الدقه لاستدخال المعلومات المراد تعلمها من قبل الملاحظ ، وتسهم عملية الانتباه هذه فى اختيار ما يجب استدخاله من انماط سلوكيه وما ينبغى اكتسابه وتعلمه ومايجب تجاهله وإهماله . وتتأثر عملية الانتباه الى النموذج بثلاثة انواع من العوامل : -

أ- خصائص الملاحظ : مثل السن والذكاء والمستوى التعليمى واحلامه ورغباته الشخصية ومدى جاذبية النموذج له واتفاقه معه فى الطبقه الاجتماعية أو الدين والعقيده أو الجنس وغير ذلك ، بالإضافة الى الحاله الصحية والبدنيه للملاحظ وعدم افتقاده لحاجاته الاساسيه كالطعام والشراب والراحه .

ب - خصائص النموذج : كالجاذبية الاجتماعية للنموذج ومكانته بالنسبه للملاحظ ، ودرجة التماثل بين النموذج والملاحظ (فقد وجد روزنكرانس Rosenkrans 1967 ما يؤكد اننا نميل لان نكون اكثر تأثراً بالنماذج التى تشابهنا فى الأهداف ونمط الحياة عن النماذج التى تختلف عنا . كما وجدت دراسات أخرى ان النماذج التى تظهر درجة عالية من الكفاءه والنجومية توجد لدينا درجة اعلى من الانتباه .

جـ - خصائص متعلقه بالإجراءات : تتأثر عملية الانتباه بما يتعرض له النموذج من ثواب أو عقاب ، وعلى عدد النماذج المقدمه، كما تفيد النماذج الحيه غالباً عن النماذج

الضمنية فى حين أن النمذجة بالمشاركة قد تكون اكثر فعالية . كما يسهم المناخ الذى تتم فيه عملية التعلم بشكل واضح فدرجة حرارة الغرفه والاضاءة والهدوء أو الضجيج وترتيب المكان (أى الظروف الطبيعية المصاحبه للموقف التعليمى) .

٢- عمليات الحفظ :

يقوم الملاحظ بحفظ السلوكيات المتعلمه من قبل النموذج وتخزينها فى الذاكره طويلة المدى فى صور مرمزه او مشفره coded فى شكل صور سمعيه أو بصرية ، كما تساعد عمليات الاقتران بين الجوانب البصرية والسمعية وتكرار سلوك النموذج فى القدرة على الاحتفاظ بالمادة المتعلمه وتذكرها . وبدون القدره على استدعاء تصرفات النموذج ، فلن يحدث اى تغير فى سلوك النموذج . وقد افترض بندورا وجود نظامين أساسيين للتمثيل الداخلى يتم من خلالهما حفظ واسترجاع سلوك النموذج وهما :-

أ- التخيل imagery : عندما يلاحظ الشخص المثيرات التى يجب ملاحظتها ينتج نوع من الاشراط الحاسى بين ما يصدر عن النموذج من سلوك والرموز التى تتم فى ضؤها عملية التخيل مما يسهل استرجاعها عند الضرورة . كما ان هذه التخيلات العقلية تعد مرجعا لما يتم ملاحظته لاحقاً كالاحداث والصور المختلفه للمثيرات الطبيعية ، ويرى بندورا ان هذه العملية تعد ظاهرة يومية تزيد قدرة الفرد على تخيل احداث ماضية مثل تذكره لغداءه فى نفس يوم الأحد من الأسبوع الماضى أو مبارة للتنس او الجولف اشترك فيها فى الصيف الماضى ، كما يرى ان التخيل البصرى يلعب دوراً مركزياً فى التعلم بالملاحظة خلال المراحل الأولى للنمو حينما تكون المهارات اللغويه مفتقده او ضعيفه بعد ، وكذلك فى تعلم الانماط السلوكية التى لاتحتاج الى اقترانها برموز لغوية .

ب - الترميز اللفظى Verbal coding للأحداث التى تم ملاحظتها سابقاً : حيث يقوم الملاحظ بالترميز اللفظى لما يقوم به النموذج من تصرفات بحيث يستطيع ترديد هذه الرموز فيما بعد عندما يسعى لاجترارها عقلياً . دون أن يحولها الى سلوك ظاهر ، وكمثال على ذلك فقد يتحدث الشخص الى ذاته Talk Through عن الخطوات المتضمنه فى مهارة حركية معقدة مثل الانزلاق على الجليد . وتسهم عملية الترميز اللفظى فى تسهيل عملية التعلم الى أقصى درجة لانها تحمل معلومات لها أهميتها فى صورة سهلة التخزين ومن ثم سهلة الاسترجاع .

٣- عمليات الاسترجاع أو التوليد الحركى Motor Reproduction Processes أو تحويل ما حُفظ فى الذاكرة الى سلوك .

فى هذه الخطوة يتم ترجمة الصيغ التى تم ترميزها فى الذاكرة الى تصرف ملائم. وعلى الرغم من ان الملاحظ قد يكون قد سبق له ترديد ما تم تعلمه بشكل رمزى من سلوك النموذج مرات عديده إلا أنه قد يبقى عاجزاً عن ممارسة السلوك المرغوب بشكل صحيح تماماً . وقد يكون ذلك صحيحاً وخاصة فى حالة تعلم مهارات حركية مرتفعة المستوى تتطلب ترابطاً بين العديد من الاستجابات الفردية بمهارة . مثل قيادة السيارات، والانزلاق على الجليد ، والسباحة ، وقد يساعد على تعلم هذه المهارات بجانب تعلمها بالتقليد ، تسجيل المهارة على شرائط فيديو وعرضها عرضاً بطئياً ، أو من خلال دفع الملاحظ لاسترجاع الصيغ الرمزية عدة مرات قبل الأتيان بالسلوك المرغوب. ورغم ذلك لايتوقع ان يكون السلوك المستخرج صحيح تماماً من المرة الأولى. ولكى يتحسن السلوك يصبح من الضرورى ممارسته بشكل متكرر مصحوبا بنوع من التصحيح الذاتى المبنى على التغذية المرتده بالمعلومات المناسبة. وبالطبع فان ملاحظة واسترجاع سلوك ما ربما تسهل عملية تعلم اى سلوك أخر مرتبط بهذا السلوك او مبنى عليه .

٤- عمليات الدافعيةMotivational Processes : أو من الملاحظه إلى الاداء:

المكون الرابع والأخير المتضمن فى عملية النمذجة يتركز على عوامل التعزيز حيث تؤثر هذه العوامل فى التعلم بالملاحظه من خلال إثارة ضوابط مختارة أو محددة لأنماط النمذجة التى يرغب الملاحظ فى اللحاق بها ، كما تؤثر فى الدرجة التى يحاول بها الشخص ترجمه هذا التعلم الى انجاز ظاهر .

لقد كان بندورا حريص على التأكيد على ما يتعلق بالتحاق الناس وتذكرهم للسلوك المنمذج Modeled behavior ، وقدراتهم على إحراز هذا السلوك أو إنجازه. أو بعبارة أخرى يستطيع الشخص أن يكتسب، ويتذكر، وينجز مالديه من قابلية لتحسين مهاراته المرتبطه بالسلوك المنمذج ولكن التعلم ربما لايتحقق إلا نادراً فى شكل إنجاز ظاهر إذا كان الجزاء سلبياً أو اذا كانْ غير مفضل فالمرأة التى تعتقد انها ملكه مطبخها ربما تستبعد زوجها من اشتراك فى اعمال المطبخ لدرجة أنها قد تتحدث مع الجيران وهى تجهز طعام العشاء . وظلت تعتمد على مهاراتها فى الطهى حتى بعد أن أصبحت مريضه ،

يستحثها لهذا الدافع معدتها الخالية وأنين اطفالها ، فربما تستبعد هذا السلوك وتشرك زوجها فى أعداد العشاء مستقبلاً فى كل عشاء . إن سلوك الانتباه والتذكر لن يزداد بلا شك فى المستقبل كما ان ترميزها العقلى سيساعدها على إعداد أى طعام .

وباختصار : اذا كان الجزاء ايجابياً فإن النمذجه أو التعلم بالملاحظة سوف يتحول الى سلوك أو تصرف، ولايعنى ذلك أن التعزيز الايجابى فقط هو الذى سيحول التعلم الى تعبير ظاهر اوانجاز فعلى، انه يتأثر بكل من عمليتى الانتباه والتذكر لدى الشخص، وفى حياتنا اليومية نادراً مانعير انتباهنا لبعض الأشياء أو لشخص ما إذا لم يكن هناك دافع لذلك، وعندما نعير ذلك بعض الاهتمام نجد اننا لانستطيع تذكر الكثير، وربما نختلف عن أصدقاءنا الى حد ما .

ومن الطرق المساعده كذلك على التحاق الفرد أو تذكره أو ممارسته للسلوك المتعلم هى توقع التدعيم أو العقاب على سلوكه ، إن توقع الملاحظ لسلوك الآخرين على انه سيجلب لهم نوعاً من التعزيز الايجابى قد يدفعهم للانتباه وممارسة السلوك المتعلم توقعاًالحصول على التعزيز ، وهكذا فإن الطفل الذى ينظف اسنانه بالفرشاه أو يرتب فراشه ويكنس حجرته ربما يفعل ذلك تحت دافع توقع الابتسامه أو الكلمه المُرضيه من الوالدين على تصرفه هذا . ، وهكذا فإن توقع التدعيم قد يلعب دور التدعيم الفعلى فى المبادأة بالسلوك المرغوب .

عمليات الانتباه ←	عمليات الاحتفاظ ←	عمليات الاعادة الحركية ←	عمليات الدافعية
حيث ينتبه الشخص بدقه ويستقبل السلوك الصادر عن النموذج	حيث يتذكر الشخص ما احتفظ به فى ذاكرته طويلة المدى ما سبق ملاحظته من سلوك للنموذج .	حيث يترجم الشخص الذكريات التى تم ترميزها عن سلوك النموذج الى انماط استجابيه جديده	فى حالة وجود تعزيز موجب (سواء كان خارجى أو بديلى أو ذاتى) تزداد قابليه الملاحظ لتقليد السلوك الصادر عن النموذج

عن هيجل وزيجلر Hjelle, L.A. & Ziegler, D.J., 1981

أنواع النماذج :

تتنوع النماذج ويمكن تقديمها بأكثر من طريقة :

أ - النماذج الحية Live model: أكثر أنواع النماذج شيوعاً فى مجال التطبيق، فالمدرس الذى يرغب فى تعليم تلاميذه سلوكا معيناً قد يستخدم الرفاق كنموذج حى ذو فعالية جيدة وخاصة فى المدارس الثانوية حيث يكون القبول الإجتماعى (المرغوبية الاجتماعية) فى غاية الأهمية ، كما يوجد مدخل آخر هو استخدام الفرد من ذاته كنموذج Self as model فى هذه الطريقه على الشخص أن ينظر لنفسه أو لسلوكه بطريقه مناسبة، وتفيد هذه الطريقه فى زيادة انتباه الشخص لنفسه ولتصرفاته فى برامج تغيير السلوك . حيث يختار السلوك البديل، ويحدد مستوى السلوك المطلوب وفى هذه الحالة يمكن ان نقول أن هناك خطوتين فى تطبيق استخدام الذات كنموذج تعرف الخطوة الأولى بالنموذج الاجتماعى Social model فعندما يشارك الشخص الخجول فى مناقشات اجتماعية من وقت لاخر سيتحسن (يقل) مستوى خجله، والشخص المتلعثم فى حديثه عندما يتحدث طبيعياً مرة بعد مرة سيقل تلعثمه . ويتم ذلك أفضل كلما لاحظ الشخص السلوك المطلوب بعناية وحاول تقليده بنفس الطريقه سواء كان ذلك مع صديقه أو مدرسة وأخيراً فى مواقف الحياة الفعلية. الخطوة الاخيرة فى أسلوب الذات كنموذج تتمثل فى اشتراك الطفل فى تحديد وتوجيه ذاته نحو السلوك المفضل، وعلى الفرد أن يتذكر على الاقل مناسبة واحدة ادى فيها جيداً، فمواقف السلوك التى نؤدى فيها جيداً تفيد كنموذج فى السلوكيات المقبله، وقد تفيد كتعزيز ذاتى يشجع الفرد على النجاح فى هذه الحالة، فإذا لم يستطيع الطفل تذكر مثل هذا الموقف، فربما يكون المعلم قادراً على تحديد موقف سابق أدى فيه الطفل بفاعليه فى حل المشكله وتوضيح الخطوات التى اتبعها ليستفيد من ذلك فى المحاولات المقبله .

إن استخدام النماذج الحية كما سبق لها بعض المميزات وبعض العيوب فمن الجوانب الايجابية لها انها قد تزيد الدافعية، وتسهل عملية تعلم السلوك المرغوب ، وقد استخدمت النماذج الحيه فى تعليم الجانحين كيف يتصرفون اثناء مقابلات العمل Job Interview ، وكيف يتصرفون اثناء تحقيق رجال الشرطه معهم، وكيف يقاومون التأثير غير المرغوب للرفاق عليهم والذى يقود الى سلوكيات غير مرغوبة فى الفصل، كما استخدم بفاعلية فى تعليم الاطفال الفصاميين Schizophrenic children كيف يلعبون

ويتفاعلون لفظياً وهو ما أدى الى اختزال سلوكهم الانسحابى وقلل من ميلهم للعزلة الإجتماعية، ومن ناحية أخرى فقد يكون لاستخدام النماذج الحيه بعض السلبيات منها انه قد يصعب احياناً التحكم فى سلوك النموذج، فقد لايسلك النموذج بالطريقة التى نريدها تماماً ، فالمدرسين مثلاً لايتصرفون على الدوام بطرق ثابته مع طلابهم ، كما أن مجموعات الرفاق لايسلكون دائما نفس السلوكيات التى نرغبها ، ولذلك فقد يكون فى استخدام النماذج غير الحية (الرمزية) مثل أشرطه الفيديو ، وأفلام السينما ، وشرائط الكاسيت والقصص أو الراويات المكتوبه بعض الأهمية جنباً الى جنب مع النماذج الحية . (محمد محروس الشناوى ، محمد السيد عبد الرحمن : ١٩٩٧).

ب - النمذجة الضمنية : فى كثير من الأحيان قد يصبح من الصعب إعداد نماذج حية أو محسوسة بشكل مباشر لعرضها على المسترشدين أو المرضى فى مكاتب الإرشاد أو العيادات النفسية، ولهذا فقد اقترح كوتيلا (١٩٧١) Cautela استخدام النماذج الضمنية. ويعتمد هذا الأسلوب على أن يتخيل المسترشد نماذج تقوم بالسلوكيات التى يرغب المرشد أن يقوم المسترشد بها . ولأن النمذجة كما أشرنا من قبل تركز أساسا على عرض معلومات نود أن نوصلها للمسترشد، فان دفع المسترشد إلى تصور تتابع أو سلسلة من الأحداث يمكن أن يؤدى نفس الآثار التى تؤديها النمذجة الصريحة . ويؤيد هذا الرأى ويلسون وأولارى (١٩٨٠) Wilson & Olary اللذان يريان أن استخدام النماذج الضمنية يعطى نتائج مساوية للنتائج التى تنتج من استخدام النماذج الحية (الصريحة) .

وقد استخدم كازدين (١٩٧٤) Kazdin أسلوب النمذجة الضمنية فى خفض الخوف لدى طلاب الجامعة ، كما استخدم نفس الباحث هذا الأسلوب فى تدريب الطلاب على السلوك التوكيدى، وذلك بأن طلب منهم أن يتخيلوا نموذجا مشابها لهم يقوم بالسلوك التوكيدى، كما أوضحت الدراسات التى قام بها كوتيلا وفلانادى وهانلى (١٩٧٤) Cautcla & Flanncry & Hanley عدم وجود فروق بين نتائج استخدام أسلوب النمذجة الصريحة وأسلوب النمذجة الضمنية .

جـ - النمذجة بالمشاركة : تشتمل عملية النمذجة بالمشاركة على عملية نشطة مصحوبة بتوجيهات للمسترشد الى جانب النمذجة المباشرة للسلوكيات موضوع العلاج. ويرى باندورا (١٩٧٧) أن هذه الطريقة فى العلاج ذات فاعلية أكبر من مجرد أن نجعل المسترشد يراقب النموذج وهو يؤدى السلوكيات المطلوبه ، وبذلك فإن النمذجة

بالمشاركة تشتمل على عرض للسلوك بواسطة نموذج Model وكذلك أداء هذا السلوك من جانب المسترشد مع توجيهات تقويمية من جانب المرشد موجهة للمسترشد . وبذلك يكون هذا الأسلوب أكثر فاعلية من استخدام النمذجة (بدون مشاركة) وحدها . وعلى سبيل المثال فإن استخدام هذا الأسلوب لتعليم المسترشد كيفية التغلب على المخاوف، وفى وجود المرشد وما يعطيه من توجيهات يحدث أثراً مريحا للمسترشد وهو يتغلب على مخاوفه. والمرشد الواعى يستطيع أن يساعد المسترشد ، أثناء هذا الموقف ، على عقد مقارنة لما أحرزه من تقدم . (محمد محروس الشناوى ١٩٩٦).

تصادف الفرص : Chance Encounters

لاحظ بندورا (١٩٨٢) أن مسار الشخص فى حياته ربما يتأثر بالمقابلات العرضية مع أشخاص غير معروفين له سلفاً . فعلى سبيل المثال كان بول واتكنز Paul watkins طالباً ممتازا ودارسا نموذجياً حتى قرر ان يزور أحد معارفه أو اقاربه، ولكن هذا القريب كان قد انتقل الى مكان آخر لايعرفه بول، وتعرف بول على الأسرة التى سكنت محل قريبه هذا وهى عائله مانسون Manson family التى دفعت بول لممارسة انشطة غير مشروعة، ومثال آخر فهذه هى الممثله الشابه التى بدأت تتلقى بالبريد دعوات لاجتماعات الحزب الديمقراطى والتى كانت مرسله الى سيدة أخرى لها نفس الأسم وعندما سعت للحصول على المساعدة كان من الضرورى ان تلتقى برئيس نقابة الممثلين ليساعدها فى حل المشكلة ولم يمضى وقت طويل حتى تزوجت هذه الممثله نانسى ديفز من رونالد ريجان الذى أصبح فيما بعد رئيساً لأمريكا . ولكل إنسان فى حياته فرصاً تصادفه وربما تؤثر الى درجة غير متوقعه على مسار حياته وفى أهم مجالاتها كالمهنه والزواج أو حتى بقاءه وموته، ولايستطيع علم النفس ان يتنبأ بهذه الفرص ولكن يمكنه ان يقيم الأثر المحتمل لهذه الأحداث ، فالأشخاص الذين يتمتعون بفاعلية ذات مرتفعه سيثبتون أنهم قادرين على مواجهة المكايد الاجتماعيه التى تحاك لهم والتى تقلل من شأنهم ، فليس جميع الناس ريشه فى مهب الريح (Ewin, R. B. 1984) .

تطبيقات نظرية بندورا :

أولاً– علم النفس المرضى :

ينسب بندورا حدوث الاضطراب النفسى الى اختلال فى عملية التعلم disfunctional learning ، والتعميمات والتوقعات الخاطئه عن ذلك ، فربما يعمم

رجلاً ما يطريق الخطأ من تجربة واحدة غير سارة أو تجربتين ان كل النساء الشقراوات هم نساء يستغلون جمالهن لانتزاع الأموال والهدايا من الرجال Gold-diggers وينمى نحوهن سلوكاً عدائياً أو يشعر بخوف مرضى منهن كرد فعل على ذلك، وقد تؤدى بعض المواقف المخيبه للأمال الى جعل إمرأه ما تعطى تعميماً خاطئاً مفاده أن كل الرجال الذين يرتدون ربطه عنق فراشية الشكل Bow ties (كتلك التى يرتديها موظفى الفنادق والجرسونات) كذابين وغشاشين (وطبقاً لمبدأ الحتمية التبادلية فإن السلوكيات الدفاعية الناتجة ربما تثير ردود افعال سلبية من السيدات الشقراوات والرجال ذوى ربطه العنق الفراشيه عندما يقابلهم الفرد الذى لديه اعتقاداً خاطئاً) . وربما ترجع المخاوف المرضية الى تعميمات غير صحيحة مثل خوف البرت الصغير من الأرانب ، وقد يكافئ الطفل على سلوك مرضى كما يحدث عندما يوجه المدرس اهتمامه للتلاميذ المنطويين فقط عندما يعزلون أنفسهم عن زملاءهم فى الفصل . وربما يعلم الوالدان اطفالهما عن غير قصد ان يكونوا مزعجين أو مضايقين للغير عندما يستجيبون فقط لالحاحهم على ما يطلبونه ، كما ذكر سكنر سلفاً . وربما يكون أكثر هذه المشاكل ألماً هو المبالغه فى تحديد معايير ذاتيه صارمة يحددها الفرد لنفسه والمحاولات الناتجه لتجنب الشعور بالذنب أو العقاب الخارجى من خلال المبالغة فى لوم وإنتقاد الذات " فلاتوجد عقوبة اكثر تدميراً من احتقار الذات " .

ثانيا : العلاج النفسى :

أ- تطبيقات النمذجه فى مجال التحكم الذاتى أو ضبط الذات : Self- control

توجد العديد من الأنواع لضبط الذات ، ولكننا سوف نهتم هنا بنوع واحد فقط هو اسلوب تأجيل الإشباع أو الإرضاء deley of gratification ويمكن تعريفه بأنه أسلوب يفرض المرء على نفسه فيه تأجيل التعزيزات الصغيرة العاجلة فى سبيل أخرى كبيره آجله مثال ذلك توفير الطفل لنقوده وعدم شراء الحلوى آملاً فى شراء دراجه متعددة السرعات ، وطالب الجامعة الذى يقرر ألا يترك الدراسة فى سبيل عمل يلتحق به اليوم ويتحمل ما يتعرض له من ضغوط اقتصاديه أملاً فى الحصول على شهادته الجامعية والحصول على عمل افضل مستقبلاً ، ويمكن القول أن القدرة على تأجيل بعض التعزيزات الصغيرة العاجلة فى سبيل الحصول على أخرى أكبر لاحقه تعد أحد عوامل السعادة فى المجتمعات ذات التوجه الإنجازى كالمجتمعات الرأسمالية المعاصرة .

لقد كان الدور المؤثر لعوامل النمذجة فى تطور القدرة على تأجيل الأشباع أو الارضاء محل العديد من الدراسات ، حيث وجد أن الاشخاص الذين يفضلون تأجيل حصولهم على التعزيز أو المكافأة هم أشخاص نموا فى منازل يؤكدالوالدان فيها على أهمية الإنجاز ويشجعون الاستقلالية والاعتماد على الذات ، بالإضافة لذلك ، فإن المشاهدات غير المباشرة أو الأدله توضح ان مثل هؤلاء الأباء كانوا نماذج تحتذى فى تأجيل حصولهم على المكافأة ، وقد أوضحت دراسة بندورا وميسكل Bandura & Mischel ذلك وأكد ان عملية تأجيل الاشباع يمكن أن تُكتسب بالتعلم من خلال عملية النمذجة ، حيث قاما فى البداية بأتاحة حرية الاختيار لدى عينة كبيره من الأطفال تتراوح أعمارهم بين (٨-١٠ سنوات) بين نوعين من المكافأة ، يختارا بين مكافأة صغيره تمنح فى الحال مثل قطعة صغيره من الشيكولاته أو مكافأه كبيرة تمنح بعد أسبوع واحد. وفى هذا القياس القبلى تم تقسيم الأطفال الى ذوى الدرجة المرتفعه أو المنخفضه من تأجيل المكافأة (أو المُعجلين والمُؤجلين) . وكان الهدف من التجربة هو التحقق مما اذا كان يمكن تغيير التفضيل المبدئى من خلال مشاهدة نموذج راشد يُخير بين مكافأة عاجله وأجله ، كما قارنت التجربه الكم النسبى وثبات التغير فى سلوك تأجيل المكافأة كداله للنماذج الحية والرمزية .

وقد قُسم الأطفال الى ثلاث مجموعات بناء على ظروف المعالجة :

- مجموعة المعالجة الأولى لاحظت نموذج حى لشخص راشد يكف لدى الطفل اختيار التأجيل أو التعجيل للحصول على المكافأه التى اعتمد فيها على التعزيز الذاتى ، فإذا كان الطفل من النوع الذى لديه درجة مرتفعه فى التأجيل اختار النموذج التعزيز الفورى ، والعكس اذا كان الطفل من النوع الذى يعجل الحصول على المكافأة فإنه سيشاهد نموذج يفضل أكثر عملية التأجيل فى سبيل الحصول على مكافأة كبيره. كما أعطت النماذج عبارات لفظيه تبرر سبب الاختيار ، فعلى سبيل المثال فإن النموذج الذى خير بين الحصول على قطع الشطرنج البلاستيكيه التى يمكن أن يحصل عليها فى التو ، وأخرى خشبيه أغلى ثمنا يحصل عليها بعد أسبوع كان يقول قطع الشطرنج هى هى ويمكن أن استخدم القطع البلاستيكيه بطريقة صحيحة .

- مجموعة المعالجة الثانية شاهدت نماذج رمزية على شكل قصص مكتوبه يظهر سلوك يدل على الرغبه فى المكافأة المؤجله معارضا بذلك رغباتهم وتفضيلاتهم .

- أما المجموعة الثالثة فلم تشاهد أى نماذج على الإطلاق .

وبعد انتهاء التجربه تم قياس درجة اختيار الأطفال بين التأجيل أو التعجيل للمكافأة فى غياب النموذج ، حيث أوضحت النتائج ان اختيار الحالة قد تأثر بقوه باختيار النموذج ، فالأطفال الذين اظهروا سلفاً تفضيلهم لتأجيل المكافأه ، عادوا وأظهروا تفضيل واضح للمكافأة الفورية الأقل قيمه كنتيجة للملاحظة النماذج التى تفضل الإشباع المباشر والفورى ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن الأطفال الذين لديهم تفضيل واضح للمكافأة الفوريه زادت رغبتهم فى الانتظار مقابل الحصول على تدعيمات أكبر قيمة وذلك بعد تعرضهم لنماذج تظهر سلوك مرتفع يدل على الرغبه فى التأجيل .

أضف لذلك أن أثار المعالجة ظلت باقية عندما أجرى على المفحوصين قياسات متابعة فى الشهر اللاحق ، كما ظلت أثار قراءة الاستجابات المكتوبه للنموذج مماثله لاثار مشاهده النماذج الحية بالرغم من كونها أقل وضوحاً وأقل تعميماً . وتعد هذه النتائج فى غاية الأهمية ، خاصة عندما نأخذ فى الاعتبار أن ملاحظه النموذج غيرت التوجه الذى جاءبه الطفل الى إطار التجربة .

ولكن هل يمكن ان يؤثر مثل هذا النوع من التعلم على كبار السن ، وللإجابة على هذا السؤال سجل ستيمفوزر (172) Stumphauzar تقريراً عن دراسة مماثلة وتضمنت عينة من نزلاء السجون المترافقين ، وكان النموذج عبارة عن نزيل يظهر درجة مرتفعة من التقدير والاحترام قضى مده أطول من الوقت فى السجن ، حيث أدى تفضيل النموذج لتأجيل المكافأة إلى زيادة جوهرية فى فترة تأجيل المفحوصين (النزلاء الجدد) لعملية الإشباع ، أضف لذلك أن هذا التغير وجد أنه يدوم ويستمر لفتره متابعه تصل الى شهر على الأقل بعد الانفصال عن النموذج ، وهو ما يؤكد أن كل من الراشدين والأطفال يخضعون لتأثيرات النماذج . وتعد هاتين التجربتين بعضاً من التجارب العديده التى دعمت وايدت بشده المفهوم النظرى والمحورى لنظرية التعلم الإجتماعى لبندورا ، وعلى الرغم مما وجه لهذه النظريه من انتقادات إلا أن النتائج التجريبية قد دعمت وايدت مفاهيمه هذه .

- أساليب تغيير السلوك من خلال الضبط الذاتى :

يمكن تطبيق الضبط الذاتى فى مجال التدخين ، والرجيم (الحمية) وتحسين عادات الاستذكار والخجل والغضب والعد وان وغير ذلك ، حيث يبدى الناس دائما اهتماماً بالنزعة الى التسلط فيما يتعلق بحياتهم الخاصة ، ويعد العامل المفسر فى تحقيق حياة

فعالة ومنجزه فى المجتمعات المعقده الراهنة هو القدرة على تحقيق الضبط الصارم على تصرفاتنا - ولسوء الحظ فإن العديد من الأشخاص يبدو أنهم يفتقدون مهارات الضبط الذاتى، ولايحيون حياة فعالة كما يتمنون . ولتوضيح ذلك فبعض الناس يأكلون بشراهة شديدة جداً ، كما أن البعض يدخنون أو يشربون المسكرات بشكل مبالغ فيه، والبعض الأخر خجول أو سريع الغضب والعدوان بشكل مزعج، ويفتقر البعض الآخر الى مهارات الاستذكار الجيدة ، إن معظم هؤلاء الناس أن لم يكن الكل لديهم رغبة فى تغيير سلوكياتهم غير المرغوبه هذه ، ولكنهم لايعرفون ببساطه كيف يفعلون ذلك. البعض منهم يعتمد على قوة ارادته Willpower الخاصة ، فى حين يبحث البعض الآخر عن المساعدة من المتخصصين، وقد يكون ذلك بدون نفع أو فائدة وتتضمن نظرية التعلم الإجتماعى ما يعد تعهداً بالضبط الذاتى Self-control وهو اسلوب يبنى على وسائل علميه تؤدى الى تغير تدريجى فى سلوك الفرد نحو الاتجاه المرغوب وهو ما أطلق عليه ماهونى وثوريسون (1974) Mohoney & thoresen قوة للشخص Power to the person - "انظر أمامك إنه من الممكن تماماً أن يحقق مفهوم الضبط الذاتى اختباراً فعلياً للتطبيقات العملية الأكثر صعوبة فى الوصول اليها فى نظرية بندورا" .

ولتوضيح هذه النقطه فإننا فى حاجة فقط إلى استرجاع مبدأ بندورا عن الحتمية التبادلية وخاصة فيما يتعلق بالعلاقه بين قطبى هذا المبدأ وهما الحتميه - الحرية، وبشكل أساسى يؤكد هذا المبدأ على أن الناس يشكلون بيئاتهم ، وفى نفس الوقت فإن البيئه تشكل سلوكهم، فلو صح ذلك ، فإنه عندما نضيف لهذا الافتراض افتراض آخر مفاده أن البشر عقلانيين أساساً ومن ثم يمكن التعرف على الطبيعة البشرية بشكل علمى وان الناس يستطيعون أن يحققوا ما يرغبونه من تغير وعلى ذلك فإن احتمالية الضبط الذاتى هى احتمالية غير محدودة على الإطلاق . ولكن الملاحظ اننا لانستطيع ضبط كل الأحداث والوقائع ، وربما نكون محدودين بسبب الافتقار الى التحمل أو الدافعية وبالطبع الافتقار الى حُسن الخط. ولكن فى داخل هذه الحدود العريضه الفسيحه جداً من الممكن لكل شخص منا أن يزيد الضبط لكل ما يتدرب عليه من سلوك على مدار حياته ، لكى نوجه انفسنا نحو الأهداف التى نختارها، إن بندورا يقرر بذلك اننا أحرار الى حد ما فى التغير فى الاتجاه الذى نختاره مؤكداً أننا نعرف بصورة كافية طبيعة العلاقة بين الناس وبيئتهم .

ماهو الضبط الذاتى :-

يعرف الضبط الذاتى من خلال نظرية التعلم الإجتماعى وبالتحديد من وجهة نظر ماهونى وثوريسون ١٩٧٤ بأنه " مايظهر عندما ينخرط الشخص فى سلوك بديل مناسب تكون احتماليته أقل من استجاباته الراهنة .

فعلى سبيل المثال يتضح الضبط الذاتى اذا ما كان هناك شخص يدخن السجاير ولم يستمر فى عمل ذلك . أو ما إذا كان الشخص يفرط فى الأكل ولكنه الآن أصبح اكثر إعتدالاً أو يقوم برجيم أو حمية معتدلة . ففى حالة الضبط الذاتى تكون الاستجابه المرغوبه (مثل عدم التدخين ، والأكل بشكل معتدل) تكون غير ساره بشكل فورى ولكنها تعطى نتائج مرغوبه على المدى البعيد. فى حين أن الاستجابه البديله (مثل التدخين والأكل الزائد) تحقق السعاده الفوريه ، ولكنها تعطى نتائج سيئه على المدى البعيد .

وطبقاً لمفهوم بندورا عن الحتمية التبادلية فإن الضبط الذاتى لايقع تماماً ضمن القوى الداخلية (مثل قوة الإرادة) ، أو القوى الخارجية (كالتعزيز الخارجى فى نظرية سكنر) . ولكن الضبط الذاتى هو جزء لايتجزأ من التفاعل الشخص المتبادل مع البيئه بأسلوب مخطط بعناية، ولتوضيح كيف تتم هذه العمليات دعنا نتناول المكونات الثلاثة الأساسية فى الضبط الذاتى .

المكونات الأساسية للضبط الذاتى :-

يقترح كل من ماهونى وثوريسون (١٩٧٤) وجود ثلاث عناصر أو مكونات أساسية فى سلوك ضبط الذات هم : ملاحظة الذات، التخطيط البيىء وبرمجة السلوك .

١- ملاحظة الذات Self-observation :

فيما يتعلق بالكتابات النظرية حول ضبط الذات، يمكن فهم عملية ملاحظة الذات بشكل أفضل على أنها عملية تجميع منطقى للمعلومات عن العوامل التى تؤثر فى تصرفات الفرد وسلوكه. يجب على الفرد أن يكون من خلال صور أو أشكال عالمة الشخصى ما يساعده ليس فقط فى توجيه سلوكه، ولكن كذلك فى تسجيل ما يصادفه من أحداث بغرض التغذية الرجعية والتقييم . ولتوضيح ذلك . فإن الشخص الذى يحاول الاقلاع عن التدخين من المنطقى أن يعد السجاير التى يدخنها يومياً أو خلال فترة محددة ، والشخص

الذى يرغب فى خفض وزنه يقوم بعمل بيان يومياً على مدار عدة شهور ، والشخص الخجول يقوم بحساب عدد المرات اليومية التى يبذل فيها محاولات للمباداه بالمحادثه . وكما تقترح هذه الأمثله فإن ملاحظه الذات فى نظرية التعلم الاجتماعى لاتتماثل تماماً مع المفهوم الشامل لفهم الذات Self-understanding الذى تم التأكيد عليه فى مواضع نظرية أخرى . حيث اكد فرويد مثلاً على الاستبصار بالعمليات اللاشعورية ، واكد روجز على عملية الانفتاح على الخبرة ، وأهميتها فى اليوجا Yoga* ، والزينه** Zina الذين يركزون انتباههم على خبراتهم الداخلية . بالإضافة لذلك فإنه فى عملية الضبط الذاتى يتم التأكيد على العد التفصيلى ، وجدولة البيانات ، وتقييم استجابات نوعية سواء كانت ظاهرة (ملحوظه) أو كامنه (غير ملحوظه) . والمنطق الأساسى الذى يكمن خلف عملية الملاحظة الذاتية أن على الفرد أن يحصل أولاً على درجة من الثبات الواضح لمدى تكرار السلوك البديل (بما فى ذلك المثيرات والأحداث التى تسببه) قبل ان يستطيع التحكم فيه بفعالية .

ولتوضيح ذلك نفرض أن طالباً جامعياً قد تكون لديه ما يعرف بعادات الاستذكار الضعيفه Poor study habits فى هذه الحالة فإن انخفاض تحصيله لايرجع الى انخفاض ذكاءه ولكنه يرجع ببساطه الى أنه لايذاكر بجد واجتهاد ، والآن يريد تغيير هذه العادات . ولتحقيق ذلك بفعالية يجب أولاً ان يلاحظ بطريقة تدريجية مايجب ان تكون عليه عادات الاستذكار الحقيقية، وان يسلك بما يلاحظه تدريجياً من سلوك جزئى . وفى هذه الحاله اما استذكار أو عدم استذكار . وفى هذه الحالة ستزيد حساسية الطالب لنفسه حيث سيحقق التسجيل التدريجى من قبل الطالب لسلوكه نوعاً من التغذية المرتده أو فى التغيرات التدريجية التى يمكن أن تحدث دون أن يلاحظها . ومن المدهش حقاً ان الناس يمكنهم تجنب روتينهم اليومى ببساطه لأنهم لاينتبهون لأنفسهم .

إن أنواع الملاحظة الذاتية تنقسم بناء على ما يمكن تطبيقه فقط من خلال تخيل الناس الذين يستخدمونه ، فعلى سبيل المثال فإن دفتر تدوين الملاحظات اليومية عن السلوك behavioral Diary يمكن الاحتفاظ به ليسجل فيه الشخص ما حدث من سلوك

---

* اليوجا : فلسفة دينيه هنديه قوامها التأمل وضبط النفس توصلاً لاتحاد الروح بالذات الإلاهيه - أو هى نظام من التمرينات غايته تمتع المرء بجسم وعقل سليمين وتعزيز سيطرته عليهم .

** الزينة : فرقة بوذية تؤمن بان فى ميسور المرء أن ينفذ الى طبيعته الحقيقية عن طريق التأمل .

مرغوب (مثل الاستجابات التوكيدية فى مواجهة الآخرين) وتحديد الأسباب المناسبه للاستجابة ونتائجها . وقد يحتفظ شخص آخر بورقه لجدولة أو رسم السلوك behavior graph or chart لاستجابة الأكل أو تغيرات الوزن . فى حين يبقى للبعض الآخر من الناس حيلتهم من مراقبة الذات هو أسلوب العد المصغر Miniature counter وتستخدم لذلك ادوات مثل عدادات الرسغ ومذكرات الجيب وخرائط ورسوم الحائط التى تجعل الفرد محتفظاً بانتباهه باستمرار فى حساب تكرار السلوك المعطى (مثل عدد السجاير التى يدخنها)، وأى حيله سوف تساعد الفرد منطقيا على ملاحظة وعد السلوك البديل للسلوك المتغير يمكن أن يكون مفيداً فى هذا المضمار .

فبالنسبة لطالب الجامعة الذى يريد تغيير عادات الاستذكار ، فإن الملاحظة المنظمه لسلوك الاستذكار تكون بمثابة الخطوه الأولى فى نطاق الضبط الذاتى ، وربما يملأ خريطه أو جدول على الحائط يسجل فيه الزمن الفعلى الذى قضاه فى المذاكرة كل يوم ، وأين قضى هذا الوقت . بالإضافة لذلك فإنه يستطيع ان يحتفظ بتسجيل يومى فى دفتر الملاحظات اليوميه عن السلوك يوضح فيه حكمه عن فعالية مذاكرته مقارنه بظروف مماثله من قبل . مثلا هل أولى للمادة المستذكرة مزيد من العناية فى الصباح أو المساء ، فى حجرته أو فى المكتبه أو عندما جلس على المكتب ، وهل كانت مدة المذاكره أطول من ذوى قبل .

ويعد مثل هذا التسجيل المفصل فى غاية الفائدة وضرورى ، وخاصة اذا ما حقق الفرد تغير مرغوب فى السلوك . لأنه من وجهة نظر بندورا اذا ماعمل (أنجز) الفرد حقيقة إجراءات الملاحظة الذاتيه المفصله سوف يتعلم ان يفهم العلاقة التبادليه بين الشخص والبيئة التى تعد مركزية فى نظريته ، والأهم من ذلك فإن الملاحظة الذاتيه ليست مجرد إجراءات قياس للضبط الذاتى لأن بعض الدراسات مثل دراسة كازدين (١٩٦٧) على الأقل أوضحت ان السلوك يمكن ان يتغير ولو قليلا كنتيجة لعملية ملاحظته . كما أن عادات الاستذكار يمكن أن تتحسن بوضوح كنتيجة للملاحظه الدقيقه لها، ولكن هذه التغيرات تميل لأن تبقى قصيرة المدى ما لم يتم تدعيم مراقبه الذات من خلال الاستراتيجيات الأخرى للضبط الذاتى .

٢- التخطيط البيئى Enviromental planning

يمثل التخطيط البيئى الاستراتيجية الأساسيه الثانيه فى ضبط الذات ويتضمن تغيير

البيئه، وكذلك كل من المثير المولد للسلوك والاحداث التى تتبع تغيره. وبدلاً من مواجهة الإغراء فإن على الفرد تجنب الموقف المغرى بالدرجة الأولى ، وربما يعاقب نفسه عندما يستسلم له . وتوجد طريقتين أساسيتين للتخطيط البيئى هما ضبط المثير ، والتنظيم المسبق لنواتج السلوك .

أ- ضبط المثير أو المنبه Stimulus Control حيث يعيد الفرد تنظيم مفاتيح أو أسباب المثيرات التى تولد إستجابات غير مرغوبه ، أو تثبيت وتقويه الأسباب التى سوف تثير استجابات مرغوبة . وفى كل المواقف الشائعة فإن البدناء من الناس يحاولون خفض ما يسبب زيادة الأكل مثل التزيين الممتاز للمائده أو للأطباق - فمن خلال مصطلحات نظرية التعلم الاجتماعى إن زيادة الأكل ليست سوى عاده سيئة، إنه تناول للأكل بدون جوع فسيولوجى حقيقة كأستجابه للأسباب البيئيه، يستتبع ذلك نواتج سارة عاجلة . ومن خلال الملاحظه الذاتية بعناية فإن من الممكن تحديد أسباب الأكل بشراهه مثل : شرب البيره وتناول السكويت اثناء مشاهدة التلفزيون ، زيادة الأكل كاستجابة لتوتر انفعالى ، أو الأكل لانه يوجد طعام كثير فى الطبق ولدى الفرد رغبه فى التهامه بدلاً من إلقاءه. إن مثل هذه الأسباب أو الدلائل يمكن تحديدها بدقة وأصبح من الممكن عدم ربطها باستجابة الأكل. كأن يشرب الفرد مشروب يحتوى على سعرات حرارية منخفض (دايت) وألا يتناول طعاماً أثناء مشاهدة التلفزيون ، وأن يمارس استجابات بديلة عند التوتر الانفعالى (كالاسترخاء العضلى، والتأمل والتفكير)، أو يتعلم أن يتناول كم أقل من الطعام وان يمضغ الطعام بتروى . والقارئ الذى يشك فى ذلك يمكن ان يتأكد من خلال الاطلاع على بحث تجريبى أجراه ستيوارت وديفز Stuart & Davis منذ فتره يؤكد أن الناس الذين دربوا على التعرف على، وتغيير أسباب ومظاهر العادات غير الصحيحة للأكل استطاعوا أن يخفضوا بشكل واضح من أوزانهم ويواصلون ذلك بنجاح. كما يمكن ان يستخدم نفس هذا الأسلوب بنجاح لتدعيم الضبط الذاتى للسلوكيات الأخرى غير المرغوبة مثل التدخين وذلك من خلال إجراءات ضبط المثير .

ب - التنظيم المسبق لنواتج الاستجابه Prearrangement of response Consequences ويتضمن التغيير المنظم لبيئة الفرد ، وذلك حتى تستتبع الاستجابات المرغوبة نتائج ساره ، وتستتبع الاستجابات غير المرغوبه نتائج غير ساره . فعلى سبيل المثال يستخدم عقار الديسولفرام disulfiram فى علاج إدمان الكحوليات، وعندما

تخلط كمية صغيره جداً من هذا الدواء بالكحول يحدث إحساساً بالدوار والقيئ ومن ثم افراغ المعده من الخمر أو الكحول . وهكذا فإن تناول المدمن لكمية صغيره من هذا الدواء كل صباح يضمن نتائج تحول دون الإقبال على سلوك التعاطى خلال الاربع والعشرون ساعة التالية. ومثل هذا التنظيم القبلى أو المسبق لنتائج الاستجابه يقلل كثيراً من الفرص التى قد يستسلم لها الفرد نتيجة عجزه عن مقاومة إغراءات الشرب أثناء هذه الفتره. ولسؤ الحظ فإن استراتيجية الضبط الذاتى هذه ليست مضمونه ، فقد يفشل الفرد فى التنظيم القبلى لنتائج الاستجابه ومن ثم يحبط أو يلغى هذه الاستراتيجية ، فبعض مدمنى الكحوليات يتوقف ببساطه جداً عن تناول الدواء وينتظر لمدة اربع وعشرون ساعة، ويعود للشراب من جديد. وفى حالات أخرى قد يكون للمثابره والإصرار على استخدام التنظيم المسبق لنتائج الاستجابة فائده جيدة للشخص .

ولكن كيف يمكن تطبيق التخطيط البيئى على طالب يعانى من عادات استذكار سيئه أو ضعيفة ؟ نفترض أن هذا الطالب قد اكتشف من خلال الملاحظه الذاتية أنه يذاكر بفاعلية اكثر فى الفترة المبكرة من الليل فى مكان معين داخل مكتبه الكلية وباستخدام استراتيجية ضبط المثير ربما نجده يرتب وينظم موعد وصوله الى هذا المكان فى المكتبه كل مساء فى الساعة السادسه، ولايفعل شيئ سوى المذاكره (فلايكتب خطابات ولايفرط فى أحلام اليقظة)، وفى اللحظه التى يبدأ فيها الانشغال فى سلوكيات لاتتعلق بالمذاكره يقوم ويغادر المكان حتى لايربط المكان بالسلوكيات الأخرى التى لايرغب فيها، ولكى يضمن المحافظه على برنامج ضبط المثير يبدأ فى الاستذكار لفترة قليلة فى البداية (٢٠دقيقه مثلاً)، أو عدد محدود من الصفحات (حوالى ٧ صفحات) ثم يزيد الوقت أو عدد الصفحات تدريجياً فيما بعد . وفى النهاية بعد أن يستخدم التنظيم القبلى لنتائج الاستجابة يستطيع هذا الطالب أن يقرر مكافأة لنفسه إذا التزم بنظام الاستذكار الذى وضعه (بالخروج مع الأصدقاء، أو الذهاب الى السينما أو تناول وجبة طعام محببة)، أو أن يعاقب نفسه إذا لم يلتزم (يُحرم على ذاته بعض صور الملذات والسعادة التى ذكرت من قبل) وفى هذه الحالة يكون هذا الطالب قد طبق مبدأ بندورا عن الحتمية التبادلية بصوره منظمه وهكذا يكون قد بدأ يصيغ ويشكل بيئته بشكل مقصود والتى شكلت هى بدورها سلوكه فى الاتجاه المرغوب.

٣- برمجة السلوك Behavioral Programming

وهى الاستراتيجية الثالثة لضبط الذات تم تعريفها بواسطة ماهونى وثوريسون (١٩٧٤) ببرمجة السلوك ، وتعنى التغيير المنظم لنتائج السلوك بدلاً من تغيير مسبباته أو مثيراته، وتبدو البرمجة السلوكيه وكأنها صورة اكثر تفصيلاً لما وصف من قبل عن التنظيم القبلى لنتائج الاستجابه وتتضمن :

أ- التعاقد الذاتى Self-Contracts

إذا ما وجدت أية فروق جوهرية بين قرارات العام الجديد فيما يتعلق بتغيير السلوك واستراتيجيات الضبط الذاتى. فإن مثل هذه الفروق يمكن وضعها فى تخطيط منظم يتحدد من خلاله تفاصيل تنفيذ وتقييم برنامج تغيير الذات . فإذا اراد فرد ما أن يبرمج سلوكه بكفاءه وفعالية فإن من الواجب عليه ان يعمل بشكل منظم.وأفضل وسيله لتحقيق هذه الغاية هو التعاقد الذاتى ، والتعاقد الذاتى هو اتفاق يبرمة الفرد مع ذاته (ويفضل أن يكون مكتوب) يحدد السلوكيات التى يهدف الى تحقيقها ونتائج الاستجابه (سواء المكافأه أو العقاب) التى يتضمنها برنامج ضبط الذات .

ويجب أن تكون شروط ومصطلحات مثل هذا التعاقد واضحه وثابته وايجابيه وعادلة، ولابد من مراجعة شروط العقد بصورة دورية على فترات للتأكد من أنها معقولة، فالكثير من الناس يضعون مبدئياً أهدافاً لتغيير ذاتهم مبالغ فيها قد تؤدى الى إحباطهم وإصابتهم بخيبة أمل وتثبطهم بشكل سيئ وتجعلهم يتركون برنامج ضبط الذات ولايلتزمون به. أضف لذلك أن زيادة الفعالية لأقصى حد تحتاج على الأقل لمشاركة شخص أخر، وينبغى ان تكون النتائج فى التعاقدات الذاتيه فيما يتعلق بصور الثواب والعقاب متفرده (أى لها صفه الخصوصية بين الفرد ونفسه) . كما يجب ان تتم عملية المكافأة والعقاب بشكل فورى وان تتكرر بتكرار السلوك الصحيح أو الخاطئ والالتزام بها وألا تكون مجرد وعود لفظية نرددها أو نوايا نمنى أنفسنا بها . ويمكن توضيح عملية التعاقد الذاتى لطالب يحاول استخدامها فى تغيير عادات الاستذكار أعده ما هونى وثوريسون:

مثال لتعاقد ذاتى

التاريخ : ١٩٩٧/٧/١

الذات : جاك ويلسون

الآخر : مايك تومسون

الهدف : أن أحسن عاداتى فى المذاكرة .

الاتفاق .

الذات : أوافق أنا جاك ويلسون على الذهاب الى المكان المخصص فى مكتبة الكلية الساعة السادسة مساءاً لمدة خمس مرات أسبوعياً وأن اكرس وقتى هناك للمذاكره فقط .

الآخر : وافقت أنا زميله فى الحجره مايك تومسون على الثناء عليه عندما ألاحظ أنه ملتزم بشروط العقد، وأن أنتقده وألومه عند الإخلال بما وافق عليه من شروط العقد.

النتائج

- ما يقدم من قبل الذات إذا ما تم المحافظه على التعاقد .

إذا التزمت بالاتفاق السابق ذكره سوف أكافأ نفسى بوجبه بيتزا مساء كل يوم أربعاء والذهاب الى السينما فى عطلة نهاية الأسبوع .

-إذا لم يتم الالتزام أو المحافظة على الاتفاق

اذا لم أحافظ على هذا الاتفاق السابق ذكره فى اسبوع ما سوف ألمع حذاء زميلى مايك وان احرم نفسى من وجبة البيتزا ولن أذهب الى السينما خلال عطلة نهاية الأسبوع .

- ما يقدم من الاخر اذا تم المحافظة على الاتفاق :

١- سوف يمدحنى مايك لمذاكرتى بشكل منتظم فى المكتبة .

٢- سوف يقوم مايك بتلميع حذائى فى نهاية الأسبوع الذى التزم خلاله بالاتفاق .

- اذا لم يتم المحافظه على الاتفاق :

فى كل أسبوع لا ألتزم خلاله بالاتفاق المبرم يمنح مايك السلطة فى عمل الآتى :

١- ينتقدنى أو يلومنى .

٢- يصر على أن ألمع حذائه وأنفذ ذلك .

٣- ان يأكل هو البيتزا ومن حقه اثناء ذلك أن يقدم تعليقات ساخره ومحطه للشأن اثناء تلميعى لحذاءه .

٤- له الحق أن يرفض لى أى طلب فى نهاية الأسبوع .

المتعاقد	الشاهد
جاك ويلسون	مايك تومسون

موعد المراجعة ١/٨/ ١٩٩٧م.

ب - المكافأه والعقاب الذاتى **Self-Rewards and punishments**

طبقاً لرأى بندورا ، اذا اراد الناس أن يعيدو تركيب بيئاتهم لكى يشكلوا سلوكهم فى الاتجاه المرغوب ، فعليهم أن يحددوا صوراً وأشكالاً للمكافأه والعقاب فى بيئاتهم. وحيث أن السلوك يتم ضبطه من خلال نتائجه ، فإن على الفرد وأن ينظم هذه النتائج سلفاً ليحقق التغير المرغوب فى السلوك.فإذا ما نظر الى قضيه المكافأه والعقاب فى ضوء نظرية التعلم الاجتماعى سنجد أن هناك نوعين من المكافأه ونوعين من العقاب. والمكافأه أياً كان نوعها كما هو الحال فى نظرية سكنر تزيد من تكرار السلوك المرتبط بها ، وحيث يوجد نوعين من المكافأة هما :

١ - مكافأه ايجابيه Positive reward وتشير الى موقف يتم خلاله تقوية الاستجابه وتدعيمها من خلال نتيجة إيجابيه . ففى مثال التعاقدالذاتى السابق نرى أن جاك قد حسن من سلوكه فى الاستذكار ومن ثم كوفئ بالذهاب الى السينما وبتناول وجبة البيتزا هذا بالإضافة الى مدح مايك له . وتوجد مكافأه داخليه لايمكن رؤيتها فى مثل هذا الموقف، وهى أن جاك سوف يشعر بالسعادة ، ويشعر بذاته بشكل أفضل لأنه نجح فى مهمته ، ومن يدرى وربما تتحسن درجاته فى الاختبارات كنتيجة لذلك وهى نتيجة إيجابيه واضحة .

٢ - المكافأه السلبية negative reward وتعرف بالتعزيز السلبى فى نظرية سكنر، وتحدث فى المواقف التى تدعم وتقوى فيها الاستجابة من خلال التخلص من / أو تجنب نتيجة مكروهه تثير الضيق والألم. فإذا ما استمر جاك فى اسلوبه الجيد

للمذاكره سيتجنب نقد مايك وتلميع حذاءه والآثار المؤلمه والمكروهه الأخرى . وعلى المستوى الداخلي للملاحظ وغير المرئى سوف يتجنب الأفكار السلبية عن ذاته مثل قوله أنا إنسان ضائع ، اننى طالب جامعى ولدى قدرات ولكنى لا أستحق ذلك لاننى لا أذاكر ولا انمى عادات استذكار جيده .

وبالمثل فإنه فى البرمجه السلوكيه يعرف العقاب بأنه كل ما يقلل أو يحد من تكرار السلوك المرتبط به ، حيث يوجد كذلك نوعين من العقاب يمكن تمييزهما هما :

١ - العقاب الإيجابى **Positive Punishment** وينطبق مصطلح العقاب الأيجابى على المواقف التى تضعف فيها الاستجابه كنتيجة لاستبعاد أو تجنب نتائج ايجابيه أو سارة. فإذا ما عاد جاك لعادات مذاكرته السيئه فلن يتناول وجبة البيتزا، ولن يذهب الى السينما ، وعلى المستوى الداخلى (غير الظاهر) سوف يفتقد بعض المشاعر والأحاسيس الساره والجيدة التى كونها عن نفسه .

٢ - العقاب السلبى **negative punishment** ويشير الى تلك المواقف التى تضعف فيها الاستجابة بسبب نتيجه سلبية أو مكروهه تتبعها أو تليها. فالعادات السيئه للمذاكره لدى جاك سوف يتبعها نقد مايك له ، وقيام جاك بتلميع حذاء مايك ونتائج أخرى منفره. وعلى المستوى الداخلى غير الظاهر سوف يعانى جاك من أفكار سلبيه عن ذاته نتيجة لسلوكه غير المرغوب .

ومن أجل تحقيق أفضل نتائج البرمجة السلوكية سواء كان السلوك المستهدف عادات الاستذكار ، أو التدخين ، أو الشراهه فى الأكل والمشرب أو الخجل أو غير ذلك . يفضل ألا نعتمد على استراتيجية عقاب أو مكافأة واحدة بمفردها . ولكن يفضل دمج عدة استراتيجيات معاً وهو ما يعد أفضل مدخل لضبط الذات . ومن الواضح أن نظرية بندورا تقدم امكانات ثريه وخصبة ومثيره بأساليب علميه صحيحه لضبط الذات ، وأخذت بعض الامكانات تتحقق بفضل جهوده الناجحة لإثارة حركة العلاج السلوكى فى الاتجاه المعرفى معتمداً فى ذلك على الأسس النظرية والتطبيقات التجريبية الهائله لأفكاره ، كما تعد نظريته قوه محركه فى مجال علم النفس المعاصر ، وهى إحدى النظريات التى لن تخبو جذوتها أو تقل أهميتها فى المستقبل القريب . (**Hjelle, L.A. & Ziegler, D. J. 1981**) .

٣- تطبيقات النمذجة فى المجال الدراسى والتربوى :

يمكن تطبيق النمذجة فى المجال الدراسى والتربوى مثل :

١- تعلم الكفاءات الاجتماعية والعقليه المعقدة : يتعلم الطلاب العديد من المهارات الاجتماعية والمعرفية المعقده بالملاحظه من النموذج المناسب، فالمهارات العقلية تُكتسب من خلال التعلم بالملاحظة والمتضمن كل من، المحادثة ، اللغات الأجنبية، استخدام المنطق، أساليب معالجة المعلومات، المهارات المهنية، المهارات التكنيكية الخاصة، والهوايات المختلفه ، ويمكن للمدرسين نمذجة مهارات حل المشكلات بواسطة التفكير حول الطرق المختلفه فى مهاجمة المشكلات مع المساعدات اللفظيه حول كيفية الإحاطه بالمشكله وفهمها وحلها والتعميم المنطقى فى سلسلة من الخطوات المتتابعة .

كما أن السلوكيات الإجتماعية يمكن تعلمها بالنمذجة بماتتضمنه من فن المحادثه الاجتماعية ، سلوكيات التنميط الجنسى (تعلم لعب الدور الجنسى المناسب)، والغيريه (الإيثار) وغيرها بنفس الطريقة التى يعلم بها المدرس مهارات حل المشكلات، فعلى سبيل المثال يستطيع المدرس أن يشرح الأساليب المختلفة لحل الصراعات أو الخلافات بين الاشخاص وكذلك الأساليب المختلفة للتفاعل فى المواقف المختلفه .

٢ - التفاعلات العاطفية : الاستجابة الانفعالية يمكن ايضاً أن تُكتسب من خلال مشاهدة الاستجابات العاطفيه للآخرين الذين يظهرون خبرات سارة أو مؤلمة ، فأنماط سلوك الأقدام والإحجام يمكن أن تكتسب بهذه الطريقة حيث وجد بانويل وسيكرست Banwel and Sechrest أن كل من تلاميذ الصف الأول والثالث قد اختاروا المهام التى تلقى زملاءهم عليها المكافأت أو التعزيز الإيجابى وتجنبوا المطالب التى لم يوافق عليها التلاميذ الآخرين، فسلوكيات الإحجام كالخوف من المدرس يمكن أن تثبت بواسطة ملاحظة التلاميذ لزملاءهم فى الفصل وهم يُوبخون أو يُعنفون من المدرس ذاته .

وبالمثل فإن استجابات الإقدام على المدرس يمكن أن تتحقق من خلال ملاحظة التلاميذ لاحدهم بالفصل يتلقى معاملة سارة من المدرس ، كما يستطيع المدرس تعطيل الميل لإنكار الانفعالات الطبيعية كالخوف من عدم الثقة بالنفس بواسطة مناقشة الأحداث الشخصية أو كيف تصرف المشاهير فى العالم سابقاً وحالياً إزاء مشاكل الحياة، فالمدرس

يستطيع أن يوضح أن مثل هذه الانفعالات يمكن التحكم فيها تحت ظروف معينة، مثل هذه المناقشات يمكن أن تساعد الطلاب على أن يكونوا توكيديين أو يكفوا عن سلوك ما.

كما أن السلوك العدوانى يمكن أن يكتسب كذلك من النماذج العدوانية، وبالمثل يمكن تعليم الأطفال العدوانية المفرطة والاستبداد، وكذلك التعامل مع مواقف الإحباط وتغيير سلوكهم الى الأفضل، فتوضيح أن العدوان سلوك غير مقبول وإثابة الأطفال على التعاون قد يحد من عدوانيتهم ويساعد على ذلك نمذجة السلوك التعاونى فى حضورهم .

وهكذا يمكن القول أن العديد من مواقف السلوك يمكن أن تكتسب بالنمذجة .

٣- تغيير الاتجاهات نحو المدرسة : يمثل الاتجاه نحو المدرسة أحد العوامل المحددة للنجاح فيها حيث يتأثر ميل الطلاب لإظهار قدراتهم ومهاراتهم باتجاهاتهم نحوها، فيميلون الى نسيان الأشياء غير المرغوبة ، وتذكر الأشياء المرغوبة ، وبالطبع يؤثر المدرسين ليس فقط فى اتجاهات الطلاب نحو المقررات الدراسية المتعلمه ولكن ايضا نحو العملية التعليمية ككل. العديد من الطلاب يأتون الى المدرسة باتجاهات متباينة بعضها إيجابياً وبعضها سلبياً، وبعضها متعادل إزاء الأشياء التى ليس لهم خبرة بها ، ولكن تدريجياً يقوم المدرس بتطوير وتنمية الاتجاهات الايجابية نحو التعلم إذا كان يتمتع بقبول الطلاب والعكس اذا كان المدرس غير ذلك فانه سينمى لديهم اتجاهاً سالباً نحو المدرسة والعملية التعليميه ومن ثم ميول تجنبيه، وتتأثر اتجاهات الطلاب نحو المدرسة بالظروف المحيطه بموضوع الاتجاه ومعدل الارتباط او الاقتران به، وكما سبق الأشارة اليه فى حديثنا عن التعزيز الايجابى انه عندما يؤدى السلوك الى أمر سار ويرتبط بظروف سارة فاننا نميل لحدوثه ثانية، وهذا لايعنى أن يحدث الموقف السار دون أن يتطلب جهداً كبيراً، فقد يعملهالطلاب لفترات طويله وبمجهود كبير ويصبحون اكثر إحساساً بالقدرة على توجيه ذاتهم وتحقيق النجاح ومن ثم السعادة، وإذا أردنا أن ننتج سلوكاً ما فى طلابنا فعلينا أولاً أن نمارس هذا السلوك وألا نأتى بنقيضه . وكما يقول الشاعر

لاتنه عن فعل وتأتى مثله   عار عليك إن فعلت عظيم

مما يعنى انه يجب أن نتصرف بالطريقة التى نرغب فى أن يتصرف بها طلابنا، فلن نستطيع تعليم الطلاب الكياسة أو المجاملة ونحن سريعى الغضب والانفجار فيهم، ولن نستطيع تعليمهم مبدأ الشورى كمبدأ إسلامى ونحن مستبدين معهم ونفرض عليهم أفكارنا وأراءنا .

إن سلوك المدرسين يؤثر بشدة فى ميول التلاميذ من حيث الإقدام والإحجام نحو موضوعات معينه والتعلم عموماً ، وتلعب عملية النمذجة دوراً فى تنمية دافع الاستطلاع والاهتمام بالتعلم، كما ان تقدير المعلم للتلاميذ ايضا فى غاية الأهمية ، ويعدد كلاريزو Clarizio, H.F 1980 بعض خصائص المعلم الناجح الذى يصلح كنموذج يحتذى من قبل طلابه اهمها : الصبر والعدالة والاتساق بين القول والسلوك والتفاؤل وغيرها.

أ - الصبر Patience ويدل عليها التعامل مع الطلاب بهدوء وصداقه، والتعاون معهم عندما يخطئون .

ب - العدالة (الاستقامة) Fairness هى إحدى الصفات التى تؤثر فى اتجاهات الطلاب، فالطلاب يفضلون المدرس الذى لايجامل بعض الطلاب لاى سبب من الأسباب.

جـ - الاتساق بين السلوك والقول Consistency فالمدرس الذى لايتسق سلوكه مع أقواله يفقد مصداقيته كنموذج ولن يميل الطلاب لتقليده ، والمدرس الذى لايفى بوعده مع طلابه سيشعرهم انهم غير مرغوبين منه .

د - التفاؤل optimism - كما يقدر الطلاب التفاؤل فى معلميهم ويفضلون المعلمين الذين يمنحوهم الأمل .

كما يسهم سلوك المدرسين فى تحديد نوع المناخ الدراسى ، بما يتضمنه من متغيرات مثل درجة التنافس، ودرجة الضغط والتوتر التى يشعر بها الطلاب ، ودرجة التنظيم والالتزام ، والدرجة التى يستطيع بها الطلاب توجيه ذاتهم كأفراد .

٤- **تنمية السلوك الأخلاقى** : تؤثر النمذجة كذلك فى النمو الأخلاقى للطلاب ، فالراشدين والرفاق كنماذج حية، واشرطه الفيديو وبرامج التوعية بالتلفزيون كنماذج رمزيه وغيرها يمكن أن تستخدم فى زيادة النمو الأخلاقى للأطفال من كل الأعمار والمستويات الاقتصادية الاجتماعية المختلفه. حيث أوضحت نماذج الضبط الذاتى أن الاشخاص الذين يتمتعون بالقدرة على مقاومة الإغراء أقل ميلاً للانحراف، ويظهرون قدرة اكبر على اتباع التعليمات ويميل الناس عموماً الى اتباع النماذج فى المواقف المختلفه حينما يجهلون ما يتوقعونه وبناء على هذه الحقيقة فإن أثار النمذجة تكون أقوى نسبياً فى البداية، وبناءاً على التلاحم المبكر بين المدرس والتلميذ سوف يكون التلاميذ إنطباعاتهم عن

المدرس وخصائصه كالصبر والعداله والاتساق والتفاؤل وغيرها من الخصائص ولذلك يجب على المدرس أن يكون نموذج حسن وقدوة تحتذى فى سلوكه منذ اليوم الأول فى الدراسة أو من عمله كمدرس.

العوامل المؤثرة فى التعلم بالملاحظة داخل المدرسة :

توجد ثلاثة عوامل أساسية تؤثر فى نجاح النمذجة الاجتماعية والتعلم بالملاحظة وهى : خصائص النموذج، خصائص الملاحظ (المتعلم)، والنتيجة الإيجابية أو السلبية المرتبطة بنمذجة السلوك .

أ- خصائص النموذج : وتتضمن الآتى :

١- المدى الذى عنده يدرك المدرس ذاته كشخص يمتلك درجة عالية من الكفاءة، والمنزلة وأساليب تحكم وضبط .

٢- المدى الذى عنده يدرك المدرس ذاته كمربى ومساند فى السابق .

٣- معظم النماذج التى تتعامل عن قرب تميل لأن تكون مصادر أساسية للدعم والضبط أو التحكم فى الوسط المحيط بالفرد، واقصد بذلك الوالدين، زملاء اللعب، والأطفال الاكبر سناً ، والراشدين الذين يلعبون دوراً هاماً فى الحياة اليومية للطفل أو التلميذ .

٤- الدرجة التى عندها يدرك الطلاب للنموذج على انه مماثل لهم .

٥- استخدام نماذج متعددة يظهر سلوك مماثل اكثر فعالية فى تعديل السلوك من استخدام نموذج واحد.

٦- المدى الذى عنده يكون سلوك النموذج سابق لأوانه فى تأثيره على المجموعة التى يرغب الطفل فى الانخراط فيها أو يطمح فى الانضمام لها .

ب - خصائص الملاحظ (المتعلم) : وتتضمن خصائص من قبيل :

١- جنس الطالب (ذكر أو انثى) .

٢- الخلفية العرقية أو الثقافية التى ينتمى لها.

٣- المستوى الاقتصادى الاجتماعى لأسرته .

٤- خصائصه الشخصية (الحاجة للاستقلال ، دافعية الانجاز ، مستوى العدائية ، الميل للتعاون ، وغيرها).

حيث يلاحظ أن الأولاد اكثر تقليداً للسلوك العدوانى من النبات ، كما أن الصغارالاعتماديين (غير المستقلين) والذين لديهم درجة اعلى من الميل للتعاون اكثر تأثراً بالنموذج واكثر ميلاً للتقليد والمحاكاة ، وان الطلاب المتسلطين وسريعى الغضب يستجيبون بسرعة للنماذج العدوانية .

ولكن ما طبيعة الشخص الذى يجب أن يكون نموذج ؟ وهل من الأفضل استخدام شخص لديه فعلاً براعة فى ايجاد السلوك البديل أو اخر يبدأ من مستوى الطالب ويتحسن تدريجياً حتى يصل الى المستوى المتوقع؟ وهو ما يعرف بالنموذج المتمكن mastery فى مقابل نموذج المواجهة coping وتقترح الأدلة الحديثه أن نموذج المواجهة اكثر فعالية فى بعض المجالات على الأقل حيث يبدأ نموذج المواجهة بنفس مستوى الطفل المشكل وتدريجيا يحقق البراعة فى اكتساب السلوك المقبول ، كما انه يظهر التحاماً اكثر مع مستوى مهارات الطفل ، وعلى العكس فإن النموذج المتمكن ربما يبدو غير واقعى ولايكون هدف ذات أهمية كبيره بالنسبه للطفل ومن ثم يؤدى الى تثبيط العزيمة .

جـ- نتيجة الفعالية فى نمذجة السلوك :

إن العائد أو النتيجة من نمذجة السلوك ذات أهمية كبيره فى تحديد مدى التقليد أو المحاكاه ، وإن استخدام البواعث التطبيقية فى اغلب مواقف المحاكاة يمكن ان يزيد من فعالية النمذجة وإسهامها . فعلى سبيل المثال فان المدرس الذى لديه فقط مكانه وقوة اجتماعية متوسطة فى نظر طلابه يمكن أن يجعلهم محافظين على محاكاته أو تقليد سلوكه ببساطه اذا أخبرهم أنه سوف يسألهم بعد أن ينتهى أو يطلب منهم تكرار ما قاله وانه سوف يكافأ الطلاب الجيدين ، فى هذه الحالة سيكون الطلاب اكثر انتباهاً وستكون عملية النمذجة اكثر فعالية . (محمد محروس الشناوى ، محمد السيد عبد الرحمن : ١٩٩٧).

وهكذا : وأياً كانت الصورة النوعية للمرض فإن المرضى النفسيين يعانون من عدم القدرة على اكتشاف وتنفيذ الانماط السلوكية التى تدر عليهم الإثابه وتجنبهم العقاب ، وربما نتج الشعور بالعجز عن أوهام مبالغ فيها بتحقيق النجاح ، أو الاكتئاب ، البارانويا ، والجمود أو حتى الانتحار . ومن ثم نجد ان الهدف الأساسى للمعالج النفسى هو مساعدة المسترشد على تنمية الإحساس بفعالية الذات ، والاعتقاد بأنه قادر على السيطرة على الموقف واحداث تغييرات مرغوبه من خلال بذل المحاولات والجهد من جانبه ، ولذلك

يعد القلق بمثابة مؤشر ذو دلالة هامة على نقص فعالية الذات ، وانخفاض القلق يفيد أساساً فى زيادة إحتمالية عدم كبح الإدانة الباثولوجية ويزيدمن احتمالية قيام الفرد بالسلوك المخيف (أو المقلق) بنجاح .

تحدد درجة اقتناع الناس بكفاءتهم الدرجة التى بها يحاولون مواجهة المواقف الصعبة ، وتحدد ايضاً مقدار الجهد الذى سوف يبذلونه ، والمده التى سيبقون خلالها يواجهون العقبات والخبرات المؤلمة ، فالأقوياء والأكثر فعالية أو ذوى الخبرات الجيدة سيكونون اكثر بذلاً للجهد ونشاطاً ، وهؤلاء هم الذين سيثابرون على العلاج ويؤدون الأنشطة التى تحمل التهديد - ولكنها أمنه نسبياً - سوف يكتسبون تجارب علاجية ذات قيمه بالنسبة لهم بخلاف انها ستدعم شعورهم بالكفاءة والفعالية وتقضى فى النهاية على مخاوفهم وسلوكهم الدفاعى ، ولكن الذين سينسحبون قبل ان يُعطى العلاج ثماره سيبقون محتفظين بالخبرات المضعفة للذات وبمخاوفهم لفتره طويلة (Bandura, 1977) .

ولقد أيد ودافع بندورا عن بعض صور العلاج السلوكى مثل النمذجة المتدرجة graduated Modeling ، والتدعيم الايجابى ، والتخلص التدريجى والمنظم من الحساسية ، واعادة التنظيم المعرفى (للمساعده على التخلص من الأفكار المثيره للخوف ، وخبرات الفشل ، أو الحاجة الى تتبع الأهداف غير الواقعية) مع التأكيد على الإجراءات التى تضمن اداء اعمال كان يخاف منها المسترشد ، فالمحادثة ليست وسيله فعالة لتعديل وتغيير السلوك الإنسانى ، ولكى نغير سلوك ما يحتاج الناس الى خبرات تعليمية صحيحة . وكما ذكر كيلى فإن بندورا كذلك يحذر من آن المعالجين السيكوديناميين ينحازون بشده لمفاهيم ومصطلحات النظريات التى تبنوها ومن ثم يفسرون كل امراض عملاءهم من منطلق الأسباب الداخلية التى تذكرها هذه النظريات . ؛ إذا اراد شخص ما ان يتنبأ بانواع وأنماط الدوافع اللاشعورية التى يجب ان يستبصرها المسترشد فى مثل هذه البرامج العلاجية التحليلية فمن الأفضل معرفة التصورات والمعتقدات المعرفية للمعالج قبل معرفة الحالة النفسية الحقيقية للعميل .

ثالثاً : العلاج النفسى والإصلاح الاجتماعى :

فى تطابق للرأى مع بعض اصحاب نظريات الشخصية ، فان بندورا يوصى بشدة على إحداث بعض صور الإصلاح الإجتماعى ، وينتقد بشده الاثار التى يتركها التلفزيون ووسائل الأعلام الأخرى عند عرضها للسلوك العدوانى ، حيث ان هذه الصور تعرض كنماذج سلوكية تحتذى وخاصة من قبل الأطفال ، وتشجع على اتخاذ ضوابط وإجراءات حازمه وتوجيه الرأى العام ضد انحرافات وسائل الاعلام ، وتأييد أو تفضيل البرامج التى

لاتدعو الى العنف والبرامج الإخباريه مثل البرنامج المعروف شارع السيسم Sesame street والذى تم ترجمته ودبلجته بالعربيه باسم إفتح يا سمسم. كما حذر بندورا ايضاً من الانتشار المستمر للجماعات السياسية ذات الإهتمامات الخاصة التى تفسد وتعوق الفعالية الجماعية، حيث تفرض هذه الجماعات المختلفه موضوعات أو قضايا فرعية على المواطنين، ومن المعروف انه لايمكن ارضاء طائفة دون إحباط الأخرى، ومن ثم لن يحقق النشاط السياسى المتزايد سوى القليل من النتائج الفعالة وسيترك الناس وقد تحرروا من وهم القدرة على إحداث تغيرات جوهرية فى مجتمعهم من خلال النظام القائم (Bandura , 1982).

نظرية بندورا فى الميزان :

الانتقادات وأوجه الخلاف :

انتقد بندورا لتجاهله لبعض الجوانب الهامة والمعقدة للسلوك البشرى كالصراعات، الشعور، واللاشعور، ولعداءه الواضح للتحليل النفسى، بالإضافة لذلك يبدو هناك بعض التشابهات الأكيده والواضحة بين أفكار بندورا ومنظرين آخرين مثل تأكيد كيلى على أهمية تفسير دور التكوينات البيئية، وعلى الاهتمام بقضية التوقع والتنبؤ. كذلك تجاهله لمفهوم السيادة أو التفوق الذى اكد عليه من قبل كل من ادلر، وفروم، واريكسون، وماى، واغفاله لمفاهيم هامة أخرى مثل الشعور بالعجز أو النقص، ومفهوم فرويد عن الأنا الأعلى، وتأكيد هورنى على تحقير الذات، مما يدل على ان بندورا حقق بعض التقارب مع انصار السلوكية أكثر من غيرهم.

إسهامات :

امتدحت نظرية التعلم الاجتماعى لتأكيدها وقيامها على الدراسات الامبريقية، واستخدامها لعينات بشرية بدلاً من دراسة سلوك الحيوان وتعميمه على الإنسان. كما يحسب له اسلوبه الجديد فى العلاج النفسى القائم على النمذجه. ولتزويده للنظرية السلوكية بأدله عقليه مقنعه اكثر مما قدمه سكنر، ودولارد وميلر. وكدليل على التقدير والاعتبار الايجابى الذى حاز عليه بندورا فقد أفرطت كتب العلاج النفسى فى الإشارة الى بندور بمدى يتراوح بين ٣-٥ أضعاف إشارتها لسكنر، وما بين ٨-٤٠ مرة مقارنة بدولارد وميلر.

الباب العاشر

الفصل التاسع عشر :أوجه التقارب والتباعد

الفصل التاسع عشر
أوجه التقارُب والتباعد

من خلال جولتنا عبر المحاور التى تناولتها نظريات الشخصية سنلاحظ انها أظهرت مكانة متميزه للقواعد والتركيبات ، وتضمنت الكثير من الأفكار المتعارضه والخصومات الفكريه الواضحة، وكذلك بعض جوانب الاتفاق العامة، ولذلك فقد يكون من المفيد أن نستخلص المحاور الأساسيه التى تناولتها هذه النظريات وأوجه الاختلاف والاتفاق بينها وذلك بهدفين :

الأول : تكوين إطار منظم من الحقائق المرتبطه بالمحاور الأساسيه فى هذه النظريات يساعد القارئ على اختيار النظرية أو النظريات التى تبحث فى موضوع يشغل ذهنه .

الثانى : تلخيص وإبراز أهم اوجه الشبه والاختلاف بين هذه النظريات من خلال رسوم توضحية مختصرة تساعد القارئ على ادراك الفروق بينها فى المحاور التى تناولتها .

وفيما يلى أهم هذه المحاور :

أولا : الطبيعة الأساسية للنفس البشرية :

١- نوعية الطبيعة البشرية :

يهتم الكثير من المنظرين فى مجال الشخصية بدرجة كبيرة بطبيعة النفس البشرية ، وبلغ فرويد الذروه فى الاتجاه السلبى فى نظريته فى التحليل النفسى التى تركز على الدوافع الفطرية التدميرية والجنسية وعلى ذلك يجب علينا أن أن نتسامى برغباتنا الى منافذ اقل إشباعا ولكنها اكثر قبولا من الوجهة الاجتماعية وكذلك يجب أن يحدث الصراع مع المجتمع ودخل الفرد، وعلى النقيض من ذلك تماماً وفى الطرف الايجابى المقابل يوجد منظرون مثل كارن هورنى، وروجرز يفترضون أن دوافعناكلها ايجابية ومن ثم فنحن لانحتاج الى تعديلها من خلال عملية التسامى، ومن المتفائلين كذلك فروم وماسلو الذين يرون ان لدينا طبيعة فطرية ايجابية ولكنها سريعة التأثر بالعوامل البيئية المرضية، وأدلر الذى يرفض الأهمية المطلقه للعامل الوراثى، ولكنه يؤيد دورها الكامن فى الجانب الصحى والاجتماعى للفرد، أما بقية المنظرين الاخرين مثل يونج واريكسون وألبورت وموراى، وماى وكاتل يتبنون موقفا معتدلاً ووسطياً ، حيث يعتقدون بوجود كل من دوافع الخير والشر فينا على حد سواء.

إن جميع المنظرين فى ميدان الشخصية على وعى جيد بأن الناس عموماً قد يسلكون كل من طريق الرشاد أو طريق الغى، ويتصرفون بطريقة طيبة أو شريرة، وأن ذلك نابع من

طبيعتنا الفطرية، ولذلك فقد لاقت نظرية فرويد بتشائمها بعض الصعوبة فى تفسير السلوك السوى الذى من قبيل : أن الإبوه أو الامومة الراشده قد تنجح فى دفع الطفل على مضض منه فى طريق التسامى الفعال بدوافعه والإشباع المقبول إجتماعياً لها. وعلى العكس، فإن أولئك الذين يتبنون وجهة نظر متفائله جزئياً أو كلياً عن طبيعتنا الانسانية يستطيعون تفسير أسباب الأمراض النفسيه أو بعض الظواهر النفسية من قبيل : أن السلوكيات الوالديه الخاطئة قد تنجح فى دفع الطفل للخضوع لرغباتها، ولكن ذلك يكون مصحوباً بكراهية الذات والتدمير اللذان يفسران كنتائج لحياة الحرمان.

هذه الاختلافات النظرية بالإضافة الى استحالة القياس الفعلى التجريبى لنوعية الطبيعة البشرية من حيث كونها خيره أو شريرة ربما يؤديان بالمرء لأن يتساءل عن أهمية هذه القضية، ومع ذلك يمكن أن ندرك أن هذه الفروض تؤثر على جوانب النظرية بشكل جوهرى - فعلى سبيل المثال يوصى فرويد بعدم المبالغة فى الإشباع أو الحرمان لدوافع الطفل فى أى مرحلة من مراحل النمو، وذلك لمنع سيطرة الرغبات الفطرية المحرمة، كما يعتبر أن عملية العلاج النفسى ماهى الا عملية كفاح صعب وطويل من قبل المعالج ضد جهود المريض لكبت رغباته المحرمة (المقاومة) والتى يجب على المعالج النفسى ان يحرص على عدم تشجيعها، وعلى النقيض من ذلك يؤكد ماسلو وآخرون على ضرورة اشباع حاجات الطفل بشكل كامل، وينصحون باتباع طرق مماثله فى العلاج، ويفسرون المقاومة بطريقة اكثر ايجابية (اى كوقاية فى مواجهة معالج يتحرك بسرعة كبيرة فى العملية العلاجية). ولذلك فإن النتائج الهامة والتوصيات العملية تعتمد الى حد ما على الرؤية الخاصة للمنظر بخصوص الطبيعة الانسانية.

على الرغم من انه من الأهمية بمكان معرفة موقف المنظرين من هذه القضية، إلا أنه كما يبدو من المستحيل استخلاص قاعدة معلوماتيه مقنعه يمكن تعميها حول طبيعتنا البشرية وهل هى خيرة أم شريرة، وربما نستطيع أن نخمن الى حد معقول أن موقف فرويد فى نهاية الطرف المتشائم من طيف النور هو موقف غريب ويتصف بسلبية واضحة لاتتفق وما لدى الكائنات البشرية من قدرة فطرية على النمو البناء (لاحظ أن الغالبية العظمى من العلماء توافق النظره الايجابية لاريكسون فى نظريته عن سيكولوجية الأنا)، ومع ذلك فإن التفاؤل المفرط لكارن هورنى وروجرز ليس له ما يبرره أيضاً، ولايمكنه أن يفسر لنا قيام واستمرار الحروب والجريمه والشرور أو التجاوزات البشريه الاخرى، ومن ثم فان أولئك المنظرين الذين اتخذو موقفاً وسطاً فى هذه القضية قد اقتربوا من التصوير المناسب للطبيعة الانسانية.

صاحب النظرية	نوعية الطبيعة البشرية شريرة ١	٢	٣	٤	خيرة ٥
١- فرويد	×				
٢- يونج			×		
٣- ادلر				×	
٤- هورنى					×
٥- فروم				×	
٦- سوليفان				×	
٧- اريكسون			×		
٨- البورت			×		
٩- موراى			×		
١٠- كيللى					
١١- روجرز					×
١٢- ماسلو				×	
١٣- ماى			×		
١٤- كاتل			×		
١٥- سكنر					
١٦- دولارد وميلر					
١٧- بندورا					

شكل (١٩-أ) نوعية الطبيعة البشرية من وجهة نظر المنظرين المختلفين

لاحظ أن

* المنظرين الذين لم توضع أمامهم علامة (×) ليس لديهم موقف واضح او اهتمام بهذه القضية .

** المقياس التدريجى الموضح فى الشكل تقديرى .

٢- ديناميات الطبيعة الإنسانية

أ- خفض الدافع :

يرى كل من فرويد وسوليفان وكاتل أن الهدف الأساسى للسلوك لدينا هو خفض الدوافع المختلفه واستبعاد التوترات المصاحبة لها وتحقيق حالة من التوازن الداخلى، فى حين يعترض اخرون مثل ماسلو وألبورت على ذلك التأكيد المبالغ فيه فى خفض الدافعية، ويعتقدون انه يجب تفسير سلوكنا فى ضؤ الأنشطة السارة المدعمة للتوتر أو التى تزيده بما فى ذلك حب الاستطلاع واكتساب مهارة مرغوبه شخصياً وإجتماعياً أو مستوى من الكفاءة وزيادة فهم الفرد للعالم أو فهمه لنفسه .

ولكن الدليل المتاح يؤيد وجهة النظر الأخيرة وبالتحديد تلك النظرة التى ترى أن الكائن البشرى يتم حفزه عن طريق كل من خفض الدوافع المؤلمه، وزيادة الدوافع السارة، ومع ذلك يجب التأكيد على تحذيرين من تحذيرات موراى :

- فالسلوكيات التى تبدو وكأنها فى الواقع مخفضة للدوافع يمكن تصميمها بشكل مبدئى لتحقيق السرور (أو اللذه) المصاحبة (مثل الطعام أو الجنس) اكثر من بعض حالات الأهداف البنائية التى لايوجد فيها دوافع نشطة .

- وبعض السلوكيات التى تبدو وكأنها دوافع تزيد التوتر يمكن أن تثبت بالاختبار والتمحيص انها تنسجم مع قواعد اللذة - مثل الشخص الذى يجد ويكدح دائماً لاليستمتع بمشاعر الكفاية ، وإنما ليكسب أموالا اضافية تستخدم فى إشباع حاجاته الاساسية .

ب - السببية مقابل الغائية Cousality Versus teleology

تتحدد كل السلوكيات العقلية والبدنية فى رأى فرويد وسكنر بالأسباب المؤدية اليها، فى حين يعزوها البعض الآخر مثل أدلر وألبورت وكيلى وروجرز الى الغاية من هذا السلوك، ولكن العديد من المنظرين يفسرون السلوك فى ضوء كل من الوسيلة والغاية معاً، معتقدين بان سلوكنا لايمكن ان يفهم إلا فى ضوء دوافعه واهدافه وأغراضه مجتمعه.

صاحب النظرية	الدافعية الإنسانية: السببية ١	٢	٣	٤	الغائية ٥
١- فرويد	×				
٢- يونج			×		
٣- ادلر					×
٤- هورنى		×			
٥- فروم				×	
٦- سوليفان			×		
٧- اريكسون		×			
٨- البورت					×
٩- موراى			×		
١٠- كيللى					×
١١- روجرز					×
١٢- ماسلو				×	
١٣- ماى			×		
١٤- كاتل		×			
١٥- سكنر	×				
١٦- دولارد وميلر		×			
١٧- بندورا					

شكل (١٩- ب)

السبب فى مقابل الغاية كما يراها أصحاب النظريات المختلفة

لقد طال الجدل والنقاش حول هذه القضية ، ولكن يبيدو انه من المقبول أن نتفق على أننا مدفوعين فى سلوكنا بواسطة اسباب مسبقة وتوتراتنا الراهنة وتوقعاتنا المستقبلية ، ومن الاحتمالات المثيرة ان يتأثر الاشخاص الاسوياء بالغرض بدرجة أكبر من تأثرهم بالسبب ، وبدرجة اقل بتأثير الخبرات المبكرة والسابقة ، ومع ذلك لايمكن التغلب على الماضى أو اغفاله تماماً .

وقد اثار مفهوم ألبورت عن الاستقلال الذاتى الوظيفى Functional Autonomy كأحد أهم القوه الدافعة لدى الفرد بعض علامات الاستفهام لكونه يفتقر الى قوة التفسير ، أو كمن يفسر حب رجل للعيون الزرقاء لانه يحب اللون الازرق "a mon likes blue because he likes blue" وهذه الاحكام الشاذه يتم رفضها لمصلحة وجهة نظر الأغلبية التى ترجع دوافع الراشدين الى خبرات الطفولة والمراهقه . ولسنا فى حاجة لأن نستسلم ، ولا يجب ان نستسلم لكوننا سجناء ماضينا ، وربما يكون هناك فرق كبير بين احساس الراشد بالخضوع وأنانية الطفولة والخوف من العقاب كما اقترح البورت .

جـ - الدافعية اللاشعورية Unconscious Motivation

يتفق معظم المنظرين فى مجال الشخصية على الأهمية الحقيقية للدوافع اللاشعورية ، ويعتقدون أن المعرفة الحقيقية للذات هدف صعب المنال ، ولذا فاننا نستطيع أن نستنتج بوضوح أن الجوانب الجوهرية المؤثرة فى شخصياتنا يتم إخفاءها بطريقة أوبأخرى سواءعن طريق الكبت أو التجاهل الاختيارى أو غير ذلك ، ولايمكن استدعائها الى العقل حتى لو رغب الفرد فى عمل ذلك برغبة واعية .

وها نحن ثانية نستطيع أن نخمن أن الناس الأصحاء الى حد ما ربما يكونوا اقل تأثراً بالعمليات اللاشعورية ، ومع ذلك ليس ثمة أحد واعى تمام الوعى بشخصيته أو حتى غالباً ، ومن المحتمل أن المادة التى تكون الخبرة اللاشعورية ، هى تلك التى تدرك على انها تتضمن تهديداً خطيراً لجوانب أساسية فى شخصية الفرد أو فى أسلوب توافقه (فرويد - ادلر - هورنى وآخرون) أو التى تثير قلقاً شديداً (فرويد - هورنى - سوليفان - ماى) ، أو التى تدرك بطريقة متسامية(يونج وروجرز) أو تلك التى تحدث فى سن مبكرة جداً يصعب فيه تسميتها بطريقة صحيحة (دولارد وميلر) . وحتى الان ، وايا ما كانت العملية الفعلية المحولة للخبرة الى اللاشعور ، وأياً ما كانت الديناميات فإن أى فرد يتمنى أن يفهم شخصيته وان يضع نظرية مقنعة عن السلوك الإنسانى يجب عليه أن يعطى إهتماماً مقبولاً للدوافع اللاشعورية .

صاحب النظرية	أهمية الدوافع اللاشعورية				
	منخفض				مرتفع
	١	٢	٣	٤	٥
١- فرويد					×
٢- يونج					×
٣- ادلر			×		
٤- ه رنى					×
٥- فروم					×
٦- سوليفان					×
٧- اريكسون					×
٨- البورت		×			
٩- موراى					×
١٠- كيللى			×		
١١- روجرز			×		
١٢- ماسلو				×	
١٣- ماى				×	
١٤- كاتل			×		
١٥- سكنر		×			
١٦- دولارد وميلر					×
١٧- بندورا		×			

شكل (١٩- جـ)

أهمية الدوافع اللاشعورية من وجهة نظر المنظرين المختلفين

٣- قائمة الدوافع الإنسانية Cataloge of Human motives

هناك جدل أخر يدور حول عدد الدوافع البشرية وطبيعة أو خصائص هذه الدوافع ، فبعض المنظرين يركزون على دافع واحد أو اثنين من الدوافع المسيطره بينما يركز البعض الاخر على عدد كبير ويمكن تقسيمهم الى مجموعتين على النحو الآتى :

أ – نظريات تؤكد على عدد محدود من الدوافع.:

١- فرويد : الجنس ، التدمير أو العدوان .

٢- ادلر : الكفاح من أجل التفوق ، الاهتمام الاجتماعى *

٣- هورنى : تحقيق الذات

٤- كيلى : توقع المستقبل

٥- روجرز : الواقعية ، الاهتمامات الايجابية

٦- ماى : أن يعيش الفرد فى العالم الذى ولد فيه .

ب – نظريات تؤكد على عدد كبير من الدوافع :

١- إريكسون : الجنس ، التدمير ، الهوية (الذات) ، السيطرة على البيئة، علاقات التعزيز المتبادل .

٢- فروم : الجوع ، العطش ، الجنس، الدفاع من خلال الكر أو الفر Fight or Flight، الاشخاص الآخرون، السيطرة على البيئة، الهوية، فهم الفرد لمعنى حياته .

٣- يونج : الجوع ، العطش ، الجنس، القوه ، النشاط ، الإيداع، التفرد، فهم الفرد لحياته، الدين، الاخرون.

٤- سوليفان : الجوع – العطش – الجنس ، الطموح، استبعاد متلفات الجسد، النوم، تقليل القلق، الاشخاص الاخرون، الحنو على الذرية .

---

* على الرغم من أن أدلر يركز على أن كل شخصية فريده ومتميزه بذاتها، وهذا ينطبق على نمط الحياة الذى يتم فيه التعبير عن سلوكياتنا، وهو يعتبر أن جميع الناس لديهم نفس الدوافع الجوهرية، كما يؤكد على قضية الشعور بالنقص.

٥- دولارد وميلر : الجوع ، العطش ، الجنس، تجنب الألم ، الدوافع المكتسبة أو غير الفطرية (مثل القلق والغضب، والشعور بالذنب، القوة والحزم، والأشخاص الآخرون).

٦- كاتل : الطعام ، التزاوج ، الإجتماعية ومخالطة الناس ، الحماية الأبوية، حب الاستطلاع ، الأمن، توكيد الذت، النرجسية، المشاكسة ، الطمع، وربما الجاذبية أيضا ، الراحة ، الابداع، احتقار الذات، الإشمئزاز، الضحك.

٧- موراى : الاحتقار ، الانجاز، العدوان، الاستقلال، الاتهام ، الإذعان، السيطرة، الاستعراض ، تجنب الأذى ، النظام، اللعب، الرفض - الجنس، الفهم .

ولايزال موقف ألبورت هو الأكثر تطرفاً، حيث يجادل بأن الدوافع البشرية فريدة فى نوعها فى كل فرد ، وهى كثرة جداً لدرجة أنها لاتكفى قائمة من الدوافع أو الحاجات مهما طالت لوصفها ويمكن توضيح أوجه التباين بين مختلف المنظرين من الجدول (١٩- د).

وباستثناء فرويد الذى يعتبر أن إشباع دافعى الجوع والعطش من مظاهر العملية الجنسية ، فإنه يمكن أن نفترض أنه لايوجد خلاف حقيقى حول هذه الدوافع، وأى واضع نظرية فشل فى إعداد قائمة بها فانه لايشك فى أن وجود الدوافع من الأمور البديهية، ويمكن أن نقول نفس الشيىء عن حاجتنا للجنس والتنفس وتجنب الأذى الجسدى- كما يمكن أن نميز عدة دافع ينعقد عليها بعض الاتفاق: فرويد فى الجنس، كاتل فى النرجسية الجنسية، إريكسون وفروم فى الهوية، ادلر، اريكسون، وفروم فى السيطرة على البيئة، كاتل فى توكيد الذات، يونج، وهورنى، وروجرز وماسلو فى التفرد وتحقيق الذات، أدلر، وإريكسون، وفروم، وسوليفان فى الحاجة للآخرين، كاتل فى الإجتماعية، موراى وكاتل فى احتقار زو إذلال الذات، ويونج، وماسلو ، وكاتل فى الابتكار، يونج ، وفروم فى إدراك الفرد لمعنى حياته. ورغم ذلك سيبقى معظم المنظرين فى مجال الشخصية يختلفون بشكل واضح حول الدوافع الرئيسية المحركة للسلوك الإنسانى.

صاحب النظرية	عدد الدوافع الإنسانية: منخفض ١	٢	٣	٤	مرتفع ٥
١- فرويد	×				
٢- يونج			×		
٣- ادلر	×				
٤- هورنى	×				
٥- فروم			×		
٦- سوليفان			×		
٧- اريكسون			×		
٨- البورت					×
٩- موراى				×	
١٠- كيللى	×				
١١- روجرز	×				
١٢- ماسلو			×		
١٣- ماى	×				
١٤- كاتل				×	
١٥- سكنر					
١٦- دولارد وميلر			×		
١٧- بندورا					

شكل (١٩- د)

عدد الدوافع الانسانية من وجهة نظر المنظرين المختلفين

ثانيا : التركيب البنائى للشخصية :

١- المكونات البنائية : التأييد والمعارضة :

سعى بعض المنظرين لوصف الجوانب المعقدة والمتناقضة للشخصية عن طريق تقديم تركيبات بنائية مناسبه، فى حين يرى آخرون أن تلك التركيبات ليست ضرورية، بل انها خادعة ومضلله، وعلى العموم توجد أربعة أوضاع متميزه فى هذه القضية يمكن توضيحها فى النموذج الآتى :

التركيب البنائى

الصراعات النفسية الداخلية	مهم	غير مهم
مهمة	فرويد يونج إريكسون موراى روجرز كاتل	هورنى فروم ماسلو ماى دولارد وميلر
غير مهمة	البورت كيلى سولفيان	أدلر سكنر بندورا

شكل (١٩- هـ) أهمية التركيب البنائى الصراعات النفسية كما يراها مختلف المنظرون

ويمكن أن يتضح من النموذج السابق أنقسام العلماء إلى اربعة مجموعات على حسب درجة أهتمامهم لكل من التركيب البنائى والصراعات النفسية الداخلية كما يلى :

أ - أن كل من التركيب البنائى والصراعات النفسية الداخلية مهمة :-

حيث يري المنظرون فى هذه المجموعة مكونات الشخصية وكأنها أعضاء أسرة تنقسم على نفسها دائماً ، وهم يعتقدون أن هذه التركيبات البنائية من أفضل الطرق لتلخيص وتوضيح مثل هذه الصراعات ، ويطابق هذا المدخل تماماً التقسيم الثلاثى الفرويدى لمكونات النفس البشريه (الهو - الأنا - الأنا الاعلى)، ولقد استخدم إريكسون، وموراى هذه التركيبات الثلاثية، ولكنهم عرفوها بطريقة مختلفه لكى يوصلوا لنا إعتقادهم بان الناس يمتلكون كل من غرائز الخير والشر على السواء . ولقد استخدم يونج خلال مناقشته للصراعات الداخلية تركيبات من قبل : الذات Ego ، الظل Shadow القناع Persona ، الاتجاهات، والوظائف. في حين ركز روجرز على الذات على اعتبار انها انسب تركيب بنائى لتفسير الصراعات الداخلية للنفس البشرية، أما كاتل فقد استخدم مفهوم السمات المصدريه لتوضيح المؤشرات المختلفة التى يمكن من خلالها قياس صراعتنا الداخليه رقمياً.

ب - الصراعات النفسية الداخلية مهمة فى حين ان التركيبات البنائية غير مهمة : أعطى بعض المنظرين إهتماماً كبيراً للصراعات الداخلية فى النفس البشرية ولكنهم لم ينظروا الى التركيبات البنائية بنفس المستوى من الأهمية وتعد كارن هورنى رائدة هذا الاتجاه الذى يتضمن كذلك كل من فروم وماسلو ، وماى ، ودولارد وميلر، وهم يحذرون من أن الاستعمال المستمر لمثل هذه المصطلحات ربما يؤدى الى اعتقاد بأن الهو والأنا والانا الاعلى مخبأه Lurking فى مكان ما فى كل شخصية .

وفى الواقع فإن هذه التركيبات ليست حقائق لايمكن إنكارها ولاتحتل مكانه أساسية فى النفس البشرية ، ولكنها مجرد أفكار أو مفاهيم ابتدعها فكر المنظر لكى يقدم أفضل وصف وتفسير للسلوك الإنسانى - وعلى العموم فإن المناقشات المتكررة حول " ان الأنا تفعل ذلك ، والهو تفعل ذلك" يؤدى إلى تكوين انطباع بأن هذه التركيبات حقيقية ولايمكن انكارها، أن هذا لن يقدونا الى سؤ التفسير لسلوكنا فقط ولكن ايضاً سيجعل من الصعب أن نتعامل مع التركيبات التى تفقد قيمتها فى ضؤ الاكتشافات الحديثه - وهو أمر غير محتمل- اذا أخذنا فى الاعتبار معرفتنا المحدودة نسبياً حول الشخصية الإنسانية .

جـ - التركيبات البنائيه مهمة فى حين أن الصراعات الداخلية ليست مهمة : حيث بقى بعض المنظرين الآخرين يهتمون باستخدام التركيبات البنائية، ولكنهم لايعطون سوى إهتماما قليلاً بالصراعات الداخلية ومن امثال ذلك كل من البورت وكيلى وسوليفان .

د - عدم الاهتمام بأى من التركيبات البنائية أو الصراعات الداخلية : حيث يعتقد علماء آخرون مثل أدلر وسكنر وبندورا بعدم وجود ضرورة لتقسيم النفس البشريه لان الشخصية الإنسانية موحدة وغير مقسمه وهى كذلك ليست فى صراع مع نفسها .

مرة أخرى يمكننا أن نؤكد أن الاختلاف فى هذه القضية اكثر من الاتفاق حولها، وتؤكد الادلة من خلال استعراضنا لنظريات هذا الكتاب ما يدعم وجود وأهمية الصراعات النفسية الداخلية وأن المنظرين الذين يتجاهلون هذه القضية قد أهملوا جزءاً مهما من دوافع السلوك الإنسانى .

٢- القلق وميكانزمات الدفاع Anxity and defense Mechanisms

يعد تحسين فهمنا لمرض القلق من أهم إسهامات نظريات الشخصية . أن اكتشاف ما يفيد بأن الألم النفسى حقيقى وأن هذا القلق يمكن أن يصبح مشكله اكثر خطورة من الألم العضوى - تندرج ضمن الإضافات الحقيقية المهمة لمعرفتنا . ويتضح من الجدول (١٩-و) مدى اهتمام علماء الشخصية بالقلق :

وسواء قبل القارئ بنظرية فرويد فى القلق وميكانزمات الدفاع أو لم يقبل ، فإن أهمية سلوكيات من قبيل رد الفعل ، والإسقاط ، والإزاحة ، وإنكار الواقع ، والتوحد وأحلام اليقظة أصبحت ثابته الى حد بعيد، كما ان هذه المفاهيم قد باتت مقبوله فى العديد من نظريات الشخصية مع بعض التغير فى المصطلح لفظاً أو تفسيراً فى الحقيقة . بينما يكون الناس الأصحاء نفسياً (الأسوياء) أقل استخداماً لميكانزمات الدفاع ، الا أن غالبيتهم أو معظمهم لايشكون فى أنهم قد استخدموا معظمها او كلها فى وقت ما فى حياتهم ، ونحن نعتبر أن ذلك بمثابة إسهام اساسى فى معرفتنا فى مجال نظريات الشخصية .

صاحب النظرية	أهمية القلق: غير مهم ١	٢	٣	٤	مهم ٥
١- فرويد					×
٢- يونج		×			
٣- ادلر	×				
٤- هورنى					×
٥- فروم				×	
٦- سوليفان					×
٧- اريكسون		×			
٨- البورت		×			
٩- موراى			×		
١٠- كيللى			×		
١١- روجرز				×	
١٢- ماسلو		×			
١٣- ماى					×
١٤- كاتل			×		
١٥- سكنر			×		
١٦- دولارد وميلر					×
١٧- بندورا				×	

شكل (١٩- و)

أهمية القلق من وجهة نظر المنظرين فى علم نفس الشخصية

ثالثا : تطور الشخصية The development of Personality:

١- مراحل النمو :

القليل منن المنظرين فى مجال علم نفس الشخصية هم الذين وضعوا مراحل محددة للنمو، ورغم ذلك فهم لايتفقون مع بعضهم البعض، ففى نظرية فرويد توجد خمس مراحل، ويفترض اكتمال نمو الشخصية فعليا عند سن الخامسة، فى حين يفترض سوليفان وجود سبعة مراحل تمتد من المهد حتى الرشد، أما اريكسون فقد شرح ثمانية مراحل متعاقبه تمتد من المهد حتى الشيخوخة .

وعلى الرغم من أن بعض افكار هؤلاء المنظرين عن النمو قد قبلت بشكل عام إلا أنه لاتوجد مجموعة واحدة من المراحل ينظر اليها على انها صحيحة تماماً، وحيث يفضل علماء النفس المحدثين وجهة نظر كل من سوليفان واريكسون من أن نمو الشخصية مستمر خلال الطفولة والمراهقة وحتى خلال الرشد، الا أنى أعتقد أنه من الصعب - وليس من المستحيل -تغيير شخصية فرد متقدم فى السن يفتقد الى الحساسية النفسية أو الإجتماعية .

٢- أهمية الطفولة المبكرة :

على الرغم من أن تعاقب الاحداث خلال مرحلتى المهد والطفولة المبكرة ليست محددة تماماً للشخصية، إلا أن كل المنظرين تقريباً قد اجمعوا على انها مرحلة فى غاية الأهمية كما يوضحها الجدول (١٩ - ز) .

فلا شك أنه من الإسهامات الرئيسية الأخرى لنظريات الشخصية ان نتعرف على الطرق التى بها يجعل الآباء من أبنائهم : عصابيين - مدللين - مهملين أو يعاملون بتساهل أو بالحماية الزائدة ، والقلق المتكرر ، والتسلط ، والرفض والسخرية وعدم ثبات المعايير، ونقص الرقة ودفء العاطفة، والصرامة والتشاؤم والنرجسية، والتقدير الايجابى للذت، أشياء أخرى . ان هذا لايمثل فحسب إرشاداً وتوجيهاً للأباء الباحثين عن أفضل اسلوب لتربية الطفل ولكنها أيضاً مصدراً هاماً للاطمئنان لاى شخص يعانى من العصابية، فحيث أن العصابية والسلوكيات والاتجاهات الدالة على انهزام الذات Self-defeating ، متعلمه خلال مرحلة الطفولة ، فإن لديهم أسباباً منطقية، وهو ما يوضح انه يوجد علاج منطقى أيضاً من خلال عدم تعلم هذه السلوكيات كما يحدث فى العلاج النفسى .

صاحب النظرية	١ غير مهمة	٢	٣	٤	٥ مهمة
١- فرويد					×
٢- يونج			×		
٣- ادلر				×	
٤- هورنى					×
٥- فروم		×			
٦- سوليفان				×	
٧- اريكسون				×	
٨- البورت	×				
٩- موراى				×	
١٠- كيللى			×		
١١- روجرز				×	
١٢- ماسلو			×		
١٣- ماى			×		
١٤- كاتل			×		
١٥- سكنر			×		
١٦- دولارد وميلر				×	
١٧- بندورا			×		

(أهمية الأحداث فى مرحلتى المهد والطفولة المبكرة)

شكل (١٩- ز)

أهمية أحداث مرحلتى المهد والطفولة المبكرة

أهمية المراهقة :

يعد كل من سوليفان وإريكسون من المنظرين الذين اعطوا اهتماماً كبيراً بمرحلة المراهقة، حيث وصفت بأنها مرحلة التحول الحرج وقد يكون للاخرين تأثير ايجابى أو سلبى على الفرد فى هذه المرحلة. صحيح ان الأحداث خلال مرحلة الطفولة تلعب دوراً هاماً فى تشكيل شخصية الفرد وهو ما يؤثر على طبيعة الشخصية خلال المراهقة فعلى سبيل المثال فإن الشخص الذى يواجه بأساليب خاطئة ونظرة سلبيه عن ذاته من الآخرين، فإنه من المحتمل ان يسلك بشكل خاطئ ويسلك بطرق مضطربه اثناء مرحلة المراهقة، وعلى النقيض فإن الطفل السوى نفسياً تكون فرصة عبوره لمرحلة المراهقه بنجاح افضل.

رابعاً : العائد من تطور الشخصية :

١- الخصائص الطبولوجية :

لقد كرس العديد من المنظرين مثل فرويد ويونج وفروم جهودهم فى توضيح وابراز ما يسمى بنمط الشخصية Persondity type وفى الجانب الاخر قد عارض البعض ذلك مثل أدلر وألبورت بشدة هذا الاتجاه ويجمعون على ان كل فرد ينمو بأسلوب متفرد فى فلسفته عن الحياة، ومن المستحيل على أى من الباحثين المهمتين بنمط الشخصيه ان يقدم وصفاً كلياً للشخصية.

لقد أقرت أهمية بعض التركيبات الطوبولوجية ودعمت من خلال بعض الدراسات على الأقل كالشخصية الفمية ، الشخصية الشرجية، الانطواء والانبساط ولكن أعيد وآكد انه لاتوجد نظرية واحدة صحيحة فى جميع جوانبها أو حتى أغلبها .

٢- محكات الصحة النفسية :

عرف فرويد الصحة النفسية على انها تتكون من محكمين أساسيين هما القدرة على الحب والقدرة على العمل، أما البورت وروجرز وماسلو فقد فضلوا تناولها من زاوية الشخصية المثالية (الشخصية المحققه لذاتها) وهم يوافقون على أن للصحة النفسية محكات من قبيل : تحقيق درجة أكبر من الأمان الانفعالى، تقبل الذات، النجاح، الحب ، والعلاقات الشخصية مع الأخرين والمعرفة الجيدة بالذات ، وواقعية حاجات الفرد وقيمة وعدم انكار المعايير الاجتماعية، ومع ذلك فهم لايوافقون على اعتبارات اخرى معتقدين انه ليس من الممكن بعد تعريفها أو قبولها على انها محكات للصحة النفسية.

خامسا : تطبيقات نظريات الشخصية :

كما لاحظنا خلال عرضنا لهذا الكتاب ان بعض النظريات قد اسهمت فى زيادة فهمنا للعديد من الأمور مثل تفسير الأحلام، وتعد نظريتى فرويد وفروم أقدر النظريات على تفسير ما يتضمن الحلم من معلومات . أما علم الأمراض النفسيه والعقليه (حيث نعرف أن

الفرق بين المرض النفسى/ العقلى والسواء هو فرق فى الدرجة اكثر من كونه فرق فى النوع) وأن السلوكيات العصابية والذهانية لها أسباب ومعانى منطقية ، وربما تظهر أفكار غريبة على السطح، كما يحتمل ان تكون هناك اضافة أخرى كالعلاج النفسى، فمن المعروف انه لاتوجد طريقة معينة آكثر قبولاً من غيرها فى مجال العلاج ولذلك يجب ان تتنوع طريقة العلاج باختلاف نوع المشكله وخصائص المسترشد ، واسباب المشكله ذاتها، المهم ان يتحقق بعض التحسن فى حالة المريض، ومن المجالات الهامة الاخرى التى تناولتها نظريات الشخصيه مجال العمل، والتربية، والادب والبحوث الإمبريقيه. ويمكن تلخيص مدى اهتمام هذه النظريات بالمجالات المذكوره فى الشكل الاتى :

المنظرون	تطبيقات نظريات الشخصية						
	تفسير الإحلام	علم الأمراض	العلاج النفسى	العمل	التربية	الأدب	البحوث المعملية
١- فرويد	+	+	+	-	-	×	-
٢- يونج	+	+	+	-	×	+	-
٣- ادلر	×	+	+	+	+	-	-
٤- هورنى	×	+	+	×	-	-	-
٥- فروم	+	+	+	-	-	+	-
٦- سوليفان	×	+	+	-	-	-	-
٧- اريكسون	×	+	+	-	-	×	-
٨- البورت	-	-	-	-	-	-	+
٩- موراى	-	-	-	-	-	×	+
١٠- كيللى	×	+	+	-	×	-	+
١١- روجرز	-	+	+	-	+	-	+
١٢- ماسلو	-	+	+	+	×	-	+
١٣- ماى	+	+	+	-	-	×	-
١٤- كاتل	-	+	-	+	+	-	+
١٥- سكنر	-	×	×	×	+	×	+
١٦- دولارد وميلر	-	+	+	-	-	-	+
١٧- بندورا	-	+	+	-	-	-	+

معنى العلامة : (+) اهتمام قوى (×) اهتمام متوسط (-) عدم الاهتمام

أى نظريات الشخصية نتبعها أو نختارها :

على الرغم من أن نظريات الشخصية ذات ماض عريق وبارز فى نمو علم النفس وتطوره إلا أن علماء النفس لايلتقون حول نظرية واحدة أو يعدونها النظرية المحورية، وعلى الرغم أن فروع علم النفس التى وضعتها رابطة علم النفس الأمريكية متعددة إلا ان هذا التصنيف لايتضمن قسم خاص لنظريات الشخصية ، ويمكن تصنيف علماء الشخصية من خلال نظرتهم لهذه النظريات الى ثلاث أنواع :-

١- أصحاب المدخل الأقل مرغوبية وهم الذين يؤمنون أنه لايوجد صاحب نظرية على حق أو صواب دائما مثل كيلى.

٢- الذين يؤمنون بوجود بعض النظريات ذات الأساس الجيد يمكن مراجعتها وتعديلها فى ضوء التصورات العلمية الجديدة كما حدث من تعديلات فى نظرية فرويد على يد التحليلين الجدد ، وما حدث من تعديل فى نظرية سكنر على يد السلوكيين الجدد مثل دولارد وميلر وبندورا وأنصار الاتجاه المعرفى.

٣- الذين يختارون أفضل الأفكار والمفاهيم فى كل نظرية ويقومون بدمجها فى نسق نظرى متكامل، ويعد هذا البديل مفيد لمجال علم النفس، ويلقى بعض القبول لأن كل عالم قدم بعض الإسهامات التى لايجب إهمالها أو تجاهلها ولكن ذلك أمر صعب ويحتاج الى قدره توفيقية مرتفعة لدى الباحث، ويستغرق وقتاً طويلاً وهو ما نأمل أن يتحقق مستقبلاً ، لذلك حرصت على وضع تصور مستقبلى لما يجب ان تكون عليه نظرية الشخصية المثالية وما يجب ان تجيب عليه من تساؤلات وما يقوم فى ضوؤها من بحوث وأفكار .

نظريات الشخصية والثقافة :

جاءت نظريات الشخصية من بيئات ثقافية متباينه ومن ثم تضمن العديد منها وجهات النظر الثقافية التى انبثقت منها. كما لعبت شخصية العالم دوراً واضحاً فى صياغتها، ولذلك يجب ان يحرص كل مستخدم لنظريات الشخصية وقارئ لها على أن يدرك أن تفسير أى مفهوم يرتبط بالنسق الثقافى وأن يدرك أن ثقافة صاحب النظرية قد اثرت على قواعد ومفاهيم وقوانين نظريته وأن النظرية الجيدة هى التى تناسب اكثر النسق الثقافى للقارئ وأن شابها بعض أوجه القصور ولذلك فإننى آمل ان يجتهد الباحثين العرب فى صياغة نظرية للشخصية الإسلامية أو العربية تكون أكثر صدقا وقابلية للتطبيق فى مجتمعنا .

فما الذى نتوقعه مستقبلاً ؟

أ- نحو تصور مستقبلى لنظريات الشخصية :

ما الذى نتوقعه من تطوير نظرية فى الشخصية مستقبلا . من خلال عرضنا لنظريات السابقه يمكن أن تتوقع أن اى نظرية مستقبليه فى الشخصية سوف تبنى على كل من النظريات السابقة والراهنة ، ولن تكون نسخه طبق الأصل من أى نظرية قائمة بالفعل. وأى واضع لنظرية مستقبلاً يجب ان يضع فى اعتباره ضروره تضمين نظريته إجابات على الأسئلة الآتية :

١- ماهى طبيعة الحياة الاجتماعية للإنسان .

٢- ما الذى يجعل كل إنسان كائن متفرد ؟

٣- كيف تنمو الشخصية الإنسانية .

٤- ما هى الدوافع المحركة للشخصبية الإنسانية ؟

٥- كيف يفكر الإنسان ، وكيف يتعلم عن ذاته وعن البيئة التى يحيا فيها؟ .

٦- ما هى الخصائص المحدده للشخص الراشد المتمتع بالصحة النفسية ؟

٧- ما هى القواعد والأسس المحدده لاختلالات الشخصية ؟

٨- لماذا يأخذ بعض الناس وجهتهم الى التوافق والكفاية الشخصية فى حين يأخذ البعض الاخر وجهتهم الى عدم التوافق وعدم الكفاية ؟

٩- ما الذى يمكن ان تضيفه النظرية فى مجال العلاج والإرشاد والتربية ، والبحوث التجريبية الإمبريقية؟

ربما تكون الإجابه على هذه التساؤلات معقده الى حد ما ، ولكن أى نظرية تبنى فى ضؤ هذه الخطوط الرئيسية لن تسهم فى تحقيق فهم أفضل للشخصيه الإنسانية فحسب لكنها ستزيد من قدرتنا على دراسة وفهم النظريات السابقة من ناحية ، وستسهم بعض الشيئ فى فهمنا للخبرات والأحداث فى حياتنا اليومية ، وهكذا يجب أن تضيف أى نظرية جديده لبنه فى بناءالعلم تكمل هذا البناء وتساعد على اكتشاف المزيد منه . كما يجب ان تتصف أى نظرية بإمكانية التحقق مما تقدمه من أفكار بشكل تجريبى .

ومن الخصائص الهامة لأى نظرية جديدة أن تكون قابله للتمدد والاتساع، أى انها تضمن فى ذاتها الإمكانية لادخال تعديلات تتناسب وطبيعة العصر وما تستحدثه الدراسات من نتائج حتى لاتصبح مثل الحذاء الذى نلقى به فى صندوق القمامه اذا ضاق أو بلى. أو بمعنى اخر أنه يجب آن تتميز نظرية الشخصية بتقديم اكتشافات جديدة عن السلوك البشرى وان يكون لديها القدرة على التعديل والتصحيح الذاتى فى ضؤ الأدله الجديدة.

ب - نحو تصور مستقبلى لمجالات بحوث الشخصية :

يمكن تلخيص المشكلات والقضايا التى تلفت انتباهنا نحو المستقبل، والمجالات البحثيه منها الى سبع مجالات عامة، يحتاج كل منها الى عدة أنواع من الدراسات كالوصفية والتجريبية والنقديه وخاصة فيما يتعلق بمفاهيم الشخصية، بهدف تقديم انتقادات علميه لما هو قائم والتمهيد لما هو محتمل من نظريات الشخصية وهذه المجالات السبعة هى :

١ - دراسة العمليات المعرفية وعلاقتها بجوانب أخرى من الوظائف النفسية : حيث فتحت بعض النظريات الراهنه مثل هذا المجال مثل نظرية دولارد وميلر، وبندورا وقامت فى ضؤها نظريات معرفية مثل نظرية بيك التى بدأ وضع أصولها منذ ١٩٧٦. وقد نشأ الاتجاه المعرفى كنتيجة لثلاث عوامل اساسيه :

أ - أصبح تفسير عملية التعلم من خلال تدعيم العلاقة بين المثير والاستجابه غير كافيا فى معرفة الميكانزمات المستتره فى الحفظ والمعالجة للمعلومات المكتسبه ومن ثم شرح عملية التعلم بصوره واضحة، كما أنه فى كثير من الحالات تحدث عملية التعلم بدون التعزيز، وقد تفشل رغم وجوده احياناً. كما تختلف عملية التعلم لدى الراشدين عنها لدى الاطفال، وكلاهما يختلف عن الحيوانات كالفئران والقرده من ناحيتين هما استخدام الإنسان للرموز، وان عملية التعلم البشرى اكثر تعقيداً من تعلم الحيوان.

ب - لقد كان التوجه المعرفى فى علم النفس كنتيجة لتأثير مفكرين آخرين فى المجال مثل بياجيه الذى ركز على دراسة نمو التركيبات المعرفية عند الطفل، وربط بين النمو العقلى من ناحية والنمو الخلقى من جانب اخر، وشرح ذلك من خلال مفهومين أساسيين هما الامتصاص والموائمة.

جـ - الثورة العلمية الحديثه التى أصبح الكمبيوتر فيها بمثابة السبب والنتيجة معاً خيث يشبه البعض المعالجات فى المخ البشرى بالمعالجات فى الحاسب الآلى على شكل مدخلات - عمليات - مخرجات - تغذية مرتده . . . وهكذا .

٢- دراسة الانتاج الخاص ، والاشخاص العباقرة والموهوبين : لقد تحول الاهتمام فى العصر الحالى من دراسة المرضى النفسيين والتنظير فى ضوء مايستمد منهم من معلومات كما فعل فرويد وأدلر ويونج، الى دراسة المبدعين والمبتكرين والأشخاص المحققين لذاتهم على يد البورت وروجرز وماسلو . والتحول من التركيز على دراسة الماضى الى دراسة الحاضر وكيف سيكون الانسان مستقبلا ، وليس كيف كان فى الماضى .

٣- دراسة المحددات الفسيولوجية والعصبية للشخصية، فيما عدا فرويد وموراى فقد أهملت النظريات الاخرى دراسة المحددات البيولوجية للسلوك تقريبا . ولذلك يجب ان تهتم النظريات المستقبليه على المزاوجه بين العمليات البيوكيميائية، والنيوروفسيولوجية من ناحية والعمليات النفسيه من ناحية أخرى كالعمليات المعرفية والتخيل والإحساس والعاطفة، وكذلك دراسة العمليات الفسيولوجية المرتبطه بنمو الشخصية .

٤- دراسة نمو الشخصية فى وسط وأخر العمر : ولم يهتم بهذه القضية سوى سوليفان وإريكسون وبشيئ من الاختصار المخل، فى حين كرست اغلب النظريات اهتمامها على مرحلة المهد والطفوله المبكرة وخاصة نظرية فرويد في النمو النفسى جنسى، ولذلك اصبحت معلوماتنا عن مرحلتى الرشد والشيخوخة يشوبها الكثير من القصور رغم ما يحدث فى هذه المراحل من تغير فى النواحى العقلية والانفعالية والاجتماعية، ورغم انها تمثل مرحلة العطاء والانتاج التى يجب الاهتام بها، ويمثل أصحابها ارباب الحكمه والتوجيه والخبره التى يسير الصغار فى ضوءها ، أضف لذلك أنهم يمثلون نسبة كبيره من سكان المجتمع الانسانى ففى عام ٢٠٠٠ مثلا يحتمل ان يكون المسنين الأمريكان الذين تزيد اعمارهم عن ٦٥ سنة حوالى ٤٠ مليون نسمه، إننا فى حاجة إلى دراسة كيف ينتهى النمو الانسانى، مثلما ندرس كيف يبدأ النمو الانسانى .

٥- دراسة عمليات التنظيم أو الضبط الذاتى والتخطيط : لم يهتم جيداًبهذا المفهوم إلا سكنر وبندورا فى النظريات التى تم عرضها . . ويعنى الضبط الذاتى قدرة الكائن

البشرى على ضبط عالمه الشخصى وان يكون قادر على تحديد وجهته فى الحياة. لقد أصبحنا فى حاجة الى دراسات تتناول قدرة الإنسان على تحديد هدفه فى الحياة وتنظيم سلوكه للوصول للهدف المحدد.

٦- دراسة التفاعل بين العوامل الموقفية والمتغيرات الشخصيه وعلاقتهما بالسلوك: تعد نظريتى سكنر وبندورا اقرب النظريات لهذا المجال حيث افترضا أن المتغيرات الشخصية (العوامل النفسيه) مسئوله ومحدده لنوع السلوك الذى يصدر عن الكائن العضوى ويختلف تأثيرها من موقف لاخر. فى حين تعد نظريتى فرويد للتحليل النفسى والبورت عن السمات ابعد ما يكون عن هذا التصور حيث يفترض الاول ان سلوك الانسان ثابت ومحدد بغريزتى الجنس والعدوان ، بينما يفترض الثانى ان ما لدى الفرد من سمات تحدد السلوك ومهما اختلف الموقف الذى يوجد فيه ثابت تقريبا. أما أغلب النظريات الاخرى فقد تناولت المتغيرات الشخصية وتجاهلت الى حد كبير العوامل الموقفيه أو افترضت انها تلعب دوراً محدودا فى نوع السلوك الصادر. ولكننا فى حاجة الى دراسات تتناول التفاعل بين المتغيرين، فمن المعروف إن الإنسان يغير سلوكه لكى يستجيب للظروف البيئيه المتغيره خلال حياته فالشخص الذى يتزوج يغير من سلوكه كنتيجة للظروف الجديدة، وكذلك الذى يُطلق والذى يلتحق بمهمة ومن يلعب أدواراً جديده لم يسبق لعبها كالطالب والموظف والأب أو الأم يغيرون سلوكهم طبقاً لدورهم الجديد، كما تغيرنا الخبرات التعليميه والخبرات الصادمه كموت عزيز لدينا، وقد تغير بعض التكنولوجيا الجديده من سلوكنا، وتغير مستوانا الاقتصادى الاجتماعى (يعد موراى اكثر من اكد علي المحددات الثقافية الاجتماعية).

٧- دراسة وعلاج المشكلات المرتبطه بالممارسات المهنية للإنسان : لقد سعت العديد من نظريات الشخصيه الى القاء الضوء على علم النفس المرضى والتوافق الشخصى، وبذلت المساعى لتشخيص وعلاج الاشخاص الذين يعانون من الاضطرابات لكى يستمتعوا بصحتهم النفسيه ويكونوا أشخاص منتجين ، وقد تميز فى هذا الاطار كل من فرويد ، ادلر، يونج، روجرز ، كيلى ، اريكسون، سكنر، بندورا، دولارد وميلر، ولم يهتم البعض كثيراً بذلك مثل ماسلو ، وألبورت، وكاتل، لقد نتج عن التغير المستمر فى العالم من حولنا مزيد من المشكلات الاجتماعية مثل الثوره المعرفية، الانفتاح علي العالم وسرعة الاتصال وتداخل الثقافات رغم ما بينها من

اختلافات ، الحروب، الأمراض المعديه والخطيره منها على وجه الخصوص كالايدز، تلوث البيئة ، الاقليات والجماعات العنصرية، التباين الاقتصادى بين الفقراء والاغنياء ، والاكتشافات الكونيه والبحرية التى افقدتنا الثقه فى علاقتنا بأنفسنا وبالكون الذى نعيش فيه لاننا نشعر ان البيئة تتغير بسرعة من حولنا ويتغير معها مالدينا من قيم ومبادئ واخلاقيات - ليس فينا بالتحديد- ولكن قد يكون فى اولادنا من بعدنا، والمشكلة القائمة الآن كيف يستطيع الأنسان أن يواكب هذه التغيرات ؟ إننا فى حاجة الى المزيد من البحوث لتساعدنا على حل هذه المشكلات ومواكبة العالم المتغير الذى يدور بنا بسرعة افقدتنا توازنا، بل نشعر أننا أحياناً مسئولون عن ذلك وكأننا خلقنا المشكله بأنفسنا واصبح من الصعب علينا حلها.

اننا فى حاجة الى دراسات تتناول عرض لأسباب وطرق علاج : الاغتراب ، الانتحار، الطلاق، الأدمان، التمييز على أساس الجنس واللون، الجريمة، وغيرها. وعلى علم النفس ان يساعد الناس على تحقيق حياة مُرضيه وذات معنى من خلال نظريات الشخصية أو غيرها من فروع علم النفس .

خلاصةالقول : إن الشخصية الإنسانية أشبه بمتاهة معقده نجح البعض فى عبور جزء منها، ونأمل أن ينجح الأخرون فى الوصول بنا الى أخر المتاهة .

المراجع

- إدوارد ج موراى : الدافعية والانفعال – ترجمة أحمد عبد العزيز سلامه ، دار الشروق – القاهرة . (١٩٨٨) .

- أرنوف ويتيج : سيكولوجية التعلم ، ترجمة عادل عز الدين وآخرون – در ماكجروهيل للنشر ، ١٩٨١.

- إريك فروم : المجتمع السليم ، ترجمة محمود محمود – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٦٠ .

- إسحق رمزى : علم النفس الفردى – دار المعارف ، القاهرة – ط٣ ١٩٨١ .

- اوتوفنحل : نظرية التحليل النفسى فى العصاب ، ترجمة صلاح مخيمر، عبده ميخائيل رزق – الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩.

- باترسون س . هـ ، نظريات الإرشاد والعلاج النفسى – ترجمة حامد الفقى ، الجزء الثانى – دار القلم- الكويت ١٩٩٠ .

- جان لابلانش ، ج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسى – ترجمة مصطفى حجازى – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ، ١٩٨٥.

- جابر عبد الحميد جابر : نظريات الشخصية – دار النهضة العربية – القاهرة ، ١٩٨٦.

- جمال الخطيب : تعديل السلوك – القوانين والإجراءات – المطابع التعاونية – عمان – الأردن ، ١٩٨٧،

- چورج إم غازوا وآخرون : نظريات التعلم (دراسة مقارنة) الجزء الأول ، ترجمة على حسين حجاج – مراجعة عطية هنا – عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٨٣ .

- چورج إم غازوا وآخرون : نظريات التعلم (دراسة مقارنة) الجزء الثانى – ترجمة على حسين حجاج – مراجعة عطيه هنا ، عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٦ .

- حامد زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسى – عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٨.

- سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشخصية : محدداتها – قياسها – نظرياتها ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨.

- سيد محمد غنيم ، وهدى براده : الإختبارات الإسقاطية – دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٨٠.

- صلاح مخيمر : أحلام لاتحقق رغبة – الانجلو المصرية – القاهرة . ب . ت .

- عواطف حسين : لتنشئة الواليه وعلاقتها بفاعلية الذات لدى المراهقين من الجنسين – مجلة كلية التربية– جامعة المنصورة ، العدد ٢٤ – يناير ١٩٩٤.

- فرانك سيفرين : علم النفس الإنسانى – ترجمة طلعت منصور وآخرين – الأنجلو المصرية – القاهرة، ١٩٨٧.

- كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس : المجلد الأول – الدار الدولية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٩٨٨.

- كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس : المجلد الثانى – الأهرام للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٩٩٠.

– لندال دافيدون : مدخل علم النفس – ترجمة سيد الطواب وأخرين – دار ماكجروهيل – السعودية، ١٩٨٣.

– ليوبولد بيلاك ، وسونيا بيلاك : إختبار تفهم الموضوع للمسنين (S.A.T.) ترجمة عبد العزيز القوصى، محمد عبد الظاهر الطيب – دار المعارف – القاهرة ، ١٩٨٤.

– محمد السيد عبد الرحمن : فاعلية الذات لدى المدخنين ، مجلة كلية التربية – جامعة طنطا – العدد التاسع (ب) ، فبراير ١٩٩٠.

– محمد السيد عبد الرحمن وسامى هاشم : فعالية الذات لدى الأسوياء الجانحين – مجلة كلية التربية – جامعة الزقازيق– العدد الثانى عشر ، مايو ١٩٩٠.

– محمد السيد عبد الرحمن ، وصالح أبو عبادة : مقياس التحليل الأكلينكى – الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٩٤.

– محمد السيد عبد الرحمن : مقياس موضوعى لأساليب مواجهة أزمة الهوية فى مرحلتى المرّاهقة والرشد المبكر ، الانجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٩٤.

– محمد السيد عبد الرحمن : سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلاب المرحلة الثانونية والجامعة (فى) – دراسات فى الصحة النفسية – دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٩٧.

– محمد السيد عبد الرحمن ، سامى هاشم : مقياس الحاجات النفسية (فى) دراسات فى الصحة النفسية، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٩٧.

– محمد السيد عبد الرحمن ، وصالح أبو عباه : مقياس التحليل الأكلينيكى ، الجزء الثانى ، مكتبة الانجلو المصرية– القاهرة – ١٩٩٧.

– محمد محروس الشناوى : نظريات الإرشاد والعلاج النفسى – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٩٩٤.

– محمد محروس الشناوى ، محمد السيد عبد الرحمن : العلاج السلوكى الحديث :أسسه وتطبيقاته (تحت الطبع)، دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٩٩٧.

– محمود سلطان وأخرون : نظريات تربية الطفل – دار الهلال للطباعة والتجارة – القاهرة ، ١٩٨٦.

– محمد شعلان : الأضطرابات النفسية فى الأطفال – الجزء الثانى – الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية – القاهرة ، ١٩٧٩.

– هنرى ماير : ثلاث نظريات فى نمو الطفل – ترجمة هدى قناوى ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٨١.

– هول ، ك . ليندزى ، ج : نظريات الشخصية – ترجمة فرج احمد فرج واخرون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٧٥.

- Adler, A Understanding human nature : Greenwich, Conn. : Fawcett, 1978.

- Adler, A. What life should mean to you : New York : Capricorn Books, 1958.

- Adler, A. Problems of neurosis, Torchbooks, 1964a.

- Adler, A. Social interest : A challenge to mankind : Ne York : Capricorn Books, 1964b.

- Adler, A. The science of living: New York : Anchor Books, 1969.

- Adler, A. The practice and theory of individual psychology : Totowa, N.J. Littlefield, Adams & Co., 1973.

- Adler, A. Advantages and disadvantages of the inferiority feeling Superiority and social interest: A collection of Alfred adler's later writings. New York : Norton, 1979a

- Adler, A. The differences between individual psychology and psychoanalysis. Superiority and social interest: A collection of Alfred Adler's later writings, New York: Norton, 1979b.

- Adler, A. The structure of neurosis. Superiority and social interest: A collection of Alfred Adler's later writing. New York: Norton, 1979c.

- Allport, G.W. Becoming: Basic considerations for a psychology of personality. New Haven: Yale University Press, 1955.

- Allport, G.W.personality and social encial encounter. Boston: Beacon Press, 1960.

- Allport, G.W. Pattern and growth in personality . New York : Holt, Rinehart and Winston, 1961.

- Allport, G.W. Letters from Jenny. New York : Harcourt, Brace and World, 1965.

- Allport, G.W. The person in psychology : Selected essays.. Boston: Beacon Press. 1968.

- Arieti, S. Interpretation of schizophrenia (Rev. ed) New York : Basic Books, 1974.

- Bandura, A. Principles of behavior modification. New York : Holt, Rinehart and Winston, 1969.

- Bandura, A. A social learning theory. Englewood Cliffs, N.J. : Prentice- Hall, 1977.

- Bandura, A. The self system in reciprocal determinism. American Psychologist, 1978.

- Bandura A. Self- referent thought : A developmental analysis of self- efficacy. In J. H. Flavell & L. Ross (Eds.) , Social cognitive development : Frontiers and possible futures. Cambridge, England : Cambridge University Press. 1981.

- Becker, E. The denial of death. New York : Free Press, 1973.

- Bieber, I. Cognitive psychoanalysis, New York: Aronson, 1980.

- Blumenthal, R. Scholars seek the hidden Freud in newly emerging letters. The New York Times, 18 August, 1981.

- Brenner, C. Anelementary textbook of psychoanalysis (Rev.ed.) New York: Anchor Books, 1974.

- Bronson, G.W. Identity diffusion in late adolescence . Journal of Abnormal and Social Psychology, 1959.

- Carlson, R. Personality, Annual Review of Psychology, 1975.

- Cattell, R.B. Personality and social psychology. San Diego: Knapp, 1964.

- Cattell, R.B. The scientific analysis of personality, London: Penguin, 1965.

- Cattell, R.B. Personality and Mood by questionnaire. San Francisco: Jossey - Bass, 1973.

- Cattell, R.B., & Kline, P. The scientific analysis of personality and motivation, New York: Academic Press, 1976.

- Cervone , D & Peak P. K.; Anchoring, Efficacy and action, the influence of judgmental Heuristices on Self- efficacy Judgment and behavion, J. of personality and social psychology, Vol. 50. No. 3, 1986.

- Crumbaugh, J.C. Cross- validation of purposes-in-life test based on Frankl's concept. Journal of Individual Psychology, 1968.

- Dollard, J., Miller. N.E. Personality and psychotherapy: Ananalysis in terms of learning, thinking, and culture, New York: McGraw-Hill, 1950.

- Ellenberger, H.F. The discovery of the unconsicious. New York : Basic Books, 1970.

- Ellenberger, H.F. The story of "Anna O.": A critical review ith new data. The Journal of the History of the Behavior Sciences, 1972.

- Erikson, E. H. Identity and the life cycle : Selected papers. New York: International Universities Press, 1959.

- Erikson, E. H. Childhood and society. (2nd ed.) New York: Norton, 1963.

- Erikson, E.H. Insight and responsibility: Lectures on the ethical implication of psychoanalytic insight . New York: Norton, 1964.

- Erikson, E. H. Identity: Youth and crisis, New York : Norton, 1968.

- Erikson, E.H. Gandhi's truth : On the origins of militant nonviolence, New York: Norton, 1969.

- Erikson, E.H. Life history and the historical moment. New York : Norton, 1975.

- Erikson, E. H. Toys and reasons. New York : Norton, 1977.

- Erwin, E. Psychoanalytic therapy: The Eysenck argument. American Psychologist, 1980.

- Evans, R.I. Gordon Allport: the man and his ideas. New York: E.P. Dutton, 1970.

- Evans, R. I. Carl Rogers: The man and his ideas. New York: E.P. Dutton, 1975.

- Ewen, R.B. An introduction to theories of personality (Ist ed.), New York : Academic Press, 1984.

- Fiedler, F.E,. A comparison of therapeutic relationships in psychoanalytic, nondirective, and Adlerian therapy. Journal of Consulting Psychology, 1950.

- Fisher, S., & Greenberg, R.P. The scientific credibility of Freud's theories and therapy. New York: Basic Books, 1977.

- Fordham, F. An introduction to Jung's psychology. Great Britain: Pelican Books, 1966.

- Freud, A. The ego and the mechanisms of defense. Revised edition: New York: International Universities Press, 1966.

- Freud, S. Group psychology and the analysis of the ego. New York : Norton, 1959.

- Freud. S. Beyond the pleasure principle, New York: Norton, 1961a. Freud, S. Civilization and its discontents. New York: Norton, 1961b.

- Freud, S. The ego and the id.New York: Norton, 1962.

- Freud, S. An autobiographical study. New York : Norton, 1963a

- Freud, S. Fragment of an analysis of a case of hysteria. Dora: An analysis of a case of hysteria. New York : Collier, 1963b.

- Freud, S. Formulations on the two principles of mental functioning. General psychological theory. New York: Collier . 1963c.

- Freud, S. On narcissism: An introduction General psychological theory. New York : Collier, 1964d .

- Freud, S. Repression. General psychological theory. New York: Collier, 1963c.

- Freud, S. Jokes and their relation to the unconscious. New York: Norton, 1963f.

- Freud, S. Some neurotic mechanisms in jealousy, Paranoia, and homosexuality Sexuality and the psychology of love. New York: Collier, 1963g.

- Freud, S. The infantile genital organization of the libido: A Supplement to the theory of sexuality Sexuality and the psychology of love. New York: Collier, 1963h.

- Freud, S.Further recommendation on the technique of psychoanalysis. I. On beginning the treatment. Therapy and technique. New York: Cork: Collier, 1963I.

- Freud, S. Further recommendation on the technique of psychoanalysis. Therapy and technique. New York: Collier, 1963J.

- Freud, S. Analysis terminable and interminable. Therapy and technique. New York: Collier, 1963k.

- Freud, S. The interpretation of dreams. New York : Avon Books, 1965a.

- Freud. S. New introductory lectures on psychoanalysis. New York: Norton, 1965b.

- Freud. S. The psychopathology of everylday life. New York: Norton, 1965c.

- Freud, S. Three essays on the theory of sexuality : New York: Avon Books, 1965d.

- Freud, S. Introductory lectures on psychoanalysis (Rev.ed.) New York: Norton, 1966.

- Freud, S. An outline of psychoanalysis (Rev. ed.) New York: Norton, 1969a.

- Freud, S. The question of lay analysis. Ne York: Norton, 1969b.

- Freud, S. , & Breuer, J. Studies on hysteria. New York: Avon Books, 1966.

- Fromm,E. The forgotten language: An introduction to the understanding of dreams, fairy tales, and myths. New York : Grove Press, 1957.

- Fromm, E. Escape from freedom. New York: Avon Books, 1965.

- Fromm, E. The crisis of psychoanalysis: Essays on Freud, Marx, and social psychology New York: Fawcett, 1971a.

- Fromm, E. The heart of man: Its genius for good or evil. New York : Perennial, 1971b.

- Fromm, E. The anatomy of hurman destructiveness. New York: Holt, Rinehart, & Winston, 1973.

- Fromm, E. Man for himself: An inquiry into the psychology of ethics. New York: Fawcett, 1976a.

- Fromm, E. The sane society. New York: Fawcett, 1976b.

- Fromm, E. To have or to be? New York: Harper & Row, 1976c.

- Gelman, D. Finding the hidden Freud. Newsweek, 30 November 1981.

- Graham, W., & Balloun, J. An empirical test of Maslow's need hierarchy theory. Journal of Humanistic Psychology, 1973, 13.

- Hall, M.H. An interview with B. F. Skinner, Psychology today, 1967a.

- Hall, K. & Lindizy, G. Theories of Personality , 3ed ed, New York, Wiley, 1978.

- Heine, R,W. A comparison of patients' reports on psychotherapeutic experiences with psychoanalytic nondirective, and Adlerian therapists. American Journal of Psychotherapy, 1953.

- Hergenhahn, B. R. : An Introduction to theories of Personality , Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, 1980.

- Hjelle, L.A. & Ziegler, D.J.; Personality theories Basic assumptions, Research, and Applications, 2ed Ed. Mc Graw- Hall International Book Comp. 1981.

- Horney, K. Our inner conflicts: A constructive theory of neurosis. New York: Norton, 1945.

- Horney, K. Neurosis and human growth: The struggle toward self-realization. New York : Norton, 1950.

- Horney, K. Feminine psychology. New York: Norton, 1967.

- Hunt, J.M. Psychological development :Early experience. Annual Review of Psychology, 1979.

- Jung, C.G. Aion: Researches into the phenomenology of the self. Princeton University Press, Vol.9, Part 2 .

- Jung. C.G. Flying saucers: A modern myth. Original publication: 1958.

- Jung, C.G. Memories, dreams, reflections. New York : Vintage Books, 1965.

- Jung, C.G. (Ed.) Man and his symbols. New York: Dell, 1968.

- Jung. C.G. On psychic energy. (in) On the nature of the psyche. Princeton, N.J. Princeton University Press, 1969a.

-Jung, C.G. On the nature of the psyche. On the nature of the psyche. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1969b.

- Jung, C.G. Analytical psychology and education: Three lectures. Psychology and education. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1969c.

- Jung, C.G. Child development and education. Psychology and education, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1969c.

- Jung, C.G. Psychological aspects of the mother archetype : Fourarchetypes. Princeton, N.J. : Princeton University Press, 1970.

- Jung. C.G. The stages of life : The portable Jung. New York : Viking Press, 1971a.

- Jung, C.G. The structure of the psyche. The portable Jung. New York : Viking Press, 1971b.

- Jung. C.G. Instinct and the unconscious. (in) : The portable Jung. New York: Viking Press, 1971c.

- Jung, C.G. The transcendent function. (in) : The portable Jung. New York: Viking Press, 1971d.

- Jung, C.G. Mandalas. Mandala symbolism. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1972a.

- Jung, C.G. On the psychology of the unconscious (in) essays on analytical psychology. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1972d.

- Jung, C.G. The relations between the ego and the unconscious. (in) Two essays on analytical psychology. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1972.
- Jung, C.G. New paths in psychology. (in) : Two essays on analytical psychology. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1972f.
- Jung, C.G. The practical use of dream- analysis. (in) : Dreams. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 194a.
- Jung, C.G. The psychology of dementia praecox. : Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974.
- Jung, C.G. On the psychogenesis of schizophrenia (in) : The Psychology of dementia praecox. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974c.
- Jung, C.G. The theory of psychoanalysis (in) : Critiue of psychoanalysis. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1975a.
- Jung, C. G. General aspects of psychoanalysis (in) tique of psychoanalysis. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1975b.
- Jung, C.G. Psychological types. : Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.
- Kazdin, A. E. Imagery Eloboration and Self- efficacy in the covert modeling Treatment of unassertive behavior J.of counsuling and clinical Psychology, Vol. 47, 1991.
- Kelly, G.A. The psychology of personal constructs (2 vols.) New York: Norton, 1963.
- Kelly, G.A. Clinical psychology and personality: Selected papers. (B.Maher, Ed.) New York: Wiley, 1969.
- Kelly, G.A. A brief introduction to personal construct theory. In D. Bannister (Ed.) Perspectives in personal construct theory New York: : Academic Press, 1972a.
- Kelly, G.A. Behavior is an experiment. In D. Bannister (Ed.) perspectives in personal construct theory New York: Academic Press, 1970b.
- Kelman, H.C. Introduction. In K. Horney, Feminine psychology. New York: Norton, 1967.
- Kilmann, R.H. & Taylor, V.A contingency approach to laboratory learning: Psychological types versus experimental norms. Human Relations, 1974.

- Maddi, S.R: Persomality theories; A Comparitive analysis, Homewood, Ill.; Dorsey 1972.

- Marcia, J.E. Development and validation of ego-identity status. Journal of Personality and Social Psychology, 1966.

-Maslow, A. H. Toward a psychology of being (2nd ed.) New York: Van Nostrand Reinhold, 1968.

- Maslow, A. H. Religions, values, and peak-experiences. New York: Viking, 1970a.

- Maslow, A.H. Motivation and personality (2nd ed.) New York : Harper & Row, 1970b.

- Maslow, A.H. The farther reaches of human nature. New York : Viking, 1971.

- May, R. The origins and ignificance of the existential movement in psychology. In R. May, E. Angel, & H.F. Ellenberger (Eds.) Existence: Anew dimension in psychiatry and psychology , New York: Basic Books, 1958.

- May, R. The emergence of existential psychology . In R. May (Ed.) Existential psycholgy (2nd ed.). New York : Random House, 1969a.

- May, R. Love and will . New York . Norton, 1969b

- May , R.power and innocence: A search for the sources of violence . New York: Norton, 1972.

- May, R. The courage to create. New York: Norton, 1975.

- May, R. Reflections and commentary. In C.Reeves, The psychology of Rollo May. San Francisco: Jossey- Bass, 1977b.

- May, R. Freedom and destiny. New York: Norton, 1981.

- Menninger, K. A., Holzman, P.S. Theory of psychoanalytic technique (2nd ed.). New York: Basic Books, 1973.

- Murray, H.A. et al . Explorations in personality, New York: Oxford Univesity Press, 1938.

- Myers, I.B. The Myers- Briggs Type Indicator. Princeton, N.J.: Educational Testing Service. 1962.

- Olson, H.A. (Ed.) Early recollections: Their use in diagnosis and psychotherapy. Springfield, Ill.: C Thomas, 1979.

- Patterson, C,H. Theories of counseling and psychotherapy, 4th Ed. Harper & Raw, Publishers, New York. 1986.

- Peck, R.F., & Havighurst, R.J. The psychology of character development. New York : Wiley, 1960.

- Rimm, D.C., & Masters, J.C. Behavior therapy: Techniques and empirical findings (2nd ed.) New York : Academic Press, 1979 .

- Roaxen, P. Freud and his folloxers. New York: Knopf, 1975. Paperback reprint: New York : Meridian, 1976b.

- Rogers, C.R. Client- Centered therapy: Its current practice, implications, and theory. Boston: Houghton Mifflin, 1951.

- Rogers. C.R. A theory of therapy, personality and interpersonal relationships, as developed in the client-centered framework . In S. Koch (Ed.) Psychology: A study of a science (Vol.3) New York Mcgraw- Hill, 1959.

- Rogers. C.R. On becoming a person: A therapist's view of psychotherapy Boston: Houghton Mifflin, 1961.

- Rogers, C.R. Freedom to learn: A view of what education might become. Colunbus, Ohio: Charles E. Merril, 1969.

- Rogers, C.R. In retrospect: Forty- six years. American Psychologist. 1974.

- Rogers, C.R. Carl Rogers on personal power. New York : Delacort, 1977.

- Rogers, C.R. Nuclear war : A personal response. American Psychological Association Monitor, 1982.

- Rogers, C.R., & Dymond, R.F.(Eds.). Psychotherapy and personality change. Chicago: University of Chicago Press. 1954.

- Rogers, C.R., & Wood. J.K. Client- centered theory: Carl R. Rogers. In A. Burton (Ed.) Operational theories of personality New York : Brunner Mazel, 1974.

- Rubins, J.L. Karen Horney : Gentle rebel of psychoanalysis. New York: Dial, 1978.

- Shapiro, K.J., & Alexander, I.E. Extraversion- introversion, affiliation, and anxiety Journal of Personality, 1969.

- Shevrin, H., & Dickman, S. The psychological unconscious: A necessary assumption for all psychological theory? American Psychologist, 1980.

- Shlien, J. M., Mosak, H.H., & Dreikurs, R. Effect of time limits: A comparison of two psychotherapies. Journal of Counseling Psychology, 1962.

- Shostrom, E. An inventory for the measurement of self-- actualization. Educational and Psychological Measurement, 1965.

- Silverman, L. H. On the role of data from laboratory experiments in the development of the clinical theory of psychoanalysis . International Review of Psycho- Analysis, 1975.

- Skinner, B.F. Science and human behavior . New York : Macmillan, 1953.

- Skinner, B.F. Autobiography . In E.G. Boring & G. Lindzey (Eds.) A history of psychology in autobiography (Vol.5) New York: Appleton- Century-Crofts, 1967.

- Skinner, B.F. Beyond freedom and dignity, New York: Knopf, 1972.

- Skinner, B.F. About behaviorism. New York : Vintage Books, 1976.

- Skinner, B.F. Particulars of my life. New York : McGraw-Hill, 1977.

- Skinner, B. F. Reflections on behaviorism and society. Englewood Cliffs, N.J.: Perentice Hall, 1978.

- Stephenson, W. The significance of Q-technique for the study of personality. In M.L. Reymert (Ed.) Feelings and emotions: The Mooseheart symposium. New York. McGraw Hill. 1950.

- Stephenson, W. The study of behavior : Q- technique and its methodology. Chicago: University of Chicago Press, 1953.

- Sullivan, H. S. Conceptions of modern psychiatry. Original publication: 1947 . Paperback reprint: New York: Norton, 1953.

- Sullivan, H.S. The interpersonal theory of psychiatry. Original publication: 1953. Paperback reprint: New York, Norton, 1968.

- Sullivan, H.S. The psychiatric interview. Original publication: 1954. Paperback reprint: New York: Norton, 1970.

- Sullivan, H.S. The fusion of psychiatry and social science. Original publication: 1964. Paperback reprint: New York: Norton, 1971.

- Sullivan, H.S. Clinical studies in psychiatry. Original publication: 1956. Paperback reprint : New York: Norton, 1973.

- Sullivan, H.S. Schizophrenia as a human process. Original publication: 1962. Paperback repeint: New York: Norton, 1974.

- Thorne, F.C., & Pishkin, V. The existential study. Journal of Clinical Psychology, 1973.

- Tipton, R. M. & worthington, E.L Measurment of generalized Salf-efficacy A study of Construct Validity , J. of Personality assessment, Vol. 48, No.5. 1984.

- Wahba, M.A., & Bridwell, L. G. Maslow reconsidered : A review of research on the need hierarchy theory. Organizational Behavior and Human Performance. 1976.

- Wallerstein, R.S. & Sampson. H. Issues in research in the psychoanalytic process. International Journal of Psychoanalysis. 1971.

- Whitmont, E.C., & Kaufmann, Y. Analytical psychotherapy. In R. Corsini (Ed.) Current psychotherapies. Itasca, Ill.: F.E. Peacock, 1973.

- Wolpe. J., & Rachman, S.Psychoanalytic "evidence". : A critique based on Freud's case of Little Hans. Journal of Nervous and Mental Diseases, 1960.

- Yalom, I.D. The theory and practice of group psychotherapy. New York: Basic Books, 1970.

